

رِيَاضُ السِّيَرَةِ وَالْأَدَبِ

فِي إِكْبَالِ شَرَحِ عَمُودِ النَّسَبِ

لِأَخِي عَبْدِ الْبَدِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَجْلِسِيِّ الشَّنْفِيطِيِّ

تَأليف العلامة

أبَاهُ بِنِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بْنِ نَعْمِ الْعَبْدِ الْمَجْلِسِيِّ الشَّنْفِيطِيِّ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ

مُحَمَّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آتَاهِ الْمَجْلِسِيِّ

أَعَدَّهُ وَنَشَرَهُ

مُحَمَّدُ مَجْفُوظُ بْنُ أَحْمَدَ

الجزء الأول من السلسلة

الطبعة الأولى

1421 هـ / 2001 م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أع ش/ ٣٩٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٣

الطبعة النهائية

دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة - إ.ع.م.

ديوان السيرة والسير في أعلام العرب

وهو تكملة لشرح حماد بن الأمين المجلسي (المتوفى سنة 1256)
على نظم عمود النسب لأحمد البدوي بن محمدا المجلسي (1208)
موسوعة في أنساب العرب وأيامها والسيرة النبوية الشريفة وأخبار آل البيت
والصحابه.. وما تعلق بذلك من القصص العظيمة والعلوم المفيدة والآداب الرفيعة

وبهامشه:

تحقيق للمؤلف يشتمل على عزو الآيات والأحاديث والروايات.. وشرح بعض المفردات
اللغوية، وعلى تعليقات وفوائد ونكت مختلفة لها مناسبة وارتباط بمحلها المذكورة
فيه؛ مما يوفر على القارئ قسطا كبيرا من الوقت ويكفيه مؤنة كثير من البحث

خرج معظم أحاديثه

مجموعة من طلاب محظرة المؤلف بمساعدته وإشراف منه

عني بمراجعته وتصحيحه: الأستاذ

محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ مِنْ سَمَوَاتِهِ مُتَوَاتِلَةً وَأَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ مِنْ سَمَوَاتِهِ مُتَوَاتِلَةً وَأَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ مِنْ سَمَوَاتِهِ مُتَوَاتِلَةً

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، الممتنّ علينا ببعثة الهادي الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين؛ محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا هو اللقاء الذي طال إليه الاشتياق والمطلب الذي اشربت لتبليته الأعناق.. ألا وهو إكمال شرح نظم عمود النسب للشيخ أحمد البدوي بن محمدا، الذي كان ابن أخيه وتلميذه الشيخ حماد بن الأمين قد بدأه وتوغل فيه، وسير أغواره العميقة وكشف أسراره الأنيقة؛ فجاء منه بالدرر الباهرة والعلوم الوافرة، في شرح بديع بهر العقول واختص بالثناء والقبول؛ لكنه لم يصل نهاية المدى والأمل، حيث قطع طريقه الأجل.. فكانت الرزية بموته - رحمه الله - أعظم وأجل. ومع ذلك تلقف الناس هذا "الجزء" وتشبهوا به، ولم تغنهم مطولات الشروح عنه. وذلك الفضل من الله يؤتیه من يشاء، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

ومع أن لنظم البدوي هذا شروحا كثيرة⁽¹⁾، ولشرح حماد عليه "تمتات" جزيلة،

(1) من الصعب حصر هذه الشروح والتعليقات بسبب ما تعرض له تراث البلد ومخطوطاته من ضياع وانقراض، لكن ما وجد منها وذكر يدل على المكانة العظيمة لهذا النظم والاستحسان الكبير الذي حظي به بين أهل العلم في جميع أرجاء القطر الموريتاني. ومن أشهر تلك الشروح وأهمها شرح حماد بن الأمين، وسقوط الذهب بشرح نظم أنساب العرب لمحمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي، ومفيد الطلاب بشرح نظم الأنساب لأحمد محمود بن يداد الحسني، وتكملة محمد فال بن آبي الديباني (ت 1309هـ)، وشرح قحطان لأحمد بن ابهوه الكملي (ت 1364هـ)، واهمرار ابن

فإن هذا الشرح التكميلي الذي بين أيدينا جاء متميزا عن كل ما سبقه، مستحضرا الشرح الأصلي ومعتبرا نهجه ونسقه؛ ليكون هو التكملة المنشودة واللينة المفقودة. ولأن المؤلف - حفظه الله - أراد ابتداء إتمام هذا الشرح ووصل ما انقطع منه وتشبيد ما تم تأسيسه، فقد جاء شرحه ملتحما بالأصلين، في أنسجام أحسن وأكبر، وفي ثراء وكمال وإتمام نظر..

ولن يخفى على القارئ - مع ذلك - ما تميزت به هذه التكملة المباركة من زيادة في ضبط المادة وشرح وإعراب مفردات النظم، وإتقان في التأليف وتمحيص الروايات وتوثيق النقول، وتوسع وغزارة في العلوم، وتطور في الأسلوب يناسب العصر ويربط الماضي بالحاضر ربطا جزيلا راقيا؛ مما جعل هذه التكملة في حد ذاتها كتابا متميزا قائما بذاته لا غنى عنه، مثلما ظل شرح حماد في حد جزئته كتاباً كاملا بذاته لا يستغنى عنه. ولهذا كان لا بد من المبادرة بنشر هذه التكملة، على أن تشفع - إن شاء الله - بطبعة صحيحة لشرح حماد على أول النظم، يعكف المؤلف - أيده الله - الآن على مراجعتها وتنقيحها؛ ليشكل هذا الكتاب في جملة موسوعة واحدة عظيمة بما حوته من علوم السيرة وأنساب العرب، ونفائس التاريخ ودرر الأدب، وفتوحات الإسلام وتراجم الصحابة الأعلام، وغير ذلك من العلوم والمعارف والفوائد والطرائف..

----->>>

عبد المديني (ت 1286 هـ) الذي رصع به نظم البدوي.. وكلها - تقريبا - ما تزال مخطوطات نادرة. ومن شروح هذا النظم الكبيرة القديمة خزانة الأرب في معرفة أنساب العرب لسيد عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي التيشيتي (1247 - 1300 هـ). وهذا الشرح الذي يؤكد، بقدمه وبعد موقع صاحبه أهمية هذا النظم وسرعة انتشاره، ظل مجهولا حتى اكتشفه الباحث المحقق أحمد بن الحسن ضمن المخطوطات المنتهية بالقسم العمري (نسبة إلى عمر تال) في المكتبة الفرنسية بباريس.

ولكن..

هل ينتفع بالثمار وهي في أعالي أشجارها، أو بالآلئ في أعماق بحارها؟ وكم من العلوم العظيمة ما تزال رهينة "مخطوطاتها"، وكم من المؤلفات البديعة ظلت محبوسة في طروسها.. بل كم من كنوز العلم والمعرفة اختفت واندثرت رسومها دون الانتفاع بها، لعدم تيسرها لطلبة العلم وعمامة الناس!؟

والحاصل أنه ما كان لهذا العمل الجليل والمصنّف الجليل أن يظهر في حلتة البهية ويتاح للخاص والعام لولا أن انبرى له فارس آخر رفع لواءه في معركة أخرى هي معركة النشر، فتحمل مشكورا مأجورا نفقات طباعته على ضخامتها وكثرة ما دونها؛ دافعه إلى هذا الإيثار هو التعاون على البر والتقوى، وحب العلم وإجلال قدره، وما جبل هو عليه من الكرم والمروءة. ذلك هو الأستاذ الفاضل والسيد الشهم: محمد عبد الرحمن بن محمد محمود بن آتاه (محمد عبده علما) المجلسي حفظه الله ورعاه وجزاه خيرا. ولا غرو فالمروءة والسخاء والبذل.. من صفاته التليدة، توارثها من أبوين كريمين ومحتد رفيع، ولا يجاريه فيها سوى إخوته السادة الأفاضل الأكارم، بارك الله فيهم وزادهم فضلا وأجرا.

محمد محفوظ بن أحمد

عفا الله عنهما

6 شَهْرًا / 1421 / غرة يناير 2001م

تقديم الكتاب والمؤلف

بقلم / محمد بن الشيخ محمد بن الشيخ باب خي التندغي المالكي

الحمد لله الذي خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء. والصلاة والسلام على ولد آدم المبعوث بعبادة الله وتقواه وصلة الرحم،

وبعد: فالعلوم من أعظمها فائدة فكان من أهمها
علم عمود نسب المختار ثم عمود نسب الأنصار
إذ منهما تشعب الإيمان والنور والحكمة والفرقان

وقد خص الله نبينا محمدا ﷺ بأمر لم يعطها غيره؛ فما من باب إلا وله فيه خصائصه التي تفرد بها دون غيره. وإذا كان في خصائصه - في باب الفقه - ما يشترك معه غيره من الأنبياء فيه، فلا جرم أن له في باب التاريخ خصائص لم يدانه فيها نبي مرسل أو عظيم مصلح، حيث أن تاريخه الشريف - سواء ما يصنف منه في إطار سيرته العطرة أو ما يتسع عن نطاقها - أصح تاريخ على هذه الأرض، لأنه روي لنا بأصح الطرق وأقواها على أفواه الرجال الذين نقلوا الشرع الحنيف ذاته، وبذات الطرق التي نقلوه بها.

وقد اهتم الرجال بعلم الأنساب منذ القدم حتى صار ناحية مستقلة عن التاريخ في ظاهرها رغم أنه من صميمه لما له من اهتمام بالماضي؛ فكان أبو بكر وابن عباس رضي الله عنهما - مثلا - من علماء الأنساب، ثم حملة من كل خلف عدوله إلى الآن. ومن اهتم به وتبحر فيه العلامة أحمد البدوي المجلسي المتوفى سنة 1208هـ

مؤلف "عمود النسب" وابن أخيه حماد بن الأمين المتوفى سنة 1256هـ الذي قبض لما نظمه البدوي ليشرحه ويوضحه.

وعلى فترة من العلماء وانقطاع من العلم وفتور من الهمم ووفور من الشواغل وخطى عالمية نحو نسيان الماضي وهجره والإباحية واختلاط الأنساب.. جاء مؤلف الكتاب الذي بين يديك "رياض السيرة والأدب في تكملة شرح عمود النسب" العلامة محمد يحظيه (اباه) - حفظه الله - ليصل ما ظل شبه موقوف منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان ويرفع البيوت التي جعل الله انتساب سيد ولد آدم ﷺ إليها، منبها القارئ على ما له صلى الله عليه وسلم من الأرحام والقربات وبعض أعلام هاتيك البيوت.. في سياحة تاريخية ممتعة.

ورغم أن المؤلف - نفع الله به وسدده - مشغول بحكم جعله وقته كله وقفاً على التعلم منذ نعومة أظفاره بصورة تلقائية أملاها الجو الذي نشأ فيه، وعلى التعليم منذ أسند إليه والده الشيخ "ابؤه" مهمة التدريس في المحظرة وبعد أن أحازه إجازة مطلقة في المنقول والمعقول سنة 1393هـ ولما يزل في أواسط العقد الثالث من عمره وهي مهمة لم يكن بمنأى عنها؛ والله الحمد أولاً وآخراً، وعلى السعي في المهمات والمصالح - غريزة - وبفعل عدة عوامل أخرى. وبطبيعة هذه العناصر مجتمعة فإن المؤلف - أعانه الله وحفظه - يركن إلى الكتابة والبحث كلما سنع له فراغ ليخرج إلينا فرائد تشف عن ثراء علمي فياض، وأصالة فينانة تشهد أنه بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبؤه وبأنه "جذيله المحكك وعذيقه المرجب"، مؤكدة كثرة ما ترك الأول للآخر.. وهي فرائد أراد الله أن تطلع من هذه الربوع لتكون امتداداً لعطاء علماء كان لهم في هذا المضمار:

شرف تقصر دونه شمس الضحى أبداً وتغضي مقلّة الجوزاء

وبما أن عطاء المؤلف يصل إلى بلادٍ لم تطأها قدماه كما يفيض على من شرفه
الله بجواره:

كالبحر يهدي للمقيم بقربه درا ويبعث للبعيد سحائباً

فإن همة المؤلف - حفظه الله - أوسع من حدود محيطه البشري والجغرافي، وكيف لا
وقد انطلق يستكمل ما اندرس من أبواب الفقه على علماء من خارج منطقتة وهو
جمانة مجلس العلم وابن جمانته فهذه بتلك "ومن شرط كل شرط جزاء".

ولئن أكمل بناء الجدود العلميِّ فما ذاك إلا جانبٌ من جوانب كثيرة بنى فيها
على هدي السلف الصالح وأكمل ما تمس الحاجة إليه.

وبالحرف الواحد فإن هذا الكتاب شجرة طيبة غرسها الآباء فرعاها الأبناء
وأتت أكلها على أيديهم وإضافة قيمة إلى المكتبة التاريخية الإسلامية وإبانة لناحية
صدف أبناء الزمان عنها في عصر التسبب واختلاط المعايير.

ونرجو الله أن ينفع به ويحفظ مؤلفه وأن يصلح لنا وله وللمسلمين سائر
الأحوال الدينية والدنيوية والأخروية إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو قريب مجيب.

التعريف بالمؤلف

والده:

والد المؤلف هو العلامة المتبحر محمد عالي بن نعم الملقب (ابنوه) ولد سنة
1314هـ الموافق سنة 1898م، أخذ عن بعض أعلام علماء عصره وتصدر على
الشيخين الجليلين سيد احمد (دمد) بن أحمد محمود بن السعيدى المجلسى المتوفى سنة
1343هـ ويحظيه بن عبد الودود الحكنى نسبا القناني خؤولة ووطنا المتوفى سنة

1358هـ. قاطع محمد عالي عالم الطفولة الهزليّ وصاحب الجد وعلو المهمة نتيجة طموحه الذي سمي به إلى أسمى مراتب الرجال حيث تابع الدراسة وتغرب لها حتى برز في علمي المنقول والمعقول وبرع فيهما وفاق أقرانه حتى أصبح من أكبر وأجل علماء عصره ومنطقته، إليه تنتهي المسائل ونحوه يتسابق طلاب العلم وخصوصا الراغبين في الدراسات المعمقة - إن صح التعبير - في شتى فنون وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف.. والعقائد والفقه وغيرها. كما كان رحمه الله زعيما سياسيا محنكا وقائدا مرجعا في السيادة والريادة في قبيلته وقمة في الكرم والمروءة في المنطقة كلها، وأبرز شاهد على ذلك زميله وصديقه ممُّ بن عبد الحميد الحكني حيث يقول عند توديعه إياه مغادرا محظرة أهل اباه:

لعمرك ما هاجت عليّ خيالي	طلول بأعلى البرقتين بوال
ولا الخدلة الساق البرهرة التي	غزالي هوى منها بجيد غزال
ولا طيفها المؤتاب بالغلس الذي	تبسم لي عن مثل شوك سيال
وما ذاك إلا أن نأى عن محلتي	أخو الكرم العالي "محمد عال"
وهل في أولي التدريس بعدك مُهتدٍ	إلى حكم ممنوع وحكم خلال
وهل في أولي التدريس بعدك مُهتدٍ	إلى حكم موفوق وحكم ممال
يمينا بمجتازات كل تنوفة	ها زور أضلاع وطي مجال
لقد كدت من ذاك الفراق ووشكه	أمجُّ لدى التوديع غبر قنال
ألا في ذمام الله نحن وأنتم	فهو الذي نرجو لكل كمال

توفي أبوه رحمه الله مساء يوم الخميس 13 شوال من سنة 1409هـ الموافق 18 مايو سنة 1989م تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.

والدته:

أما والدته فهي الحافظة القائنة القارئة المقرئة أم الخير بنت دمد - حفظها الله -
والدّها هو العلامة سيد أحمد بن أحمد محمود بن السعيدى المجلسى، كان من أكبر
علماء وسادة عصره رحمه الله.

المؤلف:

هو العلامة الشيخ محمد يحظيه (الملقب أباه) بن محمد على (أبوه) بن محمدفان
بن محمد بن نعم العبد بن محمدا بن المصطفى (بوفمين) بن حبیب الله (أبى أحمد)
الذى يلتقى فيه نسبه مع الناظم.

ولد المؤلف بنواحي "لفريوة" بدائرة إقليم "اترازة" ليلة الثلاثاء فاتح ذي القعدة
الحرام سنة 1366هـ الموافق 16 شتنبر سنة 1947م ونشأ وتربى خير ما تكون
التربية متعلما متأدبا حيث حفظ القرآن الكريم على يد والدته الفاضلة وعرضه على
بعض كبار تلامذة والده المقرئين ثم التحق نهائيا - ولما يزل طفلا - بمدرسة والده
العامة بالطلاب والعلماء من شتى البقاع وبدأ بدراسة اللغة العربية متدرجا من
قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"بانة سعاد فقلبي اليوم متبول مقيم إثرها لم يفد مكبول"

وقصيدة الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم:

"هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم"

إلى ديوان الشعراء الستة الجاهليين. ثم درس مجموعة من المتون الابتدائية والمتوسطة
في العقائد والفقه والنحو والصرف.. قبل أن ينتقل للدراسة العميقة لأمهات المتون
والنصوص المعتمدة في المحظرة كإضاءة الدجنة في علم الكلام وسلم الاخضرى في

المنطق ولامية الأفعال في التصريف وجامع ألفية ابن مالك وابن بونا الحكني في النحو والصرف وعلومهما ومختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي.. وغير ذلك من الكتب والمناهج التي كانت تدرس في المحاضر الكبيرة بالبلاد الشنقيطية.

ومع ما عرف عنه مبكرا من ذكاء وفهم واستيعاب لهذه العلوم وغيرها واصل الجد في الدراسة وحضور دروس والده المتنوعة — التي كانت في كثير من الفصول تتواصل من الفجر إلى ما بعد الظلام — والمذاكرة مع الطلاب وربما خلف الشيخ في التدريس في حال عذره.. حتى أجازته إجازة مطلقة في المنقول والمعقول سنة 1393هـ، ثم أسند إليه الشيخ مهمة التدريس كليا حيث تفرغ هو للعبادة آخر عمره حتى وفاته رحمه الله تعالى. كما سمع من العلامة الجليل محمد يحيى بن الشيخ الحسين الحكني رحمه الله وعرض عليه بعض النصوص وأبواب الفقه التي لم تكن متداولة في محاضر المنطقة القبلية.

وقد واصل إدارة المحاضرة (محاضرة لفيوه) والتدريس فيها وطور مناهجها وأسلوبها تطورا ملحوظا؛ ولا تزال بفضل الله ثم بجهود الشيخ ومؤازرة الحي كله تجتذب الطلاب من داخل وخارج منطقتها بل ومن خارج موريتانيا حيث يقصدها الطلاب المجدون من دول عربية وإفريقية مختلفة، ولا غرابة في ذلك فالأستاذ اباه — حفظه الله — طراز فريد بين علماء هذه الحقبة بصَّره الله بالحق ووقفه إليه وسخره لخدمة هذا الدين على سنة قيمة ومنهاج واضح فلا هو يزدري بالفرع لكونه غير أصل ولم ينصب قول الفقيه للأتباع محالوا (خفض) الكتاب والسنة نابذاً إياهما كما يفعل آخرون ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾، أو كما قال أباه نفسه في رد على سؤال الإمام بداه بن البوصيري — أطال الله بقاءه — الذي تمنى أن لا يكون أباه من الجامدين فأجاب الأخير: "لست

من الجامدين ولا الذائنين"، وهو مازح صادق!.

ولا أدل على سلامة نهجه الديني (كالدنيوي) من عدم وجود قالٍ لعلمه في عصر انقاسم المتصدون للشرع الحنيف فيه بين:

شباب يحسبون العلم جهلا وشيب يحسبون الجهل دينا

ولا على سلامة نهجه الدنيوي من قيامه بعبء سياسة قومه وعشيرته وعمله على حفظ وحدتهم واتفاق كلمتهم وصون سمعتهم الحسنة وعلاقتهم الطيبة مع الجميع، وذلك بمساعدة شقيقه الفاضل والسيد الكريم لمرابط (ولد متالي) أطال الله بقاءه وكذا إخوتهما الأفاضل الأكارم بارك الله فيهم ووفقهم آمين.

ولم تكن المحظرة التي يديرها المؤلف وليدة الصدفة فليست إلا امتدادا لعدة محاضر على مدى قرون متعددة، فمن محظرة أبي أحمد وابنه محمدا في القرنين 11 و12هـ والتي كان من أبرز تلامذتها العالم العلامة المختار بن بونا الحكني، إلى محظرة أحمد البدوي صاحب "عمود النسب" وأخويه الإمام والمختار أبناء محمدا⁽¹⁾ في القرن 12هـ، إلى محاضر حماد بن ألمين والمختار بن سيد عبد الله⁽²⁾ وسيد أحمد بن الشيخ

(1) أما الإمام واسمه حبيب الله بن محمدا فقد اشتهر بالعلم والصلاح والعبادة ولقب بالإمام لأنه أقام أربعين سنة إماما للصلاة وكان ذا خشوع وحضور فيها، توفي في حدود نهاية القرن 12هـ.

وأما المختار ويعرف بمختاري بن محمدا فقد كان عالما كبيرا لغويا شهيرا شاعرا وكان من بين مدرسي محظرة والده محمدا أخذ عنه حم غفير، ومن بين الآخذين عنه مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي ومحمد بيّه بن سيد عبد الله المجلسي، وكانا قرنين في محظرة يتساجلان، وتوفي في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

(2) المختار بن سيد عبد الله بن محمدا كان عالما فاضلا تقيا عابدا غنيا أبا للمساكين حسن الخط نساخا للكتب له مكتبة كبيرة، عاش مائة وعشرين سنة ومات منتصف القرن 13هـ.

(الملقب الحكاني)⁽¹⁾ والشيخ أحمد بن حبيب الله⁽²⁾ - بحر القرن 13هـ - ثم محاضر أبناء السعيدي: محمد⁽³⁾ وسيد أحمد⁽⁴⁾ (دمد) ابني أحمد محمود (أمين) وحماد بن سيد⁽⁵⁾ بن السعيدي من أواخر القرن 13هـ إلى أوائل القرن 14هـ.. إلى محظرة والد المؤلف الشيخ "ابوه" في القرن 14هـ والتي كانت محظرة المؤلف "اباه" - أعانه الله - امتدادا لها، ورحم الله السلف وبارك في الخلف وأطال حياة المؤلف معافى وأدام النفع به أمين.

وإلى هذه المحاضر يشير الأستاذ الأديب محمد عبد الله بن ديدي المجلسي ثم

-
- (1) احكان هو سيد أحمد بن الشيخ بن لمام بن محمدا علامة سيري لغوي أديب وشاعر كبير وكاتب شهير ولد سنة 1200هـ وتوفي سنة 1300هـ وعاش قرنا كاملا.
- (2) هو الشيخ أحمد بن حبيب الله بن سيد عبد الله بن محمدا علامة جليل وصوفي كبير تصدر في الطريقة القادرية على الشيخ سيديا الكبير الذي لقبه بالشيخ وكانت له محظرة يرتادها طلاب العلم وخلف مكتبة عظيمة تفرقت بين ورثته، توفي رحمه الله في نهاية القرن 13هـ.
- (3) هو العالم الفقيه محمد بن أحمد محمود بن السعيدي كان من سادة عصره وأعلام دهره: سيريا ماهرا في التلقين (الإقراء) له أنظام في شتى الفوائد العلمية وكان ذا شكيمة ونخوة، توفي سنة 1341هـ عن عمر يناهز 83 سنة.
- (4) سيد أحمد يلقب "دمد" بن أحمد محمود بن السعيدي هو العلامة الكبير والنحوي الشهير كانت له اليد الطولى في اللغة والنحو حتى عرف في منطقته بـ "سيد أحمد النحوي"، وكانت محظرة من أبرز المحاضر وأشملها وأكثرها طلابا؛ يتوافدون عليها من كل حذب وصوب وتمهر في الإقراء بصفة خاصة وكان معروفا بقوة الذاكرة وجودة الحفظ وتصدر عليه جم غفير من داخل وخارج محيطه وتولى رئاسة عشرته وقام بمصالح العامة والخاصة أحسن قيام وكان حسن السياسة متواضعا جوادا منفقا عابدا قارئا، توفي في محرم سنة 1343هـ عن نحو 70 سنة.
- (5) حماد بن سيد بن السعيدي كان عالما جليلا وسيدا جميلا وكانت له اليد الطولى في معرفة التوحيد والنحو وحسن الإقراء قارئا لكتاب الله تعالى حسن التلاوة عابدا صواما قواما، توفي سنة 1350هـ عن نيف وثمانين سنة.

الإدوجاني حيث يقول:

مدارس علم الدين أعلى المدارس ودارسُه بين الوري خير دارس
ومدرسة "الإفريو" مقتبس العلي ومقباس علم الدين بين المدارس
ودارسه فيها وفيها مشايخ بنوها على مجد جديد ودارس

وإذا كان الشيخ اباه - حفظه الله - سابقا إلى ما ذكرنا وأكثر منه مما لم نذكر فلعلي مسبوق إلى تعداد مآثره (بشكل خاص) ومآثر المجموعة (بشكل عام) ومآثر القبيلة (بشكل أعم)، حيث أبدع قبلي الشعراء والناثرون وظلت محط رحال القائلين - وستظل - بإذن الله كذلك. فقد أكثر الشعراء وأبدعوا، ليس على مستوى الشعر الفصيح فحسب، بل أكثروا من الشعر الشعبي (لغز) إكتارا فوق كل ما يتصور؛ فهناك بعض المقطوعات من هذا اللون لم أكن مغاليا إذا قلت إن كل الموريتانيين يحفظونها وخصوصا أنك تجد الكثيرين يحفظونها، وهم لا يعرفون "مدلش" هل هو رجل أم قبيلة؟! هذا فضلا عن أصحاب الوعي الذين يدركون عمق مدلولها أولا وآخرا. كما أن كثيرا من المبرزين من أعيان المنطقة قديما وحديثا أدلوا بدليهم في هذا المجال الفصيح. فمن الشعر الفصيح في الثناء الصادق في حق هذه القبيلة قول العلامة المختار بن بونا الجكني المتوفى سنة 1220هـ الذي كان واحدا - وليس كواحد - من أبرز تلامذة محظرة أبي أحمد وابنه محمدا في القرنين 11 و12هـ كما أسبقنا:

يا مجلس العلم والمجد المؤئل والد دين المورث من ماحية الملل
الناس في شغل مما تعيش به وأنتم في اكتساب المجد في شغل
تغنون عن كل تقرير بجليكم غنى الأطباء عن التكحيل بالكحل
لو لم تك الرسل بالمختار قد ختمت آليت أنكم من جملة الرسل!

وقول محمد بن سيد أحمد بن الأمين التندغي المالكي ثم من أهل (أبي بكر في القرن 13هـ):

حث المطي ولا تعبا بظالها من أم أمك لا يلوي على الواني

وانم القتود على عيرانة أجدي مثل الفنيق أمون السير مذعان
حتى تُلاقِي أزوالاً جهابذة من مجلس العلم مأوى الخائف العاني
كأنني نازح الأوطان إن نزحوا يوما وإن كنت في أهلي وأوطاني
إن الركاب إذا ألفت كلاكها بمجلس العلم لم ترجع بحرمان

وللمؤرخ الشهير والأديب الكبير المختار بن حامدن بن محنض بابه بن اعبيد
الديماني المتوفى 1414هـ:

مجلس العلم مجلس العلم حقا مجلسٌ كان للشنا مستحقا
إن يكن مدح غيرهم غير حق كان مدح قد استحقوه حقا

وإذا كانت كلمة "مدلش" مقرونة بعبارات الثناء على مر الحقب فإن أسرة آل
أبي أحمد⁽¹⁾ المجلسية كانت عصامية - إلى حد كبير - في هذا الميدان؛ فقد جالت لسن
الشعراء فيها - محقن فيما قالوا - وتغنوا بماثرها منذ القدم وحتى ساعة كتابة هذه
الصفحة ولسان حالهم ينشد قول غيلان:

ولم أمدح لأرضيه بمالي لئما ان يكون أصاب مالا
ولكن الكرام لهم ثنائي فلا أخزى إذا ما قيل قالا

ولما كان "ما لا يدرك كله لا يترك كله" لا يسعني هنا إلا أن أسوق نماذج
يستدل بها البصير على ما وراءها. فمن ذلك قول الشاعر المشهور أبي بكر بن
محمذن بن حجاب بن محمد الكريم الديماني الفاضلي (بك) المتوفى سنة 1322هـ:

ما إن أرى من حلّة أجودا في الناس من آل أبي أحمدا
من معشر في المجد قد برزوا إذ بلغوا في المجد أقصى المدا

(1) عرفت هذه الأسرة بآل أبي أحمد كما عرفت أيضا بآل أحمد بن محنض، فهم ينسبون إلى جديهما
أبي أحمد (حبيب الله) وأبيه أحمد بن محنض.

قد استوتوا في امجد إذ عمهم	فتاهم والكهـل والأمردا
أول ما يبدو لأضيافهم	بشاشة الوجوه بادي بدا
فمبتداهم رفُعه ظاهر	كذاك أيضا خبر المتدا
فلا تبال حيثما جنتهم	الجمع والإثنين والمفردا
إن تُنفذ الأيام جود الورى	فحظهم في الجود لن ينفدا

وفيهـم - خصوصا - يقول محمد سالم بن الامان بن أمغر التندغي ثم الـيحيوي
وكان نازلا عليهم:

نزلنا على حي كثير الأفاضل	وما هو إلا من كرام الأوائـل
تضمن أقواما كراما أعزة	وما فيه إلا فاضل وابن فاضل

إلى أن يقول:

أولئك قوم سادة جمعوا العلى	بقفو المعالي واجتنب الرذائل
أولئك قوم بين ناهٍ وأمرٍ	مساجدُهم معمورة بالنوافل
أقاموا بناء الدين من بعد ميله	فأضحى بحمد الله ليس بمائل
وقاموا بحق الجار والضيف في القرى	إذا لم يقيم بالحق كل القبائل

وللعالم الأديب القارئ محمد بن حمديت التندغي الـيحيوي:

لقد شيدت "لفريوه" ⁽¹⁾ في امجد منزلا	على حين ريع امجد في الناس أقفرا
وأحييت من المعروف ما كان ميتا	ومات بها ما كان من قبل منكرا
وإن حُلئ الظمآن عن كل منهـل	ترى الماء من أعطافها قد تحدرنا
فحازت على الآبار مجدا ورفعة	وحاز ذووها امجد أكبر أكبرا
جزاها إله العرش خير جزائه	وجازاهم عنا جزاء موقرا

ولأحمد الوائق بن انبت التندغي المالكي المتوفى أوائل (ق 14هـ) في هذا الحي:

(1) لفريوه: بئر بها حاضرة آل أبي أحمد.

ألا إن أرباب المكارم والعلی
 لقد قلدوا دين النبي وشيدوا
 بنو أحمد الأعلین صیتا ومنزلا
 بمعروفهم عزا ومجدا مؤثلا
 لعمرک ما العافی لديهم بخائب
 ولا الجار یبغی عنهم متحوّلا

ولابنه القارئ العالم الأديب محمد عبد الله بن الواثق في الحي والمكان معا:

أبناء أحمد حي كل من نزلا
 تبوءوا قبة العليا فكلهم
 به يلاقي مناه كله نـزلا
 إلى الهدى والندى من بابها دخلا
 توطنوها وكانت قبلهم وطنا
 لأقدميهم ولم يبغوا بها بدلا
 يا قبة المجد لا زلت الزمان حي
 يلفي ببابك من الأی ومن وألا
 ويا بني أحمد الأعلین ودکم
 فرض وجدنا عليه السادة الأولا
 وقد ورثناه صرفا منهم وإذا
 متنا نورته الأبناء والخـولا
 حق عليّ لكم أن لا أمر بکم
 إلا كسوتکم من مدحتي حللا

ففي أبيات محمد عبد الله هذه إشارة واضحة إلى موقف والده من الود والمحبة لهذا
 الحي. ولم يترك العالم الجليل والأديب النبيل محمد بن محمد عبد الله - حفظه الله -
 حظه من ميراث أبيه يذهب سدّي فقد قال في الحي والمكان كاسيا إياهم حلة لم
 تكن أضعف نسجا ولا أوهن بناءً من تلك التي كان والده ملتزما بها في حقهم:

على قبة المجد الصميم سلام
 يذم الكبا والسوسن الغض عرفه
 يدوم له طول الزمان دوام
 ومسكا إذا ما فض عنه ختام
 يحاكي سجايا قاطنيها أولي العلي
 وليست محاكاة الكرام ترام
 فتلك وأيم الله أرض كريمة
 عليّ وأقوام عليّ كرام
 أقمنا بها دهرا به تمت المنى
 وطاب لنا بين الكرام مقام
 ورضنا صعاب العلم في جنباتها
 فلانست لنا والحادثات نيام
 وفارقتها والقلب يصلى لظى جوى
 يشب لها بين الضلوع ضرام
 أهلي وأشيائي وقومي الألى هم
 لأهل المعالي كاهل وسنام
 بطول النوى ينسى الفتى شيخ علمه
 وما لكم عندي بخان ذمام

فلا زلتُم مأوى الغريب وكهفه
ومجلس علم للعلوم يرام
ولا ذهب النور الذي كان معكم
صلاة على خير الورى وسلام

وللأديب المعاصر المصطفى بن حبيب بن أحمد بن لمرابط (محمد فال بن متالي)

التندغي معما ومخصصا:

حي الأئمة مجلس العلماء
وحياة دار الملة السمحاء
الأحمدين الكرام بناء صر
ح الجسد أهل العزة القعساء
وانزل بساحتهم ولا تبرح بها
فلقد نزلت بساحة الكرماء
واسأل قضاء الحاج إن وافيتهم
فهناك يقضى حاج ذي الحوجاء
قوم لهم في الفخر أصل ثابت
والفرع فوق محلة الجوزاء
حفظ الزمان لهم مآثر لم تنزل
تحلو مع الإنشاد والإنشاء
والعلم والمجد التليد شعارهم
والبذل في السراء والضراء
..إلخ.

وللقاضي المحدث الدكتور محمد عبد الرحمن بن الشدُّ بأسلوب شاهد مبین، في

الحي عموما:

السؤدد المحض في أهل "الفریو" ربا
نالوا بسبقهم في السؤدد الأربا
حازوا من الجسد حظا لا يعادله
قسط ففاقوا "زوايا" الأرض و"العربا"
ترى التعلم نهجا لا يفارقهم
فالعلم يؤونه والخلق والغربا
إن ينزل الضيف يوما بين أظهرهم
يجد ذويه وينسى الهَمَّ والكربا
صلى على المصطفى الرحمن بارئته
دأبا وصلی على الأصحاب والقربا

وللعامة القارئ الأستاذ محمدو سالم بن جدُّ بأسلوب وجيز في الشيخ ابَّاه:

يا شيخنا "أبَّاه" تھیة مخلص
قد جرَّ من ضافي الجمیل مروطا
لو أن عمر المرء كان بكفه
لجعلتُ ساعاتي هناك شريطا

وللأديب الشاعر أحمد بن مینوک بن امین التندغي في الشيخ "اباه" وأخيه "ولد

متالي":

وافيت فرع الدوحة الخضراء	كهف العشرة نخبة الفضلاء
من آل نعم القادة الشم الذرى	نور الدياجي حلية الأنداء
رمز الأصالة والرّزانة والندى	والعلم مشفوعا بنور ذكاء
نجمين في أفق المعالي والعلی	لزما السرى بمجرة الآباء
ثم انقلبت بنعمة جادوا بها	جادت عليهم ديمة النعماء

.. وهذا غيض من فيض لأن المقام لا يتسع إلا لهذه الصباية القليلة. وقبل أن أطوي هذه الصفحة لا يسعني إلا أن أكتب ما سبق به القلم، غير متكلف ولا مختلق على يقين من أنه لن يدرك أي سابق ولن يسد بابا دون لاحق ولن يستكمل مناقب أعجز تعدادها ولن يستأصل تلك الخزائن التي لا يختشى نفاذها:

آل أبي أحمد بالإباء	قد عرفوا والعزة القعاء
ومجدهم مؤسس البناء	محط رحل كل ذي حوجاء
وكل عاف زمن اللأواء	وهم حماة السمحة البيضاء
أعمالهم لم تك عن رياء	شرفهم أعلى من الجوزاء
حازوه بالفعل والانتماء	إلى قريش قمة العلياء
يجمعهم بختهم الأنبياء	"عبد مناف قمر البطحاء"
كم فيهم من عالم قراء	من قوة الإيمان ذي حياء
وهو بأمر الله ذو اعتناء	وعن مقام النهي ذو تناء
نهاره للصوم والإقراء	وليله للذكر والدعاء
وكل شيخ أمر نهاء	وقلبه في غايّة الصفاء
حديثه يكرم بالإصغاء	معوّد الطاعة من أبناء
بررة كرام اتقياء	كمثل ما قد كان للآباء
وكل ندب ورع مشاء	إلى المساجد لدى النداء
محافظ بالعهد ذي وفاء	عن كل مزر بالوقار ناء

على بدار المجد ذي اجزاء عن موضع التهم ذي انزواء
وكل شهيم ماجد معطاء يهش للضيوف في الظلماء
تحفزه جبلة السخاء لبذل غاليه لدى الغلاء
وعفويا أزم من الرخاء مستهدف البيضاء والصفراء
بارك فيهم فاطر السماء وكف عنهم كيد ذي العداء
من جعل اسم "مجلس القضاء" مقترنا بالمدح والثناء
بالمصطفى من مضر الحمراء صلى عليه باري الأشياء

جمعه وكتبه محمد بن الشيخ محمد بن الشيخ باب حَيِّ التندغي المالكي بتاريخ: 4 شعبان

1421هـ الموافق: 3 نوفمبر 2000م.

توطئة

بقلم المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فإنه لا يخفى أن علم السيرة النبوية من أشرف العلوم منزلة، وأكرمها فضيلة، إذ به يعرف نسب وسيرة نبينا محمد ﷺ خاتم رسل الله الذي جعله الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وبه - أيضا - تعرف أصحابه المهاجرون والأنصار الذين أخبر صلى الله عليه وسلم بأن جبهم آية الإيمان، وأن بغضهم آية النفاق. وكيف يقتدي الإنسان بمن لا يعرف؛ أو يحب من يجهل؟! فتعين البحث عن هؤلاء لمعرفة أنسابهم وأحسابهم وسيرتهم وأخبارهم.

وكان من فضل الله عز وجل على هذه الأمة المحمدية؛ وإرادته الخير بها أن قيض لها أئمة هداة صالحين، وعلماء أجلاء مخلصين، صرفوا عنايتهم إلى تبليغ هذا الدين الخنيف وحفظه، بمختلف جوانبه، بالتلقين والتدوين؛ تحصينا له عن غائلة النسيان والضياع، وبرعوا في تأليف المتون نظما ونثرا ببسط وإيجاز.

وكان ممن له السبق في ذلك المضمار العالم السيري أحمد البدوي، الذي استطاع بعبقريته الفذة وبراعته الفائقة، أن يأتي في نظمه الوجيز لأنساب العرب بنواح عديدة من التعريف بالنبي ﷺ وصحابته المهاجرين والأنصار، والكثير من أعيان التابعين وأئمة الأمة، وكثير من النكت الأدبية والقصص الرائعة.. كل ذلك بالإضافة

إلى موضوع النظم الذي هو ذكر أنساب العرب جميعاً وتفاريحها وأخبارها؛ وساق ذلك في يسر واختصار وإتقان، مما جعل نظمه ذلك متناً معتمداً في فن السيرة ومتعلقاتها. فالتفت القلوب حوله، واتجهت النفوس إليه حفظاً ودراسة، وشرحاً... وقبل الشروع في المقصود أذكر - بحول الله - كلمتين وجيزتين، إحداهما في التعريف بالناظم أحمد البدوي، والأخرى في التعريف بنظم عمود النسب؛

فأقول وعلى الله أتوكل:

كلمة مختصرة في التعريف بالناظم

هو العلامة السني والحافظ السيري؛ ذو الباع الطويل والبذل الجزيل، أبو الغوث أحمد البدوي⁽¹⁾ بن محمدا بن أبي أحمد (حبيب الله) بن أحمد بن محنض (محمد) بن

* للمزيد من المعلومات عنه، راجع ترجمته في بداية شرح الشيخ حماد لأول النظم.

(1) ملاحظة في سبب تلقيب الناظم بالبدوي: حدثني كل من النسابة الشهير محمد بن محمد مختار بن بيباه عن والده العالم الجليل محمد مختار - حفيد الناظم - والأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد عن والدته الثقة السيرية حفيدة الناظم - عائشة بنت محمد بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي: أن الناظم أحمد البدوي سمي ولقب باسم ولقب القطب المشهور أحمد البدوي المصري. وقد كانت التسمية على أهل الفضل والصلاح أمرا مألوفا عند الشناقطة؛ وفي محيط الناظم بصفة خاصة، رجاء أن ينال المسمى البركة من ذلك. وقد كان المسمى عليه هنا مشتهدا بالعلم والصلاح مع كونه من أهل البيت النبوي الشريف، وكونه أحد رجال أقطاب كان أهل محيط الناظم يعتقدون فيهم، ويتوسلون بهم في أنظمامهم. منهم: سيدي عبد القادر الجيلاني الحسني، وسيدي أحمد الرفاعي، وسيدي أحمد البدوي الحسينيين، وسيدي محمد الجزولي.. وغيرهم. فمن ذلك قول بعضهم:

وبالجزولي الطويل الباع والبدوي وأحمد الرفاعي .. إلخ.

والبدوي المسمى عليه الناظم هو الرجل الصالح أحمد البدوي بن علي بن إبراهيم بن محمد الشريف العلوي.. ينتهي نسبه إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه. كان أجداده قد انتقلوا من الحجاز إلى بلاد المغرب أيام إمرة الحجاج بن يوسف الثقفي وسكنوا بالمغرب، وقد ولد البدوي بمدينة فاس بالمغرب، ثم خرج مع أبيه علي بن إبراهيم وإخوته - وكان أصغرهم - إلى مكة، فحج وأقام بها وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم على مذهب الإمام الشافعي فصار مجرا، واشتهر بالعبادة فكان صواما قواما، ثم سار من مكة إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي سنة خمس وسبعين وستمائة. وكان قد لقب بالبدوي من كثرة ما يتلثم. وعرف بذلك اللقب لذلك. ومما ينسب إليه قوله:

أنا المثلث سل عني وعن هممي يبنبك عزمي بماذا قلته بقمي

<<=

أبيال (يحيى) بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن بادل بن أك⁽¹⁾ (اكتوشني) بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموي قاضي مجلس أمير المرابطين أبي بكر بن عامر اللمتوني. وإبراهيم هذا ينتهي نسبه إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي.

وأم أحمد البدوي هي مريم بنت حبيب بن ابنحمد الجكنية ثم الرمطانية. وكان محمدا بن أبي أحمد - والد أحمد البدوي - من أكابر العلماء المشهورين في قطره. وكانت له محظرة من أشهر وأكبر المحاظرات التي كانت محط رحال طلاب العلم آنذاك؛ ومن معينها نهل كثير من العلماء الأجلاء والشعراء والأدباء منهم - على سبيل المثال - أبناء محمدا الخمسة وخصوصا منهم المختار وأحمد البدوي؛ ومنهم الشاعر المشهور المصطفى بن أبي أحمد المشهور بلقبه "بوفمين" المجلسي. ومنهم العلامة المختار بن بونه الجكني والعالم الجليل عبد الله بن سيدي محمود الحاجي.. وغيرهم.

وفي هذا الجو العلمي ولد وتربى ونشأ العلامة أحمد البدوي في بيت والده، تحف به طلاب العلم؛ فدرس على والده محمدا حتى تبحر في العلوم الشرعية، وخصوصا في اللغة العربية والنحو والأدب والكتاب والسنة وعلم الفقه؛ وكان يرجع إليه بصفة خاصة في علم النحو والعربية. وكان - بالإضافة إلى ذلك - شاعرا مجيدا قوي الإبداع

----- >>

قد كنت طفلا صغيرا نلت منزلة وهمتي قد علت من سالف القدم

أنا السطوحي واسمي أحمد البدوي فحل الرجال إمام القوم في الحرم

والسطوحي نسبة إلى السطح؛ نسب إليه لأنه كان يصعد على سطح غرفة فيقيم عليه مدة طويلة. واشتهرت أصحابه بالسطوحية. والله تعالى أعلم.

(1) بادل (عمد الموحدة وكسر الدال المهملة - وتروى بالإعجام - أيضا وكسر اللام مشددة أصله): أبو ذر. وأك (بضم الهمزة وسكون الكاف) اختصار "اكتوشني" ومعناه باللغة الصنهاجية: العالم.

مبتكرا. وكان شعره يمتاز بالبرقة وفصاحة اللغة وجزالة المعنى ودقة التصوير. وكانت له اليد الطولى في فن السيرة النبوية، والتاريخ، وأنساب وأخبار العرب؛ حتى طغت شهرته بها على غيرها.

ولم تطل حياته، بل عاش كما يعيش الزهر: قصير العمر فواح الشذا⁽¹⁾. وكان عمره يقاس بالعرض لا بالطول، وقد قضاه في التعلم والتعليم والتأليف. وخلف مؤلفات كلها ممتع مفيد، تناولت كثيرا من المعارف: سيرية وتاريخية وأدبية.. وكان - رحمه الله - غاية في التواضع، ونكران الذات؛ غير أنه كان ذا ثقة فائقة بنفسه، أبيّ ضيم.

توفي أحمد البدوي سنة ألف ومائتين وثمان (1208) للهجرة ودفن ببلدة تعرف بـ"الكرمايه" شمال مدينة "القوارب" الموريتانية عن عمر يناهز الخمسين.

وقد خلف - رحمه الله - خمسة أبناء، منهم: الغوث (محمد) وبه يكنى، والمختار وعبادة (وفيهاما العقب) وحبيب، أمهم فاطمة بنت أمون اليعقوبية؛ وكان حبيب منهم عالما سيريا، وقد وضع تعليقا على بعض مؤلفات والده، وكان خطاطا، وله بعض الأنظمة وربما علق على نظم والده، من ذلك قوله:

وصاحب الضب الشهر السلمي قيس سليل شعبة فلتعلم

يلق به على قول الناظم:

وصاحب الضب على يديه ... الخ ... الخ

ومنها قوله:

(1) الزهر: (بالسكون والتحريك) نور النبات والشجر، واحده: زهرة وجمعه أزهار، وجمع جمه: أزاهير. والفواح: المنتشر الرائحة، والشذا: قوة ذكاء الرائحة.

وشملتْ ناظَمَه والقاري مغفرة المهيمِن الغفار

ختم به نظم والده لعمود النسب. وقد ضاع إنتاجه رحمه الله.

وانقطع عقب أحمد البدوي رحمه الله ؛ وكان آخر من مات من عقبه من الرجال محمد بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي سنة 1349هـ ، وآخر من مات من عقبه من النساء بنت أخي محمد المذكور وهي أُنَّاه (فاطمة) بنت محمد (بالذال المعجمة) بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي توفيت سنة 1384هـ.

ولم يبق إلا خؤولات من أسرته الطيبة. وكانت - في الغالب - تعرف لتلك الخؤولة ميزة خاصة تتمثل في نجابة وميول إلى فن السيرة النبوية.



لمحة موجزة في التعريف بنظم عمود النسب

لقد كان علم السيرة النبوية من أجل العلوم وأشرفها إذ به تتم معرفة سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله الله عز وجل إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. فكان هو القدوة العليا والأسوة المثلى.

وبهذا العلم أيضا تعرف صحابته صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه واهتدوا بهديه وبلغوا من بعده الرسالة الحمديّة، بكل مبادئها وتعاليمها وفضائلها ومثلها، وحضوا على تبليغها من بعدهم؛ حتى وصلت إلينا فكانوا مفخرة العالم وهداة البشرية وروادها الأفاضل. وكانوا أيضا أسوة حسنة في قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله والصبر على الأذى وتحمل المشقة ومفارقة الديار والأوطان وترك الأموال والأهلين وإخلاص الإيمان ونصرة الله ورسوله والإيثار على النفس والجهاد في سبيل الله، فبذلك زكّت أعمالهم وربحت تجارتهم، وأفلحوا فلاحا لا خسارة بعده.

ويكفي في التنويه بهم والإشادة بفضلهم ثناء الله تعالى عليهم في كثير من الآيات القرآنية التي تضمنت الرضا عنهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم وحسن الثواب ودخول الجنة والخلود فيها، وليس بعد ثناء الله تعالى ثناء؛ فمن ذلك قوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١﴾ (١)،
 وقوله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّقَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣﴾ (٢)، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
 لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا
 يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ
 أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ (٤) وقوله جل ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٨﴾ (٥)، وقوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

(1) آل عمران: 195.

(2) النحل: 41-42.

(3) الحج: 58-59.

(4) الحشر: 8-9.

(5) الأنفال: 74.

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾، وقوله جل
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَابِهِ يَعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣﴾.

فهكذا كانوا بذا أحق الناس بأن تعرف أنسابهم، وتحفظ سيرهم وأحوالهم،
وتدون أخبارهم وأبناؤهم.

وقد كان من أحسن ما أُلّف في ذلك من المختصرات الشاملة نظم العلامة
السيري أحمد البدوي المجلسي، المعروف بـ "نظم عمود النسب" الذي كان فصل
الخطاب في علم أنساب العرب. فقد كان من حيث المعنى والمحتوى نظماً مشتملاً
على ذكر نسب النبي ﷺ، وأنساب الصحابة من المهاجرين والأنصار والثناء

(1) التوبة: 100.

(2) الأعراف: 157.

(3) الفتح: 29.

عليهم والذب عنهم، وعلى ذكر أئمة الأمة ورجالها المشهورين، ويحتوي كذلك على أنساب سائر العرب، وذكر قبائلها وبطونها وتاريخها، وأيام حروبها، وقصصها، وأشعارها، وأخبار مشاهيرها، ومكارم أخلاقها، والحسن والقيح من عاداتها، والفوائد والنظائر والتلميحات التي يتطرق لها ويشير إليها في دقة وبراعة.. إلى غير ذلك. أما من حيث النص فقد كان يمتاز بفصاحة وبلاغة اللغة وسلاسة وبساطة اللفظ وجمال وقوة السبك وجزالة ووضوح المعنى وسهولة وأناقاة الأسلوب، واعتماد أصح الروايات والأقوال، والبعد عما شذ وضعف، والجمع بين الاختصار والاستيفاء. وقد جمع فيه ناظمه بين أشياء الجمع بينها شبه مستحيل، مثل الاختصار والشمولية وحسن السبك ووضوح المعنى، وما لا يسع المسلم جهله، والملح والمختلقات وغير ذلك.. وكل هذا في أقل من ألف وثلاثمائة بيت.

وبالجملة فقد أحسن فيه ناظمه وأجاد. وقد سار هذا النظم مسير الشمس وتلقته الناس بالقبول.

وقبل أن أنهى هذه الكلمة أشير إلى أنه نظرا لما تضمنه هذا النظم البديع من تصحيف وتحريف وأخطاء طغا بها القلم على أيدي النساخ طيلة ما يربو على قرنين من الزمن، وتعاطتها الروايات التي لا تميز الصحيح من السقيم، ولا الغث من السمين، فقد اعتنيت بتصحيحه وتدقيق ضبطه، وتنقيحه حسب أوثق نسخه ومصادره ومنابعه الأصلية المكتوبة والشفهية بالاعتماد على أصح الروايات التي تحفظه؛ واعتنيت بالمنطلقة منها من عقر دار النظم التي تتصل أسانيدنا بالشارح والناظم، بعضها بأربع أواسط وبعضها بخمس وبعضها بست، نظرا إلى أنها هي المرجع الأمين في حفظه، وخاصة من حفدهما الذين تلقوه كابرا عن كابر؛ وقد قيل: "أهل مكة أدرى بشعابها". والله سبحانه وتعالى أعلم.

مقدمة التكملة

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. والصلاة والسلام على صفوة خلقه، وخاتم أنبيائه عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأمه أفضل الأمم.

وبعد فيقول الفقير إلى ربه العائد به من شؤم ذنبه أباه (محمد يُحْطِئِه) بن محمد عالي بن نعم العبد، المجلسي؛ عامله الله والديه وذويه بلطفه الخفي:

لا يخفى أن للعارف بعلم السيرة وبأحوال النبي ﷺ الرتبة المنيفة والمنزلة الشريفة، وأن للعلم بذلك حلاوة في الصدور، وطمأنينة في القلوب، ولم تعمر مجالس الذكر بعد القرآن بأحسن من أخبار رسول الله ﷺ والتعرف على نسبه الشريف ونسب أصحابه رضي الله عنهم، وما تفرع من ذلك وتعلق به؛ بل كانت معرفة بعض ذلك فرضا على الأعيان، وشرطا في كمال الإيمان. وقد عني به الكثيرون من المتقدمين والمتأخرين، من أكابر العلماء وأعيان المؤرخين، والأدباء والباحثين، وتناولوا مختلف أنواعه وشتى أحواله، وترددوا في دياره وأطلاله، ولم يتركوا فيه من متردم؛ فرغبت في أن أتشبت بهم، وأتعلق بجنابهم، كسي تكون لي حلية في ميادينهم، وشجرة مثمرة في بساتينهم.

ولما كان من أحسن ما ألف في السيرة النبوية من المختصرات الشاملة نظم العلامة السيري أحمد البدوي المجلسي؛ الذي جمع فيه ما لا يسع جهله من علم عمودي نسب النبي ﷺ ونسب الصحابة من المهاجرين والأنصار ونسب سائر العرب المتفرعة منهما، عدنانيتها وقحطانيتها.. وغير ذلك من العلوم التاريخية، والأحكام الشرعية، والفوائد والنكت والعبير والحكم والأمثال والأشعار والملح

والطرائف والآداب.. كل ذلك مع حسن نسج وجميل سبك وقوة إبداع وصحة رواية، مما أكسب النظم محبة وإعجاب الجميع؛ فأقبل عليه الطلاب وتبادر إليه العلماء والدارسون، حفظا وتعلّما؛ فانتشر في المغرب والمشرق، ووضعت عليه الشروح والتعليقات المتنوعة. وكان من أول تلك الشروح وأحسنها شرح ابن أخي الناظم العالم السيري حماد بن الأمين، الذي تلقى النظم غضا ناضرا من ناظمه وقراه عليه وأمره بشرحه، فكان هو المصدر الأول الذي يعتمد عليه فيه وأول شارح له. وكان ذلك الشرح - رغم أن مؤلفه لم يبيضه بعدُ (لوفاته في أثنائه) - غاية في الجزالة والحسن؛ وقد تلقته الناس بالقبول وانتشر دون سواه من الشروح، ولكن الثغرة المؤسفة التي أصيب منها هي وفاة الشيخ حماد قبل أن يكمله.

فانتدبتُ لتكميله وسد تلك الثغرة، ليعم النفع؛ رغبة مني في فضل الله تعالى، ورجاء للحصول منه على ثواب بعض الأعمال التي لا تنقطع بالموت، وخدمة لنبينا محمد ﷺ بإحياء هذا الجزء من سيرته وسيرة أصحابه رضي الله عنهم، وبراً ووفاء للشارح - لحق الأبوة - بإكمال شرحه، وبراً بالناظم بشرح وإيضاح نظمه وتصحيح ما طغت به أقلام نساخه على مر العصور من التصحيف والتحرّيف والاختلاف في ألفاظه وترتيبه، وذكر ما أهمله منه بعض من تعرض لشرحه، وإلغاء ما أدخله فيه البعض مما ليس منه.. وسميت هذه التكملة المباركة إن شاء الله بـ"رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب"⁽¹⁾.

(1) كان قصدي عند الشروع في هذا الشرح أن أقصر على تعليق يوضح بعض الكلمات ويقرر معنى الأبيات ويتناول ما يشير إليه النظم من القصص والتاريخ ويعرف الأعيان الواردة فيه؛ كل ذلك بإيجاز واختصار تجنبا للإطالة وتمشيا مع ما يناسب الأصل الذي هو شرح الشيخ حماد رحمه الله لينتفع به طلاب العلم فسميته "تحفة الطلاب بتكملة شرح حمادٍ للأنسب" ثم اني لاحظت أثناء

وأشير إلى أن عدد أبيات النظم ألف ومائتان وسبعة وسبعون بيتاً. وقد شرح الشيخ حمادٍ منها سبعمائة وأربعة وتسعين بيتاً.

وإذا كان هذا الجزء المتبقي أقل - من حيث عدد الأبيات - فإنه كان الجزء الأكبر والكم الأوفر من حيث المقصد الأصلي من التأليف، وهو ربيع عزته الذي يقف به المعني ويعقل فيه قلوبه ويتأسف على عدم شرحه، لأنه اشتمل على

----->>>

كتابة هذا الشرح مباحث واستطرادات مهمة يشير إليها النظم باختصار وإيماء، فرأيت أن من خدمة النظم وتعميم الاستفادة محاولة استجلاء ما أمكن من تلك المخبات النفيسة، فزدت الشرح زيادة كبيرة؛ فكان من المستحسن أن لا تهمل الإشارة لذلك في العنوان فعدلتُ أخيراً إلى تسمية هذه التكملة بهذا الاسم (رياض السيرة والأدب.. الخ). والرياض: جمع روضة وهي البستان الحسن أو الأرض المخضرة بأنواع النبات. هذا وقد اشتهر شرح الشيخ حمادٍ بن الأمين لنظم عمود النسب في أسرة المؤلف ومحيطها باسمين هما: شرح حمادٍ للأنساب، وشرح حمادٍ، والثاني اختصار للأول، وربما اقتصر في اسم الشرح على لفظ "حماد" فقط؛ وإلى ذلك يشير بعض الأدباء الموريتانيين بقوله:

تولّى زمان باليمين أقمته وما لي عن شهد المسرة مانع
أظن "حمادٍ" ضجيعاً وإنسي لظي ملبح بالظلام أضاجعُ
أود رجوعاً منه والحال منشد "هل الأزمن اللاتي مضمين رواجع"

فقوله: أظن لحمادٍ ضجيعاً: أي أظن أطالع شرح حمادٍ المذكور. وقوله: باليمين: هو اسم موضع (على بعد حوالي 60 كيلو متراً جنوب شرقي انواكشوط).

والمشهور أن المؤلف لم يضع لشرحه اسماً، ولعله كان ينوي أن يضعه له إذا وصل إلى مرحلة التبييض. وما اشتهر من تسميته بـ "تحفة الألباب بشرح الأنساب" وغير ذلك من الأسماء.. فلعله من وضع النساخ. والله أعلم. وكما اشتهر هذا الشرح بالتسمية المتقدمة في محيط المؤلف فكذلك اشتهر شرحه الآخر "روض النهاية على شرح الغزوات" باسم "حماد على الغزوات"؛ وإلى ذلك يشير بعض الأدباء الموريتانيين (محمد بن أحمدونا الفاضلي) بقوله:

غزالي مجند الشوق ظي رأيته يطالع "حمادا على الغزوات"
حمدت إلهي إذ غزالي مجنده وما كنت حماداً على الغزوات

الشطر الثاني الذي هو عمود نسب الأنصار وما تفرع منه وارتبط به، وعلى الجزء الأهم من الشطر الأول وهو أهل بيت النبي ﷺ وذريته وأعمامه الذين أسلموا، وعمه الذي كفله ودافع عنه، وعلى ذريتهم. كما اشتمل على الكلام على بني عمومته صلى الله عليه وسلم من بني المطلب وعبد شمس ونوفل.

ورغم أنني بذلت فيه الجهد وأفرغت فيه الوسع وجمعت فيه ما لم يكن جمعه هينا، فليعلم الناظر فيه أنه لم يكن لي منه إلا جمع بعض ما تفرق في الكتب وتنظيمه وترتيبه، وإنما لم أبين عزوه في المتن إلى المنقول منه طلبا للاختصار والتقريب، ولأنني ربما أسوق كلاما ملخصا من عدة كتب من الصعب عزو كل فقرة منه إلى الكتاب الذي أخذت منه⁽¹⁾.

(1) لم تبد لي ضرورة العزو إلى المصادر عند ابتداء جمع مادة هذا الشرح، ولم أر أهمية إثباتها إلا بعد أن أوشك على النهاية؛ ولكنني جد مطمئن على صحة النقل ودقته واعتماد بعض الكتب الصحيحة المشهورة والأخذ من أخرى موثوق بها. ومن أهم مراجع هذا الشرح والتعليق: كتب التفسير مثل القرطبي وابن كثير، وكتب الحديث وشروحه، مثل صحيح البخاري وشروحه، ومسند الإمام أحمد وغيرها من كتب الصحاح والسنن والمسانيد. ومن المصادر والمراجع: سموط الذهب بشرح نظم أنساب العرب للأستاذ السيري محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي، ومفيد الطلاب بشرح الأنساب للشيخ أحمد محمود بن يداد الحسيني، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس لحسين بن محمد بن الحسن الدياربركي، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري، والاستيعاب لابن عبد البر النمري، والإصابة لابن حجر العسقلاني، وسيرة ابن هشام وشرحها الروض الأنف للسهلي، والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار لابن قدامة المقدسي، ونسب قريش للمصعب الزبيري، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، وجمهرة أنساب العرب، وجوامع السيرة النبوية (كلاهما لابن حزم الأندلسي)، والحلة السيرة في أنساب العرب وسيرة خير الورى (صلى الله عليه وسلم) للشيخ محمد البدالي، وتحفة الألباب بشرح الأنساب للشيخ حماد بن الأمين المجلسي، والعواصم من القواصم لابن العربي، ووفيات الأعيان لابن خلكان،

<<=

وإذا كانت هناك مأخذ علي في هذا العمل فليس ذلك غريبا، إذ ذاك يتمشى مع طبيعة البشر، فالكمال لله وحده؛ وصدق الله العظيم فقد قال عز وجل ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَحْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾؛ ويرحم الله الإمام مالكا إذ يقول: "كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب هذا القبر"، يعني النبي ﷺ. وإن لي بالناظم أسوة إذ يقول في مقدمة النظم:

ومن رأى خلاف ما ذكرته فليتمد... لعل ما أبصرته
في غير ما طالعته، إذ الطرق الخ ... الخ

ورحم الله امرأة أصلح فاسده ودعا لمن جمعه بالعمو والمغفرة.

وهذا أوان الشروع في المقصود، فأقول مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومعتصما به ؛

----->>>

والأعلام لخير الدين الزركلي، وديوان حسان بن ثابت وديوان أبي تمام والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وتاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور.. وغير ذلك من المعاجم والمراجع القديمة والحديثة.

(1) النساء: 82.

قال الناظم العلامة أحمد البدوي رحمه الله وعفا عنه*:

عَتِيَّةٌ وَعُتْبَةٌ مَعْتَبٌ وَدُرَّةٌ إِلَى التَّبِيْبِ نَسَبُوا
وَسِبْتُ عُتْبَةَ مَهَاجِي الْأَحْوَصِ وَعَقْرَبِ الْفَضْلِ بِالْقَوْمِ يَصِي

عتيبة (بالتصغير): مبتدأ. وعتبة (بالتكبير) ومعتب (بوزن محدث) ودرة (بوزن غرة): معطوفون على عتيبة بحذف العاطف من معتب. وقوله إلى التيب: متعلق بنسبوا. وجملة نسبوا (بالبناء للمفعول): خبر عن عتيبة. والتيب: الهالك الخاسر، والمراد به هنا أبو لهب؛ وإنما أطلق عليه الناظم هذا اللفظ لقول الله تعالى فيهِ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾⁽¹⁾ أي خسر وخاب وذل سعيه.

آل أبي لهب

يقول ومن بني هاشم بن عبد مناف: عتيبة وعتبة ومعتب ودرة، بنو أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم. وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه لبني بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعية، كان من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا البعثة، ولكنه لم يسلم؛ وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقيص له ولما جاء به من الدين

* تناول الناظم الكلام على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم بن عبد مناف في نحو سبعين بيتا. وذكر من فصائلهم ويوتهم: آل الزبير، وآل الحارث، وآل العباس، وآل أبي لهب بني عبد المطلب. وآل عقيل وآل جعفر وآل علي.. بني أبي طالب. وذكر من أعيانهم حمسة وخمسين رجلا، وأربع عشرة امرأة. وقد مر الكلام على آل الزبير وآل الحارث في آخر شرح الشيخ حماد رحمه الله.

(1) المسد: 1.

الحنيف⁽¹⁾، وفارق بني هاشم وانضم إلى قريش في مقاطعتهم لبني هاشم ومحاصرتهم لهم في الشَّعب. وقد مات بالعدسة⁽²⁾ بعد وقعة بدر بسبع ليالٍ؛ وأقام ثلاثة أيام لم يدفن لأنهم كانوا يتقون العدسة مخافة العدوى كما يتقى الطاعون. فلما أتن خاف بنوه السبة فاحتملوه إلى أعلى مكة فرضموا⁽³⁾ عليه بالحجارة.

وقد روى ابن عباس في سبب نزول هذه الآية فيه أنه لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾⁽⁴⁾ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فنادى: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني فلان يا بني فلان...»؛ فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل⁽⁵⁾ أكتتم مُصدقِيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً؛ قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

(1) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل في منازلها بمعى وغيرها وفي الأسواق ويدعوها إلى الله تعالى وإلى الإسلام، ويقف على كل قبيلة ويقول: «يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أبلغ عن الله ما بعثني به، يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، فعند ذلك يمشي أبو لهب وراءه ويتبعه حيث ذهب فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه يقول أبو لهب: يا بني فلان هذا صابئ كذاب يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من الباعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه.

(2) قرحة تخرج بالبدن فتقتل وتُعدي أشد العدوى. وكانت العرب تتشامم بها.

(3) أي جعلوا بعضها على بعض.

(4) الشعراء: 214.

(5) سفح الجبل: أسفله، وقيل عرضه.

إلى آخرها⁽¹⁾.

أما عتية بن أبي لهب فقد مات على شركه ولم يعقب؛ وكان قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، كما تزوج أخوه عتبة أختها رقية. فلما نزلت سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ عزم عليهما أبواهما: أبو لهب بن عبد المطلب وأم جميل حمالة الخطب أن يطلقاهما؛ وقال لهما أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، فطلقاهما.

وعتية هذا هو أكيل الأسد — على المشهور — وسبب ذلك دعاء رسول الله ﷺ عليه بذلك؛ فقد روي أنه جاء إلى النبي ﷺ وقال له: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، وتفل نحوه وهو خارج إلى الشام في تجارة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك»⁽²⁾، وأبو طالب حاضر فوجم لها⁽³⁾، وقال: ما كان أغناك يا عتية عن دعوة ابن أخي، ثم خرج عتية مع أبيه في بحر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له "الزرقاء" ليلا؛ وكانت الأرض مسبعة، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة؛ فجعل عتية يقول: يا ويل أمي هو والله أكلي كما دعا علي محمد، أقاتلي ابن

(1) أخرجه البخاري ومسلم. وفي رواية البخاري: «فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي..» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرايتكم لو أخبرتكم ..» — الحديث — وفيه: "ما جربنا عليك إلا صدقا". ومعنى تبا لك: أي ألزمتك الله هلاكا وخسرانا. ومعنى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾: أي خسرتا وخسر هو؛ فالتب الأول دعاء والثاني خبر كما يقال: أهلكه الله وقد هلك، وقيل تب: خابت، وقيل ضلت وهلكت، وقيل صفرت من كل خير.

(2) أخرجه الحاكم من حديث أبي نوفل، والحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار.

(3) أي اشتد حزنه لتلك الدعوة.

أبي كبشة⁽¹⁾ وهو بمكة وأنا بالشام؟! فقال أبو لهب: يا معشر قريش أعينونا هذه الليلة فإنني أخاف دعوة محمد، فاحرسوا معي ابني هذا من سباع هذا الوادي؛ فجمعوا أمهالهم وضموا بعضها إلى بعض حتى علت، وفرشوا لعتيبة في أعلاها وأضحعوه عليها وأحدقوا به. فلما ناموا جاء أسد فجعل يشم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب إليه وأخذه وافترسه، فصاح عتيبة وقال: قتلتني.. ومات. وقد كان في القوم هبار بن الأسود قال: فطلبنا الأسد فلم نجده. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع⁽²⁾ بالراجع

وأما عتبة - على أنه غير أكيل الأسد - فأسلم هو ومعتب يوم الفتح. وكان من خير إسلامهما ما أخرجه ابن سعد عن العباس بن عبد المطلب؛ قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح قال لي: «يا عباس أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لا أراهما»⁽³⁾؟ قال: قلت يا رسول الله تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش، فقال لي: «أذهب

(1) اختلف في أبي كبشة هذا ف قيل هو رجل من خزاعة اسمه وجز بن عامر بن غالب وهو جد وهب بن عبد مناف بن زهرة جد النبي صلى الله عليه وسلم كان قد خالف قريشا في عبادة الأوثان، وعبد الشعري العبور فكان مشركو مكة ينسبون إليه النبي صلى الله عليه وسلم للاشتراك في مطلق المخالفة، لمخالفته صلى الله عليه وسلم لهم إلى عبادة الله تعالى كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعري، وكانت قريش تقول: لا يخالف أحد إلا لعرق نزع، وإنما نسبوه إليه لأن عادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وقيل: أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من أمه، نسبوه إليه لأنه كان قد نزع إليه في الشبه، وقيل بل هو أبوه من الرضاعة؛ واسمه: الحارث بن عبد العزى، كني بينت له تسمى كبشة فنسبوه إليه. انتهى ملفقا من فتح الباري، والزبيرى، واللسان.. وغير.

(2) أكيل بمعنى مأكول، والسبع: (بسكون الموحدة) لغة لأهل نجد - [القرطبي: 6/050].

(3) رواه ابن سعد في طبقاته، كما في الإصابة. وابن عبد البر، وأبو موسى كما في أسد الغابة.

إليهما واتني بهما». قال العباس: فركبت إليهما بعُرنة⁽¹⁾، فأتيتهما فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكما؛ فركبا معي سريعين حتى قدما على رسول الله ﷺ فدعاهما إلى الإسلام فأسلما وبايعا؛ ثم قام رسول الله ﷺ فأخذ بأيديهما وانطلق يمشي بينهما حتى أتى بهما الملتزم (وهو بين باب الكعبة والحجر الأسود) فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه. قال العباس: سرى الله يا رسول الله، فإني أرى في وجهك السرور، فقال النبي ﷺ: «نعم إني استوهبت ابني عمي هذين ربي فوهبهما لي»⁽²⁾، قال: فخرجا معه في فوره ذلك إلى حنين، فشهدا غزوة حنين، وثبتا مع رسول الله ﷺ يومئذ فيمن ثبت من أهل بيته وأصحابه، وأصيبت عين عتبة يومئذ؛ وقيل إن الذي أصيبت عينه معتب، وشهدا معه صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف، ثم رجعا إلى مكة وأقاما بها حتى ماتا؛ ولم يأتيا المدينة رضي الله عنهما. ولهما عقب.

وأما درة بنت أبي لهب فقيل كانت تحت نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له عتبة والوليد ومسلما، وقيل تزوجها صفوان بن أسد من بني أسيد بن عمرو بن تميم. وأسلمت رضي الله عنها وهاجرت؛ وروى ابن إسحاق أنها نزلت في دار رافع بن المعلى الزرقى، فجلس إليها نسوة من بني زريق وقلن لها: أنت بنت أبي لهب الذي يقول الله فيه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ فما تغني عنك هجرتك؟! فأنت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له ذلك، فسكنها⁽³⁾ وقال لها: «اجلسي»، ثم صلى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة ثم قال: «أيها الناس ما لي أودى في أهلي؟ فوالله إن

(1) عرنة (كهمة): بين عرفات والمزدلفة ويقال: "بطن عرنة".

(2) أخرجه الطبراني وابن سعد، كما في الإصابة.

(3) سكنها: طمانها وأنسها ورحمها.

شفاعتي لتنال بقرابتي حتى أن صدءاً وحكماً وسلهماً⁽¹⁾ لتناهما يوم القيامة»⁽²⁾.

وروي عن درة هذه أنها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ - وهو على المنبر - فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: «خير الناس أقرامهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»⁽³⁾ وروت عنه - أيضاً - «لا يؤذى حي بميت»⁽⁴⁾.

ومن ولد أبي هب أيضاً خالدة، تزوجها عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، فولدت له؛ وقد أسلمت - أيضاً - يوم الفتح. وله أيضاً عزة بنت أبي هب، تزوجها أوفى بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي فولدت له عبيدة وسعيدا وإبراهيم بني أوفى - قاله ابن سعد.

وأم أولاد أبي هب هؤلاء حمالة الخطب، وهي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية، كانت شديدة العداوة لرسول الله ﷺ، وكانت عوناً لزوجها أبي هب على كفره وجحوده وعناده. ولقبت حمالة الخطب لأنها كانت تحمل العضاة والشوك فتطرحه بالليل في طريق النبي ﷺ. وقيل

(1) صدء (كغراب): هو ابن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج (مالك) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو بطن عظيم - [جمهرة ابن حزم]؛ وحكم: هو الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب، وبنو الحكم هؤلاء بطن ضخم. وسلهم (بكسر السين والهاء بينهما لام ساكنة): هو بن الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج، وهو ابو بطن من بطون مذحج؛ وأم جلد وسعد العشيرة - جدي هؤلاء البطون الثلاثة - سلمى بنت منصور بن عكرمة المضرية.

(2) أخرجه أحمد في المسند: 457/6.

(3) أخرجه أحمد في المسند: 457/6.

(4) أخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده، والدارقطني في كتاب الأخوة، وابن عدي في الكامل، وابن منده، كما في الإصابة: 298/4.

لأنها كانت تمشي بالنميمة. وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر، ثم كانت مع كثرة ما لها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها؛ فبينما هي حاملة - ذات يوم - حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح، ف جذبها الملك من خلفها فأهلكها.

وقوله سبط عتبة (بالرفع): مبتدأ، والسبط (بالكسر): ولد الولد. ومهاجي (بضم الميم): صفة لسبط، والمهاجاة أن يهجو كل واحد من المتشائمين صاحبه، وهجا فلان فلانا هجوا وهجاء شتمه بالشعر وعدد معاييه. والأحوص: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الأوسي الشاعر المشهور الهجاء، لقب الأحوص لحوص في عينيه⁽¹⁾، وسيأتي بعض التعريف به عند ذكر جده عاصم بن ثابت.

قوله وعقرب (بالجر): عطف على الأحوص. والفضل (بالرفع): بدل من سبط. ويصي (بفتح الياء): خبر عن قوله سبط. وبالقوم: متعلق بيصي (أي يتصل بهم)، يقال وصى الشيء بالشيء وصيا: اتصل به، ووصاه به وصيا: وصله به فهو واص، قال الشاعر:

نصي الليل بالأيام حتى صلاتنا مفاصة شطراً صلاة المسافر⁽²⁾

يعني أن من ذرية أبي هب الفضل بن العباس الذي هاجى الأحوص وعقربا. والفضل هذا هو الشاعر المشهور الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي الأبوين، أمه آمنة بنت العباس بن

(1) الحوص (محركة): ضيق في مؤخر العينين أو في إحدهما حتى كأنها خيطة، وهو أحوص، وهي حوصاء، جمعه: حوص، وأحاوص - [القاموس والمنجد].

(2) يعني أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار حتى رجعت صلاتهم من أربع إلى اثنتين كحال صلاة المسافر، وفي رواية: مفاصة يشتق أنصافها السفر.

عبد المطلب، كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم المشهورين، وكانت له أشعار جيدة وآثار حميدة، وكان طويل القامة آدم اللون⁽¹⁾؛ وقيل كان أخضر اللون، وإن ذلك سرى له من جدته؛ لأن أمه آمنة بنت العباس أمها جارية سوداء حبشية، وإنه كان يعرف بالأخضر لذلك. وقد أشار هو نفسه إلى ذلك بقوله في قصيدة له في الفخر مطلعها:

شاب رأسي ولداتي⁽²⁾ لم تشب بعد لهو وشباب ولعب
شيب المفرق مني وبدا في حفاقي لمي⁽³⁾ مثل الخطب

إلى أن يقول:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من نسل العرب

[الآيات المتقدمة].

وكانت له صحبة حسنة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله فيه أبياته المشهورة:

ما كنت أحسب هذا الأمر⁽⁴⁾ منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلّى لقبته وأعلم الناس بالقرآن والسّنن
وآخر الناس عهداً بالنبّيِّ ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا تمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكانت لأبيه العباس بن عتبة صحبة [كما في الإصابة].

وما صل ما أشار إليه الناظم من مهاجاة الفضل هذا للأحوص وعقرب، أنه اتفق أن مر يوماً الفضل بن العباس على الأحوص، وهو ينشد وقد اجتمع عليه

(1) آدم اللون: أي أسمره، والأدمة: السمرة وهي لون بين السواد والبياض.

(2) جمع لدة: وهو الترب (بكسر وتشديد التاء) وهو من ولد معك أو تربي معك.

(3) الحفاف: الجانب جمعه: أحفة، واللمة: شعر الرأس الجاوز شحمة الأذن، جمعها: لم ولمام.

(4) يعني به الخلافة.

الناس فقال: يا أحوص إنك لشاعر ولكن لا تعرف الغريب ولا تعرب! وإني لأبصر
الناس بالغريب والإعراب! فقال الأحوص: أفتسمع؟ فقال الفضل: نعم، فقال الأحوص:

ما ذات جبل يراها الناس كلهم وسط الجحيم ولا تخفى على أحد
كُل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد⁽¹⁾

فقال الفضل:

ما ذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ما ذا أردت إلى حمالة الحطب
ذكرت بنت قُروم سادة نُجْب كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

ثم انصرف عنه.

أما مهاجاته لعقرب: فمما يروى أنه كان بالمدينة رجل يقال له عقرب بن أبي
عقرب تميمي، وكان مشهورا بالتجارة والمطل، حتى ضرب به المثل فيهما ف قيل
"أمطل من عقرب وأتجر من عقرب"؛ وكان الفضل بن العباس هذا من أشد الناس
اقتضاءً للدين! فاتفق يوما أن وقعت بينهما معاملة، فقال الناس: ننظر الآن ما
يصنعان، فلما حل الأجل لزم الفضل باب عقرب وقعد يقرأ القرآن، ومكث على
تلك الحال زماناً، فلم يكثر به عقرب وأقام على مطله ولم يعطه شيئاً، فترك
الفضل ملازمته واشتغل بهجائه، ومما قال فيه:

قد تجرت في أرضنا عقرب لا مرحبا بالعقرب التاجرة
كُل عدو يتقى مقبلا وعقرب يخشى من الدابره

(1) من مسد: أي من ليف، وقيل هو ﴿سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ وقد روي عن سعيد بن المسيب
قال: كانت لأم جميل قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لا نفقنها في عداوة محمد،
فاعقبها الله منها يوم القيامة حبلا في جيدها من مسد النار جزاء وفاقا، روي أنها كانت ترفع به
إلى شفير النار ثم ترمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائما، والعياذ بالله تعالى.

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره
وله يقول:

إذا ما كنت متخذاً خيلاً فلا تجعل خليلك من تميم
بلوت صميمهم والعبد منهم فلم أدر العبيد من الصميم!

وقيل إن الفضل هو الذي مطل عقرباً في دين يطالبه به، وقد قيل فيهما: "أمطل من اللهي وأشد اقتضاء من عقرب" وقد لزم عقرب باب دار اللهي حين تمادى على مطله، وربط به حماره.

ومن شعر الفضل هذا أبياته المشهورة التي يخاطب بها بني عمه، بني أمية بن عبد شمس:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تَبْشُوا بيننا ما كان مَدْفُوناً⁽¹⁾
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
مهلاً بني عمنا عن نحت أثلتنا⁽²⁾ سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إذ لا تحبونا
كل له نية في بغير صاحبه والحمد لله نقلوكم وتقلونا

ومدح الفضل عبد الملك بن مروان الأموي - وهو أول هاشمي مدح أموياً بعد ما كان بينهما - فأكرمه عبد الملك.

بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة مع الفضل بن العباس

وكان الفضل معاصراً للفرزدق وابن أبي ربيعة المخزومي، وله معهما أخبار. أما الفرزدق فقد مرت قصته معه في آخر شرح الشيخ حماد رحمه الله. وأما عمر بن

(1) الدفن والنبش: استعارة عن الكتمان والإظهار.

(2) يقال: نحت أثلته إذا ذمه وتنقصه.

أبي ربيعة فقد روي عنه أنه قال: بينما أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهي فوافقني وأنا أنشد:

فأصبح بطنُ مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

فقال: يا أبا بني مخزوم إن بلدة تبجح⁽¹⁾ بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله ﷺ واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر لهشام! وإن أشعر من هذا البيت وأصدق منه قول الآخر:

إنما عبد مناف جوهر زين الجواهر عبد المطلب

قال عمر: فأقبلت عليه وقلت: يا أبا بني هاشم إن أشعر من صاحبك من يقول:

إن ابن مخزوم الحريقُ إذا حرَّكته تارة ترى ضرما
يسطع منه الشرارُ في هبٍ من حاد عن حرِّه فقد سلما

قال: فوالله ما عتَم⁽²⁾ أن أقبل علي وقال: يا أبا بني مخزوم إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما أخذ حر الحريق واصطلما
فاعلم - وخير المقال أصدقه - بأن من رام هاشما هُشما

قال عمر: فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا.

ومن جيد شعر الفضل قوله:

يا مي إن تفقدي قوما ولدتهم أو تُخلِّسِيهم⁽³⁾ فإن الدهر خلَّاسُ

(1) تعظم وتباهى.

(2) يقال ما عتم أن فعل كذا أي ما لبث، ومنه قول ابن الزبيري:

بجير بن ذي الرمة قوب مجلسي وراح علينا فضله غير عام - أي غير مبطو.

(3) تخلصيهم: أي تسليهم.

عمرو وعبد مناف والذي عهدت بطأخ مكة آبي الضيم عباس
ليث هزبر مُدِلٌ عند خيسته بالرقمتين له أجزر⁽¹⁾ وأعراس
وقيل الشعر لملك بن خالد الهذلي، والله أعلم. وتوفي الفضل في خلافة الوليد
بن عبد الملك.

ومن عقب عتبة بن أبي هب: حمزة والحسن ابنا عتيبة بن إبراهيم بن أبي
خداش بن عتبة بن أبي هب، وكانا من أصحاب الرشيد. ومن حمزة منهما: عبد
الله بن علي بن عبد الله بن حمزة، كان من كبار المقرئين بمكة، وأحد أصحاب
طرق البزري من قراءة ابن كثير المكي. ومن عبد الله هذا سبطه الحسين بن علي بن
عبد الله ولي سوق مكة زمن المطيع.

ومن عتبة أيضا محمد بن أحمد بن الحسن بن عتبة بن إبراهيم بن أبي خداش بن
عتبة بن أبي هب، ولي الصلاة بمكة.

ومن عقب معتب بن أبي هب: القاسم بن العباس بن محمد بن معتب بن أبي
هب، وياه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اليماني لما
قام بالمدينة.

ولما فرغ الناظم من ذكر آل أبي هب، شرع في ذكر عمي رسول الله ﷺ
حمزة والعباس ابني عبد المطلب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَأَنْجَبَتْ بِنْتُ أُهَيْبٍ هَالَهُ بِنْتُ أُخِي وَهَبٍ هِلَالَ هَالَهُ

(1) مدل: وائق بنفسه وعُدته، والخيسة: موضع الأسد جمعه: أخياس وخيس، وأجر (كظي) جمع حرو
(بتثليث الجيم) ولد الأسد، أو صغير كل شيء.

بِحَمَزَةِ الشَّهِيدِ

أنجبت المرأة: ولدت نجيباً (وهو الكريم) جمعه نجباء وأنجاب. وبنيت أهيب (بالرفع): فاعل أنجبت. وأهيب (بصيغة التصغير): هو ابن عبد مناف بن زهرة. وقوله هالة: بدل من بنت أهيب. وقوله بنت أخي وهب (بالرفع): صفة لهالة. وقوله هلال (بالجر): صفة لوهب. والهلال: غرة القمر، والهالة: دارته (جمعها هالات)، وأراد بالهلال: الشريف من الناس وبالهالة: حلقة الناس التي تحف به؛ والمراد به وصف وهب بن عبد مناف بن زهرة - والد آمنة أم النبي ﷺ - بأنه غرة قومه الذين هم غرة قومهم.. لمكانة وهب وقومه بني زهرة من رسول الله ﷺ. وقوله بحمزة: متعلق بأنجبت، والشهيد (بالجر) صفته.

يعني أن من أعمامه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب الذي أنجبت به أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، بنت عم آمنة أم رسول الله ﷺ. وقد مر هذا عند قول الناظم في بني زهرة:

ومنه وهبٌ وأهيبٌ والذَّا آمنةٌ وهالةٌ وسُوِّدًا

ترجمة حمزة بن عبد المطلب

أما حمزة فهو أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة أمه هالة بنت أهيب، وأم هالة هذه العبلة بنت المطلب، وأم العبلة خديجة بنت سعيّد بن سهم.

روي في زواج عبد المطلب بهالة هذه أنه خرج بابنه عبد الله - والد رسول الله ﷺ - حين شب - إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكان بيته بيت الشرف والعز في بني زهرة فزوجه من بنته آمنة بنت وهب، وكانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، ثم زوج وهب - أيضا - بنت أخيه هالة بنت وهيب من عبد المطلب

نفسه يوم تزويجه بنته آمنة من عبد الله، فحملت هالة بحمزة أو ان حمل آمنة برسول الله ﷺ، فولدت هالة حمزة⁽¹⁾ قبيل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان تربيته وأخاه من الرضاعة - أرضعتهم ثوية مولاة أبي لهب بابنها مسروح - وقيل ولد قبله بسنتين؛ وقد ولد بمكة ونشأ بها فكان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمَةً⁽²⁾. وكان أحد صنائديهم، وأحد ساداتهم في الجاهلية والإسلام، أسلم رضي الله عنه في السنة السادسة من المبعث بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقيل أسلم في السابعة. وكان إسلامه قبل إسلام عمر بن الخطاب بأيام. فكان قديم الإسلام، وصاحب رسول الله ﷺ ونقيبه ووزيره. ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وآله وسلم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما.

وقد روي في سبب إسلامه أن النبي ﷺ كان جالسا يوما عند الصفا فمر به أبو جهل فشتمه وآذاه، وقال فيه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، وصب التراب على رأسه ووطئ برجله الخبيثة عاتق النبي ﷺ الشريف، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انصرف أبو جهل عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، وانصرف رسول الله ﷺ إلى بيته. فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا قوسه⁽³⁾ راجعا من قنصه⁽⁴⁾ وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ثم يمر بنادي قريش فيتحدث معهم؛ ولما خرج إلى بيته اعترضته

(1) حمزة: مشتق من الحمز وهو القبض والضبط لما حمزه، أي الضابط لما ضمه.

(2) الشكيمة: الأنفة والانتصار من الظلم، وفلان ذو شكيمة أو شديد الشكيمة: أي أنوف أبي لا ينفاد.

(3) أي متقلدا بها.

(4) أي اصطياده، والقنص: المصيد.

سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وقيل مولاة عبد الله بن جدعان - وكانت قد رأت ما فعل أبو جهل برسول الله ﷺ - فقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا من أبي الحكم بن هشام: وجدّه هنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد، فقال لها: أنت رأيت هذا الذي تقولين؟ قالت: نعم. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، وخرج يسعى يُعرف الغضب في وجهه لا يتكلم حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهل جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه فرفع القوس وضربه بها فشجه شجة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه؟! أقول ما يقول فاردد ذلك علي إن استطعت؟ فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا. ولم ينزع حمزة عن إسلامه، وباع النبي ﷺ وقال:

حدث الله حين هدى فؤادي	إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربّ عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا	تحدر دمع ذي اللب الحنيف ⁽¹⁾
رسائل جاء أحمد من هداانا	بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم	ولما نقض فيهم بالسيوف

ولما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه. فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه. ثم هاجر رضي الله عنه إلى المدينة، وعقد له رسول الله ﷺ أول لواء عقده حين أمره على أول سرية بعثها صلى الله عليه وسلم - على الصحيح - في ربيع الأول سنة اثنتين للهجرة إلى سيف البحر من

(1) الحنيف: (بالإهمال) محكم العقل جيد الرأي من حصف (ككرم) حصافة.

أرض جُهينة⁽¹⁾؛ وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا وكان يقاتل فيها بسيفين، وكان أحد المبارزين فيها، قتل شيبه بن ربيعة بن عبد شمس مبارزة، وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقتل طعيمة بن عدي في جماعة؛ وكان شجاعا بطلا لا يطاق حتى عرف بـ"أسد الله وأسد رسوله" وبـ"ليث الله".

وشهد أحدا وأبلى فيه بلاء حسنا ولم يزل يقاتل حتى استشهد به رضي الله عنه. وقصة قتل وحشي له مشهورة ولم يُمَثَّل بأحد ما مُثِّل بحمزة رضي الله عنه. فقد جُدِعَ أنفه وقُطِعَت أُذُنَاهُ وبُقِرَ بطنه، فوقف عليه النبي ﷺ ولم ير منظرا كان أوجع لقلبه منه، فبكى وقال: «رحمك الله أي عمُّ فلقد كنت وصولا للرحم فعولاً للخيرات، فوالله لئن أظفرتني الله بالقوم لأمثلن بسبعين منهم» وفي رواية: «لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم»، فما برح حتى نزلت: ﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽²⁾، فقال

(1) سيف البحر: (بكسر السين) ساحله من ناحية العيص، وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد له ذلك اللواء حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة على ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، فلقي أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعا للفرقيين معا، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال، وفي ذلك يقول حمزة — من قصيدة:

فما برحوا حتى انتدبت لغارة لهم حيث حلوا أبغى راحة الفضل

بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبلي

لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيزز فعله أفضل الفعل .. الخ

وقيل أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم راية عقدها لعبيدة بن الحارث، وقيل إنه صلى الله عليه وسلم عقد لهما رايتين وبعثهما معا في مقامه ذلك، فاشبهه على الناس. [الروض الأنف].

(2) سورة النحل: آية: 126 - 127، والحديث أخرجه ابن عبد البر وابن منده وأبو موسى [كما في أسد الغابة] وذكره ابن حجر في الغيلانيات كما في الإصابة.

رسول الله ﷺ: «بل نصير» وكفر عن يمينه، وقال: «لولا أن تجد صفيصة في نفسها لتركته حتى تأكله العافية حتى يحشر يوم القيامة من بطونها»⁽¹⁾ - الحديث. ودفن هو وابنُ أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد. وكان له يوم قتل تسع وخمسون سنة. وقال فيه رسول الله ﷺ: «حمزة سيد الشهداء»⁽²⁾ وفي رواية «خير الشهداء».

وله من الولد عمارة⁽³⁾ وبه يكنى، أمه خولة بنت قيس من بني مالك بن النجار. وقيل عمارة (بنت) كني بها. ومن ولده يعلى، وبه يكنى أيضا، أمه أوسية وقد أسلم وصحب؛ وحمزة أيضا عامر وروح وعمرو وبنت اسمها أمامة - وقيل فاطمة - أمها سلمى بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت عمر بن أبي سلمة المخزومي (ريبب رسول الله ﷺ) وهي التي اختصم في حضانتها علي وجعفر وزيد، فقال علي: ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي - وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين - وكان زيد وصي حمزة؛ فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة أم» وفي رواية: «الخالة بمنزلة الأم»⁽⁴⁾. وفيه دلالة على أن من نكحت قريبا لا يسقط حقها من الحضانة. وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج ابنة حمزة فإنها أحسن فتاة في قريش؟ فقال: «أليس قد علمت أنها ابنة أخي

(1) أخرجه الترمذي ورواه ابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة، ورواه ابن عبد البر كما في الاستيعاب.

(2) أخرجه الطبراني من طريق الأصمغ بن نباتة عن علي كما في فتح الباري: 7 / 368.

(3) عمارة: (بضم العين وتخفيف الميم) وكل عمارة فهو كذلك إلا ابن عمارة الذي يروي حديثا في المسح على الخفين فهو (بكسر العين وتخفيف الميم)، وإلا عمارة البلوي الذي ينسب إليه أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي فهو (بفتح العين وتشديد الميم) - [الروض الأنف].

(4) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد في مسنده.

من الرضاعة، وإن الله عز وجل قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب»⁽¹⁾.
وانقطع عقب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ولحسان بن ثابت الأنصاري من قصيدة له يرثيه بها:

دع عنك داراً قد عفا رسمها	وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشيزى إذا أعصفت	غبراء في ذي الشيم الماحل ⁽²⁾
والتارك القرن لدى لئدة	يعثر في ذي الخرص الذابل ⁽³⁾
واللابس الخيل إذا أحجمت	كالليث في غابته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم	لم يمر ⁽⁴⁾ دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم	شلت يدا وحشي من قاتل
أي امرئ غادر في آلة	مطرودة مارنة العامل ⁽⁵⁾
أظلمت الأرض لفقدانه	واسود نور القمر الناصل ⁽⁶⁾
صلى عليه الله في جنة	عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة جرراً لنا	في كل أمر نابنا نازل
وكان في الإسلام ذا تدرأ ⁽⁷⁾	يكفيك فقد القاعد الخاذل .. إلخ.

ولكعب بن مالك من قصيدة يرثيه بها:

(1) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد في مسنده.

(2) الشيزى: جفان من خشب، وأعصفت: اشتدت، والغبراء: الرياح التي تثير الغبار، والشيم: البارد، والماحل: من المحل وهو الجذب؛ أي في زمن اشتداد البرد والقحط.

(3) القرن: (بالكسر) المنازل في القتال. وذي الخرص: أي الرمح، والخرص: سنامه. والذابل: الرقيق.

(4) لم يمر: من المرء أي الجدال.

(5) غادر: ترك. والآلة: الحربة لها سنان طويل. والمطرودة: المحددة. والمارنة: اللينة. والعامل: أعلى الرمح.

(6) الناصل: الخارج من السحابة.

(7) ذا تدرأ: أي ذا مدافعة.

فدع التَّمَادِيَّ فِي الْعَوَايَةِ سَادِرًا
ولقد أنى⁽²⁾ لك أن تنأى طائعا
ولقد هددت لفقْد حمزة هَدَّةً
ولو انه فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ
قَرِمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ
وَالْعَاقِرُ الْكُومُ الْجِلَادُ إِذَا غَدَتِ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنُ الْكَمِيَّ مَجْدَلًا
وتراه يرقُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ
وَأَتَى الْمِيَةَ مُعَلِّمًا فِي أُسْرَةٍ⁽⁵⁾

قد كنتَ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفَنِّدُ⁽¹⁾
أو تستفيق إذا نهك المرشدُ
ظَلَّتْ بِنَاتُ الْجَوْفِ⁽³⁾ مِنْهَا تَرَعْدُ
لرأيتَ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدُّ
حيث النبوة والنسبى والسؤدد
ريح يكاد الماء منها يَجْمُدُ
يوم الكريهة والقنأ يتقصدُ
ذو لُبْدَةٍ شَتْنُ الْبِرَائِنِ أَرَبْدُ⁽⁴⁾
ورَدَ الْحِمَامِ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
نصروا الرسولَ ومنهم المستشهدُ

الخ.. الخ

ولعبد الله بن رواحة من قصيدة له يرثيه بها:

بكت عيني وحق لها بكأها
على أسد الإله غداة قالوا
أصيب المسلمون به جميعا
أبا يعلى بك الأركان هدت
عليك سلام ربك في جنان
ألا يا هاشم الأخيارُ صبراً
رسول الله مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ

وما يغني البكاء ولا العويلُ
أحمزة ذلك الرجل القَتِيلُ
هناك وقد أصيب به الرسول
وأنت الماجد البرُّ الوَصُولُ
يخالطها نعيمٌ لا يزول
فكل فعالكم حسن جميل
بأمر الله ينطق إذ يقول الخ.

(1) تفند: تلام وتكذب.

(2) أنى لك: أي حان لك.

(3) بنات الجوف: يعني القلب والكبد والأمعاء، سماها بذلك لاشتماله عليها.

(4) ذو لبدة: أي أسد. واللبدية: الشعر الذي على كتفي الأسد. وشتن: أي غليظ. والبرائن للسياح: كالأصابع للإنسان. والأربد: الأغر يخالطه سواد.

(5) معلما: مشهرا نفسه بعلامة يعرف بها في الحرب، والأسرة: الرهط.

ولأخته صفية بنت عبد المطلب، من أبيات في رثائه:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جَنَّةٍ يجيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزنا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان منذرها يذود عن الإسلام كل كفور... الخ.

تنبيه: كان لحمزة من الأشقاء: المقوم والمغيرة وصفية، قيل والعوام - بنو عبد المطلب - أما المقوم فمات قبل البعثة ولم يعقب، وأما المغيرة فيلقب بحجل (بتقديم الحاء المهملة المفتوحة على الجيم الساكنة) ومات هو والعوام - على القول بوجوده - قبل البعثة، ولم يكن لواحد منهم عقب. وأما صفية فقد أسلمت وصحبت وحضرت الخندق، وقتلت يهوديا كان يطوف بالحصن الذي كانت فيه هي ونساء النبي ﷺ، وكانت في الجاهلية عند الحارث بن حرب أخي أبي سفيان بن حرب، ثم هلك عنها، فخلف عليها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

... ..
وَأَلْعَبَّاسُ مُسْقِيهِمْ ثِمَاهُمْ أَسَاسُ
وَهُوَ أَبُو الْخَلَائِفِ الْأَكْيَاسِ أَيْمَّةِ الدِّينِ بَنِي الْعَبَّاسِ

قوله العباس: مبتدأ خبره محذوف معلوم من السياق، أي ومن هاشم أيضا العباس⁽¹⁾ بن عبد المطلب. وقوله مسقيهم (بصيغة اسم الفاعل) وثماهم (بكسر المثلثة) وأساس (كلها بالرفع): صفات للعباس. ومسقيهم: أي متولي سقائهم.

(1) العباس: في الأصل الأسد الذي تهرب منه الأسود.

وثماهم: أي كهفهم وملجؤهم. وأساس: أي أساسهم الذي يعتمدون عليه. والضمير في مسقيهم وفي ثماهم عائد على أهل مكة — وإن لم يجر لهم ذكر، لأن ولاية العباس لسقاية الحاج وسيادته لأهل مكة كالشمس في الوضوح، فحذف مفسر الضمير هنا على حد ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾⁽¹⁾. وجملة قوله وهو أبو الخلائف.. إلخ: صفة للعباس أيضا. والخلائف: جمع خليفة وهو ذو الخلافة وهي النيابة عن رسول الله ﷺ في عموم مصالح المسلمين. والأكياس وأئمة وبنو العباس (كلها بالجر): صفات للخلائف. والأكياس: جمع كيس للعاقل؛ وإنما وصفهم بهذه الصفات لما روي أن الخلافة أفضت إليهم وما في الأرض أقرأ منهم ولا أنسك ولا أفضل.

يقول: ومن هاشم — أيضا — ثم من أعمام النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب الذي كان يتولى سقاية أهل مكة وكان كهفهم والقائم بأموارهم وأساسهم الذي يعتمدون عليه، وإليه نسبة البطن المعروف بـ"العباسيين" الذي منه الخلفاء العباسيون الذين أطاحوا بدولة بني أمية في الشرق.

ترجمة العباس وبعض مناقبه

أما العباس فهو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم النبي ﷺ؛ أمه نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن النمر بن قاسط، وقد أنجبت به وهي أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج؛ وذلك أن ابنها العباس هذا ضل عليها وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فلما وجدته وفت بنذرها. وكان مولد العباس بن عبد المطلب

(1) سورة ص: 32.

بمكة قبل مولد النبي ﷺ بستين أو ثلاث، قيل له يوما: أيكما أكبر؟ أنت أم النبي ﷺ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

نشأ العباس بمكة فكان سيدا من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، وكان أجود قريش كفا وأوصلهم رحما، وكان يبذل المال ويطعم الجائع ويكسو العاري ويعطي في النوائب، وكان واسع العقل شديد الرأي محسنا إلى قومه، وكان أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، وقد حضر معه العقبة الثانية واشترط على الأنصار - وكان إذ ذاك على دين قومه - وحضر بدرا مع المشركين مكرها، فأسر وافتدى نفسه وابني أخويه: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ورجع إلى مكة. وأسلم العباس - رضي الله عنه - قبل الفتح وكان يكتنم إسلامه وصار يكتب لرسول الله ﷺ بالأخبار، ويسره ما يفتح الله على المسلمين وكان مولعا بالهجرة. ولم يزل على ذلك حتى كان قبيل الفتح هاجر فلقي النبي ﷺ بالأبواء وهو خارج لفتح مكة فختمت به الهجرة. ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم إلا هو وحمزة - كما مر - وشهد العباس رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ الفتح وحنينا، وكان فيمن ثبت معه صلى الله عليه وسلم به، وفي ذلك يقول:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي	بـوادي حنين والأسنة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قري	وهام تدهدى بالسيوف وأدرع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة	بزوراء تعطي في اليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة	وقد فرّ من قد فرّ عنه وأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه	بما مسّه في الله لا يتوجع

وشهد أيضا مع رسول الله ﷺ الطائف وتبوك وكان رضي الله عنه معظما في الجاهلية والإسلام، وكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد إسلامه ويعظمه ويجله، ويقول:

«هذا عمي وصنو أبي»⁽¹⁾ وقال فيه: "من آذى العباس فقد آذاني"⁽²⁾ وقال: «العباس مني وأنا منه»⁽³⁾. وكان الصحابة يعرفون له فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه. وكان إذا مر بعمرو أو عثمان وهما راكبان نزلا حتى يجوز إجلالا له، ويقولان: عم رسول الله ﷺ؛ وكان طويلا جميلا أبيض جوادا وصولا للرحم ذا رأي حسن ودعوة مرجوة، وكان كثير العتق مولعا بفك الرقاب.

وتوفي - رضي الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب - وقيل من رمضان - سنة اثنتين وثلاثين عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع ونزل في قبره ابنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

تولي آل العباس السقاية

وقوله مسقيهم يحتمل أن يكون أشار به إلى أنه كان يتولى سقاية أهل مكة بعد آبائه، وذلك لأنه كانت له سقاية الحاج، فقد ولي زمزم والسقاية عليها بعد موت أبيه عبد المطلب؛ وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا؛ ولم تنزل إليه حتى جاء الإسلام وهي بيده فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى من ولايته وصارت لآل العباس بولاية العباس إياها. وذلك لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قام يوم فتح مكة بين عضادتي باب⁽⁴⁾ الكعبة، فقال: «ألا إن كل دم أو مائة⁽⁵⁾ كانت في الجاهلية فهي

(1) أخرجه الترمذي.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(3) أخرج الحديثين الترمذي.

(4) عضادتا الباب: خشبتان على جانبيه منصوبتان مثبتتان في الحائط.

(5) المائة: كل ما يذكر ويؤتى من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم.

تحت قدمي هاتين⁽¹⁾ إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة⁽²⁾ فإني قد أمضيتها لأهلها على ما كانت في الجاهلية»⁽³⁾، فقبض العباس السقاية وكانت في يده حتى توفي فولياها بعده عبد الله بن عباس فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب. وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس: مالك ولها؟ نحن أولى بها في الجاهلية والإسلام وقد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البينة: طلحة بن عبيد الله وعامر بن ربيعة وأزهر بن عبد عوف ومخرمة بن نوفل؛ أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبد المطلب وجدك أبو طالب في إبله في باديته بعرفة؛ وإن رسول الله ﷺ أعطاها العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر. فكانت بيد عبد الله بن عباس بتولية رسول الله ﷺ دون غيره لا ينازعه فيها منازع، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفي، فكانت في يد علي بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعله أبيه وجده، ويأتيه الزيب من ماله بالطائف وينبذه حتى توفي، فكانت بعده في يد ولده يتوارثونها.

استسقاء عمر بالعباس

ويجتم - أيضا - أن الناظم أشار بمسقيهم إلى قصة استسقاء عمر بن الخطاب

(1) تحت قدمي: أراد إبطاها وإسقاطها.

(2) سدانة البيت: خدمته والقيام بأمره، وكانت في الجاهلية لبني عبد الدار كما كانت السقاية لبني هاشم فأقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانتا عليه.

(3) أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطني وأحمد، وأول هذا الحديث: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة على درج الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «ألا إن قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل» وفي رواية: «ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مغلظة مائة من الإبل أربعون خلفة في بطونها أولادها، ألا إن كل دم ومال ومأثرة... إلخ.

بالعباس المشهورة، حين أخطأ أهل المدينة عام الرمادة⁽¹⁾ فأمطروا. فقد روي أن عمر خرج بالعباس يستسقي فقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك صلى الله عليه وسلم كما حفظت الغلامين لصالح أبيهما⁽²⁾ وأتيناك مستغفرين ومستشفعين. ثم قال عمر: يا أبا الفضل قم فادع فقام العباس - وعيناه تنضحان - ثم قال: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا يأس من روحك إلا القوم الكافرون. فأرخت السماء عزاليها⁽³⁾ فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالآكام، وأخصبت الأرض. وفي رواية: فنشأت طرية⁽⁴⁾ من سحاب، فقال الناس: ترون.. ترون؟! ثم تلاءمت واستتمت

(1) سمي هذا العام "عام الرمادة" لأن الريح كانت تسفي ترابا كالرمادة، وقد أصابت الناس فيه مجاعة شديدة، وجدب وقحط، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الناس، وماتت المواشي جوعا، وكان ذلك في عهد عمر سنة ثمان عشرة، وبعد تسعة أشهر من ذلك القحط خرج عمر يستسقي بالعباس رضي الله عنهما.

(2) أشار بذلك إلى ما ورد في قصة موسى والخضر عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا﴾ الآية.

(3) العزالي: جمع عزلاء: وهي الاست ومصب الماء من القرية ونحوها، يقال أنزلت السماء عزاليها وأرسلت عزاليها: أي انهمرت بالمطر، فهو كناية عن شدة وقع المطر وانهماره من كل ناحية، ومنه قول ذي الرمة من قصيدة له:

كان أعجازها والريط يعصبها بين البرين وأعناق العواهيح

أنقاء سارية حلست عزاليها من آخر الليل ريح غير حرجوج

(4) الطرية: تصغير طرة وهي النسيجة المستطيلة من السحاب.

ومشت فيها ريح ثم هزت ودرت فما برحوا حتى اعتلقوا الجدر وقلصوا⁽¹⁾ المآزر،
وظفقت الناس بالعباس يمسحون أركانهم، ويقولون: هنيئا لك ساقى الحرمين.

وفي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب راغبا فما كر حتى جاد بالديمة المطر
الخ.

ويقول حسان بن ثابت الأنصاري:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناد بعد اليباس

وقد كانت قريش - قبل ذلك - إذا أجذبت بلادهم تجمعت منهم رجال فيأتون
عبد المطلب ثم ابنه أبا طالب لالتماس السقي منهما، فيستسقيان برسول الله ﷺ
وهو إذ ذاك ما يزال غلاما حديث السن. فقد روي عن رقيقة بنت صيفي بن
هاشم، قالت: لقد تتابعت على قريش سنون حتى يبست الضروع ودقت العظام،
فأقبل من كل بطن رجل فجاجوا إلى شبية فجعل ابنه محمدا ﷺ على عاتقه وهو
يومئذ ابن سبع سنين فتطيبوا وطافوا بالبيت سبعا، وارتقوا أبا قبيس، فدعا
واستسقى وأمن القوم، قالت رقيقة: فما وصلوا البيت حتى انفجرت السماء بمائها،
وامتأل الوادي، قالت: فسمعت شيوخ العرب يقولون لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا
البطحاء. وفي ذلك تقول رقيقة:

(1) شمروها ورفعوها.

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا لما فقدنا الحيا واجلوز⁽¹⁾ المطر
فجاء بالماء جَوْبِي⁽²⁾ له سبل سحا فعاشت به الأنعام والشجر

وأصاب قريشا مرة فحط فخرجوا إلى أبي طالب فقالوا: أقحط الوادي وأجذب العيال وهلكت المواشي فهل استسق، فخرج أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ، وهو غلام كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء، فلما صاروا إلى البيت ألصق الغلام ظهره بالكعبة، وما زال يشير بإصبعه وما في السماء قرعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق واغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل⁽³⁾

وقوله ثمالهم: يعني أن العباس بن عبد المطلب كان كهف أهل مكة وملجأهم والقائم بأمرهم وأساسهم الذي يعتمدون عليه لأنه كان سيذا من ساداتهم في الجاهلية والإسلام، وكان يحملهم على عمارة المسجد الحرام بالخير، ولا يدع أحدا يسب فيه أو يقول هُجْرًا⁽⁴⁾ وكانت قريش عوناً له على ذلك لا يمكنهم الامتناع عنه لأنهم جعلوا له ذلك، وكان يؤدب السفهية ويمنع الجار ويذل المال ويطعم الجائع ويكسو العاري ويعطي في النوائب. وقوله أبو الخلائف إلخ: أشار به إلى أن العباس بن عبد المطلب هو جد الخلفاء العباسيين الذين أطاحوا بدولة بني أمية في المشرق.

وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن

(1) اجلوز: أي امتد وقت تأخره وانقطاعه.

(2) والجوبة هي: الحفيرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة - [الخميس].

(3) الأرامل: المساكين وعصمتهم: أي مانعهم من الضياع والحاجة.

(4) الهجر (بضم فسكون): الفحشاء والقبيح من الكلام.

عباس، بن عبد المطلب.. بويع بالخلافة في الكوفة ثالث عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة بعد سقوط دولة الأمويين بقتل مروان الحمار بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر ملوكها. وآخر خلفاء بني العباس ببغداد: المستعصم بالله بن المنتصر بالله بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله بن محمد بن القاسم بأمر الله بن القادر بالله بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان المستعصم بالله هذا قد قتل على أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة. وبقتله تم القضاء على الدولة العباسية ببغداد - عاصمة دولتهم - التي استمرت حوالي خمسة قرون ونصف، وتعاقب عليها سبعة وثلاثون خليفة.

وقد تعرض الناظم لسرد أسمائهم وذكر بعض أخبارهم في نظم مستقل، عرف بـ"نظم الدول" تناول فيه بعض الكلام على الدولتين الأمويتين في المشرق والأندلس، بالإضافة إلى الدولة العباسية في بغداد العراق. وقد شرحه زميلي وصديقي الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي فليراجعه من أراد تفاصيل أخبارها وملوكها.

هذا وقد أطلق الناظم على هؤلاء الملوك اسم *الخلافة* نظراً لمعناها الأعم، وهو القيام بمصالح المسلمين، أما بمعناها الأخص الذي يشير إليه الحديث⁽¹⁾ فقد انتهت مدتها بعهد الخلفاء الراشدين؛ أما من بعدهم كالأُمويين والعباسيين وغيرهم فهم

(1) في الحديث: عن سفينة: «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك»، أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان، قال العلماء: لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وفي الحديث أيضاً عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً وجبرية" حديث حسن قاله السيوطي في تاريخ الخلفاء.

ملوك أو سلاطين، والله أعلم.

بَشْرَهُ الْبَشِيرُ بِالْأَعْلَاقِ مَنُوهَا بِهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ
وَخَصَّ بَعْضَهُمْ وَبِالْمَلَاءِ أَلْحَفَهُ إِذْ هُوَ ذُو دُعَاءِ
وَأَمَّنْتَ أُسْكِفَةُ الْبَابِ عَلَى دُعَائِهِ وَجَدُرَانُ ذِي الْعُلَا
وَقَالَ. مُجْمَلًا بِنِيهِ الْخَيْرَةَ. تَمُّوا بِتَمَامٍ فَصَارُوا عَشْرَةَ
يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا بَرَرَةً وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَنْمِ الثَّمَرَةَ
وَقِيلَ فِي سِتِّتِهِ الْأَزْوَالِ أَهْلِ الْعُلَى وَالْفُضْلِ وَالْإِفْضَالِ:
«مَا وَلَدَتْ نَجِيَّةٌ مِّنْ فَحْلٍ كَسِتَّةٍ مِّنْ بَطْنِ أُمِّ الْفُضْلِ»

الضمير في بشره عائد على العباس المتقدم ذكره. والبشير من أسمائه صلى الله عليه وسلم، أي المبشر لمن أطاعه بالثواب. والأعلاق: جمع علق (بالكسر) النفيس من كل شيء، وأراد به هنا ذرية العباس. ومنوهاً بهم أي رافعا ذكرهم، يقال نوه بفلان أي شهره ورفع ذكره وعظمه. والضمير في بهم وفي بعضهم عائد على بني العباس المعبر عنهم بالأعلاق. والملاء (بالضم والمد): جمع ملاءة وهي الملحفة. وألحفه: غطاه، والضمير فيه عائد على العباس. وقوله إذ هو أي البشير ﷺ ذو دعاء أي للعباس وبنيه. وأسكفة الباب (بوزن أترجة): عتبه العلياء، وتستعمل للسفلى وهي الخشبة يوطأ عليها، جمعها أسكفات. والضمير في دعائه عائد على البشير ﷺ. والجُدُرَان (بضمين): جمع جدار للحائط. وذو العلا أي صاحب الرفعة والشرف، والمراد به هنا العباس رضي الله عنه. وفاعل قال ضمير مستتر عائد على العباس، ومجملا (بوزن محسن) حال منه. وبنيه: مفعول به مجملا، أي عاداً لهم على سبيل الإجمال لا التفصيل. والخيرة (بكسر الخاء المعجمة وفتح التحتية

وتسكن): مصدر أو اسم مصدر بمعنى الاختيار، ولذا التزم إفراده، ووصف الناظم به بني العباس مبالغة أي المختارين ؛ ويحتمل ضبطه هنا بفتح الخاء والياء على أنه جمع خير (ككيس). وجملة قوله تموا بتمام .. إلى قوله وأثم الثمره هي محكي القول الذي قبلها. وقوله واجعل لهم ذكرا أي صيتا حسنا. وأثم أي زد وكثر. والثمرة (بالتحريك): واحدة الثمر، وهي في الأصل حمل الشجر والمراد بها هنا الأولاد، لأن الولد ثمرة الفؤاد وقرّة العين. والضمير في ستته عائد على العباس. والأزوال: جمع زول (كقول وأقول) وهو الجواد والخفيف الظريف الفطن والشجاع الذي يزول الناس من شجاعته، قال زور الرمة:

أخا شقة زولاً كأن قميصه على نصل هندي جراز⁽¹⁾ المضارب

والعلي (بالضم): الرفعة والشرف. وقوله والفضل والإفضال أي البذل والإحسان بدون عوض. وقوله ما ولدت نجبية.. إلخ هو محكي قوله وقيل في سبته..

أشار الناظم رحمه الله في هذه الأبيات إلى بعض ما ذكرته كتب السير في شأن العباس بن عبد المطلب وبنيه. قال في الحلة السيرة: صح أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس: «ألا أبشرك يا أبا الفضل أن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء»⁽²⁾ وقد أخبره - أيضا - أن الخلافة تؤول إلى ولده. فقد أخرج أبو نعيم في الحلية، والخطيب أنه صلى الله عليه وسلم أخبر العباس أن الخلافة ستكون لولده،

(1) الشقة: المسافة البعيدة، والنصل: السيف، وجراز(بضم الجيم): القاطع ؛ والمراد بالزول هنا خفيف اللحم كالسيف.

(2) أخرجه الحافظ أبو نعيم في الحلية، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقاه العباس، فقال: «ألا أبشرك يا أبا الفضل؟ قال: بلى يا رسول الله، قال «إن الله افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختمه»؛ قال: وفي إسناده ضعيف، وفيه - أيضا - أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس في ابنه عبد الله: «هو أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي».

وذكر منهم السفاح والمنصور والمهدي والمأمون⁽¹⁾.

أبناء العباس ودعوة النبي ﷺ لهم

وعن ابن عباس قال: أقبل العباس يوما إلى رسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض، وسيلبس ولده من بعده السواد ويتملك منهم اثنا عشر رجلا» يعني ملكا وينازع فيه، قاله في الخميس. وذلك قوله: منوّمها بهم على الإطلاق .. ونخص بعضهم..

وفي أسد الغابة عن سعد بن إياس الأنصاري البديري قال: شهدت رسول الله ﷺ يقول للعباس بن عبد المطلب: «يا عم إذا كان غد فلا ترم⁽²⁾ أنت وبنوك»، فلما كان الغد صبحهم فقال: «كيف أصبحتم»؟ قالوا: بخير بأبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله، فقال: «ليدن بعضكم من بعض»، فلما تقاربوا نشر عليهم ملاءة ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترني إياهم» فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت: آمين آمين. وفيه - أيضا - أن رسول الله ﷺ مر بالعباس فقال: «يا

(1) أخرج أحمد في مسنده عن العباس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: «انظر هل ترى في السماء من نجم»، قال قلت: نعم، قال: «ما ترى»؟ قال قلت: أرى الثريا، قال: «أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك اثنين في فتنة». والسفاح هو أول خلفاء بني العباس واسمه عبد الله بن محمد، ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر، والمنصور أخوه كنيته أبو جعفر، واسمه عبد الله - أيضا - ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة وكان فقيها بليغا حافظا للقرآن والسنة، ومات محرما بالحج، والمهدي بن المنصور وليها عشر سنين، وكان من أعدل الملوك العباسيين، والمأمون هو ابن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة لم يوجد مثلها (مات فيها خليفة وقام فيها خليفة وولد فيها خليفة. ولد هو فيها، وقام فيها أبوه الرشيد، ومات فيها عمه الهادي) ولي الخلافة سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات سنة ثمان عشرة ومائتين، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه، ولا أجزم لولا ما كدر عهده من القول بخلق القرآن والإفراط في التشيع.

(2) أي لا ترح منزلك أنت وبنوك غدا، أخرج الترمذي نحوه.

عم اتبعني بينيك» فانطلق بستة من بنيه: الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن، فأدخلهم النبي ﷺ بيئا وغطاهم بشملة سوداء مخططة بحمرة فقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كما سترتهم بهذه الشملة» فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا آمن.

وفي الحلة السبراء والمواهب اللدنية وغيرهما أن رسول الله ﷺ غطى العباس وبنيه بملاءة فقال: «يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترني إياهم بملاءتي هذه» فقالت أسكفة الباب وحوائط الدار: آمين آمين آمين، ومثله في الخميس، وفيه: فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا آمن. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال - ثلاث مرات -: «اللهم انصر العباس وولد العباس»⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار بقوله وبالملاء ألحفه.. إلخ.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك - أيضا - بآل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقد جعل كساء على علي وفاطمة وابنيهما وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»⁽²⁾، وفي رواية: ألقى عليهم كساء ووضع يده المباركة عليهم وقال: «اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد»، ومثله في أسد الغابة.

وقد روي أن العباس رضي الله عنه كان يحمل ابنه تماما وهو صغير ويقول: تموا بتمام فصاروا عشرة.. إلخ الأبيات؛ وإلى ذلك أشار بقوله: وقال مجملا بنبيه الخيره.. إلخ، كما أشار بقوله ما ولدت نجبية.. إلخ.. إلى قول عبد الله بن يزيد الهلالي في أم الفضل وبنيها وزوجها العباس رضي الله عنهم:

(1) أخرجه ابن عساكر - كما في تاريخ الخلفاء.

(2) أخرجه الترمذي والإمام أحمد.

ما ولدت نجية من فحل بجبل - نعلمه - وسهل
كسنة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل - ﷺ

وللعباس بن عبد المطلب من الولد عشرة ذكورا، ومن الإناث ثلاث؛ وهم:
الفضل - وبه كني أبواه - وعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم ومعبد وأم حبيب،
أمهم أم الفضل (لبابة الكبرى) بنت الحارث بن حزن الهلالية؛ أخت أمنا ميمونة
بنت الحارث الهلالية، وعون والحارث، أمهما من هذيل - وقيل أم الحارث حجيلة
بنت جندب بن الربيع الهلالية، وقيل أمه أم ولد - وكثير (بوزن أمير) وتمام - وهو
أصغرهم - أمهما رومية اسمها سبا، وصفية وآمنة، لأمهات أولاد.

أما الفضل - ويكنى أبا عبد الله - فقد شهد حنيناً وكان فيمن ثبت مع رسول
الله ﷺ، وحضر حجة الوداع وأردفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد
غسل النبي ﷺ، وكان رضي الله عنه جميلاً، واختلف في وقت موته، فقيل يوم
أجنادين، وقيل يوم مرج الصفر، وقيل يوم اليرموك، وقيل مات في طاعون
عمواس⁽¹⁾؛ ولم يترك ولداً إلا أم كلثوم بنت الفضل، تزوجها أبو موسى (عبد الله)

(1) أجنادين: سهل مرمل واقع على جنوبي دمشق بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وكانت
به وقعة عظيمة للمسلمين بقيادة عمرو بن العاص السهمي على الروم بقيادة أرتابون الرومي في
عهد عمر بن الخطاب، ومات فيها خلق كثير وانهمز فيها الروم. ومرج الصفر: موضع بدمشق.
واليرموك: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن، كانت به وقعة خالد بن الوليد على الروم سنة
ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديق، وانهمزت فيه الروم. وعمواس: (بفتح العين والميم)،
وتسكن الميم) قرية بالشام عرف الطاعون بها لأنه منها بدأ ثم فشا في أرض الشام والعراق،
ومكث شهراً ومات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة وغيرهم، وكان في عهد عمر سنة ثمان
عشرة للهجرة، قيل نشأ من كثرة قتلى الروم الذين تركوا في ميادين القتال من غير أن يدفنوا
لانهمز جيوشهم وبقاء جثثهم، أما المسلمون فقد دفنوا موتاهم. [حياة عمر بن الخطاب لمحمد رضا].

بن قيس الأشعري فولدت له موسى.

وأما عبيد الله - ويكنى أبا محمد - فقد روى عن النبي ﷺ وسمع منه وحفظ، واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن وأمره على الموسم وحج بالناس سنتي ست وثلاثين وسبع وثلاثين. وكان من الأجداد المشهورين في العصر الإسلامي الأول؛ فقد قيل: أجداد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عبيد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسعيد بن العاص. ولعبيد الله في الجود حكايات نادرة وفيه يقول بعض الشعراء من أبيات:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة إذا الخُلُ من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة وغيثا ونورا للخلائق أجمعا

وتوفي سنة ثمان وخمسين ودفن بالمدينة، وانقطع عقبه رضي الله عنه.

وأما عبد الرحمن فقد ولد على عهد رسول الله ﷺ، واستشهد بإفريقية عن غير عقب. وأما قثم فقد كان شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ممدحا، وقد حضر مع أخيه الفضل غسل النبي ﷺ، وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه آخر من خرج من قبره وقد ولاه علي بن أبي طالب على مكة، وقتل بسمرقند وكان قد خرج إليها غازيا في خلافة معاوية مع سعيد بن عثمان بن عفان.

وأما معبد - ويكنى أبا العباس - فقد ولد على عهد رسول الله ﷺ، وانقطع عقبه - أيضا - وتوفي بإفريقية في خلافة عثمان، وقيل في عهد معاوية. وفي تاريخ الخلفاء: لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبرا من الرشيد والمأمون: مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها. ومات المأمون بالبيدون من أقصى الروم، ونقل إلى طرسوس ودفن بها. وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد، ولم ير الناس مثلهم: فقبر عبد الله بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، والفضل

بالشام، وقثم بسمرقند، ومعبد بإفريقية.

وأما الحارث وعون وكثير وتمام: فقد أدركوا النبي ﷺ فكانت لهم رؤية، ولم يصح سماعهم لصغر أسنانهم. أما كثير فقد كان فقيها فاضلا ومات بالمدينة في خلافة عبد الملك عن غير عقب. وأما تمام فقد ولي المدينة في خلافة علي بن أبي طالب ولا عقب له.

أما أم حبيب بنت العباس فقد روي أن النبي ﷺ رآها تدب بين يديه وهي طفلة فقال: "إن بلغت هذه وأنا حي تزوجتها"⁽¹⁾ فقبض صلى الله عليه وسلم قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، كما في الزبيري⁽²⁾.

وأما صفية فتزوجها عبد الله بن أبي مسروح من بني سعد بن بكر فولدت له محمد بن عبد الله. وأما آمنة فتزوجها العباس بن عتبة بن أبي لهب فولدت له الشاعر: الفضل الذي مر ذكره.

ثم قال رحمه الله:

وَانْقَرَضُوا غَيْرَ الْمَنِيبِ الْبَاكِي لَصُلْبِهِ النَّدْبِ أَبِي الْأَمْلاكِ
وَهُوَ الْمَنِيبُ تُرْجَمَانُ الذِّكْرِ حَبْرُ الْخَلَائِقِ الرَّفِيعِ الذِّكْرِ
رَوَى عَلَى صِغَرِ سِنِّ أَلْفَا وَجَلَّهَا وَالْعِلْمَ نَالَ قَطْفًا

(1) رواه ابن عبد البر، كما في الإصابة: 4/ 442، وابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة: 6/ 313.

(2) وفي الروض الأنف: تزوجها سفيان بن الأسود بن عبد الأسد المخزومي فولدت له: رزقا وليابة، وسفيان بن عبد الأسد هذا قيل بصحبته، وقد هاجر بنوه إلى الحبشة منهم: عمرو وهبار وصحب عبد الله والأسود ابنا سفيان بن عبد الأسد - [شرح الشيخ حماد].

أَيَّامُهُ مَا بَيْنَ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْخَوْضِ فِي أَشْعَارِهَا وَهُوَ الْأَدَبُ
وَلِتَدْبُرِ كِتَابِ اللَّهِ وَلِتَتَفَقَّهُهُ وَالْإِنْتِبَاهِ
وَالْمُكْثَرُونَ غَيْرُهُ مِنَ الْخَبَرِ عَائِشَةُ وَجَابِرُ وَابْنُ عُمَرَ
وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ وَالسَّادِي أَبُو هُرَيْرَةَ حُلِيُّ النَّادِي

الضمير في انقرضوا عائد على بني العباس المذكورين في قوله: وقال مجملًا بنيه المتقدم. والمنيب: التائب لله تعالى. والباكي أي من خشيته، والمراد به عبد الله بن عباس، وفيه إقامة الصفة مقام الموصوف، وقد روي أنه رضي الله عنه أثر الدمع في خديه لكثرة بكائه من خشية الله فلذا وصفه بالمنيب وبالباكي. وقوله لصلبه صفة للمنيب الذي هو عبد الله، والضمير فيه عائد على العباس. والندب: الذي يسرع للمكارم. والترجمان: المفسر للسان. والذكر (بالكسر): القرآن الكريم. والحبر: العالم. والذكر - الأخير -: الصيت. وفاعل روى ونال ضمير مستتر عائد على المنيب. وقوله والعلم (بالنصب) مفعول به مقدم لنال. وقطفا (بفتح القاف) مصدر معنوي لنال، والقطف القطع؛ يعني أنه قطف العلم قطفًا أي جناه من رسول الله ﷺ ومن غيره كما تجنى الثمار من الأشجار. والضمير في أيامه عائد على المنيب أيضًا، وأيام العرب وقائعها في حروبها ومجادلاتها، مثل يوم حليمة الذي قيل فيه: ما يوم حليمة بسر ويوم الكلاب، ويوم بعثت وغيرها. والأدب: العلوم والمعارف عموماً أو المستظرف منها فقط. والانتباه: التفطن والتعقل أو عدم الغفلة عن الله تعالى. وقوله والسادي: مبتدأ وهو لغة في السادس كالحامي لغة في الخامس والثالي لغة في الثالث، قال الشاعر:

عمر و كعب وعبد الله بينهما وابناها خمسة والحارث السادي

وقال:

مضت ثلاث سنين منذ حُلَّ بها وعامٌ حُلَّتْ وهذا التابع الخامي

وقال:

يفديك يا زرع أبي وخالي قد مر يومان وهذا الثاني

وأنت بالهجران لا تبالي

وقوله أبو هريرة: خبر السادي. وحلي (بضم المهملة وكسر اللام): ما يتحلى به وهو صفة لأبي هريرة. والنادي: الجماعة.

يعني أن نسل العباس بن عبد المطلب انقرض إلا من ابنه لصلبه عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وحرر الأمة. وسيوضح ما تشير إليه الأبيات من خلال هذه الترجمة الموجزة عن ابن عباس.

ترجمة عبد الله بن عباس

وابن عباس هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي الصحابي الجليل ابن الصحابي الجليل وابن عم رسول الله ﷺ وأحد العبادلة المشهورين، أمه أم الفضل بنت الحارث الهلالية، ولد بمكة وبنو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين؛ دعا له النبي ﷺ فبورك له، وروي عنه أنه قال: وضع النبي ﷺ يده على كتفي أو منكبي ثم قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»⁽¹⁾ وقال: «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن»⁽²⁾، وقال: «اللهم زده علما وفقها»⁽³⁾؛ وكان رضي الله عنه قد لازم النبي ﷺ فكان يُعد له ماء

(1) أخرجه أحمد في المسند.

(2) وفي رواية: وتأويل الكتاب. أخرجه ابن ماجه، والظاهر أن الحكمة هنا يراد بها السنة لأنها قرنت بالكتاب، قال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

(3) أخرجه أحمد.

وضوئه إذا أراد أن يتوضأ ويصلي خلفه إذا وقف للصلاة، ويكون رديفه إذا عزم على السفر، وهو في كل ذلك يحمل بين جنبه قلبا واعيا وذهنا صافيا، وقد روي عنه أنه قال: هم رسول الله ﷺ بالوضوء مرة فما أسرع أن أعددت له الماء فسر بما صنعت، فلما هم بالصلاة أشار إلي أن أقف بازائه فوقفت خلفه فلما انتهت الصلاة مال علي وقال: «ما منعك أن تكون بازائي»؟ فقلت: أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازيك يا رسول الله فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم آتاه الحكمة»⁽¹⁾. وقد استجاب الله دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فيه.

وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة. وقد حرص رضي الله عنه على تحصيل العلم وجد واجتهد وبجل العلماء وتواضع لهم على جلاله قدره، فقد روي عنه أنه قال: قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال لي: واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك؟! قال: فترك الأنصاري ذلك وأقبلت أسأل ولقد كان يبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي علي الريحُ الترابَ فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله! ما جاء بك هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث. فعاش الأنصاري حتى رأني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني. وعنه أيضا قال: وجدت علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار وكنت أقيـل عند باب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لكن أبتغي بذلك طيب نفسه. وبهذا أدرك ابن عباس رضي الله عنه ما كان يصبو إليه وتصدر في العلوم وتبحر فيها حتى أصبح يدعى بحجر الأمة

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

وبحر العلم وترجمان القرآن. ففي النووي عن عبيد الله بن عتبة قال: ما رأيت أحدا أعلم من ابن عباس بما سمعه من حديث رسول الله ﷺ وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا أفقه منه ولا أعلم بتفسير القرآن وبالعربية والشعر والحساب والفرائض.

وكان يجلس يوما للتأويل ويوما للفقهِ ويوما للمغازي ويوما للشعر ويوما لأيام العرب، ولا رأيت عالما جلس إليه قط إلا خضع له ولا سائلا يسأله إلا وجد عنده علما. وفي الاستيعاب عن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتون لأيام العرب ووقائعها، وناس يأتون للعلم والفقهِ ما منهم صنّف إلا يقبل عليه بما شاء. وسئل ابن عمر عن آية فقال للسائل انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ. وعن هشام بن عروة قال: سألت أبي عن ابن عباس فقال: ما رأيت مثل ابن عباس قط. وعن عطاء أيضا قال: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقها وأعظم خشية، إن أصحاب الفقهِ عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع. وعن أبي نجیح: ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وإنه لخير هذه الأمة، وكان يسمى البحر لكثرة علمه. وعن أبي وائل قال: قرأ ابن عباس سورة النور فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت الديلم هذا لأسلمت، وعنه أيضا قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والتك لأسلمت. وقال مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين - كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فإذا تكلم قلت أفصح الناس وإذا تحدث قلت أعلم الناس.

وفي ابن عباس يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كل أحواله فضلا

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا⁽¹⁾
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة⁽²⁾ في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغلا⁽³⁾
خلقت خليقا للمروءة والندى فليجا ولم تخلق كهاما ولا خبلا⁽⁴⁾

ونظر إليه معاوية يوما وهو يتكلم فأتبعه بصره وقال متمثلا:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر⁽⁵⁾
يصرف بالقول اللسان إذا انتحي وينظر في أعطافه نظر الصقر⁽⁶⁾

وروي عن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس: الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. وعن عبيد الله بن عبد الله قال: ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجل رأيا ولا أثقب نظرا من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاده ونظره للمسلمين.

وكان عمر وعثمان يدعوانه ليشير عليهما مع أهل الشورى من أهل بدر وأكابر الصحابة، وكان عمر يحبه ويدينه ويقول فيه: ابن عباس فتى الكهول له لسان سؤال وقلب عقول. وقال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته. وقال فيه مجاهد: ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل قال رسول الله ﷺ؛ وقال القاسم بن محمد: ما رأيت

(1) الملتقطات: المتخيرات من الكلام، لا ترى بينها فصلا: يعني أن كلامه بليغ لا حشو فيه.

(2) إربة: أي حاجة.

(3) الوغل: السافل النذل.

(4) الفليج: المظفر الفاتز، والكهام (كسحاب) العيي البطيء لا غناء عنده، والخبل الفاسد العقل والمجنون.

(5) الهجر (بضم فسكون): القبيح من الكلام والإفحاش في النطق.

(6) الصقر (بفتح المهملة): البازي الحديد النظر.

في مجلس ابن عباس باطلا، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه، وكان أصحابه يسمونه بالبحر والخير.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «نعم ترجمان القرآن أنت»⁽¹⁾ وقال فيه ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشه منا أحد. وكان رضي الله عنه آية في الحفظ، روي أنه أنشده عمر بن أبي ربيعة المخزومي قصيدته التي مطلعها:

أمن آل نعيم أنت غادٍ فمبكرُ غداة غدٍ أم رانح فمهجرُ .. الخ.

فحفظها في مرة واحدة وهي نحو من ثمانين بيتا.

وقد أخرج ابن الزبير من مكة إلى الطائف. وروي أن سبب ذلك أن عبد الله بن صفوان بن أمية مر يوما بدار عبد الله بن عباس بمكة فرأى فيها جماعة من طلاب الفقه ومر بدار عبيد الله بن عباس فرأى جماعة يتتابونها للطعام فدخل على ابن الزبير فقال له أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة لم نيك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين اخرجنا عني أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق وإلا فعلت وفعلت.. فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان: رجل يطلب فقها ورجل يطلب فضلا فأبي هذين تمنع؟ وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني فجعل يقول:

(1) أخرجه البيهقي كما في الإصابة، وابن سعد في طبقاته، كما في فتح الباري: 8 / 709.

لا در در⁽¹⁾ الليلي كيف تضحكنا
ومثل ما تحدث الأيام من عبر
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا
ولا يزال عبيد الله مزعة
فالبر والدين والدنيا بدارهما
إن النبي هو النور الذي كشفت
ورطه عصبية في ديننا فم
فقيم تمنعنا منهم وتمنعهم
ولست - فاعلم - بأولاهم به رحا
لن يؤتي الله إنسانا يبغضهم
منها خطوب أعاجيب وتبكيها
في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
فقها ويكسبنا أجرا ويهدينا
جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
ننال منها الذي نبغي إذا شينا
به عمايات ماضيـنا وياقينا
فضل علينا وحق واجب فينا
منا وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
يا ابن الزبير ولا أولى به دينا
في الدين عزا ولا في الأرض تمكينا

ولم يزل ابن عباس في الطائف حتى توفي سنة ثمان وستين عن نيف وسبعين
سنة، ودفن به؛ وصلى عليه محمد بن الحنفية. وقبره معروف يزار.
ومناقبه وخصاله رضي الله عنه لا تحصى. وفيه يقول عبد الله بن أبي بن أبي
زيد الهلالي من أخواله:

ونحن ولدنا الفضل والحبر بعده عنت أبا العباس ذا الفضل والندی
وله من الولد: العباس، وبه يكنى، ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله
وعلي السجاد ولبابة وأسماء، أمهم زرة بنت مشرر الكندية.
وقد قيل إنه انقطع عقبه إلا من علي، وهو أصغر بنيه؛ فهو الذي فيه العقب
والعدد وهو أبو الخلفاء العباسيين.
وكان عبد الله بن عباس من المكثرين في رواية الحديث، فقد روي له ألف

(1) الدر العمل ومنه لله دره ولا در دره أي لا زكا عمله.

حديث وستمائة وستون حديثاً؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: روى على صغر سن ألفاً وجلّها.. وقد اتفق الشيخان منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بثمانية وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. ولما كان رضي الله عنه أحد المكثرين عن رسول الله ﷺ استطرد الناظم ذكر بقية المكثرين غيره المشهورين بذلك فقال: والمكثرون غيره من الخبر.. إلخ.

وستأتي تراجم هؤلاء - إن شاء الله - عند ذكر كل واحد منهم في النظم.

أما أمنا عائشة الصديقة زوج النبي ﷺ المرأة من خالق البرية، التي توفيت سنة ثمان وخمسين، فقد رويت لها ألفاً حديث ومائتان وعشرة أحاديث، اتفق الشيخان منها على مائتين وسبعة وتسعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وتسعين، رضي الله عنها.

وأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي آخر من مات من الصحابة بالمدينة⁽¹⁾ سنة ثمان وسبعين، فقد رويت له ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً، اتفق الشيخان منها على ثمانية وخمسين، وانفرد البخاري بستة وعشرين، ومسلم بمائة وستة وعشرين.

وأما عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما المتوفى سنة أربع وثمانين، فقد رويت له ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً، اتفق الشيخان منها على مائتين وثمانين، وانفرد البخاري بواحد وثمانين، ومسلم بواحد وثلاثين.

وأما أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري - آخر الصحابة موتاً بالبصرة سنة تسعين - فقد رويت له ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثاً، اتفق الشيخان منها

(1) أي من أهل العقبة - قاله في أسد الغابة.

على ثمانية وستين ومائة، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين، ومسلم بواحد وسبعين.
وأما أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي - المتوفي سنة ثمان وخمسين - فقد
رويت له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا ، اتفق الشيخان منها
على ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة
وتسعين.

وزاد بعضهم في الكثيرين أبا سعيد الخدري: رويت له ألف ومائة وسبعون،
وعبد الله بن مسعود: رويت له ثمانمائة وثمانية وأربعون، وعبد الله بن عمرو بن
العاص: رويت له سبعمائة حديث.

وقد نظمهم الجلال السيوطي في الفيته في مصطلح الحديث فقال:

والمكثرون في رواية الأثر أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنس والبحر كالخدري وجابر وزوجة النبي

[صلى الله عليه وسلم]

تنبيه: كان للعباس بن عبد المطلب هذا شقيق اسمه ضرار بن عبد المطلب أمه
نتيلة بنت جناب، كان من فتيان قريش جمالا وسخاء، مات أيام نزول الوحي
على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم ولم يعقب.

أبو طالب (عم النبي ﷺ)

ولما فرغ الناظم من ذكر آل العباس شرع في ذكر أبي طالب بن عبد المطلب،
وبنيه وعقبهم، فقال رحمه الله:

وَكَا فِ لُ النَّبِيِّ مِنْهُ الشَّرْفَا وَالْعِزُّ وَالذِّكْرُ الْجَمِيلَ اقْتَطَفَا

كافل مبتدأ خبره جملة اقتطف. ومنه متعلق باقتطف، والضمير فيه عائذ على النبي ﷺ. والشرف مفعول به مقدم لاقتطف أيضا. والعز والذكر الجميل معطوفان على الشرف. والكافل: العائل، كفل فلانا: عاله وقام بأمره. والشرف: العلو. والعز: الغلبة والحمية والأنفة. والذكر الجميل: الصيت الحسن. واقتطف الشيء: التقطه.

يعني أن من بني هاشم ثم من أعمامه صلى الله عليه وسلم أبا طالب الذي كفله بعد جده عبد المطلب ونصره وآزره بعد الرسالة، فنال بذلك العز والصيت الحسن في الدنيا على أخيه أبي لهب وأضرابه، ونال أيضا تخفيف العذاب عنه في الآخرة بشفاعته صلى الله عليه وسلم فكان أهون أهل النار عذابا. وأبو طالب اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية. ولد أبو طالب بمكة ونشأ بها وكان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم وتجارهم، وكان من الخطباء العقلاء الأباة وورث قسطا كبيرا من سيادة أبيه عبد المطلب على قريش، فكان من ساداتهم في الجاهلية؛ ويقال لم يسد فقير إلا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم فإنهما سادا بغير مال.

ولكون أبي طالب شقيق عبد الله، والد رسول ﷺ، أوصاه والده عبد المطلب عند وفاته على كفالة رسول الله ﷺ فكان من حسن كفالته له ما هو معروف ومشهور. ولقد كان من أمر هذه الكفالة والنصرة التي أشار إليها الناظم أنه صلى الله عليه وسلم مكث مع حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية⁽¹⁾ سنتين في بلاد أهلها بني

(1) اسم أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سحنة بن جابر بن ناحرة بن قُصية بن نصر بن سعد بن بكر السعدي، وقد أسلمت حليلة هذه وأسلم زوجها وأسلمت بنتها الشيماء يوم حنين وأعطاهما النبي ﷺ جارية وغلاما اسمه مكحول فزوجت أحدهما من الآخر فلم تزل فيهم من نسلهما بقية.

سعد بن بكر ترضعه وتتعرف منه الزيادة والخير ثم فصلته وقدمت به على أمه آمنة بمكة المكرمة، فكان رسول الله ﷺ بها مع أمه آمنة وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، فلما بلغ أربع سنين توفيت أمه آمنة؛ فكان في كفالة جده عبد المطلب يلازمه ويجلسه معه على فراشه في ظل الكعبة المشرفة ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع حتى بلغ ثمانين سنين، فعند ذلك حضرت عبد المطلب الوفاة، ولما عرف أنه ميت أوصى به عمه أبا طالب وقال له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد

مات أبوه وهو طفل المهد

فكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب في كفالة عمه أبي طالب وقد كان شاركه فيها أولا أخوه شقيقه الزبير بن عبد المطلب، ثم استقل أبو طالب بها وقام بها على أحسن حال حتى بلغ وتم، ثم نصره بعد المبعث ودافع عنه. وكان أبو طالب يحب رسول الله ﷺ حبا شديدا، فكان أحب إليه من أولاده، لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج لا يفارقه. وكان أبو طالب فقيرا فأراد مرة أن يخرج في ركب تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير لزمه رسول الله ﷺ وتعلق به فرق له وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا فخرج به معه وكان إذ ذاك ابن تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة، ولكنه عاد به سريعا إلى مكة حين فرغ من تجارته في الشام خوفا عليه من اليهود وحذرا منهم ولم يخرج به بعد ذلك.

وهكذا شب رسول الله ﷺ في كفالة عمه أبي طالب والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد الله به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأرفعهم حسبا وأكرمهم حوارا وأرحمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي

فأحسن تأديبي»⁽¹⁾.

سفره ﷺ في تجارة خديجة وزواجه بها

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل معيل لا مال لي وقد اشتد الزمان وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجلا من قومك في تجارتها وتضاربهم بشيء تجعله لهم فلو ذهبت إليها وكلمتها في ذلك لعلها تقبل. فبلغ ذلك خديجة فأرسلت إلى رسول الله ﷺ في ذلك وقالت أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك، فقبل صلى الله عليه وسلم، وبعثت معه غلامها ميسرة؛ وانطلقوا إلى الشام ثم باع رسول الله ﷺ وربح ضعف ما كانوا يربحون ورجع إلى مكة، فسُرت خديجة بما ربحوا وأضعفت له ما كانت سمته له من قبل. وأخبرها ميسرة بما رأى من رسول الله ﷺ كإظلال الغمام له وغير ذلك، وكانت امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وكانت يومئذ أفضل نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا، وكان قومها حريصين على نكاحها؛ فدعت رسول الله ﷺ للزواج بها [وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكىاء!] فقبل صلى الله عليه وسلم وحضر زواجه بها عمه أبو طالب ورؤساء مضر فتزوجها رسول الله ﷺ وهو في السادسة والعشرين من عمره.

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ونزل عليه الوحي فتحمل منه ما حملة على رضا العباد وسخطهم، ومضى على أمر الله مستعدا لما يلقي من قومه من الخلاف والأذى؛ فأمنت به خديجة بنت خويلد فكانت له رداء وعرضا فكانت تصدقه وتثبته وتخفف وتهون

(1) في الجامع الصغير: 1 / 25.

عليه أمر الناس. وآمن به علي بن أبي طالب. ثم إن أبا طالب عثر عليهما معا وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أئبنا إبراهيم بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أأق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأأق من أأابني إليه وأعانني عليه» - أو كما قال (1) - فقال أبو طالب: أي ابن أخي إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت، ثم قال لعلي: أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به فقال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه.

رسالته ﷺ ومناهضة قومه إياه ودفاع عمه عنه

فلما صدع رسول الله ﷺ بما أمر به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آهتهم وعابها فعند ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام وقليل ما هم. فعند ذلك حذب (2) عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه؛ فلما رأَت قريش من رسول الله ﷺ التمادي في ذلك مشت جماعة من أشرفهم إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك سب آهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم قولوا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه. فازداد الأمر وكثر حتى تباعد الرجال وتضاعفوا، ثم

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

(2) أصل الحذب الخناء في الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما قال النابغة:

حذبت علي بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم وإن مظلوما

مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وإنا والله لا نصر على هذا فيما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا؛ فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، فكلمه أبو طالب فيما جاءوه به فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته فقال: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعير وبكى وقام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب وقال له: أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

ثم قام أبو طالب وجمع بني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم ودعاهم إلى حماية رسول الله ﷺ من قريش ومن أراد قتله فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية وعصبية⁽¹⁾ على عادة الجاهلية فأدخلوه في شعبهم ومنعوه؛ فعند ذلك كتبت قريش صحيفة المقاطعة وأقاموا على ذلك أكثر من سنتين وتنازوا القوم وبادى بعضهم بعضا. وفي ذلك يقول أبو طالب قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

ولما رأيتُ القوم لا ود فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالقوا قوماً علينا أظنة ⁽²⁾	يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرتُ لهم نفسي بسمرء سمحة	وأبيض غضب من تراث الماقل ⁽³⁾

(1) العصبية: شدة ارتباط المرء بعُصْبَتِهِ أو جماعته ونصرتها في الحق والباطل.

(2) أظنة: جمع ظنين وهو المتهم.

(3) سمرء سمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها، والغضب: القاطع، والماقل: أراد بهم السادات، وأصله الذي يسمع قوله ويطاع ولقب به من يخلف الملك عند حمير.

إلى أن يقول:

كذبتهم وبيت الله نُبِزَى محمدا
ونسلمه حتى نصـرع حوله
وما ترك قوم - لا أبا لك - سيـدا
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ولما نطاعن دونه وناضل⁽¹⁾
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل⁽²⁾
ثمّال اليتامى عصمة للأرامـل

إلى أن يقول:

فأصبح فينا أحمد في أرومة
حدبت بنفسي دونه وجميته
فأئـده ربُّ العبادِ بنصره
وأظهر ديناً حقّه غير باطل
تُقَصِّرُ عنه سورة المتطاول⁽³⁾
ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
وأظهر ديناً حقّه غير باطل

ومن شعره في ذلك قصيدته التي يقول فيها:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غصاصة
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه
لولا الملاممة أو حذار مسبة
حتى أوسد في التراب دينا
وابشر بذاك وقر منك عيوننا
فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
من خير أديان البرية دينا
لوجدتني سمحا بذاك يقينا .. الخ.

وصية أبي طالب لقريش

ولم يزل أبو طالب ينصر النبي ﷺ ويذب عنه إلى أن مات؛ ولما حضرته الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم وقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه

(1) نبزى: أي تغلب عليه ونسلبه. وناضل: أي نرامي بالسهام.

(2) الذمار ما يلزمك أن تحميه. وذرب: فاسد. ومواكل: يتكل على غيره.

(3) الأرومة: الأصل. والسورة يضم السين: المنزلة، وبفتحتها: الشدة والبطش.

وقلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية⁽¹⁾ فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلتها منسأة للأجل وزيادة في العدد وإياكم والبغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل، فإن في ذلك شرف الحياة والمات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام، وأوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصدیق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن.. وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر⁽²⁾ والاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت⁽³⁾، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا، قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها؛ دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاية ولحزبه حماة، والله لا يسلك منكم أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودافعت عنه الدواهي⁽⁴⁾.. إلى آخر وصيته.

ولما قرب موت أبي طالب جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده عبد الله بن أبي

(1) البنية كغنية: الكعبة لشرفها.

(2) صعاليك العرب: لصوصهم وفقراؤهم جمع صعلوك (بوزن عصفور)، وأهل الوبر: أهل البدو.

(3) غمرات الموت: مكارهه وشدائده.

(4) الهزاهز: الفتن والحروب التي تهز الناس، والدواهي: جمع داهية وهي الأمر العظيم.

أمية وأبا جهل فقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد بها لك عند الله»⁽¹⁾ فقال له أبو جهل: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! ولم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة»، وفي رواية: «أحاج لك بها عند الله»⁽²⁾ وأبو جهل يقول له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ على ذلك قال له: "يا ابن أخي والله لولا مخافة قريش يقولون إني إنما قتلتها جزعا من الموت لقتلتها"، ثم قال: لقد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت. ولما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه ثم قال يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها، ولم يكن العباس حينئذ مسلما، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أسمع»⁽³⁾.

ولما مات أبو طالب جاء ابنه علي بخبر رسول الله ﷺ بموته فبكى وقال له: «اذهب فواره»⁽⁴⁾، وروي أنه اعترض جنازته وقال: «وصلتك رحم وجزاك الله خيرا يا عم»⁽⁵⁾ ثم قال: «لأستغفرن لك ما لم أنه»⁽⁶⁾. فمكث أياما يستغفر له حتى نزل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد.

(2) أخرجه الإمام أحمد.

(3) قاله ابن إسحاق، سيرة ابن هشام: 77 / 2.

(4) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

(5) حديث وصلتك رحم.. إلخ، رواه ابن المبارك عن صفوان بن عمرو، كما في الإصابة: 116 / 4.

(6) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(7) التوبة الآية: 113.

وكانت وفاة أبي طالب في العام العاشر بعد المبعث، وكانت أمنا خديجة بنت خويلد قد توفيت قبله بيسير فسمي ذلك العام عام الحزن، لأنهما كانا خير عون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت خديجة له وزير صدقٍ على الإسلام وأبو طالب له عضداً وناصراً، وقد روي أن العباس سأل رسول الله ﷺ فقال له: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»⁽¹⁾.

وروي أنهم قالوا: يا رسول الله هل تنفع أبا طالب نصرته؟ قال: «نعم، دفع عنه بذلك الغل ولم يقرن مع الشياطين ولم يدخل في جُبِّ الحيات والعقارب إنما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه في رأسه وذلك أهون أهل النار عذاباً»⁽²⁾. وإلى ما ذكر أشار الناظم بقوله: منه الشرفا والعز والذكر الجميل اقتطفا.

وفي أبي طالب نزل قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽³⁾، وقوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

(1) متفق عليه، وفي مسند أحمد عن العباس أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من النار لولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار».

(2) فإن قيل أعمال الكفرة لا فائدة فيها لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة حين سألت عما كان يفعل ابن جدعان في الجاهلية من إطعام المساكين وصلة الأرحام هل ذلك نافع؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».. وغير ذلك من الآيات والأحاديث المصرحة بعدم نفع أعمال الكفار لهم، أجيبت بأن هذا النفع الذي يقع لأبي طالب: من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصائصه، كما في فتح المعتم على زاد المسلم.

(3) الأنعام الآية: 26.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾.

وترك أبو طالب أربعة أبناء وبنيتين، وهم طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة، أمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم بنت عم أبي طالب، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا.

أما طالب فهو أسنهم وبه كني أبوه ولم يسلم وقد فقد قبيل وقعة بدر؛ وسبب ذلك أنه كان في بني هاشم الذين خرجوا مع قريش إلى بدر فوقعت بينه وبين بعض قريش محاورة، فقالت قريش: والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد، فغضب طالب ورجع إلى مكة وقال:

لاهمُّ إما يفزون طالب في عصبة محالف محارب
في مقنب⁽²⁾ من هذه المقانب فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

ولما رجع طالب هام على وجهه فلم يسمع له خير ولم ير له أثر، وأسلم الباقون من بني أبي طالب جميعا وصحبوا رسول الله ﷺ. أما عقيل وجعفر وعلي فسيأتي ذكرهم.

وأما أم هانئ واسمها فاخنة — وقيل هند — فأسلمت يوم الفتح ودخل عليها رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن أصهارا لي قد لجأوا إلي وإن علي بن أبي

(1) القصص الآية: 56.

(2) لاهم: أصله اللهم، والعصبة من الرجال والخيل ما بين العشرة والأربعين، والمقنب كمنبر واحد المقانب: جماعة الخيل تجتمع للغارة ويقال قنبا وتقنبا نحو العدو إذا تجمعوا وصاروا مقنبا، قال كعب بن زهير:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار

طالب لا تأخذه في الله لومة لائم وإني أخاف أن يعلم بهم فيقتلهم فاجعل من دخل دار أم هانئ آمنا حتى يسمع كلام الله، فأمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أجرنا من أجزت يا أم هانئ»⁽¹⁾، وفي رواية أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة وأخبرته أنها دخل عليها رجلان من أحمائها من بني مخزوم وأن عليا أراد قتلها فأغلقت عليهما بابها، فقال لها رسول الله ﷺ: «مرحبا وأهلا بأم هانئ» وقال: «قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ وأمنا من أمنت»⁽²⁾ فلا يقتلنهما».

وكانت أم هانئ هذه قد تزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي وولدت له بنيه هانئا - وبه كنية - ويوسف ابني هبيرة وأخاهما جعدة بن هبيرة الذي يقول:

أبي من بني مخزومٍ إن كنت جاهلا ومن هاشم أمسي خير قبيل
فمن ذا الذي ييأى عليّ بخاله كخالي عليّ ذي الندى وعقيل

وقد مر ذكرهم في بني مخزوم، وكان زوجها هبيرة قد هرب إلى نجران لما فتح رسول الله ﷺ مكة، وقال معتذرا من فراره:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا وأصحابه جينا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيقة موقفي رجعت لعود كاهزبر أبي الشبل⁽³⁾

ولم يزل هبيرة هذا بنجران إلى أن مات على شركه.

(1) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(2) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(3) الهزبر: الأسد. والشبل: ولده.

وأما **جمانة** فتزوجها ابن عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وولدت له ابنيه الصحابين، جعفرا وعبد الله وأسلمت هي أيضا وصحبت.

أما **أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف** فأسلمت أيضا وصحبت وهاجرت وكانت خير أم لرسول الله ﷺ وتوفيت بالمدينة سنة أربع وشهدها النبي ﷺ ونزع قميصه وألبسها إياه وصلى عليها وتولى دفنها واضطجع في قبرها، فسئل عن ذلك فقال: «ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها لأخفف عنها ضغطة القبر إنها كانت أحسن خلق الله صنعا بي بعد أبي طالب»، ثم بكى وقال: «جزاك الله من أم خير لقد كنت خير أم»⁽¹⁾، وقد انقرض عقب أسد بن هاشم إلا من فاطمة هذه.

أعمام النبي ﷺ

تنبيه: كان لأبي طالب بن عبد المطلب من الأشقاء عبد الله، والد رسول الله ﷺ، والزيير وعبد كعبة وأم حكيم وعاتكة وبرة وأميمة وأروى.. بنو عبد المطلب أمهم جميعا فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية. أما عبد الله ويلقب بالذبيح فقد ولد بمكة وكان عاشر بني عبد المطلب وأحبهم إليه وكان أبوه قد نذر إن ولد له عشرة أبناء وشبوا في حياته لينحرن أحدهم عند الكعبة، فولد له عشرة فضرب القداح بينهم فخرجت على عبد الله ففداه بمائة من الإبل كما مر عند قول الناظم: **النَّسَبُ الَّذِي عَلَيْهِ اتَّفَقَا ... إلخ،**

وكان عبد الله هذا ذا عفة وسماحة وكان أحسن رجل رئي في قريش وكان أوسط قريش نسبا وأكرمهم حسبا وأجلهم شرفا. ولما بلغ ثمان عشرة سنة تزوجه

(1) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وغيره.

أبوه من آمنة بنت وهب الزهرية فحملت برسول الله ﷺ، وبعد زواجه بها خرج قاصدا الشام في تجارة مع جماعة من قريش فعاد من "غزة" مريضا فمروا في عودتهم بالمدينة فتخلف بها عند أخواله فأقام عندهم مريضا شهرا ولما قدم أصحابه مكة أخبروا أباه عبد المطلب فبعث إليه ابنه الزبير فوجده توفي، وقيل بل حضر وفاته فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فحزن عليه حزنا شديدا، وقيل إن عبد المطلب كان قد بعث عبد الله إلى المدينة يمتار له تمرا فمرض بها ولم يزل بها حتى توفي ودفن في دار النابغة، وقيل بالأبواء⁽¹⁾ بين مكة والمدينة ولم يولد له إلا رسول الله ﷺ وكفى به.

وأما الزبير فهو أسن أشقائه ويكنى أبا الحارث وكان شريفا شاعرا ذا عقل ونظر وكان رئيس بني هاشم وأحد حكام قريش، ومات قبل البعثة عن ابنه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب الذي مر بعض التعريف به⁽²⁾ وقد أسلم وصحب، وللزبير أيضا من البنات أم حكيم وضباعة. وأما عبد كعبة فمات أيضا قبل البعثة ولم يعقب. وأما عماته فقد مر الكلام عليهن. ومن أعمامه صلى الله عليه وسلم الحارث وقثم ابنا عبد المطلب أمهما صفية بنت جندب بن حجير من بني عامر بن صعصعة، ومنهم الغيداق وأمهم ممنعة بنت عمرو بن مالك الخزاعية.

أما الحارث فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كني وشهد معه حفر زمزم ومات في حياة أبيه عن أولاده المشهورين: أبي سفيان ونوفل وربيعة وعبد الله، كلهم صحابة، وقد مر الكلام عليهم أيضا؛ وأما قثم فهلك صغيرا ولم يدرك البعثة. وأما الغيداق فاسمه مصعب وقيل نوفل ولقب الغيداق لجوده، والغيداق في الأصل المطر،

(1) النابغة: رجل من بني عدي بن النجار، والأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. [معجم البلدان].

(2) عند قول الناظم: وللزبير القرم عم المصطفى.. إلخ.

ويقال للجواد الكريم من الرجال؛ وكان الغيداق هذا أكثر قريش مالا ومات قبل البعثة.

هذا وقد اختلف في عدد أعمامه صلى الله عليه وسلم فقليل اثنا عشر وثالث عشرهم عبد الله قال في نزهة الأفكار: وهذا القول هو الأصح وعليه اقتصر العراقي وصدّر به في المواهب. وهؤلاء هم الحارث وقثم والغيداق وأبو لهب والزبير وعبد الكعبة وأبو طالب وعبد الله وحمزة والمقوم والمغيرة والعباس وضرار. وزاد بعضهم: العوام، كما في الزرقاني؛ فيكون جميعهم أربعة عشر. وقيل هم أحد عشر، وعليه فيكون المقوم هو عبد الكعبة، كما في المواهب والمناوي؛ وقيل عشرة وعليه فيسقط منهم الغيداق وحجل، قاله في المواهب. وفي العيون أن ذلك باعتبار أن عبد الكعبة هو المقوم وأن حجلا هو الغيداق، وقيل هم تسعة بإسقاط قثم والغيداق وحجل، ذكره ابن إسحاق وابن قتيبة؛ قاله في نزهة الأفكار على قرّة الأبصار⁽¹⁾.

ذكر أخواله ﷺ

قلت: ولما انتهى الكلام على أعمامه صلى الله عليه وسلم كان من المناسب أن أذكر على سبيل الاستطراد لمحة وجيزة عن أخواله صلى الله عليه وسلم تكميلا للفائدة وجمعا للنظائر للمقابلة بين الأعمام والأخوال، فأقول: أما أخواله صلى الله عليه وسلم فهم الأسود وعمير وعبد يغوث وفريعة بنو وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

أما الأسود وعمير فأسلما وصحبا، قيل ولهما رواية، وروي عن عائشة أن الأسود بن وهب استأذن يوما على رسول الله ﷺ فقال: «يا خال

(1) للعلامة الكبير والمؤلف الشهير: عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي (ت 1337 هـ).

ادخل»⁽¹⁾ فبسط رداءه وقال: «اجلس عليه» قال: حسي، قال: اجلس على ما أنت عليه قال: «إن الخال والد يا خال من أسديّ إليه معروف فلم يشكر فليذكر فإنه إذا ذكر فقد شكر»⁽²⁾. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ لخاله الأسود بن وهب: «ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيرا يعلمهن إياه ثم لا ينسيه أبدا»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي»⁽³⁾ - الحديث.

وأما فريعة بنت وهب فقد أسلمت أيضا وصحبت ورفعها النبي ﷺ بيده وقال: «من أراد أن ينظر إلى خالة رسول الله - ﷺ - فلينظر إلى هذه»⁽⁴⁾. وقد نظم أحوال النبي ﷺ هؤلاء العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي بقوله:

أحواله: الأسودُ مع عمير قد أسلما وصحبا بخير
 كذا فريعةٌ بها المختارُ باهى فقد تم لها الفخارُ
 ومنهم عبدُ يغوثِ الوالدِ لأحدِ المستهزئينِ الأسودِ⁽⁵⁾

والله تعالى أعلم.

ولما كان العدد والشرف من بني أبي طالب في آل السبطين، الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بدأ الناظم بالكلام على ذريتهما بادئا

(1) رواه ابن شاهين كما في الإصابة: 1 / 47، قال: وفي إسناده ضعيف.

(2) قاله في أسد الغابة والإصابة.

(3) رواه ابن الأعرابي في معجمه - الإصابة: 1 / 46.

(4) ذكره أبو موسى في الذيل عن المستغفري، كما في الإصابة.

(5) أشار بمباهاته صلى الله عليه وسلم بها إلى ما روي من أنه رفعها فقال: «من أراد أن ينظر إلى خالة رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذه»، وقوله الأسود (بالرفع): خير مبتدأ محذوف أي وهو الأسود. [نزهة الأفكار].

بالحسن، فقال رحمه الله:

أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَصِنْوِهِ الْحُسَيْنِ، يَا مَنْ يَعْتَنِي
عَبْدُ الْإِلَهِ الْمَحْضُ مِنْهُمَا اجْتَنِي ابْنَ الْمُثَنَّى الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ
وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ اخْتَارَهَا حَلِيلُهَا مِنْ اثْنَتَيْنِ
وَمِثْلُهُ الْبَاقِرُ فِي هَذَا السَّنَنِ فَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ

قوله أول: مبتدأ خبره عبد الإله. والمحض (بالرفع) صفة لعبد الإله، والمحض الخالص من كل شيء، ويكون المحض من ابن عم وابنة عم. وقوله منهما متعلق باجتنى، والضمير فيه عائذ على الحسن والحسين، واجتنى (بالبناء للمفعول): التقط (من اجتنى الثمر: التقطه)، والمراد أنه ولد منهما فهو ثمرتهما. وقوله ابن المثنى (بالرفع) صفة لعبد الإله أيضا. والحسن (بالجر) بدل من المثنى.

يعني أن أول من اجتمعت له بنوة السبطين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب هو عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ثم بين كيفية جمعه لبنوتهما، فقال: ابن المثنى.. إلخ أي فهو عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي؛ فالحسن السبط جده لأبيه والحسين جده لأمه.

عبد الله بن الحسن المثنى (أول من اجتمعت له ولادة السبطين)

والمحض هذا هو أبو محمد عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، لقب بالمحض لأجل بنوته للسبطين رضي الله عنهما ويقال له أيضا - لذلك - "الكامل"؛ وكان يقول: ولدني رسول الله ﷺ مرتين، يشير بذلك إلى أنه اجتمعت له ولادة الحسن والحسين؛ فهو أول مولود جمع بين السبطين في الولادة، وكان جده علي بن

أبي طالب أيضا محضا لأنه جمع بين هاشميين. وكان عبد الله المحض هذا تابعيا جليلا وعالما كبيرا وفاضلا نبيلًا وكان ذا عارضة وهيبة ولسان، وكان شيخ بني هاشم المقدم فيهم وقد انتهى إليه كل حسن، فإذا قيل من أحسن الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثني، وإذا قيل من أفضل الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثني وإذا قيل من أقول الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثني. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبين على السفاح وهو بالأندلس فأعطاه ألف ألف درهم وعاد إلى المدينة، ثم أخذه المنصور وحبسه سنوات من أجل ابنه محمد وإبراهيم ثم نقله إلى الكوفة ولم يزل محبوبا حتى مات هو وأخوه الحسن بن الحسن المثني بمحبتهما بالهاشمية في سجن أبي جعفر المنصور العباسي.

أما أبوه الحسن المثني بن الحسن السبط فقد كان منقطع النظر في العلم والفضل والكرم والعبادة، روي أنه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه، وخرج من ماله مرتين، ولم تُسمع منه كلمة فحش قط؛ روي أنه لم يسمع منه ما ينكرونه عليه بالنسبة لما تعودوا عليه من خلقه إلا قوله مرة عن مخاصمة: ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه. وكان رضي الله عنه جوادا كريما يعطي الشعراء.. ومناقبه لا تحصى.

الحسن بن علي بن أبي طالب

وأما الحسن السبط فهو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة، وأشبهه الناس به وجهها، وأحد سيدي شباب أهل الجنة؛ ولد بالمدينة المنورة منتصف شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه الحسن، وكان يحبه حبا جما ودعا له ولمن أحبه وقال

فيه: «إن ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»⁽¹⁾ وكان رضي الله عنه عاقلاً ورعاً حليماً محباً للخير، وكان فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة، وكان على جانب عظيم من الكرم وسُمُو الأخلاق وهو خامس الخلفاء الراشدين بايعه أهل العراق بالخلافة مقتل أبيه في رمضان سنة أربعين وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه ومكث في الخلافة ستة أشهر. وفي الخير: الخلافة بعدي ثلاثون سنة⁽²⁾، ولم تتم هذه الثلاثون إلا بهذه الأشهر الستة.

ولما بويع رضي الله عنه بالخلافة أشار عليه أهل العراق بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان حتى يأخذ منه الشام فرحف بمن معه وقصده معاوية بجيش عظيم، ولما تقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد، طرأ على الحسن تفكير يجعله يهاب أن يعرض طائفة عظيمة من المسلمين لقتال طائفة أخرى منهم، وعلم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى وأن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال، وقال: إني خشيت أن يجيء يوم القيامة ثمانون ألفاً أو أكثر تنضح أوداجهم دما كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه⁽³⁾، فكتب إلى معاوية يفاوضه في الصلح فقبل معاوية، واشترط عليه الحسن شروطاً قبلها معاوية رضي الله عنهما، منها: أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه. وفرح معاوية وأجابته إلى كل ما

(1) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد.

(2) أخرجه الترمذي وأحمد، وفي رواية: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضواً، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن حبان وغيره من حديث سفيانة - [كما في فتح الباري: 77/ 8].

(3) تنضح: تسيل، والأوداج: جمع ودج وهو: عرق في العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة، ويستعدي الله: يستغيثه ويستنصره، وهريق دمه: أي صب وأصله: أريق.

دعا إليه، فتنازل الحسن عن الخلافة، لا عجزا ولا ضعفا بل ابتغاء وجه الله تعالى وتورعا وقطعا للشر وإطفاء لثائرة الفتنة وحقنا لدماء المسلمين والتماسا لصلاح الأمة، فلم يسئل في أيامه محجمة دم فظهر بذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد...»⁽¹⁾ - الحديث.

فدخل معاوية الكوفة وبايعه الناس واجتمعوا عليه في منتصف جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين، وقيل إحدى وأربعين، فسمي ذلك العام بعام الجماعة لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد.

ثم انصرف الحسن رضي الله عنه بأهله وحشمه⁽²⁾ إلى المدينة فأقام بها إلى أن توفي لخمس ليال خلون من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وقيل خمسين، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان إذ ذاك أميرا على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة؛ ودفن الحسن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما في قبة ومعهما فيها ابن أخيه علي زين العابدين بن الحسين وابنه محمد الباقر وسبطه جعفر الصادق، فكان هؤلاء الخمسة في قبة تعرف بقبة العباس، وكان الحسن قد سأل عائشة في مرضه فأباحت له أن يدفن مع رسول الله ﷺ في بيتها، فلما مات منع من ذلك مروان بن الحكم وبنو أمية وقالوا: منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويدفنون الحسن في بيت عائشة! والله لا يقع ذلك أبدا، فهم القوم بالقتال، فجاء أبو هريرة إلى الحسين وكلمه وناشده ولم يزل به حتى قبل فحمل إلى البقيع.

(1) تقدم تخريجه قريبا.

(2) حشم الرجل (بضم فسكون، وبالتحريك): خاصته الذين يغضبون له أو يغضب لهم من أهل وعبيد أو حيرة، والحشم أيضا: العيال والقرابة.

ولما حضرت الحسن الوفاة أوصى الحسين وقال له: يا أخي إن أباك حين قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر رجاء أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه وولي أبو بكر فلما حضرت أبا بكر الوفاة استشرف له أيضا فصرف عنه إلى عمر، فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع له ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها، فما صفا له شيء منها وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلأعرفن ما استخلفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك. وقد قيل إنه توفي رضي الله عنه مسموما، فقد روي عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه: إني سقيت السم ثلاث مرات فلم أسق مثل هذه المرة، فقال له الحسين يا أخي من تتهم؟ قال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم ، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإلا فما أحب أن يقتل بي بريء ، ثم توفي رحمه الله.

وعقب من الولد: الحسن المثنى وزيدا وعمر والقاسم والحسين وأبا بكر وطلحة وعبد الرحمن وعبد الله ومحمدا وجعفرنا وحمزة وفاطمة؛ وللحسن المثنى وزيد منهم عقب كثير وإليهم نسبة الحسينيين.

قوله : اختارها حليلها من اثنتين، أشار بذلك إلى ما روي من أن الحسن المثنى خطب إلى عمه الحسين بن علي، فقال الحسين: يا ابن أخي طالما انتظرت هذا منك وأخذ بيده وخيره بين ابنتيه سكينه وفاطمة فاختر فاطمة فزوجه إياها وترك سكينه، وكانت أجمل من فاطمة وإنما تركها لينال بها أبوها من الملوك، وتزوجت عدة أزواج أولهم عبد الله بن الحسن بن علي، وهو ابن عمها وأخو زوج أختها، ثم مصعب بن الزبير، ثم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. وكان يقال: إن امرأة تختار على سكينه لمنقطعة النظير؛ وكانت ذات دعاية ومزح. وفي سكينه وأمها الرباب يقول الحسين بن علي رضي الله عنه:

كَانَ اللَّيْلَ مُوَصَّوْلَ بَلِيْلٍ إِذَا زَارَتْ سَكِيْنَةَ وَالرَّبَّابِ⁽¹⁾

وقيل إن الحسن المثنى لما خيره عمه استحيا فقال له عمه: قد اخترت لك فاطمة فهي أكثر شبها بأمي يعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وولدت فاطمة للمثنى عبد الله المحض، والحسن المثلث وإبراهيم؛ وفي المحض منهم الشرف والعدد، فمنه ابنه محمد بن عبد الله القائم بالمدينة وأخوه إبراهيم القائم بالبصرة، وقد قضى عليهما المنصور العباسي فيمن قضى عليه، وإخوتهما يحيى القائم بالديلم في عهد الرشيد وإدريس القائم بالمغرب وسليمان - وقتل بفخ - وموسى، ولكلهم عقب، وعيسى ولأعقب له. وتزوج الحسن المثنى أيضا غير فاطمة هذه بنتي عميه محمد وعمر ابني علي بن أبي طالب في ليلة واحدة، فقال محمد بن علي عند ذلك: هو أعز علينا منهما، فاجتمع عنده بنات أعمامه الثلاثة، وله منهن ومن غيرهن عقب.

وقد انتشر عقب الحسن السبط بن علي من بنيه وبنينهم وتفرقوا في البلاد وقتل منهم العباسيون خلقا كثيرا ونكلوا بهم، حتى روي أن المنصور العباسي دفن بعضهم حيا، وشردوهم؛ فمنهم آل طباطبا بعضهم بالكوفة وبعضهم باليمن، ومنهم آل بني الأخيضر أصحاب اليمامة، ومنهم آل جعفر بن محمد الذين غلبوا على مكة أيام الاخشيدية⁽²⁾، ومنهم آل بني الأشتر ببغداد وغيرها، ومنهم آل محمد بن سليمان الذين انتشروا في الأندلس والمغرب، ومنهم آل إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض جدتهم هو باني فاس المغربية ولهم كثرة وملك في المغرب.

(1) أي زارت قومها وهم بنو عليم بن جناب من كلب ثم من بني كعب بن عليم، واسم سكيينة هذه أمنة، وسكيينة لقب لها، "الروض الأنف".

(2) الاخشيدية: نسبة إلى الاخشيد وهو لقب لكل من حكم فرغانة كما لقب كل من يحكم خوارزم بخوارزم شاه، ومن يحكم مصر بفرعون، وأذربيجان باصفهني، وطبرستان بأرسلان، واليمن بتبع، والحبشة بالنحاشي؛ وقد كانت الدولة الاخشيدية تحكم مصر والشام.

ثم شبه الناظم على بنوة عبد الله المحض للسيطين بنوة محمد الباقر لهما بطريقة معاكسة لبنوة عبد الله المحض لهما، فالحسين بن علي جده لأب والحسن بن علي جده لأم فهو محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي، فقال: ومثله الباقر في هذا السنن، والسنن - بالتحريك - : الطريق.

ثم أخذ الناظم في الكلام على بني الحسين بن علي رضي الله عنهم، فقال رحمه الله:

سِلْسِلَةُ الذَّهَبِ مِنْ ضِئْضِئِهِ وَهُوَ إِذَا أَخَذَتْ فِي لُؤْلُؤِهِ
فَالْحَسَنُ الْخَالِصُ نُجْلُ الْعَسْكَرِيِّ نُجْلٌ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ الْأَزْهَرِ
نُجْلِ الرِّضَا سَلِيلِ مُوسَى الْكَاطِمِ سَلِيلِ جَعْفَرِ سَلِيلِ الصَّارِمِ
مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ عِلْمِ الثَّقَلَيْنِ سَلِيلِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ

السلسلة (بكسر المهملتين): دوائر من حديد ونحوه تتصل حلقاتها بعضها ببعض. والذهب: التبر. والضئضئى (بكسر المعجمتين): الأصل والمعدن. وضمير وهو عائد على سلسلة الذهب، وذكرها لإكتسابها التذكير من المضاف إليه. واللؤلؤ: الدر، والضمير المضاف إليه عائد على سلسلة الذهب أيضا. والخالص: المحض الذي لم يخالطه شيء، وهو صفة للحسن. والعسكري (ببإاء النسب الخفيفة) نسبة إلى مدينة يقال لها "عسكر"، والمراد بالعسكري - هنا - علي بن محمد الجواد. والأزهر: النير الصافي اللون المشرق الوجه، وهو صفة لمحمد الجواد. والرضى: لقب لعلي بن موسى الكاظم. والكاظم: الحابس لغيطه المسك على ما في نفسه منه، ولقب به موسى بن جعفر لحلمه. والصارم: الشجاع الماضي في أمره. وقوله محمد الباقر (بالجر) بدل من الصارم، والباقر صفة لمحمد. وعلم (بالنصب) مفعول به للباقر، ومعناه الجامع للعلم. والثقلين: الإنس والجن.

السلسلة الذهبية من نسل الحسين السبط

ذكر الناظم هنا بعض ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ضمن ما يعرف بالسلسلة الذهبية التي تحتوي على أشرف نسب ينميه أحد على وجه الأرض لشرفه برسول الله ﷺ، وأراد بهذه السلسلة هؤلاء الأعلام المذكورين على نسق عمود النسب المتصل بسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم: الحسن الخالص بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعنا بهم وأرضاهم وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته بمنه وكرمه. آمين.

ثم إن فضائل ومناقب أصحاب هذه السلسلة الذهبية والشجرة الزكية والسلالة النبوية لا تسعها المؤلفات الضخمة ولا التصانيف الفخمة، فأحرى هذه العجالة المتواضعة والبضاعة المزجاة. ولكن لا بد من التعريج عليها، ولو بالمائة سريعة أو إشارة خفيفة لبعض مناقب هؤلاء المذكورين مع التبرك بذكرهم والتطفل على جنابهم؛ فأقول:

أما الحسن الخالص فهو أبو محمد الحسن بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، ولد بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ومائتين، واشتهر بالعسكري مثل أبيه كان على جانب عظيم من الصلاح والعبادة، وكانت له في ذلك حكايات نادرة.

فما يحكى عنه أنه مر به يوماً بعض العباد وهو صبي يبكي، وبجانبه صبيان يلعبون فقال له العابد: أتحب أن أشتري لك ما تلعب به؟ فقال له: ما للعب خلقت، قال: فلماذا خلقت؟ قال: للعلم والعبادة، قال له: من أين لك هذا؟ قال: من قوله

تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽¹⁾ فتعجب العابد منه وقال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟! فقال الحسن: إليك عني إني رأيت أُمِّي توقد النار بالخطب الكبار ولا توقده إلا بالخطب الصغار وإني لأخشى أن أكون من صغار حطب جهنم. وكان الحسن الخالص هذا محببا إلى الخليفة، وكانت صلوات الملك تصل إليه دائما، وقد أقام بداره بمدينة "سر من رأى"⁽²⁾ عزيزا مكرما إلى أن مات بها سنة ستين ومائتين عن عمر يناهز الثلاثين وقبره بجانب أبيه. وخلف الحسن الخالص ابنه محمدا الحجة المكنى بأبي القاسم، أمه أم ولد، ولد "بسر من رأى" في رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو الذي ادعت الرافضة أنه هو المهدي المنتظر.

وأما العسكري فهو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، وقيل أمه أم الفضل بنت المأمون؛ ولد بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين، وكان يعرف بأبي الحسن الثالث، وكان رضي الله عنه فائقا في العلم والسخاء والديانة والصيانة، وكان أحد الأتقياء الصالحاء وعاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، واشتهر بالنسبة إلى مدينة عسكر لأنه أقام بها نحو عشرين سنة، وهي مدينة عظيمة شرقي دجلة بين بغداد وتكرت، وتعرف — أيضا — بسر من رأى، وكان المعتصم قد شرع في بنائها سنة إحدى وعشرين ومائتين ليسكن بها جنوده؛ ولما شرع في بنائها ثقل ذلك على عسكره فلما تم بناؤها انتقل بالجنود إليها، فلما جاءوها سر كل واحد منهم برؤيتها وسكنوا بها،

(1) المؤمنون الآية: 116.

(2) مدينة عراقية غلب عليها الآن اسم "سامراء".

فسميت لذلك بعسكر وبسر من رأى وبسامراء، ولم يزل علي مقيما بها إلى أن توفي رضي الله عنه في جمادى الأخيرة سنة أربع وخمسين ومائتين عن عمر يناهز الأربعين، ودفن في داره بسر من رأى. وقد روي أن عليا العسكري هذا وشي به يوما إلى المتوكل العباسي أنه يطلب الخلافة وأن في منزله كتبا من شيعته تدل على ذلك، فأرسل إليه من جاءه به فلم ير ما يسوءه، فردّه إلى منزله مكرما مبعجلا وقضى عنه ديننا كان عليه.

وأما محمد الجواد فهو أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الهاشمي العلوي، أمه أم ولد اسمها خيزران - وقيل ریحانة، وقيل كانت من أهل مارية القبطية - ولد بالمدينة المنورة في رجب سنة خمس وتسعين ومائة، وكان يعرف بأبي جعفر الثاني لأنه كان موافقا لمحمد الباقر في الاسم والكنية واسم الأب؛ وكان وارث أبيه في العلم والمعرفة والصلاح والكرم والفضل وكمال الخلق والحلم، ولقب بالجواد لكرمه وجوده وبالتقي لتقواه وفضله.

ومما يؤثر عنه أنه جاءه رجل يوما وقال له: أوصني بوصية مختصرة جامعة، فقال له: صن نفسك عن عار العاجلة ونار الآجلة. ومن كلامه: كيف يضيع من الله كافلّه، وكيف ينجو من الله طالبه، ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح.

وكانت لمحمد الجواد عند المأمون مكانة عظيمة، وقد رغب المأمون فيه وقربه وزوجه على صغر سنه من بنته أم الفضل بنت المأمون وسيرهما إلى المدينة المنورة، ثم أرسلت أم الفضل إلى أبيها المأمون تشتكي إليه أن محمد الجواد تسرى عليها، فأرسل إليها: أنا لم أزوجك به لتحرمي عليه حالالا. ثم عاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة مائتين وعشرين عن نحو خمس وعشرين سنة، ودفن في مقابر قريش بالقرب من جده موسى الكاظم.

وأما الرضى فهو أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، ولد بالمدينة المنورة يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة. وكان أشهر إخوته وأنبهم ذكرا وأجلهم قدرا، وكان ذا أخلاق عليية وصفات سنية وكرامات كثيرة ومناقب شهيرة؛ وكان يلقب بالرضى والصابر والزكي.

وقد روي أنه دخل نيسابور مرة وشق وسطها وعليه مظلة لا يرى من ورائها، فتعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي ومحمد بن مسلم الطوسي ومعهما من طلبه الحديث والعلم ما لا يحصى كثرة، وتضرعوا إليه أن يروي لهم حديثا عن آبائه، فاستوقف بغلته وأنصت الناس له، فقال: "حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال: حدثني حبيبي رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة سبحانه قال: لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»⁽¹⁾، فعد أهل المخابر والدوى⁽²⁾ الذين يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا. وكان لعلي الرضا هذا عند المأمون مكانة عظيمة، فأحل له محل مهجته وأشركه في أمره، وفوض إليه سر خلافته وكتب إليه ولاية عهده بيده وأشهد على ذلك، ولكنه رضي الله عنه مات قبل المأمون، وكانت وفاته بطوس (قرية من قرى خراسان) سنة ثمان ومائتين، وقبره في قبلي قبر هارون الرشيد في قبة؛ وخلف أبناء

(1) أخرجه ابن عساكر عن علي كما في الجامع الصغير في حرف الحاء، ورواه الشيرازي عن علي كما في شرح لباب الحديث لأبي عمر.

(2) المخابر: جمع محبرة (بفتح الميم وكسرها ويفتح الموحدة وضمها) وهي الدواة يجعل فيها الحبر وهو المداد يكتب به، والدوى: جمع دواة وهي المحبرة (وعاء المداد).

كان وارثه منهم في علمه ومناقبه محمد الجواد.

ولأبي نواس في علي الرضا هذا:

قيل لي أنت أحسن الناس طرا في فنون من المقال النبيه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى والحصال التي تجمعن فيه؟
قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

وأما موسى الكاظم فهو أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الهاشمي العلوي، أمه بربرية، ولد بالأبواء (بين مكة والمدينة) يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل ولد بالمدينة ولقب بالكاظم لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، وكان رضي الله عنه فائقا في العلم والمعرفة والكمال والفضل، وكان إماما كبير القدر كثير الخير، وكان أعبد أهل زمانه وأسخاهم، فكان يصوم نهاره ويقوم ليله، ويعرف عند أهل العراق بـ"باب قضاء الحوائج عند الله"، وكانت له مناقب حجة وكرامات ظاهرة؛ ويحكى أن الرشيد سأله يوما فقال له: يا موسى لم قلتم إنكم أقرب إلى رسول الله ﷺ منا؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب كرىمك هل كنت تجيئه؟ قال: سبحان الله وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم، قال موسى: فهو لا يخطب إلي ولا أزوجه لأنه والدنا لا والدكم، فلذلك نحن أقرب إليه منكم، ثم قال له: وهل يجوز له أن يدخل على حرمكم؟ فقال: لا، قال موسى: لكنه يدخل على حرمي ويجوز له ذلك، فلذلك نحن أقرب إليه منكم، وسأله الرشيد أيضا: لم قلتم إنكم ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء علي؟ فتلا قول الله تعالى ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴿١﴾ وليس له
 بآب؛ وقال أيضا ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
 أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
 فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾، ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند
 مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين، فكان الحسن والحسين هما
 الأبناء.

هذا وقد كان المهدي قد أقدم موسى الكاظم هذا إلى بغداد ثم رده إلى المدينة
 فأقام بها إلى أيام الرشيد، ثم قدم الرشيد المدينة وحمله معه إلى بغداد وحبسه بها حتى
 توفي في حبسه يوم الخميس لخمس خلون من رجب سنة ثلاث أو ست وثمانين
 ومائة للهجرة، وقيل مات مسموماً بأمر من الرشيد، ودفن بمقابر قريش في بغداد
 وخلف نحو سبعة وعشرين ولداً بين ذكر وأنثى، وكان واريته في جلالته القدر ابنه
 علي الرضا.

ومن عقب موسى الكاظم هذا الشريف الرضي؛ وهو أبو الحسن محمد بن
 الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، ولد ببغداد
 سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وتثقف فيها وتعمق في علوم القرآن وتبحر في علم
 الكلام واللغة والنحو، وانتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه، وأبوه حي، وكان ذا
 هبة وجملة وورع وعفة ومراعاة للأهل والعشيرة، رفيع المترلة لشرف نسبه وعلو
 منصبه، عزيز النفس أبيها، وكان مع محتده الشريف ومفخره المنيف يتحلى بأدب

(1) الأنعام: 84-85.

(2) آل عمران: 61.

ظاهر وفضل باهر وحظ في المجالس وافر، وكان أشعر الطالبين - بل كان يعد من أشعر القرشيين، وكان غيره من شعرائهم إما مجيد مقل، وإما مكثر غير مجيد، أما هو فقد جمع بين الإكثار والإجادة، وترك آثارا منها كتاب نهج البلاغة جمع فيه خطب وحكم ورسائل علي بن أبي طالب فضلا عن ديوان شعر ضخيم، وتوفي رحمه الله في بغداد سنة ست وأربعمائة.

وأما جعفر فهو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين الهاشمي العلوي، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وأمُّ أمِّ فروة هذه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ولذا كان جعفر يقول: ولدني أبو بكر مرتين. وكان مولده بالمدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وكان وصي أبيه وخليفته من بين إخوته، نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره، وكان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدقه، وكان إماما في الحديث وغيره، أوصى ابنه موسى الكاظم فقال له: يا بني احفظ وصيتي تعش سعيدا وتمت شهيدا، يا بني إن من قبح مما قسم الله له استغني، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتقر لأخيه بثرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء قر ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني إذا طلبت الجودَ فعليك بمعادته.

وتوفي جعفر الصادق رضي الله عنه بالمدينة يوم الاثنين منتصف رجب سنة مائة وثمان وأربعين، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه في قبة كما مر. وعقب من الولد: موسى الكاظم وعليا ومحمدا وإسماعيل وعبد الله، رضي الله عنهم.

وأما محمد الباقر فهو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي

الهاشمي العلوي، أمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، كما مر؛ ولد بالمدينة يوم الجمعة ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان وارث أبيه علما وزهدا وعبادة ووصيه من بين إخوته والقائم بأمره من بعده ولقب الباقر لتبقره في العلم، أي توسعه فيه، أو لأنه بقر العلم أي شقه ودخل إليه مدخلا بليغا وأثار مخبآتة وكنوز معارفه وحقائق حكمه، ومن ثم سمي باقر العلم أي جامعها؛ وكان رضي الله عنه فائقا في معرفة علم الدين والسنن وعلم السير وفنون الأدب، وعمر أوقاته بطاعة الله، وكفاه شرفا ما روي أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال له - وهو صغير -: رسول الله ﷺ يسلم عليك، فقل له كيف ذلك؟ قال: كنت جالسا عنده والحسين في حجره وهو يلعبه فقال: «يا جابر يولد له مولود اسمه محمد إذا أدركته يا جابر فاقرئه مني السلام». وروي أنه دخل يوما على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: يا أبا جعفر أوصني، قال: أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدا وأوسطهم أخا وكبيرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر أباك، وإذا صنعت معروفا فربِّه⁽¹⁾. ومناقب محمد الباقر كثيرة وشهيرة ولم يكن في أهل البيت مثله فضلا. وتوفي بالمدينة سنة مائة وسبع عشرة ودفن بالبقيع في قبة مع أبيه كما مر.

وأما زين العابدين فهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه سلامة بنت يزيدجرد آخر ملوك الفرس ابن الملك العادل أنو شروان؛ وقد كانت ليزدجرد ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب، فأعطيت إحداهن لعبد الله بن عمر بن الخطاب فولدت له سلما، والثانية لمحمد بن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم، والثالثة للحسين بن علي فولدت له زين العابدين هذا، فكانوا ثلاثة علماء أجلاء أبناء خالات - كما تقدم - وكان مولد زين

(1) فربه: أي أدمه.

العابدين بالمدينة في آخر عمر جده علي بن أبي طالب سنة ثمان وثلاثين، وكان رضي الله عنه من أفاضل التابعين والعلماء العاملين والثقات المأمونين والعباد المجتهدين المخلصين ومن القانتين الخاشعين، يروى أنه كان إذا توضأ يصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة يرعد من الخوف، فقيل له في ذلك فقال: أتدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي؟، وحج مرة وأراد التلبية فأرعد من الخوف واصفر وخر مغشيا عليه فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: إني خشيت أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك، وكان رضي الله عنه كثير البكاء من خشية الله، وكان يقال له السجاد⁽¹⁾ وبذلك لقب زين العابدين؛ وكان كثير الصدقة، وأكثر صدقاته بالليل، وكان يقول: صدقة الليل تطفى غضب الرب، وكان الناس يعيشون بالمدينة لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات فقدوا ما كانوا يؤتون به إلى منازلهم ليلا فعلموا أن معاشهم كانت منه، وكان حليما وقورا كريما مهيبا ذا كرامات، يضرب به المثل في الحلم والورع. ويروى أن هشام بن عبد الملك حج في أيام أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يصل الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين هذا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر؛ فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضرا

(1) عن محمد الباقر قال: إن علي بن الحسين ما ذكر الله عز وجل نعمة عليه إلا سجد ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد ولا دفع الله عز وجل عنه سوءا ينجسها إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان فيه أثر السجود فسمي السجاد لذلك.

فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد قصيدته المشهورة التي أغضبت هشاماً حتى أمر بحبسه. يقول منها:

هذا سليل حسينٍ نجل فاطمة ⁽¹⁾	بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم ⁽²⁾
هذا ابن خير عبادِ الله كلهم	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله	بجَدّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
الله شَرَّفَه قِدماً وعَظُمَه	جرى بذاك له في لوحه القلم
وليس قَولُك من هذا بضائره	العُرب تعرف من أنكرتَ والعجم
كلنا يديه غِيَاث عمّ نفعهما	تستوكفان ولا يعرفوهما عدم ⁽³⁾
سهل الخليقة لا تخشى بواده	يزينه اثنان: حسن الخلق والشيم ⁽⁴⁾
حمالٌ أثقالِ أقوامٍ إذا افتدحوا	حلوا الشمائل تحلو عنده نعم ⁽⁵⁾
ما قال "لا" قطُّ إلا في تشهده	لولا التشهدُ كانت لاءه نعم ⁽⁶⁾
عمّ البرية بالإحسان فانقشعت	عنها الغياهب والإملاق والعدم ⁽⁷⁾

(1) انجابت: انكشفت.

(2) البطحاء: بطحاء مكة. والوطأة: موضع القدم. والبيت: الكعبة، والحل: ما جاوز الحرم من الأرض. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، يعني أن المدح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.

(3) غياث: غوث وعون. وعم: شمل الناس عامة. واستوكف: واستقطر الماء واستدعى جريانه. يعرفوهما: يلم بهما. عدم: فقر.

(4) الخليقة: الطبع والسجية. والبوادر: جمع بادرة وهي ما يندر من الإنسان عند غضبه. والشيم: الأخلاق، يعني أنه حليم لا يخشى غضبه.

(5) افتدحوا: أثقلوا بالمصائب. والشمائل: جمع شميلة: الخصلة، يعني أنه يساعد من تحل بهم المصائب، ويجد لذة في الإجابة بنعم على كل طالب معونة.

(6) يعني أنه لا يعرف قول "لا" إلا حينما يتلو التشهد أي قول: "أشهد أن لا إله إلا الله".

(7) عم البرية: أي شمل الخليقة إحسانه. وانقشعت: انجلت. والغياهب: جمع غيب وهو الظلمة. والإملاق: الفقر المدقع.

إذا رأته قريشٌ قال قائلها
يُنمى إلى ذروة العزّ التي قصرت
يغضى حياءً ويغضى من مهابته
بكفه خيزران ريحُه عبثٌ
يكاد يمسكه عرفان راحته
إلى مكارم هذا يتتهي الكرم
عن نيلها عرب الإسلام والعجم
فما يكلم إلا حين يتسّم
من كفّ أروع في عرينه شم⁽¹⁾
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم⁽²⁾

إلى أن يقول:

من معشرٍ حبههم وبغضهم
مقدمٌ - بعد ذكر الله - ذكرهم
إن عدّ أهل التقي كانوا أئمتهم
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما أزمّة أزمّت
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
كفرٌ وقربهم منجى ومعتصم
في كل بدءٍ ومحتوم به الكلم⁽³⁾
أوقيل من خير أهل الأرض؟ قيل هم
ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم⁽⁴⁾
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا .. إلخ⁽⁵⁾

(1) الخيزران: عود لين. والعبق: الذي يفوح بالشذا والطيب. والأروع: من يروعك حسنه وشجاعته. والعرين: الأنف. والشمم: ارتفاع أرنبة الأنف مع حسنها واستوائها.

(2) الركن: الجانب. والحطيم: ما بين ركن الكعبة والباب، وقيل: جدار الكعبة؛ يعني أن حجر الكعبة نفسه يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسكه أي يجسه عنده شغفا به.

(3) يعني أن المسلم بعد أن يذكر الله في بدء الكلام وختامه يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وآله ولذا قال: ذكرهم بعد ذكر الله.

(4) الغيوث: الذين يغوثون الناس. والأزمة: الشدة، وأزمّت: اشتدت. والشرى: مأسدة من مأسد العرب جانب الفرات يضرب بها المثل، فيقال "هو كأسد الشرى". والبأس: الخوف والشدة في الحرب. ومحتدم: مشتعل وملتهب.

(5) ولما سمع زين العابدين هذه القصيدة أرسل إلى الفرزدق اثني عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته لله تعالى لا للعتاء، فردها إليه زين العابدين وقال: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها - [ابن خلكان].

وتوفي زين العابدين - رضي الله عنه - بالمدينة سنة أربع وتسعين، ودفن بالبقيع، ولم يكن له نسل إلا من بنت عمه فاطمة بنت الحسن، وكان وارث أبيه الحسين في علمه ومناقبه، وروى عن أبيه وعمه الحسن، وعن جابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وعائشة وصفية وأم سلمة أمهات المؤمنين، وعقب ابنه محمداً الباقر.

وأما الحسين فهو أبو عبد الله الحسين السبط بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي شهيد كربلاء، وريحانة الرسول ﷺ وثاني سيدي شباب أهل الجنة، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع للهجرة، وتربى ونشأ في بيت النبوة، وكان النبي ﷺ يحبه حبا شديدا ودعا له ولمن أحبه، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وبرع في العلم والعمل، وكان عابدا ورعا تقيا حليفا فصيحاً جوادا كريما، وكان ذا شجاعة فائقة، وفضائل رضي الله عنه أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر. توفي يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة ودفن جسمه الشريف بكربلاء، ودفن رأسه بقرب أمه فاطمة الزهراء بالبقيع، على المشهور، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وعقب من الولد: عليا الأصغر، وفيه عقبه وإليه نسبة الحسينيين، ولقب بالأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر؛ وله من الولد غيره آخرون لم يعقبوا، بعضهم مات في حياته وبعضهم استشهد معه في وقعة كربلاء.

ترجمة علي بن أبي طالب وذكر أولاده رضي الله عنهم

ولنختتم هذه السلسلة المباركة بكلمة موجزة عن جدها الأكبر الذي هو: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأقول:

هو أبو الحسن وأبو تراب⁽¹⁾ علي كرم الله وجهه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وكفله رسول الله ﷺ فكان معه في المنزل إلى زمن الهجرة فتربى في بيت النبوة ونشأ فيه، وأسلم قبل أن يبلغ الحلم، وكان إسلامه بعيد البعثة، ولم يعبد الأصنام قط، هاجر بعد رسول الله ﷺ بقليل؛ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خلفه في مكة ليؤدي عنه ما كان عنده من ودائع الناس فلحق به في قباء وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، وأخى النبي ﷺ بينه وبين نفسه مرتين، وكان من كتاب الوحي، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان سيد العلماء العاملين، وبطل الشجعان المشهورين، وأزهد الزهاد المذكورين، وأخطب الخطباء المفوهين، وأقضى القضاة العادلين، وصهر رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة، وأبا الريحانيتين. شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد كلها إلا تبوك فقد خلفه رسول الله ﷺ بها على أهله، وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»⁽²⁾، وله في المشاهد بلاء عظيم وأثر حسن، فقد بارز أبطال أعداء الإسلام فصرعهم وفتح الحصون المستعصية وهدم الأصنام ونشر لواء الإسلام وثبت دعائمه ودافع عن رسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه ممن تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفنه وولي دفنه؛ ثم بويع بالخلافة بعد قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة ست وثلاثين في المسجد، وكان يومئذ أحق الصحابة

(1) هي كنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسببها أنه وجده يوماً نائماً في دقعاء من التراب قد تترب منها وقد سقط رداؤه عن شقه، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يجره برجله ويمسح عنه التراب ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب» فما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وإن كان ليفرح إذا دعي به. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(2) أخرجه مسلم.

بالخلافة فكان رابع الخلفاء الراشدين، ومكث فيها نحو أربع سنين حتى ضربه أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي بالسيف على هامته يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، كما يأتي⁽¹⁾.

وتوفي رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت منه سنة أربعين عن نحو ثلاث وستين سنة، وغسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة على الراجح ليلاً وعُمِّي قبره خوفاً عليه من الخوارج. وله من الولد من فاطمة بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين ومحسن (ودرج) وأم كلثوم الكبرى (تزوجها عمر بن الخطاب) وزينب الكبرى، (تزوجها عبد الله) بن جعفر. وأولاده من غير فاطمة - على اختلاف في عددهم - هم محمد بن الحنفية، وهو محمد الأكبر أمه الحنفية، وهي خولة بنت جعفر بن قيس⁽²⁾ من بني حنيفة، والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام من بني عامر بن صعصعة، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأبو بكر وعبيد الله، أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد الدارمية النهشلية، وهي التي تزوجها عبد الله بن جعفر خلف عليها عمه فجمع بين زوجة علي وابنته زينب فولدت له صالحاً وأم محمد ابني عبد الله بن جعفر، فهما أخوا أبي بكر وعبيد الله ابني علي لأمهما.

ومن ولد علي أيضاً محمد الأصغر أمه أم ولد، ويحيى (مات صغيراً) وعون، أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية، فهما أخوا بني جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي

(1) عند قول الناظم: أما التجويبي مييد حيدر... إلخ.

(2) قيس هذا ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لحيم؛ وخولة هذه سبأها خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً الأكبر (ابن الحنفية).

بكر لأهمهم، وعمر الأكبر وطلحة أهمها حمنة بنت جحش وعمر الأصغر⁽¹⁾ ورقية - وهما توائم - أهمها أم حبيب الصهباء بنت ربيعة من بني تغلب، سبية سبأها خالد بن الوليد في حرب الردة فاشتراها علي، وموسى وزكرياء ويوسف أهمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وإسحاق ويعقوب وإسماعيل، أهمهم أم أيمن بنت معاوية، والقاسم وإبراهيم ورقية (تزوجها مسلم بن عقيل) ورملة الكبرى (تزوجها أبو الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم) وأم الحسن (تزوجها جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي) أهمهم أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتب الثقفية، وأم كلثوم الصغرى (تزوجها عبد الله الأصغر بن عقيل)، وزينب الصغرى (تزوجها محمد بن عقيل) وجمانة، وميمونة (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، وخديجة (تزوجها عبد الرحمن بن عقيل)، وفاطمة (تزوجها محمد بن أبي سعيد بن عقيل) وأم الكرام، ونفيسة (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، وأم سلمة، وأمامة (تزوجها الصلت بن عبد الله بن نوفل بن

(1) كان عمر هذا آخر ولد علي بن أبي طالب، وقد قدم مع أبان بن عثمان على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يوليه صدقة أبيه علي بن أبي طالب، وكان يليها يومئذ ابن أخيه الحسن بن الحسن بن علي فعرض عليه الوليد الصلة وقضاء الدين، فقال: لا حاجة لي بذلك إنما جئت في صدقة أبي أنا أولى بها فاكتب لي في ولايتها، فكتب له الوليد رقعة فيها أبيات ربيع بن أبي الحقيق النضري:

إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واضطرع القوم بألبانهم نقضي بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلظُّ دون الحق بالباطل
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

ثم دفع الرقعة إلى أبان وقال: ادفعها إليه وأعلمه أنني لا أدخل على ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرهم، فانصرف عمر غضبان ولم يقبل منه صلة - قاله الزبيرى.

الحارث بن عبد المطلب)، وأم هانئ (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، ورقية الصغرى.. لأمهات شتى.

وكان العقب من علي كرم الله وجهه في بنيه: السبطين ومحمد ابن الخنفية والعباس وعمر رضي الله عنهم، وتوفي عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية⁽¹⁾.

تنبيهان:

الأول : أشرف الأنبياء في تواصل الآباء في النبوة: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وفي يوسف قال صلى الله عليه وسلم: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»⁽²⁾ وأفضل الأنبياء والمرسلين والخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ، وأشرف الناس في الأمة نسبا وحسبا الحسن والحسين رضي الله عنهما: رسول الله ﷺ جدهما؛ والقاسم بن رسول الله ﷺ خالهما، وعلي بن أبي طالب أبوهما، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أمهما، وخديجة بنت خويلد جدتهما؛ وأشرف الناس في النسب والصهر فاطمة الزهراء: رسول الله ﷺ أبوها، وخديجة أمها، وعلي بن أبي طالب زوجها، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ولداها.

وقد سئل أبو بكر بن داود: أعائشة أفضل أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فهي أفضل. قيل له: فمن أفضل أخديجة أم فاطمة؟

(1) من البداية والنهاية لابن كثير وغيرها.

(2) عليهم السلام، أخرجه البخاري: 2 / 241.

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني»⁽¹⁾، فلا أعدل ببضعة من رسول الله ﷺ أحدا.

وقد قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نساءهم إلا ما كان لمريم بنت عمران»⁽²⁾، فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها. ومما سادت به فاطمة أخواتها أنها ولدت سيد هذه الأمة وهو الحسن الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن ابني هذا سيد»⁽³⁾ ولأن أخواتها وأمها متن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فكان عليه وسلم فكان في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين فكان رزؤه في صحيفتها، وميزانها؛ وروى البزار من طريق عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لَفَاطِمَةُ خَيْرُ بَنَاتِي إِنَّهَا أُصِيبَتْ بِي» فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، ومن سؤدها أيضا أن المهدي المبشر به في آخر الزمان من ذريتها، فهي مخصوصة بهذا كله. قاله في الروض الأنف؛ والله أعلم.

التنبيه الثاني: الأغلب في كلام الناظم رحمه الله عندما يتحدث عن أهل البيت أو يذكرهم أن يكون مشتملا على كثير من التنويه بهم والإشادة بفضلهم، بل ربما جر ذلك في بعض الأحيان إلى النيل من مناوئهم، مما جعل في كلامه عنهم غالبا نبرة تشيع، والحقيقة أن كلامه في هذا المجال كان نابعا من غاية المحبة والتعظيم، ولم يكن عبارة عن المذهب المعروف بمذهب الشيعة، وإنما كان محبة خالصة لرسول الله ﷺ ولذوي قرابته انطلاقا من قوله تعالى

(1) حديث: «فاطمة بضعة مني...» إلخ أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 3 / 64.

(3) تقدم تخريجه.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾⁽¹⁾، وانطلاقاً من الأحاديث الواردة في الترغيب في محبتهم وتوقيرهم، وقد ذكر القرطبي بعضها في تفسير هذه الآية، وذكرها غيره.

وقد أكرم الله تعالى أحمد البدوي بمحبة رسول الله ﷺ ومحبة أهل البيت حتى ملكت عليه مشاعره وسرت في لحمه ودمه مما جعل أكثر اهتمامه ينصب على السيرة النبوية وما تعلق بها من التاريخ الإسلامي حتى كان ينطبق عليه قول الإمام الشافعي رحمه الله:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقوله:

فإن كان ذنباً حب آل محمد فذلك ذنب لست منه أتوب

وكذلك كان هو وأهل بيته في محبة أهل البيت على ما كان عليه السلف الصالح من التوقير والإجلال لهم المأمور به كتاباً وسنة، وليس على حساب غير أهل البيت من الصحابة وبقية السلف الصالح، بل كانوا على ما كان عليه أهل السنة من تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي مع غاية المحبة لعلي وغيره من أهل البيت والثناء عليهم بما هم أهله رضي الله عنهم، والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَاسْتَشْهَدَتْ مِنْ آلِ خَيْرٍ مُرْسَلٍ بِكَرْبَلَا مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
جَمَاعَةٌ مِّنْهَا عَلِيُّ الْأَكْبَرُ وَالضَّنَىٰ نَجْمًا عَلِيُّ الْأَصْغَرُ
وَأَخْرَجُوهُ عَنْ خَبِيبٍ بِثَمَنٍ وَحَمَلُوهُ لِلْفُؤَيْسِقِ فَمَنْ

(1) الشورى: 23.

عَلَيْهِ، وَهُوَ وَالِدُ الْيَعْسُوبِ زَيْدِ قَتِيلِ الْأَحْوَلِ الْمَصْلُوبِ
وَصَلَبَتْ يَحْيَى ابْنَهُ أَيْضًا بَنُو أُمِّمَةَ فَأَهْلَكُوا وَأُتْخِنُوا

استشهد (بالبناء للمفعول): قتل في سبيل الله، والشهيد: المقتول في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهده، أو لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، أو لأنه حي عند ربه حاضر؛ وقيل في اشتقاقه غير ذلك⁽¹⁾. وكربلاء (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح الموحدة ممدودا): موضع من أرض العراق به قتل الحسين رضي الله عنه. وقوله جماعة (بالرفع): نائب فاعل استشهدت. والظنى (بالفتح والقصر): المرض. والفويسق (بالتصغير): لقب اشتهر به يزيد بن معاوية في هذا النظم. ومن عليه: تفضل. وضمائر المفرد الأربعة في قوله أخرجوه وحملوه وعليه وهو والد.. عائدة إلى علي الأصغر. واليعسوب في الأصل أمير النحل، والمراد به هنا الرئيس الكبير، يقال هو يعسوب قومه أي رئيسهم وكبيرهم. وزيد (بالجر) بدل من اليعسوب. وقَتِيلُ والمصلوب صفتان لزيد. والأحول هو هشام بن عبد الملك، لقب بذلك لأنه كان أحول؛ وفيه يقول الشاعر:

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حواء بادٍ عيوبها

وقوله وأتخنوا (بالبناء للمفعول) أي بولغ في قتلهم.

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى قصة قتل الحسين ومن معه من أهل البيت وغيرهم بكربلاء، وإلى سبب نجات ابنه علي زين العابدين من تلك الفاجعة الأليمة، وإلى قتل هشام بن عبد الملك وصلبه لزيد بن علي هذا، وإلى قتل بني أمية وصلبهم لابنه يحيى بن زيد بن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم.

(1) القاموس المحيط.

مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله مع عترته بكر بلاء

وحاصل ذلك أنه لما توفي معاوية في رجب سنة ستين وقام بالأمر بعده ابنه يزيد الفويسق بعث إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو - إذ ذاك - أمير على المدينة أن يأخذ له البيعة على أهلها، فبعث الوليد إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ليلا، فلما أتياه سألهما أن يبايعا يزيد، فقالا له: مثلنا لا يبايع سرا، ولكننا نبايع على رؤوس الناس؛ ورجعا إلى بيتيهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة ولم يبايعا.

أما ابن الزبير فلجأ إلى مكة عائذا بالبيت وأقام بها إلى أن قتل؛ فلذلك دعي "عائذ البيت"، وأما الحسين فأقام بها شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة. وذلك لأنه لما سمع أهل الكوفة بامتناعه من مبايعة يزيد أرسلوا إليه حمل يعير صحفا يستقدمونه ويعدونه أن يبايعوه، وبايعته منهم اثنا عشر ألفا، فتجهز للرحيل إليهم فنهاه ابن عباس، وبين له غدرهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فلم يقبل، ثم نهاه عن المسير بأهله فأبى؛ فبكى ابن عباس ثم جاءه عبد الله بن عمر بمثل ما جاءه به ابن عباس فأبى، فاعتنقه ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال له: استودعك الله من قتيل، ثم قال: إني أحدثك بحديث ما حدثتُ به أحدا قبلك: إن جبريل خير النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة⁽¹⁾، وإنكم بضعة منه فوالله لا يليها أحد من أهل بيتك أبدا، وما صرفها الله عنكم إلا بما هو خير لكم؛ ونهاه - أيضا - ابن

(1) أخرجه البخاري وأحمد، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا على أنه إن اختار الملك فلن ينقص مما له عند الله شيئا، فاختر العبودية على الملك والفقر على الغنى عن رضا منه واختيار له، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا»، وقال: «إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

الزبير وقال له عبد الله بن مطيع: لا تفعل فوالله لئن قتلت لا تبقى حرمة إلا انتهكت، فلم يقبل رضي الله عنه. ثم سار بأهله فحزن المسلمون بمكة والمدينة لسيره، وبكى محمد ابن الحنفية لما بلغه ذلك.

ولما كان في أثناء الطريق بعث إلى أهل الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل ليخبرهم بذهابه إليهم ويأخذ له منهم البيعة ريثما يصل إليهم ، فلما وصل الكوفة وجد عبيد الله بن زياد بها، بعثه إليها يزيد بن معاوية؛ وكان ابن زياد قد قدم الكوفة متنكرا مثلثما، فكان كلما مر بناجٍ وسلم عليه يقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله ﷺ (يظنونهم الحسين، وكانوا قد سمعوا بخروجه إليهم). ولم يزل ابن زياد كذلك حتى دخل المسجد فصعد المنبر وبايعوه فحسر لثامه فإذا هو ابن زياد فاستمروا على بيعته ليزيد بن معاوية، ولما رأى مسلم بن عقيل ذلك اختفى فأمر ابن زياد بطلبه والقبض عليه، فلما جيء به قدمه للقتل فقال له مسلم: دعني حتى أوصي ففعل ، فنظر مسلم في وجوه القوم فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: ما أرى هنا قرشيا غيرك فادن مني، فدنا منه فقال له: هل لك أن تكون سيد قريش؟ إن حسيننا ومن معه تسعون إنسانا في الطريق فارددهم واكتب إليهم بما أصابني، ثم قتل رضي الله عنه؛ فقال عمرو لابن زياد: أتدري أيها الأمير بم سارني؟ قال: اكتم على ابن عمك، فقال: الأمر أكبر من هذا ؛ وأخبره بما قال، فقال له ابن زياد: أما إذ دلت عليه فوالله لا يقاتله غيرك، فأخرج إليه.

وجهاز ابن زياد جيش الشقاء إلى الحسين وجماعته، وكان أكثر ذلك الجيش من الذين بايعوا الحسين وكتبوا إليه يستقدمونه. فخرجوا إليه ووجدوه بكريلاء وأحاطوا به، فلما رأى الحسين ذلك قال لعمر بن سعد: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تتركني أرجع من حيث أتيت، وإما أن تسيرني إلى يزيد بن معاوية أضع يدي في يده، وإما أن تتركني أسير إلى الترك أقاتلهم حتى أموت.

فأرسل عمرو إلى ابن زياد بذلك، فقال: بل ينزل على حكمي، فقال الحسين: والله لا أنزل على حكم ابن مرجانة⁽¹⁾ فأبطأ عمرو عن قتاله، فكتب ابن زياد إلى شمر بن ذي الجوشن: إن تقدم عمرو فقاتل معه، وإلا فاضرب عنقه وكن مكانه. فعند ذلك قام ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة ممن كانوا مع عمرو فقالوا: أيعرض عليك ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبل منها واحدة؟! فتحولوا عنه إلى الحسين فقاتلوا معه حتى قتلوا.

فحميت الحرب بينهم وأبلى فيها أصحاب الحسين بلاء حسناً حتى استشهدوا رضي الله عنهم. وكانوا ثمانية وثمانين فارساً، فيها من أهل البيت اثنان وعشرون: سبعة من أولاد علي بن أبي طالب لصلبه، وهم الحسين والعباس و عبد الله وجعفر وعثمان وأبو بكر ومحمد الأصغر؛ وخمسة من أسباطه وهم علي الأكبر و عبد الله ابنا الحسين بن علي والقاسم و عبد الله وأبو بكر أبناء الحسن بن علي وأربعة من أولاد عقيل لصلبه وهم مسلم و عبد الله و عبد الرحمن وجعفر. وثلاثة من أسباطه وهم عبد الله ومحمد ابنا مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل. وثلاثة من أسباط جعفر بن أبي طالب وهم محمد وعون وعبيد الله أبناء عبد الله بن جعفر. ولم يكن هؤلاء يومئذ على وجه الأرض شبيهه. [اللهم إنا نبرأ إليك مما فعل بهم].

أما الحسين رضي الله عنه فقد قتله سنان بن أبي أوس بن عمرو النخعي، وقيل هلال بن قيس المذحجي، وشاركه في قتله شمر بن ذي

(1) مرجانة: أمه نسيه إليها، وكانت مجوسية وقيل كانت سبيّة من أصبهان.

الجوشن⁽¹⁾ وأجهز عليه خولي بن يزيد الحميري الأصبحي، وحز رأسه وأتى به
عبيد الله بن زياد وقال له:

أوقر ركابي فضة وذهبا إني قتلْتُ المَلِكَ المحجَّبَا
قتلتُ خيرَ النَّاسِ أمَا وأبَا وخيرَهم إذ ينسبون نَسبَا

فقال له ابن زياد: فإن كان خير الناس فلم قتلته؟! فأمر بقتله فقتل.

وأما العباس بن علي بن أبي طالب فقتله زيد بن رقاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل الطائي، وكان معه لواء الجيش يومئذ وهو آخر من قتل من إخوته فورثهم إذ لم يكن لهم ولد، وورثه ابنه عبيد الله بن العباس، وكان العباس رضي الله عنه وسيما جميلا يقال له "قمر بني هاشم" ويسمونه - أيضا - "السقاء"، ويكنى "أبا قربة"؛ فقد روي أن الحسين عطش بكرلاء فأخذ العباس قربة وحملها إليه فشرب الحسين رضي الله عنه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

أحقُّ الناس أن يُكَيَّ عليه - إذا بُكي - الحسينُ بكرِلاءِ
أخوه وابن والِدِه علي أبو الفضل المضرَّج بالدماء⁽²⁾
ومَن واساه لا يثنيه شيء وجاد له على عطشٍ بماءٍ

وأما عبد الله وجعفر ابنا علي: فقتلهما هانئ بن ثبيت الحضرمي، ولم يعقبا،
وأما عثمان بن علي فرماه خولي بن يزيد بسهم فأضعفه، فشد عليه رجل من بني
أبان بن دارم فقتله وحز رأسه. وأما أبو بكر بن علي فقتله رجل من همدان، وقيل
لا يدري قاتله. وأما محمد الأصغر بن علي فقتله - أيضا - رجل من بني أبان بن دارم
من تميم.

(1) والأول هو الأشهر وقيل أيضا إن الذي قتله الحصين بن نمير؛ وقيل المهاجر بن أوس التميمي وقيل
كثير بن عبد الله الشعبي.

(2) الملطخ بها.

وأما علي الأكبر بن الحسين الذي ذكره الناظم فقد ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه، ويكنى أبا الحسن، أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفية، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، وكان من سادات الطالبين، وكان من أشجع الناس وأسخاهم. روي أن معاوية قال: من أحق الناس بهذا الأمر؟ فقيل له: أنت، قال: لا بل أولى الناس به علي بن الحسين بن علي جده رسول الله ﷺ وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف⁽¹⁾. ومما قيل فيه:

لم تَرَ عينَ نظرتُ مثله من محتفٍ يمشي ومن ناعِلٍ
يُغلي نَبِيَّ اللَّحْمِ حتى إذا أنضج لم يُغَلِ على الأكل⁽²⁾
كان إذا شُبَّت له ناره أوقدها بالشرف القابل⁽³⁾
كما يراها بالبئس مرمِل أو فرد حي ليس بالآهل⁽⁴⁾
لا يؤثر الدنيا على دينه ولا يبيع الحقَّ بالباطل

وقاتل علي رضي الله عنه يوم كربلاء أمام والده الحسين، وأبلى بلاءً حسناً. وروي أنه تلقاه رجل من أهل العراق وقال له: إن لك قرابة بأمرير المؤمنين (يعني يزيد بن معاوية) ونريد أن نرعى هذه الرحم، فإن شئت أمناك، فقال له علي: لقرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى، وتقدم علي وهو يرتجز، ويقول:

(1) الزهو: الكبر والتيه والفخر.

(2) يغلي: من أغلى القدر إغلاء: جعلها تغلي أي تجيش بقوة الحرارة، ونَسِي اللحم: أي بين النيوة وهو الذي لم ينضج، ولم يغل على الأكل أي لم ييخل به عليه.

(3) شب النار: أوقدها، والشرف: ما ارتفع من الأرض، والقابل والقابل (بالتحريك): المرتفع من الأرض يستقبلك.

(4) البئس: الفقير الشديد الحاجة. والمرمِل: المحتاج، والذي نفذ زاده حتى أشرف على الموت. وليس بالآهل أي: ليس له أهل يأوي إليهم.

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي⁽¹⁾

وهو أول من قتل في هذه الواقعة الأليمة، قيل قتله مرة بن منقذ بن النعمان العبدي من بني عبد القيس، فانهاه أصحاب الحسين على مرة وقطعوه بأسيافهم، وضم الحسين إليه عليا فلما مات بين يديه قال: قتل الله قوما قتلوك يا بني، وعلى الدنيا بعدك العفاء⁽²⁾. ولم يعقب رضي الله عنه وإنما قيل له علي الأكبر تمييزاً له عن أخيه علي الأصغر.

وأما القاسم بن الحسن بن علي فقتله عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي. وأما عبد الله بن الحسن فقتله حرملة بن كاهل الأسدي، وقيل قتله غيره. وأما أبو بكر بن الحسن فقتله عبد الله بن عقبة الغنوي. وأما مسلم بن عقيل بن أبي طالب فهو أول قتيل من أصحاب الحسين، قتله ابن زياد بالكوفة قبل أن يوجه جيشه إلى الحسين. وأما عبد الله بن عقيل فقتله عثمان بن خالد الجهني وقيل عمرو بن صبيح الصدائي.

وأما عبد الرحمن بن عقيل فقتله عثمان بن خالد الجهني وبشر بن حوط القابضي. وأما عبد الله بن مسلم بن عقيل (وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب) فاختلف فيمن قتله، فقيل عمرو بن صبيح الصدائي وقيل أسيد بن مالك الحضرمي. وأما محمد بن مسلم بن عقيل فقتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن ياسر الجهني. وأما محمد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل فقتله لقيط بن ياسر الجهني. وأما محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله عامر بن نهشل التميمي. وأما عون بن عبد الله

(1) الدَّعيُّ: المتهم في نسبه أو المنسوب إلى غير أبيه، والمراد به هنا زياد بن أبيه والد عبید الله المذكور.

(2) العفاء: الزوال والهلاك.

بن جعفر (أمه زينب بنت علي من فاطمة الزهراء) فقتله عبد الله بن قطنه التيهاني.

ولما قتل الحسين ومن معه رضي الله عنهم حمل الجيش رؤوس القتلى إلى عبيد الله بن زياد بالكوفة وكانت الرؤوس اثنين وسبعين رأساً: حمل خولي بن يزيد رأس الحسين، وحملت كندة ثلاثة عشر رأساً، وهوازن عشرين، وبنو تميم عشرين، وبنو أسد سبعة، ومذحج أحد عشر.

هذا وكانت معركة ومصيبة كربلاء هذه من أعظم المصائب على المسلمين وحزن الناس لذلك المصاب، وطفق الشعراء ييكون ويندبون هؤلاء القتلى. فمن ذلك قول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم:

عين جودي بَعْبِرَة وعويل	واندي إن نذبت آل الرسول
فاندي سبعة لصلب علي	قد أصيبوا وخمسة لعقيل
وابن عم النبي عوناً أخاهم	ليس فيما ينوبهم بخذول
فلعمري لقد أصبت ذوي القر	بي فبكّي على المصاب الجليل
واندي كهلهم فليس إذا ما	عُدُّ في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله ذو الجلال زيادا	وابنه والعجوز ذات البعول

ومنه قول زينب بنت علي بن أبي طالب:

ما ذا تقولون إن قال النبي لكم:	ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأنصاري وذريتي	منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم؟ ⁽¹⁾
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي ⁽²⁾

وقال سليمان بن قتة:

(1) ضرجوا بدم: أي لطحوا به.
(2) روي أن أبا الأسود لما سمع هذا قال: نقول: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

وإن قتييل الطف⁽¹⁾ من آل هاشم
مررت على أبيات آل محمد
وكانوا لنا غنما فعادوا رزية
فلا يبعد الله الديار وأهلها
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها
وعند غني قطرة من دمائنا
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
وقد أعولت تبكي السماء لفقده

وللرباب بنت امرئ القيس زوج الحسين:

إن الذي كان نوراً يستضاء به
سبط النبي جزاك الله صالحاً
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به
من الليثامي ومن للسائلين ومن
والله لا أبتغي صهراً بصهركم

وقال آخر:

أترجوا مة قتلتُ حسيناً
شفاعَةَ جدِّه يوم الحساب؟

ولنصور النمري:

ويلك يا قاتل الحسين لقد
أي حياء حبوت أحمد في
بُؤت بحمل ينوء بالحامل⁽²⁾
حفرتَه من حرارة الناكل⁽³⁾

(1) الطف: موضع قرب الكوفة، قتل به الحسين رضي الله عنه، والطف أيضاً: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(2) بؤت: أي رجعت. والحمل (بكسر وضم) ما يحمل. وينوء بالحامل: أي يثقله النهوض به.

(3) الحياء (ككتاب): اسم للعطية، وحياء: أعطاه بلا جزاء ولا من، والحرارة هنا المراد بها شدة الحزن. والناكل: فاقد الولد أو الحبيب.

تعالَ فاطلب غدا شفاعة وانهض فرد حوضه مع الناهل⁽¹⁾
ما الشك عندي بحال قاتله لكنني قد أشك في الخاذل .. إلخ.

هذا وكان قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين. وروي أنه لم يشارك في قتله أحد إلا أصيب ببلاء؛ ولم تقم قائمة بعد قتله لآل حرب وزياد، وسلبهم الله ملكهم وأهلكهم على يد المختار بن أبي عبيد كما تقدم.

قوله: ولضني نجا علي الأصغر⁽²⁾.. إلخ: أشار به إلى ما رواه الزبير وغيره في قصة نجا علي زين العابدين بن الحسين، قال: كان علي بن الحسين مع أبيه يومئذ⁽³⁾ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا، فلما قتل الحسين قال عمرو بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قال علي: فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي وحضني وجعل يبكي كلما دخل وخرج حتى كنت أقول إن يكن عند أحد خير فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم، قال: فدخل علي والله وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف فأخرجني إليهم مربوطا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر، فأدخلت علي ابن زياد فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين، فقال: أو لم يقتل

(1) روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عبيد الله بن زياد لحرثة بن بدر العدواني: ما تقول في وفي الحسين يوم القيامة؟ قال: يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم، ويشفع لك أبوك وجدك فأعرف هاهنا ما تريد!.

(2) نجا من وقعة كربلاء علي زين العابدين لأنه كان مريضا لم يحضر المعركة وأخوه الأصغر عمر وعمتهما زينب بنت علي وأختاهما فاطمة وسكينة.

(3) أي يوم كربلاء.

الله عليا؟ قلت: كان لي أخ يقال له علي أكبر مني قتله الناس، قال: بل الله قتله، قلت: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾⁽¹⁾، فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، أسألك بالله إن قتله إلا قتلتي معه، فتركه. وسيرهم إلى يزيد بن معاوية في الشام. فلما صاروا إليه قام رجل من أهل الشام وأشار إليه بقتل علي، وقال: إن نساءهم لنا حلال، فقال علي بن الحسين: كذبت ما ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، فأطرق يزيد مليا ثم قال لعلي بن الحسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك فعلت وإن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك؟ قال: بل تردني إلى المدينة، فرده ووصله.

وروي أن عبيد الله بن زياد أرسل رأس الحسين ومن معه من أهله إلى يزيد بدمشق مع شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه فلما قصوا عليه قصة أهل كربلاء دمعت عيناه، وقال: ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة، والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نساءه وأكرمهم وعظّمهم وتلطف بهم، فكان إذا حضر غداؤه دعا علي بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه، ثم وجههم إلى المدينة ووجه معهم ثلاثين فارسا يصحبونهم حتى وصلوا المدينة. فأقام بها زين العابدين محترما معظما، وكان رضي الله عنه أفضل هاشمي، ومات وهو ابن ثمان وخمسين سنة ودفن بالبقيع سنة أربع وتسعين.

قوله وأخرجوه عن خبيب.. إلخ يعني بخبيب الرجل الذي كان عنده علي بن الحسين والذي أخذوا فداءه من ابن زياد وهو رجل من أهل الكوفة كان يخفي عليا

(1) الزمر: 42.

في داره، وقيل بل أخذه أسيرا ولم يزل عنده حتى نادى منادي ابن زياد.

قوله وهو والد اليعسوب.. إلخ: يعني أن عليا الأصغر بن الحسين هذا هو والد زيد بن علي، يعسوب قومه أي رئيسهم وكبيرهم؛ وكان زيد بن علي من سادات بني هاشم واشتهر بالفضل والعبادة، ولما ظهر في قومه وساد أتته طائفة كبيرة من أهل الكوفة وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك، فأبى فقالوا له: إذا نرفضك فمن ذلك سموا بالروافض، ثم جاءته طائفة أخرى وقالوا له: بل نتولاهما ونبرأ ممن تبرأ منهما وبايعوه وخرجوا معه فمن ذلك سموا بالزيدية نسبة إلى زيد بن زين العابدين هذا، وكان ذلك في زمن هشام بن عبد الملك.

ثم إن زيدا هذا خرج هو ومن معه على هشام فطلبه، وبعث إليه وزيره نائب العراق يوسف بن عمرو الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله ثم أخذه هشام وصلبه بالكناسة⁽¹⁾ عريانا على جذع فبنت العنكبوت على عورته فسزتها فلم ير أحد عورته، ثم أنزل جثته وأحرقها وذراها بالفرات، وقيل بل بقي مصلوبا إلى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأنزله وأحرقه، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة مائة وعشرين بالكوفة في المصاف⁽²⁾.

ولما قتلت بنو أمية زيدا هذا خرج عليهم ابنه يحيى بن زيد بن علي ومعه شيعته، وكان ذلك في زمن الوليد بن يزيد، فطلبوه، وبعد حروب جرت بينهم وبين شيعته قتلوه وصلبوه. ولشؤم ما فعل الأمويون بزيد هذا وابنه يحيى وسائر أهل البيت اضطربت أركان دولتهم وبدأت تنهار، ولما ولي عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الخلافة أمر بهشام فنش قبره فوجد بحاله لأنه كان قد طلي

(1) الكناسة (بالضم): موضع بالكوفة.

(2) المصاف: جمع مصف: موضع الصف وهو واحد الصفوف.

بالصبرِ لَيْلاً يتغير⁽¹⁾، فجلده حتى تناثر لحمه وأحرقه مثل ما فعل يزيد بن علي جزاء وفاقا، ثم أسرف في تقتيل واستئصال بني أمية والتنكيل بهم، وكذلك فعل بهم أبو جعفر المنصور؛ وتتبعوا قبور الأمويين يجلدونهم ويحرقونهم، فأظهر الله الانتقام لآل علي بن أبي طالب من الأمويين على أيدي العباسيين الذين كان أغلبهم - أيضا - أعداء لبني علي، لأنهم ينازعونهم الملك ويخرجون عليهم كثيرا؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وصلبت يحيى ابنه أيضا بنو أمية.. الخ.

حقارة الدنيا وخستها

هذا وإن للعاقل هنا وقفة حتى ينظر بعين الحقيقة إلى الدنيا ليرى خستها وحقارتها وانحطاط درجاتها وإعراضها عن أهل الفضل، فما وقع فيها لأهل البيت يحير الأبواب فهم شجرة النبوة ومهبط الرسالة ومنبع الرحمة ومعدن العلم وينابيع الحكمة، محبهم يرحو رضوان الله والفوز بالنعيم، ومبغضهم يستقبل نقمة الله وأليم عذابه، نسأل الله تعالى العافية. وقد تعرضوا لما تعرضوا له من الأمويين والعباسيين وغيرهم، ولكنهم كانوا على جانب عظيم من الرضا بالقضاء، وإن كان مرأاً لقوة اليقين بالله تعالى وبعد نظرهم وكمال عقولهم؛ وقد لمح لذلك علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول:

عتبتُ على الدنيا فقلت: إلى متى أكابدُهما بؤسه ليس ينجلي؟
أكل شريف من علي نجاره⁽²⁾ حرام عليه العيش غير محلل؟
فقلت: نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهمي عناد منذ طلقني علي

(1) صبر الميث: جعل الصبر في جوفه ليلا تسرع النتانة إليه.

(2) النجار (بالكسر): الأصل.

يشير بذلك إلى قول علي كرم الله وجهه وهو يخاطب الدنيا: "إليك عني يا دنيا أليّ تعرضت أم إليّ تشوفت؟ هيهات غري بذلك غيري، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها". وللشافعي رحمه الله:

إن الله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وفي الخير: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء» [رواه الترمذي]؛ ولذلك لم يرضها الله سبحانه وتعالى دار جزاء لأنبيائه ولا لأوليائه. ولقد أحسن من قال:

عبت على الدنيا بتقديم جاهل وتأخير ذي علم فقالت: خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي وكل فضيلة فأبناؤها أبناء ضررتي الأخرى!

وقال:

ليس الزمان - وإن حرصت - مسالما خلق الزمان عداوة الأحرار

وقال آخر:

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

هذا وقد انتقم الله من قتلة الحسين وشيعته على يد المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، وكان قد خرج يطلب بشار الحسين بن علي رضي الله عنهما فاجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة حتى غلب عليها فطلب قتلة الحسين فقتلهم: قتل عبيد الله بن زياد، وقتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وخولي بن يزيد الأصبحي، وعمرو بن سعد بن أبي وقاص، قائد الجيش وابنه حفص بن عمرو.

تنبيه: تكرر من الناظم في هذا النظم وغيره إطلاق الفويستق على يزيد بن معاوية كثيرا حتى أصبح عنده لقباً له يعرف به عند الإطلاق، مثل قوله عن دينه بيعة الفويستق.. وقوله وبعد ذلك الفويستق أمر.. وقوله وللفويستق مضعف.. وقوله وبتتها أبت عن الفويستق.. وقوله وبالفويستق أضرت صرعته..؛ ووصفه بالفسق والشر في قوله: لفسقه عن أم إسحاق قدع، وقوله ووالي شرهم.. إلخ.. ورغم استعمال الناظم لهذا أكثر من غيره فقد سبق إلى وصف يزيد هذا بالفسق حتى من بعض أعوانه؛ فقد وصفه به وزيره ووزير أبيه قبله عبيد الله بن زياد بن أبيه، ففي البداية والنهاية⁽¹⁾ لابن كثير: كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى ابن الزبير فيحاصره بمكة فأبى عليه، وقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبداً: قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وغزو البيت الحرام. وفيه أيضاً: أن من منعوا لعن يزيد حملوا ما صدر منه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ، وقالوا: إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام الفاسق لا يعزل ولا يجوز الخروج عليه مجرد فسقه. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَالْمَحْضُ مِنْهُ الْجَوْنُ وَالْأَدَارِسَةُ عَنْ أَرْضِهِمْ أَجَلَتْهُمْ الْعَبَابِسَةُ
وَالْجَوْنُ مُوسَى انْتَسَبَ الرِّيَانِي إِلَيْهِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي

قوله المحض: مبتدأ. والجون: خبره المجرور قبله والجملة خبر المحض؛

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير: 4 / 219.

والمحض لقب عبد الله الكامل بن الحسن المثنى كما مر. والأدارسة: عطف على الجون، والمراد بهم ملوك المغرب الأقصى؛ عرفوا بالنسبة إلى أبيهم وجدهم إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض. وقوله عن أرضهم: متعلق بأجلتهم، والضمير في أرضهم وأجلتهم عائد على الأدارسة. وقوله أجلتهم أي أخرجتهم من بلدهم وأبعدتهم عنه وهو الحجاز. والعباسة فاعل أجلتهم، والمراد بهم الملوك العباسيون، وأطلقت عليهم العباسة كالأدارسة لبني إدريس والمهالبة لبني المهلب، والأشاعنة لبني الأشعث.. قوله والجون: مبتدأ، وموسى بدل منه أو عطف بيان عليه. والجون لقب موسى بن عبد الله المحض. وجملة انتسب الرباني إلخ: خبر الجون. والرباني هو الذي يسوس الناس بالعلم ويربيهم بصغاره قبل كباره، وقيل هو الفقيه السيد، قال الشاعر:

لو كنت مرتها في القوس⁽¹⁾ أفنتني منها الكلام ورباني أحبار

وقيل الرباني المنسوب إلى علم الرب والفقه فيما أنزل. قوله إليه: متعلق بانتسب. وعبد القادر (بالرفع): بدل من الرباني. والجيلاني (بكسر الجيم) صفة لعبد القادر، وهي نسبة لجيلان لإقليم بالعجم (مغرب كيلان) ويقال في نسبته إليه أيضا الكيلاني (بكسر الكاف)، ويقال فيه الجيلي.

يعني أن من ذرية عبد الله المحض ابنه لصلبه وهما موسى الجون جد القطب الرباني عبد القادر الجيلاني، وإدريس جد الأدارسة ملوك المغرب الذين أجلتهم ملوك بني العباس عن الحجاز.

(1) القوس: صومعة الراهب.

أما موسى الجون فهو أبو الحسن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، سكن رضي الله عنه المدينة وكانت له رواية، وكان من شعراء الطالبين وهو القائل:

تولت بهجة الدنيا	فكلُّ جديدها خلقتُ
وخان الناس كلهم	فما أدري بمن أتتُ
رأيتُ معالمَ الخيرِ	ت سدَّت دونها الطرقُ
فلا حسَب ولا نسب	ولا دين ولا خلقتُ
فلستُ مُصدِّقُ الأقوا	م في شيءٍ وإن صدَّقوا

وله أيضا:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلما	تكرهت منه طال عتبي على الدهر
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم	وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
تعودت مس الضُّر حتى ألفتُه	وأسلمني طولُ البلاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى الأذى بالأذى	وإن كنت أحيانا يضيق به صدري
وصيرني ياسي من الناس راجيا	لسرعة لطف الله من حيث لا أدري

وكان قد خرج مع أخويه محمد وإبراهيم على أبي جعفر المنصور فطلبهم حتى ظفر بهم فقتل محمدا وإبراهيم، وضرب موسى الجون ألف سوط فما نطق بحرف واحد، فقيل له في ذلك فقال:

إني من القوم الذين يزيدهم جلدا وصبرا قسوة السلطان

ثم عفا عنه وسكن بغداد وعاش إلى أيام الرشيد، وتوفي سنة مائة وثمانين وله عقب كثير.

وأما إدريس فهو ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومية.

أول ملوك الأدارسة بالمغرب

وإدريس هذا هو مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها وهو أول من دخل بلاد المغرب من الطالبين وكان أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسن بن علي بن الحسن المثلث في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي سنة تسع وستين ومائة، ثم قتل الحسن فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة، وكان قد فر هو وأخوه سليمان من وقعة فخ التي أوقعها العباسيون بالعلويين، فخرجوا ومعهما مولى لإدريس اسمه راشد، خرجوا في جملة حجاج مصر وإفريقية حتى دخلوا بلاد المغرب فوصلوا إلى طنجة وفاس فأقاموا ثم. ونزل إدريس بمدينة "وليلي" قرب مدينة مكناس فعرفهم بنفسه فأجاروه وأكرموه وخلعوا طاعة العباسيين وبايعوه واستجابت البربر له وتعصب له متعصبون فملك المغرب الأقصى وتم له الأمر سنة اثنتين وسبعين ومائة، فجمع جيشا عظيما وخرج به غازيا فبلغ بلاد تادلة قرب فاس ففتح معاقلها، ثم عاد إلى وليلي ثم غزا تلمسان فبايعوه وعظم أمره، فلما بلغ ذلك هارون الرشيد حزن ثم وجه إليه الشماخ مولى المهدي وكان طبيبا فأظهر له أنه من الشيعة وأنه طبيب فاحتال أن سقاه السم فمات منه بمدينة وليلي سنة سبع وسبعين ومائة. وكان إدريس بن عبد الله المحض هذا قد ترك زوجه حاملا فولدت غلاما سمي إدريس باسم أبيه؛ وكان مولده بمدينة وليلي سنة سبع وسبعين ومائة، وكان راشد مولى أبيه يرعاه حتى شب ثم مات راشد فكفله بعده أبو خالد العبدي حتى بلغ الحادية عشرة فبايعه البربر في جامع وليلي فخلف أباه إدريس الأكبر، فكان ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وقام بأمر البربر أحسن قيام ووليه أحسن ولاية، وكان فارسا شجاعا جوادا شاعرا فصيحاً حازماً، وأحبته رعيته واستمال أهل تونس وطرابلس والأندلس إليه، وكانت في أيدي العباسيين بالمشرق يحكمها ولاتهم؛ واختط مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة

وانتقل إليها وغزا بلاد المصامدة فاستولى عليها وزار تلمسان فأصلح سورها وجامعها، وأقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد إلى فاس، واقتطع المغربين الأقصى والأوسط عن دعوة العباسيين وانتظمت له كلمة البربر وزناتة وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه، وتوفي بفاس. ثم تتابع بعده أولاده على الملك بالمغرب وصاروا يعرفون بالأدارسة المغربيين، ولم يزالوا كذلك إلى أن انتزعه منهم المنصور⁽¹⁾ بن أبي عامر القحطاني وغلبهم عليه وضمه إلى ما بيده من الأندلس.

ومن بقايا الأدارسة بنو حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمرو بن إدريس ملوك الأندلس بعد بني أمية، وأول من ملك منهم علي بن حمود، ثم أخوه القاسم.

وأما سليمان بن عبد الله المحض الذي فر مع أخيه إدريس من وقعة فخ إلى المغرب فلحق بتاهرت ثم بتلمسان فملكها وملك ما معها من المغرب الأوسط، وقد قيل إن العباسيين ظفروا به وقتلوه صبيرا⁽²⁾ في أيام موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

(1) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن عبد الله المعافري القحطاني الملقب بالمنصور أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي وأحد الشجعان الدهاة، أمه من تميم وأصله من الجزيرة الخضراء قدم قرطبة شابا طالبا للعلم فبرع، وكان عالي الهمة طموحا، فاتصل بصبح أم المؤيد وخدمها وولي النظر في أموالها وضياعها، فعظمت مكائته عندها، ولما مات زوجها المستنصر الأموي كان ابنها المؤيد صغيرا فضمن لها أبو عامر سكون البلاد واستمرار النفوذ والقيام بشؤون الدولة، فغزا وفتح ودامت له الإمارة ستا وعشرين سنة غزا خلالها بلاد الإفرنج غزوات كثيرة، وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد والملك لأبي عامر، ولحسن سياسته وقوة إدارته لم ينتقض عليه شيء في حياته. مات في بعض غزواته بمدينة سالم سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

(2) يقال قتل صبيرا أي حبس على القتل حتى يقتل، وحلف صبيرا: أي حبس على اليمين إلى أن يخلف.

ومن عقب موسى الجون عبد الله بن موسى الجون الذي توارى في أيام المتوكل حتى مات. ومنه موسى بن عبد الله بن موسى الجون، كان رجلا صالحا راوية للحديث، خرج في أيام المهتدي فظفر به فقتله. وابنه إبراهيم بن موسى خرج أيضا في أيام المهتدي فحبسه حتى مات ودفن بالبقيع. ومن الجون أيضا محمد بن صالح بن عبد الله بن الجون، كان من فتيان الطالبين وفتاكهم وشجعانهم وشعرائهم، خرج في أيام المتوكل بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد.

ومن عقب الجون أيضا بنو الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون القائمون باليمامة، وذلك أن إسماعيل بن يوسف أخا الأخيضر قصد مكة فاستولى عليها سنة إحدى وسبعين ومائتين وسمي السفاك ثم هلك فولي بعده أخوه الأخيضر وقصد اليمامة فملكها ثم بعده ابنه يوسف ثم ابنه إسماعيل بن يوسف ثم أخوه الحسن بن يوسف ثم ابنه أحمد بن الحسن، حتى غلب عليها القرامطة.

ومن عقب الجون أيضا الهواشم وهم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن أبي الكرام بن موسى الجون، وهم أمراء مكة بعد السليمانيين. والسليمانيون هم بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى، وهو ابن عم موسى الجون وقد ملك السليمانيون مكة المكرمة بعد نواب بني العباس، ثم ملكها بعدهم أبناء عمهم الهواشم المذكورون.

عبد القادر الجيلاني

ومن عقب موسى الجون أيضا - كما ذكره الناظم - العالم الرباني المشهور أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الهاشمي العلوي الجيلاني، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وقد قيل في سلسلة نسبه إلى الجون غير ما

ذكر، وقد انتقل عبد القادر الجيلاني هذا إلى بغداد شابا فاتصل بشيوخ العلم والتصوف فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخزومي الحنبلي حتى صار إماما جليلا ناصرا للسنة إماما للحنابلة وشيخهم في عصره، فكان مفتي المذهب الحنبلي وكان شيخه أبو سعيد المخزومي قد بني مدرسة ففوضها إليه فكان الشيخ عبد القادر يعظ الناس بها، وانتفعوا به انتفاعا كبيرا. وبالجملة فقد كان الشيخ عبد القادر هذا من سادات المشايخ، له سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من كبار الزهاد والمتصوفين، وأسس الطريقة القادرية فكان من أجل شيوخها وإليه نسبتها، وتوفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسائة هجرية، ودفن بالمدرسة التي كانت له. وأبناؤه عبد الوهاب وعبد الرزاق وعبد العزيز وموسى ويحيى، وقد حدثوا؛ وكان عبد الرزاق منهم حافظا ثقة من ولده قاضي قضاة بغداد عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي الحنبلي، مات سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن سبعين سنة، وكان من خيار القضاة دينا وتواضعا وعلما.

آل جعفر بن أبي طالب

ولما أنهى الناظم الكلام على آل علي بن أبي طالب أخذ يتكلم على بني عمهم آل جعفر بن أبي طالب، فقال رحمه الله:

مِنَ الْجَعْفَرِ الزَّيَّانِبُ بَنُو بِنْتِ عَلِيٍّ زَيْنَبٍ تَفَنَّنُوا
 مِنْ ابْنِهَا ابْنِ الْقَرْمِ عَبْدُ اللَّهِ ذِي الْجُودِ عَدْنَانُ بِهِ تَبَاهِي
 وَبِنْتُهَا أَبْتُ عَنِ الْفُؤَيْسِقِ يَخْطُبُهَا لَهُ أَبُوهُ الْمُتَّقِي
 أَمَّهَرَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَرَفًا وَأُمُّ كَلْثُومٍ أَبْتُ مَا وَصَفَا

وَأَلَّ أَمْرَهَا إِلَى الْمُبِيرِ وَبَتَّهَا بِسَطْوَةِ الْأَمِيرِ

قوله الزيانب: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله وهي نسبة إلى زينب، والزيانب هم بنو علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب نسبوا لجدتهم زينب بنت علي بن أبي طالب، لأنها أم أبيهم علي بن عبد الله بن جعفر؛ ويقال لهم أيضا الزينبيون. والجعافر نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، وأصله الجعافرة (بالتاء وحذفت للوزن). ثم عرف الزيانب بقوله بنو بنت علي.. إلخ، فينسبوا: صفة للزيانب. وزينب (بالجر): بدل من بنت علي. وقوله من ابنها: متعلق بتفننوا، أي تفرعوا وتشعبوا من ابنها علي بن عبد الله بن جعفر. وابن القرم (بالجر) صفة لابنها، والقرم (بالفتح): السيد العظيم، شبه بقرم الإبل أي فحلها لعظم شأنه وكرمه. وعبد الله (بالجر) بدل من القرم. وذو الجود صفة لعبد الله. وتباهي: أي تفاخر.

يقول: ومن ذرية جعفر بن أبي طالب البطن المعروف بالزيبين وهم عقب علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

أما جعفر فهو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأشبهه الناس به خلقا وخلقا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بن أبي طالب بقليل، روي أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً رضي الله عنه يصليان وعلي عن يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك وصل عن يساره؛ وقد هاجر جعفر المهجرتين: هجرة الحبشة وهجرة المدينة. ولما هاجر إلى الحبشة أقام بها عند النجاشي وكان سيد مهاجري الحبشة والمتكلم باسمهم عند النجاشي ولم يزل مقيماً بالحبشة حتى قدم على النبي ﷺ هو وأصحابه حين فتح خيبر فتلقاه رسول الله ﷺ واعتنقه وقبل بين عينيه وقال: «ما أدري بأيهما أشد

فرحا بقدم جعفر أم بفتح خير»⁽¹⁾. وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد واختط له؛ وكان رضي الله عنه أكبر من علي بعشر سنين، وكان أخير الناس للمساكين، ولذا كان النبي ﷺ يكنيه «أبا المساكين»⁽²⁾، وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر؛ وفي سنة ثمان للهجرة بعثه رسول الله ﷺ في جيش مؤتة وجعله أحد الأمراء عليه وقاتل حتى قطعت يدها معا، فقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء»⁽³⁾، فمن ذلك لقب ذا الجناحين، وجعفر الطيار؛ وعن ابن عمر أنه وجد فيما بين صدره ومنكبيه تسعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح⁽⁴⁾، ولما جاء نعيه دخل رسول الله ﷺ إلى آل جعفر وعيناه ترقرق بالدموع والحزن يعرف في وجهه ثم قال: «اللهم إن جعفرا أقدم إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما أخلفت أحدا من عبادك»، وعزى زوجه أسماء بنت عميس فيه، وأقبلت فاطمة تبكي وتقول: وا عماء! فقال صلى الله عليه وسلم: «على مثل جعفر فلتبكي»

(1) سيرة ابن هشام: 3 / 414.

(2) أخرجه الترمذي.

(3) أورده الميثمي في مجمع الزوائد والطبراني في الأوسط، ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطاها جعفر كما أعطيتها للملائكة، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعانية واحتجوا بقوله تعالى ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضا في بيانها خير فيجب علينا الإيمان بها ولا يفيدنا علما إعمال الفكر في كيفيتها - [الروض الأنف].

(4) أخرجه البخاري.

البواكي»⁽¹⁾، ثم أمر أهله أن يصنعوا طعاما لأهل جعفر ومكث أبناؤه مع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام في بيته يدورون معه كلما صار في بيت إحدى نساته، ثم رجعوا إلى أمهم بعد. وكان لجعفر من أسماء بنت عميس ثلاثة أولاد هم: عبد الله وعون ومحمد، ولدوا ثلاثهم بأرض الحبشة.

عبد الله بن جعفر ونماذج من كرمه

أما عبد الله فهو أبو محمد أو أبو جعفر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي ولد بالحبشة لما هاجر أبواه إليها وهو أول من ولد بها من المسلمين. وقد روي أن رسول الله ﷺ رآه وهو صبي يبيع مع الصبيان فقال: «اللهم بارك لعبد الله في صفقة يمينه»⁽²⁾، ثم نشأ رضي الله عنه فكان كريما جوادا ظريفا حليفا عفيفا لم يكن له نظير في السخاء والكرم وقد لقب بقطب السخاء وبحر الجود، وكان أحد الأجواد المعروفين في الإسلام حتى ضرب المثل بجوده فقيل إنه لم يبلغ أحد في الإسلام مبلغه في الجود وكان أهل المدينة يتدائنون على قدميه، وقد قيل أجواد الحجاز ثلاثة: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبيد الله بن عباس وسعيد بن العاص. ولعبد الله بن جعفر في مجال الكرم حكايات كثيرة وأخبار شهيرة، يروى أنه عوتب مرة في البذل فقال: إن الله تعالى عودني عادة وعودت الناس عادة فأنا أخاف إن قطعتها أن يقطع عني.

ومدحه نصيب فأعطاه إبلا وخيلا وثيابا ودنانير ودراهم، فقيل له تعطي لهذا الأسود مثل هذا، فقال: إن كان أسود فشره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما

(1) أخرجه ابن عساکر عن أسماء بنت عميس كما في الجامع الصغير.

(2) ابن حجر العسقلاني في الإصابة.

نال وهل أعطيناها إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى. وأهدى له يزيد بن معاوية يوما مالا جزيلا ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئا وفي ذلك يقول ابن قيس الرقيات:

وما كنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

وروي أن تاجرا جلب إلى المدينة تجارة فكسدت عليه فبلغ ذلك عبد الله بن جعفر فاشتراها وفرقها في الناس. وإلى ما ذكر أشار الناظم بقوله: ذي الجود عدنان به تباهي. ومما روي من كرمه وعفته أن دهقانا من أهل السواد كلمه أن يكلم له عليا في حاجة ففعل وقضاها علي، فبعث الدهقان بأربعين ألفا إلى ابن جعفر فردها عليه وقال: إنا لا نبيع معروفا. وروي أنه أسلف الزبير بن العوام ألف درهم، فلما قتل الزبير قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر: إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف درهم قال هو صادق فاقبضها إذا شئت ثم لقيه فقال: يا أبا جعفر وهمت، المأل لك عليه، قال: فهو له، قال: لا أريد ذاك، قال: فاحتر.. إن شئت فهو له وإن كرهت ذلك فله فيه نظرة ما شئت، وإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت. وتزوج عبد الله بن جعفر بنت عمه زينب بنت علي بن أبي طالب من أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فولدت له: عون الأَصغر وعلياً وعباساً ومحمداً وأختهم أم كلثوم. والعقب من عبد الله بن جعفر في ابنه علي بن عبد الله. وله - أيضا - من العقب من غير زينب معاوية وإسماعيل وإسحاق، لأمهات شتى، وعون الأكبر، ومات في حياة أبيه، والحسين، وقتل هو وأخوه عون الأَصغر ومحمد بالطَّف، وجعفر وعياض وأبو بكر، وقتل بالحرّة، وعبيد الله ويحيى وصالح وموسى وهارون ويزيد، ولا عقب لهم؛ وله غير هؤلاء. وكان رضي الله عنه أحد الأمراء في جيش علي بن أبي طالب يوم صفين.

ومات عبد الله بن جعفر بالمدينة سنة ثمانين للهجرة، وحضر غسله وتكفينه أبان بن عثمان بن عفان، وهو إذ ذاك وال على المدينة من طرف عبد الملك بن مروان، وصلى عليه والناس يزدحمون على سريرته، ولم يفارق أبان عمود السرير حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل على خديه، وهو يقول: كنت والله خيراً لا شرّ فيك، وكنت والله شريفاً واصلاً برأ.

وأما زينب بنت علي بن أبي طالب - زوج عبد الله بن جعفر المذكور - فهي شقيقة السبطين، وكانت امرأة عاقلة قوية الجنان، زوجها أبوها علي بن أبي طالب من ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاده المذكورين، وكانت مع أخيها الحسين حين قتل بكر بلاء؛ فحملت إلى يزيد بدمشق مع سبي الحسين فسيرهم إلى المدينة؛ وفي ولدها علي بن عبد الله بن جعفر العقب والعدو، واشتهرت ذريته بالنسبة إليها، فعرفوا بالزريان وبالزريبيين؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله من الجعافر الزريان بنو بنت علي زينب.. إلخ.

ثم استطرده الناظم هنا قصة خطبة معاوية بن أبي سفيان لأُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر على ابنه يزيد وتزوج الحجاج لها بعد ذلك، فقال: وبنتها أبت عن الفويسق.. إلخ، والضمير في بنتها عائدة على زينب بنت علي. والفويسق: يزيد بن معاوية. والضمير في له وفي أبوه عائدة على الفويسق. وأبوه فاعل يخطبها. والمتقي صفة لأبوه، ويعني به معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وأمهرها: أي جعل لها مهراً وهو الصداق. والسرف: مجاوزة الحد والإفراط فيه. وآل: أي رجوع وصار عاقبة أمرها أن تزوجها الحجاج. والمبير في الأصل: المهلك المفسد، والمراد به هنا

الحجاج بن يوسف الثقفي⁽¹⁾، وقد أطلق عليه الناظم هذا اللقب مرات، مثل قوله: لما بنى مبيره المنصور.. إلخ، وقوله: سهل بن سعد المبير امتهنه.. إلخ. وبتها: قطع عصمتها بدون رجعة. والسطوة: القهر. والأمير: المراد به هنا الخليفة عبد الملك بن مروان.

يعني أن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من زينب بنت علي خطبها معاوية لابنه يزيد ورغبها ورغب أهلها في القبول والاستجابة، فامتنعوا من ذلك.

وماصل تلك القصة أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كتب إلى مروان بن الحكم - وهو إذ ذاك عامله على المدينة - أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على يزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق بالغ ما بلغ، وعلى قضاء ديونه، وعلى كذا وكذا.. ولعلها أن تكون صلحاً بين هذين الحيين من بني هاشم وبني عبد شمس. فلما وصل إليه الكتاب تكلم لأبيها، فقال له: إني كنت جعلتُ أمرها إلى خالها الحسين بن علي. فلما اجتمع الناس في المسجد خطب مروان، ووصل الخطبة بما فيها من التغليظ والشروط والهبات إلى الحسين، فخطب الحسين وجعل يرد كل كلام مروان، فقال: أما قولك: على حكم أبيها في الصداق بالغ ما بلغ، فلا حاجة لنا في تحكيمكم ولا في أموالكم، وأما قولك: على قضاء ديون أبيها، فمتى وجدتم أباهم موثقاً في ديونه؟ وأما قولك: لعلها أن تكون

(1) فيه الإشارة إلى الحديث: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير» وقد روى مسلم في صحيحه أن الحجاج الثقفي دخل على أسماء بنت أبي بكر - بعد أن قتل ابنها عبد الله بن الزبير - يشمت بها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ فقالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه - تعني المختار بن أبي عبيد - وأما المبير فلا إحالك إلا إياه، فقام عنها ولم يراجعها.

صلحا بين هذين الحيين، فنحن قوم عاديناكم في الله ولا نصالحكم على الدنيا، وأما قولك كذا وكذا.. إلى أن أتى على جميع ما قال؛ ثم قال: وأشهدكم أنني زوجت هذه الجارية من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر. فبقي مروان خجلا لا يتكلم.

ثم لما مات القاسم بن محمد بن جعفر عنها تزوجها الحجاج بن يوسف بغير طيب النفس من أبيها عبد الله بن جعفر، فشكا ذلك إلى خالد بن يزيد بن أبي سفيان، فأتى خالد عبد الملك، فقال له: أتيتك في أمر فيه لك ما لم يكن لي، قال: وما هو؟ قال: كلبك الذي سلطت على الناس مهتم بتقوية بني هاشم علينا، قال: بماذا؟ قال: فعل كذا وكذا وتزوج بنت عبد الله بن جعفر، فكتب إليه عبد الملك أن ييتها أو يفعل به ويفعل.. وكان عبد الله بن جعفر صديق عبد الملك جداً لا يأتيه في أمر إلا أجابه إليه، ولكن استحيا أن يأتيه بمثل هذه؛ فبت الحجاج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وقال: والله لأتزوجن من هو أمس بخالد رحما ثم لا يمكنه شيء فيه، فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

تنبيه: قوله رحمه الله: وأم كلثوم أبت ما وصفا، فيه تجوز لما فيه من إسناد رد الخطبة المذكورة إلى أم كلثوم مع أن الذي رد الخطبة إنما هو خالها الحسين رضي الله عنه، لكن لما كانت قد رضيت بذلك أسند إليها الرد مجازا، اللهم إلا أن يكون قد وقف على رواية أخرى توافق ما ذكره. والله تعالى أعلم.

تنبيه آخر: تقدم ذكر هذين البيتين وهما قوله: أمهرها من كل شيء سرفا.. إلخ، في الكلام على آل طلحة بن عبيد الله التيمي في الحديث عن أم إسحاق بنت طلحة، حيث ذكر أن معاوية رضي الله عنه خطبها على ابنه يزيد من أخيها إسحاق بن طلحة، فرغب عن ذلك وزوجها من الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم استطرد هناك ذكر خطبة معاوية - أيضا - لأم كلثوم بنت عبد

الله بن جعفر على ابنه يزيد، ورغبة آل جعفر عنه حيث قال في القصتين معاً:

لفسقه عن أم إسحاق قدع وبن ت آل جعفر قدعا بشع
أمهرها من كل شيء سرفا ... إلخ.

ثم أعاد هنا هذين البيتين الأخيرين: أمهرها من كل شيء.. إلخ، لأن هذا هو محلها والمكان المناسب لهما في الحديث عن آل جعفر ورغبتهم عن خطبة معاوية رضي الله عنه لابتنتهم أم كلثوم على ابنه يزيد وتزوجهم إياها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، وما آل إليه أمرها؛ وهذا نظير تكريره - أيضاً - قوله:

كلا العتيق وخديجة السلام يقرئه جـل جلاله السلام

حيث أتى بهذا البيت في أول الكلام على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم أعاده ثانية أي بعد واحد وخمسين بيتاً، استطرد فيها الكثير من فتوحات أبي بكر ومناقبه وفتوح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغير ذلك.. وإنما أعاده ليرتب عليه بقية الكلام على أبي بكر - حسبما نص عليه تلميذ الناظم وشارح نظمه الشيخ حماد بن الأمين رحمهما الله - والله تعالى أعلم.

آل عقيل بن أبي طالب

ولما تكلم على آل جعفر أخذ يتكلم على بني عمهم آل عقيل بن أبي طالب.
فقال رحمه الله:

وَمِنْ عَقِيلٍ مُسْلِمٍ الْقَتِيلِ قَبْلَ الْحُسَيْنِ وَتَوَى عَقِيلُ
غَيْرَ مُحَمَّدٍ حَلِيلِ زَيْنَبِ بِنْتِ عَلِيٍّ مِنْ سَوَى خَيْرِ نَبِي
وَلِعَقِيلٍ تَوَضَّعَ الطَّنَافِسُ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ وَهُوَ جَالِسُ

يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَمَا لَهَا مِنْ حَسَبٍ وَمِنْ نَسَبٍ

قوله مسلم (بالرفع): مبتدأ خبره المحرور قبله. والقيتل صفة لمسلم. وتوى: هلك. وحليل زينب (بالجر): صفة لمحمّد، أي زوجها. وبنت علي (بالجر) صفة لزينب. وقوله من سوى خير نبي: أي من غير فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وذلك لأن زينب بنت علي هذه أمها أم ولد. والطنافس: جمع طنفسة (بتثنية الطاء والفاء): بساط له حمل رقيق، أو حصير من سعف. وضمير وهو جالس عائد على النبي ﷺ. وأيام العرب: أي حروبها ووقائعها ومجاداتها. والحسب: شرف الأصل وما يعد من مفاخر الآباء. والنسب: القرابات.

يعني أن من أولاد عقيل بن أبي طالب مسلم بن عقيل الذي أرسله الحسين إلى أهل الكوفة ليأخذ له البيعة منهم فقتلوه قبل قتلهم الحسين رضي الله عنه - كما تقدم - وأن عقيلًا هذا انقطع عقبه إلا من ابنه محمد بن عقيل زوج زينب بنت علي بن أبي طالب من غير فاطمة الزهراء.

ترجمة عقيل بن أبي طالب

أما عقيل فهو أبو يزيد عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وكان أسن من أخيه جعفر بعشر سنين، وكان ممن خرج مع المشركين من بني هاشم إلى بدر - مكرها - فأسر يومئذ، ولم يكن له مال ففداه عمه العباس؛ ثم أسلم رضي الله عنه يوم الفتح، وقيل أسلم يوم الحديبية وهاجر إلى المدينة في أول سنة ثمان للهجرة، وشهد حنينًا ومؤتة، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا يزيد إني أحبك حين حبا لقرابتك مني وحبا لما

كنت أعلم من حب عمي إياك»⁽¹⁾.

وكان رضي الله عنه من أعلم الناس بأنساب العرب، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بأيامها ومآثرها ومثالبها، وكانت توضع له طنفسة في المسجد النبوي يجلس عليها، ويجتمع الناس إليه في علم النسب، وأيام العرب وأشعارها، يأخذون ذلك عنه؛ وكان ينشد الشعر بحضرة النبي ﷺ - وربما فعل ذلك بين أذان الصبح وإقامته - وإلى ذلك أشار الناظم بقوله ولعقيل توضع الطنافس .. إلخ، ومراده رحمه الله أن عقيلًا كان يحدث بذلك بين يدي النبي ﷺ ولا ينكر عليه، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على باطل.

وكان عقيل من أربعة قريش الذين تتحاكم الناس إليهم في المناقرات (والآخرون هم مخزومة بن نوفل الزهري وحويطب بن عبد العزى العامري وأبو جهم بن حذيفة العدوي) وكانوا يعدون محاسن الرجل ومساويه، فإن غلبت محاسنه نفروه⁽²⁾ على صاحبه، ومن كثرت مساويه نفروا عليه صاحبه. وكان عقيل فصيح اللسان، وكان من أسرع الناس بالجواب المسكت وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك وكان يعد مساويهم، فلذلك كان مبغضا إليهم⁽³⁾ ..

(1) حديث: «يا أبا يزيد ..» إلخ ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

(2) نفروه: أي حكموا له بالغلبة على صاحبه.

(3) روي أن معاوية بن أبي سفيان جلس يوما على سريرته وأمر بكرسيه إلى جنب السرير، ثم أذن للناس فدخلوا وأجلس الضحاك بن قيس معه على سريرته، ثم أذن لعقيل فدخل عليه، فقال: يا معاوية من هذا الذي معك؟ قال: الضحاك بن قيس، قال: الحمد لله الذي رفع الخسيسية وتمم النقيصة، هذا الذي كان أبوه يخصي بهننا بالأبطح، لقد كان بخصائها رفيقا، فقال الضحاك: إنني لعالم بمحاسن قريش وإن عقيلًا عالم بمساويها فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم فأخذها وخرج، وكان عقيل إذا أتاه رجلان يتنافران يعدد المساوي فمن كانت مساويه أكثر تركه، فيقول الرجل: وددت أنني لم آتة أظهر من عيوبي ما لم يكن الناس يعرفون.

وورث عقيل بن أبي طالب دُورَ أبي طالب التي ورثها من أبيه عبد المطلب؛ وكان أبو طالب قد ورث أباه عبد المطلب لأن بعض أبناء عبد المطلب مات في حياته وبعضهم لم يعقب فحاز أبو طالب جل متروك عبد المطلب وحازه عقيل بعد موت أبي طالب وورثه دون أخويه جعفر وعلي لتقدم إسلامهما على موت أبيهما، ثم باع عقيل تلك الدور من أهل مكة؛ ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وثب عقيل على دوره فحازها كلها واحتوى عليها، ثم أسلم وهي بيده، وقد قضى رسول الله ﷺ أنه من أسلم على شيء فهو له⁽¹⁾، ثم باعها عقيل. وقد كانت قريش تعتمد إلى دور من هاجر من المسلمين فتبيعها، فقيل لرسول الله ﷺ يوم الفتح أين تنزل يا رسول الله؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»⁽²⁾، ثم قال: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»⁽³⁾ (وذلك أن بني كنانة كانت حالفت قريشا على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يؤوؤهم).

ثم هاجر عقيل إلى المدينة وسكن بها وكانت له بها دار ثم سكن البصرة ثم وفد على معاوية بالشام لدين لحقه، فأقام معه وانحاز إليه عن أخيه علي رضي الله عنه. قيل كان سبب التحاقه بمعاوية أنه قدم يوماً على علي بن أبي طالب بالكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلا ما أرى؟ قال: لا، قال: فتقضي ديني؟ قال: وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأدفعه إليك - وكان أربعة آلاف - فقال عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك، فقال: أتأمرني

(1) أخرجه البيهقي في السنن وابن عدي في الكامل، الجامع الصغير قال: وهو ضعيف.

(2) في رواية: «وهل ترك لنا عقيل من رباغ؟» أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، والخيف: الوادي ويعني بخيف بني كنانة: المحصب.

أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها؟ قال: فإنني آت معاوية فأذن له، فأتى معاوية فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليا وأصحابه؟ قال: كأنهم أصحاب محمد إلا أنني لم أر رسول الله ﷺ فيهم، وكأنك وأصحابك أبو سفيان وأصحابه إلا أنني لم أر أبو سفيان فيكم!.

وكان عقيل زوج خالة معاوية وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، فقال معاوية يوما: لولا أن أبا يزيد يعلم أنني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه، فقال عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي، وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة الخير. ومات عقيل رضي الله عنه بالشام في خلافة معاوية، وقيل في أول خلافة يزيد قبل وقعة الحرة؛ وعقب كثيرا. ومن عقبه يزيد بن عقيل وهو أكبر بنيه وبه كني، ومحمد بن عقيل، وفيه العدد والعقب، ومسلم وعبد الله وعبد الرحمن وجعفر، وقتلوا مع الحسين - كما مر - وعلي وحمزة وأبو سعيد وعيسى وعثمان، ولا عقب لهم.. وغير هؤلاء. وكان في حلب وأطرافها جماعة ينسبون إليه يعرفون ببني عقيل. أما مسلم فقد تقدم سبب وصفة قتله عند قول الناظم: واستشهدت من آل خير مرسل.. إلخ. وأما محمد بن عقيل فقد تزوج زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب وأمها أم ولد. وانقطع نسل عقيل بن أبي طالب إلا من ابنه محمد هذا؛ وذلك قول الناظم وتوى عقيل غير محمد.. إلخ. ومن محمد بن عقيل هذا عبد الله وعبد الرحمن أمهما أم ولد، أما عبد الله فكان فقيها محدثا وابنه القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد كان شبيها بالنبي ﷺ، وأما عبد الرحمن بن محمد فكان رجلا صالحا وكان أيضا شبيها برسول الله ﷺ، ومن عقب محمد بن عقيل أيضا النسابة المشهور الحسين بن قمن بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل، كان من أعلم الناس بالنسب.

ولما أنهى الكلام على بني هاشم ختمه بالكلام على سلمان الفارسي لأنه يعد

منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا أهل البيت»⁽¹⁾. فقال رحمه الله:

سَلْمَانُ فَارِسٌ شَهِيرُهَا السَّرِي سَابِقُهَا مِنْهُمْ كَمَا فِي الْخَبَرِ
وَطَالَمَا تَطَلَّبَ الْأَدْيَانَا مِنْ أَهْلِهَا وَأَسْتَوْضَحَ الْبُرْهَانَا
وَقَرَّ إِذْ أَبْصَرَ مَا وَصَفَ لَهُ أَحْبَارُهُ مِنْ أَحْمَدٍ فَقَبَّلَهُ
وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ كَنْ سِوَى عِبَادَةٍ وَفِي الْعِبَادَةِ التَّوَوَى
يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِهِ وَيَسْتَظِلُّ بِشَجَرٍ وَهُوَ أَمِيرٌ مُسْتَقِلُّ
عَلَى الْمَدَائِنِ وَبِالإِسْلَامِ يَفْخَرُ لَا بِحَسَبِ الْأَنَامِ
وَحَاتِمُ الرُّسُلِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ أَضَافَهُ إِذْ كُلُّ أَهْلٍ بَيْتِ
مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَرَادَهُ بِالْحَلْفِ وَالْجَوَارِ
أَرْبَعَةٌ أَخْبَرَ خَيْرَ مُرْسَلٍ بِحَبِّهِ لَهُمْ إِلَهُهُ الْعَلِيِّ
وَحَبُّهُمْ أَلْزَمَهُ وَهُمْ: عَلِي سَلْمَانٌ مِقْدَادُ أَبُو ذَرٍّ الْعَلِيِّ

سلمان (بالرفع): مبتدأ مضاف لفارس. وفارس والفرس: أمة من الناس مشهورون، والنسبة إليهم فارسي، ولغتهم الفارسية؛ وتطلق فارس أيضا على بلادهم. وشهيرها والسري وسابقها: صفات لسلمان. والضمير فيهما عائد على فارس، والسري: الشريف. وقوله منهم: خبر عن سلمان، والضمير فيه عائد على أهل البيت المحدث عنهم. والخبر: الحديث، وأشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم:

(1) أخرجه الطبراني، والحاكم في المستدرک كما في الجامع الصغير.

«سلمان منا أهل البيت»⁽¹⁾. واستوضح الأمر: طلب إيضاحه. والبرهان: الدليل، مشتق من البره، بفتح فسكون وهو القطع لأنه يقطع حجة الخصم، أو بالتحريك وهو البياض لأن قلب صاحبه يصاحبه بياض، أو من البرهة، بضم فسكون وهي البيئة لأنها أيضا تقطع حجة الخصم. وقر: أي سكن واطمأن. والأحبار: جمع حبر: العالم، مأخوذ من تحبيره العلم وتحسينه، والمراد به هنا رؤساء الأديان الذين صحبتهم سلمان قبل إسلامه واسترشدهم في طلب الدين؛ وقد تداوله في ذلك بضعة عشر حبرا قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ. والكن (بالكسر): البيت أو ما يقي ويستتر. والعباءة (بالتفتح): كساء معروف. والتوى في الثوب: تستر. والمدائن: علم على مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى، سميت بالجمع لكبرها⁽²⁾، وكان سلمان أميرا عليها مستقلا بولايتها بدون منازع، وكان ذلك في آخر خلافة عمر، قيل وأول خلافة عثمان رضي الله عنهم.

يعني أن من أهل البيت بالولاء سلمان الفارسي المشهور الذي نال الشرف بالإسلام وموالاته سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فلذلك عدّه الناظم فيهم وختم به الكلام عليهم. وأشار في هذه الأبيات إلى كثير من خصائصه رضي الله عنه ومراحل حياته مما سيتضح إن شاء الله من ترجمته.

ترجمة سلمان الفارسي وقصة طلبه للإسلام

وسلمان الفارسي هو أبو عبد الله ويقال سلمان الخير، قيل كان اسمه بابه

(1) تقدم تخريجه قريبا.

(2) المدائن: عاصمة الفرس بناها أنوشروان بن قباد وأقام بها هو ومن كان بها من ملوك ساسان، وكانت بها وقعة للمسلمين على الفرس عام 16 هـ. [نهاية الأرب].

(بكسر الموحدة) ابن بوذخشان ابن مورسلان بن بهبودان بن فيروز بن سهرك من ولد آب الملك، أصله من فارس من رَامَهُرْمَزَ من قرية يقال لها جي⁽¹⁾ وقيل أصله من أصبهان، وقد روي عنه أنه كان من أبناء أساورة فارس وكان أولاً على دين آباءه وهو المجوسية، فتطلب غيرها من الأديان وتنقل في سبيل ذلك في كثير من البلدان وتتبع من يرجوه عنده، فدان بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وتحمل في ذلك جميع أنواع المشقة وصبر على ذلك منتقلاً من حبر إلى آخر حتى أخبره آخرهم أن نبيا سيبعث قد أظلم قدمه ووصفه له ووصف له دار هجرته، فخرج في طلب ذلك حتى وصل إليها بعد أن أسر ويبيع واسترق ولم يزل كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فسمع به فجاءه وعرفه بالأمارات التي أخبره بها بعض أحباره فأسلم وكاتب سيده فتحرر ولحق به صلى الله عليه وسلم.

هذا وخير وأصدق ما يروي لنا قصة سلمان الفارسي ومراحل حياته هو سلمان نفسه ، ففي سيرة ابن هشام ومسند أحمد وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي وأنا أسمع من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها "جي" وكان أبي دهقان⁽²⁾ قرينته وكنت أحب خلق الله إليه لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي خادماً الذي يوقدها لا يتركها تحبو ساعة،

(1) جي بفتح الجيم وتشديد الياء: اسم مدينة أصبهان القديم وكان أهلها قد اصطلحوا مع المسلمين وكتب الصلح بينهم عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الدهقان بكسر فسكون: شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر يلحاً إليه في معرفة ذلك.

قال وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطَّلعها؛ وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي: ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري. قال فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال أي بني أين كنت أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه، قلت له: كلا والله إنه لخير من ديننا، فخافني فجعل في رجلي قيذا ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام؛ فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسقف⁽¹⁾

(1) الاسقف: هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم، ومرتبته فوق القسيس ودون المطران.

في الكنيسة قال فحجته فقلت له إنني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك فأتعلم منك وأصلي معك، قال: ادخل فدخلت معه قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال⁽¹⁾ من ذهب وورق، قال فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم إن هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا، قال فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم أنا أدلكم على كنزه، فقالوا دلنا عليه قال فأرثتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، قال: فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا، قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا بـرجل آخر فجعلوه مكانه.

قال سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه، قال: فأحبته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله، قال فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان إنني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فيلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي؛ فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه،

(1) جمع قلة وهي: الجرة العظيمة.

فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فيلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به. فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضرَ قلت له: يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فيلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي؛ فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضرَ قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فيلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل⁽¹⁾ زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كنفه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

(1) أظل: أي دنا وقرب.

قال: ثم مات وغيب؛ ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي، قالوا نعم فأعطيتهموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا، فكنت عنده؛ ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يَحَقَّ⁽¹⁾ في نفسي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها.

وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنني لفي رأس عذق⁽²⁾ لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن يجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العرَواءُ - يعني الرعدة - حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ما تقول؟ فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال قلت: لا شيء إنما أردت أن أستبته عما قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «كلوا»، وأمسك يده فلم

(1) حق الأمر يَحُقُّ حقا وحقَّةً: ثبت ووجب.

(2) العذق بفتح العين: النخلة وبكسرهما عنقود النخلة.

يأكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً؛ وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له إنني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه⁽¹⁾ فقلت في نفسي هاتان اثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه⁽²⁾ علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبله وأبكي.. فقال لي رسول الله ﷺ «تحول»، فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس؛ فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان»⁽³⁾ فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة ودية⁽⁴⁾ من النخل وأربعين أوقية ذهباً، فقال النبي ﷺ لأصحابه أعينوا

(1) استخرج العلماء من حديث سلمان هذا فوائد كثيرة فقهية، منها: أنه لما تصدق عليه في المرة الأولى وأهدى له في الثانية في كليهما لم يسأله صلى الله عليه وسلم هل أنت حر أو عبد ولا من أين لك هذا، وفي الحديث «من قدم إليه طعام فليأكل ولا يسأل» - [الروض الأنف].

(2) ذلك الرجل هو كلثوم بن الهدم.

(3) حديث سلمان هذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس.

(4) الودية: واحدة الودي وهو فراخ النخل الصغار وإذا خرجت النخلة من النواة فهي غريسة، ثم ودية ثم فسيلة ثم اشاءة، فإذا فاتت اليد فهي: جبارة وهي العصيد والكتيلة، ويقال للتي لم تخرج من النواة لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثينة وهي الجشائث والهراء، وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة فليفرسها» - [الروض الأنف].

صاحبكم بالنخل⁽¹⁾؛ فأعانوني، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر.. يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت عندي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقر⁽²⁾ لها ولا تضع منها شيئاً حتى أضعه بيدي». قال سلمان: فقرت لها وأعاني أصحابي فلما فرغت أتيته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ويسوي عليه تراباً حتى فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها واحدة فأدبت النخل وبقي علي المال؛ فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل بمثل البيضة من الذهب فلو وزنت بأحد لكانت أثقل منه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما فعل الفارسي المكاتب»؟ فدعيت له فقال: «خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان»، فقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ فقال: «خذها فإن الله سيؤدي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم حقهم. وعتق سلمان فالتحق برسول الله ﷺ.

ولما عتقَ سلمانُ أرادَه كل أحد من المهاجرين والأنصار بالخلف والجوار فقال عليه الصلاة والسلام: «سلمان منا أهل البيت»⁽³⁾، وقال فيه علي بن أبي طالب: هو منا أهل البيت؛ وعده بعضهم من موالي النبي ﷺ لأنه أعانه في الكتابة وكان سبب مكاتبتة لسيده. وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء؛ وقد شغله رضي الله عنه الرق حتى فاته بدر وأحد مع النبي ﷺ، وأول مشاهدته الخندق وهو الذي أشار بحفره على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتخلف عن رسول الله

(1) حديث سلمان هذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس.

(2) أي احفر لها موضعاً تفرس فيه، وتسمى الحفرة: فقرة بضم الفاء.

(3) حديث: «سلمان منا..» إلخ، تقدم تحريجه.

ﷺ في غزوة ولا مشهد بعدها، وشهد فتوح العراق.

وكان رضي الله عنه خيرا فاضلا وحيرا علما، قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان سابق فارس إلى الجنة»⁽¹⁾، وقال: «لو كان الدين بالثريا لناله سلمان»، وفي رواية: «لناله رجال من قوم هذا وأشار إلى سلمان»⁽²⁾. وسئل عنه علي بن أبي طالب فقال: علم العلم الأول والآخر، بحر لا ينزف؛ وقال أيضا: سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم، وعن أبي هريرة قال: كان سلمان صاحب الكتاين يعني الإنجيل والفرقان، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن كعب الأحبار قال: سلمان حشي علما وحكمة، وقد روى سلمان كثيرا عن رسول الله ﷺ وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين. وكان رضي الله عنه ناسكا صالحا زاهدا متقشفا يلبس الصوف ويركب الحمار بغير إكاف⁽³⁾ ويأكل خبز الشعير، وكان إذا سئل عن نسبه يقول: أنا ابن الإسلام من بني آدم، ويقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ولم يكن له رضي الله عنه بيت بل كان يستظل بالجدار والشجر وكان له كساء يبسط بعضه تحته ويلتف ببعضه. وكان أميرا على المدائن في خلافة عمر بن الخطاب، قيل وبعض خلافة عثمان رضي الله عنهم، وكان عطاؤه من بيت المال خمسة آلاف، وكان إذا أخذها تصدق بها ولا يقبل شيئا من أحد؛ وكان يعمل

(1) أخرجه ابن سعد عن الحسن مرسلا كما في الجامع الصغير.

(2) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

(3) الإكاف - بوزن كتاب وغراب - البردعة، جمعه أكف وأكفة، وأكف الحمار والبغل وأكفهما:

شد عليهما الإكاف.

الخصوص⁽¹⁾ وقد تعلمه بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟ فقال: إني أحب أن أكل من عمل يدي. ولم يزل رضي الله عنه واليا على المدائن مستقلا بولايتها لا ينازعه منازع إلى أن توفي بها سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين عن عمر يبلغ ثلاثمائة وخمسين، وقيل مائتين وخمسين⁽²⁾.

وقد روي عن ابن بريدة عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم»، قيل يا رسول الله سمهم لنا، قال: «علي منهم - يقول ذلك ثلاثا - وأبو ذر والمقداد وسلمان»⁽³⁾.

ولما أنهى الكلام على بني هاشم أخذ يتكلم على بني عمهم آل المطلب بن عبد مناف، فقال رحمه الله:

بنو المطلب بن عبد مناف*

وَهَاشِمٌ حَلِيفَةُ الْمُطَلِّبِ وَكُفُوُهُ وَالشَّافِعِيُّ يُنْسَبُ
لَهُمْ وَهَاشِمُ الشَّرِيفُ جَدُّهُ وَجَدُّهُ السَّائِبُ طَارَ مَجَدُّهُ

(1) الخصوص بالضم: ورق النخل الواحدة بهاء، والخصوص: الذي يعمل الأشياء منه، والبائع له - [القاموس والمنجد].

(2) وترك بنتين، وروي أيضا أنه عاش ثلاثمائة سنة، ودفن بيده مائة من ولده ليس فيها سقط ولا أنثى ولا ولد وولد.

(3) أخرجه ابن ماجه، والحاكم.

* تناول الناظم الكلام على بني المطلب بن عبد مناف في نحو ستة أبيات وذكر من أعيانهم سبعة رجال وامرأة واحدة.

أَسْرَ إِذْ أُسِّرَ إِسْلَامًا لَدَى بَدْرٍ لِيَأْخُذَ الصَّحَابَةَ الْفِدَاءَ

الحليف: المعاهد على التناصر والتعاقد. والكفاء (بتثليث الكاف): المثل والنظير. والشافعي مبتدأ خبره الجملة بعده. والضَّمير في لهم عائد على المطلب باعتبار بنيه. وقوله وهاشم مبتدأ، والشريف صفتة، ووصفه بذلك لأنه جد رسول الله ﷺ ومنه تفرع آل النبي صلى الله عليه وسلم وللإحتراز به من هاشم بن المطلب جد الشافعي من الأب. وجَدُّهُ الأولى خبر عن هاشم، والضَّمير فيه عائد على الشافعي. وجَدُّهُ الثانية مبتدأ والضَّمير فيه عائد على الشافعي أيضا. والسائب: بدل من جده، وخبر المبتدأ جملة قوله طار مجده: أي ارتفع ذكره. والضَّمير في مجده عائد على السائب. والمجد: العز والرفعة. وقوله أسر (بفتح الهمزة والسين مخففة وتشديد الراء) أي أخفى. وقوله إِذْ أُسِّرَ (بتشديد السين والبناء للمفعول) أي قبض عليه. وقوله إسلاما: مفعول به لأَسْرَ، أي أخفى الإسلام حين قبض عليه أسيرا. والْفِدَاءُ (بالكسر والقصر ويمدُّ): ما يعطى من مال ونحوه عوض المفديّ.

يعني أن هاشما والمطلب ابني عبد مناف كانا متحالفين دون أخويهما: عبد شمس ونوفل، وأن المطلي كان كفؤا للهاشمية؛ وقد تقدم أن أبناء عبد مناف بن قصي أربعة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل؛ وكان هاشم وعبد شمس يتقاسمان رئاسة بني عبد مناف وكانت البقية أحلافهم، فبنو المطلب أحلاف بني هاشم كما قال الناظم: وهاشم حليفه المطلب، وبنو نوفل أحلاف بني عبد شمس كما قال: ونوفل حليف عبد شمس. وكان لبني عبد مناف هؤلاء في قريش النسب الصميم والحسب الكريم، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله:

إذا افتخرت يوما قريش بمفخر فعبد مناف أصلها وصميمها

فكان هاشم والمطلب حليفين، وجرى ذلك في ذريتهما من بعدهما، حتى قال صلى

الله عليه وسلم: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد لم يفترقا في جاهلية ولا إسلام»⁽¹⁾؛ ولذلك قال الشافعي رحمه الله بجرمة الصدقة على آل المطلب كحرمتها على بني هاشم، وقال: نحن وبنو هاشم سواء ما افترقنا في جاهلية ولا في إسلام، ثم كان التبادل في المصاهرة في ذريتهما أمرا جاريا.

أما المطلب بن عبد مناف فقد كان أصغر من هاشم وعبد شمس، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش تسميه الفياض لسماحته وفضله وقد ولي السقاية والرفادة بعد أخيه هاشم وهو الذي خرج إلى المدينة ليقبض ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم بعد وفاة أبيه هاشم ليلحقه ببلده وقومه، فلما أراد الخروج به امتنعت أمه سلمى بنت عمرو النجارية من ذلك وامتنع شيبه أيضا من الخروج معه ومفارقة أمه حتى تأذن له، فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا نلي كثيرا من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم؛ فأذنت له سلمى ودفعته إليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه على بعيره، فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه (فبها سمي شيبه عبد المطلب) فقال المطلب: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة. فغلب على شيبه ذلك الاسم ودعي به من ثم، وقيل

(1) أخرجه مسلم وابن ماجه، وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جاءه يوما عثمان بن عفان العيشمي وجبير بن مطعم النوفلي فسألاه أن يقسم لهما كما قسم لبني هاشم وبني المطلب وقالوا له: إن قرابتنا واحدة، وذلك لأن جداهم جميعا عبد مناف، وفيه يجتمعون، فلم يفعل وقال: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد...» - الحديث. وقد أشار صلى الله عليه وسلم بذلك إلى موازنة بني المطلب لبني هاشم وانضمامهم إليهم حين قاطعتهم قريش وحاصرتهم في الشعب، وقد مالاً بنو عبد شمس وبنو نوفل ابني عبد مناف بطون قريش الأخرى عليهم كما مالهم أبو لهب من بني هاشم.

لقب عبد المطلب لأن أباه هاشما أوصى أخاه المطلب وقال له: أدرك عبدك؛ فمن ثم سمي عبد المطلب. وتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن، فقال رجل ييكيه:

قد ظمى الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنثعب⁽¹⁾

ليت قريشا بعده على نصب

فولي عبد المطلب بن هاشم بعده السقاية والرفادة، فأقامهما للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمونه قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فيهم شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم، وهو الذي حفر بئر زمزم وجعلها سقاية للحجيج.

ومن أولاد المطلب بن عبد مناف: هاشم والحارث ومخرمة وعباد وعلقمة وأبو رهم (أنيس) وغيرهم. وقد ذكر الناظم من عقب المطلب سبعة نفر هم الإمام الشافعي، وجده السائب بن عبيد، ومسطح بن أثانة، وأمه سلمى بنت أبي رهم، وركانة بن عبد يزيد وابنه يزيد بن ركانة وحفيده علي بن يزيد بن ركانة.

التعريف بالإمام الشافعي

أما الشافعي فهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد المحض بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطليبي، يعرف بالشافعي نسبة إلى جده شافع بن السائب بن عبيد، أمه أزدية. ولد بغزة - بقرب حدود البلاد المصرية - سنة مائة وخمسين عند وفاة الإمام

(1) ظمى ظمًا وظماء وظماءة: عطش أو اشتد عطشه، والحجيج جمع حاج، والجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ﴿وجفان كالجواب﴾ وفي المثل: ادع إلى طعانك من تدعو إلى جفانك، ومعناه: استعمل في حوائجك من تخصص بمعروفك، والمنثعب: المنفجر من انثعب الماء ونحوه انفجر فهو منثعب - [القاموس والمنجد].

أبي حنيفة، وحمل إلى مكة ونشأ بها، وما ميز حتى ظهرت عليه ملامح الذكاء والحفظ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة فرحل إلى البوادي في طلبها فحفظ منها كثيرا قبل البلوغ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين ورحل إلى مالك بن أنس فقرأه عليه من حفظه (قيل إن سنه إذ ذاك خمس عشرة سنة) فقال مالك: إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام وأضافه وخدمه بنفسه ثم تفقه عليه ويقال إنه أفتى في الخامسة عشرة من عمره. ثم رجع إلى مكة وعلم بها العربية والفقه وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين، ثم رحل إلى بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه وأملى بها مذهبه القديم، ثم قام بعدة رحلات مر خلالها بالجزيرة والشام وغيرها، وخلال إقامته ببغداد وأثناء رحلاته لقي كثيرا من ثقات المحدثين وعلم منهم ما لم يعلم ورأى من أعراف الناس في الحجاز واليمن والعراق والجزيرة والشام ما جعله يعدل عن بعض آرائه القديمة في جلب المصلحة ودرء المفسدة.

وفي سنة مائتين عاد إلى مصر فألقى بها عصاه وسكن الفسطاط وأملى بها مذهبه الجديد، بجامع عمرو؛ وتبحر في العلم فكان عالم قريش وفخرها وإمام الشريعة وحريرا وهو أول من تكلم في علم أصول الفقه وهو الذي استنبطه؛ وقد استنبط مذهبه من القرآن والحديث والقياس وبعض الرأي، فكان مذهبه وسطا بين أهل الرأي من أصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد رضي الله عنهم، فكان أحد الأئمة الأربعة الأعلام، وكان من أبرز الناس ذكاء وعقلا وحفظا وفصاحة لسان وقوة حجة، ولم يناظر أحدا إلا ظهر عليه، واتفق العلماء على ثقته وورعه وأمانته وزهده، وكان جوادا كريما لا يبقي على شيء ولا يدخر شيئا، وكان إماما في كل شيء حتى الرمي بالسهام، فكان حاذقا فيه يصيب منه تسعة من عشرة وكان مع إمامته شاعرا مجيدا. توفي رحمه الله يوم الجمعة آخر يوم

من رجب سنة أربع ومائتين للهجرة وقبره بقرافة مصر معروف مشهور، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى. ومن ولده أبو الحسن قاضي قنسرين وغيرها، وعثمان الذي رحل إلى الإمام أحمد بن حنبل.

وقول الناظم **هاشم الشريف جده** أراد بهاشم الشريف: هاشم بن عبد مناف بن قصي جد النبي ﷺ، وأخبر بأنه جد الإمام الشافعي تنبيها على تلك الفضيلة والخصلة النبيلة، وكان جده ثلاث مرات: الأولى لأن أم جده يزيد المحض بن هاشم بن المطلب الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي، والثانية لأن أم جده السائب بن عبيد الشفاء بنت الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبد مناف، والثالثة لأن أم الشفاء بنت الأرقم هذه خليدة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فكان هاشم بن عبد مناف المعبر عنه بهاشم الشريف قد ولد الشافعي ثلاث مرات.

وأما جده السائب فهو أبو شافع السائب بن عبيد بن يزيد - أو عبد يزيد - بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطليبي، أمه الشفاء بنت الأرقم، كما مر. حضر السائب هذا بدرا مع المشركين وكانت معه يومئذ راية بني هاشم فأسره سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة الأوسي الحارثي، فأسلم وأسر إسلامه حتى فدى نفسه، وقيل إنه لما أسر فدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لو أسلمت قبل أن تفتدي، فقال: ما كنت لأحرم المؤمنين طُعْمًا⁽¹⁾ لهم؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **أَسْرًا إِذْ أُسِّرَ إِسْلَامًا..** إلخ، فحسن إسلامه رضي الله عنه فكان من فضلاء الصحابة، وكان شبيها بالنبي ﷺ، وفي الإصابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم في فسطاط فجاءه السائب هذا ومعه ابن له فقال: «من سعادة

(1) طعما: أي رزقا لهم.

المرء أن يشبه أباه»⁽¹⁾.

وقد نظم بعضهم المشبهين بالنبي ﷺ فقال:

بخمسة شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن⁽²⁾
بجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وأبي سفيان والحسن⁽³⁾

ومن ولد السائب هذا شافع بن السائب أمه أم ولد وبه كني أبوه السائب، وقد رأى رسول الله ﷺ؛ وهو الذي إليه نسبة الإمام الشافعي، كما مر.

تنبيه: ممن أسلم يوم بدر وافتدى أبو الحارث نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، فقد روي أنه لما أسر يوم بدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفد نفسك» قال: ما لي مال أفندي به، قال: «أفد نفسك برماحك التي تجدة» فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحا بعد الله غيري أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح⁽⁴⁾، وقيل إنه لما أسر فدهاه عمه العباس، ولما فدهاه أسلم.

ومنهم أيضا الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد، فقد

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أنس [الجامع الصغير].

(2) خوئوا أي: أعطوا، خوئ الشيء: أعطاه إياه متفضلاً.

(3) جعفر هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب، وقثم هو ابن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، والسائب هو ابن عبيد - المترجم هنا - وأبو سفيان هو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، والحسن هو الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. وقيل المشبهون بالنبي صلى الله عليه وسلم عشرة: الخمسة المذكورون والحسين السبط بن علي وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكابيس بن ربيعة.

(4) أخرجه ابن سعد من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه - [الإصابة].

شهد بدرا مشركا فأسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام — وكان هشام شقيقه — فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه منه بأربعة آلاف درهم، فجعل خالد لا يبلغ ذلك فقال له هشام: ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن جحش: «لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد»، وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة⁽¹⁾، فأبى ذلك خالد وأجاب هشام فأقيمت الشكة بمائة دينار فسلماها إلى عبد الله بن جحش، فلما افتدي أسلم فقيل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدي؟ قال: كرهت أن تظنوا بي أنني جزعت من الإسار، فحبسوه بمكة فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا لهم من المستضعفين المؤمنين بمكة، ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله ﷺ وشهد معه عمرة القضية، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَمِسْطَاحٌ وَأُمُّهُ وَالْأَيْدُ رُكَانَةٌ يَزِيدُهُ الْمُطَّرِدُ
فِيهِ وَفِي ابْنِهِ عَلِيٌّ قُوَّتُهُ وَبِالْفَوْسِقِ أَضْرَّتْ صَرَعَتُهُ
وَتَحْتَهُ بِنْتُ عَقِيلٍ زَيْنَبُ وَهِيَ الَّتِي رَهْطَ الْحُسَيْنِ تَنْدُبُ

قوله مسطح (بوزن منبر وبالرفع): عطف على قوله المتقدم: والشافعي ينسب لهم. والأيد (بوزن سيد): القوي. وركانة (بوزن ثمامة) بدل من الأيد. ويزيده (بالرفع): عطف على ركانة بجذف العاطف. والضمير في يزيده وفي قوته عائد على

(1) الشكة (بالكسر): السلاح، والفضفاضة: الواسعة، والبيضة: الخوذة من الحديد وهي ما يجعله المحارب على رأسه ليقيه.

ركانة. والمطرد (بصيغة اسم الفاعل): المتتابع والمتسلسل. والضمير في قوله فيه وفي ابنه عائد على يزيد. وقوله علي (بالجر) بدل من ابنه. وقوته (بالرفع): فاعل المطرد. والصرعة (بفتح فسكون): المرة من صرعه إذا طرحه على الأرض. والضمير في قوله وتحتته عائد على علي بن يزيد بن ركانة. وزينب: بدل من بنت عقيل. وتندب (بضم الدال): أي تبيكهم وتذكر محاسنهم.

يقول: ومن عقب المطلب بن عبد مناف مسطح والمعطوفون عليه وهم بقية السبعة المتقدم ذكرهم. أما مسطح فهو أبو عباد عوف بن أثاة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلب، أسلم قديما وهاجر إلى المدينة صحبة بني عمه عبيدة والحصين والطفيل بني الحارث بن المطلب، ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وشهدوا بدرا؛ واختلف في وقت موت مسطح فقيل مات سنة أربع وثلاثين، وقيل بل شهد صفين مع علي رضي الله عنه، ومات سنة سبع وثلاثين، وكان ممن خاض في الإفك فجلد في ذلك. وأما أمه فهي أم مسطح (أو أم عوف) سلمى بنت أبي رهم (أنيس) بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية وأمها ريطة بنت صخر بن عامر بن كعب التيمية أخت أم الخير بنت صخر أم أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فمسطح ابن بنت خالة أبي بكر الصديق.

ولهذه القرابة كان أبو بكر ينفق على مسطح حتى خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة رضي الله عنها، فلما برأها الله تعالى من الإفك أقسم أبو بكر أن لا ينفق على مسطح بعد وأن لا يناله بخير، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾، فقال أبو

(1) النور الآية: 22.

بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي، فكفر عن يمينه وعاد إلى الإنفاق عليه.

وقد أسلمت أم مسطح قديما وكانت من المبايعات وحسن إسلامها وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك، وورد في قصة الإفك حين خرجت مع عائشة لقضاء الحاجة فعثرت فقالت: تعس مسطح⁽¹⁾، فقالت لها عائشة: أتسيين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أو ما تعلمين ما قال؟ فذكرت القصة⁽²⁾. ولمسطح أخ اسمه مضطجع بن أثانة بن عباد بن المطلب شهد بدرا مع رسول الله ﷺ وأختهما هند بنت أثانة.

وأما ركانة فهو أبو محمد ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المظلي، كان يقال لأبيه عبد يزيد المحض أي الخالص لأن أمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف، وأباه هاشم بن المطلب، وكان ركانة هذا قويا ليس في وقته مثله قوة، ومن قوته أنه كان يقف على جلد بقرة ويجذبه عشرة من تحت قدميه حتى يتمزق الجلد ولا يتزحزح هو عنه، فكان ذلك سبب إسلامه، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم خلا به يوما وهو في بعض شعاب مكة⁽³⁾ فدعاه إلى الإسلام وقال له: «يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه»⁽⁴⁾ قال: لو أبي أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفرايت إن صرعتك أتعلم أن ما

(1) تعس (كسمع ومنع): أي هلك، والتعس: الهلاك والعتار والسقوط والشر والبعد والانحطاط — [القاموس].

(2) رواها البخاري ومسلم وغيرهما.

(3) شعاب مكة: طرقها، والشعب: الطريق في الجبل وما انفرج بين جبلين، جمعه: شعاب.

(4) سيرة ابن هشام: 418 / 1.

أقول حق؟ قال: نعم، قال: «فقم حتى أصارعك»، فقام ركابة إليه فصارعه فصرعه رسول الله ﷺ وأضحعه وهو لا يملك من نفسه شيئا، ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه؛ ثم قال: يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني؟ قال رسول الله ﷺ: «فأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت واتبعت أمري»؛ قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»، قال: ادعها؛ فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقال له ركابة: مرها فلترجع؛ فأخذ عليه النبي ﷺ العهد لئن أمرها فرجعت ليسلمن، فقال لها رسول الله ﷺ: «ارجعي إلى مكانك»، فرجعت إلى مكانها؛ فلم يسلم ورجع إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض⁽¹⁾ فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخرجهم بالذي رأى والذي صنع. فلما كان يوم الفتح أسلم⁽²⁾. وفي الإصابة أنه أسلم عند مصارعته قبل الهجرة، وروي أنه كان يقول: كان مما هداني الله إذ علمت أنه لم يصرعني يومئذ بقوته. ثم نزل المدينة وأطعمه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا وقيل خمسين من خبير، وتوفي رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين، وقيل أربعين.

وأما يزيد بن ركابة فقد كانت له أيضا صحبة ورواية، روى عنه ابنه: علي وعبد الرحمن، وله قوة نزع فيها إلى أبيه ركابة.

وأما علي بن يزيد بن ركابة فأمه أم ولد، وقد كانت له أيضا قوة زائدة نزع فيها إلى أبويه يزيد وركابة، وله في ذلك أخبار، منها أنه صارع يوما يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان من أشد العرب قوة فصرعه على صرعة لم يسمع بمثلها، ثم حمله بعد ذلك معاوية على فرس جموح لا يطاق فعلم ما يراد به، فلما جمع به

(1) أي غالبوهم به في السحر.

(2) سيرة ابن هشام: 1 / 418.

الفرس ضم عليه فخذيه فأمسكه فلم يستطع أن يتحرك، وصارعه يوما رجلا ن أيدان فتأبطهما وجرهما تحت إبطيه حتى أشرفا على الموت ثم أطلقهما.

قوله : وتحتة بنت عقيل .. إلخ، يعني أن عليا بن يزيد بن ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب كانت تحتة زينب بنت عقيل بن أبي طالب، وهي التي كانت تبكي آل الحسين بن علي الذين قتلوا مع الحسين بكر بلاء بقولها:

ما ذا تقولون إن قال النبي لكم ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعزتي وبأهلي بعد مفتدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم .. إلخ

- كما تقدم - وولدت له أولادا منهم عبدة بنت علي أم أبي البخري (وهب) بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الذي كان على قضاء أمير المؤمنين هارون الرشيد، كما في الزبيرى.

ومن هاشم بن المطلب أيضا عجيد (كقتيل) - أو عجير بالتصغير - بن يزيد بن هاشم أخو ركانة، أسلم عام الفتح وأطعمه النبي ﷺ من خير ثلاثين سقا، وهو ممن بعثهم عمر من مشايخ قريش وجلّتهم⁽¹⁾ لإقامة أعلام الحرم؛ ومات في خلافة علي.

ومن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أبناؤه عبيدة والحصين والطفيل، أسلموا ثلاثهم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وصحبوا وهاجروا إلى المدينة وشهدوا بدرأ، وكان عبيدة منهم صاحب أول - أو ثاني - لواء عقده رسول الله ﷺ على ستين من المهاجرين فالتقى بالمشركين بثنية المرة وعليهم أبو سفيان بن حرب ولم يكن بينهم إلا الرمي، فكان أول قتال في الإسلام؛ وحضر رضي الله عنه

(1) يقال قوم جلة - بكسر الجيم وتشديد اللام - عظماء وسادة ذوو أخطار، والجلة جمع جليل وفي الحديث "أخذت جلة أمواهم" - [القاموس والمعجم الوسيط].

بدرا واستشهد بها في أهل البراز فقطعت ساقه واحتمله حمزة وعلي إلى النبي ﷺ فوسده قدمه الشريفة فقال: يا رسول الله لو أن أبا طالب حي لرأى أنني أحق منه بقوله:

كذبتم وبيت الله نسلم محمدا ولما نقاتل دونه ونناضل
ونمنعه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم حمله رسول الله ﷺ والمسلمون معهم بعد انتهاء المعركة حتى كانوا بجمراء الأسد على ليلة من بدر توفي فدفن حيث توفي بوادي الصفراء وعمره ثلاث وستون سنة، وكان أسن المسلمين يومئذ (أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين) وشهد أخواه الحصين والطفيل بدرا والمشاهد بعدها، وماتا سنة ثلاث وثلاثين في عام واحد وكانا خيرين فاضلين رضي الله عنهم.

ومن مخزومة بن المطلب قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطليبي، ولد عام الفيل فكان لده⁽¹⁾ لرسول الله ﷺ، وكان شديد الصفير⁽²⁾ يصفر عند البيت فيسمع صفيره بجراء، ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي ﷺ بخير ستين وسقا ثم حسن إسلامه رضي الله عنه.

ومن مخزومة أيضا جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطليبي، أسلم عام خير وأعطاه النبي ﷺ من خير ثلاثين وسقا، وهو الذي رأى الرؤيا بالجحفة حين نفرت قريش لتمنع غيرها يوم بدر ونزلوا بالجحفة ليتزودوا من الماء، فغلبت جهيما عينه فرأى في منامه راكبا على فرس له ومعه بعير له حتى وقف على العسكر فقال: قتل فلان وفلان، فعدد رجالا من أشراف قريش، ثم طعن في

(1) اللدة (بالكسر): الترب، وهو الذي يولد معك، أو يوم ولادتك وتربي معك جمعه لِدات ولدون.

(2) الصفير: صوت خارج من الفم والشفيتين على درجة كبيرة من الرخاوة كالسين والزاي والصاد.

لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فلم يبق خباء من أخبية قريش إلا أصابه بعض دمه.

وهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمه رسول الله ﷺ ، فقد رأت قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري على قريش مكة بثلاث ليال، رأت رؤيا فلما أصبحت بعثت إلى أخيها العباس فقالت: يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا ليدخلن على قومك منها شر وبلاء، فقال: وما هي؟ قالت: رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم⁽¹⁾ في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم أرى بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه، ثم مثل به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أرى بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفله ارفضت⁽²⁾ فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيها بعضها؛ فقال العباس: اكنمها قالت: وأنت فاكنمها، ثم ذكرها العباس للوليد بن عتبة وكان له صديقا واستكنمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه، فتحدث بها ففشا الحديث، فقال العباس: والله إني لغاد إلى الكعبة لأطوف بها فإذا أبو جهل في نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبئية؟ فقلت وما ذاك؟ قال: رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، أما رضيتم أن تتنبأ

(1) الأبطح في الأصل: مسيل واسع فيه دقاق الحصى ومنه أبطح مكة وبطحاؤها: مكان بها، جمعه: أباطح وبطاح، وقريش البطاح: الذين ينزلون بين أخشي مكة، وغدر (بوزن صرد): الرجل الغادر، أي الخائن الناقض للعهد، يقال في شتم الرجل يا غدر أي: يا غادر، وفي الجمع يا آل غدر، والمصارع: جمع مصرع وهو مكان سقوط الإنسان على الأرض ميتا.

(2) ارفضت: تكسرت وتفرقت.

رجالكم حتى تنبأت نساؤكم؟! سنترىص بكم الثلاث التي ذكرت عاتكة فإن كان
حقا فسيكون وإلا كتبنا عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب. ثم كان ما
كان وأصاب قريشا ما أصابها بيدر وصدق الله سبحانه وتعالى رؤيا عاتكة.

ولما أنهى الناظم الكلام على بني المطلب أخذ يتكلم على بني نوفل بن عبد
مناف، فقال رحمه الله:

بنو نوفل بن عبد مناف*

وَنَوْفَلٌ حَلِيفٌ عَبْدٌ شَمْسٍ وَمُطْعِمٌ أَجَارَ خَيْرِ الْإِنْسِ
سَيِّدُهُمْ وَذُو السَّقَايَةِ أَبُوهُ لِنَوْفَلٍ وَهُوَ عَدِيٌّ نَسَبُوهُ
لِلْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ عُقْبَةُ قَاتِلُ خُبَيْبِ الْعَلِيِّ

نوفل مبتدأ، وحليف عبد شمس خبره. ومطعم (بصيغة اسم الفاعل): مبتدأ
خبره سيدهم. وجملة قوله أجار خير الإنس صفة لمطعم. والإنس (بكسر الهمزة):
البشر. وذو السقاية: مبتدأ خبره قوله نسبوه. وأبوه: بدل من ذو السقاية. وقوله
لنوفل: متعلق بنسبوه. وجملة قوله وهو عدي مفسرة لقوله وذو السقاية.. إلخ.

يعني أن نوفل بن عبد مناف كان حليفا لأخيه عبد شمس دون أخويه هاشم
والمطلب - كما مر - وأن المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كان سيد بني
نوفل، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ مرجعه من ثقيف، وأن أباه عديا بن نوفل
كان صاحب سقاية للحجاج بمكة.

* تناول الناظم الكلام على بني نوفل بن عبد مناف في ثلاثة أبيات، وذكر من أعيانهم أربعة رجال.

أما نوفل بن عبد مناف فأمه واقدة بنت أبي عدي (من بني مازن بن صعصعة)، وله من الولد عدة منهم عدي بن نوفل، وهو أكبر ولده وبه كني، وعامر وعمرو وعبد عمرو وأبو عمرو.. وغيرهم.

وأما عدي فهو أبو المطعم عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، أمه هند بنت وهيب بن نسيب (من بني مازن بن منصور) وأخته لأمه مُنِينَةُ بنت الحارث بن جابر بن وهب بن نسيب أم بني خويلد بن أسد الأكبر⁽¹⁾؛ ومن أجل ذلك استنصر بهم عدي بن نوفل حين نازع عبد المطلب في السقاية، وكان عدي من سادات قريش وزعمائها. وكانت السقاية الكبرى للحجيج زمزم سقاية عبد المطلب بن هاشم، ثم أراد عدي بن نوفل أن يحفر سقاية أخرى للحجاج بين المشعرين الصفا والمروة، فمنعه عبد المطلب أولاً، فاستنصر ببني أخته بني خويلد بن أسد، فأذن له عبد المطلب فحفرها، فكانت تعرف: بـ"سقاية عدي"؛ وفي ذلك يقول عدي نفسه يخاطب عبد المطلب:

متى تدغ مَوَلِيَّ مَنْ مَوَالِيكَ تَلْقَنِي	متى أدغ مَوَلِيَّ نُوْفَلٍ غَيْرِ أَوْحَدٍ
متى أدع عواما ويأت ابن أمه	حزام فمولى نوفل غير مفرد
تَطْفُفُ أَسَدٌ ⁽²⁾ حَوْلِي بِحَدِّ رِمَاحِهَا	ويأتوك أفواجا على غير موعده
بنو أمنا في كل يوم كرهية	ومن نسل شيخ مجده غير مقعد ⁽³⁾

(1) وهم: عدي وحزام والعوام ورقيقة بنو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهم حلفاء بني نوفل بن عبد مناف. [الزبيرى].

(2) يريد بني أسد بن عبد العزى بن قصي.

(3) بنو أمنا: أي لأن جدتهم هند بنت وهيب بن نسيب، أم آل نوفل بن عبد مناف، ويوم الكريهة: يوم اشتداد الحرب، ومن نسل شيخ: يعني قصيا لأن جدهم قصي بن كلاب، ومجده: عزه ورفعته، وغير مقعد: (بضم الميم وفتح العين) يريد أنه شريف الحسب، يقال: فلان مقعد الحسب: إذا لم يكن له شرف.

وفي تلك السقاية يقول مطرود الخزاعي بمدح عديا:

وما النيل يأتي بالسفين يكفه بأجود سببا من عدي بن نوفل
وأنبطت بين المشعرين سقاية⁽¹⁾ لحجاج بيت الله أفضل منهل

وروي أن سعيد بن سالم القداح - فقيه أهل مكة - وهو من شيوخ الشافعي قال: أدركت سقاية عدي هذه يسقى عليها اللبن والعسل. وقد تزوج نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ميمونة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فولدت له غلاما سماه عليا، فكان إذا رآه قال: هذا ابن السقايتين⁽²⁾.

المطعم بن عدي وحمايته للنبي ﷺ عودته من الطائف

وأما المطعم فهو ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، أمه فاختة بنت عباس بن حبي بن رعل بن مالك (من بني سليم بن منصور)، كان من سادات قريش، وهو الذي أجاز رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف.

وماصل تلك القصة التي أشار إليها الناظم أنه لما مات أبو طالب وتوفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما لأنهما كانا أشد المعضدين له والمدافعين عنه، فكانت هي له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها وكان هو له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرًا على قومه، وموتهما نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياتهما حتى سمي ذلك

(1) أنبطت البئر: استخرجت ماءها، والمشعر: أحد معالم مناسك الحج التي ندب الله تعالى لها وأمر بالقيام بها، والمراد بالمشعرين هنا: الصفا والمروة. والسقاية: بئر لسقي الحجاج.

(2) يعني العباس بن عبد المطلب صاحب سقاية الجاج، أو عبد المطلب نفسه الذي حفر بئر زمزم لسقاية الحاج، وعدي بن نوفل بن عبد مناف صاحب السقاية الثانية.

العام "عام الحزن" فاشتد أذى قريش لرسول الله ﷺ وبلغوا منه ما لم يكونوا قد بلغوه من قبل ، فلما اشتد عليه الأمر خرج إلى الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النصره والمنعة⁽¹⁾ بهم من قومه حتى يبلغ عن ربه، فكلمهم في نصرته والقيام معه على من خالفه، فكان ردهم عليه من أقبح الرد، وأخرجوه عن بلدهم، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به ويرمونهم بالحجارة حتى اختضبت نعلاه دما. وقد قالت له عائشة - رضي الله عنها -: هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟! فقال لها: «لقد لقيت من قومك⁽²⁾ وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة⁽³⁾ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم⁽⁴⁾ فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب...»⁽⁵⁾ - الحديث⁽⁶⁾، وكان صلى الله عليه وسلم يشير بذلك إلى يوم ثقيف هذا. ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة - وهي موضع على ليلة من مكة - نزل به وقام من جوف الليل يصلي فعند ذلك مر به نفر الجن الذين ذكرت قصتهم في القرآن الكريم

(1) النصره: حسن المعونة، والمنعة (بفتح النون وسكونها): العز والقوة التي تمنع من يريد أحدا بسوء.

(2) يعني قريشا.

(3) يوم وقف فيه صلى الله عليه وسلم عند العقبة التي يئس ودعا الناس فيه إلى الإسلام فلم يجيبوه وأذوه أشد الإيذاء.

(4) على وجهي: أي على الجهة الواجحة لي، أي انطلقت هائما لا أدري أين أتوجه لكثرة همي الذي كنت فيه.

(5) أي لم أظن لنفسي ولم أتبه لحالي وللوضع الذي أنا ذاهب إليه، وقرن الثعالب قيل هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة؛ وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.

(6) أخرجه مسلم.

فاستمعوا له وآمنوا به.

ولما علمت قريش بمسيره صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف ازداد عداؤهم له، فأقام صلى الله عليه وسلم بنخلة أياماً، ثم انتهى إلى حراء، فبعث إلى الأحنس بن شريق ليحيره، فقال له: أنا حليف والحليف لا يجير على الصريح⁽¹⁾، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب (بن لؤي)، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك، فدخل صلى الله عليه وسلم عليه وبات عنده، فلما أصبح تسلح المطعم هو وبنوه وبنو إخوته واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف⁽²⁾ وقالوا لرسول الله ﷺ: طف، فقال أبو سفيان للمطعم: أجمير أم تابع؟ فقال: بل مجير، قال: إذن لا تخفر⁽³⁾، قد أجرنا من أجزت. ففضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه إلى منزله. وكان صلى الله عليه وسلم يشكر للمطعم ذلك بعد؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان المطعم بن عدي فئة لهؤلاء النتنى (يعني أسارى بدر) لو هبتهم له»⁽⁴⁾، وفي رواية «لو كان المطعم بن عدي حيًّا وكلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»⁽⁵⁾؛ وكان قد مات بمكة قبل وقعة بدر بنحو سبعة أشهر.

والمطعم بن عدي هذا هو الذي أطلق سعد بن عبادة من أيدي قريش بعد ما تعلقوا به وأجاره، وكان سعد قد قدم معتمراً. وفي المطعم بن عدي يقول حسان بن

(1) الحليف: المعاهد، والصريح: الخالص النسب.

(2) الحمائل: جمع حمالة: علاقة السيف، واحتبوا بها: أداروها على أجسامهم، والمطاف: موضع الطواف حول الكعبة.

(3) أي لا ينقض عهدك ولا يغدر به.

(4) رواه البخاري: 6 / 173 - 7 / 249 - [فتح الباري طبعة بولاق].

(5) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود.

ثابت الأنصاري:

فلو أن مجدا أخلد الدهر واحدا
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا
فلو سئلت عنه معدُّ بأسرها
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
وآبى إذا يأبى وأعظم شيمة
من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
عبيدك ما لبى مهل⁽¹⁾ وأحرما
وقحطان أو باقي بقيّة جرهما
وذمته يوما إذا ما تذمّا
على مثله فيهم أعز وأعظما
وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

ويقول فيه أيضا:

لَو أَن فَتَى نَالَ السَّمَاءَ بِكَفِهِ
لَنَالَ عَدِيٌّ بِأَبْهَاءِ بَسْلَامِهِ⁽²⁾

ويقول أيضا:

أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي
وبكي عظيم المشعرين كليهما
بدمع وإن أنزفته فاسكي الدما⁽³⁾
على الناس معروفا له ما تكلما

سعيه في نقض الصحيفة

والمطعم بن عدي هذا هو ثالث رجل يقوم في نقض صحيفة قريش في مقاطعتهم
بني هاشم وبني المطلب، وهو الذي قام إليها وشقها؛ وكان سبب ذلك أن هشام بن
عمرو العامري - الذي أبلى في نقضها بلاءً حسنا - مشى إلى زهير بن أبي أمية
المخزومي وقال: أرضيت يا زهير أن تأكل الطعام وتلبس اللباس وأحوالك حيث قد
علمت؟ أما إنني أحلف بالله لو كانوا أحوال أبي الحكم بن هشام ودعوته لمثل ما

(1) مهل: رافع صوته بالتلبية.

(2) السلام والسلايم: المرقاة التي يرتقي عليها من خشب أو حجر أو مدر.

(3) أنزف عبرته: أنفدها وأفناها، واسكي: أي صبي الدم.

دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا، فقال: ويحك⁽¹⁾ يا هشام ما أصنع؟ فلو كان معي رجل واحد لقمتم في نقضها، فقال: أنا معك، فقال زهير: ابغنا ثالثا؛ فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم أقدر رضىت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد موافق لقريش على ذلك؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنَّها إليها منكم سراعا، قال: ويحك فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: ابغنا ثالثا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: ابغنا رابعاً؛ فذهب إلى أبي البخري بن هشام فقال له نحو مما قال المطعم بن عدي، فقال: ابغنا خامسا، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي دعوتني إليه من أحد؟ قال: نعم.. وسمى له القوم. فاتعدوا خطم الحجون⁽²⁾ ليلا؛ فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام فيها حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا على نادي قريش. فجاء زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكت؟! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق؛ فتبادر الأربعة الآخرون بتكذيب أبي جهل وتصديق زهير، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان!؛ فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشققها⁽³⁾.

(1) ويحك: كلمة ترحم وتوجع، والمعنى: أترحم عليك وأتوجع لك.

(2) الحجون: جبل بمحلة مكة، وخطمه: أنفه ومقدمه.

(3) والقوم الذين قاموا في نقض هذه الصحيفة هم: هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن شحام العامري (من بني عامر بن لؤي)، كان شريفا في قومه، وهو ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان واصلا لبني هاشم في الشعب وأول من قام في نقض الصحيفة، وأحسن

وفي ذلك يقول أبو طالب من قصيدة له:

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا على ملاً يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون⁽¹⁾ كأنهم مقاولة⁽²⁾ بل هم أعز وأمجّد
أعان عليها كل صقر كأنه إذا ما مشى في رفراف الدرع أحرّد⁽³⁾
جريء على جل الخطوب كأنه شهاب بكفي قابس يتوقّد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا على مهل وسائر الناس رقد

----->>

القوم بلاء في ذلك. وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، أمه عاتكة بنت عبد المطلب، وهو أول متكلم في نقضها. والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف النوفلي، وهو الذي تولى شق الصحيفة بيده. وأبو البخترى - واسمه العاصي - بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وهو أول من كذب أبا جهل وردّ عن زهير وأيده، وكان هؤلاء الخمسة قد خاطروا بأنفسهم وبذلوا الجهد في أمر عظيم، حيث تواطأوا على نقض هذه الصحيفة الظالمة ودبروا ذلك رغم اجتماع قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وتعاقدهم في الصحيفة على ذلك وتمالؤهم على كتابتها وتعليقها في جوف الكعبة تأكيداً لأمرها ومبالغة في حفظها، وقد كان هؤلاء الخمسة كلهم كفاراً حين تصدوا لنقضها، ولم يسلم منهم غير هشام وزهير؛ أما هشام فقد أسلم يوم الفتح وشهد حيناً، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيراً، وأما زهير فيذكر في المؤلفات قلوبهم، وأما المطعم فقد هلك قبيل وقعة بدر، وأما أبو البخترى وزمعة فقد هلكا يوم بدر. وهذا من كمال عناية الله تعالى بحبيبه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حيث سخر له عدوه في نصرته، واستعمل مبغضه في خدمته. [من بنيس على الهمزية وغيره].

(1) اسم مكان بمكة.

(2) مقاولة: ملوك وهو (جمع قيل) وهو الذي يخلف الملك عند حمير، والمراد أنهم سادات.

(3) الصقر: البازي. ورفراف الدرع: فضولها. والأحرّد (بالمهمل): الذي في مشيه تشاقل. ومن هذه القصيدة:

وإني وإياهم كما قال قائل "لديك البيان لو تكلمت أسود"

وأسود هذا اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلاً.

وقد تقدم شيء من هذه القصة عند قول الناظم: *وانسب هشاما ناقض
الصحيفة.. الخ.*

قوله: للحارث بن عامر: خير مقدم. وقوله عقبه مبتدأ مؤخر. وقاتل
(بالرفع): صفة لعقبة. وخبيب (بالحاء المعجمة بوزن زبير): هو ابن عدي بن مالك
الأنصاري الأوسي. والعلي: صفة لخبيب، وهو المرتفع القدر.

يقول ومن بني نوفل بن عبد مناف عقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد
مناف الذي قتل خبيبا بن عدي بأبيه الحارث بن عامر الذي قتل يوم بدر. وعقبه
هذا هو أبو سَرَوَعَة عقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي
النوفلي، أمه بنت عياض بن رافع الخزاعية، أسلم يوم الفتح؛ وهو الذي تزوج أم
يحيى غنية بنت أبي إهاب التميمية فجاءت أمة سوداء فقالت: إنني قد أرضعتكما،
قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك وقلت: يا رسول الله إنها كاذبة، فقال عليه
الصلاة والسلام: «كيف وقد قيل» - وفي رواية -: «كيف وقد زعمت أنها قد
أرضعتكما؟ خل سبيلها»⁽¹⁾، فطلقها عقبه ثم تزوجها بعده نافع بن ظريف بن عمرو
بن نوفل النوفلي الصحابي، وقيل إن عقبه أخو أبي سروعة وإنهما ابنا الحارث بن

(1) أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد، وقد اختلف في شهادة المرأة الواحدة على الرضاع،
فقيل تقبل شهادتها فيه إذا كانت مرضية، وبهذا قال طاووس والزهري والأوزاعي وابن أبي ذئب
وغيرهم. وقد قال الزهري والأوزاعي: فرق عثمان بين أربعة وبين نساتهم بشهادة امرأة واحدة في
الرضاع. وقال الشعبي: كانت القضاة تفرق بين الرجل والمرأة بشهادة امرأة واحدة في الرضاع،
ولأنه شهادة على عورة فقبل فيها شهادة الواحدة كالولادة ولأنه كالخير، وقيل لا يقبل إلا شهادة
امرأتين وروي عن أحمد وهو قول الحاكم. وقال أصحاب الرأي: لا يقبل فيه إلا رجلان أو رجل
وامرأتان. وروي ذلك عن عمر لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية، وقال
عطاء وقتادة والشافعي: لا يقبل من النساء أقل من أربع لأن كل امرأتين كرجل. والله أعلم.
[راجع المغني لابن قدامة المقدسي: 3 / 340 - 341].

عامر وإن أخاهما لأمهما حجير (بالتصغير) ابن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل، وقد أسلم الثلاثة وصحبوا بعد. كما في النزهة⁽¹⁾، وقيل إن حجيرا هذا هو الذي اشترى خبيبا لعقبة بن الحارث ليقبله بأبيه الحارث بن عامر، وإن أبا إهاب والحارث بن عامر أخوان لأم.

قتل قريش لخبيب بن عدي

وحاصل قصة قتل خبيب التي أشار لها الناظم - حسبما في روض النهاية، وابن إسحاق وغيرهما - أن رسول الله ﷺ أرسل مرة نفرا من أصحابه عرفوا بعد بـ"بعث الرجيع"، قيل كانوا ستة وقيل عشرة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، وكان فيهم خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الجحجبي؛ فساروا حتى كانوا بالهدأة (بين عسفان ومكة) ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فاستنفروا إليهم مائة رجل من رماثهم، فلما أحس بهم أصحاب النبي ﷺ التجأوا إلى موضع مرتفع فأحاط بهم القوم، وقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن أنتم أعطيتم بأيديكم أن لا نقتل منكم أحدا؛ فقال عاصم: أما أنا فوالله لا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخير عنا نبيك. فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة نفر، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق، وهم خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم⁽²⁾ فربطوهم بها،

(1) أي نزهة الأفكار على قرة الأبصار لعبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي.

(2) الأوتار: جمع وتر (بالتحريك) وهو معلق القوس. والقسي: جمع قوس وهي آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام.

فقال عبد الله بن طارق: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم وإن لي بهؤلاء القتلى لأسوة؛ فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه؛ وذهبوا بخبيب وزيد بن الدثنة وباعوهما بمكة (وذلك بعد وقعة بدر).

أما خبيب فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وقد قيل إنه هو الذي قتل أباهم الحارث بن عامر يوم بدر. فلبث عندهم أسيرا حتى أزمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد⁽¹⁾ بها للقتل فأعارته إياها، فدرج بُني لها⁽²⁾، قالت: وأنا غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففرعتُ فرعة عرفها خبيب في وجهي فقال: أتخسبين أني أقتله؟! ما كنت لأفعل ذلك. قالت: فوالله ما رأيت أسيرا أكرم منه، والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب⁽³⁾ في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من تمر؛ وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا.

ولما أرادوا قتله خرجوا به للحل، فقصدوا التنعيم الذي يعرف الآن بـ"مساجد عائشة"، فلما وصلوه وأرادوا قتله قال لهم: دعوني أصل ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع من الموت لزدت؛ فكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة، واستحسنها المسلمون.

(1) الموسى: آلة يخلق بها الشعر. والاستحداد: حلق شعر العانة.

(2) وفي الزبيري أن هذا الطفل الذي دبَّ إلى خبيب اسمه أبو حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل، وأن أمه أمامة بنت خليفة، من بني بكر بن وائل

(3) القطف (بالكسر): العنقود ساعة يقطف. والعنقود: هو ما تعقد وتراكم من ثمر العنب في أصل واحد.

ولما أرادوا قتله صلبوه على خشبة وأوثقوه وجعلوا وجهه إلى غير القبلة فاستقبلها فأداروه مرارا حتى أعجزهم فزكوه، ولما أوثقوه قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا⁽¹⁾ ولا تبق منهم أحدا، إنك أنت الباقي سرمدا؛ ثم أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممنوع
وكلهم ييدي العداوة جاهدا	علي لأني في وثاقٍ بمضيع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي	وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي ⁽²⁾
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلو ممزع ⁽³⁾
وقد خيروني الكفر والموت دونه	وقد هملت عينا من غير مجزع
وما بي حذار الموت إنني لمت	ولكن حذاري حجم نار ملفع ⁽⁴⁾
ولست بمجد للعدو تخشعا	ولا جزعا إنني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلما	على أي جنب كان في الله مصرعي

ولما رفعوه على الخشبة وأوثقوه قام إليه أبو سروعة عقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فقتله، رحمه الله.

روي أنهم لما شرعوا في قتله قال: اللهم إنني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه مني السلام؛ فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك. قال السهيلي: وأصابت دعوة خبيب تلك من سبق في علم الله أن يموت

(1) بددا: فرقا ممزقة.

(2) بضعوا: قطعوا. وياس: يئس.

(3) الأوصال: جمع وصل (بضم الواو وكسرهما وسكون الصاد) وهي: أعضاء الجسم كل على حدة، والشلو (بكسر المعجمة): الجسد من كل شيء، جمعه: أشلاء.

(4) حجم الشيء: حرمه. وتلفعت النار: تلهبت. ولفعته: أصابه لهيبها.

كافرا. وروي أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت أبا سفيان يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب!. وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه الدعوة. وقد كان ممن حضره - أيضا - رجل من بني جمح يدعى سعيد بن عامر بن خديم. ثم بعد ذلك أسلم، واستعمله عمر بن الخطاب على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية، فذكر ذلك لعمر فقيل له إن الرجل مصاب، فسأله عمر عن ذلك في قدمه قدمها عليه، فقال: والله ما بي بأس ولكنني كنت فيمن حضر قتل خبيب وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي إلا غشي علي؛ فزاده ذلك خيرا عند عمر رضي الله عنه.

ثم أرسل رسول الله ﷺ المقداد والزبير لينزلا خبيبا عن الخشبة التي كان مصلوبا عليها، فلما أتياه وجدا أربعين رجلا من قريش حوله نشاوي⁽¹⁾ - وكانت قريش تحرس خبيبا - فصعدا على الخشبة وحلاه ووجداه رطبا لم يتغير وحملاه؛ فعلم بهما المشركون فلحقوا بهما فرمياه فابتلعتة الأرض. وقيل إنه أرسل إليه عمرو بن أمية الضمري عينا، فجاء إلى خشبة خبيب وهو يتخوف العيون، فرقي فيها فحله فوقع إلى الأرض، ثم نزل فلم يجده، فكان الأرض ابتلعتة.

والتحقيق أن خبيبا هذا لم يشهد بدرا، وإنما الذي شهد بدرا وقتل الحارث هو خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وإنما قتل المشركون خبيبا بن عدي الأنصاري الأوسي لأنه من قبيلة الآخر لأنهما معا من الأنصار. وروي أن خبيبا بن إساف تزوج بعد ذلك إحدى بنات الحارث بن عامر المذكور، وكان الحارث قد ضرب خبيبا

(1) جمع نشوان وهو: السكران.

فوشحه وشاحا بقي به أثره بعد، فكانت ابنة الحارث تقول لزوجها حبيب - تمازحه -: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح، فيقول لها حبيب: لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار!. وكان حبيب بن إساف هذا قد تأخر إسلامه حتى خرج النبي ﷺ إلى بدر فلحقه في الطريق، فأسلم وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وروي من خبر إسلامه أنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ أنا ورجل من قومي، وقلنا له إنا نكره أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم، فقال: «أسلمتما؟» فقلنا: لا، فقال: «ارجعا فإننا لا نستعين بمشرك»⁽¹⁾، فأسلمنا وشهدنا معه بدرا. ومن ولد حبيب هذا حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن إساف الذي يروي عنه مالك في موطنه.

ومن بني عدي بن نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي أخو المطعم بن عدي؛ وطعيمة هذا قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر كافرا؛ روي أن عليا بن أبي طالب قال: رأيت طعيمة بن عدي قد علا رأس كئيب يوم بدر، وقد ساواه سعد بن خيشمة، فصمدت له ولم آته حتى قتل سعدا، فلما رأني أصد الكئيب إليه انحط علي - وكان رجلا جسيما - فخشيت أن يعلو علي فأنحطت في السهل فظن أنني فررت منه فصاح بأعلى صوته: فر ابن أبي طالب! فقلت له: قريبا مفر أبي الشرى⁽²⁾.. فلما استوت قدماي بالأرض وقفت له، فأنحدر إلي وأهويت إليه فسمعت قائلا من خلفي يقول: طأطئ رأسك، فجعلت رأسي في صدر طعيمة وإذا

(1) أخرجه أبو داود، وابن ماجه.

(2) الشرى (بفتح الشين والراء): مأسدة مشهورة يضرب بها المثل فيقال "هو كأسد الشرى، وهم أسد الشرى" أي اشداء شجعان، والمعنى أن الاسد إذا فر فإلى قريب.. لأنه لا يفر عادة.

برقة من السيف فأخذت قحف⁽¹⁾ طعيمة فسقط ميتا، وإذا حمزة بن عبد المطلب.

ومن بني عدي — أيضا — جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، أمه أم حبيب — وقيل أم جميل — بنت سعيد (من بني عامر بن لؤي)، كان من أكابر قريش وساداتهم وحلمائهم، وكان من علماء النسب، فكان أنسب قريش لقريش قاطبة، وكان يقول: أخذت النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ أسلم بين الحديبية والفتح، وقيل يوم الفتح؛ وروي عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ لأكلمه في أسارى بدر فسمعته يقرأ في صلاة المغرب والعشاء "والطور" فلما بلغ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٥﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٦﴾ ﴾⁽²⁾ كاد قلبي أن يطير فوق الإسلام في قلبي. ولكنه لم يسلم إلا في التاريخ المذكور. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يربأ بأربعة نفر من أهل مكة عن الشرك⁽³⁾ ويرغب لهم في الإسلام، وهم جبير بن مطعم هذا وعتاب بن أسيد وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو؛ وأسلموا جميعا رضي الله عنهم.

وكان جبير بن مطعم قد روى عن رسول الله ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان. ومات رضي الله عنه بالمدينة في خلافة معاوية؛ وابنه نافع بن جبير بن مطعم من علماء التابعين.

ولما تكلم على بني نوفل شرع يتكلم على بني عمهم آل عبد شمس بن عبد مناف، فقال رحمه الله:

(1) القحف (بالكسر): العظم الذي فوق الدماغ، أو ما انفلق من الجمجمة فانفصل.

(2) الطور: 7-8.

(3) أي يجلبه عنه ولا يرضاه لهم.

بنو عبد شمس بن عبد مناف*

لِعَبْدِ شَمْسٍ عِدَّةٌ مِنْهَا اشْتَهَرَ أُمِّيَّةُ الْأَكْبَرُ سَيِّدُ النَّفَرِ
وَهُوَ أَبُو الْعَشْرَةِ عَيْصُ الْعَاصُ وَآخِرَانِ، وَهُمْ الْأَعْيَاصُ
وَأُمُّهُمْ بِنْتُ أَبَانَ بْنِ كَلَيْبٍ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ الْحَسِيبِ
وَيَعْدُهُمْ نَكَحَهَا ذَكَوَانُ مَقْتًا وَمِنْهُ شَوْعُهُمْ أَبَانُ
كَذَا الْعَنَابِسَةُ حَرَبٌ عَمَرُوا سُفْيَانُ بِالْكُنَى الْبُنُونَ عَشْرُ

عدة (بكسر العين وتشديد الدال وبالرفع): مبتدأ خبره المحرور قبله، والعدة: الجماعة قلت أو كثرت. والضمير في منها عائد على عدة. والنفرة (بالتحريك): الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، جمعه أنفارة، والمراد بالنفرة هنا بنو عبد شمس. والضمير في قوله وهو أبو العشرة عائد على أمية الأكبر. وعيص (بكسر العين مرفوعا): خبر مبتدأ محذوف، والعاص: عطف عليه بحذف العاطف. وآخران: عطف على العيص أيضا، أي والعشرة هم عيص والعاص.. إلخ. والضمير في قوله وأممهم عائد على الأعياص. والحسيب: صفة لأبان أو لعامر، أي صاحب الحسب، وهو شرف الأصل أو ما يعد من مفاخر الآباء؛ وصفه بذلك لأن بني عامر بن صعصعة هم أهل الشرف في هوازن.

وقد أخذ - رحمه الله - في الكلام على بني عبد شمس بن عبد مناف وبدأ بابنه

* تناول الناظم الكلام على بني عبد شمس بن عبد مناف في ثلاثة وسبعين بيتا، وذكر من فصائلهم: بني أمية الأكبر وبني ربيعة وبني حبيب والعبلات وبني عبد العزى، بني عبد شمس، وذكر من أعيانهم أربعة وستين رجلا وامرأتين.

أمية الأكبر لأن فيه العدد والسيادة، وكان بيت عبد شمس هو أشرف بيوت قريش بعد بيت أخيه هاشم بن عبد مناف، وكان بيت ابنه أمية الأكبر هو أشرف بيوت بني عبد شمس على الإطلاق.

أما عبد شمس فقد كان له من الولد سبعة أو ثمانية، هم حبيب (وهو أكبر ولده وبه يكنى)، وأميه الأكبر (وفيه العدد والشهرة) أمهما بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وأميه الأصغر وعبد أمية ونوفل وأمهم عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وإليها ينسب ولدها، يقال لهم "العبلات"؛ ومن ولد عبد شمس -أيضا- عبد العزى ورقية، أمهما عمرة بنت وائلة بن الدول بن زيد مناة بن عمرو بن كعب بن الأزدي، ومنهم ربيعة وسبيعة، أمهما آمنة بنت وهب بن عمير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية، ولهؤلاء السبعة عقب. ومن ولد عبد شمس -أيضا- عبد الله الأعرج، ولم يعقب، أمه أمامة بنت الجودي الكندية، أما رقية فهي أم أمية بن أبي الصلت الشاعر الثقفي، وأما سبيعة فهي أم عروة بن مسعود بن معتب الثقفي أيضا؛ وإلى هؤلاء أشار الناظم بقوله: لعبد شمس عدة.. إلخ وبدأ بأمية وبنيه، لأنه كان أشرف ولد عبد شمس - كما مر - وأشهرهم ذكراً وأكثرهم عدداً، وكان سيداً من سادات قريش في الجاهلية، وكان تاجراً كثير المال والولد، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه، وكان هو وابن عمه عبد المطلب بن هاشم فيمن وفد على سيف بن ذي يزن في قصره بصنعاء لتهنئته بانتصاره على الحبشة، وقد عاش أمية إلى ما بعد مولد رسول الله ﷺ، وكانت في بنيه السيادة في الجاهلية والإسلام حتى بلغ منهم أن كانوا ينافسون بني هاشم رئاسة قريش وسيادتهم، وكانت في الأعياص من بنيه السيادة والرئاسة، والكثرة وهو جد ملوك وأمراء الدولتين الأمويتين المشهورتين في المشرق والأندلس.

ولأمية الأكبر بن عبد شمس من الولد عشرة هم العيص والعاص وأبو العيص وأبو العاص، وأشار الناظم إلى هذين الأخيرين بقوله وآخران؛ وهؤلاء الأربعة يعرفون بـ"الأعياص" أخذاً من أسمائهم، وأعقبوا كلهم إلا العيص، وأمهم آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأخوهم لأمهم أبو معيط واسمه أبان بن أبي عمرو، وهو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، وكان أبو عمرو بن أمية هذا خلف عليها بعد أبيه أمية بن عبد شمس، زوجته إياها ابنها أبو العاص بن أمية أخوه لأبيه.

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وأمهم بنت أبان بن كليب.. إلخ. والضمير في وبعدهم عائد على الأعياص. والضمير في نكحها عائد على بنت أبان. وذكوان هو أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس. ومقتا (بالنصب): مصدر معنوي من نكحها، والمقت (في الأصل): أشد البغض، ثم صار علماً على نوع من أنكحة الجاهلية التي حرّمها الإسلام وهو أن يتزوج الرجل غير أمه من شاء من زوجات أبيه إذا مات عنها أو طلقها، وفي ذلك نزل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾، وكان ذلك النوع من الأنكحة فاشياً في العرب شائعاً في الأنصار وقريش. وقوله شوعمهم (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله، والشووع (بفتح الشين المعجمة): المولود يجيء تالياً لمن قبله، يقال فلان شووع فلان أي ولد بعده ولم يولد بينهما شيء، والضمير المضاف إليه عائد على الأعياص، والضمير في منه قبله عائد على ذكوان. وأبان: بدل من شوعمهم. وسيأتي الكلام على ذكوان وأبان هذين إن شاء الله.

(1) النساء: 22.

قوله العنابسة: مبتدأ خبره المجرور قبله. وقوله حرب عمرو.. إلخ: بدل من العنابسة. والكنى: جمع كنية، وهي كل مركب إضافي صدره "أب"، كأبي حرب وأبي عمرو، أو "أم"، كأم أبان وأم عبد الله. وقوله البنون أي بنو أمية بن عبد شمس. وقوله عشر أي عشرة؛ فالأعياص أربعة والعنابسة ستة.

يقول: ومن ولد أمية بن عبد شمس - أيضا - حرب وعمرو وسفيان وأبو حرب وأبو عمرو وأبو سفيان (واسمه عنبسة)، وقد سمي هؤلاء الستة باسمه فقبل لهم "العنابسة"، وقيل لقبوا بالعنابسة أو العنابس لشجاعتهم، وهو جمع عنبس للأسد. فقد روي أنهم كانوا يوم عكاظ مع أخيهم حرب (ابن أمية) يوم الشرب وهو من أعظم أيام حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان، فقيدوا أنفسهم لثلاث يفرؤا، وقاتلوا قتالا شديدا حتى انهزمت قيس فشبها بالأسود، فقبل لهم العنابس؛ وأم العنابس أمة بنت أبي همهمة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر إلا أبا عمرو فأمه أمامة بنت حميري بن الحارث بن جابر بن الأسود بن عمرو الذي ضرب فيه المثل: "شب عمرو عن الطوق"، وهو ابن عدي بن نصر بن مالك بن سعود بن مالك بن غنم بن عمرو بن نمارة بن لحم. وكان في بني نصر بن مالك الملك، وسياتي الكلام على ذلك إن شاء الله.

أما العيص وعمرو وأبو حرب فلا بقية لهم، وأما سفيان فولد طليقاً والحصين؛ وقد ولد طليق منهما حكيمًا، كان من المؤلفلة قلوبهم فأعطي من الإبل، ولا عقب له، وقيل له ولد يدعى المهاجر بن حكيم.

وأما عنبسة فله ابن اسمه أمية بن عنبسة، مات كافرا عن ابن اسمه سفيان بن أمية بن عنبسة، وهو الذي ذهب بنعي علي كرم الله وجهه إلى الحجاز، ولم يعقب؛ وولد عنبسة أيضا حمنة أم سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري. وحكي أن عنبسة بن أمية هذا ذهب هو وابنان له في الجاهلية من شدة الفاقة فلا يدرى أين يعموا،

وكان مُسَيِّفًا⁽¹⁾ قد افتدته بنو عبد مناف ثلاث مرات ثم أنشأ قائلاً:

لَمَوْتِ جَهِيْزٍ عَاجِلٍ لَا شَوِيَّ لَهُ إِذَا مَا أَتَى مُسْتَمْسِكًا بِالمِشَارِبِ⁽²⁾
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَوَالِ عَشِيْرَةٍ إِذَا سَنَلُوا تَغَامَزُوا بِالمِنَاكِبِ
بَلُوْتِكُمْ عِنْدَ الحِجَازِ عَشِيْرَةٌ نَبُوْتُمْ وَكُنْتُمْ كَالسِيُوفِ القَوَاضِبِ⁽³⁾

ثم شرع الناظم في ذكر بقية أولاد أمية بن عبد شمس، وبدأ بأبي العيص فقال
رحمه الله:

وَمِنْ أَبِي العِيصِ وَزَيْرِ الهَادِي بِمَكَّةِ عَتَابُ ذُو الأيَادِي
وَهُوَ حَلِيْلُ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ أَنْقَذَ مِنْهَا بِنْتَ أَفْضَلِ الأَنَامِ
فَأَنْجَبَتْ بِصَاحِبِ اليَدِ الَّتِي طَارَ بِهَا الطَّائِرُ لِلْيَمَامَةِ
يَعْسُوبِ فَهَرِّ عَابِدِ الرَّحْمَانِ أَبِي سَعِيدِ العَظِيمِ الشَّانِ

وزير الهادي: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والوزير: من يعينه ولي الأمر ليتولى بعض شؤون الأمة فيستغنى برأيه وتدبيره. والهادي: من أسمائه ﷺ، والباء في بمكة بمعنى على أو في. وعتاب (بفتح العين وتشديد المثناة الفوقية): بدل من وزير الهادي. وذو الأيادي: صفة لعتاب، والأيادي: جمع يدي (بضم الياء وكسر الدال آخره ياء مشددة) وهو جمع يد، وهي النعمة والإحسان تصطنعه، فالأيادي: جمع الجمع. والحليل: الزوج. وبنو عمرو بن هشام يعني بها جويرية بنت

(1) أساف فلان: افتقر فهو مُسَيِّفٌ، أي فقير.

(2) موت جهيز ومجهز: سريع، والشوي: الأطراف كاليدين والرجلين وما كان غير مقتل من الأعضاء يعني أنه سريع لا تأخير فيه.

(3) بلوتكم: اخترتكم. ونبوتم: لم تفيدلوا. والسيوف القواضب: الشديدة القطع.

أبي جهل⁽¹⁾. وأنقذ فلانا من كذا: نجاه وخلصه منه. وبنيت أفضل الأنام (بالنصب): مفعول به لأنقذ، ويعني بها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وأنجبت: أي ولدت نجيبا أي كريما، والضمير في أنجبت عائد على بنت عمرو بن هشام. ويعسوب فهر (بالجر): بدل من قوله بصاحب اليد، واليعسوب (في الأصل): ذكر النحل وأميرها، والمراد به هنا رئيس القوم وكبيرهم تشبيها بفحل النحل. وفهر قريش أي رئيس قريش. وعابد الرحمن (بالجر): بدل من يعسوب فهر. وقوله أبي صفة لعابد الرحمن أي والد سعيد بن عبد الرحمن. والعظيم (بالجر): صفة لسعيد. والشأن: الأمر.

يعني أن من ولد أبي العيص بن أمية الصحابي المشهور عتابا بن أسيد بن أبي العيص الذي أمره رسول الله ﷺ على مكة، زوج جويرية بنت أبي جهل، ووالد عبد الرحمن بن عتاب.

عتاب بن أسيد

وعتاب هذا هو أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد (بوزن أمير) بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمه زينب بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، أسلم رضي الله عنه يوم الفتح. وسبب إسلامه أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح وفر من فر من وجوه قريش وتفرق بعضهم في رؤوس الجبال، أمر رسول الله ﷺ بلالا بن رباح أن يقوم على ظهر الكعبة ويؤذن للظهور ليغيظ المشركين ففعل؛ وكان عتاب وخالد ابنا أسيد وأبو سفيان بن حرب والحارث بن

(1) ويقال لها - أيضا - جميلة، وقد أسلمت وبايعت وحسن إسلامها، وبعد عتاب هذا تزوجها أبان بن سعيد بن العاص.

هشام جلوسا بفناء الكعبة، فقال عتاب وخالد: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته إن يكن الله يكره هذا فسيغيره، وقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى! وقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا أن قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة، وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله هو الحدث العظيم أن يصيح عبد بني جمح على بنية بني طلحة.. فأتى جبريل رسول الله ﷺ وأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد علمت الذي قلتكم»⁽¹⁾، وأخبرهم؛ فقال عتاب والحارث: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخيرك⁽²⁾. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال حين دنا من مكة في غزوة الفتح: «إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب لهم في الإسلام»، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: «عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو» - [قاله الزبير بن بكار].

واستعمل النبي ﷺ عتابا على مكة حين سار إلى حنين، وقيل بل بعد أن رجع من الطائف. وفي الروض الأنف أن النبي ﷺ رأى في المنام أسيد بن أبي العيص واليا على مكة مسلما؛ فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم، فولاه رسول الله ﷺ مكة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وقال له صلى الله عليه وسلم: «أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله عز وجل ولو أعلم لهم خيرا منك استعملته عليهم». وحج عتاب بالناس سنة الفتح، ولم يزل رضي الله عنه أميرا على مكة إلى أن قبض رسول الله ﷺ، ثم أقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه،

(1) سيرة ابن هشام: 4 / 33.

(2) سيرة ابن هشام: 4 / 33.

واستمر أميراً عليها إلى أن توفي يوم وفاة أبي بكر.

قال محمد بن سلام: جاء نعي أبي بكر إلى مكة يوم دفن عتاب⁽¹⁾. وكان عتاب - رضي الله عنه - لنا على المؤمنين شديداً على المريب، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفاً عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، وكان صالحاً فاضلاً خيراً. وكانت تحتها جويرية بنت أبي جهل، وسبب زواجه بها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يتزوجها على فاطمة (بنت رسول الله) فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب: أنا أريحك منها فتزوجها. وفي رواية أن علياً لما خطبها استشار بنو هشام بن المغيرة رسول الله ﷺ، فقال - وهو على المنبر: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علياً بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن لهم إلا أن يجب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإن فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها⁽²⁾ ويؤذيها ما آذاها⁽³⁾» وقال: «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً⁽⁴⁾»، فقال عتاب: أنا أريحك منها، فتزوجها فولدت له عبد الرحمن بن عتاب وبه كان يكنى، وكان

(1) واستخلف عمر في أول ولايته المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف على مكة، ثم عزله وولى قنفذ بن عمير التيمي، وكان عتاب قد استخلف المحرز قبل ذلك في سفرة سافرها، وقتل المحرز هذا يوم الجمل. [أسد الغابة].

(2) بضعة (بفتح الباء): قطعة، وفي رواية: "مضغة مني"، والمريب: ما رابك من شيء خفت عقباه، وسبب ذلك رعايته صلى الله عليه وسلم لحاظ فاطمة لتأذيها بذلك ولما يحصل لها من الغيرة وعدم الصبر على ذلك، ولذا قال: "وأنا أخاف أن تفتن في دينها"، ولأنها كانت قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة فلم يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر وتفضي إليه سرها إذا حصلت لها الغيرة. [فتح الباري].

(3) أخرجه مسلم والترمذي.

(4) أخرجه البخاري.

مولده في آخر حياة رسول ﷺ، وكان من فتيان قريش ومن بيتي شرف وعز، وكان سيدا من ساداتهم ورئيسا من رؤسائهم. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله يعسوب فهر.. إلخ. وكان عبد الرحمن بن عتاب هذا مع عائشة يوم الجمل فقاتل قتالا شديدا، وقتل في ثالث أيام وقعة الجمل وهو يقاتل ويقول:

أنا ابن عتاب وسيفي ولؤل⁽¹⁾ والموت عند الجمل المجمل

قتله جندب بن زهير الغامدي، وقيل الأشتر النخعي، ثم وقف عليه علي بن أبي طالب فقال: هذا يعسوب قريش جدعت أنفي وشفيت نفسي؛ ويروى أنه قطعت يده يومئذ فاخترطها نسر فطرحها ذلك اليوم باليمامة، وكانت فيها خاتمه، فعرفت به وكان نقشه "عبد الرحمن"، فعلموا أن القوم التقوا وأن عبد الرحمن قتل.

وفي أسد الغابة أن عبد الرحمن كان يصلي بالناس يوم الجمل إماما ولما قتل حملت الطير يده حتى ألقته بالمدينة فعرفوا أنها يده بخاتمه، فصلوا عليها ودفنوها. ومن ولده - رضي الله عنه - محمد وسعيد، أمهما بنت أبي إهاب بن عزيز، وكان سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب هذا سيدا كريما جوادا ممدحا، وهو الذي يقول فيه الراعي:

وأخضر آجن في ظل ليل سقيت بحوضه رسلاً حراراً⁽²⁾
سقينها عِشاشاً⁽³⁾ واستقيننا تبادر من مخافتها النهارا

(1) ولؤل: اسم سيفه.

(2) الآجن من الماء: المتغير اللون والطعم والرائحة، يقال: "يُفسدُ الرجلُ الجونَ كما يُفسدُ الماءُ الأجونَ" والأجون: من آجن الماء أجنا وأجوند تغير. والرسل: (بالتحريك): قطع الإبل أو الغنم نحو عشر أو عشرين، يقال: جاءت الإبل والخيل أرسالا: رسلا بعد رسل. وحرار (بكسر الحاء): جمع حر (بضمها) هو: الخيار من كل شيء.

(3) عشاشا: متعجلين مبادرين الصبح.

إلى أن قال:

ترجسي من سعيد بني لؤي
تلقى نوؤهن سرارَ شهر
كريم تعذب العلات عنه
إذا ما جنته ترجو نداءه
هو الرجل الذي نسبت قريش
وأنضاء أنضاً إلى سعيد
على أكوارهن بنو سبيل
حمدن مزاره ولقين منه
أخي الأعياص أنواء غزاراً⁽¹⁾
وخير النوء ما لاقى السراراً⁽²⁾
إذا ما حان يوماً أن يغزاراً
فلا بجحلاً تخاف ولا اعتذاراً
فصار الجحد منه حيث صاراً
طُروقاً ثم عجلن ابتكاراً⁽³⁾
قليل نومهم إلا غراراً⁽⁴⁾
عطاء لم يكن عدة ضمارة⁽⁵⁾

ويقول أيضاً:

أبلغ سعيد بن عتاب مغلغلة
أنت ابن فرعي قريش لو تقايسهم
إذا ذكرتك لم أهجع بمنزلة
ان لم تغلك بأرض دونه غول⁽⁶⁾
مجدا لصار إليك العرض والطول
حي أقول لأصحابي بها حولوا⁽⁷⁾

وله أيضاً:

-
- (1) أنواء: جمع نوء وهو المطر الشديد، والعطاء. والغزار: جمع غزير، وهو الكثير.
 - (2) سرار الشهر (بكسر المهملة وفتحها): سرّره: آخر ليلة فيه.
 - (3) أنضاء: جمع نضو: المهزول. وطروقا (بضمّتين): آتية ليلاً. والابتكار: تكلف البكور، وهو الخروج قبل طلوع الشمس.
 - (4) الأكوار: جمع كور الرحل، أو هو الرحل بأداته. وبنو سبيل: المسافرون. والسبيل: الطريق. والغرار (بكسر الغين المعجمة): القليل من النوم، يقال: "ما ذقت النوم إلا غراراً".
 - (5) عدة ضمارة (بالكسر): فيها تسويق.
 - (6) المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد. وتغلك: تهلكك. والغول: الهلكة والداهية.
 - (7) حولوا: من الحوّل وهو الانتقال من موضع إلى آخر.

إني جعلت يمينا غير كاذبة وقد حبا دونها ثهلان والنير⁽¹⁾
 لولا سعيد أرجي أن ألقىه ما ضمني في سواد البصرة الدور
 الواهب البخت خضعا في أزمته والبيض فوق تراقبها الدنانير⁽²⁾
 سَجْعَاءُ مُعْجَلَةٌ تدمى مناسمها كأنها حرج بالقد مأسور⁽³⁾
 ما عرست ليلة إلا على وجل حتى تلوح من الصبح التباشير
 حتى أنيخت على ما كان من وجل في الدار حيث تلاقى المجد والحير⁽⁴⁾
 إلى المكارم أحسابا ومأثرة بني الأكارم ييري ظهرها الكور⁽⁵⁾ الخ..

وإلى هذا أشار الناظم بقوله أبي سعيد العظيم الشان..

ولما ذكر الناظم سبب تزوج عتاب بن أسيد بجويرية بنت أبي جهل استطرده
 ذكر أخواتها وأزواجهن، فقال رحمه الله:

تَحْتَ ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ الْوَلِيدِ جَدِّ ابْنِ الْأَزْرَقِ أَتَى الْجُودِ
 أَسْمَاءُ أُخْتُهَا وَصَخْرَةُ أُخْتُهَا تَحْتَ أَخِي الشَّرِيدِ مِنْهُ بِنْتُهَا

(1) ثهلان: جبل بالعالية بنجد لبني نمير بن عامر بن صعصعة. والنير (بكسر النون): جبل بأعلى نجد غربيه لبني غاضرة بن صعصعة.

(2) البخت: الإبل الخراسانية، والخضع: جمع خضعاء: الذليلة المنقادة. والبيض: جمع بيضاء وهي صافية اللون نقيته.

(3) سحعت الناقة: مدت حنيتها، وناقاة ساجعة: مطربة فيه، وأعجلت: ألقته ولدها قبل تمام، والمناسم: جمع منسم: طرف خف البعير، أو هو للإبل كالظفر للإنسان. والحرج: الناقة المكتنزة الحسيمة الطويلة لا تركب ولا يضربها الفحل ليكون أسمن لها. والقد (بالكسر): السير يقدر من الجلد. والمأسور: المقيد

(4) المجد: العز والزفعة. والخير (بكسر الخاء): الكرم والشرف.

(5) الأحساب: جمع حسب، وهو ما يعد من مناقب أو شرف الآباء، والمأثرة: المكرمة المتوارثة، جمعها: مآثر.

وَأَخْتُهَا الْحَنْفَاءُ تَحْتَ الْعَامِرِيِّ سُهَيْلِ الْمَجَاهِدِ الْمُهَاجِرِ

قوله أسماء: مبتدأ مؤخر؛ خبره قوله: تحت ابن عبد شمس. وأختها (بالرفع): صفة لأسماء، والضمير فيها عائذ على بنت عمرو بن هشام التي مر ذكرها. والوليد (بالجر): بدل من ابن عبد شمس. وقوله جد ابن الأزرق (بالجر): صفة للوليد؛ وابن الأزرق هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد. وأتّى (بالجر، بوزن غني): صفة لابن الأزرق، والأتّى هو السيل الغزير. والجمود: الكرم. يعني أن جموده غزير نافع كالأتّى؛ وتشبيه الجمود بالسيل من الاستعارات المطردة، وقد استعملها الناظم أيضا في قوله: بنو حميد جمودهم كالسيل. وقوله وصخرة (بالرفع): مبتدأ. وأختها: صفة لصخرة، والضمير فيها عائذ على بنت عمرو بن هشام أيضا. وقوله تحت أخي الشريد: خبر عن صخرة. والشريد: لقب عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي؛ لقب بالشريد لأنه لم يبق من أهله غيره. ومراد الناظم هنا بأخي الشريد: أبو سعيد بن الحارث بن هشام المخزومي. وقوله منه أي أخي الشريد. وقوله بنتها: مبتدأ خبره الجرور قبله. والضمير في بنتها عائذ على صخرة، واسم تلك البنت فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث، ولم يكن له من صخرة بنت أبي جهل غيرها. وقوله وأختها: مبتدأ، والضمير فيها عائذ على بنت عمرو بن هشام أيضا. والحنفاء (بالرفع): بدل من أختها. وقوله تحت العامري: خبر أختها. والعامري: نسبة إلى عامر بن لؤي جد سهيل بن عمرو. وسهيل (بالجر): بدل من العامري. والمجاهد والمهاجر: صفتان لسهيل.

يعني أن أسماء بنت أبي جهل أخت جويرية كانت تحت الوليد بن عبد شمس، وأختها صخرة تحت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأختها الحنفاء تحت سهيل بن عمرو، وأم بنات أبي جهل هؤلاء الأربع أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وأم أروى هذه رقية بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم رقية هذه خالدة

بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي. أما أسماء بنت أبي جهل فكانت تحت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، فولدت له أم عبد الله بنت الوليد، تزوجها عثمان بن عفان.

وأما صخرة بنت أبي جهل فكانت تحت أبي سعيد بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أخي عبد الرحمن بن الحارث المعروف بالشريد، فولدت له فاطمة بنت أبي سعيد، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله منه بنتها؛ وليس لأبي سعيد بن الحارث عقب إلا من بنته فاطمة هذه. ثم تزوجت صخرة أيضا بعد أبي سعيد هذا بخالد بن العاص بن هشام، فولدت له أم الحارث بنت خالد.

وأما الحنفاء بنت أبي جهل - قيل اسمها صفية - فكانت تحت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، قيل ولدت له ابنا اسمه أنس كان مضعفا وفيه جرى المثل: "أساء سمعا فأساء جابة"⁽¹⁾، روي أنه نظر يوما إلى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال: يا أبتة أذلك الخروف من تلك الناقة؟! فقال أبوه: صدقت هند بنت عتبة! وكانت حين خطبها قالت: "إن جاءت منه حليلته بولد أحمقت وإن أنجبت فعن خطي ما أنجبت"، وكان قد خطبها هو وأبو سفيان فاخترت أبا سفيان.

أما الوليد فهو ابن عبد شمس بن المغيرة المخزومي، أمه قبيلة بنت جحش، أسلم يوم الفتح فكان صحابيا جليلا، وكان من أشرف قريش، واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد المخزومي، والوليد هذا هو جد ابن الأزرق - كما قال الناظم.

(1) يضرب مثلا للرجل يخطئ السمع فيسيء الإجابة - [فرائد الأدب]. وقوله جابة: بمعنى إجابة.

وابن الأزرق هو عبد الله الهيرزي بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوم، أمه أم حكيم بنت حريث بن سليم العذرية. وقد وصف الناظم عبد الله الهيرز هذا بالجلود لأنه كان من الأجواد المشهورين الممدحين؛ ومن مدحه أبو دهب الجمحي، وفيه يقول:

لا يُعِدُّ اللهُ عبدَ اللهِ أذكره عند الندى أبدا ما هبت الريح
أغر من ساكني البطحاء أخفه باجده والسؤدد البيض المناجيح⁽¹⁾
منتطق حين يدعى غير مكتمم كالسيد لم يخفه القيصوم والشيخ⁽²⁾

وفيه يقول أيضا:

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عُقم
متقدم بنعم مخالف قول لا سيان منه الوفـر والعدم⁽³⁾
إن الجدود معادن فنجاره ذهب وكل جدوده ضخم⁽⁴⁾
نزر الكلام من الحياء تخاله ضَمِنًا وليس بجسمه سقم⁽⁵⁾

ويقول فيه أيضا - وكان واليا لعبد الله بن الزبير على بعض الجهات فعزله:

ما ذا رزنا غداة الخَلِّ من رَمَعٍ عند التفروق من خيم ومن كرم⁽⁶⁾

(1) البيض: جمع أبيض وهو الرجل النقي العرض. والمناجيح والمناجح جمع منجح وهو ذو النجح أي الظفر.

(2) انتطق: شد وسطه بالمنطقة وهو من أمارات التأهب. والمكتمم: المستور المخفي. والسيد (بكسر السين): الذئب جمعه: سيدان. والقيصوم والشيخ: نباتان.

(3) الوفـر: الغنى. والعدم: الفقر.

(4) النجار بالكسر: الأصل. والضخم: العظيم.

(5) الضَمْن: الزمن، والضمانة: الزمانة.

(6) رزنا: أصبنا برزء وهو المصيبة. والخَلُّ هنا: موضع، ويقال أيضا للمستطيل من الرمل. ورمع: موضع، وقيل جبل باليمن [شرح التريزي على ديوان الحماسة]. والخيم (بالكسر): السجية والطبيعة. والكرم (محركة): ضد اللوم.

ظل لنا واقفا يعطي فأكثر ما قلنا وقال لنا في وجهه نعم⁽¹⁾
ثم انتحى غير مذموم وأعيننا لما تولى بدمع سافح سجم⁽²⁾
تحمله الناقاة الأدماء معتجرا⁽³⁾ بالبرد كالبرد جلي داجي الظلم
وكيف أنساك لا نعماك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم⁽⁴⁾

ومات عبد الله هذا بتهمة فرثاه أبو دهبيل فقال:

لقد غال هذا القبر من بطن غليب فتي كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوما هو الفتى ونعم الفتى للطارق المقيم

ثم وصف الناظم سهيلا بالمجاهد والمهاجر، وهو إنما أسلم يوم الفتح ولا هجرة بعد الفتح، ولعله يشير بذلك إلى أنه انتقل رضي الله عنه من مكة وطنه الحبيب الذي كان فيه من أبرز سادات قومه، انتقل منه بأهله نحو الشام مجاهدا، وقال: أربط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة. فقد خرج سهيل بن عمرو هذا والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعكرمة بن ابي جهل بأهلهم وأموالهم لما سمعوا من النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»⁽⁵⁾، وقالوا: إن فاتنا إخواننا بسابقة

(1) أي أكثر شيء قلنا أن سألناه وأكثر شيء قاله لنا "نعم"، و"يعطي" في محل نصب على الحال. ووجه الذي مضى فيه يعني سفرا قد مضى فيه فلم يرجع، وحرك ميم "نعم" للاطلاق وحقها السكون.

(2) سافح: منصب. وسجم: سائل.

(3) الأدماء: شديدة السمرة، والمعتجر: الذي يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح معتجرا بعمامة سوداء.

(4) من قدم بفتحيتين: من معروف وخير.

(5) رواه البخاري ومسلم، وقد روى معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنقطع الحجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه أبو داود والدارمي في سننهما، وأحمد في مسنده، وعنه صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الحجرة ما كان الجهاد» أخرجه النسائي في المجتبى، والإمام أحمد في المسند.

الإسلام وبالهجرة فنبدل أنفسنا وأهلنا في الجهاد فعسى أن نلحق بهم؛ وخرجوا إلى الشام فتبعهم أهل مكة ليكون عليهم لفرانهم، فرقوا لهم وبكوا ثم قالوا: ما كنا نستبدل داراً بدار ولا جاراً بجار ما أردنا بكم بدلا ولكنها النقلة إلى الله، والله ما خرجنا رغبة بأنفسنا عن أنفسكم ولا اختيار بلد عن بلدكم، وقد خرج منه رجال من قريش ما كانوا من ذوي أنسابها ولا من بيوتها ولو أن جبال مكة ذهبا أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم ولئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الأخرى. ثم أقاموا رضي الله عنهم بالشام إلى أن استشهدوا ثلاثتهم يوم اليرموك، ولم يبق منهم ولا من أهلهم إلا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وفاخته بنت عتبة بن سهيل، فقدا المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: زوجوا الشريد من الشريفة وعسى الله أن ينشر منهما أمة، وأقطعهما أرضا، فنشر الله منهما عددا كثيرا. ومن ذلك سمي عبد الرحمن هذا بالشريد، وقيل إن سهيل بن عمرو لم يزل مقيما بالشام إلى أن مات في طاعون عمواس⁽¹⁾ سنة ثمان عشرة؛ وقيل استشهد بمرج الصفر، وقيل استشهد يوم اليرموك وهو على كردوس⁽²⁾ وكان رضي الله عنه كثير الصوم والصلاة والصدقة.

تنبيه: هذه هي بنات أبي جهل (عمرو بن هشام) المخزومي، أما أبناؤه فهم عكرمة وعلقمة وأبو علقمة وأبو حاجب، أما عكرمة فأمة أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه وأبلى في قتال أهل الردة وفي الفتوحات الإسلامية بلاء حسنا، ولم يزل يجاهد في سبيل الله إلى أن استشهد

(1) عمواس (بفتح العين والميم وتسكن الميم): قرية بالشام عرف الطاعون بها لأنه منها بدأ.

(2) طائفة عظيمة من الخليل، جمعتها كراديس.

بأجنادين وليس له عقب رضي الله عنه، وأما علقمة فأمه عائشة بنت الحارث بن ربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن عيسى (ودرج)، وأما أبو علقمة واسمه زرارة، وأبو حاجب واسمه تميم فأمهما بنت عمير بن معبد بن زرارة بن عدس؛ وقتل أبو علقمة باليمن. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَأَبْنُ أَسِيدٍ خَالِدٌ أَخُو الْوَزِيرِ دَعَا لَهُ بِالْفَخْرِ إِذْ خَالَ الْبَشِيرِ
جَدُّ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اسْتَوَزَرَا أَبُو الْخَلَائِفِ وَفَضْلُهُمْ سَرَى
إِلَى سَعِيدِ ابْنِ خَالِدِهِمْ مَسُودٌ الْأَعْيَاصِ مَا جَدِهِمْ

قوله ابن أسيد (بوزن أمير): مبتدأ، وخالد (بالرفع): بدل منه. وأخو: صفة لخالد. واللام في الوزير: للعهد، أي أخو عتاب الذي استوزره النبي ﷺ - كما مر. وجملة دعا له.. إلخ: خبر عن ابن أسيد. والضمير في دعا له عائد على خالد. والفخر: الفضل والعظمة. وخال (بالحاء المعجمة): تبخر وتمائل في مشيه، وفاعل حال ضمير مستتر عائد على خالد. والبشير: فاعل دعا له، وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم. وقوله جد الثلاثة (بالرفع): صفة لخالد. واستوزرهم: جعلهم وزراء. وأبو الخلائف: يعني به عبد الملك بن مروان، والخلائف: جمع خليفة، وهو القائم بأمر الأمة؛ وهؤلاء الثلاثة هم عبد العزيز وأمية وخالد بنو عبد الله بن خالد بن أسيد. والضمير في قوله وفضلهم، وفي قوله خالدهم: عائد على الثلاثة، أي وفضل بني خالد الثلاثة سرى، أي جرى، إلى ابن أخيهم وهو سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وقوله مسود (بصيغة اسم الفاعل وبالجر): صفة لسعيد، أي جعلهم سادة لأنه منهم فشرفوا به [وكم أب قد علا بابن ذرى حسب..]. والأعياص مر التعريف بهم. وما جدتهم: أي فائقهم في المجد وهو العز والرفعة.

يعني أن من ولد أبي العيص بن أمية خالد بن أسيد أخا عتاب وزير النبي ﷺ على مكة، وهو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي شقيق عتاب، أمهما زينب بنت أبي عمرو - كما مر. أسلم خالد هذا رضي الله عنه عام الفتح، وروى عن النبي ﷺ، وعده بعضهم من المؤلفين قلوبهم؛ وكان فيه تيه⁽¹⁾ شديد، قيل رآه النبي ﷺ وهو يتقاذف في مشيه فقال: «اللهم زده فخرا» - [قاله الزبير في كتاب نسب قريش]⁽²⁾. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله دعا له بالفخر إذ خال البشير (صلى الله عليه وسلم). ومات خالد بن أسيد هذا بمكة وله من الولد عبد الله بن خالد، أمه ريطة بنت عبد الله بن خزاعي الثقفية، وكان عبد الله بن خالد هذا سيدا ذا قدر استعمله زياد على فارس، وفيه يقول أبو خزامة:

إني وإن كنت كبيرا نازحا تطوَّح الدار بي المَطَاوِحَا⁽³⁾
ألقي من الغرام برحا بارحا⁽⁴⁾ لَمَادِحْ إني كفانسي مادحا
من لم يجد في زنده قوادحا⁽⁵⁾ إن لعبد الله وجهها واضحا
ونسبا في الأكرمين صالحا

(1) أي تكبر.

(2) ج: 6 / 188.

(3) النازح: البعيد عن بلاده. وتطوَّح في البلاد: رمى بنفسه فيها وذهب ها هنا وما هنا، وتطاوحت به النوى ونحوها: ترامت به وتباعدت، والمطاوَح: جمع مطاح: المكان والمسلك الوعر المهلك.

(4) الغرام: التعلق بالشيء تعلقا لا يستطيع التخلص منه. والبرح: الشدة، يقال لقي منه برحا بارحا وبرحا ميرحا: شدة مفرطة.

(5) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار (والأسفل هو الزنده) جمعه: زناد وأزناد، وقدح بالزند: ضرب به حجره لتخرج منه النار.

وولد عبد الله بن خالد هذا عبد العزيز، أمه أم حبيب بنت جبير بن مطعم بن عددي، وأمياً وخالداً، أمهما أم حجر بنت شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

أما عبد العزيز بن عبد الله هذا فقد استعمله عبد الملك بن مروان على مكة، وكان ممدحا، ومن مدحه أبو صخر الهذلي، يقول من قصيدة في مدحه:

يا أم حسان إني والسرى تعب	جيت الفلاة بلا سمت ولا هاد
إلى قلائص لم تطرح أزمتهما	حتى وبن ومل العقبة الحادي ⁽¹⁾
والمرسوم ⁽²⁾ إلى عبد العزيز بها	معا وشتى ومن شفيع وفُراد
عوامدا لندي العيصي قارية ⁽³⁾	ورد القطا فضلات بعد وراذ
إذا تُبرُضت الأثماد أو نُكرت ⁽⁴⁾	أوردت فيض خليج غير أثماد الخ..

وتوفي عبد العزيز برصافة هشام، فرثاه أبو صخر الهذلي بقطعة منها:

فإن تمس رمسا بالرصافة ثاويا	فما مات يا ابن العيص أيامك الزهرُ
وذي ورق من فضل مالك ماله	وذي حاجة قد رشت ليس له وفر

وأما أمية بن عبد الله فاستعمله أيضا عبد الملك على خراسان وكان جوادا

(1) قلائص جمع قلوص وهي الفتيّة من الإبل المجتمعة الخلق، وذلك من حين تتركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة. والأزمة: جمع زمام: وهو الخيط الذي يشد في البرة. وونى في الأمر: كل وأعيا. والعقبة: النوبة من أعقب فلانا في الرحلة والعمل وغيرهما: خلفه. والحادي: الذي يسوق الإبل بالخداء جمعه: خداة.

(2) رسم فلان نحو الشيء: ذهب إليه مسرعا، ورسمت الناقة رسميا: عدت عدوا فوق الذميل.

(3) عوامد: قاصدات. وندي: جود وخير. والعيصي: نسبة إلى أبي العيص بن أمية، والمراد به عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص. وقرب الإبل: سار بها ليلا لتزد الماء من الغد.

(4) تبرض الماء: اغترفه كلما اجتمع منه شيء. وتبرض الشيء: أخذه قليلا قليلا. والأثماد: جمع ثمذ بفتح الميم وسكونها: الماء القليل لا مادة له.

ممدحا، وفيه يقول نهار بن توسعة:

أمية يعطيك الله⁽¹⁾ إن سألته وإن أنت لم تسأل أمية أضعفا
ويعطيك ما أعطاك جدلان ضاحكا إذا عبس الكثرُ اليدين وقفقفا⁽²⁾
هنيئا مرينا جود كف ابن خالد إذا مسها الرعيد⁽³⁾ أعطى تكلفا

وقال فيه آخر:

أمسى أمية يعطي المالَ سائله عفوا إذا ضن بالمال المباخيل
لا يتبع المن ما أعطاهُ مُنفسه إذا البليغ زهاه القال والقيـل
بحراك بحرا يمين فاز وارده إذا البحور بنا ريح صلاصيل⁽⁴⁾

وأما خالد بن عبد الله فاستعمله عبد الملك أيضا على البصرة، وفيه يقول الشاعر:

إن الجواد الذي ترجى نوافله أبو أمية إن أعطى وإن منعنا
تغشى الأراكيب أفواجا سرادقه كما يوافي بأهل المسجد الجُمع⁽⁵⁾

ومن ولد خالد بن عبد الله هذا عبد الملك وسعيد ابنا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، أمهما عائشة بنت عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية. وكان سعيد بن خالد هذا جوادا كريما من فتيان وسادات بني العيص بن أمية، وكان ممدحا وفيه يقول موسى شهوات مولى بني سهم:

(1) العطية أو أفضل العطايا وأجزها.

(2) عبس وجهه وعبس يعبس عبسا وعبوسا: كلعج وكشر. وكز اليدين: أي البخيل. وقفقفا: اصطكت أسنانه واضطربت حنكاه من البرد وغيره.

(3) الرعيد: الجبان يرتعد ويضطرب عند القتال جينا.

(4) يريد بالمنفسه: العطاء الجزيل. والصلاصيل: جمع صلصل (بضم الصادين) وهو: بقية الماء في الغدير وغيره.

(5) تغشى: تأتي. والأراكيب: جمع ركب - جمع الجمع - والأفواج: جمع فوج: الجماعة. والسرادق: كلما أحاط بالشيء من حائط وغيره. والفسطاط يجتمع فيه الناس. والجمع (بضم الجيم) وفتح الميم): جمع جمعة.

سعيد الندى أعني سعيد بن خالد أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنما أعني ابن عائشة الذي أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيدَ الندى ما عاش يرضى به الندى وإن مات لم يرض الندى بعقيد

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وفضلهم سرى إلى سعيد.. إلخ. والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَأَنْسَبُ سَعِيداً ذَا الْعِمَامَةِ الْخِضَمِّ أَبَا أَحْيَحَةَ إِلَى الْعَاصِ وَكَمْ
كَانَ لَهُ مِنَ الْبَنِينَ مِنْهُمْ كَفَرَةً وَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمُوا
كَخَالِدٍ وَعَمْرٍو الْمَهَاجِرِينَ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِخَيْرِ زَوْجَتَيْنِ
أَبَانَ الْمُمْلِي

العمامة (بكسر العين المهملة): ما يلف على الرأس، جمعها عمائم. والخِضَمُّ (بكسر ففتح): السيد والجراد المعطاء. وَذَا الْعِمَامَةِ وَالْخِضَمِّ: نعتان لسعيداً، وأبا أحيحة (بصيغة التصغير): بدل منه. وقوله إلى العاص: متعلق بانسب. وكم: للخبرية وهي للتكثير. والضمير في له عائد على سعيد؛ وعدد بنيه الذكور ثمانية أسلم منهم خمسة ومات على الكفر ثلاثة. والمهاجرين (بالثنية): صفة لخالد وعمرو، والمراد بها الهجرة الأولى إلى الحبشة. والنجاشي: ملك الحبشة واسمه أصحمة بن أبحر، وقد أسلم رضي الله عنه. وقوله زوجتين: ثنية زوجة بالتاء وهو مسموع، وفي الحديث «يا فلان هذه زوجتي فلانة»⁽¹⁾؛ واستعمله الناظم كما هنا وفي قوله: وأتحف الملك زوجة الخليل؛ والأفصح ترك التاء كما في قوله تعالى

(1) أخرجه الإمام أحمد.

﴿ أَسْكَنْتَ أَنْتَ وَرَوْحَكَ الْجَنَّةَ ﴾⁽¹⁾، واستعمله الناظم أيضا كما في قوله: **وزوجه** سهلة .. إلخ، ووصفهما الناظم بالخيرية لفضلهما وقدم إسلامهما. وقوله **أَبَان** (بوزن سحاب وبالجر): عطف على **خالد وعمرو** بحذف العاطف. والمثلي: صفة لأَبَان، وهو اسم فاعل أَملى الكتاب على فلان إملاء: قاله له فكتب عنه.

يعني أن العاص بن أمية بن عبد شمس له من الولد: سعيد بن العاص المكنى أبا أحичة، أمه ريطة بنت البياع بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر، وكان سعيد بن العاص هذا من سادات قريش في الجاهلية؛ وقد بلغ من السيادة أنه كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى يترعها، وقيل كان إذا اعتم بمكة لا يعتم أحد بلون عمامته إعظاما له، وكان يقال له ذو التاج، وفي ذلك يقول الشاعر:

أبو أحичة من يعتم عمته يضرب وإن كان ذا مال وذا ولد

ويقول آخر:

وكان أبو أحичة قد علمتم بمكة غير مهتضم ذميم
إذا شد العمامة ذات يوم وقام إلى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشي بمكة غير محتقر لئيم

وكان لأبي أحичة هذا من الولد ثمانية وهم أحичة وهو أكبر ولده وبه كني، ومات في حرب الفجار، والعاصي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافرا، وعبد الله وكان اسمه الحكم ولما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله؛ وكان كاتباً فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعلم الكتابة بالمدينة، قيل استشهد بمؤتة وقيل باليمامة. وعمرو

(1) البقرة الآية: 35.

وسعيد؛ وقد أسلم قبل الفتح واستعمله رسول الله ﷺ على سوق مكة، واستشهد بالطائف، أم هؤلاء صفية بنت المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وأبان وعبيدة؛ قتله الزبير بن العوام يوم بدر كافراً؛ وأم هذين هند بنت المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وشقيقتهما فاختة بنت سعيد؛ تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بعد زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له مريم بنت أبي العاص وليس له بقية إلا من ولدها. ومن ولد سعيد أيضاً خالد أمه أم خالد بنت خباب بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة.

أما خالد فكان من السابقين إلى الإسلام، قيل كان رابع أو خامس من أسلم؛ وسبب إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف على سفير جهنم وكان أباه يدفعه فيها، ورأى النبي ﷺ آخذاً بمقويه⁽¹⁾ لثلاً يقع فيها، ففرع.. فلقي أبا بكر فذكر له ذلك، فقال: ستبوع رسول الله ﷺ على الإسلام فيحجزك ذلك أن تقع في النار؛ فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فشتمه أبوه وقاطعه؛ فلزم النبي ﷺ ثم هاجر إلى الحبشة بزوجه أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية، وأقام بالحبشة أربع عشرة سنة ولد له فيها ابنه سعيد وابنته أم خالد، ثم قدم على النبي ﷺ بخير، ورجع معه إلى المدينة، وشهد الفتح وحنينا والطائف وتبوك، واستعمله صلى الله عليه وسلم على صدقات اليمن، ولم يزل عليها حتى قبض صلى الله عليه وسلم، وقيل ولاء صنعاء واستكتبه، فلما توفي صلى الله عليه وسلم قدم على أبي بكر فأراد أن يستعمله فقال: ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. واستشهد رضي الله عنه بوقعة مرج الصفر⁽²⁾، وقيل بأجنادين، واستشهد ابنه سعيد المذكور أيضاً بمرج

(1) تثنية حقو بكسر المهملة وفتحها وهو: الكشح والإزار.

(2) مرج الصفر: موضع بدمشق.

الصفير، وقيل باليرموك.

وأما بنته أم خالد بنت خالد بن سعيد فلها صحبة ورواية، روي أن النبي ﷺ كساها ثوبا وهي صغيرة فقال لها: «سِنَّه سنَّه يا أم خالد»⁽¹⁾، ومعناه: حسن حسن بلغة الحبشة، وفي رواية: أنه قال لها: «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي»⁽²⁾، وتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له خالدا - وبه كنيته - وعمراً؛ وانقطع عقب خالد بن سعيد بن العاصي.

وأما عمرو بن سعيد بن العاصي ويكنى أبا عقبة، فأسلم بعد خالد وكان قديم الإسلام أيضا وهاجر بزوجه فاطمة بنت صفوان الكنانية، وشهد مع النبي ﷺ الفتح وحنينا والطائف وتبوك، واستعمله صلى الله عليه وسلم على وادي القرى، وقيل على تيماء وخيبر، ولم يزل على عمله إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فرجع إلى المدينة فراوده أبو بكر في الرجوع إلى عمله فقال: إني لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا؛ واستشهد رضي الله عنه بأجنادين ولا عقب له. وروي أن عمرو بن سعيد

(1) أخرجه البخاري.

(2) أخرجه البخاري، وأبلي (يفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر اللام): أمر بالإبلاء، وأخلقي بالمعجمة والقاف: أمر بالإخلاق، وهما بمعنى، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق، قال الخليل: "أبل وأخلق" معناه: عش وخرق ثيابك وارقعها. وورد في رواية أيضا: «وأخلقي» بالقاف، وهي أوجه من التي بالقاف، لأن الأولى تستلزم التأكيد إذ الإبلاء والإخلاق بمعنى، لكن جاز العطف لتغاير اللفظي؛ والثانية تفيد معنى زائدا وهو أنها إذا أبلته أخلفت غيره، ويؤيدها ما أخرجه أبو داود بسند صحيح عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له: "تبلي ويخلف الله". [فتح الباري]. ولحسان بن ثابت يخاطب أبا سفيان بن حرب:

كسكك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلف مثلها جُذدا بعد

وإن كانت الثياب هنا كناية عن العار الذي لحقه بقتل هشام المذكور.

هذا أعطى النبي ﷺ خاتماً نقشه "محمد رسول الله" فنهى صلى الله عليه وسلم أن ينقش عليه أحد وتوفي وهو بيده، ثم كان في يد أبي بكر حتى توفي، فكان في يد عمر حتى توفي، فكان في يد عثمان إلى أن سقط من يده في بئر أريس — وهي من آبار المدينة - وقيل سقط فيها من يد معقيب الدوسي، كما سيأتي إن شاء الله.

وأما أبان بن سعيد فقد تأخر إسلامه عن إسلام أخويه خالد وعمرو، وكان سبب إسلامه أنهما لما قدما من الحبشة أرسلا إليه يدعوانه إلى الإسلام فأجابهما له ولحق بهما، وقدم معهما على رسول الله ﷺ وهو بخير، فأسلم وشهدا مع رسول الله ﷺ. وقيل سببه أنه خرج تاجرا إلى الشام فلقي راهباً فسأله عن رسول الله ﷺ وقال: إني رجل من قريش وإن رجلا منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله ﷺ - أرسله مثل ما أرسل موسى وعيسى، فقال الراهب: ما اسم صاحبكم؟ قال: محمد، قال الراهب: إني أصفه لك فذكر صفة النبي ﷺ وسنه ونسبه، فقال أبان: هو كذلك، فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على الأرض؛ وقال لأبان اقرأ على الرجل الصالح السلام. فلما عاد أبان أسلم وحسن إسلامه، وقيل إنه هو الذي أجاز عثمان لما أرسله النبي ﷺ يوم الحديبية إلى مكة وقال له: اسلك من مكة حيث شئت آمناً؛ واستعمله رسول الله ﷺ على البحرين، ولم يزل عليها حتى قبض صلى الله عليه وسلم فرجع إلى المدينة فقال له أبو بكر: مالك رجعت؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ ارجع إلى عملك، فقال: إني لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً. وعاش أبان هذا إلى خلافة عثمان. وكان من كتابه صلى الله عليه وسلم هو وأخوه خالد بن سعيد، كما في الخميس وأسد الغابة. وروي أن أبان بن سعيد هذا كان من الذين تولوا إملاء المصحف على زيد بن ثابت الأنصاري حين ندبهم عثمان إلى كتابته؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: أبان المملي. وقيل إنه مات قبل خلافة عثمان - فقليل استشهد بأجنادين وقيل باليرموك وقيل

بمخرج الصفر - وإن الذي تولى إملاء المصحف هو ابن أخيه وسميه أبان بن سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية. وأما بقية الذين أسلموا من أبناء سعيد فاثنتان هما عبد الله، الذي كان يسمى الحكم، وسعيد بن سعيد، وسبق ذكرهما. فجميع من أسلم من بني سعيد بن العاصي خمسة وصحبوا رسول الله ﷺ، ولا عقب لواحد من بنيه إلا العاص بن سعيد. وأما الكفرة منهم فسيأتي ذكرهم قريبا. وكان بنو سعيد بن العاص هؤلاء كلهم سادة نجباء، وكان يقال لهم "أعزة الحرم"، وإلى ذلك يشير أبان بن سعيد يخاطب عثمان بن عفان لما أجاره حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش عام الحديبية بقوله:

أقبل وأدبر ولا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم

وأدرك أبوهم سعيد بن العاص الإسلام ولم يسلم؛ ويروى أنه مرض فقال إن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة، فقال ابنه خالد: اللهم لا ترفعه، فمات من مرضه ذلك على كفره - والعياذ بالله تعالى - ودفن بجبل يعرف بالظريية (بصيغة التصغير) بناحية الطائف؛ وكان قد هلك في مال له به، وإلى ذلك يشير ابنه أبان قبل إسلامه بقوله يعاتب أخويه خالدا وعمرا على إسلامهما:

ألا لیت میتا بالظریة شاهدٌ لما یفتري في الدين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا يعينان من أعدائنا من نكابد

فأجابه أخوه عمرو بقوله:

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه ولا هو عن سوء المقالسة مقصر
يقول إذا شكت عليه أموره ألا لیت میتا بالظریة ينشر
فدع عنك ميتا قد مضى لسبيله وأقبل على الحي الذي هو أفقر

ثم أشار الناظم إلى بقية أولاد العاصي فقال رحمه الله وعفا عنه:

... .. وَأَمَّا الْكُفْرَةَ فَمِنْهُمْ الْعَاصِي قَتِيلُ حَيْدَرَةَ
 أَبُو سَعِيدِ السَّخِيِّ أَمَلَى أَيْضًا وَالْأَشْدَقَ اللَّطِيمَ أَتَى
 مَغْدُورَ أَهْلِهِ وَوَالِي شَرِّهِمْ مُعْطِي وَصِيَّةِ أَبِيهِ خَيْرِهِمْ
 أَخَافَ طَيِّبَةً وَفَوْقَ مَنَبَرٍ نَبِينًا رَعَفَ وَهُوَ مُجْتَرِي

الكفرة: مبتدأ خبره الجملة بعده، وال فيه عهدية يشير بها إلى قوله قبل: وكم كان له من البنين منهم كفرة.. وقتيل (بالرفع): صفة العاص، أي مقتول حيدرة. وحيدرة: لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأبو (بالرفع): صفة أخرى للعاص، وهو مضاف إلى سعيد أي والد سعيد. والسخي (بالجر): صفة لسعيد، أي الجواد. وأملى (بوزن أبقى): فعل ماض وفاعله ضمير مستتر عائد على سعيد، والجملة صفة لسعيد أيضا، ومعناها أن سعيدا هذا كان ممن أملى المصحف على زيد بن ثابت ليكتبه. وقوله أيضا: أي بالإضافة إلى أبان بن أبي أحيحة الذي مر أنه كان ممن أملى المصحف.

يعني أن من أبناء سعيد بن العاص بن أمية الذين ماتوا على الكفر: العاص بن سعيد بن العاص والد الجواد المشهور سعيد بن العاص بن سعيد أحد الجماعة الذين أملوا المصحف على زيد بن ثابت. وأولاد سعيد الكفرة ثلاثة هم أحيحة الذي كني به، وقد مات في حرب الفجار، والعاص هذا وقد قتله علي بن أبي طالب يوم بدر - كما قال: قَتِيلُ حَيْدَرَةَ - وعبيدة وقد قتله الزبير بن العوام ببدر أيضا - كما مر.

أما العاص بن سعيد هذا فلم يترك من الولد إلا سعيد بن العاص، أمه أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود العامرية. وكان سعيد هذا من فتيان قريش وقد أدرك تسع سنين من حياة النبي ﷺ، فكان بذلك صحابيا، وكان رضي الله عنه كريما فاضلا، وقد قال فيه معاوية: "كريمة قريش سعيد بن العاص". وروي

أن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال لأبيه: من أشرف الناس!؟ قال: أنا وابن أُمي وحسبك بسعيد بن العاص؛ وكان مشهورا بالبِر والجلود والسخاء، وكان إذا سأله أحد وليس عنده ما يعطيه كتب له إلى أيام يسرته؛ وكان ممدحا، وله يقول الفرزدق من قصيدة له:

ترى الغرَّ الجحاجحَ من قريش إذا ما الأمر في الحدَثانِ غالا⁽¹⁾
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يَرون به هلالا

وقد روي أن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد: قياما ينظرون إلى سعيد .. إلخ حسده فقال له: يا أبا فراس قل قعودا ينظرون إلى سعيد، فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك لا أقول إلا قياما على الأقدام!.

وكان سعيد أيضا أفصح الناس وأشبه الصحابة لهجة برسول الله ﷺ، ولذلك قال عثمان رضي الله عنه للجماعة الذين ندبهم لكتابة المصحف: "فليملل سعيد وليكتب زيد"، وتقدم أن أخاه أبانا كان ممن أملى المصحف على زيد بن ثابت، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: فمنهم العاص قتيل حيدرة... أبو سعيد السخي أملى أيضا.. وكان سعيد بن العاص هذا من كبار المجاهدين والأمراء المشهورين، وقد استعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان ففتحها، وغزا جرجان؛ وكان في عسكره أجلاء الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وغيره؛ ولما قتل عثمان لزم بيته واعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين. فلما استقر الأمر لمعاوية أتاه فعاتبه معاوية على تخلفه عنه في حروبه فاعتذر له، فقبل معاوية عذره واستعمله على المدينة، وكان يعقب بينه وبين مروان بن الحكم في ولايتها، وكان رضي الله عنه

(1) الغر: جمع أغر وهو أبيض الغرة، والمراد به الشريف. والجحاجح: جمع جحاح وهو السيد الكريم. والحدَثان: نواب الدهر. وغال: أصاب بشراً.

وقورا حليما، وكان إذا أحب شيئا أو أبغضه لم يذكر ذلك ويقول: إن القلوب تتغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحا اليوم عائبا غدا، ومن كلامه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيا فتهدون عليه. واتخذ سعيد بن العاص هذا منزل نزهة بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة وبنى فيه قصرا عجيبا غرس فيه النخيل وزرع فيه، وفي ذلك القصر يقول الشاعر:

القصر ذو النخل بالجماء فوقهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون⁽¹⁾

ثم أوصى رضي الله عنه إلى ابنه الأشدق وأمره إذا دفنه أن يركب إلى معاوية وأن ينعاه له ويبيعه منزله بالعرصة، وقال له: بعه من معاوية واقض عني ديني ومواعيدي ولا تقبل من معاوية قضاء ديني فتزودنيه إلى ربي؛ ثم مات سعيد في القصر المذكور ودفن بالبقيع سنة تسع وخمسين. فلما دفنه عمرو وقف الناس بالبقيع فعزوه، ثم ركب إلى معاوية فنعاه له فاسترجع وترحم عليه وتوجع لموته، ثم قال: هل ترك من دين؟ قال: نعم، قال: وكم؟ قال: ثلاثمائة ألف درهم، قال: هي علي، قال: قد أبى ذلك وأمرني أن أقضي عنه من أمواله، قال: فعرضني ما شئت منها، قال: أنفسها وأحبها إلينا وإليه في حياته منزله بالعرصة؛ قال معاوية: هيهات لا تبع هذا المنزل انظر غيره، قال: فما نصنع؟ نجح قضاء دينه، قال: قد أخذته بثلاثمائة ألف درهم، قال: اجعلها الوافية - يريد دراهم فارس الدرهم زنة مثقال الذهب - قال: قد فعلت، قال: واحملها إلى المدينة، قال: وأفعل، فحملها له؛ فقدم عمرو بن سعيد فجعل يفرقها على أهل ديونه ويحاسبهم ما بين الدراهم الوافية وبين البغلية وبين الدراهم الجواز، وهي تنقص في العشرة ثلاثة (العشرة الجواز سبعة بالبغلية) حتى أتاه فتى من قریش يذكر حقا له في كراع من أديم بعشرين ألف درهم على

(1) جيرون: بدمشق.

سعيد بن العاص بخط مولى لسعيد كان يقوم على بعض نفقاته، وبشهادة سعيد على نفسه بخط سعيد بيده، فعرف خط المولى وخط أبيه وأنكر أن يكون للفتى هذا المال وإنما هو صعلوك⁽¹⁾ من صعاليك قريش، فأرسل إلى مولى أبيه فدفع إليه الصك، فلما قرأه المولى بكى ثم قال: نعم أعرف هذا الصك، دعاني مولاي وهذا الفتى عنده على بابه معه قطعة الأديم هذه وقال لي: اكتب فكتبت بإملائه هذا الحق، فقال عمرو للفتى: ما سبب مالك هذا يا فتى؟! قال: رأيت وهو معزول يمشي فقمت فمشيت معه حتى بلغ إلى باب داره ثم وقفت، فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: لا إلا أنني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك، قال: وصلتك رحم يا ابن أخي، ثم قال: أبغني قطعة أديم، فأتيت خرازا عند باب داره فأخذت منه هذه القطعة فدعا مولاه هذا فقال له: اكتب، فكتب وأملى عليه هذا الكتاب، وكتب فيه شهادته على نفسه ثم دفعها إلي وقال: يا ابن أخي ليس لك اليوم عندنا شيء فخذ هذا الكتاب فإذا أتانا شيء فأتنا به إن شاء الله، فمات رحمه الله قبل أن يصل إليه؛ قال عمرو: ولا حرم لا تأخذها إلا وافية، فدفعها إليه تزيد كل عشرة على الجواز ثلاثة⁽²⁾. وإلى هذا أشار الناظم بقوله الآتي: معطي وصية أبيه خيرهم.

ولسعيد بن العاص هذا بضعة عشر ولدا، منهم الأشدق - الآتي ذكره - وعبد الله، وأمه أم حبيب بنت جبير بن مطعم بن عدي. ولعبد الله هذا يقول الأخطل:

ومن يك سائلا ببني سعيد فعبد الله أكرمهم — نصابا⁽³⁾

ومنهم عنيسة بن سعيد، أمه أم ولد؛ وقد ذكر أن عنيسة هذا جمع يوما أهله ثم قال:

(1) صعلوك: فقير، جمعه صعاليك.

(2) راجع كتاب نسب قريش للزبير: 176 فما بعدها.

(3) نصابا: أصلا.

لأرسلن إلى سيد قومي مروان، قال فأصلحت داري وتحملت بالفُرُشِ والستور والخدم والبزة الظاهرة⁽¹⁾ وتكلفت في ذلك وصنعت طعاما، وذلك بعد ما ملك ثم دعوته فأتاني هو وابناه: عبد الملك وعبد العزيز، فجعل ينظر إلى ما هيأت، وأتيت بالطعام فوضعت ثم أدخل يده في الثريد ثم أقبل علي ويده في الصُّحفة يهيء لقمته فقال: يا عنبسة هل عليك من دين، قلت: نعم إن علي لدينا، قال: وكم؟ قلت سبعون ألف درهم، فرفع يده من طعامي وقال لابنيه: ارفعا يديكما، حرم علينا طعامك ما كنت تقدر أن تجعل بعض هذه الفضول التي أرى في دينك فهو كان أولى به، ثم قام ولم يأكل من طعامي شيئا؛ فلو كان قضاها عني ما كان ذلك بأنفع لي من عظته، فقلت في نفسي هذا شيخي وسيد قومي صنع ما أرى استخفافا وعظلة لي؛ فعمدت إلى تلك الفضول ففرقتها وعمدت إلى ديني أقضيه، فما برح ذلك حتى قضى الله عني الدين وتأثلت المال⁽²⁾.

قوله: والأشديق (بالنصب): مفعول به مقدم لأتلى، يعني أن سعيد بن العاص هذا عقب الأشديق، والأشديق لقب لعمر بن عمرو بن سعيد بن العاص لقب به للقوة (أي ميل) في شدة أصابه من ريح. واللطيم (بالنصب): صفة له أيضا. واللطيم: المصاب باللطمة وهي ضربة الخد بالكف. وكان عمرو بن سعيد هذا يلقب بلطيم الجن ولطيم الشيطان، لما أصاب شدة من ذلك، وقيل لأنه صعده مرة المنبر فبالغ في سب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأصابته تلك اللقوة من يومئذ، وقيل لقب

(1) الفرش (بضمّتين): جمع فراش (بكسر الفاء) وهو ما يفرش من متاع البيت. والستور: جمع ستر وهو ما يستر به. والخدم (بالتحريك) جمع خادم وهو الذي يقوم بما يحتاج إليه من الخدمة. والبزة (بكسر الواو): الهبة والجمال الرائع.

(2) اكتسبته وادخرته.

به لخطابته وبلاغته في الكلام؛ والأشديق في الأصل البليغ المفوه⁽¹⁾، وتشديق: لوى شدقه للتفصح. وقد روي أن عمرا هذا لما مات أبوه سعيد دخل على معاوية، فلما استنطقه قال له عمرو: إن أول كل أمر مركب صعب وإن مع اليوم غدا، فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟! قال: يا أمير المؤمنين إن أبي أوصاني ولم يوص بي، قال: فبأي شيء أوصاك؟! قال: بأن لا يفقد أصحابه منه غير شخصه، فقال معاوية: إن عمرا هذا لأشديق. وفي ذلك يقول الشاعر:

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا أبا لك أشديق

وقوله مغدور أهله (بالنصب): صفة للأشديق أيضا، وهو اسم مفعول غدره إذا خانته ونقض عهده فهو غادر، والضمير في أهله عائد على الأشديق، والمراد بأهله بنو أمية، ووالي: صفة له أيضا وهو مضاف لشهرهم، والضمير فيه عائد على أهله أي عامل لشرب بني أمية وهو يزيد الفويسق؛ وكان واليا له على المدينة. ثم وصف الأشديق أيضا بقوله: معطي (بصيغة اسم الفاعل) مضاف لوصية أبيه. والضمير في أبيه عائد على الأشديق. وخيرهم (بالجر): صفة لأبيه، والضمير فيه عائد على أهله، أي والأشديق هذا هو منفذ وصية أبيه سعيد الموصوف بأنه خير بني أمية، وتقديم مراد الناظم بهذه الوصية. وقوله أخاف طيبة .. إلخ، فاعل كل من أخاف ورعف: ضمير مستتر عائد على الأشديق. وطيبة: من أسماء المدينة، والمراد أهلها. وجملة وهو مجتزئ صفة للأشديق، والمجترئ: من الجراءة وهي الإقدام على الشيء والهجوم عليه.

يعني أن سعيدا بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس كان من ولده الأشديق وهو عمرو بن سعيد، وكان سعيد قد أعقب غيره بضعة عشر ولدا،

(1) البليغ (كأمير): الفصيح الحسن البيان. والمفوه (كمعظم): القوال المنطوق.

وكان أنجبهم وأشهرهم عمرو هذا الملقب بالأشدق وباللطيم، أمه أم البنين بنت الحكم شقيقة مروان بن الحكم وعمه عبد الملك الذي غدره. وكان عمرو هذا يكنى أبا أمية وكان شجاعا جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك بن مروان على ملكه فقتله غدرا؛ وذلك أنه لما اختل أمر الخلافة بعد يزيد بن معاوية وثب مروان بن الحكم بالشام فعضده الأشدق هذا على أمره بشرط أن يجعل له الأمر من بعده، فوعده مروان بذلك؛ ثم لما تمكن مروان بايع بولاية العهد من بعده لابنه عبد الملك، ثم من بعده لابنه عبد العزيز. ولما مات مروان وبويع عبد الملك شكوا إليه الأشدق ما كان من خلف مروان للوعد وطلب منه أن يجعل له الأمر من بعده فأبى، فتربص الأشدق بعبد الملك الدوائر، ثم خرج عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير فخالفه الأشدق إلى دمشق وتمكن من دار مملكته وبيوت أموالها، فعلم عبد الملك بذلك فكر راجعا وحاصر الأشدق أياما ثم اصطلحا على أن يكون الأمر من بعد عبد الملك للأشدق، فخرج الأشدق من دار المملكة بدمشق، ثم بعد أيام استدعاه عبد الملك في داره، فلما دخل عليه قتله غدرا؛ قيل كان أول غدر وقع في الإسلام، وقد روي أن رجلا رأى في المنام قائلا يقول:

ألا يا لقسومي للسفاهة والوهن وللعاجز الموهون والرأي ذي الأفن⁽¹⁾
ولابن سعيد بينما هو قائم على قدميه خسر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجأ إليه فزارته المنية في الحصن

فقص رؤياه على عبد الملك فأمره أن يكتمها حتى كان من قتله ما كان. وكانت أخت الأشدق آمنة بنت سعيد تحت الوليد بن عبد الملك، فلما قتله عبد الملك خرجت حاسرة⁽²⁾ وهي تبكي وتقول:

(1) الوهن: الضعف في الأمر، ورجل موهون: ضعيف. وأقن الرجل أفنا وأفنا فهو أفين: نقص عقله.
(2) حسرت الجارية حمارها عن وجهها: أزالته عنه فانكشف.

أعيني جودا بالدموع على عمرو عشية نُبتزُ الخلافة⁽¹⁾ بالغدرد
غدرتم بعمرؤ يا بني خيط باطل⁽²⁾ وأنتم ذوؤ قربي به وذوؤ صهر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه أته المنايا بغتة وهو لا يدري
كان بني مروان إذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر
لحي الله دنيا تعقب النار أهلها وتهتك ما بين القرابة من ستر
ألا يا لقومي للوفاء وللغدر وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية كأن على أثباجنا فلق الصخر⁽³⁾

ولما توفي عبد الملك سعي إلى الوليد بأمنة أنها لم تبكه كما بكته نظائرها، فذكر لها ذلك، فقالت: صدق القائل وما تريد مني أن أقول في بكائه أتريد أن أقول يا ليته بقي حتى يقتل لي أخا مثل عمرو بن سعيد؟! فأعرض عنها الوليد.

وقول الناظم: ووالي شرهم يعني أن عمرو بن سعيد هذا كان عاملا ليزيد الفويسق على المدينة - كما مر - وفي الزبيري أنه ولاه معاوية المدينة وأقره يزيد بن معاوية. وقوله: أخاف طيبة.. أي أخاف أهلها إبان ولايته عليها من طرف يزيد الفويسق؛ وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من أخاف أهل المدينة أخافه»

(1) بز الشيء: نزرعه وأخذه بجفاء وقهر. وبزه: غلبه وسلبه، ومنه المثل: "من عزَّ بزَّ".

(2) كان مروان يلقب خيط باطل لرقته وطوله شبه بالخيط الأبيض الذي يرى في الشمس، وكان قد ضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه حتى كاد يهلك، ولما يوبع بالخلافة أو أمره معاوية على المدينة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم - وكان شاعرا وكان لا يرى رأي مروان - قال:

فوالله ما أدري وإني لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع

لحا الله قوما أمروا خيط باطل على الناس يعطي ما يشاء ويمنع

(3) الأثباج: جمع ثبج وهو وسط الشيء. ولفق (بكسر ففتح): جمع فلقة وهي القطعة. والصخر: الحجر العظيم الصلب، وهذا تعبير عن صدمة المصيبة.

الله»⁽¹⁾. وقوله: وفوق منبر.. إلخ: أشار به إلى ما روي من أن الأشدق هذا قام يوما يخطب على منبر رسول الله ﷺ فرعف حتى سال الدم إلى أسفل المنبر فظهر بذلك مصداق ما روي من إخباره صلى الله عليه وسلم بأن جبارا من بني أمية يخطب على منبره فيعرف حتى يسيل الدم إلى أسفله، فعرف أنه عمرو بن سعيد. وأشار إلى ذلك الناظم أيضا بقوله: وهو مجتري؛ وقد كان في عمرو بن سعيد هذا تكبر وجبروتية وإقدام.

وأعقب الأشدق هذا أيضا بنين منهم أمية - وبه كان يكنى - وإسماعيل، ويعرف بالأعوصي؛ كان يسكن الأعوصَ (موضع على بضعة عشر ميلا شرقي المدينة)؛ أمهما أم حبيب بنت حريث بن سليم من بني عذرة، وكان إسماعيل هذا تابعيا جليلا ثقة فاضلا، ولم يتلبس بشيء من سلطان بني أمية. ومن ذرية الأشدق أيضا إسماعيل بن أمية بن عمرو الأشدق، أمه أم ولد، كان ثقة كثير الحديث روى عنه الأئمة، وكان فقيه أهل مكة. ومنهم أيضا أيوب بن موسى بن عمرو كان فقيها محدثا، حمل عنه مالك بن أنس الحديث وكان ممن يحمل عنه الحديث، وقد قيل لا يوجد قرشيان مثل إسماعيل وأيوب، وكان أيوب أفقهما.

ولما أنهى الكلام على آل العاص شرع في الكلام على بني عمهم آل أبي العاص بن أمية أصحاب الدولتين الأمويتين بالمشرق والأندلس، فقال رحمه الله:

وَمِنْ أَبِي الْعَاصِ الطَّرِيدُ الْوَزْغُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَذَوِيهِ يَنْزَغُ
وَأَتَّخَذَتْ دِينَ الْإِلَهِ دَخَلًا أَوْلَادُهُ وَالْمُسْلِمِينَ خَوْلَا
نَالُوا بِخَدْعِ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ وَمَا لَهُمْ خَرْدَلَةٌ فِي الْآتِي

(1) أخرجه أحمد وابن حبان عن جابر.

الطريد (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله، وهو بمعنى المطرود أي المبعد (من طرده عن مكانه نحاه عنه وأبعده منه) والمراد به هنا الحكم بن أبي العاص بن أمية. والوزغ (بالتحريك): بدل من الطريد، وهو لقب استعمله الناظم للحكم بن أبي العاص المذكور، والوزغ في الأصل: الارتعاد والرعدة؛ ولقب به الحكم لما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه وفي ابنه مروان: «الوزغ بن الوزغ»⁽¹⁾، وقال: «من عذيري من هذه الوزغة». وقوله ينزغ (بالعين المعجمة): أي يفسد بين القوم ويفري بعضهم على بعض. وأولاده (بالرفع): فاعل اتخذت، والضمير فيه عائد على الحكم المعبر عنه بالطريد. وقوله دين الإله: مفعول أول لاتخذت، ومفعوله الثاني قوله دخلا، والدخل (بالتحريك): المكر والخديعة. والمسلمين (بالنصب): مفعول أول لاتخذت مقدره دلت عليها المذكورة، ومفعوله الثاني قوله خولا، والخول (التحريك): العبيد والإماء والحاشية. والضمير في نالوا عائد على أولاد الحكم. والخدع (بفتح المعجمة وكسرها وسكون الدال المهملة): الخديعة، وهي المكر والحيلة. وزهرة الحياة (بفتح الزاي): بهجتها ونضارتها، والمراد بالحياة هنا الدنيا. والخردلة: واحدة الخردل، وهو حب شجر معروف صغير جدا، أي ما لهم وزن حبة من خردل في الآتي أي الدار الآخرة.

يعني أن من أبي العاص بن أمية لصلبه الحكم بن أبي العاص المطرود من المدينة وأن ذريته لما ملكوا الأمر استبدلوا دين الله بالمكر والخديعة، واتخذوا المسلمين عبيدا. أما أبو العاص بن أمية فقد كان من حكماء قريش وشعرائهم وهو الذي يقول:

أبلغ لديك بني أمية — آية نصحا مبينا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک.

إلى بعض أصحابه في مشركي قريش وسائر المشركين والمنافقين فيفشي ذلك عنه؛ ولم يزل كذلك حتى ظهر ذلك عليه فنفاه صلى الله عليه وسلم عن المدينة، وقال: «لا يساكني»؛ ونفى معه بعض بنيه، وقيل كان يتسمع لسر رسول الله ﷺ ويطلع عليه من باب بيته وأنه هو الذي أراد رسول الله ﷺ أن يفقأ عينه بمدرى كانت بيده لما اطلع عليه من الباب⁽¹⁾، وقال: «من عذيري من هذه الوزغة»، وقيل كان يحكي رسول الله ﷺ في مشيته وبعض حر كاته مستهزئاً، وكان النبي ﷺ يتكفأ في مشيته فالتفت يوماً فرآه يتخلج⁽²⁾ في مشيته فقال: «كن كذلك»، فلم يزل يرتعش في مشيه من يومئذ إلى أن مات وأصابته خبلة⁽³⁾؛ وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في مهاجاة بينه وبين عبد الرحمن بن الحكم ويعيره بأبيه الحكم:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنوناً
يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

ولم يزل الحكم منفياً إلى أن بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه فردّه إلى المدينة، وكان ذلك مما نقم عليه، وروي عنه أنه قال: كنت قد شفعت إلى رسول الله ﷺ فيه فوعدني برده - [قاله في أسد الغابة]؛ وروي أنه قال: لما ولي أبو بكر كلمته في رد الحكم إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ. ولم يزل الحكم بالمدينة إلى أن توفي في آخر خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان للحكم من الولد واحد وعشرون رجلاً ونسوة، وأشهر ولده مروان

(1) رواه البخاري.

(2) تخلج: تمايل كأنما يجتذب شيئاً مرة بمئة مرة يسرة، وتخلج المفلوج في مشيه: تفكك وتمايل.

(3) فساد عقل وذهاب فؤاد.

بن الحكم⁽¹⁾، وكان لمروان من الولد أحد عشر ابنا ونسوة؛ ومن ولده: عبد الملك بن مروان أبو الخلائف في الدولتين الأمويتين في المشرق والأندلس.

هذا وقد أشار الناظم هنا إلى بعض ما رواه كثير من أصحاب السير في كتبهم، كالحاكم في المستدرک، والزييري في نسب قريش، والديار بكري في الخميس، والدميري في حياة الحيوان، واليدالي في الحلة السراء، وغيرهم، من سوء سيرة بني مروان بن الحكم، وعقد بهذه الأبيات نص كلامهم؛ ففي الزييري قال: زَوْجَ معاوية بن أبي سفيان - وهو خليفة - بنته رملة من عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له عثمان الأصغر وخالدا. ثم قال: واشتكى عمرو بن عثمان فكان العواد يدخلون عليه فيخرجون ويتخلف عنده مروان بن الحكم فيطيل، فأنكرت ذلك رملة بنت معاوية فخرقت كوة فاستمعت لمروان فإذا هو يقول لعمرو ما أخذ هؤلاء - يعني بني حرب بن أمية - الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحمقك فنحن أكثر منهم رجالا، منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان.. حتى عدد رجالا ثم قال: ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل.. فعدد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب؛ فلما برئ عمرو تجهز للحج وخرج إليه، فخرجت رملة إلى أبيها بالشام فقدمت عليه وأخبرته بما قال مروان لعمرو بن عثمان؛ فكتب معاوية إلى مروان:

(1) ولد مروان بن الحكم بمكة، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان أو تسع سنوات وكان من رجال قريش وساداتهم، وكان من أقرأ الناس للقرآن، وكان يقول: ما أخللت بالقرآن قط وإني لم آت الفواحش والكبائر قط - [الخميس]. وكان من الفقهاء المذكورين وقال فيه عروة بن الزبير: كان مروان لا يتهم في الحديث، وروى عنه سهل بن سعد الصحابي اعتمادا على صدقه، وروى عنه أيضا علي بن الحسين وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وقد أخرج البخاري أحاديث هؤلاء عنه في صحيحه، وروى عنه مالك في موطنه واعتمد على حديثه. - [الزرقاني على الموطأ].

أواضع رجل فوق أخرى يعدنا عديد الحصى ما إن تزال تكاثر
وأمكم ترجي توأما لبعلاها وأم أخيكم نزررة الولد عاقر

ثم كتب أشهد يا مروان أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولا»، والسلام.

فكتب إليه مروان: أما بعد يا معاوية فلإني أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، والسلام. وفي الخميس عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دخلا ثم يريح الله العباد منهم». وإلى ذلك أشار بقوله: **واتخذت دين الإله.. إلخ.** وفي الدميري في مادة الوزغ عازيا إلى الحاكم في باب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به رسول الله ﷺ فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فأعرض عنه وقال: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون». ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني قال: إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: «ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويضيعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق»⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار بقوله: نالوا بخدع.. إلخ.

تنبيه: أطلق الناظم الوزغ هنا على الحكم بن أبي العاص، والأكثر إطلاقه على ابنه مروان، وإنما أطلقه عليهما لما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال فيهما: «الوزغ بن الوزغ»، ومن إطلاقه له على مروان قوله:

ومنهم ابن قيس الضحاك حُمَّ له بالوزغ الهلاك

(1) الخلاق كسحاب: النصب.

وقوله: برأسه من حمص أوتي الوزغ ...

قال في الحلة السيرة، عندما أورد ما مر في مروان وأبيه الحكيم: في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن من شتمه أو لعنه أو دعا عليه وليس لها بأهل أن تكون له رحمة وزكاة وكفارة وطهارة.. إلى أن قال: وما وقع منه عليه السلام من ذلك غير مقصود بل مما جرت به العادة من العرب كثرت يدك⁽¹⁾، وعقرى حلقي.. قاله صلى الله عليه وسلم لإحدى نساءه⁽²⁾ فخاف أن يجاب في ذلك فسأل ربه أن يجعله زكاة وطهورا.

قلت: ولعله يشير إلى ما أخرجه مسلم في كتاب البر في باب من لعنه صلى الله عليه وسلم، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: إني اشتطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأبى أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة⁽³⁾. وفي أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «... اللهم فمن ضربت أو سببت فاجعلها له كفارة وأجرا أو مغفرة ورحمة»⁽⁴⁾؛ وقال عبد الله بن

(1) أخرجه مسلم. ومعناه لصقت بالتراب، وهذا من الألفاظ الجارية على السنة العرب من غير قصد الدعاء بها.

(2) أخرجه مسلم، والمراد بها صفة رضي الله عنها، ومعنى عقرى حلقي: عقرها الله وحلقها أي عقر جسدها وحلق شعرها وأصابها بوجع في حلقها، وقيل معناه: تعقر قومها وتحلقهم لشومها، وقيل معناه: جعلها الله عاقرا لا تلد، وحلقتي: مشوومة على أهلها، وعلى كل قول فهي كلمة كان أصلها ما ذكر ثم اتسعت العرب فيها فصارت تطلقها ولا تريد حقيقة ما وضعت له أولا مثل قولهم لمن أتى بالمستحسن: قاتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما أشعره، فهو دعاء بدل المدح غير منظور فيه إلى المعنى الأول. [تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، والقاموس].

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 294 / 5.

عثمان بن حثيم: دخلت على أبي الطفيل فوجدته طيب النفس فقلت لأغتتمن ذلك منه، فقلت: يا أبا الطفيل نفر الذين لعنهم رسول الله ﷺ من هم؟ فهم أن يخبرني بهم، فقالت امرأته سودة: إن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر فمن دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة»⁽¹⁾.

هذا وقد أشار الناظم هنا - رحمه الله - إلى دولة بني أمية في المشرق، وإلى بعض ما وقع فيها من الأعمال السيئة، وكانت هذه الدولة قد قامت بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وكانت مدتها إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر، وتعاقب عليها أربعة عشر خليفة، وكان خلفاؤها يرجعون إلى فرعين: فرع حرب بن أمية وفرع أبي العاص بن أمية؛ وكان من الفرع الأول ثلاثة خلفاء⁽²⁾ ومن الثاني أحد عشر خليفة⁽³⁾؛ ولم يخل عصر خليفة أموي من حروب داخلية إلا عصر الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، وكان غالب تلك الحروب تارة مع الخوارج وتارة مع طلاب الخلافة من العلويين وغيرهم، وقد استمرت الخلافة الأموية بالمشرق العربي في بني مروان بن الحكم إلى أن انهارت دولتهم بقيام دولة بني العباس، ثم كانت لهم دولة أخرى بالأندلس معاصرة للدولة العباسية. وقد أفرد الناظم لدولتي بني أمية ودولة بني العباس هؤلاء نظما عرف بتنظيم الدول، ثم إن الناظم أشار بصفة خاصة إلى بعض ما وقع في عهد دولة بني أمية هذه من الفظائع والمنكرات، وسوء سيرة بعض خلفائها وسفكهم الدماء وتبذيرهم الأموال، وإسرافهم في اتباع الهوى، وغير

(1) أخرجه ابن منده، وأبو نعيم - كما في أسد الغابة.

(2) هم: معاوية بن أبي سفيان ويزيد الفويسق ومعاوية بن يزيد.

(3) هم: مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان، ابنا عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام، ابنا عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد وإبراهيم، ابنا الوليد بن عبد الملك، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

ذلك مما خلده عنهم التاريخ وكتبته أبنائوه وروته أهل السير.

دولة بني أمية ونماذج من أعمالها الصالحة وأخرى من أعمالها السيئة

قلنا والواقع - والله تعالى أعلم - أنه كان لهذه الدولة كثير من الأعمال الصالحة والأعمال السيئة، فقد خلط أهلها عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ فمما وقع فيها من المنكرات - بما في ذلك فترة آل حرب بن أمية - : مصيبة الإسلام والمسلمين بوقعة كربلاء التي قتل فيها سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي ومن معه من أهل البيت النبوي وغيرهم رضي الله عنهم، وقد مرَّ الكلام عليها. ومنها وقعة الحرة التي أخافت أهل المدينة واستيحت فيها دار الهجرة الشريفة عدة أيام، وقتل فيها أعداد كثيرة من وجوه الصحابة المهاجرين والأنصار وغيرهم، وفيهم الكثيرون من حملة القرآن العظيم، ولم يبق بعدها بدرى⁽¹⁾ [والعياذ بالله تعالى]، وإن لم يكن إلا هذا

(1) الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والحرار كثيرة في بلاد العرب، وأكثرها حوالي المدينة والشام، والحرة التي وقعت فيها هذه الوقعة تقع شرقي المدينة واسمها حرة واقم، وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين على يد مسلم بن عقبة المري الذي يسميه أهل المدينة: مسرف بن عقبة؛ وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا عامله مروان بن الحكم من المدينة كما أخرجوا منها بني أمية، وأمروا على المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل، وقد قيل انه لم يوافق على خلع يزيد هذا الذي وقع، أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا في المدينة؛ فقد روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم: إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يدا من طاعته إلا كانت الفيصل بيني وبينه؛ ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخدري بيته. وقد ذكروا أن يزيد بن معاوية أعذر إلى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف ما كان يعطي الناس، واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة وتخديرهم من الخلاف، ولكن أبا الله إلا ما أراد الله، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾.

لكفى.. وكل هذا كان في عهد يزيد الفويشق. ومنها ما كان في أيام عبد الملك بن مروان بن الحكم من تولية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، يفعل فعلاته المنكرة من سفك الدماء وغزو حرم الله تعالى وقتله لابن حواري رسول الله ﷺ حفيد أبي بكر الصديق: عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وتعنيف وتوبيخ أكابر الصحابة والتابعين وإذلالهم بالختم في أعناقهم وأيديهم بالنار، مثل ما فعل بأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد.. وغيرهم - كما يأتي. وقد قال السيوطي رحمه الله: لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا تولية الحجاج على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم قتلا وضربا وحبساً لكفى، وقد قتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى، فضلاً عن غيرهم. وقد كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك جباراً عنيداً وفاسقاً منتهكاً، وارتكب كثيراً من الموبقات والمنكرات، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ولا يمكن حصره..

أما الجانب الإيجابي لهذه الدولة، فقد كان من بين خلفائها من تشكر سياستهم وتحمدهم سيرتهم ويرتضى هديهم، وفيهم صحابة وتابعون. وبالجملة فقد بذلت هذه الدولة جهداً كبيراً ولعبت دوراً عظيماً في بناء الدولة الإسلامية العامة، سواء في مجال الجهاد في سبيل الله أو نشر العلم أو الإصلاح والعمران.

أما الجهاد فرغم ما كان يهددها من المخاطر والحروب الخارجية، وما كان يعصفُ بها من الفتن الداخلية التي تشتعل نيرانها من هنا وهناك، فتحاول كفاح ذلك وتعمل على إطفاء هذا.. لم يمنعها ذلك كله من مواصلة الجهاد في سبيل الله والفتوح العظام في مختلف الأقطار. فقد ازدهرت الفتوحات في عهدها وامتازت بأن عصرها كله كان عصر جهاد وفتح؛ ففتحت العديد من المدن والكثير من البلاد،

حتى اتسعت حدود المملكة الإسلامية من الجهة الشرقية في السند، والصغد⁽¹⁾ وبلاد الترك، ومن الجهة الشمالية في أذربيجان وأرمينية وبلاد الروم، ومن الجهة الغربية في الأندلس وإفريقية.

ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان فتحت الرُّخَجُ (من بلاد سجستان)، ووَذَّان (من برقة) وكور (من بلاد السودان) والقيقان والقوهستان وطرابلس وغيرها. وبعث رضي الله عنه جيشا تحت إمرة أبي المهاجر إلى إفريقية، فقاتل أهلها حتى أذعنوا، فكان أول أمير وطئت خيله المغرب الأوسط (الجزائر)، وبعث جيشا آخر تحت إمرة عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية والمغرب، فقاتل أهلها حتى أسلموا، وفتح العديد من المدن وهزم الكثير من الجموع البربرية والرومية، فكان أول أمير وطئت خيله المغرب الأقصى. وقد قاد عبد الملك بن مروان جيشا إلى أرض الروم سنة إحدى وأربعين وسار مع المجاهدين مرة أخرى إلى غزو إفريقية، كل ذلك في خلافة معاوية؛ ولما ولي الأمر أعاد فتح المغرب ورد الروم في الأناضول وأرمينيا واستعاد بعض الأجزاء، وحارب الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر وانتصر عليهم رغم استفحال قضية الخوارج ومحاربتهم؛ ونَشَرَ الأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية، الشيء الذي مهَّد للفتوحات الكبرى التي حدثت في عهد ابنه الوليد من بعده، ودخل عبد الملك نفسه المصيصية عام أربع وثمانين على رأس صائفة قادها بنفسه. وفي عهده قامت وُلَاتُهُ من آل المهلب بن أبي صفرة في إقليم خراسان بكثير من الفتوح وغزو مختلف البلدان، مثل خوارزم وكُش وخجندة وغيرها.. ونظَّم

(1) السند (بكسر السين): مقاطعة في جنوب باكستان عاصمتها حيدرآباد. والصُّغْد (بضم الصاد المهملة): منطقة في جنوب ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي - [المنجد].

الشواتي والصوائف⁽¹⁾ في بلاد الرومان حتى بسط سلطانه على كثير منها مثل قيسارية وقاليقلا والمصيصة، وغيرها.

ثم اهتم ابنه الوليد بن عبد الملك بالجهاد والفتوحات، وجعلها غايته حتى اشتهر في عهده أربعة قواد كان لهم أثر عظيم في الفتوحات، الأول: قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ضرب به المثل في التفوق في ميادين الحرب بحيث أصبح اسمه يثير الرعب في قلوب الأعداء، وفتح العديد من المدن والبلاد، مثل بلخ والصغد وبيكند وبخارى وسمرقند وبلاد فرغانة، وغيرها؛ وواصل جهاده حتى بلغ حدود الصين، فدفع له ملكهم الجزية. والثاني: محمد بن القاسم الثقفي البطل المشهور والشاب الغيور الذي تم على يديه فتح بلاد السند من غرب إيران إلى باكستان الحاليين، وفتح البيرون وجنوب بلاد البنجاب، وغيرها. والثالث: موسى بن نصير الذي كان من أبرز قواد جيشه طارق بن زياد، ففتحوا إقليم الأندلس وأخضعوا إشبيلية وقرطبة وطليلة وقشتالة، وغيرها من المدن والبلاد. والرابع: مسلمة بن عبد الملك الأموي الذي كان له جهاد متواصل مع الروم في آسيا الصغرى، وافتتح كثيرا من معقلها الهامة وحصونها المنيعة، ومهد الطريق إلى القسطنطينية.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك فتحت جرجان وحصن الحديد وسردانية وطبرستان ومدينة الصقالبة، وغيرها. وقد واصل مسيرة الجهاد، فخرج إلى مرج دابق، وآلى على نفسه أن لا يرجع حتى تفتح القسطنطينية أو يموت، ومات بدابق⁽²⁾.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان في سياسته الحكيمة وعدله الشامل، والبعث

(1) الشواتي: جمع شاتية وهي الجيش الذي يغزو في الشتاء، والصوائف: جمع صائفة، وهي الجيش الذي يغزو في الصيف.

(2) دابق: قرية قرب حلب في سورية، كان ينزلها بنو أمية إذا غزوا بلاد الروم.

التي أرسلها تدعو إلى الإسلام سلميا ما بهر أعداء الإسلام وأكبروه حتى جاءوا منقادين إلى الإسلام طائعين، فأسلمت منهم شعوب كثيرة دون حرب ولا قتال، فأحبوا دين الإسلام لما رأوا فيه من العدل والإنصاف، مثل ما وقع للبربر وأهل خراسان، وغيرهم.

وفي عهد هشام بن عبد الملك فتحت قيسارية وخنجرية وخرشة (في ناحية ملطية) وأرمينية وجزء كبير من بلاد الروم، وولى بنيه، وخصوصا معاوية وسليمان قيادة بعض تلك الجيوش، وكذلك أخاه مسلمة بن عبد الملك، وابن عمه مروان بن محمد وغيرهم، حتى قيل إنه لم يكن ليعطي أحدا من بني مروان عطاءه حتى يغزوا؛ فكان بعضهم يغزو وبعضهم يبعث بديلاً عنه للقتال، إلى غير ذلك ..

وأما في مجال نشر العلم فقد اعتنت هذه الدولة بنشره وتشجيع أهله، وأمرت بتدوينه مخافة غائلة النسيان؛ ففي خلافة عمر بن عبد العزيز حملت علوم القرآن والفقهاء إلى أقصى الشرق والغرب، وأرسل الكثيرين من أهل العلم لنشر الإسلام والعلم في الآفاق، وأمر ولاته بإجراء الأرزاق والأجور على المعلمين، كما أغدق هو نفسه على فضائه ومعلميه العطايا الكثيرة، ورتب لهم الرواتب الكافية. وبعث عشرة من التابعين إلى أهل إفريقية ليفقهوهم في الدين ويحثوهم على الجهاد في سبيل الله، واختار رجالا ألباء فأرسلهم إلى أقصى البلدان لنشر الإسلام والعلم وكتب إليهم أن ينشروا العلم في مساجدهم وانها سنة كانت قد أميتت، وأمرهم أن يفشوا العلم ويجلسوا حتى يتعلم من لا يعلم، ويحث عن العلماء في كل موطن وجعلهم سنده وأعوانه في مجلسه، وعلى عماله وعقد لهم الولايات عناية بهم وتقديمهم على غيرهم، ووظف أهل القرآن وأعطى الاستقلالية للقضاء والعزة والاحترام لأهله، وأمر بجمع الحديث النبوي الشريف وكتب إلى أبي بكر بن حزم أمير المدينة وقاضيا أن يجمع الحديث ويكتبه مخافة أن يدرس العلم ويذهب العلماء، وأمره أن

لا يقبل إلا حديث النبي ﷺ، وجعل لمن انقطع للقرآن والحديث نصيباً من بيت المال، وكتب إلى بعض عماله على الأمصار أن يغني أهل القرآن والحديث حتى لا يشتغلوا عنهما، وأوصى أن يقيد العلم بالكتابة مخافة الضياع. وكان الوليد بن عبد الملك يبعث قطع الفضة لتقسم على قراء مسجد بيت المقدس.

وأما دورها في مجال الإصلاح والعمران، فقد قامت بكثير من الإصلاحات وازدهر في عهدها العمران، ففي خلافة معاوية وضع البريد وهو أول من اتخذ في الإسلام، وفي عهد عبد الملك أمر بتنظيمه بشكل دقيق، فأنشئت له محطات على الطريق الطويل يوجد عند كل محطة منها رعييل من الخيل يستبدل بالرعييل القادم بالبريد وهكذا، وذلك لضمان وصول الخبر بسرعة، ثم أمر عبد الملك أيضاً بنقل الدواوين من الرومية والفرسية إلى العربية، وكان ديوان الشام بالرومية، وديوان العراق بالفرسية، فشق ذلك على الروم والفرس وبذلوا الجهد الكبير والأموال الطائلة في سبيل الإعاقة عن ذلك، فلم ينجحوا؛ وقد نقل ابنه الوليد ديوان مصر إلى العربية بعد، وقد تحدى عبد الملك أيضاً دولتي الروم والفرس بإصدار عملة إسلامية، فقد كان المسلمون قبل يتعاملون بالدنانير البيزنطية⁽¹⁾ والدرهم الفارسية، فلم يطمئن عبد الملك لذلك ولم يصبر عليه، فبنى داراً لضرب النقود في دمشق وضرب عملة جديدة مصنوعة من الذهب والفضة ونقش عليها بعض الآيات القرآنية، وأمر بسحب العملة الأجنبية ومنع التعامل بها، الشيء الذي دعم اقتصاد الدولة الإسلامية وأتاح لها المزيد من الهيبة والعظمة.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك اهتم بإصلاح الطرق وتسهيل السبل وإحياء

(1) البيزنطية: نسبة إلى الامبراطورية البيزنطية وهي دولة تأسست في القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية - [المنجد].

الأرض وشق الأنهار وإقامة المرافق وبناء المساجد، وأعاد بناء المسجد النبوي الشريف ووسعه وأدخل فيه الحجرات، وبنى مسجد دمشق وأتم بناءهما على درجة عالية من الفخامة، وضرب حلية من الذهب والفضة للكعبة وزاد في حليها وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة، وكانت قد احتملت إليه من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوي، ففسخ تحتها كما في الروض الأنف. وقد جعل لكل مُقعد خادما، ولكل مكفوف قائدا، ورتب لهم النفقات اللازمة والعطاء المناسب. وبنى عمر بن عبد العزيز الاستراحات للمسافرين مجاناً، إلى غير ذلك.

وإذا كان بعض أمراء هذه الدولة قد قام بكثير من الأعمال السيئة والأفعال الدنية، مثل لعن آل البيت — رضي الله عنهم — وتأخير الصلاة عن أول مواقيتها، والظلم والزج بالكثيرين في السجون وصرف أموال بيت المال في غير وجهه وغير ذلك، فقد قام أيضا بعض خلفائها بنقض ذلك ورده ؛ فقد رفع عمر بن عبد العزيز لعن آل البيت إلى الأبد ومنعه وجعل مكانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾⁽¹⁾، وأحبهم وأمر بحبهم وإكرامهم وإعطائهم حقوقهم، وافتتح سليمان بن عبد الملك خلافته بإحياء الصلاة لأول مواقيتها، وأمر باتباع القرآن والسنة وإظهار الشرائع الإسلامية، كما اختتم خلافته باستخلاف عمر بن عبد العزيز. ورد عمرٌ مظالم بني أمية وأنصف المظلوم وعزل سليمان عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق ، وأخرج عمر كذلك الكثيرين من السجون

(1) النحل: الآية: 90.

وأوصى بالرفق ببيعتهم، وعزل الولاة الجائرين وولى ولاة صالحين أقوياء، ورد لبيت المال ما أخذ منه بغير حق، وأدخل فيه الفضول وحفظه وأنفقه في طرقه السليمة وسبله الصحيحة، إلى غير ذلك.. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

عَوْفًا وَعَفَانًا عَفِيفًا اذْكُرًا وَأُخْتَهُمْ حَمَاءَةً أَشْرَفِ الْوَرَى
وَهِيَ صَفِيَّةٌ قَتِيلُ زَيْدٍ بَاءَ بِهِ حَنْظَلَةُ ابْنُ الرَّوْدِ

عوفًا (بالنصب): مفعول به مقدم لاذكرا. وعفان (بفتح العين وتشديد الفاء)، وعفيفا: معطوفان على عوفًا بجذب العاطف من عفيفا. واذكرا: أصله اذكرون بنون التوكيد الخفيفة فأبدلت ألفا، قال ابن مالك في الخلاصة:

وأبدلناها بعد فتح ألفا وقفا كما تقول في قفن قفا

قوله وأختهم: يصح فيها النصب عطفا على عوفًا قبلها، وحمأة (بوزن ثمرة): صفة لها؛ ويصح فيها أيضا الرفع على الابتداء، وحمأة (بالرفع): خيرها، والحمأة: قريبة الزوجة، والمراد بها هنا أمها، لأن صفية هذه أم رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، ثم عرف أختهم بقوله وهي صفية؛ فهي: مبتدأ وصفية: خبره. وقتيل (بالرفع): مبتدأ مضاف إلى زيد. وباء بالشيء: رجع، ويقال بباء به وباء بدمه: اعترف وأقر. وحنظلة: بدل من قتيل. وابن الرود (بالرفع): خبر قتيل زيد، والروود (بفتح الراء وتضم): الشابة الحسناء، والمراد بها هنا صفية بنت أبي العاص، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، أي ابنها. يقول: وأخت عوف وعفان وعفيف صفية بنت أبي العاص أم حنظلة بن أبي سفيان الذي قتله زيد بن حارثة يوم بدر ولا عقب له؛ وفي بعض النسخ:

وهي صفية قتيل زيد حنظلة بن صخر ابن الرود

فقوله حنظلة: بدل من قتيل. وابن صخر: صفة لحنظلة، وصخر هو أبو سفيان بن حرب. وابن الرود: خير عن قتيل.

يعني أن من أبناء أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عوفا وعفان وعفيفا وصفية بني أبي العاص، وأم هؤلاء آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي. وأشهر هؤلاء والذي فيه العقب منهم هو عفان بن أبي العاص؛ وأما أختهم صفية بنت أبي العاص فقد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس قبل هند بنت عتبة فولدت له أم المؤمنين أم حبيسة رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، فكانت صفية لذلك حماة رسول الله ﷺ كما قال: وأختهم حماة أشرف الورى وهي صفية..

وولدت صفية لأبي سفيان أيضا ابنه حنظلة الذي هو أسن أولاده وبه يكنى، قتله زيد بن حارثة يوم بدر كافرا، وإلى ذلك أشار بقوله قتيل زيد.. إلخ، وقيل قتله علي بن أبي طالب، وقيل اشترك في قتله زيد وعلي وحمزة رضي الله عنهم. ولما قتل المشركون يوم أحد حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري قال أبو سفيان: حنظلة بحنظلة! أي قتلنا حنظلة هذا بحنظلة الذي قتلتم يوم بدر (يعني ابنه هذا) - [قاله الزبير].

وكانت رملة بنت أبي سفيان هذه قد أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش بن رثاب الأسدي (من أسد خزيمه) فولدت له حبيسة بنت عبيد الله فكنيت بها ومات عبيد الله عنها في أرض الحبشة، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري أحد بني كنانة فزوجه إياها؛ وكان الذي أنكحه إياها خالد بن سعيد بأمر من النجاشي وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. ولما سمع أبو سفيان بتزويج رسول الله ﷺ بها قال: هو الفحل لا يقعد

أنفه⁽¹⁾، أي لا يرغب عنه ولا يرد عن حاجة له. ولأبي سفيان بن حرب من صفية بنت أبي العاص أيضا غير حنظلة ورملة أميمة بنت أبي سفيان أم أبي سفيان بن حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي، وأم عبد الرحمن بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أيضا.

ومن ولد أبي العاص بن أمية أيضا عثمان والمغيرة وريحانة؛ أما عثمان فشقيق عوف وإخوته المذكورين، وأما الآخران فأمهما رقية بنت الحارث بن كعب بن عبيد بن عمرو بن مخزوم، ومنهم أيضا لبابة بنت أبي العاص أمها صفية بنت ربيعة بن عبد شمس، وله غير هؤلاء. وقد ولد عفان بن أبي العاص بن أمية الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وآمنة بنت عفان أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شقيقة عبد الله والد رسول الله ﷺ، وقد ولدت آمنة بنت عفان هذه محمد بن عبد الله بن أبي سعد بن حكم بن سعد العشيرة من مذحج - [قاله الزبيرى].

قصة قتل عثمان وذكر بعض نتائجه

ولما ذكر الناظم عفان وكان ذلك ذكرا ضمينا لابنه الصحابي الجليل والخليفة الراشدي عثمان بن عفان، أشار إلى ذكر مقتله ملمحا لبعض ما نشأ عن مقتله من تغير الوضع في المجتمع الإسلامي، فقال رحمه الله:

(1) كانت العرب تقدع أنف الفحل عن الضراب إذا لم يكن من كرائم الإبل، وإذا كان كريما لا يدفع عن الضراب ولا يقدع أنفه عن الإبل، وقد قال هذا المثل أيضا عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي عم خديجة بنت خويلد حين زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو: هو الفحل الذي لا يقدع أنفه - [الروض الأنف].

عُثْمَانُ لَوْ لَمْ يَطْلُبُوا بِدَمِهِ لِبِالْحِجَارَةِ رُمُوا لِظُلْمِهِ
وَلَمْ تَنْزَلْ بِطَيْبَةِ الْمَلَائِكُ مُحِيطَةً حَتَّى دَهَاهُ فَاتِكُ
وَبِالْخَلِيفَةِ الْأُلُوفُ تُقْتَلُ نَحْوُ الثَّلَاثِينَ وَمَنْ يُنْكَلُ
بِالْقَتْلِ جَرًّا قَتَلَهُ نَبِيًّا سَبْعُونَ أَلْفًا حَارَبُوا الْقَوِيًّا

قوله عثمان يعني به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقوله لو لم يطلبوا بدمه أي لو لم يطلب الناس بأخذ الثأر من قتله لرموا بالحجارة. وقوله لظلمه: مصدر أضيف إلى مفعوله، أي لكونه قتل مظلوما⁽¹⁾؛ وعقد الناظم رحمه الله بهذا البيت نص ما ذكره ابن عباد - كما في الحلة السيرة - قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة، وفي رواية: لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط - [قاله في الاستيعاب وغيره].

قوله ولم تنزل.. إلخ: اسم زال قوله الملائك، ومحيطه (بالنصب) خبره. وطيبة من أسماء المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وقوله حتى دهاه: أي أصابه بدهاية وهي الأمر المنكر أو العظيم. والضمير في دهاه عائد على عثمان، والمراد بتلك الدهاية قتل عثمان. والقاتك: فاعل دهاه، وهو الجريء الذي يرتكب

(1) وفي الحديث عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقر بها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا يومئذ على الهدى»، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذا، قال: «هذا» - رواه ابن ماجه؛ وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقول: «قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه»؛ وقد أصبح من الأمثال السائرة وخصوصا في القطر الشنقيطي قولهم: «قتل عثمان مظلوما»، يضرب في كل شخص أخذ بجرمة شخص آخر وليس له فيها كسب.

ما هم به ودعته إليه نفسه من الأمور، وفتك بفلان: بطش به أو قتله على غفلة. وقوله الألو ف (بالرفع): مبتدأ، و تقتل (بالبناء للمفعول) خبره. وبالخليفة متعلق بتقتل. ونحو الثلاثين: بدل من الألو ف. ومن: مبتدأ. وينكل (بتشديد الكاف والبناء للمفعول): من نكل به إذا أصابه بنازلة أو صنع به صنيعا يجر غيره ويجعله عبرة له. وقوله جرا قتله (بفتح الجيم وتشديد الراء) أي من أجل قتله، يقال فعلت ذلك من جراك وجرائك - بتشديد الراء وتخفيفها - أي من أجلك. وقوله سبعون ألفا: خبر عن قوله من ينكل. وألفا (بالنصب): تمييز. والقوي: من أسمائه تعالى.

يعني أن الملائكة لم تزل محيطة بالمدينة ومحدقة بها من جميع الجوانب حفظا وصيانة لها حتى قتل عثمان، وأن قتل الخليفة ظلما يجر إلى قتل خمسة وثلاثين ألفا، وقتل النبي يجر إلى قتل سبعين ألفا. وقد أشار الناظم بهذه الأبيات إلى ما روي عن عبد الله بن سلام أنه قال في حصار عثمان - وكان من الذين حرسوه -: "إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبدا فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجذم وإن سيف الله مغمود عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم أبدا، وما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا، قبل أن يجتمعوا⁽¹⁾. وفعلا جر قتل الخليفة عثمان - الذي قتل مظلوما - إلى قتل أكثر من خمسة وثلاثين ألفا، كما جر قتل بني إسرائيل لنبي الله يحيى بن زكريا - عليهما السلام - إلى قتل أكثر من سبعين ألفا، إذ سلط الله عليهم ملكا قتل منهم بدمه آلافا كثيرة؛ وإنما جعل عقاب من قتلوا نبيا أن تقتل منهم سبعون ألفا، ومن قتلوا خليفة

(1) قاله في "سموط الذهب شرح عمود النسب".

أن تقتل منهم خمسة وثلاثون ألفاً.. لمحاربتهم للقوي وهو الله تعالى، بإفسادهم في الأرض وارتكابهم ما نهوا عنه.

قال في أسد الغابة: لما أريد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء عبد الله بن سلام بن الحارث القينقاعي نسبا الأنصاري بالحلف فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارجا خير لي منك داخلاً؛ فخرج عبد الله إلى الناس فقال: أيها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلاناً⁽¹⁾ فسماني رسول الله ﷺ عبد الله ونزلت في آيات من كتاب الله عز وجل؛ نزل في: ﴿ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَعَامَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾⁽²⁾، ونزل في ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾⁽³⁾، ثم قال لهم: إن الله سيفاً مغموداً عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله ﷺ فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله لئن قتلتموه لتطرذن جيرانكم الملائكة وليسلن سيفُ الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة، فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان. وقد قال ابن سيرين: لم تفقد الخيل البلق في المغازي والجيوش ولم يختلف في الأهل حتى قتل عثمان رضي الله عنه، ولم تر حمرة الشفق حتى قتل الحسين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو الخليفة الثالث أبو عبد الله (وأبو عمرو) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي؛ ولد بمكة، وقيل بالطائف بعد

(1) كان يقال له الحصين فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله.

(2) الأحقاف: 9.

(3) الرعد: 44.

الفيل بست سنين. وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم رابع أربعة (أسلم قبله أبو بكر وعلي وزيد بن حارثة) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وشهد له رسول الله ﷺ بها عدة مرات وصلى إلى القبلتين وكان أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وجعل فيهم عمر الشورى، وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأولين: هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وهو أول من هاجر من المسلمين بأهله. أنكحه رسول الله ﷺ ابنته رقية بمكة فهاجرت معه الهجرة الأولى إلى الحبشة فرارا بدينهما، وكانا من أول من خرج إليها فتابعهما سائر المهاجرين إليها. ثم هاجرا الهجرة الثانية إلى المدينة؛ فأقاما بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر على تمر يرض بنته رقية، فماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيرا بنصر بدر سنة اثنتين للهجرة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية، قال: وكان رسول الله ﷺ قد خلفني مع عثمان عليها؛ وكان قد ولد لعثمان منها عبد الله وبه كان يكنى ومات صغيرا بعد وفاة أمه. وفي ربيع الأول بعد غزوة بدر زوجه رسول الله ﷺ أختها أم كلثوم ودخل بها في جمادى الأخيرة، ولم تنزل عنده حتى توفيت سنة تسع ولم تلد له؛ ولما توفيت قال له رسول الله ﷺ: «لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها»⁽¹⁾؛ ولم تقع هذه الخصلة لغيره⁽²⁾، ومن أجلها لقب: "ذا النورين"؛ واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة غطفان بذي أمر بنجد، وباع عنه بيعة الرضوان بجعل يده الشريفة في يده الأخرى نيابة عنه، وجهر

(1) حديث: «لو كانت لنا ..» إلخ أخرجه الطبراني.

(2) روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحدا صاهر إلي أو صاهرت إليه».

رضي الله عنه ثلث جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها، وأتمّ الألف بخمسين فرسا، وقيل حمل على ألف بعير وسبعين فرسا، وقيل على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا - كما في الخميس - وحفر بير رومة في سبيل الله. والأحاديث الواردة في فضله كثيرة، منها قوله ﷺ: «لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان بن عفان»⁽¹⁾، وقوله صلى الله عليه وسلم لجبل أحد حين ارتج به - وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان - «أثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»⁽²⁾؛ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفا عن ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش ولم تبال ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تبال ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»⁽³⁾.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ حائطا وأمرني بحفظ بابه، فجاء رجل يستأذن فدد الباب فقال رسول الله ﷺ: «إذن له وبشره بالجنة» فإذا هو أبو بكر، ثم جاء آخر فدد فقال: «إذن له وبشره بالجنة» فإذا هو عمر بن الخطاب، ثم جاء آخر فدد الباب فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم قال: «إذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»⁽⁴⁾ - وفي رواية: - وسيلقى بلاء»

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(2) أخرجه البخاري والترمذي.

(3) أخرجه مسلم والإمام أحمد

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

فإذا هو عثمان بن عفان، فدخل وعيناه تذرّفان⁽¹⁾.

ولما توفي رسول الله ﷺ بايع عثمان أبا بكر وصحبه ولم يعصه ولم يغشه حتى مات ثم بايع عمر بن الخطاب وصحبه ولم يعصه ولم يغشه حتى مات. ولما مات عمر بايع الصحابة عثمان رضي الله عنهم بالخلافة يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (23) للهجرة، بعد دفن عمر بثلاث ليال؛ وقد قال فيه ابن مسعود حين بويع بالخلافة: «بايعنا خيرنا ولم نأل»، وقد روي عن هشام بن عروة أن أبا بكر حين حضرته الوفاة أمر عثمان بن عفان فكتب عهده حتى إذا بقي موضع اسم الخليفة أغمي على أبي بكر فكتب عثمان اسم عمر بن الخطاب، فأفاق أبو بكر فقال: يا عثمان لو مت في هذه ما كنت صانعا؟ فقال عثمان: هذا اسم عمر قد كتبتّه، قال أبو بكر: أصبت يرحمك الله ولو كتبت اسمك لكنت لها أهلا. ومكث عثمان في الخلافة اثنتي عشرة سنة، وحج بالناس عشر حجج متتابعة. وفي أيامه فتحت الاسكندرية وافريقية وكرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وأرمينية وهوران واصطخر وبعض حصون قبرس وهراة، وغيرها. وفي أيامه قتل يزدجرد - آخر ملوك الفرس.

وقتل رضي الله عنه مظلوما يوم الجمعة بعد صلاة العصر صائما، لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين (36) للهجرة عن نيف وثمانين سنة وصلى عليه الزبير بن العوام، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم وحمله إلى قبره هو وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مُكْرَمِ الأسلمي، وزعم آل مالك بن أنس أن جدّهم مالكا بن أبي عامر شهد معهم؛ ودفنوه ليلة السبت بين المغرب

(1) ذكره الزبير في كتاب نسب قريش: 3 / 102.

والعشاء في حش كوكب⁽¹⁾ بالبقيع. وقد قال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين آمنوا ﴿.. ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾؛ وقالت عائشة رضي الله عنها لما بلغها قتله: «قتلوه وإنه لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب»، وقال ابن عمر حين قتل عثمان: دعوتوه إلى أمر فلما أجابكم إليه قتلتموه والله ما أراكم إلا قد بؤتم بذنبه! وعن سالم ونافع أن ابن عمر لم يدع بسلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا مرتين: يوم الدار ويوم نَجْدَةَ الحروري⁽³⁾.

وكان عثمان رضي الله عنه معدودا في أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ولم يشهدهما، لأمر خاص؛ وقد روي أن مصريا⁽⁴⁾ جاء حاجا فلقي ابن عمر فسأله فقال: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر

(1) حش كوكب: عبارة عن بستان كان لرجل من الأنصار يقال له كوكب فاشتراه منه عثمان ووسع به البقيع، وكان عثمان أول دفين فيه وكان قبل ذلك إذا مر به يقول سيدفن هنا رجل صالح.

(2) المائة: 93.

(3) يوم الدار: يوم قتل عثمان بن عفان في داره بعد الحصار الذي ضرب عليه، ونجدة الحروري: قائد من قواد الخوارج وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل، وإليه تنسب النجدات من طائفته. والحروري: نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه؛ ولد نجدة هذا سنة ست وثلاثين، وكان من أصحاب نافع بن الأزرق الخارجي ثم انشق عنه وترعم فرقة من الخوارج سنة ست وستين، واستقر باليمامة واستولى أصحابه على البحرين واليمامة وعمان، ثم حج سنة ثمان وستين وتوجه إلى المدينة غازيا فتأهب أهلها لقتاله حتى أن ابن عمر تقلد السيف، فبلغ ذلك نجدة فرجع إلى الطائف وترك غزو المدينة، ثم نقم عليه أصحابه بعض أعماله فقتلوه سنة تسع وستين. [الإعلام للزركلي: 8 / 10، والكامل لابن الأثير: 3 / 353].

(4) وقيل هو عراقي شيعي.

ولم يشهدتها؟ قال: نعم، قال: أتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدتها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر! فقال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه»⁽¹⁾، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان»⁽²⁾، ثم قال ابن عمر للرجل: اذهب بها الآن معك!⁽³⁾.

ومما قيل في رثاء عثمان رضي الله عنه، قول حسان بن ثابت الأنصاري:

قتلتهم ولي الله في جوف داره وجنتهم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد .. إلخ.

وله أيضا:

إن تمس دار ابن أروى⁽⁴⁾ منه خالية باب صريع وباب محرق حرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الذكر والحسب

ولنائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان تبكيه:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أي اذهب بهذه الأجرية التي أحبتك بها ليزول عنك ما كنت تعتقد من عيب عثمان ﷺ.

(4) ابن أروى: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه نسب لأمه أروى بنت كرز العبشمية الصحابية.

حصار عثمان بن عفان وسبب قتله

اختلف أهل السير والتاريخ في سبب حصار وقتل عثمان رضي الله عنه اختلافا كثيرا، فقليل سببهما أن الناس نقموا عليه أشياء منها رده لعمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة بعد نفي رسول الله ﷺ له منها، ولم يرده أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما؛ ومنها تقريبه لأقاربه من بني أمية وتقليدهم المناصب وإعطاؤهم الأموال الطائلة؛ ومنها نفيه أبا ذر إلى الربذة⁽¹⁾ لأنه كان يزهّد الناس في الدنيا؛ ومنها أن أمراء الأمصار آخر خلافته كان أكثرهم من أقاربه، فكان معاوية أميراً على الشام، وسعيد بن العاص على البصرة، وعبد الله بن عامر⁽²⁾ العبشمي على خراسان، ومنها عزله لعمر بن العاص وتولية عبد الله بن أبي سرح⁽³⁾ مكانه، فشكاه أهل مصر إليه فهدهدته ولم يعزله ولم ينته ابن أبي سرح بل قتل منهم رجالا.. إلى غير ذلك. وقد أجاب بعض العلماء عن هذه المسائل، كالأبسي والسنوسي على صحيح مسلم، وغيرهما.

والمصقفة أن الناس نقموا على عثمان واستوحشوا منه وأكثروا فيه القيل والقال وأنكروا عليه، فحنقت عليه عدّة قبائل حتى نشأت بمصر جماعة من أبناء الصحابة ينكرون عليه ويؤلبون الناس على حربه وعزله حتى استنفروا مائة راكب وذهبوا إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح به، فقام علي وطلحة وعائشة رضي الله عنهم فكلّموا عثمان بكلام

(1) الربذة بالتحريك ويكسر: مدفن أبي ذر الغفاري قرب المدينة وإليها ينسب موسى بن عبيدة الزبدي - [القاموس].

(2) عبد الله بن عامر هذا ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنهما وابن عمه.

(3) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، كان أخوا عثمان من الرضاعة، أرضعت أمه الأشعرية عثمان بن عفان.

شديد في عزله وتولية محمد بن أبي بكر مكانه؛ وكان عثمان رضي الله عنه حليما
لين العريكة فأجابهم إلى ذلك فعزله وكتب لهم كتابا بتولية محمد بن أبي بكر
مكانه، فرضوا بذلك منه وساروا؛ فلما كانوا على مسيرة عدة أميال من المدينة
فبينما هم نازلون في وقت الهاجرة إذا هم براكب على نجيب لعثمان مغذا في السير
فارتابوا فيه وقالوا ما هو إلا شيطان لسيره في الهاجرة وشدة الحر، فعرضوا له
وأخذوه وفتشوه فإذا بإداوة عنده فيها كتاب محتوم بخاتم عثمان مصطنع على لسانه
إلى ابن أبي سرح يأمره بالثبات مكانه وقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه، فأخذوا
الكتاب ورجعوا به إلى المدينة وداروا به على الصحابة وغيرهم فلم يبق أحد من أهل
المدينة إلا حنق على عثمان ولا سيما من غضب لمحمد بن أبي بكر وعمرو بن
العاص وأبي ذر، وغيرهم. فتألب عليه خلق كثير من أهل مصر والكوفة والبصرة
وغيرهم؛ وكان ذلك في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين.

ثم دخل عليه علي وجماعة من وجوه الصحابة يلومونه على شأن الكتاب
فحلف لهم ما له به من علم ولا أمر به. فقالوا هذه أشد: أيؤخذ خاتمك ونجيب من
إبلك وأنت لا تعلم؟ ما أنت إذن إلا مغلوب على أمرك!. وقد قيل إن كاتب
الكتاب هو مروان بن الحكم وأنه زوره على لسان عثمان واحتال لخاتمته حتى ختم
به على الكتاب، فقال الناس لن نرضى على عثمان حتى يسلم لنا مروان فنبحث
ونعلم شأن الكتاب وكيف يؤمر بقتل صحابي بغير حق، فإن كان كاتبه عثمان
عزلناه وإن كان مروان كتبه على لسان عثمان وزوره نظرنا في أمره، فأبى عثمان
أن يسلمهم مروان لأنه خشي عليه القتل؛ فكان ذلك سببا في تحريض المصريين على
قتل عثمان، فحاصروه في داره ومنعوه الماء حتى عطش؛ وكان رضي الله عنه قد

اشترى بئر رومة بالعقيق باربعمائة دينار فتصدق بها على المساكين⁽¹⁾، ثم أشرف عثمان رضي الله عنه على الناس فقال أفيكم علي أو سعد فقالوا: لا، فسكت ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيستقينا ماء؛ فبلغ قوله عليا فبعث إليه بثلاث قرب، فما كادت تصل إليه.

فلما بلغ عليا أن عثمان يراد قتله قال: إنما أردنا منه مروان وأما قتل عثمان فلا، وخرج متعمما بعمامة رسول الله ﷺ متقلدا سيفه في نفر من المهاجرين والأنصار فحملوا على الناس وفرقوهم، فدخلوا على عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمُدبر ولا نرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل، فقال عثمان: أنشد با الله رجلا رأى لله عز وجل حقا وأقر بأن لي عليه حقا أن لا يهريق في سبيلي ملء محجمة دما أو يريق دمه في. فخرج علي وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا الجهود؛ ثم قال للحسن والحسين: قوما على باب عثمان بسيفيكما فلا تدعا أحدا يصل إليه؛ وبعث طلحة وابن عمر والزبير وعدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان؛ وكان من حراسه في الدار عبد الله بن سلام وأبو هريرة وزيد بن ثابت ومحمد بن حاطب والمغيرة بن

(1) رومة أرض بالمدينة بين الجرف وزعابة نزها المشركون عام الخندق، وفيها بئر رومة - [معجم البلدان]. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يشترى بئر رومة يوسع بها على المسلمين وله الجنة»، فاشتراها عثمان بن عفان من يهودي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وسبأها للمسلمين، وكان اليهودي يبيع ماءها. رواه البخاري تعليقا، والترمذي؛ وروي أن عثمان اشترى منه نصفها باثني عشر ألفا ثم قال اليهودي: اختر إما أن تأخذها يوما وأخذها أنا يوما وإما أن نصب لك عليها دلوا وأنصب عليها دلوا فاختر يوما ويوما، فكان الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين، فقال اليهودي: افسدت علي بيري فاشتر باقيها، فاشترها بثمانية آلاف. [معني بن قدامة: 6 / 147 - 148].

الأخنس. فقام الناس يسألون عثمان إخراج مروان إليهم فأبى، فرموه بالسهم في دراه فأصيب الحسن بن علي ومحمد بن طلحة ببعضها فتحضبا من الدماء وشج قنبر مولى علي، وكان على باب عثمان، وأصيب مروان نفسه بسهم وهو في الدار، وقتل المغيرة بن الأخنس؛ فدخل أبو هريرة على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا، فقال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك إنما يقصدون نفسي وسآتهم، فرمى أبو هريرة بسيفه ثم خرج فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون بعدي فتن وأحداث» قال فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: «إلى الأمين وحزبه» وأشار إلى عثمان⁽¹⁾؛ فقام الناس إلى عثمان وقالوا له: قد أمكنتنا البصائر فأذن لنا في الجهاد فإن معك عددا كثيرا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل وإلا فنحرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها أو الحق بالشام ففيه معاوية، فقال: إني لا أكون أول خليفة خلف رسول الله ﷺ بسفك الدماء ولن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ، وأبى عن القتال ثم قال: عزمت على من كانت لي عليه طاعة أن لا يقاتل، ثم قال: سنجتمع وإياهم عند الله تعالى وسيرون بعدي أمورا فيتمنون أني عشت لهم فقد خدعوا وغروا والله لو لم أقتل لمت وما في الحياة متسع لقد كبر سني ورق عظمي وجاوزت سن أهل بيتي ولقد خبأت عند ربي عشرا: أني رابع الإسلام، وأنكحني رسول الله ﷺ ابنتيه وقال لي: «لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها»، ولم أضع يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأعتقت فيها رقبة إلا أن لا تكون عندي فأعتقتها بعد ذلك ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا في إسلام قط

(1) قاله الزبير في كتاب نسب قريش: 3 / 103، وأخرج ابن ماجه نحوه.

ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ.. ثم قال: وهؤلاء القوم لا يريدون تركي ووالله لا أرغب في إمارتهم ولولا قول رسول الله ﷺ: «إن الله سيقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»⁽¹⁾ لتركتهم وجلست في منزلي.. والله لو تركتهم ما تركوني.

ولما رأى محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ما وقع من الجراح للسبطين خشي أن يتعصب بنو هاشم لهما فتكون فتنة فيأتون ويكشفون الناس عن عثمان فيبطل ما أراد الناس فتحاهم عن الرمي وأخذ بيدي رجلين فتسوروا من دار رجل من الأنصار بجوار دار عثمان ولم يعلم بهم أحد حتى دخلوا دار عثمان من غير علم منه ولا من أحد من أصحابه لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لصاحبيه مكانكما حتى أبدأكما بالدخول، فدخل عليه ويروى أنه وجد المصحف منشورا بين يديه وكان صائما فأخذ بلحيته وقال له: ما أغنى عنك معاوية ولا ابن أبي سرح ولا ابن عامر! فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني ولقد أمسكت لحية كان أبوك يكرمها، فتراخت يده واستحيا وخرج، فدخل عليه أحد الرجلين واسمه رومان بن سرحان مرادي وكان رجلا قصيرا أزرق من أهل مصر فاستقبله بخنجر في يده وقال: على أي دين أنت يا نعثل⁽²⁾ (أي أحمق)؟ فقال عثمان: لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة

(1) حديث: «إن الله سيقمصك قميصا..» إلخ، رواه ابن ماجه، والإمام أحمد، وفي ابن ماجه عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه»، يقول ذلك ثلاث مرات.

(2) نعثل (كجعفر): رجل لحياني كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه، والنعثل في الأصل: الذكر من الضباع، والشيخ الأحمق - [القاموس].

إبراهيم حنيفاً، قال: كذبت فطعنه فقتله وأراد قطع أنفه فقامت إليه امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية - وكانت جسيمة - فأمسكته بين ذراعيها وقبضت سيفه فقطع بعض أصابعها فدعت غلاماً لعثمان فأخذ السيف وضربه به حتى مات، ثم صرخت فلم يسمعها الناس لكثرة الجلبة حول الدار، فصعدت إلى الناس وأخبرتهم بقتله، فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً؛ فجاء علي وطلحة والزبير وسعد وأهل المدينة وقد ذهبت عقولهم فقال علي للسبطين: كيف قتل أمير المؤمنين وأتما على الباب؟ وضربهما وشم ابن الزبير وابن طلحة وهو غضبان، فاسترجعوا؛ ثم دخل علي وسأل امرأة عثمان عمن قتله فأخبرته بما وقع، وسأل محمد بن أبي بكر عما قالت امرأة عثمان فقال: لم تكذب والله، دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقامت عنه وأنا تائب إلى الله وما قتلته ولا أمسكته، فقالت: صدقت ولكنك أدخلتهما.

وقد قيل إن سبب قتل عثمان رضي الله عنه أنه بالقضاء السابق تألبت عليه طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن، لأحقاد اعتقدوها ومسائل ارتكبوها أكثرها مزعوم أو محرف فيه، منهم من طلب أمراً فلم يصل إليه فحسده، ومنهم من غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوها في إنكارها الموبقات، وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية على شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لهم في الإسلام سابقة فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغام شرعية جزاء جهادهم وفتوحاتهم فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد، وفيهم المرتدون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم فاضطغنوا في قلوبهم الإحنة والغل⁽¹⁾ لأجلها، وفيهم الحمقى الذين استغل

(1) اضطغن القوم: انطووا على الأحقاد، واضطغن فلان على فلان ضغينة أضمرها. والإحنة (بالكسر): الحقد جمعه إحن. والغل (بالكسر): الخيانة والغش والحقد.

السبئيون⁽¹⁾ ضعف قلوبهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة، وفيهم من أنقل كاهله خير عثمان ومعروفه فكفره وطمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم إلى غير ذلك.. مع ما جبل عليه عثمان رضي الله عنه وامتلاً منه قلبه من الرحمة والرفق، الشيء الذي أطمع فيه الكثيرين فاتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم. ولم يكن في قتلته أحد من خيار المسلمين ولا أمر بقتله، فكان السبئيون وغيرهم من البغاة يؤلبون عليه الناس ويزورون الكتب على السنة الصحابة وأمهات المؤمنين في الشكوى من حكم عثمان، وتتلى هذه الكتب في المساجد على الناس وهي مكذوبة مزعومة، وكان معاوية رضي الله عنه قد أخذ منهم طائفة فأرسلها إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقبض عليهم وتوعدهم حتى تابوا فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا، وخيرهم عثمان فاختروا التفرق في البلاد فسيرهم، فلما سار كل إلى ما اختار أنشأوا الفتنة وألبوا الجماعة وجاءوا بجملتهم، ثم نظمت هذه الحركة فرقا في الأمصار فخرج أهل مصر في أربع فرق عليها أربعة أمراء هم كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي وسودان بن حمران السكوني - وهو من قبائل مراد اليمنية النازلة بمصر

(1) نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي من أهل صنعاء، أمه سوداء أظهر الإسلام زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، ثم كان مما قال لهم: إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وعليّ وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: انهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالظن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعواهم إلى هذا الأمر، فثبت دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم. يمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى الآخر. بما يصنعون فيقرأ أولئك في أمصارهم ويخططون وهؤلاء في أمصارهم ويدبرون وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون.

- وعبد الرحمن بن عديس البلوي وقتيرة السكوني، وعلى هؤلاء الأربعة أمير هو الغافقي بن حرب العكي المصري وهو من أبناء وجوه القبائل اليمنية النازلة بمصر إبان الفتح؛ وخرج أهل الكوفة في أربع فرق أيضا وعلى تلك الفرق الأشتر النخعي وزيد بن صوحان العبدي وزيادة بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم، أحد بني عامر بن صعصعة، وعلى هؤلاء الأربعة عمرو بن الأصم؛ وخرج أهل البصرة في أربع فرق أيضا عليها حُكيم بن جبلة العبدي البصري - أصله من قبائل عبد القيس - وذريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفي، وعلى الجميع حرقوص بن زهير السعدي. والتف في هؤلاء كثير من أوباش القبائل من مختلف البلاد. وكان أهل مصر يريدون تقديم علي بن أبي طالب وأهل الكوفة: الزبير بن العوام، وأهل البصرة طلحة بن عبيد الله؛ وخرج الجميع متظاهرين بالحج وقالوا إنما نأتّم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك، وكان رئيسهم العام الغافقي، وأكثرهم من القبائل اليمنية التي في مصر؛ وخرجوا في شوال سنة خمس وثلاثين حتى نزلوا المدينة وكان قد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة من أعيان أمصارهم وعلماؤها في مصر والكوفة والبصرة وكذلك فعل بهم معاوية في الشام. ولما دخلوا المدينة قام نفر من أهل مصر فاتصل بعلي ونفر من أهل الكوفة واتصل بالزبير ونفر من أهل البصرة واتصل بطلحة.. وعرض كل فريق منهم على من جاءه أن يبايعه ويخلعوا عثمان من الخلافة؛ فكل واحد منهم صاح على الفريق الذي جاءه وطرده ودعا عليه وشتمه، فانقلبوا خائبين. ثم اطلع عليهم عثمان من حائط داره فوعظهم وذكرهم وورعهم عن دمه، وخرج إليهم محمد بن مسلمة فعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له فلم يزداهم ذلك إلا إصرارا على قتله ولم يزالوا به حتى تسوروا له ودخلوا عليه وقتلوه وانهبوا ما وجدوه في داره وأخذوا ما في بيت المال وفعلوا بالمدينة ما لا تفعله فارس والروم.

وبقيت المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام بلا خليفة، ثم قال الناس إن نحن رجعنا بعد قتل عثمان عن غير إمرة اختلف أمر الناس فرجعوا إلى علي فطلبوا منه أن يقبل البيعة - بعد أن طلبوا بها طلحة والزبير وسعداً بن أبي وقاص وابن عمر، وأبوا جميعاً - فقال: ليس ذلك إليكم وإنما ذلك لأهل بدر، فلم يبق بدري إلا أتى علياً فألحوا عليه فقبل فبايعوه. وكان رضي الله عنه قد قال عند قتل عثمان: اللهم إني لم أرض ولم أمال، كما قال يوم الجمل: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل وأنكرت نفسي وجاؤوني ليبايعوني فقلت والله لأستحيي أن أبايع قوما قتلوا عثمان وأن أبايع وعثمان لم يدفن، وقال: إن بني أمية يزعمون أنني قتلت عثمان، لا والله الذي لا إله إلا هو ما قتلت ولا ماليت ولقد نهيت ففُصيت.

ثم كان قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهنا في الدين على هذه الأمة وبه تفرقت الكلمة وهاجت الفتن حتى قتلت من المسلمين آلاف مؤلفة. وقد ورد في بعض الآثار أن الإسلام كان في حصن حصين وأنهم ثلموا فيه ثلثة بقتلهم عثمان لا تسد إلى يوم القيامة وأن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم. وكان أول الفتن قتل عثمان فكان سبباً للفتنة والخلاف بين الصحابة، فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تنبيه: إنما أطلت الكلام في قصة قتل عثمان هذه التي كانت سبباً في الحروب العظيمة التي جرت بين فضلاء الصحابة والتابعين ليظهر أن أسبابها لم يكن لأصحاب رسول الله ﷺ فيها مدخل، بل حاولوا قمعها بشتى الوسائل، وأنه كان وراء بلوغها للذروة أيد أجنبية دبرتها ووسعت فتقها على الراقع حتى خرجت عن إرادة وطاقة الصحابة رضي الله

عنهم⁽¹⁾ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾⁽²⁾؛ وقد كان أكثر أهل العلم يتجنب البحث فيما جرى بين الصحابة بعد قتل عثمان عن قصد، تأسيساً بما كان عليه السلف الصالح، فقد ثبت عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أنه قال: "تلك حروب طهر الله منها سيوفنا فلا ندنس بها ألسنتنا". وروى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم عن أبيه أن نفراً من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ — يعني الذين قال الله فيهم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾⁽³⁾ الآية — فقالوا: لا، فقال: أمن ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾⁽⁴⁾؟ قالوا: لا، فقال: قد تراءت من هذين الفريقين، أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾⁽⁵⁾، قوموا فعل الله بكم وفعل..

وأرسل الحجاج بن يوسف يوماً إلى سعيد بن جبير فقال له ما رأيك في الخلفاء

(1) وقد قالت عائشة رضي الله عنها وهي في المسجد الحرام: "إن الفوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عُذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراس وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين.

(2) الأحزاب الآية: 38.

(3) الحشر الآية: 8.

(4) الحشر الآية: 9.

(5) الحشر الآية: 10.

وأيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه عز وجل، قال: ومن أرضاهم لخالقه؟ قال: علم ذلك عند من يعلم سرهم ونجواهم، قال: ما رأيك في اقتتال علي ومعاوية؟ قال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا، قال: ما رأيك في معاوية؟ قال: والله لقد شغلني أمر نفسي عن تتبع أحوال الرجال والحكم عليهم؟ قال: أتفر من الجواب؟ قال: طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس. وسأل رجل يوما الشعبي فقال له: ما تقول في ما يتكلم فيه الناس من أمر هذين الرجلين؟ فقال له الشعبي: أي رجلين تعني؟ فقال: عثمان وعلي، فقال: إني والله لفي غنى عن أن أحيي يوم القيامة خصيما لعثمان أو لعلي رضي الله عنهما. وقال أبو عروة الزبيري⁽¹⁾ كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرا مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾⁽²⁾، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاث منازل: مضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، يشير به إلى الآية السابقة ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾. وقال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاث منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد أن لا تخرج من هذه المنازل. وقال بعضهم: كن شمسا فإن لم تستطع فكن قمرًا فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيا فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا؛ ومعنى هذا كن مهاجريا فإن لم تجد فكن أنصاريا فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم فإن لم تستطع

(1) نسبة إلى الزبير بن العوام الأسدي لأنه من ولده.

(2) الفتح الآية: 29.

فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله. وفي الحديث عن عويم بن ساعدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل اختارني واختار لي أصحابي فجعل لي منهم وزراء وأختانا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»⁽¹⁾.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

أَوْصَى الْحَوَارِيَّ عَلَى بَنِيهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي لِمَ لَا تَقِيهِ؟
مِنْهُمْ أَبَانُ خَالِدُ سَعِيدٌ وَعَمْرُو الْعَزِيزُ وَالْوَلِيدُ

أوصى: فعل ماض وفاعله ضمير مستتر عائد على عثمان بن عفان المحدث عنه. والحواري (بالنصب) مفعول به لأوصى، والحواري: الناصر أو ناصر الأنبياء، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام، والمراد بالحواري هنا الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي؛ ولقب بالحواري لقول النبي ﷺ فيه ليلة الأحزاب: «إن لكل نبي حواريا وإن حواريا الزبير»⁽²⁾. وقوله على بنيه: متعلق بأوصى، والضمير فيه عائد على عثمان أيضا. وقوله يا ليت شعري: أي

(1) أخرجه الطبراني عن عويم - كما في الجامع الصغير (ضعيف). والوزراء: الأعوان والموازرون. والاختان: جمع ختن (بالتحريك): أقارب الزوجة كأبيها وأخيها؛ فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ختنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن الإخماء أقارب الزوج؛ فالعباس وحمزة وعلي أمماء عائشة رضي الله عنهم، والأصهار تجمع ذلك كله، وقيل الختن: زوج البنات؛ فأبو العاص وعثمان وعلي أمماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: "علي ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم" وأنشدوا قول الراجز:

وما علي أن تكون جارية حتى إذا ما بلغت ثمانية

زوجها عتبة أو معاوية أختان صدقٍ ومهورٍ عاليه

والصرف: التوبة وقيل النافلة، والعدل: الفدية وقيل الفريضة.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

ليت علمي حاصل لم لا تقيه أي تدافع عنه وتمنعه من العدو، وفاعل تقيه ضمير عائد على بنيه، والضمير البارز عائد على عثمان.

يعني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أوصى الزبير بن العوام على بنيه حتى يكبروا - كما في الزبيري وغيره - فقد روي أن عثمان لما حاصره المتألبون عليه ونهى من معه أن يريقوا فيه ملء محجمة دما أمر من كان معه في الدار أن يخرجوا إلى ديارهم (ومن كان معه ابن عمر والحسن بن علي وأبو هريرة وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير) وتهياً للقتل فكتب وصيته على بنيه ودفعها لعبد الله بن الزبير، وكان هو آخر من خرج من القوم عنه وأمره أن يدفعها إلى أبيه الزبير. وكان الزبير قد خرج من المدينة لما اشتد الحصار على عثمان، وإنما أوصى إليه لأنه كان محل الثقة من كبار الصحابة؛ ففي ابن عساكر أن سبعة من الصحابة كانوا قد أوصوا إليه فكان ينفق على أيتامهم من ماله ويحفظ لهم أموالهم⁽¹⁾، وقد قال ابن عمر في وصية عثمان للزبير: نعم موضع الوصية الزبير.

قوله منهم: الضمير عائد على بنيه وهو خبر عن أبان مقدم عليه. وخالد وسعيد معطوفان على أبان بجذف العاطف، وعمرو عطف عليه أيضا. والعزير (بالرفع): صفة عمرو. والوليد عطف على أبان أيضا.

يقول ومن أبناء عثمان أبان وخالد وسعيد وعمرو والوليد بنو عثمان. وأتى بمن التبعيضية لأنه لم يذكرهم كلهم وإنما ذكر منهم خمسة. وكان لعثمان من الولد لصلبه تسعة أبناء وثمان بنات وهم عبد الله الأكبر⁽²⁾، أمه رقية بنت رسول الله

(1) منهم عثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد وأبو العاص بن الربيع ومطيع بن الأسود.

(2) وقيل هو الأصغر.

ﷺ ولد بأرض الحبشة وبه كني أبوه ومات صغيرا سنة اثنتين للهجرة بعد موت أمه، وقيل مات سنة أربع عن ست أو سبع سنوات، ودخل رسول الله ﷺ قبره. والثاني عبد الله الأصغر⁽¹⁾، أمه فاختة بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان بن جابر بن نسيب المازني، وعمرو وعمر وخالد وأبان ومريم، أمهم أم عمرو بنت جندب الدوسية، والوليد وسعيد وأم عثمان، أمهم فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية، وعبد الملك أمه أم البنين مليكة بنت عيينة بن حصن الفزارية، وعائشة وأم أبان الكبرى وأم عمرو، أمهن رملة⁽²⁾ بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس، وأم خالد وأروى وأم أبان الصغرى، أمهن نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبي. وذكر بعضهم من أولاده المغيرة بن عثمان، وأمهم أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وأم البنين وأمها أم ولد - [كما في الخميس].

أما عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعبد الملك فلم يعقبوا، وأما خالد فانقرض عقبه وتوفي في خلافة أبيه بركض دابة، وأما عمرو وعمر وأبان والوليد وسعيد فأعقبوا كلهم؛ أما عمرو فكان أكبر ولد عثمان الذين أعقبوا وبه كني أبواه وكان أشهرهم وأكثرهم عقبا، ولذا وصفه الناظم بالعزيز واقتصر على الكلام على عقبه دون سائر إخوته وخاصة الذين ذكر معه في البيت. وكانت لعمرو هذا رواية؛ وقد أوصى عثمان الزبير على بنيه حتى يكبر عمرو هذا، ولما كبر زوجه معاوية بن أبي سفيان بنته رملة بنت معاوية - ومعاوية إذ ذاك خليفة - فولدت رملة لعمرو

(1) وقيل: هو الأكبر.

(2) رملة هذه من المهاجرات، ولها تقول بنت عمها هند بنت عتبة بن ربيعة تعيب عليها دخولها في الإسلام وتعيرها لقتل أبيها شيبه يوم بدر:

لحى الرحمن صابئة بوج ومكة أو بأطراف الحجون
تدين لمعشر قتلوا أباهما أقتل أبيك جاءك باليقين

عثمان الأصغر (ودرج) وخالدا، وله عقب منه سعيد بن خالد بن عمرو؛ كان من أكثر الناس مالا وله عقب كثير. ومن أشهر ولد عمرو بن عثمان أبو محمد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي الذي اشتهر بلقبه المطرف ولقب به لجماله وحسنه، أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. وفي المطرف هذا يقول ابن الرئيس الثعلبي:

جميل الحيا واضح اللون لم يظأ بحزن ولم يأل له النكب إصبع
 من نفر الشم الذين إذا انتدوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
 إذا نفر الأدم اليمانون غنموا له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا
 جلا الغسل والحمام والبيض كالدمى وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

وفيه يقول موسى بن شهر من أبيات:

ليس فيما بدا لنا منك عيب غير أن لا بقاء للإنسان .. إلخ.

وأما عمر بن عثمان فله عقب وقد كانت له رواية، وأما أبان بن عثمان فقد كان فقيها من علماء التابعين ثقة، وكان من رواة الحديث، شهد وقعة الجمل مع عائشة وكان أول من انهزم، وولي المدينة في أيام عبد الملك بن مروان - كما في الخميس - وتوفي سنة خمس ومائة، وله عقب؛ ومن ولده عبد الرحمن بن أبان كان من خيار المسلمين كثير الصلاة، روي أنه كان يشتري أهل بيت فيكسوهم ويقول لهم أنتم أحرار لوجه الله تعالى أستعين بكم على غمرات الموت، وكان يفعل ذلك كثيرا؛ روي أنه صلى في مسجد له في منزله ثم نام فوجدوه ميتا. وكان لأبان هذا عقب كثير بالأندلس من ذرية عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان.

وأما الوليد بن عثمان ويكنى أبا الجهم فله عقب، وفيه يقول بعض الشعراء من

قصيدة يمدحه بها:

بأبي الوليد وأم نفسي كلما طلع النجوم وذو قرن الشارق⁽¹⁾
أثوى فأحسن في الثواء وقُضيت حاجاتنا من عند أروع باسق⁽²⁾

وأما سعيد بن عثمان فله عقب وكان قد ولاه معاوية خراسان وفتح سمرقند وأصيب عينه، وقدم المدينة فقتله غلمان جاء بهم من الصغد؛ وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يا عين جودي كل جود وابكي هبلت على سعيد
ولقد أصبت بغدرة وحملت حتفك من بعيد

وكان معه عبد الرحمن بن أرتاة بن سيحان المحاربي حليف بني حرب بن أمية، فقال خالد بن عقبة يرثي سعيدا:

يا عين جودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرتاة بن سيحانا

وفيه يقول بعض الشعراء من شعر يمدحه به:

تركي سعيدا ذا الندى والبيت ترفعه الدعامة

أما بنات عثمان فمريم، وقد زوجها أبوها من عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، ثم خلف عليها عبد الملك بن مروان، وأم أبان الكبرى وزوجها عثمان أيضا من مروان بن الحكم فولدت له وتوفيت عنده، وأم عثمان وزوجها عثمان أيضا من عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فولدت له، وأم خالد وقد خلف عليها عبد الله بن خالد بن أسيد بعد أختها أم عثمان، وتوفيت عنده ولم تلد له، وعائشة وتزوجها عثمان بن الحارث فولدت له ثم خلف عليها عبد الله بن الزبير ثم فارقها، وأم عمرو وزوجها عثمان من سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص

(1) الشارق: الشمس، وذو قرنها ذرورا: أي طلع أول شيء منه.

(2) الأروع: الشهم الذكي، والباسق: الرجل الذي علا ذكره في الفضل.

فولدت له، وأروى وتزوجها خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأم أبان الصغرى لم تتزوج.

وقد ورث عثمان بن عفان بنوه عمرو وعمر وخالد وأبان والوليد وسعيد وبناته كلهن وزوجته أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ونائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، والله أعلم.

تنبيه: قوله يا ليت شعري لم لا تقيه: ليت حرف ثمن يتعلق بالمستحيل غالباً وبالممكن قليلاً وهي حرف ناسخ للمبتدأ والخبر، وشعري: اسمه، وخبره محذوف تقديره: واقع أو حاصل، قال ابن بُونه في احمراره على الخلاصة:

وحذفهم خير ليت بعدما قد نصبت شعري قد تحتما

وقوله لم لا تقيه أي لأي سبب لا تصونه بنوه وتستره من أذى العدو، أي يا ليتني شعرت، أي علمت السبب في عدم ذكر بني عثمان بن عفان في الذين دافعوا عنه وطالبوا بثأره!. ووجه تعجب الناظم - رحمه الله - كون أبناء عثمان التسعة أو الستة الذين ورثوه لم يوجد لهم ذكر فيمن دافعوا عن عثمان من الصحابة وأبنائهم أثناء حصاره إلى أن قتل؛ فقد ورد في ذكر من دافع عنه السبطان وابن الزبير وأبو هريرة وعبد الله بن سلام وابن عمر، وغيرهم؛ ولم يرد لبني عثمان ذكر فيمن حملوه ليدفن ولا فيمن طالبوا بدمه، مثل عائشة والزبير وطلحة.. ولا فيمن أخذوا بثأره مثل معاوية ومن معه!.

ولعل جواب استفهام الناظم أنهم كانوا صغاراً في تلك المراحل كلها ولذلك كان عثمان نفسه قد كتب وصيته بهم إلى الزبير - كما مر - وكانوا يوصفون في تلك الحقبة بأنهم أيتام؛ ففي الزبيري أن عثمان بن عفان أوصى الزبير على بنيه حتى يكبر عمرو، وكان عمرو هذا أكبر ولد عثمان الذين ورثوه. وروى الحافظ ابن عساكر والحميدي في النوادر أن سبعة من الصحابة أوصوا الزبير منهم عثمان بن

عفان، فكان الزبير ينفق على أيتامهم من ماله ويحفظ لهم أموالهم - كما مر. وفي أيام العرب في الإسلام: سأل سعيد بن العاص طلحة والزبير بعد قتل عثمان فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ قالا: نجعله لمن اختار الناس منا، قال: بل تجعلانه لولد عثمان الذي خرجتم تطلبون بدمه، فقالا: لا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم الأيتام. وقد يكون من أسباب عدم دفاعهم عنه أيضا إصراره - رضي الله عنه - على كف الأيدي، لأن طاعته تسري إلى أهل بيته قبل سائر المسلمين؛ خصوصا وأن ابنه أباناً قد حمل السلاح مع عائشة رضي الله عنها، مما يعني أنه كان قادرا على الدفاع عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم أخذ الناظم في ذكر بعض ولد عمرو بن عثمان بن عفان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِلْمُطْرَفِ بْنِ عَمْرٍو الَّذِي نَهَى عَنْهُ الْمُثَنَّى أَهْلَهُ وَمَا أَنْتَهَى
 مُحَمَّدُ الدِّيَّاجُ كَأَسْمِهِ الْمَلِكُ أَخُو حَلَائِلِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مِنْ عَمْرٍو الْعَرَجِيُّ سَبَطُهُ الرَّفِيعُ مِنْ قَدْرِهِ وَضَعُ أَنْ كَانَ خَلِيعُ

قوله للمطرف (بضم الميم وفتح الراء): خير مقدم على قوله محمد الديجاج في صدر البيت الثاني، والمطرف (كمكرم، بصيغة اسم المفعول) هو في الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام جمعه مطارف، ولقب به عبد الله بن عمرو هذا لحسنه وجماله. وجملة قوله الذي نهى.. إلخ: صفة للمطرف. والمثنى: فاعل نهى وهو الحسن بن الحسن السبط. وقوله أهله (بالنصب): مفعول به لنهى، والمراد بأهله هنا زوجته فاطمة بنت الحسين بن علي. قوله وما انتهى: فاعله ضمير يعود على أهله، وذَكَرَ الضمير باعتبار لفظ الأهل، والجملة صفة لأهله. والديجاج (بكسر الدال وبالرفع): بدل من محمد؛ والديجاج في الأصل: الثوب الذي سداه ولحمته حرير وهو فارسي معرب، ودبجه: زينه وحسنه، ولقب به محمد بن المطرف لحسنه وجماله أيضا، ولذا

قال: كاسمه، ووصفه بالملك لشرفه وعزه. والحلائل: جمع حليلة للزوجة. وعبد الملك هو ابن مروان بن الحكم الأموي.

يعني أن من ولد المطرف بن عمرو بن عثمان محمداً الديباج، أخوا أزواج أبناء عبد الملك بن مروان بن الحكم؛ وكان للمطرف بن عمرو من الولد لصلبه سبعة أبناء ونسوة هن زوجات أبناء عبد الملك بن مروان، ولا يعرف رجل تزوج بنته أربعة خلفاء إلا عبد الله المطرف هذا.

وأشار الناظم بقوله: الذي نهى عنه المثنى.. إلخ: إلى ما ذكره الزبير في كتاب نسب قريش أن الحسن المثنى لما حضرته الوفاة قال لزوجه فاطمة بنت الحسين: إنك امرأة مرغوب فيك فكأنني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذا خرج الناس بجنازتي قد جاء على فرس مرجلاً حُمَّته لابسا حُلته يسير في جانب الناس يتعرض لك فانكحي من شئت سواه فإني لا أدع من الدنيا ورائي هما غيرك، قالت له: أنت آمنٌ من ذلك وأثَلجت⁽¹⁾ بالأيمان من العتق والصدقة لا تزوّجتُهُ. ومات الحسن المثنى، وخرج الناس بجنازته ف جاء عبد الله بن عمرو في الحال التي وصف الحسن فنظر إلى فاطمة حاسرة⁽²⁾ تضرب وجهها فأرسل إليها: إن لنا في وجهك حاجةً فارفقي به! فاسترخت يداها وعُرف ذلك فيها؛ فلما حلت أرسل إليها يخطبها، فقالت: كيف يميني التي حلفتُ بها؟ فأرسل إليها: لك مكان كل مملوك مملوكان ومكان كل شيء شيخان، فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمداً الديباج والقاسم (لا عقب له) ورقية. فكان عبد الله بن الحسن المثنى - وهو أكبر ولدها - يقول: ما أبغضت أحداً بُغضي لعبد الله بن عمرو وما أحببت أحداً حي لابنه محمد أخي.

أما الديباج فهو محمد بن عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي

(1) ثلج قلبه: اطمأن ليقينه وثَلَج صدره: رضي واطمأن.

(2) كاشفة عن وجهها.

الأموي، كان يعرف بمحمد الأصغر للاحتراز من أخيه محمد الأكبر، ولقب بالديباج لحسن وجهه ؛ وكان ذا مكانة وقدر وكان يفد على أمراء بني أمية فإذا انصرف مر بابن عمه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان فأقام عنده بعض المقام، فعوتب الديباج على ذلك فقال: إنه ليصلي كلما مررت به بألف دينار وهي تقع مني موقعا. ومات الديباج أو قتل في سجن المنصور.

ووصف الناظم محمداً الديباج هذا بالملك تجوزا لشرفه وعزه ولمكانه من أمير المؤمنين عثمان بن عفان ولأخوته لحلائل الملوك المروانيين. وأخوات محمد الديباج بنات عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان المشار إليهن هن أم عبد الله عبدة بنت عبد الله المطرف تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان ولم تلد له - وقيل ولدت له عبد الرحمن - ومات عنها وخلفه عليها ابن أخيه أيوب بن سليمان بن عبد الملك؛ وأختها عائشة تزوجها سليمان بن عبد الملك وولدت له يحيى وعبد الله وبنتا وتوفيت عنده؛ وأختها أم سعيد تزوجها يزيد بن عبد الملك فولدت له عبد الله وعائشة وأم عمرو ثم توفي عنها فخلف عليها أخوه هشام بن عبد الملك ثم فارقتها، ولم تلد له ولم تتزوج بعده ؛ وأختهن رقية تزوجها هشام بن عبد الملك فولدت له جارية وتوفيت في نفاسها. قال الثعالبي: ولا يعرف رجل له أربعة أختان خلفاء إلا هو. وقد قالوا: أشرف الناس في المصاهرة عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: أخو حلائل بني عبد الملك. ومن بنات المطرف أيضا أختهن حفصة تزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم وتوفيت عنده وليست من حلائل بني عبد الملك ولكنها حليمة عمهم. ومن ولد المطرف بن عمرو محمد الأكبر، أمه أم ولد؛ كان من أحسن الناس وجهها. ومن ولده أيضا خالد بن المطرف كان ذا مروءة، يروى أنه خطب إليه يزيد بن عبد الملك إحدى أخواته فترغب خالد

في الصداق فغضب يزيد وأشخصه إليه⁽¹⁾ ثم رده إلى المدينة وأمر أن يختلف به إلى الكتاب مع الصبيان ليعلمهم القرآن، فزعموا أنه مات كمدا⁽²⁾؛ وله عقب من ابنه سعيد. ومن ولد المطرف أيضا عبد العزيز؛ كان سيدا شريفا له مروءة وقدر استعمله عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك على بعث أخرجه من المدينة فالتقوا بالحرورية بقديد فقتلوه هو ومن معه من الناس.

ولمحمد الديباج بن المطرف عدة من الولد منهم عبد الله الأكبر والقاسم الأكبر وعبد العزيز وخالد وغيرهم. ومن بنات الديباج رقية الكبرى، تزوجها محمد بن هشام بن عبد الملك بن مروان وتوفيت عنده ولم تلد له، ورقية الصغرى تزوجها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى فقتل عنها قبل أن يدخل بها فخلف عليها محمد بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن عباس وتوفيت عنده في نفاس. ومن بناته حفصة، أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير؛ ولا تعرف امرأة ولدها رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة وطلحة والزبير قبلها! أما رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه فلأن أم أبيها محمد الديباج فاطمة بنت الحسين بن علي كرم الله وجهه، وأما أبو بكر الصديق والزبير بن العوام فلأن أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة بن الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأما عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما فلأن جدما عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان وأمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأما طلحة فلأن جدة أبيها محمد الديباج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله. وإخوة محمد الديباج بن عبد الله المطرف لأمه: عبد الله المحض والحسن وإبراهيم، بنو الحسن المثنى؛ فهي - أي فاطمة بنت الحسين

(1) أشخصه: حمّله من بلد إلى بلد آخر.

(2) مات كمدا: حزنا وغما، وكمد الرجل حزن حزنا شديدا.

- هاشمية ولدت هاشميين وأمويًا قعددُهما مُتَّحِدًا⁽¹⁾ للخليفَتين المنافيين عثمان وعلي رضي الله عنهما، وجد الجميع رسول الله ﷺ وجدنا الجميع فاطمة الزهراء وخديجة بنت خويلد.. فهذا هو الشرف والعز والمجد والحسب.

قوله : العرجي (بفتح فسكون) مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والعرجي لقب عرف به عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهو نسبة إلى العرج (بفتح العين وسكون الراء، منزل بطريق مكة⁽²⁾) كان قد نزله فنسب إليه). وسبَّطه (بالرفع): صفة للعرجي، والضمير فيه عائذ على عمرو بن عثمان؛ فالعرجي هذا سبط عمرو لأنه ابن ابنه عمر بن عمرو، والرْفِيع: صفة له أيضا وهو ذو الرفعة وهي علو القدر والمنزلة. وقوله **من قدره: متعلق بوضع، أي حط من منزلته الشريفة ومكانته العثمانية أنه كان خليعا، والخليع (كأمير): الصياد أو الملازم للقمار أو الذي خلعه أهله، فإن جنى لم يُطلبوا بجنايته؛ ووقف الناظم عليه بوقف ربعة الذين يقفون على المنصوب بالسكون، والجمهور يقفون عليه بالألف. واسم كان: ضمير مستتر عائذ على العرجي.**

يعني أن من ولد عمرو بن عثمان عبد الله المعروف بالعرجي؛ والعرجي هذا هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، أمه آمنة بنت عمر بن عثمان بن عفان. كان فارسا شجاعا منفقا، أبلى بلاء حسنا في قتال الروم مع مسلمة بن عبد الملك، وأنفق مالا كثيرا في سبيل الله وكان جميلا مولعا باللهو

(1) قعيد النسب وقعدده (بضم القاف وسكون العين وفتح الدال وضمها) وأقعد وقُعدود: قريب الآباء من الجدد الأكبر، ويقال أيضا للبعيد الآباء منه - ضد - [القاموس]، والمتحد: المتساوي مع غيره.

(2) العرج (بفتح المهملة وسكون الراء - وقد تفتح - بعدها جيم): قرية جامعة على طريق مكة بينها وبين المدينة، أو هو عقبة بين مكة والمدينة على جادة الطريق؛ قيل سمي العرج لتعريجه؛ والعرج أيضا واد بالطائف وقرية جامعة من نواحي الطائف.

والصيد، وكان شاعرا ذا فتوة، حبسه محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي الذي كان واليا لهشام بن عبد الملك على مكة؛ واختلف في سبب حبسه، قيل لأنه هجاه وشبب بأمه - لغير محبة - وبامراته، فحبسه وحلف لا يخرج من السجن؛ وقيل بل بتهمة دم مولى لابن عمر كان قد ادعاه عليه.. ولم يزل محبوسا حتى مات في السجن بعد أن مكث فيه سبع سنين وشُهر به في الأسواق⁽¹⁾، وفي ذلك يقول:

يا ليت سلمى رأتنا لا تراع بنا لما هبطنا جميعا أبطح السوق
وكشّرنا وكبول القيين تنكبنا كالأسد تكشر عن أنيابها الروق⁽²⁾
وقال وهو في الحبس قصيدته التي منها:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر⁽³⁾
أجرّر في الملاحم كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري
كأنني لم أكن فيهم وسيطا ولم تسك نسبي في آل عمرو⁽⁴⁾

ومن شعره أيضا:

أظلم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

وللعرجي من الولد عُمر و قتل بقديد ولم يعقب، وعثمان وفيه عقب العرجي.

(1) شهر به: أذاع عنه السوء وفضحه.

(2) الكشر (بفتح فسكون) مصدر كشر (كضرب): كشف عن أسنانه وابدأها عند الضحك وغيره، والمعنى هنا: عبوسنا. وكُبول: جمع كبيل وهو القيد أو أعظمه. والقين: عظم الساق، قال ذو الرمة: داني له القيد في ديمومة قُدْفٍ قَيْنِيهِ وانحسرت عنه الأناعيمُ

والأنياب: جمع ناب وهي السن خلف الرباعية، والروق: هي التي طالت العليا منها على السفلى جمع روقاء.

(3) السداد (بالكسر): ما يسد به جمعه: أسدة، والثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم العدو وجمعه ثغور.

(4) وسيطا: أي شريفا حسيبا، ويقال هو وسيط فيهم أي هو أرفعهم مقاما وأشرفهم نسبا. وآل عمرو: هم بنو عمرو بن عثمان بن عفان.

نسب العنابسة

ولما أنهى الناظم الكلام على الأعياص أخذ يتكلم على إخوتهم العنابسة ولم يذكر منهم غير حرب وأبي عمرو ابني أمية، فقال رحمه الله:

صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ مِّنْ بَنِيهِ الْوَالِيِ يَزِيدُ لِلْهَادِي وَذِي الْخِلَالِ
 وَهُوَ الْمَمَزَّقُ عَلَى السُّكُوكِ جَيْلَ بَنِي الْأَصْفَرِ بِالْيَرْمُوكِ
 وَفُقِّتْ آخِرُ مَقَلَّتِي أَبِيهِ تَحْتَ لَوَائِهِ يُجَالِدُ الْوَجِيهَ
 يَوْمَئِذٍ وَالْقَلْبُ لِلْحَقَائِقِ مَا قِيلَ فِيهِ فَهُوَ غَيْرُ لَاتِقِ
 وَاسْتَخْلَفَ الْحَلِيمَ فَارْتَضَاهُ أَبُو الْفَتْوحِ وَالَّذِي تَلَاهُ
 هُنَا أَنْتَهَى يَزِيدُ

صخر (بفتح فسكون): مبتدأ. والوالي: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والجملة خبر عن صخر. والوالي: ذو الولاية أي الإمارة والسلطة. ويزيد: بدل من الوالي. وقوله للهادي متعلق بالوالي، والهادي من أسمائه صلى الله عليه وسلم، وذي الخلال (بكسر الخاء المعجمة): عطف على الهادي، وهو لقب أبي بكر الصديق - كما مر - وضمير وهو الممزق: عائد على يزيد، والممزق (بصيغة اسم الفاعل) أي المفرق. والسكوك (بضم السين المهملة): جمع سكة (بكسرها) وهي الطريق. وجيل (بالنصب): مفعول به للممزق، والجيل (بكسر الجيم): الصنف من الناس. وبني الأصفر: هم الروم أولاد الأصفر بن عيصو بن إسحاق. واليرموك: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن وبه وقعة اليرموك المشهورة للمسلمين على الروم سنة ثلاث عشرة. يعني أن من ولد أبي سفيان بن حرب لصلبه الصحابي الجليل يزيد بن

أبي سفيان والي النبي ﷺ ووالي خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي هزم الروم وشتت شملهم في وقعة اليرموك.

قوله وفقئت (بالبناء للمفعول): أي قلعت. ومقلتي: تشية مقله للعين الباصرة جمعها مقل (كغرف). والضمير في أبيه وفي لوائه عائد على يزيد. وفاعل يجالد: ضمير مستتر عائد على أبيه أيضا. وجملة يجالد حال من أبيه الذي هو صخر بن حرب، والمجالد: المضاربة بالسيوف. والوجه: صفة لأبيه، وهو ذو الجاه أي القدر والمنزلة. وقوله يومئذ: متعلق بيجالد، أي وفقئت آخر عيني صخر بن حرب - سيد قريش - يوم اليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد. وقوله والقلب للحقائق: خير مقدم، وقوله ما: موصول بمعنى الذي وهو مبتدأ مؤخر. وجملة قيل فيه.. إلخ: صلة ما، والضمير في فيه عائد على صخر بن حرب. يعني أن الذي قيل من الطعن في حسن إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه ليس بصحيح وغير لائق بجانب الصحبة بل هو من قلب الحقائق.

قوله واستخلف: فاعله ضمير يعود على يزيد بن أبي سفيان. والحليم (بالنصب): مفعول به لاستخلف، والحليم: هو معاوية بن أبي سفيان. والضمير في ارتضاه عائد على الحليم. وأبو الفتوح: لقب عمر بن الخطاب - كما مر - وهو فاعل ارتضاه. قوله والذي تلاه: عطف على أبو الفتوح، والمراد به عثمان بن عفان لأنه تلاه في الخلافة. يعني أن يزيد بن أبي سفيان والي النبي ﷺ وأبي بكر، استخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان على الشام فأقره عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان بعده رضي الله عنهم.

هذا وقد أطلق الناظم الحليم على معاوية بن أبي سفيان في عدة مواضع من هذا النظم حتى أصبحت لقباً له يعرف به عند الإطلاق، مثل قوله ونفسي عنها ابنه

الحليم.. إلخ، وقوله حوشب ذو الكلاع صاحب الحليم.. إلخ، وإنما عرف به لأنه كان في غاية الحلم لدعوة النبي ﷺ له بقوله: «ملاً الله بطنك حلماً وعلماً».

التعريف بأبي سفيان بن حرب

أما صخر فهو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمه صفية بنت حزن الهلالية - عمة أم المؤمنين ميمونة زوجة صلى الله عليه وسلم - اشتهر بكنيته، ويكنى أيضاً بأبي حنظلة. ولد قبل الفيل بعشر سنين، وكان سيداً من سادات قريش في الجاهلية، قام مقام أبيه حرب بن أمية الذي كان قائد قريش وكنانة في الجاهلية. وكانت عند أبي سفيان راية الرؤساء التي تسمى العقاء، وكان لا يجسها إلا رئيس فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش ووضعت تلك الراية بيد الرئيس. وكان أبو سفيان ترجمانا وكان تاجراً من كبار التجار يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيره من أرض العجم، وكان يخرج أحياناً بنفسه، وهو صاحب العير يوم بدر وقائد المشركين يومي أحد والخندق قبل إسلامه، وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش؛ ثم أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله ﷺ، وكان من المؤلفة قلوبهم، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية؛ وكذلك فعل لابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم فداك أبي وأمي والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ولقد سألته فنعم المسالم أنت جزاك الله خيراً. قيل ولاه النبي ﷺ نجران - كما في الزبيري وغيره - ولم يزل عليها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم فرجع أبو سفيان إلى مكة فسكنها برهة ثم رجع إلى المدينة، وشارك في الجهاد في حروب الردة وفتوح الشام، وكانت قد أصيبت أولى عينيه يوم الطائف فجاء بها إلى النبي ﷺ

فقال له: «إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فالجنة» قال: الجنة⁽¹⁾، وفقئت عينه الأخرى باليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد ويحرض المسلمين على القتال ويدعو لهم بالنصر ويعدهم بالأجر. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وفقئت آخر مقلتي أبيه.. إلخ. وسكن رضي الله عنه المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ثلاث وثلاثين عن نيف وثمانين سنة وصلى عليه ابنه معاوية، وقيل صلى عليه عثمان ودفن بالبقيع رضي الله عنه.

وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله: والقلب للحقائق.. إلخ، إلى ما في الاستيعاب وغيره من كتب السير في ترجمة أبي سفيان من أنه اختلف في حسن إسلامه فطعنت طائفة فيه وقالت إنه لم يزل كهفا للمنافقين منذ أسلم، وروت عن أهل الأخبار في ذلك حكايات واهية عارية من الصحة تدل على أنه لم يكن إسلامه سالما؛ فمن ذلك ما روي عن بعضهم أن أبا سفيان ريء يوم اليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد، فكانت الروم إذا ظهرت يقول أبو سفيان: إيه بني الأصفر⁽²⁾، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان: بنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور.. فسمع الزبير بن العوام ذلك بعد فتح اليرموك فقال: قاتله الله يأبى إلا نفاقا، أو لسنا خيرا له من بني الأصفر؟. ومنه: ما روي من أنه لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء إلى علي كرم الله وجهه فقال: أغلبكم على هذا الأمر أقل بيت في قريش؟ أما والله لأملأنها خيلا ورجالا إن شئت، قال علي: ما زلت

(1) الزبير بن بكار كما في الإصابة: 2 / 179.

(2) إيه (بكسر الهمزة والبناء على الكسر): اسم فعل للاستزادة من حديث معين، وتنون وتكون حينئذ للاستزادة من حديث ماء، وبنو الأصفر: ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق أو لأن جيشا من الحبش غلب عليهم فوطئ نساءهم فولد لهم أولاد صفر - [القاموس].

عدوًّا للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام شيئاً، رأينا أبا بكر لها أهلاً. ومنه: ما روي أنه دخل على عثمان بن عفان حين صارت إليه الخلافة فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار.. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك كذا وكذا. وغير هذا من الأخبار الرديئة الواهية.

والصحيح الثابت الذي عليه الجمهور أنه أسلم وحسن إسلامه وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسناً في عهد رسول الله ﷺ وفي حروب الردة في خلافة أبي بكر الصديق وفي الفتوح في خلافة عمر رضي الله عنهما، فقد أصيبت عيناه في سبيل الله فاحتسبهما وصبر؛ فقد روي أنه لما قلعت عينه يوم الطائف جاء بها إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إن شئت يرجعها الله إليك أحسن مما كانت وإن شئت عينا خيراً منها في الجنة» قال بل عينا خيراً منها في الجنة.

وروي عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لقد خفيت الأصوات يوم اليرموك إلا صوتاً ينادي: يا نصر الله اقترب، فنظرت فإذا أبو سفيان تحت راية ابنه يقاتل ويقول: يا نصر الله اقترب. وروي أنه كان يومئذ يقف على الكراديس⁽¹⁾ ويحث الناس على القتال ويقول: الله الله.. انصروا دين الله ينصركم الله فإنكم ذادة العرب⁽²⁾ وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك. وفقت يومئذ عينه الأخرى في سبيل الله – كما مر.

(1) جمع كردوس: الفرقة من الخيل.

(2) جمع ذائد: الذي ينود عن حسبه وحرمة أي يحميه ويدافع عنه.

وروي أن العباس لما سمع كلام أبي سفيان هذا قال: أين قولك يوم أحد: أنعمتَ فعَال⁽¹⁾ وقولك: اعل هبل^{(2)؟} فقال: قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للإسلام، وقال له الزبير بن العوام: إن هبل الذي كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر - أي يوم فتح مكة - فقال أبو سفيان: دعني ولا توبخني لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك.

فكل هذا يدل على قوة إيمانه رضي الله عنه؛ وقد قال دحلان: إياك أخي أن تصغي إلى طعن الطاعنين فيه أو في أحد من الصحابة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُ اللهُ في أصحابي وأصهارِي" وهو من أصحابه ﷺ وأصهاره.

يزيد بن أبي سفيان

وأما ابنه يزيد فهو أبو خالد يزيد بن أبي سفيان القرشي الأموي، أمه أم الحكم زينب بنت نوفل بن خلف بن حذيفة بن طريف بن علقمة - الذي يقال له جذل الطعان⁽³⁾ - بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وأعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، وزنها له بلال؛ وكان يقال له يزيد الخير وكان أفضل أولاد أبي سفيان، وكان من

(1) أي ارتفع، فعل أمر من عالي مثل سامي.

(2) أشار العباس رضي الله عنه بذلك إلى ما روي من أن أبا سفيان لما أراد الانصراف بعد انتهاء معركة أحد أشرف على الجبل وصرخ بأعلى صوته فقال: أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، اعل هبل (أي أظهر دينك). وكان هبل هو أعظم أصنامهم وكان في جوف الكعبة. ولما سمع عمر كلامه ذلك قال: الله أعلى وأجل لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

(3) لُقّب جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به، ومنه "أنا جذليها المحكك".

فضلاء الصحابة وساداتهم ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى. استعمله رسول الله ﷺ على صدقات أخواله بني فراس ثم ولاة أبو بكر الصديق رضي الله عنه على تيماء وأوصاه؛ وفي الزبيرى أنه ولاة ربيع أجناد الشام. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:
الوالي يزيد للهادي وذي الخلال.

وكان أبو بكر أيضا قد أمره على بعض الجيوش التي بعثها إلى الشام، فكان أحد الأمراء الأربعة الذين قادوا جيوش فتح الشام وهم يزيد بن أبي سفيان هذا وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة؛ فساروا قِبَلَ فلسطين حتى التقوا بالروم بأجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكانت وقعة اليرموك للمسلمين على الروم في آخر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فبعد عودة أبي بكر من الحج إلى المدينة سنة ثلاث عشرة جهز جيوشا عظيمة ووجهها إلى الروم وأمر عليها أمراء وعقد لكل واحد منهم لواء على جيش مستقل وأمدهم بأعداد كثيرة ممن انتدب إليه للغزو من المسلمين، فدعا يزيد بن أبي سفيان بن حرب وأمره على جند عظيم هو جمهور من انتدب له، وجعل في جنده سهيل بن عمرو وأشياؤه من أهل مكة وشيعة ماشيا، وكان مما قال له: إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه فإذا عظمتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عنك الأستار واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس. ثم عقد لواء آخر لعمر بن العاص على جيش آخر وشيعهم وأوصاهم، واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على جموع أخرى وعقد له لواء وخرج معه ماشيا والناس معهما وخلفهما، وعقد لواء آخر لشرحبيل بن حسنة على جيش آخر وسيرهم جميعا إلى فلسطين وشيعهم وأوصاهم.

فلما بلغ أبا بكر ما فعلت الروم من التعبئة وما حشدت من الجموع قال: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وكتب إليه وهو بالحيرة أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا⁽¹⁾. فسار خالد بمن معه مُغذًا في السير حتى قدم اليرموك فوجد كل قائد على حدة بعسكره فقام فيهم خطيبا وحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، يوم له ما بعده لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، لا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذه، فاعملوا فيما لم تومروا به بالذي ترون أنه الرأي، قالوا فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لو علم بالذي كان ويكون لكان قد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتكم وأنفع للمشركين من أمدادهم وإن تأمير بعضكم على بعض لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ هلموا فلنتعاور الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد. فقبلوا ما أشار به وأمروه فاصبح خالد أمير المسلمين في ذلك اليوم.

فخرجت الروم في تعبئة⁽²⁾ لم ير الراؤون مثلها قط؛ فوحد خالد جيوش المسلمين وجعلها جيشا واحدا وعبأه تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك، فجعل القلب كراديس وأقام فيها أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وأقام عليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان كلُّ

(1) الشحا: الغصص، يريد أن المسلمين ضاقوا بعدوهم وضيقوا عليه حتى كان بعضهم لبعض كالشحا في الحلق.

(2) تعبئة: تهيئة واستعداد للحرب.

كردوس يزيد على الألف، وجعل للجيش قاصا⁽¹⁾ يذكرهم وكان القاص أبا سفيان بن حرب؛ فكان يسير ويقف على الكراديس فيحرض الناس على القتال ويحثهم ويعدهم بالفتح ويرغبهم في الأجر ويعدهم بالنصر - كما مر - والتقى الفريقان واقتلوا قتالا شديدا حتى حمى الوطيس فصابروا ورابطوا وأبلى أبطال المسلمين فيها بلاء حسنا حتى انهزم المشركون وانقلبوا على أعقابهم وولوا مدبرين، ففرقوا في كل مذهب لا يلوون على شيء، وقتل الله صناديدهم وفرسانهم، وقتل أخو هرقل ملكهم، وكان من أكبر قوادهم، وفرت منهم أعداد هائلة فسقطوا في خندق وهلكوا فيه جميعا فكانوا كأنما هدم بهم حائط؛ وانتصر المسلمون انتصارا عظيما وغنموا غنائم كثيرة، كان سهم الفارس منها ألفا وخمسمائة، واستشهد من وجوههم أكثر من ثلاثة آلاف وجاءهم نعي أبي بكر وتولية عمر مكانه أثناء المعركة، وانتهت بالفتح على المسلمين؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وهو الممزق على السكوك.. إلخ.

ثم إن يزيد بن أبي سفيان هذا وياه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فلسطين ونواحيها ولم يزل عليها من قبله إلى أن توفي في طاعون عمواس⁽²⁾ سنة ثمان أو تسع عشرة للهجرة، ولما حضرته الوفاة استخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان على عمله - وكان معه بالشام - فلما جاء الخبر إلى عمر رضي بذلك وأقره على عمله ولم يزل عليه حتى مات عمر فأقره عثمان بن عفان بعد عمر رضي الله

(1) قاصا: خطيبا يعتمد في وعظه على القصص.

(2) الطاعون: الوباء المعدي الذي ينتشر بسرعة، وعمواس: قرية بين الرملة وبيت المقدس، مات فيه نحو خمسة وعشرين ألفا.

عنهم، وإلى ذلك أشار بقوله: واستخلف الحلِيم.. إلخ.

ولما جاء الريد بموت يزيد بن أبي سفيان إلى عمر وقرأ الكتاب قال لأبي سفيان - وكان عنده -: أحسن الله عزاءك في يزيد ورحمه، فقال أبو سفيان: من وليت مكانه يا أمير المؤمنين؟ قال: أخاه معاوية، قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين.

معاوية بن أبي سفيان

وأما الحلِيم فهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد بالخيف من منى قبل الهجرة بخمس عشرة سنة؛ أسلم يوم الفتح وألفه رسول الله ﷺ بمائة بعير وأربعين أوقية، وروي عنه أنه كان يقول: أسلمت عام عمرة القضية ولقيت رسول الله ﷺ ووضعت إسلامي عنده وقبل مني. وروي عنه أيضا قال: لما كتبوا القضية عام الحديبية وقع الإسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت: إياك أن تخالف أباك فتقطع عنه القوة، فأسلمت وأخفيت إسلامي وعلم أبي بإسلامي فقال لي: أخوك خير منك هو على ديني، فأظهرت الإسلام عام الفتح فلقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي.

وكان رضي الله عنه أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان يكتب بينه وبين العرب، وقال فيه صلى الله عليه وسلم: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»⁽¹⁾؛ وكان على درجة عالية من الحلم والدهاء حتى ضرب به المثل في الحلم، وكان حكيما فصيحاً بليغاً، اشترك في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبلى فيها بلاء حسناً، وقيل ولاه أبو بكر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا وعرة وجبيل

(1) رواه أحمد في مسنده.

وبيروت. ثم سكن مع أخيه يزيد في الشام. ولما حضرت يزيد الوفاة استخلفه على عمله الذي كان واليا عليه، فلما جاء الخبر لعمر رضي الله عنه رضي بذلك لأنه رأى فيه علما وحزما فأقره واليا على دمشق وكان عمر معجبا بسياسته وعقله وحلمه؛ فقد روي أنه قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ أسود⁽¹⁾ من معاوية، فقبل له: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ فقال: كانوا والله خيرا منه وكان أسود منهم. وذم معاوية يوما عند عمر فقال: دعونا من ذم فتى قريش من يضحك في الغضب ولا ينال ما عنده إلا في الرضى ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه. وقال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت أحدا بعد عثمان أفضى بحق من معاوية. وقال ابن عباس: ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية. وقال عمير بن سعد الأنصاري الأوسي: لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اهد به» وفي رواية: «اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به»⁽²⁾.

ثم مكث معاوية واليا أربع سنين من خلافة عمر؛ وروي أن عمر قدم عليه مرة بالشام فاستقبله معاوية في موكب عظيم، فلما رأى ذلك قال: هذا كسرى العرب!، فلما دنا منه قال له: أنت صاحب هذا الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم مع ما يبلغك من ذلك يا أمير المؤمنين، قال: ولم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت، فقال له عمر: ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب وإن كان باطلا إنه لخدعة أديب!، قال: فمرني يا

(1) أسود: أي أجل، يقال: هو أسود من فلان أي أجل منه، والأسود من القوم أجلمهم (من السيادة).

(2) أخرجه الترمذي، وقيل قائل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أمير المؤمنين، قال: لا أمرك ولا أنهاك؛ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه، قال: لحسن مصادره وموارده جَشَمْنَا ما جَشَمْنَا.

ولما توفي عمر وبُويع عثمان بن عفان أقر معاوية في ولايته وجمع له الشام كله، وجعل ولاية الشام تابعين له. ولما قتل عثمان وبُويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نازعه الخلافة وبايعه أهل الشام. ولم يزل ينازع عليا إلى أن قتل علي رضي الله عنه فبايع أهل العراق ابنه الحسن بن علي ولم يمض إلا زمن يسير حتى بلغه أن معاوية سائر لقتاله في جيش من أهل الشام، فجهز جيشا من أهل الكوفة ومضى في طريقه إلى معاوية ببلاد الشام حتى جاوز المدائن، فطراً على الحسن تفكير جعله يفضل السلم على الحرب فكتب إلى معاوية يفاوضه في الصلح وتبودلت بينهما الرسائل حتى توافقا؛ فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية ابتغاء وجه الله تعالى وحقنا لدماء أمة محمد ﷺ؛ فظهرت بذلك المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»⁽¹⁾، فاجتمع المسلمون على خليفة واحد هو معاوية وتوحدت الكلمة وبايعه ابن عمر، وكان قد امتنع عن مبايعة علي قبله. وقد قيل لنافع ما بال ابن عمر لم يبايع عليا وبايع معاوية؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطي يدا في فرقة ولا يمنعها من جماعة ولم يبايع معاوية حتى اجتمعوا عليه ثم استقام الأمر.

وبذلك انتهى عصر الخلفاء الراشدين وقامت الدولة الأموية في الشام على يد مؤسسها الأول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وروي أنه كان يقول: أنا

(1) تقدم تحريجه.

أول الملوك ؛ وكان ذلك في أواخر ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين، وسمي ذلك العام: عام الجماعة. وكان معاوية قد استمر حكمه في الشام أربعين سنة، مكث أميراً عليه عشرين سنة ثم خليفة عشرين سنة⁽¹⁾.

وكانت لمعاوية منقبة في الولاية لم تكن لغيره، فقد تولى بعض عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تصير الخلافة إلى أبي بكر؛ ثم ولاه أبو بكر ضمناً، لأنه ولي أخاه يزيد فاستخلفه يزيد - وقد مر أن أبا بكر ولاه قيادة بعض الجيوش تحت إمرة يزيد - ولما استخلفه يزيد أقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر فأقره ؛ فكان معاوية بهذا قد تولى لرسول الله ﷺ ثم لأبي بكر بعده ثم لعمر بعده ثم لعثمان بعده. فما أوثق عرى هذه السلسلة التي انفرد بها معاوية رضي الله عنه دون غيره وما أحسنها.

وكان معاوية أحد عظماء الفاتحين في الإسلام، وكانت له عدة فتوحات في خلافتي عمر وعثمان، وفي عهده هو فقد بلغت فتوحاته المحيط الأطلسي⁽²⁾، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ثلاث وأربعين، وكان رضي الله عنه أول مسلم

(1) ولي الشام لعمر أربع سنين، ولعثمان اثنتي عشرة سنة - مدة خلافته - وقاتل عليها خمس سنين، وخلص له الأمر تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، كان فيها مُلك الدنيا تحت حكمه من حدود بخارى إلى القيروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود قسطنطينية، وملك إقليم الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب والعراق والجزيرة وأرمينية وأذربيجان والروم وفارس وخراسان والجيال وما وراء النهر، وكان قد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم مكنه في البلاد» فقال الخلافة ؛ وكان عظيم الهيبة مليح الشكل وافر الحشمة، يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة، ويركب الخيل المسومة، وكان محباً إلى الرعية حازماً شجاعاً سيّداً خليقاً للملك، يقال: انفرد بمملكة الدنيا معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان. وكان معاوية جواداً كثير البذل والعطاء كبير الشأن، نقش خاتمه: "لكل عمل ثواب".

(2) ويعرف أيضاً بـ"الاطلنطيكى"، وهو المحيط الواقع بين أوروبا وإفريقيا في الشرق وأمريكا في الغرب.

ركب بحر الروم للغزو، وفتح في أيامه كثير من جزائر يونان والدردييل، وحاصر القسطنطينية برا وبحرا سنة ثمان وأربعين، وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة. ولما احتضر كان ابنه يزيد إذ ذاك غائبا فكتب إليه بحاله، فلما أتاه الرسول أنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يحـث به فأوجس القلب من قرطاسه فرعا
قلنا لك الويل ما ذا في صحيفتكم قالوا: الخليفة أمسى مثبنا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كأن تهلان من أركانه انقطعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه كانا جميعا فظلا يسرعان معا .. إلخ.

فلما قدم عليه يزيد قال له معاوية: يا بني إني صحبت رسول الله ﷺ فخرج يوما لحاجة فاتبعته بإداوة⁽¹⁾ فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده فخبأته لهذا اليوم، وأخذ رسول الله ﷺ من أظفاره وشعره ذات يوم فأخذته وخبأته لهذا اليوم فإذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله في فمي وعلى عيني وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين، ومات معاوية في رجب سنة ستين بدمشق ودفن بها. وله من الولد عبد الرحمن ويزيد وعبد الله وهند ورملة وصفية وعائشة.

ولما أنهى الناظم الكلام على يزيد بن أبي سفيان - كما قال: هنا انتهى يزيد - وعلى أبيه صخر وأخيه معاوية على سبيل الاستطراد، شرع يتكلم على زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية، فقال رحمه الله:

... ..
جَرَاءَ أَنَّهُ بَلِيغٌ مُفْلِقُ
فَهُوَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ وَيَدُهُ كَفَّ أَذَاهَا بَعْضُ مَنْ يَهْدُهُ

(1) الإداوة (بالكسر): المطهرة وهي إناء صغير يحمل فيه الماء جمعه أداوى.

إِحْقَاقُهُ أَوَّلَ حُكْمٍ غَيْرًا وَلِدَهَاةُ فِي الْبِلَادِ أُمَّرًا

قوله أما: هي بفتح الهمزة حرف تفصيل وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعلية، ولهذا فسرها سيبويه بـ"مهما يك من شيء"، والمذكور بعدها جواب الشرط فلذا لزمتهما الفاء، ولكنها أخرت إلى الخبر؛ وقد أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله:

أما كمهما يك من شيء وفأ لتلوا تلونها وجوباً ألقاً

والملاحق (بفتح الحاء المهملة): الدعي الملتصق⁽¹⁾، واستلحقه: ادعاه ونسبه إلى نفسه. وجواب أما جملة قوله فهو زياد⁽²⁾ بن أبيه. وجراء (بالنصب): مفعول لأجله، يقال: فعلت كذا جراءك أي لأجلك، أي الملاحق من أجل أنه بليغ؛ والبليغ: الفصيح جمعه بلغاء. والمفلق: الحاذق بالأمر. والضمير في أبيه وفي يده عائد على زياد، وإنما قيل ابن أبيه للاختلاف فيه ولعدم تحقق من ينسب إليه، واشتهر أيضاً بابن سمية وهي أمه. قوله ويده: مبتدأ خبره جملة كف أذاها.. إلخ، وكف: منع، وأذاها: مفعول به لكف، أي كف ضررها. وبعض (بالرفع): فاعل كف. ويهدده: أي يخوفه ويتوعده بالعقوبة. وإلحاقه: مبتدأ. وأول حكم: مبتدأ أيضاً. وغير (بالبناء للمفعول): خبره، والجملة خبر عن قوله إلحاقه، أي أول قضاء غير فيه حكم الإسلام. قوله ولدهاه: أي ولأجل جودة رأي زياد هذا وحذقه استعمله الصحابة على بعض البلدان. وأمر (بتشديد الميم والبناء للمفعول): ولي الإمارة وهي منصب الأمير.

يعني أن زياداً بن أبيه استلحقه آل صخر بن حرب لأجل ما عرف من فصاحته وبلاغته وأن إلحاقه كان أول قضاء يخالف صريح الحديث: «الولد للفراش وللعاشر

(1) الدعي والملتصق: الذي يدعي غير أبيه والمتهم في نسبه، جمعه: أدياء.

(2) زياد: هو بكسر الزاي وتخفيف الياء. [القاموس والبدر العيني].

الحجر»⁽¹⁾، وأنه لوفور عقله ودهائه وحزمه وحسن سياسته وإحكام ضبطه لما يتولاه، ولاه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم.

زياد ابن أبيه وذكر استلحاقه

زياد بن أبيه هذا هو أبو المغيرة زياد بن أبيه، أمه سمية جارية الحارث بن كِلْدَةَ⁽²⁾ الثقفي طبيب العرب وأخوا زياد لأمه أبو بكره ونافع. روى الحافظ ابن عساكر أن سمية هذه كانت لدهقان⁽³⁾ من دهاقين الفرس فاشتكى من مرض به فدعا الحارث بن كِلْدَةَ الثقفي - وكان قد قدم على كسرى - فعالجه حتى برئ فوهب له سمية هذه فولدت أبا بكره واسمه مسروح أو نفيح فلم يُقَرَّ به ثم ولدت نافعاً فلم يُقَرَّ به، فلما نزل أبو بكره إلى النبي ﷺ قال الحارث بن كِلْدَةَ لنافع إن أُنْحَاكَ مسروحاً عبد وأنت ابني فأقَرَّ به يومئذ وزوج الحارثُ سمية من غلام له يقال له عبيد الثقفي فولدت زيادا على فراشه وتبناه، وهم بالطائف؛ فكان يعرف بزياد بن عبيد وبزياد بن سمية وزياد بن أبيه وزياد بن أمه⁽⁴⁾. واختلف في وقت مولده فقيل ولد سنة الهجرة وقيل يوم بدر وقيل عام الفتح وليست له صحبة ولا رواية.

ثم نشأ زياد فكان رجلاً عاقلاً في دنياه داهية مفوها خطيباً، روي في الاستيعاب

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) كِلْدَةَ بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف مختلف في صحبته، وهي غير سمية أم عمار بن ياسر جارية آل أبي حذيفة المخزوميين التي قتلها أبو جهل.

(3) الدهقان (بالضم والكسر): رئيس الإقليم، ويجمع بدهاقنة (فارسية).

(4) ثم زوج الحارث بن كِلْدَةَ جاريته سمية هذه من عبد له اسمه الأزرق فولدت له سلمة بن الأزرق، وبنو الأزرق هؤلاء لهم صيت وذكر بالمدينة، وقد انتسبوا إلى غسان، وكان جدهم الأزرق هذا من العبيد الذين تدلوا من الطائف وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وعَتَقُوا.

وغيره عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب بعث زيادا مرة في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهته وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها، فقال عمرو بن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: والله إنني لأعرف من وضّعه في رحم أمه ولو شئت لسميته ولكني أخاف درة⁽¹⁾ عمر بن الخطاب، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا، قال: مهلا يا أبا سفيان.. فقال أبو سفيان:

أما والله لولا خوف شخص⁽²⁾ يراني يا علي من الأعداي
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم يُكنِ المقالة عن زياد
فقد طالت مجاملتي ثقيفا وتركني فيهم ثمر الفؤاد

وكان هذا مما حمل معاوية على استلحاقه. وقد قال الشعبي: ما رأيت أحدا أخطب من زياد، وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحصب ناديا ولا أكرم مجلسا ولا أشبه سريرة بعلانية من زياد، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: أما الملحق جراء أنه بليغ.. إلخ. وكان على درجة عالية من وفور العقل وحسن السياسة وال ضبط لما يتولاه، ويكفي دلالة على حزمه وكفاءته وشهرته بذلك عند أهل عصره أنه كان من عمال عمر بن الخطاب، فقد استعمله على بعض صدقات البصرة، وقد روي أنه اشترى أباه عبيدا الثقفي فأعتقه فكانوا يغبطونه على ذلك⁽³⁾. ونظر إليه عمر يوما في هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان فقال له: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير وصدّقه، فقال له: كم عطاؤك، قال: ألفان، فقال ما

(1) الدرّة: السوط يضرب به، ودرّة عمر سوطه.

(2) يعني به عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(3) غبطه غبطا وغبطة: عظم في عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه.

صنعت في أول عطاء خرج لك؟ قال: اشترت به والدتي فأعتقتها واشترت بالثاني ربيبي عبيدا فأعتقته، فقال عمر: وُفِّتَ، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالما بالقرآن وأحكامه وفرائضه فسيره إلى البصرة واستعمله على بعض صدقاتها وأمر أمراءها أن يتبعوا رأيه؛ ثم عزله وقال له: ما عزلتك عن خزينة⁽¹⁾ ولكني كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك. وقد كان زياد يضرب به المثل في الدهاء حتى قيل فيه: دهاة العرب: معاوية، في الحلم والأناة، وعمرو بن العاص في المعضلات، والمغيرة بن شعبة في المبادهة⁽²⁾، وزياد بن أبيه لكل كبيرة وصغيرة. وكان يقال زياد يعد لصغار الأمور وكبارها، وقد سئل بعضهم عنه وعن الحجاج أيهما كان أقوم لما يتولاه؟ فقال: إن زيادا وليَ العراق عقب فتنة واختلاف أهواء فضبط العراق برجال العراق وجي مال العراق إلى الشام وساس الناس فلم يختلف عليه رجلان، وإن الحجاج ولي العراق فعجز عن حفظه إلا برجال الشام وأمواله وكثرت الخوارج عليه والمخالفون له، فحكّم لزياد.

وقد مكث زياد بن أبيه في البصرة مدة كاتباً لأبي موسى الأشعري ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ثم للمغيرة بن شعبة ثم لعبد الله بن عباس، ولما صار الأمر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انضم إليه فأراد علي أن يوليه البصرة فأشار عليه زياد أن يوليها ابن عباس ووعده أن يشير إليه ويعينه، ثم وجه علي زيادا إلى فارس واستعمله عليها فضبط البلاد وأصلح الفساد وحمى وجبى. فلما رأى معاوية ذلك كاتب زيادا يريد مداراته ويروم إفساده على علي وأطمعه في أن يلحقه بأبي سفيان،

(1) الخزينة (بالكسر): الخصلة التي يخزى فيها الإنسان وخزني خزينة: وقع في بلية وشر فذل بذلك وهان.

(2) المبادهة: المفاجأة وجودة القول وحسنه على البديهة.

فلم يفعل زياد ووجه بكتابه إلى علي، فكتب إليه علي: إنما وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي ولن تدرك ما تريد مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام. فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة فكان ذلك مما جرأ معاوية وزيادا على ما صنعا بعد. ولكن زيادا لم يزل واليا لعلي على بعض أعمال فارس إلى أن قتل علي وسلّم ابنه الحسن الخليفة إلى معاوية.

ولما توفي علي دعاه معاوية فامتنع زياد وتحصن في قلاع فارس. قال ابن حزم في الفصل: "امتنع زياد وهو فقعة القاع لا عشيرة له ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطاقه معاوية إلا بالمدارة والوعد بالاستلحاق والتولية"، فعند ذلك قدم زياد عليه فكان عضده الأقوى فولاه العراقين: البصرة والكوفة، ولم يجمعا قبله لغيره فسار زياد فيهما سيرته المشهورة وساسهما سياسته المذكورة؛ ثم كتب إلى معاوية يقول: إنني ضببت لك أمر العراق يميني وبقيت شمالي فارغة، يعرض له بالحجاز يريد أن يضمه إليه. فلما بلغ ذلك أهل المدينة قام عبد الله بن عمر وأهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ وتوجهوا إلى الله يضرعون إليه في صرفه عنهم لما علموا فيه من الظلم والعسف⁽¹⁾، وقال ابن عمر: اللهم اشغل عنا يده، فعرضت له قرحة في شماله كانت سبب موته. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: ويده كف أذاها بعض من يهدده.

وروي أنه لما حضرته الوفاة قال لابنيه: ليت أباكم كان راعيا في أذناها وأقصاها ولم يقع في الذي وقع فيه؛ ثم توفي بالكوفة في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين،

(1) العسف: الأخذ بالعنف والقوة.

وصلى عليه عبد الله بن خالد بن أسيد وكان قد أوصى إليه بذلك، ودفن بمكان يعرف بالثوية. ولما سمع ابن عمر بموته قال: "أذهب إليك ابن سمية فقد أراح الله منك". وكان زياد طويلا جميلا له قدر وجلالة عند أهل الدنيا، ومع ذلك كان أحول: في إحدى عينيه انكسار؛ وفي ذلك يقول الفرزدق مخاطبا للحجاج:

وقبلك ما أعيتت كاسر عينه زيادا فلم تعلق علي حباله

وما صل ما أشار إليه الناظم من استلحاق معاوية رضي الله عنه لزياد بن أبيه هذا، أنه لما كانت سنة أربع وأربعين أراد استلحاقه، فشهد له بذلك مالك بن ربيعة السلولي، وزياد بن أسماء الحرمازي، والمنذر بن الزبير، وجويرية بنت أبي سفيان في جماعة، وضم إلى ذلك قول أبي سفيان المتقدم: "والله إنني لأعرف من وضعه في رحم أمه"، وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لزياد: "إنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا"، وما رواه ابن عساكر من أن أبا سفيان قد سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له أبو مريم السلولي فأتاه بسمية فوقع عليها فولدت زيادا؛ عند ذلك قام معاوية فخطب واستلحق زيادا بنسبه وضمه إلى السفينيين وزوج بنته من محمد بن زياد، فتلكم زياد فقال: إن كان ما شهد به الشهود حقا فالحمد لله وإن يكن باطلا فقد جعلتهم بيني وبين الله. ولكن الكثير من الصحابة والتابعين أنكروا ذلك على معاوية محتجين بحديث: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»⁽¹⁾، وقد مر أن سمية ولدت زيادا على فراش عبيد الثقفي وأنه تبناه، وورد أن عائشة رضي الله عنها قالت لمعاوية في ذلك ما أشهدت الشهود ولكن ركبت الصليعاء، تعني الداهية الشديدة.

(1) تقدم تخريجه قريبا.

ولما استلحقه دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم فقال: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة، فأقبل معاوية على مروان وقال له: اخرج عنا هذا الخليع، فقال مروان: والله إنه لخليع ما يطاق؛ فقال معاوية: والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق.. ألم يبلغني شعره في زياد:

ألا أبلغ معاوية بن صخر	لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أنغضب أن يقال أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زان؟!
فأشهد أن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زيادا	وصخر من سمية غير دان

وقيل هذه الأبيات ليزيد بن مفرغ الحميري الذي قال أشعارا كثيرة في هجو زياد وبنيه لما لقي من عباد وعبيد الله ابني زياد - كما يأتي.

وقول الناظم: **إلحاقه أول حكم غيرا..** أشار به إلى ما في الحلة السبراء من أن استلحاق معاوية لزياد بن عبيد كان أول قضية غير فيها حكم النبي ﷺ في الإسلام، لأنه قال: «الولد للفراس وللعاهر الحجر»⁽¹⁾، وقد ولد زياد على فراس عبيد الثقفي، ولما روي أيضا عن سعيد بن المسيب أنه قال: أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد. ولما بلغ أبا بكره استلحاق معاوية لزياد ورضا زياد بذلك - وكان أخاه لأمه كما مر - حلف لا يكلمه أبدا وقال: هذا زنى أمه وانتفى من أبيه، ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط.. ويل أمه ما يصنع بأم حبيبة زوج النبي ﷺ: إن رآها فيا لها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة، وإن حجبت فضحته. وروي أن زيادا حج في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة فذكر قول أبي بكره فقال: جزى الله أبا بكره خيرا

(1) أخرجه البخاري ومسلم - كما مر.

فما يدع النصيحة على أي حال، ثم انصرف عن ذلك؛ وقيل إن أم حبيبة حجبتة ولم تأذن له في الدخول عليها. والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَعْتَبَةٌ فَرَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ ذَاتِ الدَّاهِيَةِ
لِكَوْنِهِ شَقِيْقَهُ جَعَلَهُ مَكَانَ عُنْبَسَةَ إِذْ عَزَلَهُ
وَلِمُعَاوِيَةَ عَبْدُ اللَّهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ وَلَا بِنَاهِ

عتبة: مبتدأ خبره جملة فر إلى معاوية .. إلخ. ووقعة الجمل: هي الوقعة المشهورة والملحمة العظيمة التي كانت بين علي بن أبي طالب من جهة وعائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى. وذات الداهية (بالجر): صفة لوقعة، والداهية: الأمر المفطع، جمعها دواه؛ ووصف الناظم هذه الوقعة بالداهية لكونها كانت نكبة على المسلمين والإسلام ووهنا فيه، وقد مات فيها أكثر من عشرة آلاف فيهم كثير من وجوه الصحابة وأعلام المسلمين وذوي النجدة.

يقول: ومن ولد أبي سفيان بن حرب عتبة بن أبي سفيان شقيق معاوية الذي فر إليه بالشام من وقعة الجمل فولاه الطائف مكان أخيه عنبسة بن أبي سفيان. وعتبة هذا هو أبو الوليد عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد على عهد رسول الله ﷺ وكان رجلا عاقلا مهيبا فصيحاً خطيباً، حتى قيل إنه لم يكن في بني أمية أفصح منه، (وقد قيل الخطباء في بني أمية عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان). شهد عتبة هذا رضي الله عنه وقعة الجمل مع عائشة وطلحة والزبير بالبصرة ثم فر منها إلى الشام على جواد له سابق يسمى الفيض، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم يُعيره:

لعمرك والخطوب لها دواع
لقد أبعدت يا عُتْب الفرارا
إن أعطيت سابقة ومهرا
يسمى الفيض ينهمر انهما را
تركت السادة الأخيار لما
رأيت الحرب تستعر استعارا

وكان قد فر مع عتبة هذا عبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم، فروا يوم الهزيمة وقد شُجِّحوا⁽¹⁾ فلقوا عصمة بن أبيير التيمي - من تيم الرباب - فقال: هل لكم في الجوار؟ قالوا: نعم، قال: فأنتم في جوارى إلى الحول؛ فمضى بهم وحمامهم وقام عليهم حتى برثوا، ثم قال: اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه، قالوا: الشام؛ فخرج بهم في أربعمئة راكب من تيم الرباب حتى توغلوا في بلاد كلب قالوا: قد وفيت ذمتك وقضيت الذي عليك فارجع، فرجع. وفي ذلك يقول الشاعر:

وفى ابنُ أبييرٍ والرماح شوارع
بآل أبي العاصي وفاء مذكرا .. إلخ.

وكان معاوية قد ولى أخاه عنبسة بن أبي سفيان على الطائف ثم عزله وولى مكانه عتبة هذا، فقال عنبسة في ذلك:

وكنا لصخر صالحا ذاتُ بيننا
جميعا فأمست فرقت بيننا هند

يريد هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية وعتبة ابني أبي سفيان، وكانت أم عنبسة بن أبي سفيان عاتكة بنت أبي أزيهر الأزدي، وهي أيضا أم أخيه محمد بن أبي سفيان. وإلى ذلك أشار بقوله لكونه شقيقه.. إلخ. وحج عتبة بن أبي سفيان هذا بالناس سنتي إحدى وأربعين واثنتين وأربعين وولاه معاوية أيضا مكة؛ وكان عتبة هذا قد أشار على أخيه معاوية أن يستعين على أمره بعمرو بن العاص وأبي عمرو إلا بشرط أن يستقل بمصر فتلكأ⁽²⁾ معاوية، فقال عتبة: عمرو خير لك من مصر، فرضي معاوية

(1) شجِّحوا (بالبناء للمفعول): أي كثرت فيهم الشجاج، وهي الجراحات في الرأس والوجه.

(2) تلكأ عن الأمر: أبطأ وتوقف.

وأمره عليها. ولم يزل عليها إلى أن توفي ثم جعل معاويةً عليها مكانه عتبة هذا، فقام فيها خطيباً وقال: يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونوه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفاراً يُثقله حملها ولا ينفعه علمها، وإنني لا أداوي داءكم إلا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفاني السوط ولا أبلغ السوط ما صلحتكم على الدرّة وأبطأ عن الأولى إن لم تسرعوا إلى الآخرة فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا. ثم أقام عتبة واليا فيها، ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطاً وبني داراً في حصنها القديم وتوفي بها.

هذا وكان لأبي سفيان بن حرب من الولد سبعة وثامنهم زياد بن أبيه - المتقدم ذكره - ونسوة وهم حنظلة وأم حبيبة وأميمة؛ أمهم صفية بنت أبي العاص - كما مر - ومعاوية وعتبة وجويرية وأم الحكم؛ أمهم هند بنت عتبة بن ربيعة، ويزيد؛ أمه زينب بنت نوفل من جدل الطعان، وعنبسة ومحمد - وذكرنا قريباً - وعمرو وصخره وهند؛ أمهم صفية بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس.

ثم ذكر الناظم بعض أولاد معاوية بن أبي سفيان. وأشهر أولاده يزيد الذي يعرف بالفويسق، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية؛ كان شاعراً فصيحاً مولعاً باللهو والنساء والصيد، بايع له معاوية بالخلافة من بعده، فولي الخلافة بعد أبيه سنة ستين ومكث فيها ثلاث سنين؛ في السنة الأولى من خلافته وقعة كربلاء: قتل الحسين ومن معه من أهل البيت وغيرهم.. وفي السنة الثانية وقعة الحرة: قتل كثير من الصحابة واستباحة المدينة أياماً.. وفي السنة الثالثة غزا الكعبة يريد قتل جوار البيت عبد الله بن الزبير، ولكنه هلك والحمد لله قبل أن يصل جيشه إلى مكة؛ ولما علم قائد الجيش بوفاة عاد بجيشه إلى الشام.

ومن ولد معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن معاوية، أمه فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف كان مضعفاً أي ضعيف العقل والرأي ولم يكن

له تدخل في شؤون الإمارة. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: ليس بآمر ولا بناء. وعبد الله بن معاوية هذا هو والد عبدة بنت عبد الله زوج هشام بن عبد الملك، التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أعبدة لا ينسى مودتك القلب ولا هو يسليه رجاء ولا كـرب
ولا قول واش كاشح ذي عداوة ولا بعد دار إن نأيت ولا قرب

وعبدة بنت عبد الله هذه هي المذبوحة، ذبحت أيام عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

تنبيه: لقد تكرر ذكر الناظم في هذا النظم لوقعة الجمل تصريحاً - كما هنا - وتلويحاً كما مر في قوله: وأنجبت بصاحب اليد التي .. إلخ وغير ذلك، فكان من تمام الفائدة أن أذكر ملخصاً عن سبب وقعة الجمل وبعض ما جرى فيها، فأقول:

وقعة الجمل

لما قتل عثمان رضي الله عنه اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وفيهم طلحة والزبير، وأتوا علياً وقالوا: لا بد للناس من إمام وأرادوا أن يبايعوه فامتنع وقال: بايعوا من شئتم غيري ومن اخترتم رضيتته وإني أن أكون لكم وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: ما نختار غيرك وألحوا عليه؛ فلما لم يجد بداً من ذلك قال: اخرجوا إلى المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد؛ فبايعه جل من حضر. ولما تمت البيعة ورجع إلى داره دخل عليه طلحة والزبير في جماعة يطلبون منه أن يأخذ من قتلة عثمان، فقال: إنني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم قوم قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً للقدرة

على شيء مما تريدون؟ إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على ثلاث فرق: فرقة لا ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، فاهدأوا عني حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق ثم عودوا. فتفرق القوم بعضهم يقول والله لئن ازداد الأمر لم نقدر على الانتصار من هؤلاء الأشرار ولترك هذا إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول نقضي الذي علينا ولا تؤخره وإن عليا لمستغن برأيه..

فبدأت الأمور تتحرك والأحوال تضطرب ويعمل فيها من وراء حجاب بعض الأشرار الذين تجمعوا من سائر الأمصار لقتل عثمان، ودب الخلاف والوهن، وهرب بعض بني أمية وغيرهم إلى الشام وسار بعض الناس إلى مكة. وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد خرجت من المدينة وعثمان محصور بها وقدمت مكة للحج ثم رجعت إلى المدينة، فلما كانت بسرف لقيها عبد بن أم كلاب فأخبرها بقتل عثمان واستباحة قتلته للمدينة أياما وبمبايعة الناس لعل، فقالت: ردوني إلى مكة؛ وانصرفت وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه. وسارت وهي لا تقول شيئا حتى نزلت على باب المسجد فقصدت للحجر وسرت فيه واجتمع الناس حولها، فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالأمس ونقموا عليه، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم؛ فكان أول متكلم بعدها عبد الله بن عامر الحضرمي، وكان عامل عثمان على مكة فقال: أنا أول طالب؛ وتبعه بنو أمية الذين أتوا من المدينة هرابا وغيرهم من سائر أهل مكة. ثم قدم عليهم طلحة والزبير من المدينة فقالت عائشة: ما وراءكما؟ فقالا: إنا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوما حيارى.

فاجتمعوا وأخذوا يتداولون ويتشاورون أين يذهبون فاتفق رأيهم على الذهاب إلى البصرة، وكانت عائشة تنوي العودة إلى المدينة، فقالوا لها: يا أم المؤمنين دعي المدينة واشخصي معنا إلى البصرة فتنهضهم كما أنهضت أهل مكة، ثم تقعدين فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين وإلا احتسبنا وبذلنا الجهد، فرأت أن الأمر لا يكون مستقيماً إلا بها، فقالت: نعم. ثم نادى المنادي إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الإسلام والطلب بثأر عثمان فليلحق بهم، ثم نادوا بالرحيل ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل؛ فشيّعهم أهل مكة وبكوا، فلم ير يوم كان أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم حتى سمي بعد يوم النحيب. وأعطى يعلى بن منية عائشة جملاً كان قد اشتراه بثمانين ديناراً فركبته وارتحلوا جميعاً نحو البصرة حتى كانوا بفنائها نزلوا، وكتبت عائشة إلى رجال من أعيان أهل البصرة بما جاءت له هي ومن معها، فبعث إليهم عثمان بن حنيف والي علي على البصرة عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليعرفا حقيقة ما جاء بهم فقالت عائشة: "إن الغوغاء ونزاع القبائل⁽¹⁾ غزوا حرم رسول الله ﷺ ونالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدر على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا وقرأت: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجَوُّبِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽²⁾ فهذا شأننا إلى

(1) الغوغاء: السفلة من الناس والمتسرعون إلى الشر. ونزاع القبائل: أي غرباءها، جمع نازع.

(2) النساء الآية: 114.

معروف نأمركم به ومنكر نهاكم عنه". فكان أهل البصرة على قسمين: قسم مال إلى عائشة ومن معها، وقسم مع عثمان بن حنيف والي علي. ثم خرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج ويكون معها؛ فاجتمعوا بالمربد⁽¹⁾ حتى غصَّ بالناس؛ وكان طلحة والزبير في ميمنة المربد وعثمان بن حنيف في ميسرته، ثم وقف طلحة فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله والبلد وما استحل منه ودعا إلى الطلب بدمه وحثهم على الأخذ به، وقال: إنه حد من حدود الله إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام؛ وتكلم الزبير بمثل ذلك، فقال مَنْ في ميمنة المربد: صدقا وبراً وقالوا الحق وأمرنا به، وقال من في ميسرته: فجراً وغدراً وقالوا الباطل وأمرنا به، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان.. فتحاثى الناس وتحاصبوا وأثاروا الغبار. ثم نشب القتال بينهم إلى أن حجز بينهم الليل، وباتوا يتأهبون للحرب؛ ثم نشبت بينهم من حين بزغت الشمس واقتتلوا قتالا شديداً إلى أن زال النهار وكثر القتل في أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة في الفريقين، ومناذي عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون حتى مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح فأجابوهم وتهادنوا، ثم نشب القتال بينهم أيضاً فاقتتلوا قتالا شديداً كان النصر فيه حليف أصحاب عائشة وطلحة والزبير؛ ثم كتبوا لأهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه وناشدوهم أن ينهضوا بأنفسهم بمثل ما نهضوا إليه، وكتبوا إلى أهل الكوفة واليمامة والمدينة بمثله.

ولما جاء الخبر عليا بن أبي طالب دعا وجوه أهل المدينة وأخبرهم وحمد الله وأثنى عليه ثم استنهضهم للقتال فتناقلوا ثم تجهز للخروج واستخلف على المدينة، وخرج بمن معه، ثم تتابع الناس استعدادا لنصرته وسار في تعبته التي كان قد تعبأها

(1) المربد (كمنبر): موضع بالبصرة - [القاموس].

لأهل الشام، ثم سار والناس من القبائل يتلاحقون، حتى نزل بذي قار - قرب الكوفة - فكتب إلى أهل الكوفة: إني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن جاءني ونصرني فقد أجب الحق وقضى الذي عليه.

وفي أثناء مراسلات علي وأهل الكوفة جاء كتاب عائشة ومن معها إلى أهل الكوفة يدعونهم ويناشدونهم للأخذ بدم عثمان، فتشاقفوا أولاً عن الخروج مع علي، ثم خرج إليه منهم نحو تسعة آلاف؛ فلما وصلوا إليه قال: إنما دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأوا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله؛ ثم ساروا إلى البصرة فأرسل إلى أهلها يدعوهم إلى اللفة والجماعة ويعظم عليهم الفرقة ويحثهم على إثارة العافية وأن يكونوا مفتاح للخير فإن فعلوا ذلك أمكنهم الأخذ بثأرهم وإلا فسيعرضون المسلمين للبلاء والشر ولن يتمكنوا من الذي أرادوا من الثأر، فاستحسنوا ما دعاهم إليه وقبلوه وأشرفوا على الصلح. فأمر علي بالرحيل وقال: إني راحل غداً فارتحلوا ولا يرحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس؛ ثم جاءت وفود قبائل البصرة إلى قبائل الكوفة وهم لا يريدون حرباً ولا يظنونها وأمن الناس بعضهم بعضاً. ولما وصل علي إلى البصرة بعث إلى القوم: إن كنتم على ما كنتم عليه فكفوا واقرونا ننزل وننظر في الأمر؛ فنزلوا والقوم لا يشكون في الصلح، ومشت السفراء بين الفريقين وبات القوم ينتظرون العافية من هذا الحادث الجلل. ولكن نفرا من الذين أثاروا أمر عثمان لم يرقهم الصلح ولم يطمئنتوا إلى حقن الدماء، فاجتمعوا وقال بعضهم لبعض إن اجتمع الناس غداً واصطلحوا فليس الصلح إلا علينا، وقالوا إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، واتفقوا على

ذلك والناس لا يشعرون. ولما كان وقت الغلس وضعت تلك الشرذمة السلاح في
 عسكر أهل البصرة، فسأل طلحة والزبير: ما هذا؟ قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلا،
 فقالوا: قد علمنا أن عليا غير منتهٍ حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمه وأنه لن
 يطاوعنا؛ وسأل علي بن أبي طالب عن الخبر، وكانت تلك الشرذمة التي أنشبت
 القتال قد وضعت رجلا قريبا منه يخبره بما يريدون فقال له: فوجئنا بقوم بيتونا
 فرددناهم من حيث جاءوا، فقال علي: قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين
 حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمه وأنهما لن يطاوعانا. ولم يجد الفريقان بدا من
 القتال، إذ لم يكن ثمت مجال لاستجلاء الواقع.

وثار العسكران لبعضهما فكان القتال في ذلك اليوم من أشد القتال هولا،
 وصدق كل فريق الحملة على الآخر؛ وكانت عائشة - وهي في عسكر أهل البصرة
 - في هودجها⁽¹⁾ وقد جللته بالحديد وجعلت فيه موضعا لعينيها، وجعل شجعان أهل
 البصرة وذوو النجدة منهم يلوذون بجملها ويدافعون عنها حتى لا تصاب بشر،
 فقتل حوله بشر كثير وقطعت على زمامه أيد كثيرة معظمها من بني ضبة، كلما
 قطعت يد رجل أخذ آخر خطام الجمل، وراجز بني ضبة يقول:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل
 ننعى ابن عفان بأطراف الأسل⁽²⁾ والموت أحلى عندنا من العسل
 ردوا علينا شيخنا ثم بجل⁽³⁾

(1) الهودج: محمل له قبة كانت النساء تركب فيه، وسمي هودجا لأنه يضطرب على ظهر البعير، جمعه: هودج.

(2) الأسل بالتحريك: الرماح.

(3) شيخنا أي كبيرنا، والشيخ من كان كبيرا في أعين القوم علما أو فضيلة أو مقاما، والمراد به هنا عثمان رضي الله عنه. وبجل: اسم فعل بمعنى: حسب ويكفي.

ولما رأى علي كثرة القتلى حول الجمل وأن الناس يستميتون دونه⁽¹⁾ ولا يسلمونه أبدا وفيهم عين تطرف⁽²⁾ نادى: اعقروا الجمل، فجاء رجل إلى الجمل من خلفه وضرب عرقوبه فعقره وسقط، فسقط الهودج وتفرق أصحابه؛ فجاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر واحتملا الهودج فنحياه عن القتلى وأمرهما علي أن يدخلوا عائشة بهودجها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف - وكانت داره أعظم دار في البصرة. وظهر الضعف في الناس فتركهم الزبير بن العوام وولى شطر المدينة، فعلم بمسيره عمرو بن جرموز فاتبعه حتى إذا كان بوادي السباع غافله وقتله. وقتل في هذا اليوم نحو عشرة آلاف فيهم كثير من الصحابة وأعلام المسلمين وذوي النجدة منهم طلحة بن عبيد الله وابنه محمد، وعبد الرحمن بن عتاب - صاحب اليد الذي مر ذكره - وكثير من رجال قريش؛ وفر بعضهم إلى الشام، منهم عتبة بن أبي سفيان - كما مر.

ومن فر يومئذ أيضا مروان بن الحكم حتى دخل على أهل بيت من عنزة فقال لهم: أعلموا مالكا بن مسمع بمكاني، فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه، فأرسل إليه وأنزله في داره وتقلد سيفه وقال: الموت دون الجوار، فلم يزل يجرسه حتى انصرف هو والأسود بن البختري إلى المدينة؛ وقد حفظ بنو مروان بن الحكم ذلك لآل مالك بن مسمع وإخوته بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوا به. وكانت عائشة رضي الله عنها قد آوت ذلك اليوم كثيرا من الجرحى منهم ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(1) أي لا يبالون في الحرب بالموت ويطيّبون بها نفسا.

(2) تطرف: أي تتحرك، يقال: ما بقيت منهم عين تطرف أي ماتوا وقتلوا جميعهم.

ولما انتهت الواقعة مر علي في القتلى ثم صلى عليهم وأمر بدفنهم جميعاً، ثم زار عائشة في البيت الذي أنزلت فيه فسلم عليها وقعد عندها وقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير يغفر الله لك، قال: ولك؛ ثم أمر بتجهيزها فجهزت خير جهاز بكل شيء تحتاج إليه من مركب وزادٍ ومتاع وأخرج إليها كل من نجا من خراج معها إلا من أحب المقام، وسيرها إلى المدينة وودعها وشيعها بنفسه أميالاً في جم غفير، فقالت وسط مشيعيها: إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبي⁽¹⁾ من الأخيار، وقال علي: أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ثم سرح بنيه معها يوماً.

وكانت وقعة الجمل هذه يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى - وقيل من الأخيرة في خامس عشره - سنة ست وثلاثين من ارتفاع الشمس إلى العصر، وكانت الغلبة فيها لطائفة علي كرم الله وجهه.

ثم أخذ يتكلم على بعض أبناء يزيد الفويسق، فقال رحمه الله:

وَلَفُؤَيْسِقٍ مُضَعَّفٌ كَذَاً وَمَنْ أَبِي إِمَارَةً وَحَبَّاذَا
 وَخَالِدٌ نَازَعٌ فِيهَا الْوَزَغَاً وَأَلْقَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ مِصْدَغَاً
 وَجَلَسَتْ مَعَ الْوَلَائِدِ عَلَيْهِ وَأَهْلَكَتْ مُعَلِّمَ ابْنِهَا النَّبِيَهْ

مضعف (كمعظم): مبتدأ خبره المجرور قبله. والفويسق: لقب يزيد بن معاوية - كما مر. والمضعف: ضعيف العقل والرأي، والمراد به عبد الله بن يزيد بن معاوية.

(1) على معتبي: أي نكراني عليه بعض أفعاله وموجدتي عليه.

وقوله كذا: أي كعمه عبد الله بن معاوية المذكور قبل، فهو مثله اسما وصفة.
وقوله ومن أبي.. إلخ: عطف على قوله **مضعف**، والمراد به معاوية بن يزيد بن معاوية؛ والمراد بالإمارة هنا الخلافة. وقوله **حيذا**: كلمة مركبة من **حب** و**ذا**: اسم إشارة، وهي تستعمل للاستحسان والمدح وتلازم هذه الصورة في كل حال.

يعني أن من أولاد يزيد الفويسق عبد الله بن يزيد الذي كان كعمه عبد الله بن معاوية في عدم التدخل في شؤون الإمارة. ومنهم - أيضا - معاوية بن يزيد الذي انخلع من الإمارة تورعا وزهدا [ونعم ما فعل، لأنه تورع في محله وعمل دال على خوفه من ربه؛ وفي بعض الآثار: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم»⁽¹⁾]. وقد كان ليزيد بن معاوية من الولد نحو العشرة ومعهم نسوة، وهم لأمهات شتى؛ ولعقبه عقب، كما في الزبيري وغيره.

أما **المضعف** المشار إليه فهو عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية القرشي الأموي، كان مضعفا لم يتدخل في شأن الخلافة؛ وهو الذي عبث به الوليد بن عبد الملك واستحقره - كما سيأتي - أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهي التي قال فيها أبوه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (وكان معاوية بن أبي سفيان قد وجهه لغزو الروم، فأقام بدير سمعان ووجه الجنود فأصابهم الوباء) فقال يزيد:

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا بدير مُرّان حولي أم كلثوم⁽²⁾

(1) أخرج نحوه أحمد.

(2) الأنماط: ضرب من البُسْطِ، والمرتفق: المتكئ على مرفقه أو على مخدة. ودير مُرّان: كان واقعا في غوطة كثير الرهبان مزينا بالزخارف اتخذه الوليد بن يزيد متنزها ومات فيه.

فلا أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم⁽¹⁾

فبلغ ذلك معاوية فأقسم بالله لتلحقن بهم حتى يصيبك ما أصابهم فلحق بهم.

وأما الذي أبى الإمارة فهو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، أمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ كان فتى شابا صالحا فاضلا تقيا زاهدا عازفا عن الحياة الدنيا⁽²⁾ وزخرفها، عكسا لما كان عليه أبوه، وكان يعرف بالنسبة إلى جده معاوية. عهد له أبوه بالخلافة من بعده. ولما مات يزيد بايعه الناس، وعاش بعد أبيه أربعين يوماً تخلّى في أثنائها عن الخلافة تورعا وزهدا؛ فبعد أيام قليلة من بيعته دعا الناس للاجتماع ثم قام خطيبا فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده معاوية ومنازعتة لمن هو أولى منه بالخلافة - يعني عليا - ثم ذكر أباه يزيد وما كان عليه من سوء فعله في أهل البيت، وأنه لم يكن خليقا للخلافة لسوء سيرته، وأنه إنما نالها لهوى كان لأبيه فيه.. وبكى واستعير ثم قال: أيها الناس إن كانت الإمارة مغنما فحسبنا ما أصبنا منها، وإن كانت مغرما فحسبنا ما أصابنا منها⁽³⁾، إني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأمركم من شئتم، ثم دخل بيته وبكى؛ فدخلت عليه أمه أم هاشم وهو يبكي فقالت: ليتك كنت حيضة فلم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك يا أماه!.

ولم يعهد بالخلافة لأحد، وقد قيل له في ذلك فقال: ما أصبت من حلوتها شيئا فلم أتحمل مرارتها؟! ثم توفي وصلى عليه مروان بن الحكم، ودفن إلى جنب أبيه.

(1) الفرقدونة: موضع. والحمى: علة يستحربها الجسم. والموم: أشد الجدري الذي يصير الجسم كله قرحة واحدة.

(2) أي منصرف النفس عنها زاهدا فيها.

(3) المغنم: الغنيمة وهي المكسب. والمغرم: الغرامة وهي الخسارة.

وتوله: وخالد نازع فيها: أي في الخلافة، والوزغ: لقب مروان بن الحكم — كما تقدم. وأمه (بالرفع): فاعل أَلقت، والضمير فيه عائذ على خالد. والضمير في عليه عائذ على الوزغ. والمصدغ (كالمصدغة): الوسادة، لأنها توضع تحت الصدغ. والولائد (جمع وليدة): للحجارية. والضمير في عليه عائذ على الوزغ — أيضا — وفاعل كل من جلست وأهلكت: ضمير مستتر عائذ على أمه. ومعلم (بصيغة اسم الفاعل وبالنصب): مفعول به لأهلكت. والضمير في ابنها عائذ على أمه أيضا. والنيبه: الفطن ذو النباهة وهي الفطنة.

يعني أن من أولاد يزيد بن معاوية أيضا خالد بن يزيد، وهو الشهم الخطيب المفوه؛ كان من سراة قريش وفتيانهم علما وأدبا وكرما حتى قيل إنه لم يكن في بني أمية أفضل منه غير عمر بن عبد العزيز. وخالد هذا شقيق معاوية المذكور، أمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة — وكانت تكنى به — وفيها يقول أبوه يزيد:

وما نحن يوم استعبرت أم خالد بمرضى ذوي داء ولا بصحاح

ويحكى أن أخاه عبد الله بن يزيد دخل عليه يوما وهو غضبان، فقال له خالد: مالك؟ فقال: كدت أقتل الوليد بن عبد الملك، فقال خالد: بس ما قلت، أتقتل ولي عهد المسلمين ابن عمك وابن أمير المؤمنين! قال عبد الله: مرت به خيلي اليوم فعبث بها واستصغرنى، فقال خالد: أنا أكفيك ذلك؛ فدخل على عبد الملك — والوليد عنده — فاشتكاه إليه، وقص عليه ما حدث، فقال عبد الملك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾، فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

(1) النمل: 34.

فَفَسَّقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَهَا تَدْمِيرًا ﴿١﴾، فقال عبد الملك: أعن عبد الله تناضل يا خالد؟ فوالله لقد دخل علي في مقامك هذا فما أقام لسانه لحنا، فقال خالد: أو على الوليد تعول — إذن — في الفصاحة؟ قال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان! فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد!. فتدخل الوليد فقال: اسكت يا خالد إنك لست في العير ولا في النفير، فقال خالد: أسمع أمير المؤمنين؟ ويملك — وإن كان هذا فخر جاهلية — من للعير والنفير غيري؟! جدي أبو سفيان بن حرب سيد العير، وجدي عتبة بن ربيعة سيد النفير، ولكنك لو قلت غنيمات وحلييات والطائف ويرحم الله عثمان⁽²⁾ لقلنا صدقت.. وخرج عنهما.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية هذا من الشجعان، وكان يتعصب لأخوال أبيه من كلب ويعينهم على قيس عيلان في حرب كانت بينهم، فقال أحد شعراء قيس:

يا خالدُ بنَ أبي سفيانٍ قد فرقت منا القلوب وضاق السهل والجبل
أأنت تأمر كلباً أن تقتلنا جهلاً وتمنعهم منا إذا قتلوا
ها إن ذا لا يُقر الطير ساكنة ولا تُبرك من جرائه الإبل⁽³⁾

وحاصل قصة منازعة خالد هذا لمروان بن الحكم في شأن الخلافة، أنه لما تخلى عنها أخوه معاوية بن يزيد طمع فيها مروان بن الحكم وطالب بها، فنازعه خالد بن يزيد هذا؛ ونازعههم كذلك الأشدق بن سعيد بن العاص الأموي. فتدخل الأقارب

(1) الإسراء: 16.

(2) يشير بذلك إلى أن الحكم كان بالطائف يرعى غنيمات ويأوي إلى شحيرات حلبة حتى أدخله عثمان إلى المدينة.

(3) يشير به إلى المثل المشهور: "لا تُبرك الإبل على هذا" يضرب لمن لا يصبر عليه لشدته. [مجمع الأمثال للميداني].

بينهم حتى اصطلحوا على أن يكون الأمر لمروان ثم لخالد من بعده ثم للأشدق بعد ذلك. غير أن مروان نقض العهد، وعهد لولده عبد الملك، فلاحاه خالد في ذلك حتى سب مروان أم خالد في المجلس يريد أن يضع منه بذلك - وكان مروان قد تزوج أمه أم هاشم - فقال له خالد: أنت مؤتمن خائن. ودخل خالد على أمه وأخبرها بذلك وقال: أنت التي جلبت علي هذا، فقالت: دعه فسأكفيكه ولن يسبك بعدها، ثم قالت: لا تعلمه أنك أخيرتني.

ثم دخل عليها مروان وقال: هل أخبرك خالد بشيء جرى بيني وبينه؟ قالت: يا أمير المؤمنين إن خالدا أشد تعظيماً لك من أن يذكر شيئاً جرى بينك وبينه. فلما أمسى مروان وتمكن منه النوم عمدت إلى وسادة ووضعته على أنفه وقعدت عليه هي وجواربها حتى مات. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وألقت أمه عليه مصدغاً.. إلخ، وقيل إنها سقته السم، وقيل بل مات مطعوناً، وقيل حتف أنفه. ويروى أن عبد الملك بن مروان هم بقتل أم هاشم، فلما بلغها الخبر قالت: أما إنه أشد عليه أن يعلم الناس أن أباه قتله امرأة، فلما بلغه ذلك كف عنها.

وقوله وأهلكت معلم ابنها: يعني أن أم هاشم بنت أبي هاشم، والدة خالد معاوية ابني يزيد بن معاوية أهلكت معلم ولدها معاوية بن يزيد، أي أمرت الأمويين بقتله بدعوى أنه علمه حب علي بن أبي طالب (وهذا المعلم اسمه عمرو المقصوص)، فقالت له بنو أمية، حين انخلع معاوية بن يزيد من الخلافة وخطب خطبته المشهورة: أنت الذي علمته هذا ولقنته إياه وأخذته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده، فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول مطبوع على حب علي. فلم يقبلوا منه، فأخذوه ودفنوه حياً حتى مات.

ومن بنات يزيد الفويسق عاتكة، قيل كان لها اثنا عشر محرماً كل منهم خليفة؛ منهم يزيد أبوها ومعاوية بن أبي سفيان جدها ومعاوية بن يزيد أخوها وعبد

الملك بن مروان زوجها ومروان بن الحكم حموها ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد
وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها.

ثم أخذ يتكلم على عقب أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويذكر الخلاف في
نسبه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أَمَّا أَبُو عَمْرٍو فَجَاءَ أَنَّهُ عَبْدُ أُمَيَّةَ وَمَا كَانَ ابْنَهُ
وَهُوَ أَبُو أَبِي مَعِيْطٍ الَّذِي هُوَ أَبُو الظَّالِمِ عَقْبَةُ الْبُذِي
النَّادِمِ الْقَائِلِ قَوْلًا غَيًّا: يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ أَيْيَا
أَبُو الْوَلِيدِ وَعَمَارَةَ الْخَضَمِّ وَأُمَّ كَلْثُومٍ حَلِيلَةَ الْبُهَمِّ

أبو عمرو هو ذكوان بن أمية بن عبد شمس (على القول بأنه ابنه). وقوله فجاء
أنه.. إلخ: أي روي أنه عبد لأمية كان قد تبناه فتنوسي تبنيه له حتى نسب إليه.
وقوله وهو أي أبو عمرو هذا. أبو: أي والد أبي معيط (بوزن زبير) واسم أبي معيط
أبان بن أبي عمرو، وهو أخو الأعياص لأهمهم — كما مر — وقد كني بابن له
يسمى معيطا لم يعقب. والظالم: المشرك أو الجائر. وعقبة: بدل من الظالم، ووصفه
بالظالم اقتداء بالآية: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾⁽¹⁾. والبذي: أي الفاحش.
والنادم (بالجر): صفة لعقبة — أيضا — أي الحزين المتأسف. والقائل قولا غيا:
أي ضللا وباطلا. وجملة يا ليتني لم أتخذ أييا: بدل من قوله: قولا غيا. وأييا:
مفعول به لأتخذ، ومفعوله الثاني محذوف تقديره: خليلا، وأيي هذا هو أبي بن خلف
بن حذافة الجمحي.

(1) الفرقان: 27.

أشار الناظم رحمه الله إلى الخلاف الذي ذكره أهل السير في نسب أبي عمرو هذا، فقد قيل هو أبو عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، أحد العنابسة، وأمه أمانة بنت حميري بن الحارث اللخمية؛ وتقدم هذا عند قول الناظم: لعبد شمس عمدة.. إلخ، ثم ذكر القول الثاني وهو أنه ليس من ولد أمية وإنما هو ابن لجارية كان أمية قد اشتراها من الشام وهي حبلى فولدت ذكرا فسماه أمية ذكوانا وتبناه، ثم تنووسي التبني وظنت البنوة حتى خلفه على زوجته أمانة بنت أبان بن كليب أم الأعياص - وكان ذلك عادة العرب في الجاهلية - فولدت له أبان بن ذكوان وهو أبو معيط والد عقبة بن أبي معيط الذي يعد من أكبر أعداء رسول الله ﷺ والمؤذنين له. ويؤيد هذا القول ما روي من أن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو هذا لما أسرى يوم بدر ورجع رسول الله ﷺ بالأسرى إلى المدينة وكان بعرق الظبية⁽¹⁾ قدمه للقتل، فأراد عقبة أن يجرض قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حمية له، فقال: أقتل بين قريش صبيرا؟ بين من أنا إذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لست من قريش وإنما أنت من يهود صفورية»⁽²⁾، فقال عمر: "حن قدح ليس منها"⁽³⁾، فأمر صلى الله

(1) عرق الظبية: موضع بطريق بدر من المدينة بين الروحاء وصحيرات اليمام، والظبية: شجرة شبه القتادة يستظل بها - [الروض الأنف].

(2) لأن الأمة التي ولدت جده أبا عمرو كانت ليهودي من أهل صفورية اسمها ترني اشتراها أمية بن عبد شمس وهي حامل فولدت ذكرا فسماه أمية واستلحقه وتبناه فنسب إليه. وصفورية: قرية في فلسطين شمال غربي الناصرة.

(3) أراد التعريض بنسبه وذلك أن القداح في الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلج واليمن فيستعار لذلك ويسمى المنبح، فإذا حرك في الرابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح، فيقال حينئذ: "حن قدح ليس منها"، فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش.

عليه وسلم عليا - وقيل عاصما بن ثابت - بضرب عنقه في الأسر.

وروي - أيضا - أن دغفل بن حنظلة، النسابة المشهور دخل يوما على معاوية - وهو شيخ - فقال له معاوية: من رأيت من عُلَيَّة قريش⁽¹⁾؟ قال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمَيَّة بن عبد شمس، فقال معاوية: صفهما لي، فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه في وجهه نور النبوة وعز الملك تطوف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب، قال: فصف لي أمية، قال: رأته شيخا قصيرا نحيف الجسم ضريرا يقوده عبده ذكوان، فقال معاوية: مه! ذلك ابنه أبو عمرو، قال: ذلك شيء قلموه بعد وأحدثتموه.. وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به.

عقبة بن أبي معيط وأذيته لرسول الله ﷺ

هذا وكان حفيد أبي عمرو هذا، الذي هو عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو من أكبر أعداء رسول الله ﷺ وأشدّهم أذية له صلى الله عليه وسلم؛ فقد وجدته يوما بمكة - أي قبل الهجرة - وهو ساجد فوضع قدمه الخبيثة على رقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفة حتى آذاه، وجر عليه يوما - وهو ساجد - سلا جزور، ووضع يوما سلا شاة في قدر آل رسول الله ﷺ.. إلى غير ذلك من أفعاله القبيحة وأخلاقه الرديئة؛ وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف»، فلذلك قتله بعد يوم بدر دون سائر الأسرى.

وروي أن عقبة هذا كان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويسمع منه، وكان قد هم بالإسلام فمنعه منه أبي بن خلف الجمحي، وكانا خدنين متصافيين؛ وكان مرة قد

(1) يقال: هو من علية قومه (بكسر العين وضمها وبكسر اللام وفتح الياء مشدتين) أي من أهل الرفعة والشرف فيهم.

قدم من سفر فصنع وليمة ودعا إليها بني عبد مناف ودعا رسول الله ﷺ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم، فكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحدًا فنطق بالشهادتين فأتاه رسول الله ﷺ وأكل من طعامه؛ وكان أبي بن خلف غائبًا فلما قدم وعلم بذلك عاتب عقبة، فقال له عقبة: عظم عليّ أن لا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش، فقال أبي: وجهي من وجهك حرام ولا أكلمك ولا أرضي عنك حتى تسير إلى محمد وتبصق في وجهه، ففعل (فرجع بصاقه في وجهه وأحرق خديه وشفتيه؛ فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل لعنه الله، فنزل قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) ﴿ يَوَيْلَئِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ ﴿^(١)، فعضه على يديه: كناية عن شدة الغيظ والحسرة والندامة على ما فرط في جنب الله، إذ أوبق نفسه بالكفر، وأطاع خليله الذي صده عن سبيل الله؛ وقد روي أنه يوم القيامة يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان فيأكلهما، وهكذا.. تحسرا منه على ما فعل [والعياذ بالله]، فعض اليدين وأكل الأصابع وقرع الأسنان كلها كنايات عن التوجع والحسرة والندم. وقوله ﴿ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾: يعني طريقاً في الدنيا إلى الجنة، وهي الإيمان والعمل الصالح؛ وقوله ﴿ يا ويلتى ﴾: دعاء بالويل والثبور^(٢) على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاعة الكافر. وقوله ﴿ لم أتخذ فلانا ﴾: يعني أياً - وقرأ ابن

(١) الفرقان: الآيات: 27-29.

(٢) الويل: حلول الشر، وكلمة يدعى بها لمن وقع في هلكة يستحقها، والثبور: الهلاك والحزن، يقال "دعا بالويل والثبور" أي قال: وا ويلاه وا ثبوره، يقولها إذا هلك أو أصابته مصيبة شديدة.

مسعود: ﴿لم أتخذ أياً خليلاً﴾⁽¹⁾ - وإنما كنى عنهما بالظالم وفلاناً ولم يصرح باسميهما لأن ذلك أبلغ في الفائدة ليعلم أن هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره أن يحملة على معصية الله ويصده عن طاعة الله، ولئلا يكون هذا الوعيد مخصوصاً بهما مقصوراً عليهما؛ بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما. والله در القائل:

تجنب قرين السوء واصرم حباله فإن لم تجدد عنه محيصاً فداره

وقول الآخر:

وصاحب خيار الناس تنج مسلماً وصاحب شرار الناس يوماً فتندهما

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لعقبة بن أبي معيط هذا: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأمكنه الله تعالى منه فقتله، فكذلك فعل بخليله أبي بن خلف.

وقد كان من حديث أبي بن خلف هذا أنه كان إذا لقي النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة يقول: يا محمد إن عندي العوذ⁽²⁾ (يعني فرساً) أعلفه كل يوم فرقاً⁽³⁾ من ذرة أقتلك عليه، فيقول له النبي ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»⁽⁴⁾. فلما كان يوم أحد جاء أبي مع المشركين وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجأ، فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم النبي ﷺ أن يخلوا طريقه؛ قال الزبير: وكانت معي حربة فأخذها مني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير

(1) وفي كتاب أضواء البيان: "ذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة: "ليني لم أتخذ أياً خليلاً" وهو على تقدير ثبوته من قبيل التفسير لا القراءة.

(2) في رواية: العود (بالدال المهملة) وهو اسم فرسه.

(3) الفرق (بفتح الفاء وفتح الراء وتسكن): مكيال يسع اثني عشر - أو ستة عشر - مُدًا.

(4) سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: 3 / 32 - 33.

الشَّعْرَاءُ⁽¹⁾ عن ظهر البعير إذا انتفض، فأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه فيها فوقع عن فرسه صريعا، ولم يخرج من طعنته دم، فارتث من المعركة⁽²⁾ وله حوار وهو يقول: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس، فقال: إنه كان قد قال لي بمكة: أنا أقتلك.. والله لو بصق علي لقتلني. فقفلوا به نحو مكة وهو يقول: والذي نفسي بيده لو أن الذي بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون! ومات عدو الله بسرفٍ (وهو موضع قريب من التنعيم).

قوله أبو الوليد: خبر مبتدأ محذوف، أي وعقبه هذا هو أبو الوليد وعمارة.. إلخ. وعمارة (كثامة). والخضم (بكسر الخاء المعجمة وبشديد الميم): السيد الجواد المعطاء، صفة لعمارة. وأم كلثوم (بالجر): عطف على الوليد. وحليمة: صفة لأم كلثوم، أي زوجة. والبهم (كصدر): جمع بومة (بضم فسكون): الشجاع الذي لا تدري أقرانه من أين تأتيه.

يعني أن من ولد عقبه بن أبي معيط الوليد وعمارة وأم كلثوم، وهم إخوة عثمان بن عفان لأمه، أمهم أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ أسلمت أروى هذه يوم الفتح وتوفيت في خلافة ابنها عثمان عن تسعين سنة ودفنت بالبييع. وكان قد تزوجها عفان فولدت له عثمان وآمنة فمات عنها، ثم تزوجها عقبه بن أبي معيط فولدت له الوليد وعمارة وخالدا وأم كلثوم وأم حكيم وهنداً.

أما الوليد فقد كان من رجال قرش وشعرائهم يكنى أبا وهب، وكان فصيحاً حليماً سخياً؛ ومن سخائه ما روي أن لبيد بن ربيعة (وهو أبو عقيل) كان قد نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر فاتفق أن هبت يوماً والوليد بن عقبه في ناديه، فقيل هبت

(1) هي ذباب صغير له لدع.

(2) أي حمل منها.

رياح أبي عقيل فأيكم يعينه؟ فقال الوليد: أنا، وأرسل إليه مائة بكرة سوداء وأرسل إليه معها أبياتا - مرّ ذكرها - فأجابته بنت لبيد بقولها:

إذا هبّت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الجبال كأن ركباً عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني بابن عقبة أن يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنيّتي إلا أنك استطعمتيه، فقالت: إن الملوك لا يستحيا من مسألتهن، فقال: وأنت يا بنيّتي في هذه أشعرا!

وأسلم الوليد بن عقبة يوم الفتح، واستعمله عثمان على الكوفة، فرفع إليه أنه شرب الخمر فعزله وجلده الحد، فقال الوليد في ذلك:

يا باعد الله ما بيّني وبينكم بني أمية من قريبي ومن نسب
من يكسب المال يحفر حول زيتته وإن يكن عائلا مولاهم يجب⁽¹⁾

ثم سكن المدينة وقيل سكن الكوفة إلى أن قتل عثمان، فخرج يرتاد منزلا حتى أتى الرقة (وهي بلدة بناحية بغداد) فنزلها فأعجبته، فقال: منك المحشر! ولم يزل بها حتى مات في خلافة معاوية؛ وكان قد اعتزل القتال بين علي ومعاوية، ولكنه كان يحرص معاوية، ومن شعره:

بني هاشم إنا وما كان بيننا كصدع الصفا لا يرأب الدهر شاعبه⁽²⁾

(1) الزبية (بالضم): الراية لا يعلوها ماء، ومنه قولهم "بلغ السيل الزبي". والعائل: الفقير. والمولى هنا: ابن العم.

(2) الصدع: الشق في شيء صلب، والصفا: جمع صفاة للصخرة، ورأب الصدع: أصلحه، والشاعب: المصلح.

بني هاشم كيف التقدر عندنا وبزُّ ابنِ أروى فيكم وحوائبه⁽¹⁾
 بني هاشم أدوا سلاح ابنِ أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
 فلا تردوه إلينا فإنه سواء علينا قاتلاه وسالبه

وأما عمارة بن عقبة فقد أسلم يوم الفتح — أيضا — وكان له قدر، سكن الكوفة وبها عقبه، وله يقول أخوه الوليد:

وإن يك ظني باين أمي صادقا عمارة لا يدرك بدخل ولا وتر⁽²⁾
 تضاحك اقتال ابنِ عفان لاهيا كأنك لم تسمع بموت أبي عمرو⁽³⁾

وأما أم كلثوم بنت عقبة، فقد أسلمت قديما وبايعت ثم خرجت إلى المدينة في هدنة الحديبية مهاجرة فرارا بدينها، وكانت هجرتها سبب نزول سورة الممتحنة؛ فقد قدم في طلبها أخواها الوليد وعمارة وطلبا ردها عليهم، فقالت: يا رسول الله أتردني على المشركين فيستحلوا مني ما حرم الله ويفتنوني عن ديني؟! فأنزل الله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۗ﴾⁽⁴⁾، فلم يدفعها رسول الله ﷺ إليهما. وكانت قبل أن تهاجر بلا زوج، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة (الحب)،

(1) التقدر: نيل القدر والتعظيم، والبز: السلاح. وابن أروى: عثمان بن عفان. وحوائبه: جمع حوابة وهي الأخت وال بنت، ويقال أيضا للقرابة من الأم، يقال "لي فيهم حوابة" أي قرابة من أمي؛ وكانت جدة عثمان بن عفان أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم.

(2) بدخل: أي خديعة، وتر: أي ظلم.

(3) أبو عمرو: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقتاله قاتلوه.

(4) الممتحنة: 10.

ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم طلقها فخلف عليها عبد الرحمن بن عوف فولدت له محمداً وإبراهيم وحميذا وإسماعيل الصحابة الفضلاء، ثم مات عنها فتزوجها عمرو بن العاص وماتت عنده. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وأم كلثوم حليلة البهم..

ومن ولد عقبة بن أبي معيط - أيضا - خالد وهو شقيق بنيه المذكورين، كان حسن المذهب، له أثر في حصار عثمان يوم الدار⁽¹⁾، وإليه يشير أزهري بن سحبان بقوله:

يلومونني أن جلت في الدار حاسراً وقد فر منها خالد وهو دارع
ونزل خالد الرقة وأقام بها، وله بها عقب، وإليه ينسب المعيطيون بقرطبة.
ومن ولد الوليد بن عقبة بن أبي معيط: عمرو بن الوليد الذي يقال له: أبو قطيفة، أمه الربيع بنت ذي الخمار من بني أسد بن خزيمه، الشاعر المشهور؛ كان من أمره أنه لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وتمالؤوا مع ابن الزبير على إخراج من بالمدينة من بني أمية وطردهم، كان أبو قطيفة هذا ممن خرج إلى الشام مكرها وأقام به واشتاق المدينة وقال في ذلك أشعرا كثيرة منها:

بكي أحد لما تحمل أهله فكيف بذئ وجد من القوم آلف
من اجل أبي بكر⁽²⁾ جلت عن بلادها أمية والأيام ذات تصارف
ولما طال مقامه بالشام قال:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جنوب المصلى أم كعهدي القرائن

(1) يوم الدار: يعني به يوم قتل عثمان في داره.

(2) أبو بكر: كنية عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وهل أدورُ حول البلاط⁽¹⁾ عوامرٌ
 إذا برقت نحو الحجاز سحابةً
 فلم أتركها رغبةً عن بلادها
 أحسن إلى تلك الوجوه صبايةً
 من الحي أم هل بالمدينة ساكن
 دعا الشوقَ مني برقها المتيامن
 ولكنهُ ما قدر الله كائن
 كآني أسيرٌ في السلاسل كائن

وقال أيضا:

ليت شعري وأين مني ليت
 أم كعهدي العقيقُ أم غيرته
 وباهلي بدلت عكاً ولحماً
 وتبدلت من مساكن قومي
 كل قصر مشيد ذي أواس
 أفر مني السلام إن جنت قومي
 أقطع الليل كله بزفير
 أعلى العهد يلبن فرام؟
 بعدي الحادثات والأيام
 وجداماً وأين مني جذام؟
 والقصور التي بها الآطام
 يتغني على ذراه الحمام
 وقليل لهم لدي السلام
 واكتتاب فما أكاذ أنام .. إلخ.

ولما سمعها ابن الزبير قال: حنَّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله، فمن أتاه فليخبره أنه آمن فليرجع؛ فأخبر بذلك فانكفاً راجعاً إلى المدينة فلم يصل إليها حتى مات.

ولما أنهى الكلام على بني أمية بن عبد شمس شرع يتكلم على بني عمومتهم آل ربيعة بن عبد شمس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَأَذْكَرُ رَيْبَعَةَ لِعَبْدِ شَمْسٍ أَيْضًا أَبَا عَتَبَةَ كَبْشِ الْحُمْسِ

(1) البلاط: موضع قرب المدينة، وهو الذي يعني الوليد بن عقبة في رثائه عثمان بن عفان رضي الله عنه بقوله:

طال ليلي وملني عوادي وتجافى عن الضلوع مهادي
 يوم لاقيت بالبلاط نجادا ليتني مت قبل يوم نجاد .. إلخ.
 ونجاد هذا مولى وهو الذي أخبر الوليد بقتل عثمان.

وَضَعَ كَفَّهُ عَلَى فَمِ النَّبِيِّ إِذْ خَافَ مِنْ إِنْذَارِهِ بِالْغَضَبِ
 حِينَ تَلَا تِلَاوَةَ رَائِقَةٍ آخِرُهَا ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾
 فَقَالَ مَا هَذَا بِسِحْرٍ لَّا وَلَا كَهَانَةٍ فَصَدَّهُ شَرُّ الْمَلَآ
 عَمُرُو عَنِ الَّذِي إِلَيْهِ جَنَحًا وَطَالَمَا بِجَانِحِيهِمْ رَجَحَا

قوله لعبد شمس: متعلق باذكر، أي اذكر ربعة من أبناء عبد شمس. وقوله
 أيضا: أي بعد ذكر ابنه أمية الذي مر. وقوله أبا عتبة (بالنصب): صفة لربعة، أي
 والدُّ عتبة. وكبش (بالجر): صفة لعتبة، والكبش: سيد القوم. والحمس (بضم الحاء
 المهملة): لقب قريش وكنانة، أو لساكني مكة من بني كعب وغيرهم؛ لقبوا بذلك
 لالتجائهم بالحمساء وهي مكة لأن حجرها أبيض إلى السواد، فسموا باسم الأرض
 التي هم عليها؛ وقيل سميت بذلك لحمرة ترابها، وقيل الحمس: جمع أحمس وهو
 الشديد الصلب، مأخوذ من الحماسة التي هي الشدة وسموا الحمس لأنهم اشتدوا في
 دينهم [في زعمهم] وذهبوا في ذلك مذهب التزهيد والتأله.

يقول: ومن ولد عبد شمس بن عبد مناف - أيضا - ربعة بن عبد شمس والدُّ عتبة
 بن ربعة سيد أهل مكة؛ وعتبة هذا هو أبو الوليد عتبة بن ربعة بن عبد شمس بن
 عبد مناف القرشي العبشمي، كان أحد سادات قريش في الجاهلية، وكان من أهل
 الرأي والحلم، وكان خطيبا نافذ القول؛ وكان يقال لم يسد مملق إلا عتبة بن ربعة
 وأبو طالب بن عبد المطلب، فقد سادا بغير مال.

وكان من أول ما ظهر من سيادة عتبة بن ربعة أنه كان غلامًا نشأ يتيما في
 حجر ابن عمه حرب بن أمية بن عبد شمس، الذي كان قائد قريش وكنانة في

حرب الفجار⁽¹⁾، فأراد عتبة الخروجَ معه فردّه حربٌ - استصغاراً له - فأبى فضربه، ثم لم يشعر حرب بخروجه إلا وهو واقف بين الصفين على بعيره ينادي: يا معشر مضر علام تَفَانُونَ؟! فقالت له هوازن: إلى م تدعو؟ فقال: إلى الصلح، قالوا: وكيف؟ قال: ندفع إليكم ديات قتلاكم ونعفو عن دمائنا، قالوا: ومن لنا بهذا؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قالوا: رضينا. فرضيت كنانة ودفعت إلى هوازن أربعين رجلاً رهنا فيهم حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن بأيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوا الرهائن وانقضت حرب الفجار. فمن ذلك اليوم ظهرت مبادئ سيادة عتبة بن ربيعة في قريش، فكانوا بعد ذلك يقدرونه ويقدمونه للأمور العظام، والخطوب الجسام.

(1) الفجار (بكسر الفاء وتخفيف الجيم): بمعنى المفاجرة (كالقتال والمقاتلة)، وسميت "حرب الفجار" لأن العرب فحرت فيها، فأوقعتها في الأشهر الحرم. وهي فجاران: أما الفجار الأول فثلاثة أيام، الأول بين كنانة وقيس، وقد تحاور فيه الحيان فرأوا أن الخطب يسيرٌ فترجعوا ولم يقع قتالٌ، والثاني: بين قريش وكنانة، وقيس وقعت بينهم دماء يسيرة، وتوسط فيه حرب بن أمية بين الفريقين فتوقفوا، والثالث بين كنانة وقيس وقد أصلح بينهم عبد الله بن جدعان، فلم يقع فيه قتال.

وأما الفجار الثاني فخمسة أيام في خمس سنين: الأول والثاني والثالث: لقيس عيلان على كنانة وقريش، واقتلوا فيها قتالا شديداً؛ والرابع: لكنانة وقريش على هوازن، وهو الذي قيدت فيه العنابس بنو أمية بن عبد شمس أنفسها لثلاث ترح المكان حتى تظفر أو تهلك، واقتلوا فيه قتالا شديداً. وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم وسنه أربع عشرة سنة، وقيل عشرون، وحضر من أعمامه: حمزة والعباس وأبو طالب والزبير بنو عبد المطلب، وكان الزبير يومئذ قائد بني هاشم. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كنت أنبل عن أعمامي أو عمومي». والخامس كان لقيس على كنانة وقريش واقتلوا فيه أولاً ثم تداعوا إلى الصلح فرهنت قريش منها رجالاً لقيس، ثم لما رأت قيس ما فعلت قريش أطلقت الرهائن وانصرف الناس بعضهم عن بعض، ووضعوا الحرب بينهم.

وقوله وضع كفه.. إلخ: الضمير في كفه عائد على عتبة. وفاعل كل من وضع وخاف وقال وجنح: ضمير مستتر عائد على عتبة أيضا. والضمير البارز في إنذاره والمستتر في تلا: عائدان على النبي ﷺ، والإنذار: هو الإخبار بشيء فيه تخويف من شيء قبل وقوعه بزمن يمكن فيه الاحتراز منه. والمراد بالغضب هنا غضب الله تعالى وانتقامه [استعذنا بالله منهما]. والتلاوة الرائقة: المعجبة للسامع. والصاعقة (في الأصل): صوت شديد في الجو تكون منه نار، أو هي نار تسقط من السماء في رعد شديد لا تمر بشيء إلا أحرقته أو أثلفته. والسحر (في الأصل): ما لطف مأخذه ودق، والمراد هنا ما يسلب العقل ويوقع في الفتنة. والكهانة (بفتح الكاف): الإخبار بالغيب وتعاطي خبر الكائنات في المستقبل؛ والكاهن هو من يدعي معرفة الأسرار وأحوال الغيب؛ وكانت الكهانة ظاهرة موجودة آنذاك فأبطلها الله عز وجل بمبعث النبي ﷺ. وصدده: منعه وصرفه، والضمير فيه عائد على عتبة. وشر الملا: فاعل صدده، والملا: أصله الملاء (كجبل) وهو في الأصل الجماعة ويطلق على أشرف القوم الذين يملأون العيون أبهةً والصدور هيبة، والمراد به هنا الناس. ويعني بشر الملا: أبا جهل، أي شر الناس؛ وأصله/أشهرهم أي أكثرهم شرا، فهو أفعل تفضيل حذفتْ همزته لكثرة الاستعمال (كخير الناس)، قال ابن مالك في الكافية:

وغالبا أغناهمُ خير وشر عن قولهم: أخير منه وأشر

والشر: نقيض الخير، فهو اسم جامع لأنواع الرذائل. وقوله عمرو (بالرفع): بدل من شرُّ الملا، وهو أبو جهل بن هشام. وجنح إلى الشيء: مال إليه. وقوله وطالما بجانحهم.. إلخ: أي كثر ما يميل أبو جهل بالجائحين من قريش إلى الإسلام عنه، أي يصددهم عنه ويغلب على رأيهم برأيه المشؤوم؛ من ذلك صدده لعتبة هذا وصدده لعمه الوليد بن المغيرة - كما مر - وصدده لأبي طالب عند موته؛ ومن ذلك - أيضا - أنه كان إذا سمع بالرجل قد أسلم: إذا كان ضعيفا ضربه وأغرى به، وإذا كان له شرف

ومنة أنبه وخزاه⁽¹⁾ وقال له: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك ولنُقيلن⁽²⁾ رأيك ولنضعن شرفك؛ وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.. إلى غير ذلك.

جهد عتبة في إحباط دعوة النبي ﷺ

وماصل ما أشار إليه الناظم هنا من خبر عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ، أن قريشا اجتمعت يوما في بعض أنديةها وتذاكرت خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأت إسلام عمر وحمزة، وأن أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وسب أهتنا وعاب ديننا فليكلمه، ولننظر ما ذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقام عتبة إلى رسول الله ﷺ وهو جالس بالمسجد وحده فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة⁽³⁾ في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها، فقال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع» قال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رثيا⁽⁴⁾ تراه لا تستطيع رده عن

(1) أنبه: عنفه ولامه، وخزاه: أوقعه في الخزي والفضيحة.

(2) قال رأيته: أخطأ وضعف، وقيل رأيته: خطأه وضعفه وقبحه.

(3) البسطة: الفضيلة.

(4) الرثي: (كغني، وقد يكسر): مس الجن، يقال به رثي من الجن أي مس، والمراد هنا: جني يريه كهانة أو يلقي على لسانه شعرا.

نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبتلك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

فلما فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «اسمع مني» قال: أفعل. فأنصت عتبة له وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه، فقرأ رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بِشِيرًا وَنَدِيرًا..﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٤﴾﴾⁽¹⁾، فلما سمع عتبة ذلك بهرة فوضع يده على فم النبي ﷺ وهو يقول: سمعتُ سمعتُ.. ويناشده بالله والرحم أن يكف، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت؟ فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به؛ فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط! فوالله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة⁽²⁾، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي: خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه

(1) فصلت: الآيات: 1 - 13.

(2) وروي - أيضا - أن خالد بن عتبة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ علي القرآن، فقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فقال له: أعد، فأعاد.. فقال له: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشرًا وإنه ليعلو ولا يعلى. وروي أن ضمادا بن ثعلبة الأزدي لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه.." إلخ،

فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ.. فإن تصبّه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، ولقد أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، وقد علمتم أنه إذا قال لم يكذب. فقال أبو جهل: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال عتبة: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم. (وإنما أنذروا بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم، لأن قريشا كانوا يمرون في أسفارهم على بلاد عاد وثمود ويشاهدون آثارهم ويعلمون شيئاً من أخبارهم وسبب هلاكهم).

وقد قال صلى الله عليه وسلم في عتبة هذا يوم بدر - وقد رآه على جمل أحمر -:
 «إن يكن فيهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا»⁽¹⁾، وكان قد طلب من قريش الرجوع عن قتال المسلمين ببدر لما أتاهم رسول أبي سفيان بن حرب بالرجوع، فامتنع أبو جهل.

----->>

قال: والله لقد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة وسمعت قول الشعراء.. فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فوالله لقد بلغت ناعوس البحر، يعني وسطه. وروي أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فاصدع بما تؤمر...﴾ - الآية - فخر ساجداً فقيل له: لم سجدت؟ قال: سجدت لفصاحة هذا القول. وروي أن النضر بن الحارث، الذي قتل كافراً بعد وقعة بدر، قال لقريش يوماً: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتهم ساحر، لا والله ما هو بساحر. ولقي الأحنس بن شريق أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب محمداً قط. وسأل هرقلُ عنه أبا سفيان، فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. وكل هذا شهادة من أعدائه صلى الله عليه وسلم - وإن كان بعضهم وهو القليل أسلم بعد [والحق ما شهدت به الأعداء].

(1) أخرجه أحمد.

وَهُوَ أَبُو أَبِي حُذَيْفَةَ الذَّرْبِ لَيْسَ لَهُ وَلَا لِسَالِمٍ عَقِبٌ
 مَوْلَاهُ وَهُوَ فَارِسِيٌّ نَجْرًا وَقَدْ تَبَّنَاهُ فَكَانَ بَحْرًا
 وَزَوْجُهُ سَهْلَةٌ أَرْضَعَتْ عَلِيَّ كِبْرَهُ مَوْلَاهُ ذَا وَجُعِلَا
 إِرْضَاعُهَا بَعْدَ رِضَاعَا مُعْتَبَرٌ أَوْ هُوَ رُخْصَةٌ وَمَا حُكْمًا نَشَرُ
 أَلْقِيَ إِرْثُهُ عَلَى مُعْتَقَتِهِ فَأَمَّ رَتْ بِجَعْلِهِ بِرُمَّتِهِ
 فِي بَيْتِ مَالِ الْحَنْفَا أَنْ كَانَا مُسَيَّبَ الْعَتِقِ فَلَا يُدَانِي

قوله وهو: أي عتبة بن ربيعة الذي مر ذكره. وأبو: أي والد أبي حذيفة بن عتبة. والذرب (ككتف): الفصيح اللسان. وهو: صفة لأبي حذيفة. والضمير في له: عائد على أبي حذيفة. ومولاه: صفة لسالم، والضمير فيه عائد على أبي حذيفة، أي ليس لأبي حذيفة ولا لمولاه سالم عقب؛ وقد كان سالم مولياً لأبي حذيفة بالصحبة والحلف والنصرة لا بالعتق. وقوله وهو: أي سالم. وفارسي نسبة إلى فارس (وهم أمة معروفة). والنجر: الأصل كالنجار. وتبناه: اتخذه ابناً. فكان — أي سالم — بحراً: أي عالماً كريماً كثير المعروف. وزوجه (بالرفع): مبتدأ. والضمير فيه عائد على أبي حذيفة. وسهلة: بدل من زوجه. وجملة أرضعت .. إلخ: خبر عن قوله زوجه. ومولاه: مفعول به لأرضعت، والمجرور قبله صفة له متقدمة عليه - وفيه الإضمار قبل الذكر وهو جائز - يعني أن سهلة هذه أرضعت سالماً مولياً لأبي حذيفة على كبر سنه. وقوله رضاعاً معتبراً: أي ينشر الحرمة؛ ووقف عليه بوقف ربيعة⁽¹⁾. والرخصة: التسهيل في الأمر والتيسير،

(1) يقفون على المنصوب المنون بالسكون، كقول الشاعر:

ألا حبذا نعم وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هانماً دنف

يقال: له في هذا الأمر رخصة⁽¹⁾. وقوله وما حكما نشر: أي لم ينشر الحرمة.

وأبو حذيفة هذا هو مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه أم صفوان فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز الكنانية، وقد اختلف في اسمه، فقيل مهشم⁽²⁾ - كما مر - وقيل قيس، وقيل هشيم، وقيل هاشم، وقيل اسمه كنيته، وقيل غير ذلك.. أسلم رضي الله عنه قديما قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ وكان من فضلاء الصحابة جمع الله له الفضل والشرف، وصلى إلى القبلتين وهاجر المهجرتين فكان من المهاجرين الأولين؛ هاجر بامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك محمداً بن أبي حذيفة، ثم قدم على النبي ﷺ بمكة وأقام بها، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد بعدها؛ واستشهد يوم اليمامة في قتال أهل الردة تحت راية المهاجرين. وانقطع عقبه رضي الله عنه.

تنبيه: ولد لأبي حذيفة هذا محمداً بن أبي حذيفة، وكان مولده بأرض الحبشة على عهد رسول الله ﷺ، أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو، أخي بني عامر بن لؤي، ثم كفله عثمان بن عفان بعد موت أبيه وانفق عليه سنين؛ فلما قاموا على عثمان كان من أشد الناس تأليفاً عليه، ولما قتل عثمان فرَّ محمداً بن أبي حذيفة إلى الشام فلقبه رشيداً مولى معاوية فقتله؛ وقيل كان مع علي بن أبي طالب وولاه مصر، ثم عزله عنها وولى مكانه قيس بن سعد بن عبادة. وقتل محمداً هذا عن غير عقب، وموته انقرض عقب أبي حذيفة، بل وعقب أبيه عتبة بن ربيعة

(1) وهي في الشرع الانتقال من صعوبة إلى سهولة مع بقاء السبب الأصلي، تارة تكون واجبة كأكل الميتة للمضطر، وتارة مندوبة كقصر الصلاة في السفر، وتارة خلاف الأولى كفطر المسافر الذي لا يشق به الصوم.

(2) وقيل إن مهشما هو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

إلا من ابنه الوليد. وقد يتبادر من عبارة الناظم ليس له ولا لسالم عقب نفى عقب أبي حذيفة من أصله، وليس هو المراد لشهرة ابنه محمد هذا، بل المراد أنه انقطع عقبه بموت ابنه محمد. والله أعلم.

سالم مولى أبي حذيفة والقول في رضاعة الكبير

أما مولاه فهو أبو عبد الله سالم بن معقل، وقيل سالم بن عبيد بن ربيعة الفارسي الأصل، الأنصاري بالولاء المهاجري بالحلف والتبني؛ أصله من أهل إصطخر، وقيل من عجم الفرس، ثم كان مولى لثبيثة⁽¹⁾ بنت يعار (بفتح الياء) بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارية الأوسية، فأعتقته سائبة (أي على أن لا ولاء لها بل للمسلمين جميعاً)، ولما أعتقته قالت له: أنت سائبة وال من شئت؛ فوالى أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، فتبناه حتى نسب إليه إلى أن نزل قوله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم﴾⁽²⁾ - الآية - ردّاً إلى أبيه وقيل له سالم مولى أبي حذيفة. ولما نزلت هذه الآية جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو - زوج أبي حذيفة - إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وقد بلغ ما يبلغه الرجال وعقل ما عقلوه، وكان يدخل عليّ وأنا فضل⁽³⁾ وليس لنا إلا بيت واحد، وإنني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً؛ فقال لها رسول الله ﷺ: «أرضعيه تحرمي عليه ويذهب ما في نفس أبي حذيفة»، وفي رواية أنه قال لها:

(1) اختلف في اسمها فقيل عمرة، وقيل سلمى، والمشهور ثبيثة؛ كانت من المهاجرات الأول، ومن فضيلات نساء الأنصار - [الاستبصار] - وكانت تحت أبي حذيفة، ولذا لما أعتقت سالماً حالف زوجها.

(2) الأحزاب: 5.

(3) الفضل (بضمين): اللابسة ثوب النوم، والمتفضلة: التي في ثوب واحد.

«أرضعيه خمس رضعات»⁽¹⁾ ففعلت؛ فكانت بعد ذلك تراه ابناً من الرضاعة. فأخذت بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبه قال ابن عطاء والليث؛ وكانت عائشة تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر وبنات أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وجعلاً إرضاعها بعد رضاعاً معتبراً..

وقد أبي سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد، وقلن ما نرى الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل إلا رخصة في رضاعة سالم وحده. ولم تزل أزواجه صلى الله عليه وسلم — غير عائشة — على ذلك من أنه لا ينشر الحرمه؛ وهو مشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله. وإلى ذلك أشار بقوله.. أو هو رخصة وما حكما نشر.

وكان أبو حذيفة بن عتبة قد زوج مولاه سالماً هذا من بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكانت من المهاجرات ومن أفضل أيامي قريش، ولم يعقب رضي الله عنه. وكان من فضلاء الموالي وخيار الصحابة وكبارهم وقرائهم، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ؛ وكان بيده لواء المهاجرين يوم اليمامة، فقيل له: إنما يؤتى الجيوش من قبل راياتها، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن فررت!؛ فلم يزل قائماً بيده اللواء حتى قطعت يمينه، فأخذه بيساره فقطعت، فاعتنقه وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَئِنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا

(1) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد، وكانت قد أرضعته وهو ذو الحية؛ وروي أنها حلبت له في مسعط وشرب اللبن، ذكره محمد بن حبيب — [الروض الأنف].

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ — الآية — حتى صرع، فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ قيل: قتل، قال: فأضحجوني بجانبه؛ وقيل لما قتل وُجد أحدهما عند رجلي الآخر. وكان ذلك سنة اثني عشرة للهجرة.

وقوله ألقى إرثه .. إلخ: الضمير في إرثه وفي معتقته عائد على سالم، أي عُرض متروكه على معتقته ودفع إليها ولكنها أبت عنه وامتنعت منه وقالت: إني كنت قد سيّته لله. وقوله برؤمته (بضم الراء وتشديد الميم): أي جميعه⁽²⁾. والحنفاء: الصحابة. وقوله أن كانا (بفتح الهمزة): أي لأجل أن كان مسيب العتق (بصيغة اسم المفعول): أي الذي أعتق على أن لا ولاء لمعتقه. وقوله فلا يداني (بضم الياء): أي لا يقرب ماله بالإرث بالولاء، لأن ميراثه للمسلمين كافة.

وحاصل ما أشار إليه الناظم أن سالما مولى أبي حذيفة هذا لما استشهد يوم اليمامة أرسل أبو بكر ميراثه إلى معتقته ثبته بنت يعار الأوسية فلم تقبله، ثم أرسله عمر إليها، فقالت: كنت قد سيّته لله، فجعله عمر في بيت المال. وقد قيل إن عمر أرسل ميراث سالم هذا إلى أمه؛ وقيل إنه لما كان مسيب العتق أوصى بثلث ماله في سبيل الله، وثلثه في الرقاب، وثلثه لمواليه⁽³⁾. والله أعلم.

(1) آل عمران: 144.

(2) وفي المثل "أخذه برمته" أي بجملته، والرمة: القطعة من الحبل البالية؛ وأصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بجبل في عنقه، فقيل لكل من دفع أو أخذ شيئا بجملته: "دفعه إليه برمته" و"أخذه منه برمته".

(3) اختلف الأئمة والعلماء فيمن لم يخلف من ورثته عصباً ولا ذا فرض، فقد روي عن أحمد أن وصيته جائزة بكل ماله، وثبت ذلك عن ابن مسعود، وبه قال عبيدة السلماني ومسروق وإسحاق وأهل العراق، وأن المنع من الزيادة على الثلث إنما كان لتعلق حق الورثة به بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إنك إن تركت ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»، وقيل لا يجوز له أن يوصي إلا بالثلث، وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وابن شبرمة، وروي أيضا عن أحمد. [راجع المغني لابن قدامة المقدسي: 516/8].

وفي قول الناظم: **فأمرت يجعله..** إلخ تجوزُ لما فيه من إسناد الأمر بجعل الإرث المذكور في بيت المال إلى مولاة سالم، لأن الذي أمر بجعله في بيت المال هو عمر بن الخطاب، ولكن لما كان في امتناعها من أخذ الإرث وقولها: أعتقته سائبة أمر ضمني بجعله في بيت المال، أسنده إليها مجازاً. والله أعلم.

وكان سالم هذا يذكر في الأنصار لعتق ثبينةَ إِيَّاه، وفي المهاجرين لتولي أبي حذيفة له وتبنيه إياه بعد العتق، وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

يعد للأنصار بالولاء وللمهاجرين للجلاء

ولعله يعني بالجلاء الهجرة والإقامة فيهم ومحالفة أحدهم. والله أعلم.

فائدة: من قال لعبده أنت سائبة وقصد به العتق وعَتَقَ وولأوه للمسلمين، وإن لم يقصد به العتق فلا يعتق، بخلاف ما لو قال له: أنت حرٌّ سائبة أو معتق سائبة أو مسيَّب، فإنه يكون حراً وإن لم يرد العتق. واختلف الفقهاء المالكيون في العتق بلفظ السائبة فقليل يكره لأنه من ألفاظ الجاهلية، وقليل يجوز وقليل يمنع، والمعتمد من الخلاف الكراهة. وقد أبطل التسيب في العتق كثيرٌ من العلماء عملاً بحديث ابن مسعود «لا سائبة في الإسلام»⁽¹⁾، وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذاً بعموم حديث «الولاء لمن أعتق»⁽²⁾، وجعلوا ميراثه لمسيبه إن لم يكن له وارث؛ ورأى الإمام مالك أن التسيب والعتق حكمان مختلفان وأن ولاء السائبة لجماعة المسلمين لا لمن سيبه، وأن متروكه يجعل في بيت المال لأن منفعتة عامة للمسلمين، وهذا إن لم يكن له وارث أيضاً وإلا ورثه. والله أعلم.

(1) أورده القرطبي دون عزو [ج/6ص/341].

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

ومن ولد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الوليد بن عتبة وبه كان يكنى، وانقطع عقب عتبة إلا منه؛ قتل يوم بدر كافرا مع أبيه وعمه في البراز، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله عقبٌ بالشام.

ومن ذرية عتبة - أيضا - هندُ بنت عتبة الصحابيةُ المشهورةُ أمُّ معاوية وعتبة ابني أبي سفيان بن حرب، كانت ذات شرف وعز وأنفة، أمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية. وقد تزوجت هند هذه بحفص بن المغيرة المخزومي فولدت له أبا بن حفص، ولعله هو بكرها الذي تعني بقولها:

ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري

ثم تزوجها بعد حفص الفاكه، وجرى له معها ما مرَّ في قوله: والفاكه اتهم هندا.. إلخ، ففارقت؛ ثم خطبها أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال أبوها عتبة مخاطبا لها:

أناك سهيل وابن حرب وفيهما رضى لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع⁽¹⁾
فدونك فاختاري وأنت بصيرة ولا تخدعي إن المخادع يخدع

فاختارت أبا سفيان، فتزوجها فولدت له عتبة ومعاوية وجويرية وأم الحكم. وكان يقال في هند بنت عتبة هذه: لم تر امرأة لها أربعة إخوة وعمان شهدوا بدرا كلهم إلا هند: أخوان وعم من المسلمين، وأخوان وعم من المشركين؛ فالأخوان المسلمان أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير، والعم المسلم عمرو بن الحارث - أخو عتبة

(1) مُرْزَأُ (بوزن مُعْظَم): كريم سَخِي، والسْمِيدِع (بالدال المهملة والمعجمة): السيد الكريم، والشريف الشجاع.

لأمه -، والأخوان المشركان الوليد بن عتبة وأبو عزيز بن عمير، والعم
المشرك شيبه بن ربيعة⁽¹⁾.

وأخبار هندَ وزوجها أبي سفيان قبل الإسلام مشهورة؛ وأسلما يوم الفتح
وحسن إسلامهما رضي الله عنهما. وكان من حديث إسلامها أنها جاءت في نسوة
من قريش إلى النبي ﷺ وهو على الصفا وعمر دونه على العقبة ليبايعنه على
الإسلام، فجعل عمر يكلمهن عن رسول الله ﷺ؛ فلما أخذ عليهن ﴿أَنْ لَا
يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، قالت هند: قد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأغنى
عنا، فلما قال: ولا يسرقن، قالت: وهل تسرق الحررة؟ ثم قالت: يا رسول الله إن
أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي، فقال: «أخذي
ما يكفيك وولديك بالمعروف»⁽²⁾، ثم قال: «إنك لأنت هند»؟ قالت: نعم.. فاعف
عني يا رسول الله قال «عفا الله عنك» - وكان أبو سفيان حاضرا فقال: أنت في
حل مما أخذت - فلما قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، قالت: وهل تزني
الحررة يا رسول الله؟ فلما سمعت: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾،
قالت: والله قد ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك بيد كبارا،

(1) وفي الزبيري: أن مصعبا وأبا عزيز ابني عمير ليسا أخوي هند بنت عتبة، لأن هند أمها صفية بنت أمية بن
حارثة بن الأوقص السلمية، وأم مصعب وأبي عزيز خناس بنت مالك بن المضرب بن أهيب بن عمرو بن
حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لوي العامرية، وإنما هما أخوا أخويها: أبي هاشم وأم أبان ابني عتبة
بن ربيعة لأم؛ وأما حذيفة بن عتبة فأخوها لأب لأن أمه أم صفوان فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز
الكنانية وهي أيضا أم أخيه حفص بن عتبة؛ وأما عمها عمرو فهو عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي
شداد بن ربيعة بن هلال الفهري الهلالي أخو عتبة وشيبة ابني ربيعة لأمهما، أمهم هند بنت المضرب بن
أهيب عمه خناس بنت مالك بن مضرب المذكورة؛ وأما الوليد بن عتبة فثقيق هند.

(2) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فضحك عمر من قولها حتى مال ؛ فلما قال: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ ، قالت:
بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأحسن ما دعوت إليه.

وتوفيت هند في خلافة عمر هي وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق في يوم
واحد، وقيل توفيت في خلافة عثمان. والله أعلم.

لَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ تَكُ الْخِلَافَةَ سُورَى وَمَسْجِدُ ذَوِي النَّظَافَةِ
هُوَ إِمَامٌ أَهْلِهِ قَبْلَ الْأَمِينِ وَعَدَّةٌ فِي الْقَارِئِينَ الْمُتَّقِينَ
بِالْأَخْذِ مِنْهُمْ أَمَرَ النَّبِيُّ: قَعِيدُهُ مُعَاذَةُ أَبِي
وَسِتَّةُ الشُّورَى عَلِيٌّ سَعْدُ عُثْمَانُ طَلْحَةُ الزُّبَيْرُ بَعْدُ
وَنَجْلُ عَوْفٍ وَمَعَ الْقَوْمِ حَضْرُ . وَلَا يَكُونُ مِنْ ذَوِيهَا . ابْنُ عُمَرَ

قوله لو كان حيا: اسم كان ضمير مستتر عائد على سالم المحدث عنه، وحيا:
خبرها. وشورى (بضم الشين المعجمة): أي متشاورا فيها. وقوله ومسجد ذوي
النظافة: مبتدأ خبره جملة هو إمام أهله.. إلخ، والنظافة: الطهارة من القدر والنجس
والنقاوة من الوسخ والدنس؛ والمراد به مسجد أهل قباء⁽¹⁾ الذي مدح الله تعالى أهله

(1) قباء: مسكن بني عمرو بن عوف، وهو على فرسخ من المدينة، وهو اسم بئر عرفت القرية بها،
وبها مسجد من أشهر وأعظم المزارات بالمدينة المنورة، تستحب زيارته وصلاة ركعتين فيه
وخصوصا يوم السبت، لما رواه البخاري والنسائي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا أو ماشيا. وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزور قباء، أو يأتي قباء راكبا أو ماشيا، وروى الترمذي أنه صلى الله عليه
وسلم قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة»، وكان عبد الله بن عمر يفعل ذلك؛ وعن عائشة
بنت سعد بن أبي وقاص قالت: سمعت أبي يقول: لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من
أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل.

بقوله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾⁽¹⁾.
وأهل قباء هم بنو عمرو بن عوف. وقوله قبل الأمين: أي قبل قدومه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بل وقبل بناء المسجد، والأمين: من أسمائه صلى الله عليه وسلم.

أشار الناظم — رحمه الله — إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طعن: لو كان سالم حيا ما جعلت الخلافة شورى وقلت لربي إن سألتني سمعت نبيك يقول: «إن سالما شديد الحب لله تعالى»؛ قال أبو عمر: ومعناه أنه كان يصدر عن رأيه فيمن يوليه الخلافة، وروي أيضا أنه قال: "لو كان أبو عبيدة حيا ما تركت الأمر شورى"، وفي رواية: "لو أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فإن سألتني الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة»⁽²⁾.

وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الثناء على سالم مولى أبي حذيفة، وقد هاجر سالم هذا من مكة إلى المدينة في نفر من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد، فكان يؤمهم في السفر لأنه كان أكثرهم قرآنا، ولما قدموا المدينة نزلوا بالعصبة⁽³⁾ إلى جنب قباء، فكان سالم يؤم المهاجرين ومن معهم بقباء قبل قدوم النبي ﷺ لأنه كان أقرأهم؛ حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل بأهل قباء وأسس مسجدها على التقوى وأقام فيهم أربعة أيام، وقيل بضع عشرة ليلة. وإلي هذا أشار الناظم بقوله: ومسجد ذوي النظافة.. إلخ،

(1) التوبة: 108.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) العصبة (بفتح العين وتضم): منزل بني جحججا غربي مسجد قباء — [وفاء الوفاء].

وفي كلامه - رحمه الله - تجوز لأن مسجد قباء إنما بُنيَ بعد مقدم الأمين ﷺ المدينة مهاجراً، ولكن لما كان سالم يؤم المهاجرين ومن معهم قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي بني به هذا المسجد فيما بعد، أطلق عليه أنه كان إمام أهل هذا المسجد مجازاً. والله أعلم. قوله وعده: فاعله ضمير مستتر عائد على الأمين ﷺ، وضمير المفعول به عائد على سالم. وقوله بالأخذ منهم: متعلق بأمر. وقعيده (بالرفع): خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهم قعيده.. إلخ، وهذا الضمير المقدر عائد على القارئ، وكذلك الضمير في بالأخذ منهم؛ والقعيد (كأمير): المجالس، وأراد به عبد الله بن مسعود لأنه صاحب السواد - كما مر - وأضافه لضمير الأمين صلى الله عليه وسلم إضافة تشریف، كما فعل في معاذ وهو ابن جبل؛ وسيأتي التعريف بهم في محله من النظم إن شاء الله.

وقد أشار - رحمه الله - بذلك إلى ما في الاستيعاب في ترجمة سالم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وابن مسعود»⁽¹⁾. وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: احتبست على رسول الله ﷺ فقال: «ما حبسك؟» قالت: سمعت قارئاً يقرأ.. فذكرت من حسن قراءته؛ فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: «الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا»⁽²⁾.

ولما أشار رحمه الله إلى قول عمر في سالم: لو كان حياً ما جعلت الخلافة شورى، استطرد ذكر الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى فقال: وستة الشورى.. إلخ، والشورى (بضم المعجمة وتشديد هاء): اسم بمعنى التشاور. وقوله ومع القوم:

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، والإمام أحمد في مسنده.

متعلق بمحضر. وابن عمر: فاعل حضر. وجملة: لا يكون من ذويها: اعتراضية. واسم لا يكون: ضمير مستتر عائد على ابن عمر؛ وفيه الاضمار قبل الذكر، وهو شائع. وخبر لا يكون: المجرور بعدها، والضمير فيه عائد على الخلافة. يعني أن عمر أمر أهل الشورى بأن يحضروا معهم ابنه عبد الله ليستعينوا برأيه بشرط أن لا يكون له حظ في الخلافة؛ وقد روي أنه قيل له: مالك في ابن عمر؟ فقال: يكفي آل الخطاب رجل واحد من الحساب.

الستة أصحاب الشورى

ولما طعن عمر رضي الله عنه وعلموا أنه لا يعيش، قال له سعيد بن زيد: إنك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنتك الناس، فقال: والله لا أتحملها حيا وميتا، ولقد رأيت من أصحابي حرصا سيئا، وإنني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة بقية العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فمن استخلفوا فهو الخليفة. وضرب لهم ثلاثة أيام للتشاور وقال: لا يأت عليكم اليوم الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم - يعني من هؤلاء الستة - بعد التشاور والاتفاق عليه؛ وكان طلحة يومئذ غائبا، فقال: إن لم يجئ طلحة فيها فيختار الخمسة غيره خليفة؛ وجعل ابنه عبد الله مُمشيرا وليس له في الأمر شيء، وأمر المسور بن مخرمة في ثلاثين من الأنصار أن يقوموا على بابهم، وقال لهم: إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام وإلا فاضربوا رقاب الكل فلا خير للمسلمين فيهم، وإن افترقوا فرقتين فالفرقة التي فيها ابن عوف؛ وأوصى أن يصلي صهيبة بالناس في تلك الأيام الثلاثة.

فتداول القوم في شأن الخلافة، فأخرج ابن عوف منها نفسه - أي من الطلب بها - ثم آل أمرهم إلى اختيار عثمان بن عفان، في قصة طويلة مشهورة؛ فبايعه ابن

عوف وبقية النفر ثم بايعه الناس جميعاً.

أما علي وعثمان فقد تقدم التعريف بهما. وأما سعد فهو الصحابي الجليل أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كان سابع سبعة في الإسلام؛ أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وفي ذلك يقول:

ألا هل أتى رسول الله أني هميت صحابتي بصدور نبلي
أذود بها عدوهم ذياداً بكل حزونة وبكل سهـل
فما يعتد رام من معد بسهم في سبيل الله قبلي

وكان - رضي الله عنه - أحد فرسان وشجعان قريش الذين كانوا يجرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، وكان يقال له: فارس الإسلام، وهو الذي تولى قتال فارس فكان فتح القادسية على يده، وهو الذي فتح مدائن كسرى وكوف الكوفة (أي بناها) وجعلها خططا لقبائل العرب وابتنى بها داراً وكثرت فيها الدور وظل أميراً عليها من طرف عمر مدة، ثم ولأه عثمان زمناً ثم عزله فعاد إلى المدينة؛ ولما قتل عثمان عرضت عليه الخلافة فامتنع منها، ثم قعد ولزم بيته في الفتنة. وقد تقدمت نبذة من ترجمته عند قول الناظم: ومنه سعد بن أبي وقاص .. إلخ.

وأما طلحة فهو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، كان أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وقد بعثه رسول الله ﷺ قبيل وقعة بدر هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار، فقدموا المدينة يوم وقعة بدر فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين في الغنيمة وأجرهما. وشهد طلحة أحداً، وثبت مع النبي ﷺ وبايعه على الموت وأبلى فيه بلاءً حسناً ووقى النبي ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت

في الذب عنه وأصيب بأكثر من عشرين جرحاً، وشهد ما بعد أخذ من المشاهد؛ وكان من الشجعان البارزين. وكان رضي الله عنه جواداً، فعن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه، وكان قد اشترى بئر نعمان وتصدق بها على أهل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أنت يا طلحة إلا فياض»، فمن ذلك لقب طلحة بالفياض، وطلحة الخيبر، وطلحة الجود، وكلها ألقاب لقبه بها رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة، فقد لقبه بطلحة الخيبر يوم أحد وطلحة الفياض يوم العشرة وطلحة الجود يوم حنين. وتزوج رضي الله عنه أربع نسوة عند النبي ﷺ أخت كل واحدة منهن، وهن أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة. وتوفي - رضي الله عنه - في وقعة الجمل - كما مر - وهو بجانب الزبير وعائشة رضي الله عنهم سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة»⁽¹⁾.

وأما الزبير فهو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أسلم رضي الله عنه وله اثنتا عشرة سنة وهاجر المجرتين، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وكان من الشجعان المشهورين، وأول من سل سيفاً في الإسلام؛ وكان على بعض الكراديس باليرموك. وكان موسراً كثير المتاجر

(1) أخرج ابن ماجه نحوه، ورواه ابن عبد البر بهامش الإصابة: 2 / 221.

مجدوداً⁽¹⁾ خلف أملاكاً كثيرة ؛ وكان قد أوصى إليه نفر كبير من الصحابة منهم عثمان والمقداد وابن مسعود وابن عوف وأبو العاص بن الربيع.. فكان يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله ؛ ومن أوصى إليه مطيع بن الأسود، وروي أنه لما أوصى إليه أبي، فقال له مطيع: أسألك بالله والرحم إلا ما قبلت فإني سمعت عمر يقول: إن الزبير ركن من أركان الدين.

وكان رضي الله عنه قد حضر وقعة الجمل ثم انصرف عنها راجعاً إلى المدينة على فرس له، فتبعه عمرو بن جرموز التميمي فقتله غدرا بموضع يعرف بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة سنة ست وثلاثين عن بضع وستين سنة (كما مر). وفيه يقول حسّان بن ثابت الأنصاري:

أقام على هدي النبي وعهده	حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي وليّ الحق والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل ⁽²⁾
وإن امرأً كانت صفية أمه	ومن أسد في بيته لمرفل ⁽³⁾
له من رسول الله قربي قريبة	ومن نصره الإسلام مجد مؤثل ⁽⁴⁾

(1) المجدود: ذو الخط.

(2) يوم محجل: مشهور، يقال: أمر أغر محجل: أي مشهور.

(3) مرفل: معظم.

(4) مجد مؤثل: أي موصل، قال الشاعر:

ولكنما أسمى نجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وشرف أثيل: أصيل.

وأما عبد الرحمن فهو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كان اسمه عبد الكعبة وقيل عبد عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين. وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكان أحد الستة أصحاب الشورى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد أسند إليه أصحاب الشورى أمرهم أخيراً، فبايع عثمان وكان قد زوى الأمر عن نفسه وعن ابن عمه سعد بن أبي وقاص.

وكان يحترف التجارة وأكثر ماله منها واجتمعت له ثروة كبيرة، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله؛ تصدق مرة على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله؛ وتصدق مرة بأربعين ألف دينار كان قد باع بها أرضاً له، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة وأعتق ثلاثين ألف نسمة. وقال فيه رسول الله ﷺ: «عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين» وقال: «عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الأرض»؛ وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه، وقال صلى الله عليه وسلم: «الذي يحافظ على أزواجي من بعدي هو الصادق البار»، فكان عبد الرحمن بن عوف يخرج بهن ويحج معهن، ويجعل على هودجهن الطيالة وينزل بهن في الشعب⁽¹⁾ الذي ليس له منفذ.

واستخلفه عمر على الحج سنة ولي الخلافة، وتوفي عبد الرحمن سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عثمان، وقيل الزبير بن العوام ودفن بالبقيع. وروى عنه خلق

(1) الطيالة: جمع طيلسان (بكسر اللام وضمها): وهو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ ونحوهم، والشعب (بالكسر): الطريق في الجبل.

كثير؛ ومناقبه رضي الله عنه جمّة ؛ وقد تقدمت ترجمته عند قول الناظم: أوصى ابن عوف العظيم القدر.. إلخ.

وأما ابن عمر فهو الصحابي الجليل ابن الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه زينب بنت مظعون الجمحية؛ كان بيته من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. أسلم بمكة في صغره مع إسلام أبيه عمر وهاجر مع أبويه إلى المدينة، وهو ابن عشر سنين، وكان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة فاستصغره صلى الله عليه وسلم؛ وشهد الخندق والمشاهد بعدها ؛ وشهد اليرموك وفتح مصر وغزا افريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح والثانية مع معاوية بن حديج سنة أربع وثلاثين. وكان رضي الله عنه عالما مجتهدا عابدا لزوما للسنّة فرورا من البدعة ناصحا للأمة؛ وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه كان ينزل منازلَه ويصلي في كل مكان صلى فيه، وروي له في كتب الحديث ألفان وستمائة وثلاثون حديثا. وكان من أئمة المسلمين؛ أقام بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغيره؛ وكان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى. وكان كثير الحج كثير الصدقة والعتق؛ فكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فرمما شمر أحدهم ولزم المسجد وأقبل على الطاعة.. فإذا رآه على تلك الحالة أعتقه، ف قيل له إنهم يخذعونك! فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له ؛ قيل لم يمت حتى أعتق أكثر من ألف إنسان. ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبایعوه بالخلافة فأبى. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ثلاث وسبعين عن نيف وثمانين سنة، وصلى عليه الحجاج؛ واختلف في تعيين موضع دفنه من مكة⁽¹⁾. وقال فيه أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر وهو مثل عمر في

(1) دفن رضي الله عنه بموضع يقال له الفخ بمكة. [القاموس المحيط].

الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير. وقد روي في سبب موته أن الحجاج بن يوسف دس له رجلا قد سمَّ زجَّ رحمة فزحمه في الطريق وطعنه به في ظهر قدمه، فدخل عليه الحجاج فقال: يا أبا عبد الرحمن من أصابك؟ فقال ابن عمر: أنت أصبتني! فقال: ولم تقول ذلك رحمك الله؟ قال: حملت السلاح في بلد لم يكن يحمل فيها وفي يوم لم يكن يحمل فيه. وروي أنه إنما فعل الحجاج ذلك لأنه خطب يوما وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك، قال: إن تفعل فإنك سفيه مسلط؛ وقيل إن عبد الملك بن مروان كان أمر الحجاج أن يقتدي بابن عمر، فكان ابن عمر يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها، فكان ذلك يشق على الحجاج. والله أعلم. وقد تقدمت نبذة من ترجمة ابن عمر عند قول الناظم: أولاده عوابد الرحمن.. الخ. ثم قال رحمه الله:

وَأَذْكَرُ حَبِيبًا وَلَهُ تَرْقَى سِبْطُ كُرَيْزِ الْجَوَادِ الْمُسْقَى
وَالْعَبَلَاتِ وَهِيَ: عَبْدُ نَوْفَلٍ أُمِّيَّةُ الْأَصْغَرُ فِيمَا نَقَلُوا
وَأَذْكَرُ لَهُ كَذَاكَ عَبْدَ الْعُزَّى أَبُو أَبِي الْعَاصِيِ إِلَيْهِ يُعْزَى

قوله حبيبا: هو بوزن (أمير). والضمير في له: عائد على حبيبا. وترقى: أي ارتفع وتَصَعَّدَ، والمراد هنا أنه ارتفع إليه نسب سبط كريز واتصل به. وسبط (بالرفع): فاعل ترقى، والسبط ولد الولد؛ والمراد بالسبط هنا عبد الله بن عامر بن كريز. وكريز: بوزن زبير. والجواد والمسقى (بصيغة اسم المفعول): صفتان لسبط كريز. يقول: ومن ولد عبد شمس بن عبد مناف - أيضا - حبيب بن عبد شمس، وهو أكبر ولده وبه كان يكنى؛ وهو شقيق أمية الأكبر، أمهما نعجة بنت عبيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

عبد الله بن عامر

أما سبط كريز فهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية. ولد رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ، وأُتِيَ به إليه وهو صغير، فقال صلى الله عليه وسلم: «هذا يشبهنا»⁽¹⁾، وجعل يتفل عليه ويعوده وتفل في فيه فاستساغ عبد الله ريقه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنه لمسقى»⁽²⁾؛ فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء، وفي رواية أنه قال: «أرجو أن تكون سقاء» أي لا تعطش، فكانت له في الأرض آبار كثيرة، فقد استنبط رضي الله عنه ماءً بالنباج (وهو موضع قريب من البصرة في الطريق إلى مكة) فجرّ فيه عيوناً وغرس فيه نخلاً فكان يقال له نباج ابن عامر، وسكن به رهطه بنو كريز ومن انضم إليهم من العرب؛ وكان له بنخلة⁽³⁾ بستان يعرف ببستان ابن عامر أيضاً. وهو الذي عمل السقاية بعرفة فاتخذ بها الحياض وأجرى إليها العيون. وكان من فتیان قريش شجاعة وجوداً وسخاء وكرماً، وكان ميمون النقيية وأحد الأجواد المدحيين؛ ومما قيل فيه:

أخ لك لا تراه الدهر إلا	على العلات بساما جوادا
سألناه الجـزـيل وما تـلـكـا ⁽⁴⁾	وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا	فأحسن ثم عدت له فعادا
مراراً ما رجعتُ إليه إلا	تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: الجواد المسقى.

(1) رواه ابن عبد البر، هامش الإصابة: 2 / 359.

(2) رواه ابن عبد البر، [هامش الإصابة: 2 / 359].

(3) نخلة: واد بالحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين، بأسفله بستان ابن عامر.

(4) ما تـلـكـا: أي ما تردد ولا توقف.

ويحكى أن معاوية بن أبي سفيان زوجه بنته هند، فكانت أبرّ شيء به وتتولى خدمته بنفسها فجاءته يوماً بالمرآة والمشط، فنظر في المرآة فالتقى وجهه بوجهها فرأى شبابها وجمالها، ورأى الشيب في لحيته، فرفع رأسه إليها وقال لها: الحقي بأبيك! فانطلقت حتى دخلت عليه فأخبرته، فقال: وهل تطلق الحرة؟ قالت: ما أتى من قبلي وأخبرته الخبر؛ فأرسل إليه فقال: أكرمتك بابنتي فرددتها علي؟ فقال عبد الله: إن الله منّ علي بفضلته وخلقني كريماً لا أحب أن يتفضل علي أحد وإن ابنتك أعجزتني مكافأتها بحسن صحبتها لي، فنظرت فإذا أنا شيخ وإذا هي شابة لا أزيدها مالا إلى مالها ولا شرفاً إلى شرفها، فرأيت أن أردّها إليك لتزوجها فتى من فتيانك صبيح الوجه.

وكان عبد الله بن عامر هذا ابن خال عثمان بن عفان: فأبوه عامر وأم عثمان أروى ابنا كرز، أمهما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وقد أسلم عامر يوم الفتح وبقي إلى خلافة عثمان. وكان قد ولاه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري؛ ولما قدمها قال أبو موسى لأهل البصرة: قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا. وهو الذي اتخذ السوق بالبصرة فاشترى دوراً فهدمها وجعلها سوقاً، ثم ضم إليه عثمان فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وكرمان وغيرها، وفي أيامه قتل يزيدجرد آخر ملوك فارس، فأحرم ابن عامر من نيسابور بعمرة وحجة شكراً لله عز وجل علي فتحه عليه؛ وقدم على عثمان بالمدينة فقال له عثمان: صل قومك وقرابتك، ففرق في قريش والأنصار شيئاً عظيماً من الأموال والكسوات، فأثنوا عليه، وعاد إلى عمله. ولم يزل عبد الله والياً على البصرة حتى قتل عثمان رضي الله عنه فسار بما كان عنده من الأموال إلى مكة فوجد عائشة وطلحة والزبير يتأهبون إلى البصرة فرجع معهم إليها؛ وشهد معهم وقعة الجمل، وقتل فيها ابنه عبد

الرحمن. ولما استقل معاوية بالحكم واجتمع عليه الناس ولاه البصرة ثلاث سنين ثم عزله عنها فرحل إلى المدينة، وأقام بها حتى مات سنة سبع وخمسين، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير.

قوله: والعبلات (بالتحريك والنصب بالكسرة): مفعول به لا ذكر مقدره، أي واذكر من بني عبد شمس بن عبد مناف - أيضا - العبلات وهي: أبناؤه الثلاثة، وهم عبد (بالتنوين) ويقال فيه: عبد أمية ونوفل وأمية الأصغر أبناء عبد شمس، أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم؛ وقد عرفوا بالنسبة إلى أمهم عبلة هذه واشتهروا بذلك فيقال لهم العبلات، ولكلهم عقب.

أما عبد أمية فمنه معقل وعقيل وأسد بنو عبد أمية بن عبد شمس، أمهم فاختة بنت عددي بن نوفل بن عبد مناف، ومن ولده أيضا - ولعله غير مباشر - الأحوص بن عبد أمية - أمه من ثقيف - ولاه معاوية على البحرين. ولعبد أمية هذا عقب بالشام. وأما نوفل بن عبد شمس فمن ولده أبو العاص، أمه بنت عمرو بن عائذ المخزومية؛ ومن ولد أبي العاص هذا حاجب وعثمان وهبار وحزن، أمهم فاطمة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومية - أيضا - وكان العقب منهم في حاجب وهبار. فمن حاجب بن أبي العاص بن نوفل وهب وعثمان. ومن هبار خالد بن يزيد بن عثمان بن هبار، قتله عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالشام؛ وكان عقب نوفل بن عبد شمس هذا بالشام أيضا.

وأما أمية الأصغر بن عبد شمس فمن ولده الحارث بن أمية، أمه عاتكة بنت خالد من تميم بن مرة؛ ومن ولد الحارث بن أمية هذا عبد الله بن الحارث، أمه زينب بنت نوفل بن عبد شمس؛ وكان عبد الله هذا صحابيا فاضلا، قيل إنه ورث دار عبد شمس بمكة لأنه كان أقدمهم نسبا؛ فلما حج معاوية دخل تلك الدار وجعل ينظر إليها، فخرج إليه عبد الله بمحجن عنده وهو يقول: أما تكفيك الخلافة؟! فخرج

معاوية وهو يضحك. ومن ولد عبد الله بن الحارث هذا علي الأكبر وعلي الأصغر والوليد ومحمد وأم الحكم وزينب والثريا، التي تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي - وكان يكثر ذكرها في شعره -:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟
هي شامية إذا ما استهلته وسهيلٌ إذا استهلَّ يمان!

وكانت ذرية أمية الأصغر بمكة.

قوله: واذكر له كذاك.. إلخ: الضمير في له عائذ على عبد شمس بن عبد مناف وقوله كذاك: أي كذكر أمية الأكبر وربيعه وحبيب والعبلات، بني عبد شمس الذين مرَّ ذكرهم آنفًا. وعبد العزى (بالنصب): مفعول به لا ذكر. وقوله أبو أبي العاصي: مبتدأ خبره الجملة بعده. والضمير في إِلَيْهِ عائذ على عبد العزى. ويعزى: أي ينسب. وأبو أبي العاصي: يعني به الربيع بن عبد العزى.

يقول: واذكر لعبد شمس من الولد - أيضا - عبد العزى الذي ينسب إليه الربيع بن عبد العزى والد أبي العاصي بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ. أما عبد العزى بن عبد شمس فأمه عمرة بنت وائلة الأزديّة، وشقيقته رقية بنت عبد شمس أم أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر، وكان يقال لعبد العزى هذا أسد البطحاء، وله من الولد الربيع وربيعة.

وحكي أن أم حبيب بنت عبد شمس خرجت مرة إلى الطائف واکتزت رجلا من بني عقيل فحملها، فلما كانا بالطريق لقيها رجال من بني بكر فسألوها من هي ومن معها؟ فانتسبت لهم هي وانتسب لهم من معها حتى انتهوا إلى العقيلي؛ فلما انتسب لهم وثبوا عليه فقتلوه، فرجعت أم حبيب إلى مكة فجاءت حرب بن أمية فشكت إليه ما صنع بصاحبها وما كان من قتله وقالت: لا ألبس حماري حتى أدرك به، فقال لها: البسي حمارك فلا سبيل إلى ما قبيل بكر؛ فخرجت من عنده حتى

دخلت على الربيع وربيعه ابني عبد العزى فشكت إليهما ما لقيت وما قال لها حرب، فغضبا لها وقاما معها حتى أخذتا لها الدية، فبعثت بها إلى أهل العقيلي؛ فقال الخليل العقيلي شاعر بني عقيل في ذلك:

ألم يبلغك عنا ما لقينا من الحدثنان والرؤء الوجعُ
بمصرع ما أصاب الحيُّ بكرٌ فلا يبعذ هنا لكم الصريع

إلى أن يقول:

فأدّى الله خفرتها عليها⁽¹⁾ وأداها ربيعة والريبعُ الخ..

وقد ولد الربيع بن عبد العزى أبا العاصي؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله.. عبد العزى أبو أبي العاصي إليه يعزى. وأبو العاصي هذا هو ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه هالة بنت خويلد أخت أمنا خديجة. واختلف في اسمه، والأكثر أن اسمه لقيط، وقيل غير ذلك؛ وهو مشهور بكنيته وكان يلقب بالأمين، ويجرو البطحاء كما لقب جده عبد العزى بأسد البطحاء.

ابو العاصي بن الربيع

وأبو العاصي هذا هو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وابن خالتها، وكان في الجاهلية مؤاخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مصافيا له، ويكثر إتيان منزله لمكان خالته خديجة، وزوجه رسول الله ﷺ أكبر بناته زينب، وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة؛ فلما جاء الإسلام وأسلمت زينب بقي هو على شركه وطلب منه المشركون فراقها فأبى؛ وقد شكر رسول الله ﷺ له مصاهرته وأثنى عليه بذلك خيرا⁽²⁾.

(1) الخفرة (بضم فسكون): اسم بمعنى الخفارة، يقال هو في خفرة فلان أي في ذمته.

(2) رواه البخاري وابن ماجه، ومن ذلك قوله: صلى الله عليه وسلم فيه: «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي».

وكان قد حضر بدرا مع المشركين فأُسر ، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فدائه قلادة لها كانت خديجة قد أدخلتها بها على أبي العاصي، فلما رآها رسول الله ﷺ عرفها فرقاً لها وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها..»⁽¹⁾، ففعلوا؛ واشترط عليه النبي ﷺ أن يرسل له زينب إلى المدينة ففعل⁽²⁾، وبقي هو في مكة على دينه؛ فاتفق أن يخرج إلى الشام في تجارة فأسره المسلمون وأخذوا ما معه، فأجارته زينب فرد عليه النبي ﷺ والصحابةُ جميعاً ما أخذ منه. فلما رأى الصحابة ذلك قالوا له: يا أبا العاصي إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة؟! قال: بئسما أمرتموني أن أنسخ ديني بغدرة؛ فمضى حتى قدم مكة فدفع إلى كل ذي حق حقه، ثم قام فقال: يا أهل مكة أوفيت ذمتي؟ قالوا اللهم نعم، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم قدم المدينة مهاجراً فرد إليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول، وقيل بنكاح جديد. وكان رضي الله عنه ممن سار مع علي بن أبي طالب إلى اليمَن واستخلفه عليه حين رجع إلى المدينة.

وولد لأبي العاصي من زينب بنت رسول الله ﷺ علي وأمامة. أما علي فكان رديف رسول الله ﷺ عند دخوله مكة يوم الفتح، وتوفي وقد ناهز الحلم. وأما أمامة فقد ولدت على عهد رسول الله ﷺ وكان يحبها، وحملها في الصلاة فكان إذا ركع أو سجد تركها وإذا قام حملها⁽³⁾. ولما كبرت تزوجها علي بوصية من خالتها فاطمة الزهراء - زوجه منها الزبير بن العوام لأن أباهما قد أوصاه عليها - ولم تنزل

(1) أخرجه أحمد.

(2) ابن إسحاق، الإصابة: 4 / 122.

(3) رواه البخاري.

عنده حتى توفي عنها فخلفه عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بوصية منه⁽¹⁾، وماتت عنده. ولأبي العاصي بن الربيع - أيضا - الحارث بن أبي العاصي، أمه فاختة بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولم يعقب. وله - أيضا - مريم بنت أبي العاصي، أمها فاختة بنت أبي أحيحة بن العاص، تزوجها محمد بن عبد الرحمن بن عوف. وقد انقرض ولد أبي العاصي بن الربيع إلا من بنته مريم هذه. وتوفي أبو العاصي رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان قد أوصى إلى الزبير ابن العوام.

أما ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس فله عقب منه محرز بن حارثة بن ربيعة الصحابي الجليل، ولأه عمرُ مكة بعد عتاب بن أسيد، وقتل رضي الله عنه يوم الجمل. ومن عقب ربيعة - أيضا - عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة الشاعر العبلي؛ وليس بعبلي وإنما العبلات من ولد عبلة بنت عبيد - كما تقدم - ولكن الناس أدخلوا آل عبد العزى في العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر، وسادوا في الجاهلية والإسلام. وبقية آل ربيعة بن عبد العزى بمكة وبالمدينة منهم ولد محرز بن حارثة بن ربيعة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما أنهى الكلام على القبائل المتفرعة من عدنان عمود نسب النبي ﷺ، شرع يتكلم على القبائل المنحدرة من قحطان - عمود نسب الأنصار رضي الله عنهم - حسب الترتيب السابق الذي أشار إليه بقوله:

علم عمود نسب المختار ثم عمود نسب الأنصار

فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) روي أن عليا قال لها حين حضرته الوفاة: إني لا آمن أن يخطبك معاوية فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان أن يخطبها عليه ويبدل لها مائة ألف دينار، فزوجها الحسن بن علي من المغيرة بن نوفل.

القول في قحطان

عمود نسب الأنصار

قَحْطَانُ: إِمَّا حَضْرَمَوْتُ الْحَائِرُ عَنْ طَيْبَةِ أَوْ سَبَأُ النَّائِرُ

قحطان: مبتدأ خبره جملة قوله إما حضرموت.. إلخ. وقحطان: هو الجذ الجامع للقبائل اليمنية، وقد تفرعت منه الشعوب القحطانية، كما تفرعت من عدنان الشعوب العدنانية، وحضرموت⁽¹⁾: اسم موضع باليمن⁽²⁾، واسم قبيلة - كذلك - هم بنو حضرموت بن قحطان، والنسبة إليها حضرمي. والحائر: صفة لحضرموت، وهو اسم فاعل من "حار" بمعنى تحير، أو رجع. وطيبة: من أسماء المدينة. وقوله أو سبأ⁽³⁾ (بالرفع، بوزن جبل): عطف على حضرموت. والثائر (بالمثلثة): صفة لسبأ، والمراد به هنا المنتشر والمتفرق في البلاد.

يعني أن قحطان ينقسم إلى شعبين: شعب تخلف عن سكنى المدينة وأقام باليمن وهم ولد حضرموت بن قحطان، وشعب تفرق في البلاد وهم ولد سبأ بن قحطان، ومنهم من سكن المدينة وهم بنو قبيلة. أما قحطان فهو ابن عابر بن شاخ

(1) حضرموت (بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة والميم وسكون الواو بعدها تاء فوقية مثناة): صقع واسع غربي اليمن.

(2) قيل: به قبر هود عليه السلام.

(3) سبأ: بصرف ويمنع ويقصر ويمد - [المعجم الوسيط]، وقرئ في السبع كما يلي: نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: سبأ (بالصرف)، والبصري والبيزي عن ابن كثير: سبأ (بالمنع)، وقبيل عن ابن كثير: سبأ (بإسكان الهمزة)، ولم يرد لفظه في القرآن إلا في موضعين (مجرورا فيهما).

بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وهذا هو المشهور في نسبه وهو الذي عليه جمهور أهل النسب، وقيل هو ابن هود عليه السلام، وإلى ذلك أشار المتنبّي - وهو يمدح شجاعا بن محمد الطائي - بقوله:

إلى الثمر الحلو الذي طيى له فروع وقحطان بن هود له أصل

وقول بعضهم في مدح سبأ:

له ملك قحطان بن هود وراثته .. إلخ.

وقيل هو هود نفسه، وقيل إن قحطان من ولد نبت بن إسماعيل، وعليه تكون العرب كلها (عدنانيها وقحطانيها) من أولاد إسماعيل؛ إلا أن هذا القول ضعيف، لوجود قحطان قبل إسماعيل؛ فهو قول شاذ - كما في القلقشندي وغيره - وقد سبق قول الناظم رحمه الله: وهو أبو قحطان في قول أبي عنه .. إلخ.

وقحطان قيل كان اسمه في التوراة: يقطن، فعرب بقحطان، وقيل اسمه يرد ولقب قحطان لأنه كان يطعم الناس في القحط فيطرد القحط بسخائه، فاشتهر بلقبه قحطان. وكان ملكا باليمن قيل هو أول من حيّاه ولده بتحية الملك "أبيت اللعن"⁽¹⁾ و"أنعم صباحا"⁽²⁾؛ وكانت له عدة أولاد منهم يعرب وحضرموت وجرهم. وقد ملك بعده ابنه يعرب، وقد قيل إنه هو أول من حيّاه ولده بتحية الملك، واسمه يمن لأن أباه قحطان قال له: أنت أيمن ولدي نقيبة⁽³⁾، وهو الذي أجلى بني حام إلى بلاد المغرب؛ ويقال إن العرب إنما سميت عربا باسمه "يعرب". وكان أفصح أهل زمانه؛

(1) أبيت اللعن: تحية الملوك في الجاهلية، أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن أيها الملك.

(2) أنعم صباحا، وعم صباحا: كانوا - أيضا - يحيون بها ملوكهم، ومعناها لينعم صباحك، أو طاب عيشك في الصباح، أو جعل الله صباحك ذا لين ورغد.

(3) أي أحمدهم مختبرا؛ وميمون النقيبة: أي منجح الفعال مظفر المطالب، وأصل النقيبة النفس.

قيل هو أول من قال: "أما بعد"⁽¹⁾ وأول من قال القريض والرجز. وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا، فولد له يشجب، وولد ليشجب سبأ؛ ومنه تفرعت جميع القبائل المذكورة. وأما حضرموت فهم شعب كبير من قحطان؛ وقد ذهب أكثرهم واندرج باقيهم في كندة وصاروا في عدادهم⁽²⁾، وكانت فيهم ملوك تقارب ملوك التبابعة في علو الصيت ونباهة الذكر، وبهم عرفت مدينة حضرموت من أرض اليمن. ومنهم بنو الحضرمي حلفاء بني أمية. ومنهم بنو الصدف⁽³⁾ الذين حضروا فتح مصر واختططوا بها. ومن حضرموت - أيضا - الصحابي الجليل وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر بن حجر الحضرمي؛ وكان وائل هذا قبلا وابن قيل من أقبال⁽⁴⁾ حضرموت باليمن، وقد على النبي ﷺ، فلما دخل عليه رحب به وبسط له رداءه فأجلسه عليه وقال: «اللهم بارك في وائل»⁽⁵⁾. وقد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بشر به قبل قدومه، ثم استقطعه وائل أرضا فأقطعه

(1) أي في خطبه وكلامه، وهي كلمة تدل على فصاحة المتكلم ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بها في خطبه ورسائله، واختلف في أول من نطق بها على أقوال. ول بعضهم في ذلك:

جرى الخلف "أما بعد" من كان بادئا بها سبعة الأقوال: داوود أقرب

- لفصل خطاب - ثم يعقوب، فسهم، فسحبان، أيوب، فكعب، فيعرب

وقوله: لفصل خطاب يشير به إلى قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَّ الْخُطَابَ﴾.

(2) يقال: هو في عدادهم أي: واحد من جملتهم، والعديد من القوم من يعد فيهم.

(3) (بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) قيل سمي الصدف لأنه صدف عن قومه حين أتاهم سيل العرم، فبعث إليه بعض ملوك غسان بعثا في خيل عظيمة، فجعل كلما جاء حيا من العرب سأل عنه فيقولون: صدف عنا وما رأينا له وجها، ثم لحق بكندة فنزل بهم؛ والنسبة إليه صدفي (بفتح الدال)، ومنه جمعشم الخير بن خلية الصدفي الصحابي، بايع تحت الشجرة وكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ونعليه. [نهاية الأرب].

(4) القيل: مَنْ دُونَ الْمَلِكِ، إلا في حمير فهو الملك نفسه، فأقبالها: ملوكها.

(5) ابن الأثير، وابن حجر.

إياها⁽¹⁾ وبعث معه معاوية ليسلمها له، ووائل راكب ومعاوية راجل، فقال له معاوية: أردفني، فقال: لست من أرداف الملوك! فلما استخلف معاوية قصده وائل، فتلقاه معاوية وأكرمه؛ قال وائل: فوددت لو كنت حملته بين يدي. واستعمله النبي ﷺ على حضرموت، وكتب له كتابا فيه عهد وأحكام خاطبه فيه بألفاظ غريبة على لغة قومه من حضرموت. وروى وائل عن النبي ﷺ، وهو من رواة أحاديث القبض، قال: «رأيت النبي ﷺ يمينه على شماله في الصلاة»⁽²⁾. ثم سكن الكوفة بعد، ومات في خلافة معاوية؛ وروى عنه ابنه: علقمة وعبد الجبار وزوجه أم يحيى ومولى لهم، وآخرون.

ومن ولد وائل بن حجر - أيضا - المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن محمد المعروف (بابن خلدون)، وخلدون الذي ينسب إليه: جده الحادي عشر، ويتصل نسبه بوائل المذكور. وكان بيته من أشرف بيوتات الشرف وقيادة الجند بإشبيلية من قديم الزمان، ولم ينقطع منهم إلى خدمة العلم غير عبد الرحمن المذكور وأبيه؛ وكان أهل بيته قد انتقلوا إلى تونس حين تغلب الاسبان على إشبيلية، فولد عبد الرحمن بها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وحفظ القرآن وقرأ بالسبع وتلقى العلم والأدب من أبيه وكبار العلماء وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب حتى صار من أعلام المحققين وحكماء المؤرخين. ألف تاريخا في سبع مجلدات عظام سماه "كتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر"، اشتهرت مقدمته في سفر عرف بمقدمة ابن خلدون. وكان فقيها قاضيا كاتبا شاعرا، تولى قضاء القاهرة، وتوفي سنة ثمان وثمانمائة هجرية.

(1) استقطعه: أي سأله أن يقطعه إياها، أي يعطيها له على سبيل المنحة له ولأولاده بعده.

(2) رواه رزين - [مجمع الزوائد].

وأما سباً فاسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. كان أحد ملوك اليمن المشهورين، ورث ملك جدوده يعرب وقحطان، قيل هو أول من تتوج من ملوك العرب، وإنه ضرب بالخيال والرجال في الأرض، فكان لا يذكر له بلد إلا قصده وفتحته ؛ وفي ذلك يقول بعض شعراء زمانه:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
له ملك قحطان بن هود وراثته عن اسلاف صدق من جدود ومن أب

وقد تفرعت من سباً هذا عامة قبائل اليمن - كما مر. ومواضع سكنى سباً باليمن يقال لها مأرب⁽¹⁾، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث. وقد تفرقت ذرية سباً تفرقا ضرب به المثل، فقيل "تفرقوا - أو ذهبوا - أيدي سباً - أو أيادي - سباً" أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده⁽²⁾؛ وأصله أن أهل بلدة سباً لما أنذروا بسيل العرم⁽³⁾ خرجوا من اليمن متفرقين - كما يأتي.

ولما مات قحطان وملك بعده ابنه يعرب - دون سائر بنيه - بقي باليمن وبقي معه أخوه حضرموت بن قحطان، وولى أخاه جرهماً بن قحطان على الحجاز فاستولى عليه وملكه ثم ملك بعده ابنه ياليل بن جرهم ثم ببيعة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم ابنه الحارث بن مضاض. وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز مع بني قطورا من العمالق، لقحط أصاب اليمن ثم غلبت

(1) مأرب: مدينة كانت باليمن أقيم بها السد المشهور وهو سد مأرب.

(2) والمراد بالأيدي أو الأيادي: الأنفس، وهو في موضع النصب على الحال، أي متفرقين أو شاردين، وقيل الأيدي هنا الطرق، أي فرقتهم طرقهم كما تفرق أهل سباً في مذاهب شتى، وإلى هذا المثل يشير ذو الرمة بقوله:

أمن أجل دار صير الين أهلها أيادي سبا بعدي وطال احتياها.

(3) العرم (بوزن كنف): هو الذي لا يطاق دفعه، فسمي به سيل العرم.

جرهم العمالقة على ملكه وملكوا أمره، ولم يزالوا به إلى أن نزل إسماعيل عليه السلام مكة فنزلوا عليه فتزوج منهم وتعلم لغتهم، وقدم عليه الخليل - عليه السلام - وقاما ببناء البيت وتولاه إسماعيل ثم بعض بنيه، ثم استولت جرهم على أمر البيت. وتفرقت قبائل اليمن بسيل العرم فنزلت خزاعة مكة وغلبوا جرهما عليها؛ فخرجت جرهم من مكة ورجعوا إلى ديارهم في اليمن، فأقاموا بها حتى هلكوا⁽¹⁾، فهم من العرب البائرة؛ ولذا لم يذكرهم الناظم هنا. والله أعلم.

ثم أخذ يتكلم على ولد سبأ، فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِسَبَأِ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ يَعْرُبِ سَلِيلِ قَحْطَانَ قَرِيحِ الْعَرَبِ
نَسَبَ خَيْرِ مُرْسَلِ بَنِينَا عَشْرَةَ: الْأَزْدَ الْأَشْعَرِيْنَ
وَحَمِيْرًا وَمَذْحِجًا وَكِنْدَةَ أَنْمَارُ سَادِسُ لَهُمْ فِي الْعِدَّةِ
وَقَدْ تَيَامَنُوا ، وَمَنْ أَشَامَ لَهُ: غَسَّانُ لَخْمٌ وَجَذَامٌ عَامِلَةٌ

قوله لسبأ: متعلق بنسب خير مرسل. وسليل، وقريح (بالجر): صفتان ليعرب. وقريح العرب: أي سيدهم والمختار منهم. وخير مرسل (بالرفع): فاعل نسب، وبنين: مفعوله. وعشرة (بالنصب): صفة لبنيين. والأزد (بالنصب) هو المعطوفات بعده: بدل من بنين؛ (والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالبدال المهملة، ويقال فيه الأسد بالسين المهملة بدل من الزاي، وهو بالزاي أفصح). وقوله الأشعرينا: معطوف بحذف العاطف. وأنمار (بالرفع): مبتدأ خيره سادس لهم. والضمير في لهم عائد على الأزد وما بعده. والعدة (بالكسر وتشديد الدال): العدد.

(1) راجع نهاية الأرب للقلقشندي.

وتيامنوا: قصدوا اليمن. ومن: موصولة (بمعنى الذي) وهي مبتدأ خبره غسان وما بعده، ولخم وعاملة: معطوفان بحذف العاطف. وأشأم: قصد الشام. والضمير في له: عائد على سبأ.

أشار الناظم في هذه الأبيات إلى ما رواه الإمام أحمد وابن جرير والترمذي وابن عبد البر، عن ابن عباس وتميم الداري: أنه لما أنزل الله تعالى في سبأ ما أنزل قال رجل⁽¹⁾: يا رسول الله ما سبأ؟ أهو رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ما هو بامرأة ولا أرض بل هو رجل ولد له عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير ومذحج وكندة وأنمار، وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة»، فقال الرجل: يا رسول الله ومن أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة»⁽²⁾ (أو كما قال صلى الله عليه وسلم). ومعنى قوله ولد له عشرة: أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر.. كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب، وكما يأتي تبينه قريبا إن شاء الله. ومعنى قوله فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، أي بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم، فمنهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نرح عنها إلى غيرها.

أما الأزد فهو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قيل سمي الأزد لكثرة عطائه، ومنه انحدرت قبائل الأزد؛ وله من الولد: نصر ومازن والهنة وعبد

(1) هو فروة بن مسيك الغطيفي [سيرة ابن كثير].

(2) أخرجه الترمذي، وأحمد.

الله وعمرو. وتعتبر قبيلة الأزد هذه من أعظم قبائل قحطان وأكثرها بطونا وأمدها فروعًا، يقال إنهم افترقوا على نحو سبع وعشرين قبيلة⁽¹⁾.

وقد قسم بعض النسابة الأزد إلى ثلاثة بطون: أزد شنوءة (بإضافة أزد إلى شنوءة) وهم بنو نصر بن الأزد؛ وشنوءة لقب لنصر غلب على أولاده، قيل لشنآن - أي تباغض - كان بينهم. وأزد السراة (بالإضافة أيضا)، والسراة: موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به. وأزد عُمان (بالإضافة أيضا)، وعمان: بلد باليمن نزلت به فرقة منهم فعرفت به، وفيه نظر لأن أزد السراة من أزد شنوءة؛ ول بعضهم:

و كنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان⁽²⁾
فأما التي صحّت فأزد شنوءة وأما التي شلت فأزد عمان

وإلى الأزد هؤلاء ينسب الصحابي الجليل ضماد بن ثعلبة الأزدي، كان صديقًا للنبي ﷺ في الجاهلية، وكان رجلا يتطيب ويرقي ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام؛ روي أنه قدم مكة فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون، فقال: لو

(1) هجروا اليمن بسبب تصدع سد مأرب، منهم آل ثعلبة العنقاء الذين منهم الأوس والخزرج، نزلوا المدينة وعرفوا بعد الإسلام بالأنصار. ومنهم آل حارثة بن عمرو، وخزعو - أي تخلفوا - عن إخوانهم فسموا "خزاعة". ومنهم آل عمران بن عامر، ذهبوا إلى عُمان وأسلموا ثم ارتدوا فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه حذيفة بن محسن فقاتلهم، فعادوا إلى الإسلام. ومنهم أزد شنوءة، نزلوا تهامة وتبثوا. ومنهم آل جفنة بن عمرو، تعاقدوا على ماء يسمى "غسان"، وهم الغساسنة أسسوا دولة في مشارق الشام وتنصروا؛ آخرهم جيلة بن الأيهم الذي أسلم زمن عمر - رضي الله عنه - ثم تنصر والتحق بالقسطنطينية ومات بها على كفره. ومنهم لخم الذين منهم المناذرة أو آل نصر الذين أقاموا دولة في العراق.

(2) أي صروف الدهر وحوادثه، والحدثان: الليل والنهار.

رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؛ فلقيته وقلت: يا محمد إني أرقى من الريح وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال النبي ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد⁽¹⁾..»، فقال ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن النبي ﷺ ثلاثا، فقال ضماد: والله لقد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة وسمعت قول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فوالله لقد بلغت ناعوس البحر⁽²⁾.. فمد يدك أبايعك على الإسلام، فمد النبي ﷺ يده فبايعه؛ فقال النبي ﷺ: «وعلى قومك»⁽³⁾؟ فقال: وعلى قومي.

وأما الأُسْعَرِيُّونَ : فهم بنو الأشعر، واسمه نبت بن سبأ، قيل لقب الأشعر لأن أمه ولدته وعليه شعر، وقيل الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وتفرعت من الأشعر بطون كثيرة منهم بنو الجماهر وبنو ناجية وغيرهم؛ وقد وفد على النبي ﷺ من الأشعرين وفد سنة سبع، وكان صلى الله عليه وسلم قد أخبر بهم قبل قدومهم، فقال: «يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً»⁽⁴⁾، فقدم الأشعريون - وهم يرتجزون - فأسلموا وبايعوا. وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - لما جاء أهل اليمن -: «هم ألين قلوبا وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية»⁽⁵⁾ والسكينة في أهل الغنم». وإلى الأشعريين هؤلاء

(1) أخرجه مسلم.

(2) ناعوس البحر: وسطه.

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه البخاري.

(5) أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

ينسب الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري؛ وهو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عدي بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، الأشعري اليميني، قدم مع جعفر بن أبي طالب فَتَحَ خيبر، فأسلم وصحب؛ واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن وأعمالها من اليمن، واستعمله عمر على البصرة؛ وافتتح الأهواز وأصبهان؛ ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقيين. وكان حسن الصوت بالقرآن⁽¹⁾ ومن علماء الصحابة وقضاتهم، توفي سنة أربع وأربعين عن ثلاث وستين سنة، قيل بالكوفة وقيل بمكة. ومروياته في كتب الأحاديث ثلاثمائة وسبعون حديثا، ومناقبه رضي الله عنه جمّة. ومن عقب أبي موسى هذا أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن بشر بن إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين. ولد بالبصرة سنة سبعين ومائتين، ونشأ بها - أولا - على مذهب المعتزلة، ثم رجع عنه وألف كتبا في نصره أهل السنة والرد على أكثر عقائد المعتزلة، فناظره المعتزلة؛ فما زال يدحض حججهم حتى انقطعوا عن مناظرته وتبعه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكان على مذهب الشافعي، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ودفن ببغداد.

ومن الأشعريين - أيضا - أبو عامر عُبيد بن سليم بن حضار بن حرب الأشعري عم أبي موسى الأشعري، كان من كبار الصحابة؛ قتل يوم حنين أميرا لرسول الله ﷺ في سرية بعثها إلى أوطاس في أثر طائفة من هوازن، فقتل منهم تسعة إخوة مبارزة ثم ضربه العاشر فأثبتته، فحمل وبه رمق؛ فلما أخبر صلى الله عليه وسلم

(1) قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إني مررت بك البارحة وأنت تقرأ فقد أوتيت زممارا من زمائر آل داود» فقال أبو موسى: لو علمت أنك تستمع لحيرته لك تحبيرا - الحديث [متفق عليه].

بقتله رفع يديه وقال: «اللهم عبيدك أبو عامر اجعله فوق الأكثرين يوم القيامة»⁽¹⁾.
ومنهم أيضاً: مشرح (كمنبر) الأشعري الصحابي، روي أنه قال: "رأيت النبي ﷺ
قص أظفاره وجمعها ودفنها"⁽²⁾.

وأما حمير فهو ابن سبأ لصلبه، قيل كانت له عشرة أولاد من عقبه وانتشرت
منهم بطون وأفخاذ كثيرة، وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما حولها، وكان
غالب قبائل حمير من ذرية ابنيه الهميسع ومالك؛ وكان حمير من ملوك اليمن
المشهورين وتسلسلت في بنيه، فمنهم التباوعة والأذواء والأقيال⁽³⁾؛ وقد تفرعت من
ابنه الهميسع بطون كثيرة، منهم بنو الخبائر وبنو السَّحُول ابني عمرو بن قيس وبنو
الأملاك بن وائل بن الغوث وبنو الأفروع بن الهميسع وبنو تكالم بن عريب بن
حيدان، منهم القائد حميد بن إبراهيم بن منقذ، وبنو حرام بن عوف وبنو شرعب
بن قيس، وإليهم تنسب الثياب الشرعية، وبنو شعبان بن عمرو بن قيس، وإليهم
ينسب الفقيه المشهور الشعبي؛ واسمه عامر بن شراحيل، وبنو شيبان بن عوف، منهم
ذو أصبح بن مالك، وهو أول من عملت له السياط الأصبحية، وبنو عبد شمس بن
وائل بن قطن وبنو غيدان بن حجر، منهم ابن مثوب الذي بعثه تبع على مقدم
جيشه إلى حديس، وبنو زيد الجمهور، منهم بنو ميثم بن عوف بن عدي، منهم
كعب الأحبار واحاظة بن سعد الذي كتب له النبي ﷺ مع جرير بن عبد الله،

(1) أخرجه مسلم.

(2) ابن أبي عاصم، وابن السكن. [الأصباة: 3 / 421].

(3) التباوعة: ملوك اليمن الحميريون، جمع تبع: لقب أطلق على كل من ملك اليمن والشَّحْر
وحضرموت، مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة. والأذواء: لقب لبعض التباوعة،
لقبوا بذلك لأن كل واحد منهم يبدأ اسمه بـ "ذو" مثل: ذو أصبح، وذو رعين، وذو الأذعار..
والأقيال: جمع قيل لقب لمن دون الملك.

ومنهم الأوزاع، وهم بنو مرثد بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور، وإليهم ينسب الفقيه النبيه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وليس منهم ولكنه سكن فيهم فنسب إليهم.

ومن مالك بن حمير بن سبأ تفرعت بطون قضاة ؛ وقضاة هو ابن مالك بن حمير - وإن كان بعض النسابة ذهب إلى أنه من العدنانية، وأنه ابن معد بن عدنان - وتقدم للناظم ذكره في القبائل المتذبذبة بين القحطانية والعدنانية؛ وسيأتي أيضا مزيد من الكلام على ذلك إن شاء الله.

وبطون قضاة: بنو بلي وبنو بهراء وبنو حيدان، من عمرو بن الحاف بن قضاة، وبنو كلب بن وبرة وبنو جرم بن زبان، من بني عمران بن الحاف، وبنو عذرة بن سعد وبنو جهينة بن زيد وبنو نهد، من بني أسلم بن الحاف - وسيأتي ذكرهم في الكلام على قضاة إن شاء الله -.

وأما مذحج فهو لقب مالك بن أدد بن زيد بن يشجب أخي طيئ، وعرف بنوه بعده بلقبه. ومذحج (بوزن مجلس) في الأصل: اسم أكمة باليمن؛ واختلف في سبب تسمية هذه القبيلة بها، فقيل ولدت عندها امرأة من حمير فسميت باسمها، واسمها الحقيقي: دلة بنت ذي منجشان بن حمير، فتزوجها أدد بن زيد بن يشجب فولدت له مالكا وطيفا فنسبت ذريتهما لها وغلبت التسمية على مالك منهما دون طيئ، وقيل مذحج لقب مالك بن أدد، لقب به لأنه ولد بالأكمة المذكورة فأطلق اسمها على ذريته ؛ فعلى الأول تكون القبيلة منسوبة إلى جدتها، وعلى الثاني إلى جدها واسمه مالك بن ادد - وقيل ابن يحابر بن مالك بن ادد - بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ولمذحج بن ادد بطون كثيرة منها: بنو عنس وبنو سعد العشيرة وبنو مراد وبنو جلد وبنو ليس بن مذحج (وهم أهل بيت قليل ودخلوا في عنس) أمهم جميعا

سلمى بنت منصور بن عكرمة المضرية. فمن بني عنس بن مذحج: بنو يام وبنو مالك وبنو عزيز؛ فمن بني يام بن عنس: آل ياسر الذين كان لهم في الإسلام قدم صدق، ومن بني مالك بن عنس: الأسود المتنبئ باليمن، وهو عبهلة بن كعب بن غوث بن صععب بن مالك بن عنس. ومن بني عزيز بن عنس: بنو الصحيم بن قررة بن عزيز، كان لهم بالشام شرف. ومن بني سعد العشيرة: بنو الحكم وبنو الصعب وبنو نمره وبنو جعفي، وآخرون. ومن بني مُراد بن مذحج: بنو قرن وبنو غطيف وبنو زاهر، فمن بني قرن: أويس بن عامر القرني وعمرو بن مرة المحدث؛ ومن بني غَطِيف: فروة بن مُسَيْكٍ بن الحارث بن سلمة الغطيفي الشاعر، له صحبة واستعمله عمر، ومنهم شَرِيك بن عمرو بن عبد يغوث (هو الذي ضرب ابن رستم يوم القادسية بالسيف). ومنهم هند بن عمرو بن جندلة قتل يوم الجمل مع علي رضي الله عنه. ومن بني زاهر: قيس بن مكشوح المرادي وصفوان بن عسال بن الربض (صحابي). ومن مراد بن مَذحج - أيضا - عبيدة بن قيس بن عمرو من بني سلمان بن ناجية بن مراد المرادي السلماني الكوفي الفقيه العلم؛ كان من كبار التابعين كاد أن يكون صحابيا، أسلم باليمن زمن فتح مكة ولم يلق النبي ﷺ، وكان ثقة، هاجر من اليمن إلى الكوفة زمن عمر، وأخذ عن علي وابن مسعود وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يقرئون ويفتون الناس؛ روى عنه محمد بن سيرين وأبو إسحاق السبيعي وإبراهيم النخعي والشعبي وغيرهم، وكان ابن سيرين أروى الناس عنه وقال: ما رأيت أشد منه توقيا، وقال الشعبي: كان عبيدة يوازي شريحًا في القضاء، بل كان شريح إذا أشكل عليه شيء كتب إلى عبيدة. وتوفي سنة اثنتين وسبعين.

وأما بنو جلد بن مذحج فمنهم: بنو رهاء وبنو صداء وجنب وبنو النخع. فمن بني رهاء: عمرو بن سبيع الرهاوي، وفد على رسول الله ﷺ؛ ومنهم مالك بن مرارة الرهاوي الصحابي، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن؛ ومنهم يزيد بن شجرة بن أبي

شجرة الرهاوي، كان من أصحاب معاوية بصفين وتوفي في آخر خلافته سنة ثمان وخمسين.

أما بنو صداء فهم بطن ضخم، وسموا "صداء" لأنهم صدّوا عن بني يزيد بن حرب وجانبوهم وحالفوا بني عمومتهم بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلّة بن جلد بن مذحج، منهم زياد بن الحارث الصدائي، وفد على النبي ﷺ وبعثه إلى قومه فأسلموا، وقال له صلى الله عليه وسلم: «إنك لمطاع في قومك يا أحنا صداء»⁽¹⁾، وكان من مؤذنيه صلى الله عليه وسلم.

وأما جنب فمنه منبه والحارث والغل وسنحان وهفان وشمران بنو يزيد بن حرب؛ وقد تحالف هؤلاء الستة على عمهم صداء فسموا جنباً، لأنهم جانبوا عمهم صداء ثم تحالفوا مع بني عمهم بني سعد العشيرة. ومن جنب هؤلاء معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه الذي تزوج سُليمة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ومهرها أدمًا؛ وكان مهلهل قد نزل بهم فأرغموه على ذلك، فقال:

انكحها ففقدتها الأراقم في جنب وكان الحياء من أدم⁽²⁾
لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم⁽³⁾

(1) أخرجه البيهقي في الدلائل، وابن سعد في طبقاته، وابن الأثير.

(2) الأراقم: بطون من تغلب، والحياء: العطية - وحياء المرأة مهرها جمعه أحيبة، والأدم (بضمين) جمع أديم الجلد، يعني أنه أنكحها لغريبتها وفقدانها عشيرتها من غير كفؤ حين خطبها الجني المذكور، ولم يستطع منعها، وكان مهرها من أدم.

(3) أبائين: ثنية أبان وهما جيلان مشهوران: أبان الأبيض وأبان الأسود، وأحدهما هو المذكور في قول امرئ القيس بن حجر الكندي:

كان أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل

وضرج: أي لطخ. وما: زائدة. وأنف: نائب فاعل ضرج. وبدم: متعلق بضرخ؛ يعني أن الجني لو خطبها وهي يبلدها وفي أهلها لضرخ أنفه بالدم. وبعد هذين البيتين:

ومن جنب أيضا الفقيه أبو ظبيانَ الحصينَ بن جُنْدَ بن عمرو بن الحارث، وابنه قابوس بن أبي ظبيان المحدثان.

وأما كندة فهو أبو الحي العظيم القحطاني ثم الكهلاني؛ واسم كندة ثور بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ ولقب ثور هذا بكندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته وعقه ولحق بأخواله. ومن ولد كندة: معاوية واشرس، أمهما رملة بنت أسد بن ربيعة بن نزار؛ وتفرعت منهما بطون كثيرة، وتفرعت من تلك البطون بطون أخرى متسعة ومتشعبة منها: بنو آكل المرار وبنو الحارث الولاد وبنو امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث وبنو الرائش وبنو اشرس بن معاوية.

فمن بني آكل المرار بنو الجون وآل حجر. ومن الحارث الولاد بنو حجر القرد بن الحارث، منهم الملوك الأربعة: مخوس ومشرح وجمد وأبضعة بنو معد يكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد، وفدوا على رسول الله ﷺ، ثم ارتدوا بعد فقتلوا جميعا؛ ومن بني الحارث - أيضا - بنو الشيطان. ومن بني امرئ القيس بن عمرو - أخي آكل المرار والحارث الولاد - الرجل الصالح امرؤ القيس بن عابس؛ ومنهم رجاء بن حيوة بن جندل بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس، وسيأتي الكلام عليهم إن شاء الله.

ومن بطون بني كندة: بنو السكون وبنو السكاسك؛ فمن السكون: بنو عدي

----->>>

أصبحت لا منفساً أصبت ولا أبتُ كريماً حراً من الندم
اعزز على تغلب بما لقيت أختُ بني الأكرمين من جشم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم

والمنفس: المال الكثير الذي له خطر. وجشم: عشيرة مهلهل من تغلب.

وبنو سعد ابني اشرس بن شبيب بن السكون بن اشرس بن كندة، أمهما تجيب واشتهروا بالنسبة إليها، وسيأتي ذكرهم أيضا إن شاء الله. وأما بنو السكاسك فقد كانت لهم ثروة عظيمة بالشام، ومنهم حوي بن ماتع بن زرعة السكسكي قاتل عمار بن ياسر؛ ومنهم زياد بن هجعم السكسكي، ولي الشرطة لعبد الملك بن مروان؛ ومنهم يزيد بن أبي كبشة بن يسار السكسكي، وياه الوليد البصرة بعد الحجاج. وبطون كندة لا تحصى كثرة؛ وبلادهم باليمن من قبل حضرموت، وكان لهم ملك بالحجاز واليمن؛ وأول من ملك منهم آكل المرار، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل، وآخر ملوكهم امرؤ القيس بن حجر الشاعر، وكانت لهم ملوك منهم على مخالفيهم؛ وقد قدم وفد كندة على رسول الله ﷺ فقال: «أتاكم أهل اليمن هم ألى قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية»⁽¹⁾، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا له: أوصنا، فقال: «إن لكل ساع غاية وغاية ابن آدم الموت فعليكم بذكر الله فإنه يسهلكم ويرغبكم في الآخرة»⁽²⁾، وسيأتي مزيد من الكلام على كندة إن شاء الله.

وأما أنهار فهو ابن إراش⁽³⁾ بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وفيهم بطون كثيرة، من أشهرها خثعم وبجيلة، ودارهم يمانية.

أما خثعم فهو ابن أثمار بن إراش، وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك، قيل سمي خثعما باسم حمل كان له اسمه خثعم، وقيل باسم جبل تحالفوا عنده اسمه خثعم، وقيل لقبوا خثعما لأنهم تخثعوا بالدم أي تلتطخوا به عند حلف عقده

(1) تقدم تخريجه.

(2) البغوي - كما في الجامع الصغير.

(3) أثمار: بفتح أوله وسكون النون. وإراش: بكسر أوله وتخفيف الراء وفي آخره معجمة [فتح الباري].

بينهم. وقد تفرعت خثعم إلى بطون كثيرة، منهم بنو ناهس وبنو شهران ابني عفرس بن حُلْف بن خثعم. وقد تفرع هذان البطنان إلى بطون متشعبة؛ فمن بني ناهس بن عفرس: بنو معاوية بن خرم بن ناهس، وهم أهل بيت خثعم؛ وفدوا على رسول الله ﷺ فقال لهم: «أنتم بنو راشد». ومنهم بنو رشد وحام ابني ناهس؛ ومن بني شهران بن عفرس: بنو قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران، منهم أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك الخثعمية، تزوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعونا، ثم تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى. ومنهم أيضاً ذو الأنف بن عبد الله الخثعمي الذي قاد خثعما إلى رسول الله ﷺ. ومنهم مالك بن عبد الله الخثعمي الذي قاد الصوائف⁽¹⁾ أربعين سنة أيام معاوية ويزيد وابن الزبير، وكان من التابعين الصالحاء.

وقيل خثعم ثلاث: شهران وناهس (المذكوران) وأكلب؛ غير أن أكلب هذا عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم وانتسبوا إليهم، ولذا قال فيهم رجل من خثعم:

فما أكلب منا ولا نحن منهم وما خثعم يوم الفخار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها فليس لها عمٌ لدينا ولا أبُ

فأجابه أحد بني أكلب فقال:

فإني من القوم الذين نسبني إليهم كريمُ الجَدِّ والعمُّ والأب⁽²⁾

(1) جمع صائفة: وهي الجيش الذي يغزو في الصيف.

(2) العم والأب مرفوعان على الابتداء والخير محذوف تقديره "كذلك"، على حد قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى﴾ في قراءة الكوفيين.

فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني إليهم ترى أني بذلك أثلب⁽¹⁾
 فألا يكن عماي خلفا وناهسا فإني امرؤ عماي بكر وتغلب
 أبونا الذي لم تركب الخيل قبله ولم يدر مرء قبله كيف يركب

يريد أنه من ربيعة، وربيعة كان يقال له ربيعة الفرس.

وأما بجيلة فهم الغوث وصهبية وخزيمة وعبقر بنو أنمار بن إراش، أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة المذحجية، نسبوا إليها وعرفوا بها فغلب عليهم اسم "بجيلة"، وقيل حبشية حضنت أبناء أنمار هؤلاء فنسبوا إليها - وقد وقعت النسبة إلى الأم في كثير من قبائل العرب - وقيل بجيلة أب وهو ابن أنمار بن نزار بن معد بن عدنان. فهم من قبائل عدنان ولكنهم صاروا إلى اليمن؛ واستدل من قال ذلك بأن جريراً البجلي نافر⁽²⁾ الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي حكم العرب، فقال له:

يَا أَقْرَعُ بِنَ حَابِسِ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ أَنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

فجعل نفسه أخوا له وقال:

ابني نزار انصرا أحاكما إن أبي وجدته أباكما

لن يغلب اليوم أخ والاكما

وقد تفرعت بجيلة إلى بطون منهم بنو عرينة بن نذير بن قيس بن عبقر بن أنمار؛ منهم الرهط الذين قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة ثم استوحموها، فبعث بهم

(1) ثلب فلانا: عابه وتنقصه.

(2) نافر: أي حاكم، والمنافرة: مأخوذة من نفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان وادعى كل واحد منهما أنه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا إلى بعض حكماهم، فمن فضّل منهما قيل نفره عليه أي فضل نفره على نفر الآخر، فمن هذا أخذت المنافرة، ولزهير المزني:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء - [الروض الأنف].

رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة⁽¹⁾ يشربون من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا قتلوا راعيها واستاقوا الإبل؛ فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم فلما جيء بهم إليه سئل أعينهم كما فعلوا براعي الإبل وتركهم بالحرّة حتى ماتوا.

ومن أثمار - أيضا - بنو علقمة بن عبقر بن أثمار؛ منهم جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي صاحب رسول الله ﷺ. ومن بني الغوث بن بجيلة بنو أحمس بن الغوث، قيل كان منهم قيس بن مكشوح، فهو بجلي بالنسب مرادي بالحلف؛ وكان سيد بني مراد بن مذحج وعداده فيهم. ويروى أنه نهضت مائة وخمسون فارسا من فرسان بني أحمس هؤلاء مع جرير بن عبد الله البجلي إلى حرق ذي الخَلَصَة⁽²⁾ وهو صنم لبجيلة وخنعم وبني الحارث بن كعب وغيرهم، فبارك رسول الله ﷺ في خيل أحمس ورجالها ودعا لهم⁽³⁾.

ومن بني الغوث - أيضا - بنو قتيان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث، منهم رفاعة بن شداد القتياني الذي نجا يوم الوردة. ومنهم أم خارجة عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد بن قتيان صاحبة المثل: "أسرع من نكاح أم خارجة"؛ وذلك أنها

(1) البخاري ومسلم.

(2) الخَلَصَة (بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة وروي بفتح أوله وإسكان ثانيه وضمه والأول أشهر): بات له حب أحمر، وذو الخَلَصَة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخَلَصَة واسم الصنم ذو الخَلَصَة. وقد صار موضع ذي الخَلَصَة مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها: العبلات من أرض خنعم - [فتح الباري].

(3) أخرجه البخاري وأحمد، وفي البخاري عن جرير قال: كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخَلَصَة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا تريحني من ذي الخَلَصَة؟ فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فدعا لنا ولأحمس، وفي رواية: فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

كان يأتيها الخاطب فيقول لها: حُطْب، فتقول: نكح! وقد ولدت كثيرا من القبائل؛ تزوجها بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان فولدت له خارجة، وبه كنية؛ ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا فولدت له سعداً أبا المصطلق؛ ثم تزوجها بكر بن عبد مناة بن كنانة فولدت له ليثا ومدلجا؛ ثم تزوجها مالك بن عمرو بن دودان فولدت له غاضرة وعمراً؛ ثم تزوجها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر فولدت له عرافة؛ ثم تزوجها عمرو بن تميم فولدت له أُسَيْدًا والهجيم والعنبر. وتزوجها آخرون⁽¹⁾. ومن بجيلة - أيضا - شق الكاهن بن صعب بن يشكر صاحب سطيح، وسيأتي بعض التعريف به عند قول الناظم: في فم شق وسطيح تفلت .. إلخ.

وكانت منازل أثمار بسروات⁽²⁾ اليمن والحجاز إلى تبالة. وقد قدم وفد بجيلة سنة عشر، وفيهم جرير بن عبد الله البجلي؛ وكان رسول الله ﷺ قال للصحابة: «يطلع عليكم من هذا السفح من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك»⁽³⁾، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا، قال جرير: فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعته وقال «وعلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة

(1) قبل تزوجت نيفا وأربعين زوجا، وولدت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين. وكانت أم خارجة هذه ومارية بنت الجعيد العبدية وعاتكة بنت مرة بن هلال السلمية، وفاطمة بنت الخرشب الأثمارية وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد النجارية - أم عبد المطلب بن هاشم - إذا تزوجت الواحدة منهن رجلا كان أمرها إليها: إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت - [مجمع الأمثال للميداني].

(2) سروات: أي ضواحي وأعالى.

(3) أخرجه أحمد وابن حبان. ويقال: عليه مسحة من جمال أو هزال أي شيء منه، وذو المسحة: جرير بن عبد الله البجلي - [القاموس].

وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتنصح⁽¹⁾ للمسلمين وتطيع الوالي وإن كان عبدا حبشيا»، فقلت: نعم، فبايعته. وسأله رسول الله ﷺ عما وراءه؟ فقال له جرير: يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام والأذان وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد. وكان جرير بن عبد الله البجلي من سادات قومه، وكان صحابيا جليلا وسيدا نبيلًا، وكان بديع الحسن حتى لقب بيوسف هذه الأمة؛ وكان قد جمع قومه بعد تفرق وساسهم، وفيه يقول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبنت القبيلة!

(ولما سمع عمر هذا البيت قال: ما مدح رجل هجيت قومه). وكان قد أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوما، ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم أكرمه وقال فيه: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»⁽²⁾ وأمره على قومه. وتوفي سنة إحدى وخمسين.

وأما غسان (بوزن كتان): فهو اسم لعدة بطون، منهم بنو جفنة والحارث (وهو مُحَرَّقٌ)⁽³⁾ وثعلبة (وهو العنقاء) وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف، بنو عمرو (مزقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وتفرعت منهم بطون كثيرة وانضم إليهم

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

(2) أخرجه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط.

(3) هو الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة، ولقب المحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارهم، أو أول من حرق الناس بالنار، فكان يقال لبنيه: آل المحرق، ولقب عمرو بن هند - أيضا - بالمحرق لأنه أحرق تسعة وتسعين من بني دارم، وكمل مائة بواحد من البراجم (من بني تميم) هو صاحب المثل: "إن الشقي وافد البراجم"، وقد كان عمرو بن هند حلف ليحرقن منهم مائة بأخيه سعد، فمرَّ رجل من البراجم فاشتم رائحة الشواء من لحوم الناس، فظن أن الملك اتخذ طعاما، فعدل إليه ليرزق منه، فقيل له: ممن أنت؟ قال: وافد من البراجم، فألقاه في النار، فقيل: "إن الشقي وافد البراجم".

غيرهم. وقد كانت كل قبيلة من قبائل العرب بنو أب واحد، سوى ثلاث قبائل هي غسان هؤلاء وتنوخ والعتق.

أما غسان فعدة قبائل اجتمعوا على ماء باليمن يقال له غسان فسموا به، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

يا بنت آل معاذ إني رجل من معشر لهم في المجد بنيان
شم الأنوف لهم عزٌّ ومكرمة كانت لهم من جبال الطود أركان
إما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسانُ

وأما تنوخ فعدة بطون — أيضا — منهم: فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة الكلبيون. ومنهم نزار (وهم لوث)، ليس نزار بوالد لهم ولا أم، ولكنهم من بطون قضاعة كلها). ومنهم: الأحلاف، وهم من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس، اجتمعوا على المقام بمكان بالشام وتحالفوا على ذلك، فسموا لذلك بتنوخ (من التتخ وهو المقام).

وأما العتق (بوزن عنق): فهم لفيف من العرب، اجتمعوا من عدة أحياء متفرقة، بعضهم من حَجْرٍ ذي رُعين الحميري وبعضهم من سعد العشيرة المدحجي — وهذان من القحطانيين — وبعضهم من كنانة العدنانيين؛ وكانوا ثمانين رجلا هبطوا من التنعيم⁽¹⁾ متمالكين على غدر النبي ﷺ فظفر بهم وأعتقهم، فسموا بالعتق؛ ونزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾⁽²⁾، منهم زيد

(1) التنعيم: موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة، أقرب أطراف الحِلِّ إلى البيت، سُمي بذلك لأن على يمينه جبل نُعيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه: نَعْمَانُ — [القاموس].

(2) الفتح: 24.

بن الحارث العتقي الصحابي من حجر حمير، ومنهم عبد الرحمن بن القاسم العتقي صاحب الإمام مالك بن أنس، وعبد الرحمن بن الفضل قاضي تدمر.

هذا وكان لغسان ملك العرب بالشام بعد سليح القضاعيين، فتداولته ملوكهم حتى كان آخرهم جبلة بن الأيهم الغساني، الذي أسلم زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ارتد ولحق ببلاد الروم، كما يأتي إن شاء الله. ومن غسان بنو عمرو بن الأزد، منهم ثعلبة بن عمرو رأس غسان عند سيرهم إلى الشام وأخوه جذع صاحب المثل: "خذ من جذع ما أعطاك".

وأما لضم (بفتح فسكون) فهو مالك بن عدي⁽¹⁾ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ومن لحم هذا تفرعت بطون كثيرة وأفخاذ متشعبة، منهم بنو نُمارة وبنو جزيلة ابني لحم؛ فمن بني نُمارة بنو الدار⁽²⁾ بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، منهم الصحابي الجليل تميم الداري، وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سُود بن حَذيمة (وقيل أوس بن حارثة بن سواد بن جذيمة) بن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ اللخمي الداري؛ كان نصرانياً وأسلم سنة تسع، وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال، فحدث عنه النبي ﷺ بذلك على المنبر؛ ولا يعلم أحد روى عنه رسول الله ﷺ حديثاً حدث به الناس إلا هو! فكان ذلك من مناقبه رضي الله عنه، وسكن المدينة ولم يزل بها حتى قُتل عثمانُ فانتقل منها إلى الشام وسكن فلسطين، وكان عابد أهل زمانه وراهب أهل عصره

(1) وأخوه جذام واسمه عامر، وقد جذم مالك اصبع عامر فسمي جذاماً، ولحم عامر مالكا فسمي لحماً، واللحم: اللطم؛ يقال لحم وجهه: لطمه، واللحم أيضاً: القطع؛ يقال لحم الشيء لحماً: قطعه - [تاج العروس].

(2) الدار (في الأصل) اسم الحلة والثوب، فنقلت إلى الرجل فسمي بها وصار يعرف بالدار بن هانئ، وإليه ينسب تميم الداري.

كثير التهجد، قام ليلة بأية ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾⁽¹⁾ حتى الصبح. وهو أول من أسرج السراج⁽²⁾ في المسجد وأول من قصَّ به، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب بإذن منه؛ ومات بالشام وقبره ببيت جيرون من بلاد فلسطين. وأهدى تميم الداري هذا فرسا يسمى الورد للنبي ﷺ فأعطاه لعمر فحمله عمر في سبيل الله ثم وجدته يباع برخص فأراد أن يشتريه فسأل النبي ﷺ فقال: «لا تشتريه لا تعد في صدقتك وإن أعطيتك بدرهم فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه»⁽³⁾.

ومن ثمارة — أيضا — بنو نصر بن ربيعة، رهط المنذر اللخمي ملك الحيرة، وبنو امان بن عمرو بن رزَيْن بن ثَمَارَةَ، منهم قصير بن عمرو بن رزَيْن صاحب المثل: "لأمر ما جدع قصير أنفه"⁽⁴⁾، وهو الذي قتل الزبَاء.

(1) الجاثية: 21.

(2) أسرج: أوقد، والسراج: المصباح الزاهر.

(3) أخرجه البخاري ومسلم، عن عمر قال: حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده وظننت أنه بائع برخص فأردت أن أشتريه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تبتعه ولا تعد في صدقتك ولو أعطاكه بدرهم فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه».

(4) يضرب فيمن استعمل حيلة لنيل مرامه، وأول من نطق به الزبَاء بنت الرِّيَّان الغسانية لما رأت قصيرا مجدوعا. وأصله أن قصيرا كان وزيرا لجذيمة الأبرش، ولما قُتلت الزبَاء جذيمة احتال قصير في قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل إليها زاعما أن عمرا بن أخت جذيمة صنع به ذلك، وأنه لجأ إليها هاربا منه واستجار لها، ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به، وعلم خفيا قصرها، ثم وضع رجالا من قوم عمرو في غرائر وعليهم سلاح وحملهم على الإبل على أنها قافلة متجر إلى أن دخل بهم مدينتها فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلوا، فعلمت حيلته وقالت المثل المذكور — [فرائد الأدب].

ومن بني جزيلة بن لحم: بنو إراش وبنو حُجر وبنو عمرو وبنو يشكر وبنو أذُب وغيرهم.. فمن بني إراش عمارة بن تميم صاحب ابن الأشعث. ومن بني حجر الفقيه عبد الملك بن عمير بن سويد المعروف بالقبطي، نسبة إلى فرس له. وأما بنو يشكر فينسب إليهم "جبل يشكر" بين مصر والقاهرة. ومن بني أذُب الصحابي الجليل البدري: حاطب بن أبي بلتعة حليف الزبير بن العوام، وبطنه من بني أذُب بنو راشدة - وإليهم ينسب جامع راشدة بفسطاط مصر - ومنهم المغيرة بن زيد بن حاطب بن أبي بلتعة، قتله الحسن بن عثمان بن صهيب فأقيد به. ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد الملقب "شبطون" (أول من أدخل الموطأ الأندلس).

ومن لحم - أيضا - أكدر بن حمام بن صعب بن كثير اللخمي، شهد فتح مصر هو وأبوه وجالس الصحابة وكان ذا دين وفضل وفقه، وهو صاحب الفريضة التي تسمى بالأكدرية⁽¹⁾؛ وكان ممن سار إلى عثمان ثم كان علويا، ثم كان معاوية بعد يولف قومه ويكرمه ويدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسه. ثم حارب الأكدرو مروان حين

(1) الأكدرية (في الفرائض): زوجٌ وأمٌ وجدٌ وأختٌ لأبٍ وأمٍ، لقبت بالأكدرية لأن عبد الملك بن مروان سأل عنها رجلا يقال له أكدر فلم يعرفها، أو كانت الميتة تسمى أكدرية، أو لأنها كدرت على زيد - [قاموس]؛ وأصل هذه الفريضة: ستة، فيفرض للزوج: النصف (ثلاثة) وللأم الثلث (اثنان)، وللجد السدس (واحد)، وللأخت: النصف (ثلاثة)، فقد عالت إلى تسعة ثم يجمع نصيب الجد والأخت - وهو أربعة - ويقاسمها (للذكر مثل حظ الأنثيين)، والأربعة لا تصح على ثلاثة ولا توافق فتضرب المسألة بعولها تسعة في ثلاثة عدد رؤوس المنكسر عليها يحصل سبعة وعشرون، من له شيء من تسعة أخذه مضروبا في ثلاثة، فلزوج ثلاثة في ثلاثة (بتسعة)، وللأم اثنان في ثلاثة (بسته) وللجد ثمانية، وللأخت (أربعة).

وتلقى هذه المسألة - أيضا - في المعايات فيقال أربعة ورثوا ميتا: فأخذ أحدهم ثلث المال وانصرف، وأخذ الثاني ثلث ما بقي وانصرف، وأخذ الثالث ثلث ما بقي وانصرف، وأخذ الرابع ما بقي وانصرف!.

حاصر مصر فاحتال له مروان حتى قتل.

وقد كان للخميين ملك بالحيرة والعراق في الجاهلية، وأولهم عمرو ذو الطوق، وآخرهم النعمان بن المنذر. ودار لحم بالشام بينه وبين مصر، وانحدرت طائفة منهم في زمن الفتوحات إلى مصر حين فتحت فاختطوا بها، وبعضهم بصعيدها مسكنهم بالبر الشرقي، وكان لبقاياهم في الإسلام ملك بإشبيلية من الأندلس، وهي دولة بني عباد للخميين؛ وأول من ملك منهم القاضي محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد من نسل النعمان بن المنذر، وآخرهم المعتمد بن عباد؛ ودارهم بالأندلس: شذون والجزيرة وإشبيلية. وسيأتي بعض الكلام على هاتين الدولتين.

وأما جذام (بوزن غراب) فهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وزعم نسبة مضر أنهم من العدنانية، وأنهم انتقلوا إلى اليمن فنزلوا به فنسبوا إلى القحطانيين، واستدلوا على ذلك بقول الكميت يذكر انتقالهم ذلك إلى اليمن وانتسابهم فيه:

نَعَاءٌ⁽¹⁾ جَدَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ

وَيَقُولُ جِنَادَةُ بْنُ خَشْرَمِ الْجَدَامِي:

وَمَا قَحْطَانٌ لِي بِأَبٍ وَأُمٍّ وَلَا تَصْطَادُنِي شِبْهُ الضَّلَالِ

وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ نَسَبِي وَلَكِنْ مَعْدِيَا وَجَدْتُ أَبِي وَخَالِي

وقيل إنهم من ولد أعصر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، وورد أن النبي ﷺ قدم عليه وفد من جذام فقال لهم: «مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى». ولجذام من الولد: حرام وحشيم، ومنهما تفرعت بطون كثيرة وأفخاذ متسعة؛ منها بنو

(1) نعاء (بالبناء على الكسر): اسم فعل للأمر بمعنى: إنع يقال: نعاء فلانا أي أظهر وبلغ خير وفاته. [المنجد].

عتيب بن أسلم، وإلهم تنسب جفرة عتيب بالبصرة وفيهم المثل: "أودى عتيب"، قيل أصله أن بعض الملوك أغار عليهم فسبى الرجال فكانوا يقولون: إذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكونا.. فلم يزالوا كذلك حتى هلكوا، فضرب بهم المثل المذكور، وفي ذلك يقول الشاعر:

ترجيتها وقد وقعت بُقير كما تـرجو أصاغرها عتيب

فمن بني حرام بن جذام بنو غطفان وبنو افضى ابني سعد بن اياس بن افضى بن حرام بن جذام، وهما بطنان ضخمان فيهما بيت جذام وعددها؛ منهم بنو شأس بن سعد الذين منهم الفقيه صاحب الجواهر في الفقه على مذهب الإمام مالك. ومن بني افضى: أبو زرعة روح بن زباع بن روح بن سلامة الجذامي، أحد قواد جيش عبد الملك بن مروان؛ وقد قال فيه عبد الملك: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز؛ وكان روح يقول: لم أطلب بابا من الخير إلا تيسر لي ولا طلبت بابا من الشر إلا لم يتيسر لي. وكانت لروح هذا مزرعة إلى جانب مزرعة للوليد بن عبد الملك، فشكا وكلاء روح إليه من وكلاء الوليد، فشكا ذلك روح إلى الوليد فلم يشكه؛ فذكر ذلك روح لعبد الملك بحضرة الوليد، فقال عبد الملك: ما يقول روح يا وليد؟ قال: كذب يا أمير المؤمنين، فقال روح: غيري والله أكذب! فقال الوليد: لا سرعت خيلك يا روح، قال: نعم.. كان أولها بصفين وآخرها بمرج راهط!⁽¹⁾ وقام مغضبا، فقال عبد الملك للوليد: بحقي عليك لما أتيته

(1) صفين: موضع بقرب الرقة من سورية، وقعت فيه الملحمة العظيمة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ومرج راهط: موضع بالشام، وقعت فيه الواقعة المشهورة بين مروان بن الحكم الأموي والضحاك بن قيس الفهري، وقتل فيها الضحاك واستقام الأمر لمروان، وكان روح وقومه مع معاوية بصفين ومع مروان بمرج راهط.

فترضيته ووهبت له المزرعة. فخرج الوليد يريد روحا، فقيل لروح هذا ولي العهد قد أتاك، فخرج يستقبله فوهب له المزرعة. ولروح هذا ابنه ضبيعان بن روح، ولي الأردن وله عقب. وديار بني حرام من الكرد إلى الأزم من بركة الحجاز إلى مصر وبناحية المدينة إلى حدود غزة من بلاد الشام؛ وبافريقية من بلاد المغرب منهم فرق كثيرة، ودارهم بالأندلس: شذونة والجزيرة وتدمير وإشبيلية.

ومن جذام - أيضا - بنو سويد بن زيد، ومساكنهم بالديار المصرية؛ منهم طريف بن مكنون بن الوليد بن سويد الملقب بزينة الدولة، كان من أكرم العرب كثير الضيفان يهشم الثريد في المراكب. ومن جذام - أيضا - بنو الضبيب وبنو بعجة وغيرهم. وقد جاء بنو جذام في الفتح الإسلامي مع عمرو بن العاص إلى مصر، فكانوا من أول من سكنها من العرب، واقتطعوا بها بلادا توارثتها بنوهم.

وأما عاملة فاسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل عاملة أمهم، وهي عاملة القضاعية. وزعم بعض نسابة مضر أن عاملة ابن قاسط بن أسد بن ربيعة، واحتج على ذلك بقول الأعشى:

أعمال حتى متى تذهين إلى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجعوا إلى النسب الأتلد الأقدم

وكانت عاملة حلفاء لكلب، وغزت معهم إلى طيب فأسر رجل من عاملة - اسمه قعيسيس - عديا بن حاتم فانتزعه منه شعيب بن الربيع بن مسعود العليمي أحد بني عليم من كلب، وقال له: ما أنت وأسر الأشراف؟! وأطلقه بغير فداء. ومن بطون عاملة بنو شغل وبنو عجل وبنو سلامة.

ومن عاملة - أيضا - بنو الزهد وبنو معاوية، ابني عاملة؛ فمن الزهد ثعلبة بن سلامة بن جحدم، ولي الأردن والأندلس وقتل مع مروان بن محمد. ومن بني معاوية عدي بن الرقاع، شاعر إسلامي في عهد الوليد بن عبد الملك، وقد مدحه. وبلاد

عاملة الشام؛ وكان منهم الجم الغفير بجبال عاملة (من بلاد الشام). [والله تعالى أعلم].

ثم ذكر الناظم بعض خواص بلاد سبأ المتقدم ذكره، فقال رحمه الله:

طِيبُ هَوَاءٍ سَبَأٍ يَمُوتُ لَهُ مِنْ حِينِهِ قَمْلٌ غَرِيبٍ نَزَلَهُ
وَمَا تَوَلَّدَ مِنَ الْعَفُونَةِ وَمِنْ ذَوَاتِ السَّمِّ لَا يَرُونَهُ

قوله: طيب هواء (بكسر الطاء وسكون الياء): أي جودة وحسن هواء سبأ أي جو بلادها ومناخها (وهو حالة جوها)، والمراد بسبأ هنا بلادهم ومنازلهم. والضمير في له: عائد على طيب. والغريب: البعيد عن وطنه جمعه غرباء. والضمير في نزله: عائد على سبأ. والعفونة (بضم العين): فساد الشيء من نُذُوءٍ تصيبه وتغير رائحته فتولد منه بعض الحشرات. وذوات السم: السامة من الحيوان، والسم (بتثنية المهملة): مادة سامة تسري في الجسم تقتل أو تعطل الأعمال، جمعه سَمَامٌ وَسُمُومٌ. والضمير المرفوع في لا يرونه: عائد على سبأ بمعنى أهلها، والمنصوب عائد على ما تولد... إلخ.

يعني أن أرض سبأ لطيب هوائها وجودة تربتها لا يمر بها غريب وفي ثيابه قمل إلا ومات ذلك القمل من حينه، ولا يوجد فيها بعوض ولا ذباب ولا حية ولا عقرب؛ وقد أشار — رحمه الله — بذلك إلى بعض ما ذكره المفسرون في قوله تعالى ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾⁽¹⁾. وحاصل بعض ما جاء في كتب التفسير وغيرها من ذلك، أنه كانت لولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان منازل باليمن، من أعظم مدنها مدينة مأرب — بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام — وهي التي يضاف إليها السد المشهور، فيقال سد مأرب. وكانت طيبة الهواء جيدة التربة سليمة من الأوبئة والهوام لا يوجد فيها بعوض ولا بق ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا

(1) سورة سبأ: 15، ومعنى طيبة: أي ليس فيها هوام لطيب هوائها، وقيل معناها: كثيرة الثمار.

عقرب^١. ويروى أن الغريب إذا مر بها وفي ثيابه قمل يموت ذلك القمل من حينه لطيب هوائها. وفي تفسير القرطبي أن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم: أنهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابة ولا برغوثا ولا قملة ولا عقرباً ولا حية ولا غيرها من الهوام، وإذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب، فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب؛ ولعل الناظم عقد كلامه هذا. والله أعلم.

ويروى أن الماء كان يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول الأمطار من أوديتهم، فعمد ملوكهم الأوائل فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار، فكانت البلدة في غاية ما يكون من الكثرة والحسن وكانت كثيرة الخيرات والبركات فيها الثمار الطيبة والفواكه اللذيذة والظلال الوارفة والمناظر الحسنة والجنان الجميلة والبساتين العظيمة، عن يمين الوادي وشماله، وعلى حافات الطرق التي بين مساكنهم؛ وكانت لتقاربها ونضرتها كأنها جنة واحدة. وكانت فيها مختلف أنواع الثمار والفواكه؛ قيل كانت المرأة منهم تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكنل^(١) فيمتلئ مما تساقط فيه من تلك الأشجار من أنواع الثمار والفواكه من غير أن تحتاج إلى قطفٍ أو كلفة لكثرتة ونضجه واستوائه. واشتهروا مع ذلك بالصناعة وبناء القصور الفخمة كقصر سلحين (وهو قصر ملكتهم بلقيس) فكانوا مقيمين في بلادهم في نعمة عظيمة وغبطة واتساع معيشة، واستمروا على ذلك قرونا كثيرة قبل الإسلام؛ وبعث الله تعالى إليهم الرسل يأمرونهم بتوحيد الله تعالى وعبادته وشكره على نعمه، فكانوا كذلك ما شاء الله. ثم أعرضوا عما أمروا به فعاقبهم الله عز وجل بسيل العرم^(٢)؛

(١) المكنل (كمنبر) والمكنلة: زنبيل يعمل من حوص يحمل فيه التمر وغيره، يسع خمسة عشر صاعا.

(٢) العرم (بوزن كنف): سد بناه السبيون في مأرب بين جبلين لحجز المياه والاستفادة منها، وقد تفرق عرب الجنوب إثر انهياره.

ولما أعرضوا وأراد الله تعالى عقوبتهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجُرْدُ نعبته فانساب الماء في أسفل الوادي فحرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغيرها، ونضب⁽¹⁾ الماء عن الأشجار فيست وتخطمت وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة بأشجار ذات شوك، وتلك الثمار الطيبة الشهية بثمر مر الطعم، كما قص الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ فَمَسَرَّ تِلْكَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ۖ﴾ (٢٠) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۖ﴾ (٣).

ثم تفرق شملهم بعد الاجتماع وانتشروا في البلاد حتى ضرب المثل بهم في التفرق، فكانت العرب تقول في القسوم إذا تفرقوا: "تفرقوا أيادي سبأ" و"أيدي سبأ"،

(1) الجرد (كصرد): ضرب من الفأر، جمعه: جردان، والنقب: الثقب، وانساب الماء: جرى ومشى مسرعاً، ونضب عن الأشجار: أي غار وانقطع.

(2) آية: علامة دالة على قدرة الله تعالى وأن لهم خالفاً خلقهم، وهي جنتان: أي بساتين وأشجار وثمار تستر الناس بظلالها، إحداهما عن يمين الوادي، والأخرى عن شماله، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم، أي قد أباح الله تعالى لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة على ما رزقكم، وقوله: "بلدة طيبة" أي ليس فيها هوام لطيب هوائها، أو طيبة لكثرة ثمارها، "ورب غفور" أي والمنعم بما عليكم رب غفور يستر ذنوبك، فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه.

(3) سبأ: 15 - 16، ومعنى فأعرضوا: أي عن أمره تعالى واتباع رسله، فأرسل الله عليهم سيل العرم وفاض الماء على أموالهم ففرقها، ودفن بيوتهم. والخمط: ضرب من الأراك، أو هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة. والأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه طولاً، ومنه اتخذ منبره صلى الله عليه وسلم، قال قتادة: بينما شجر القوم من خير الشجر إذ صبره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك والطرفاء، والسدر. [القرطبي].

أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده؛ وذلك لأنهم لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين فلحقت غسان وآل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام، ونزلت أزد السراة السراة، وأزد عمان بعمان، والأوس والخزرج بيثرب، وخزاعة بتهامة، وبنو لخم بالحيرة، وكندة بنجد؛ وأقام بعضهم ببلادهم الأصلية؛ ومزقوا كل ممزق، قال أعشى قيس بن ثعلبة من قصيدة له:

وفي ذاك للمؤتسي إسوة ومأرب عفى عليها العرم⁽¹⁾
 رخام بنته لهم حمير إذا جاء مواره لم يرم⁽²⁾
 فأروى الزروع وأعابها على سعة ماؤهم إذ قسم⁽³⁾
 فصاروا أيادي ما يقدر ن منه على شرب طفل فطم

[نسأل الله تعالى دوام النعمة وجميل العاقبة وحسن الخاتمة].

ولما كانت الأبناء العشرة المنسوبون إلى سبأ بعضهم لصلبه وبعضهم من ولد ولده وبعضهم مختلف فيه، هل هو لصلبه أو من أسباطه، شرع في بيان ذلك فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِصْلِبِهِ عِنْدَ ذَوِي الْأَنْسَابِ: كَهَلَانَ حَمِيرٍ بِلَا ارْتِيَابِ
 وَالْخَلْفُ فِي عَامِلَةٍ وَالْأَشْعَرِ فَفَقِيلَ مِنْ كَهَلَانَ أَوْ لِلْأَكْبَرِ
 وَسَائِرُ النَّفْرِ مِنْ كَهَلَانَا وَمِنْهُ خَوْلَانُ بَنُو هَمْدَانَا

(1) اتسسى به: اتخذه إسوة واقتدى به. ومأرب: مدينة كانت باليمن، وعفى عليها: أي أزال أثرها ومحا بقيتها، والعرم: السيل الذي لا يطاق.

(2) الرخام: ضرب من الحجر يمكن صقل سطحه بسهولة، والموار: السريع الاندفاع (يعني به الماء)، ولم يرم: أي لم يثبت.

(3) أروى: أي سقى، والزروع: جمع زرع، وهو البذر يطرح في الأرض. والأعقاب: جمع عقب، وهو ثمر الكرم.

قوله لصلبه: خير مقدم على كهلان، والضمير فيه عائد على سبأ المحدث عنه والذي مر ذكره. وذوو الأنساب: المراد بهم علماء النسب. وكهلان (بوزن سكران): مبتدأ مؤخر. وحمير (بالرفع): عطف على كهلان مجذوف العاطف. وقوله فقيل من كهلان: أي من ولده لصلبه. وقوله أو للأكبر: أي وقيل إنهما من صلب الأب الأكبر للقحطانية الذي تفرعت منه جل قبائلها وهو سبأ بن يشجب، فعلى القول الأول يكون عاملة وأشعر ابني كهلان لصلبه، وعلى الثاني فهما أخوا كهلان وحمير ابني سبأ. وقوله وسائر النفر: أي بقيته، وال فيه عهدية مشار بها إلى المذكورين في قوله السابق: لسبأ بن يشجب بن يعرب، ويعني بسائر النفر: الأزد ومذحجا وكندة وأماراً وغسان ولخماً وجذاماً. يعني أن كهلان وحمير ابنا سبأ لصلبه بدون واسطة باتفاق أهل النسب، وأما عاملة والأشعر فقد اختلف فيهما، فقيل تفرعا من كهلان، وقيل بل هما ابنا سبأ لصلبه، والأول أشهر. أما سائر قبائل سبأ المذكورة - غير حمير وعاملة والأشعرين - فقد تفرعوا من كهلان.

فالخاص أن لسبأ من الولد لصلبه كهلان وحمير اتفاقاً، وأن الأزد ومذحجا وكندة وأماراً وغسان ولخماً وجذاماً من ولد ولده كهلان اتفاقاً، وأن الأشعر وعاملة مختلف فيهما؛ فقيل لصلبه وقيل من ولده كهلان، وهو المشهور. والله أعلم.

أما كهلان فهم بنو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم تفرع معظم القحطاني، وكانت قبيلة كهلان متداولة الملك باليمن مع أختها حمير، فكانت سياسة الملك ودار المملكة لحمير، وأعنة الخيل وملك الثغور والأطراف لكهلان، وأقاموا على ذلك فترة ثم انفردت حمير بالملك، وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت ملكهم، ثم تقلص ملك حمير وبقيت الرئاسة على العرب بالبادية لبني كهلان. وشعوب كهلان - مع كثرتها واتساعها - كلها متشعبة من زيد بن كهلان، وهم قبائل كثيرة؛ والمشهور منها إحدى عشرة قبيلة هي الأزد وطبيئ ومذحج وهمدان وكندة ومراد وأمار وجذام ولخم وعاملة والأشعريون.

وقوله: **خولان** (بالرفع): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في منه: عائذ على كهلان. وقوله **بنو همدان**: عطف على **خولان** بحذف العاطف. يعني أن من بطون كهلان الحيين المشهورين وهما خولان وبنو همدان.

أما **خولان** فهم بنو خولان، واسم خولان **فَكْلُ** بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، ومالك بن الحارث بن مرة هذا أخو عدي بن الحارث والد لخم وجذام وعاملة، المتقدم ذكرهم. وبلاد خولان هؤلاء اليمن من شرقه؛ وبتونهم سبعة: بنو سعد وبنو بكر وبنو نبت وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو، وكل هؤلاء بنو خولان لصلبه؛ وتشعبت هذه البطون إلى أفخاذ كثيرة. وقد قدم وفد خولان من اليمن على رسول الله ﷺ بالمدينة سنة عشر وقالوا له: نحن مؤمنون بالله مصدقون برسول الله، ونحن على من وراءنا من قومنا وقد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله وكرسوله، وقد قدمنا زائرين لك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «أما ما ذكرتم من مسيركم إلى فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين لك فإنه من زارني في المدينة كان في جواربي يوم القيامة»⁽¹⁾. فسألوه عن فرائض الدين فعلمهم إياها وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا، ومكنوا أياما ثم ودعوه وأجازهم⁽²⁾. وأول ما صنعوا حين رجعوا إلى بلادهم أن هدموا صنمهم "عم أنس" ثم حرموا ما حرم عليهم النبي ﷺ وأحلوا ما أحل لهم. وقد افترقوا في الفتوحات ونزلوا بمصر والشام فحملت أنسابهم؛ وبقيتهم باليمن.

(1) رواه ابن سعد في طبقاته: 1 / 324.

(2) أجاز فلانا: أعطاه من الماء ما يجوز به من منهل إلى منهل، وأجازه إذا أعطاه الجائزة، وفي الحديث: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم».

ومن خولان الفقيه التابعي الجليل عالم أهل الشام أبو إدريس بن عبد الله بن عمرو الخولاني الدمشقي، كان واعظ أهل دمشق في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد ولاه عبد الملك قضاء دمشق، وتوفي سنة ثمانين. ومنهم أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن أيوب، ومن ذريته المحدث المشهور عمرو بن عبد الملك بن سليمان الخولاني، كان من أهل قرطبة؛ ومنهم السمع بن مالك الخولاني، من ولده إسحاق بن قاسم بن سمرة بن ثابت بن نهشل بن مالك بن السمع الخولاني، من أهل قرطبة أيضا، أصله من الجزيرة، ويكنى أبا عبد الحميد.

وأما همدان (بإسكان الميم) فهم بطن من كهلان - أيضا - وهم بنو همدان، واسم همدان اوسلة بن مالك بن زيد بن اوسلة بن ربيعة بن الحِيار بن مالك بن زيد بن كهلان، وكانوا أعظم قبيلة؛ وكانت ديارهم باليمن من شرقه ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق وبقي من بقي باليمن، ولم تبق لهم قبيلة بعد تفرقهم إلا باليمن. وبتلونهم كثيرة، منها بنو الزريع، وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن، وبنو أرحب بن مالك بن معاوية وإليهم تنسب الإبل الأرحبية⁽¹⁾، منهم أيوب بن أعظم الشاعر؛ جاء إلى النبي ﷺ وهو ابن مائة وخمسين سنة، وقال أبياتا منها:

وقبلك ما فارقت بالحوافِ أرحبا ...

ومنهم مالك بن النمط بن قيس بن مالك بن سعد بن مالك الهمداني الأرحبي كان على وفد همدان الذين قدموا على رسول الله ﷺ سنة تسع، وكان شاعرا محسنا؛ ومن شعره ما كان يرتجز به حين قدموا على رسول الله ﷺ، ويقول:

(1) قال الشاعر:

وما كاذ جون أرحبي يقلها بزفرته حتى اكلاز وأعصما

إليك جاوزنا سواد الريف في هبوات الصيف والحريف⁽¹⁾
مخضّمات بحبال الليف⁽²⁾

ومنه قوله:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصارِدِ⁽³⁾
وهن بنا خصوص طلائح⁽⁴⁾ تعتلي بركبائها في لاحب متمدّد
على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مرّ الهجف الخفيدد⁽⁵⁾
حلفت برب الراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قردد⁽⁶⁾
بأن رسول الله فينامصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقاة فوق رحلها أشدّ على أعدائه من محمد

- (1) سواد البلدة: ما حولها من الريف والقري، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ولما حولهما من القري. والريف (بالكسر): أرض فيها زرع وخصب وما قارب الماء من أرض العرب، أو حيث الخضر والمياه والزرع، والهبوات: جمع هبوة وهي الغيرة، والهباء: الغبار، أو يشبه الدخان ودقاق التراب ساطعة ومنتورة على وجه الأرض. [القاموس]
- (2) المخضّمات: الإبل التي جعلت فيها الأزمة، والخطام (بالكسر): ما يوضع في أنف البعير ليقاد به، والليف: قشر النخل وما شاكلة.
- (3) الدجى: الظلمة، وفحمة الليل: أوله، أو أشد سواده، أو ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس - [القاموس] - ورحرحان وصارد: موضعان أو جبلان.
- (4) الخوص: جمع خوصاء: التي غارت عينها في رأسها من دوام السير، وطلائح: جمع طليح: البعير إذا أعيا وتعب وهزل.
- (5) فتلاء الذراعين: التي بانّت مرافقها من أباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز وهو جرح يصيب كراكرها إذا صككتها مرافقها فيمنعها ذلك عن السير، فهو أقتل وهي فتلاء، والجسرة: العظيمة، والهجف: الظليم المسن أو الجافي الثقيل منه. والخفيدد: السريع وذكر النعام جمعه: خفادد وخفاديد.
- (6) هضب: جمع هضبة: للجبل المنبسط على وجه الأرض، أو ما ارتفع من الأرض. والقردد (كمهدد): جبل أو أرض مستوية غليظة مرتفعة.

وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بحد المشرفي المهند⁽¹⁾

ومن بطون همدان - أيضا - بنو حرب بن سبيع؛ منهم الحارث بن عبد الله الأعمور أحد رجال الحديث (وهو ضعيف الحديث) وبنو الأوزاع، وإليهم ينسب الأوزاعي⁽²⁾، وبنو أزد بن عبد الله بن قادح وبنو الصائد بن شرحبيل، ومنهم بنو حاشد وبكيلِ ابني جشم بن خيران بن نوف بن همدان. وقد تفرع هذان البطنان - أيضا - إلى بطون كثيرة؛ فمن بني حاشد: بنو يريم بن جشم بن حاشد وبنو حجور وبنو قابض بن يزيد بن جشم بن حاشد وبنو شيبام بن أسعد بن جشم بن حاشد وبنو الجندع بن مالك وبنو وادعة وبنو خارف، وهو مالك بن عبد الله بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد. ومن بني بكيلِ بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان: بنو شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعيب بن درمان بن بكيلِ، ومنهم بنو مُرْهَبَة وأرحب ابني دَعَام بن مالك بن معاوية بن صعيب، ومنهم بنو صهلان بن ثور بن مالك بن معاوية بن صعيب بن درمان بن بكيلِ. ومن همدان - أيضا - خيوان الذين كانوا يعبدون يعوق بأرض همدان من اليمن، وبطون أخرى لا تحصى كثرة.. وقد بدأ الناظم ببني كهلان فقال: ومنه حولان بنو همدان.. ثم بدأ بخولان فقال رحمه الله:

(1) المشرفي: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، وقيل ان النسبة لمشارف اليمن، والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند، وكان خير الحديد.

(2) هو الإمام أبو عمرو (عبد الرحمن) بن عمرو بن محمد الأوزاعي الشامي، أحد المجتهدين الذين لم تعد مذاهبهم موجودة. ولد بعلبك سنة 88 هـ وروى - بعد أن شب - عن قتادة وعطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر. وروى عنه مالك بن أنس والثوري وابن المبارك وغيرهم. ساد مذهبه بالشام مدة وساد في الاندلس حتى سنة 255 هـ حيث تراجع أمام انتشار مذهب مالك. توفي الأوزاعي رحمه الله مرابطا ببيروت سنة 157 - [تهذيب التهذيب].

نسب خولان*

خَوْلَانُ مَعْشَرُ ذُوَيْبِ بْنِ كَلَيْبِ أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَمَا ضَرَّتْ ذُوَيْبُ
عَبْهَلَةَ الْعَنْسِيِّ ذُو الْحِمَارِ فَكَانَ كَالْخَلِيلِ لِلْمُخْتَارِ
أَضَلَّهُمْ صَنَمُهُمْ «عَمُّ أَنْسٍ» كَانُوا إِذَا مَا الْغَيْثُ عَنْهُمْ أَحْتَبَسَ
تَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِالذَّبَائِحِ فَأَمْطَرُوا ؛ وَأَعْظَمُ الْقَبَائِحِ
أَنْ جَعَلُوا لَهُ وَلِلَّهِ نَصِيبٌ مِنْ مَالِهِمْ ، وَإِنْ تَعَيَّبَ النَّصِيبُ
أُعْطِيَ لِلصَّنَمِ حَظُّ اللَّهِ وَحَظُّهُ لَمْ يُعْطَ لِلإِلَهِ!

خولان: مبتدأ، ومعشر ذؤيب: خبره. وذؤيب وكليب كلاهما بصيغة التصغير. والضمير في ألقاه: عائد على ذؤيب. قوله وما ضرت ذؤيبا: أي ما أحرقتة. وفاعل ضرت: ضمير مستتر عائد على النار. وذؤيب: مفعول به، ووقف عليه بوقف ربعية - الذين يقفون على المنصب بالسكون - وفيه الإظهار في محل الإضمار. وعبهلة (بالرفع): فاعل ألقاه. والعنسي وذو الحمار: صفتان لعبهلة، والعنسي: نسبة إلى عنس بن مذحج (بطن من كهلان) وهم قبيلة الأسود هذا ورهطه، منهم بنو مالك. وذو الحمار (بالحاء المهملة): وصف به، قيل لأنه كان له حمار يقول له: ابرك فيرك، واسجد فيسجدا! [وفي بعض نسخ النظم: ذو الحمار (بالحاء المعجمة)؛ قيل لأنه كان يغطي وجهه بخمار]. وقوله فكان كالخليل.. إلخ: اسم كان ضمير مستتر عائد على ذؤيب، وللمختار: خبرها؛ والمراد بالخليل: نبي

* تناول الناظم الكلام على خولان في ستة أبيات ذكر فيها بعض أخلاقهم السيئة في الجاهلية، وذكر من أعيانهم الرجل الصالح: ذؤيب بن كليب الخولاني.

الله إبراهيم خليل الرحمن على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

يعني أن بني خولان هم قبيلة الصحابي الجليل ذؤيب بن كليب بن ربيعة الخولاني، وأشار الناظم - رحمه الله - إلى قصته التي جرت له مع عبهلة العنسي التي تشبه قصة إبراهيم الخليل مع النمرود في عدم إحراق النار له، وحاصلها - كما في أسد الغابة، والحلة السيرة، وغيرهما - أن ذؤيب بن كليب هذا كان أول من أسلم باليمن وصدق النبي ﷺ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، فألقاه الأسود الكذاب - وهو المراد بعبهلة العنسي - في النار لتصديقه النبي ﷺ فلم تحرقه؛ فذكر رسول الله ﷺ ذلك لأصحابه وشبهه بإبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه. وعبهلة العنسي هو الأسود بن كعب الكذاب؛ كان قد ادعى النبوة باليمن، وهو أحد الكذابين الذين أحرر رسول الله ﷺ بخروجهما قبل ظهورهما؛ وهما الأسود (العنسي) هذا ومسيلمة الكذاب من أرض اليمامة، وسيأتي مزيد من التعريف بعبهلة هذا وخبر قتله عند قول الناظم: من مذبح عنس قبيل الأسود.. إلخ.

وقوله أضلهم: الضمير فيه لخولان، أي صاروا به إلى ضلال. وصنمهم: فاعل أضلهم. وعم أنس (بالرفع، وهو بفتح العين والهمزة والنون اسم للصنم المذكور): بدل من صنمهم. واحتبس المطر: تأخر. والضمير (الجرور) في توسلوا إليه: عائد على الصنم. والذبائح: جمع ذبيحة (فعيلة بمعنى مفعولة). وأعظم القبائح: مبتدأ، والقبائح: جمع قبيحة وهي الفعلة ذات القبح - وهو ضد الحسن - وخبر المبتدأ جملة أن (بفتح الهمزة) وصلتها. وقوله نصيبا: مفعول به لجعلوا، ووقف عليه - أيضا - بوقف ربيعة. وقوله وإن تعيب (بفتح المهملة): أي فسد أو تلف. والألف واللام في النصيب: عهدية، أي النصيب المذكور للصنم. وقوله حظ (بالرفع): نائب فاعل أعطى. والضمير في حظه: عائد على الصنم.

يعني أن خولان أضلهم صنم كانوا يعبدونه من دون الله، يدعونه "عم أنس" كانوا يستسقون به الغيث إذا أجدبوا فيمطرون، ويقربون له القربان ويذبحون له

الذبائح؛ وأعظم ما كان في ذلك من القبائح ما كانوا يقسمون من أموالهم ويجعلونه بينه وبين الله تعالى، كما قص الله تعالى عنهم في محكم كتابه حيث يقول عز وجل ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾⁽¹⁾.

وحاصل ما أشار إليه الناظم أنه كان لبطن من خولان (يقال لهم الأذنم) صنم في بلادهم يُسمونه "عم أنس" يقسمون له من حرثهم وأنعامهم نصيباً يجعلونه بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما كان من نصيب عم أنس أحصوه وحفظوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي الله ردوه إلى ما جعلوه لعم أنس، وإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب عم أنس لم يردوه، وإذا رأوا ما عينوه الله أزكى أبدلوه بما لعم أنس، وإن رأوا ما لعم أنس أزكى تركوه له، وإذا هلك ما جعلوه لعم أنس أخذوا له بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله تعالى، وكانوا يصرفون نصيب الله تعالى للضيفان والمساكين، وما لعم أنس يصرفونه في سدنته⁽²⁾، فإذا نفذ ما للصنم في الإنفاق على سدنته عوضوا منه ما لله، وإذا ذهب ما لله بالإنفاق على المساكين والضيفان لم يعوضوا منه شيئاً، وقالوا: الله مستغن عنه وصنمنا فقير إليه، فأنزل الله تعالى في شأنهم قوله جل ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ — الآية. وروي أنه لما قدم وفد خولان على رسول الله ﷺ يسألونه عن الدين والفرائض أخبرهم بها وأمر من يعلمهم القرآن والسنن، ثم أمر بهم فأنزلوا

(1) الأنعام: 136.

(2) سدة: جمع سادن: وهو خادم بيت الصنم. وسدة الكعبة: خدامها.

وأمر لهم بضيافة تجري عليهم، وسأهم يوما: «ما أعظم ما رأيتم من فتنة» فقالوا: يا رسول الله لقد أسنتنا حتى أكلنا الأرضة والرملة⁽¹⁾ وهلكت ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا⁽²⁾، فقلنا قربوا قربانا⁽³⁾ لعم أنس فيشفع لكم فتغاثوا، فتعاوننا حتى جمعنا ما قدرنا عليه من مالنا ثم ذهب به ذاهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها علينا فنحرنها في غداة واحدة وتركنها للسباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، فأبي فتنة أعظم من هذه؟! فلقد رأينا العشب يوارى الرجال، ويقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أنزل عليه في ذلك ﴿وجعلوا لله..﴾ الآية. وقالوا له كنا نتحاكم إليه فنكلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «تلك الشياطين تكلمكم»، ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحدا. ثم ودعوه بعد أيام، فأجازهم ورجعوا إلى قومهم، فما حلوا عقدة حتى هدموا صنمهم عم أنس. وفي رواية: قدم وفد حولان سنة عشر، وكانوا عشرة مسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما فعل صنم حولان الذي كانوا يعبدونه؟» قالوا: أبدلنا الله به ما جئت به إلا أن عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به فإن قدمنا عليه هدمناه؛ فعلمهم فرائض الدين وأمرهم بالوفاء بالعهد.. إلى آخر ما مر.

(1) أسنت القوم: أصابهم الجذب والقحط. والأرضة: دوية بيضاء تشبه النملة ودوية تأكل الخشب ونحوه، والرملة: القطعة من الأرض يعلوها الرمل.

(2) يقال: ماله ثاغية ولا راغية: أي ماله شاة ولا ناقة. والثغاء (بالضم): صياح الشاء. والرغاء: صوت الإبل، ويقال أيضا "ما له تاغ ولا راغ" أي ما له شيء. والحافر (من الدواب): ما يقابل القدم (من الإنسان) أي لم يبق لهم شيء.

(3) قربان: كل ما يتقرب به من ذبيحة وغيرها.

ومن خولان - أيضا - أبو أيمن سفيان بن وهب الخولاني، وفد على النبي ﷺ وحضر حجة الوداع، وشهد فتح مصر وإفريقية، وسكن المغرب. روي عنه أنه قال: كنت تحت ظل راحلة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فسمعته يقول: «رُوحة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها وغدوة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها وإن المؤمن على المؤمن عرضَه وماله ونفسَه حرامٌ كما حرم هذا اليوم»⁽¹⁾، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تأتي المائة وعلى الأرض أحد باق»⁽²⁾، كما في أسد الغابة. ومنهم - أيضا - عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني، غلبت عليه كنيته؛ قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ واستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان فاضلا عابدا ناسكا له فضائل كثيرة؛ وكان من كبار التابعين، وقيل إنه أسلم في عهد النبي ﷺ ولم يره. وشهد صفين مع معاوية، وكان يرتجز ويقول:

ما علي ما علي وقد لبست درعتي
أموت عند طاعتي

وغزا الروم وتوفي في أرضهم في خلافة معاوية رضي الله عنه.

ومن خولان - أيضا - أبو مكيف عبد رضا الخولاني، قدم في وفد خولان على رسول الله ﷺ وكتب له كتابا إلى معاذ بن جبل، وكان ينزل ناحية الاسكندرية.

ولما فرغ من الكلام على خولان شرع يتكلم على إخوانهم بني همدان، فقال رحمه الله:

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه مسلم.

نسب همدان*

هَمْدَانُ عَيْبَةٌ عَلِيٌّ الَّتِي يَوَدُّ لَوْ يُتَحَفُّهَا بِالْجَنَّةِ
عَلَى يَدَيْهِ أَسْلَمُوا جَمِيعُهُمْ وَجَاءَ خَيْرَ مُرْسَلٍ إِسْلَامَهُمْ
فَخَرَّ سَاجِدًا وَبَعْدَهَا الْيَمَنُ** فِي الدِّينِ قَدْ تَتَابَعُوا عَلَى سَنَنِ

همدان (بفتح فسكون): مبتدأ، وعيبة: خير؛ وعيبة الرجل: مستودع سره، وفي الحديث: «الأنصار كرشى وعيبي»⁽¹⁾. ويود: يتمنى. ويتحفها: أي يعطيها ويكرمها. وجميعهم (بالرفع): توكيد للضمير في أسلموا. وخير مرسل (بالنصب): مفعول به لجاء. وإسلامهم (بالرفع): فاعل جاء. وخر: أي انكب على الأرض ساجدا شكراً لله على هذه النعمة. قوله وبعدها اليمن: أي أهله. والسنان (بالتحريك): الطريقة، أي تتابعوا على طريقة واحدة وهي الإسلام، وقد مر التعريف بهمدان قريباً.

أشار الناظم - رحمه الله - هنا إلى ما روي في إسلام همدان وحبهم علياً رضي

* تناول الناظم الكلام على همدان في ثلاثة أبيات أشار فيها إلى بعض خصائصهم السنية وسبب إسلامهم.

** اليمن من أشهر بلاد العرب، وينقسم إلى خمسة أقسام: حضرموت، الشحر، مهرة، عمان، بجران. وسمي اليمن لوقوعه عن يمين الكعبة لمن استقبل المشرق؛ ومن أشهر مدنه: "صنعاء"، وكانت عاصمة ملوك اليمن، وهي حسنة الأسواق واسعة التجارة وبقرها مدينة: "مأرب" المسماة "سبأ"، سميت باسم عبد شمس الملقب "سبأ"، يقال انه بنى هناك سدا عظيماً، وهو الذي دفعه سيل العرم فهلك منه خلق كثير وتفرق أهله في البلاد حتى ضرب بهم المثل. [من كتاب "حياة محمد صلى الله عليه وسلم" لمحمد رضا].

(1) «الأنصار كرشى...»: الحديث رواه مسلم والترمذي. والكرش: وعاء يصنع من كرش البعير يجعل فيه ما يطبخ من اللحم. والعيبة: موضع السر؛ ومعنى الحديث: أي خاصتي وموضع سري.

الله عنه؛ فقد روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، وكنت فيمن سار معه، فأقام عليهم أشهراً لا يجيبونه إلى شيء. فبعث النبي ﷺ علياً بن أبي طالب وأمره أن يرسل خالدًا ومن معه إلا من أراد البقاء، فكنت فيمن بقي مع علي؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فصلى بنا علي الفجر وصفنا صفًا ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ؛ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ. فلما قرئ عليه الكتاب خر ساجداً وقال: «السلام على همدان.. السلام على همدان (مرتين)»⁽¹⁾، وكان ذلك في شهر رمضان سنة عشر للهجرة. ثم تتابع اليمن على الإسلام. وكانت همدان شيعاً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند وقوع الفتنة بين الصحابة، وكانوا أنصاره جميعاً رجالهم ونسأؤهم، في حضوره وغيبته، حتى بعد وفاته رضي الله عنه، وفيهم يقول:

لما رأيت الخيل ترحم بالقنى	فوارسها حمر النحور دوام
وأقبل رهج في السماء كأنه	غمامة دجن ملبس بقتام ⁽²⁾
ونادى ابن هند في كلاع وحمير	وكندة مع لحم وحي جذام
تيممت همدان الذين هم هم	- إذا ناب أمر - جُنِّي وسهامي ⁽³⁾
وناديت فيهم دعوة فأجابني	فوارس من همدان غير لثام
فوارس من همدان ليسوا بعزل	غداة الوغى من شاكر وشبام

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

(2) الرهج (بالسكون ويحرك): الغبار. والغمامة: السحابة. والدجن: إلباس الغنيم الأرض وأقطار السماء. والقتام (كسحاب): الغبار الأسود، يقال "ارتفع القتام حتى خفيت الأعلام".

(3) الجنة (بالضم): السترة، ومنه الجن، والجنحة: كل ما وقى من السلاح. والسهام: النبال التي يرمى بها.

ورهم وأحياء السَّبَّيعِ ويام ⁽²⁾	ومن أرحب ⁽¹⁾ الشَّم المطاعين بالقنى
إذا اختلف الأقسام شعل ضرام ⁽³⁾	بكل رديني وعضب تخاله
سعيد بن قيس والكريم محام	يقودهم حامي الحقيقة ماجد
وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام ⁽⁴⁾	فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها
سمام العدا في كل يوم خصام ⁽⁵⁾	جزى الله همدان الجنان فإنهم
وبأس إذا لاقوا وحسن كلام	لهمدان أخلاق ودين يزينهم
لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام	فلو كنت بوابا على باب جنة

وأشار الناظم إلى ذلك بقوله عيبة علي التي يود.. إلخ.

وقد روي أن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب صعد المنبر يوما فقال: ألا لا يزوجنَّ أحدٌ منكم الحسن فإنه مطلقٌ، فنهض رجل من همدان فقال: والله لنزوجنه، إن أمهر أمهر كثيفاً وإن أولد أولد شريفاً، فقال علي:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

ومن همدان هؤلاء: العوام بن جهيل الهمداني، كان سادن يغوث ثم أسلم وصحب، فكان يحدث بعد إسلامه ويقول: كنت أسمر مع جماعة من قومي فإذا أوى أصحابي إلى رحالهم نمت أنا في بيت الصنم، فنمت في ليلة ذات ريح وبرق ورعد فلما ابهأراً الليل سمعت هاتفاً من الصنم - ولم نكن سمعنا منه قبل ذلك كلاماً:

(1) شاكر وشبام وأرحب: بطون من همدان.

(2) السَّبَّيع (بوزن أمير) ويام: بطنان من همدان أيضاً.

(3) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة (وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح)، والعضب: السيف القاطع، والشعل: لهب النار، والضرام (بالكسر): اتقاد النار.

(4) الشرب (بالفتح): القوم المجتمعون على الشراب، والمدام: الخمر.

(5) السمَام (بكسر المهملة): جمع سم وهو المادة المبيدة، وعبر به عن الختف والهلاك.

يا أبا جهيل، حل بالأصنام الويل.. هذا نور سطع من الأرض الحرام فودع يغوث
بالسلام، قال: فألقى الله في قلبي البراءة من الأصنام، وكتمت قومي ما سمعت، وإذا
هاتف يقول:

هل تسمعن القول يا عوام أم قد صممت عن مدى الكلام
قد كشفت دياجر الظلام واصفق⁽¹⁾ الناس على الإسلام

قال فقلت:

يا أيها الهاتف بالنوام لست بذئ وقر عن الكلام

فبين عن سنة الإسلام

قال: ووالله ما عرفت الإسلام قبل ذلك، فأجابني قائلاً:

ارحل على اسم الله والتوفيق رحلة لا وأن ولا مَشِيق⁽²⁾
إلى فريق خير ما فريق إلى النبي الصادق المصدوق

قال: فرميت الصنم، وخرجت أريد النبي ﷺ، فصادفت وفد همدان يريدون النبي
ﷺ؛ فدخلت عليه فأخبرته خبري، فسُر بقولي ثم قال: «أخبر المسلمين»، وأمرني
بكسر الأصنام؛ فرجعنا إلى اليمن وقد امتحن الله قلوبنا للإسلام.

ومن همدان - أيضاً - عامر بن شهر الهمداني، قدم على النبي ﷺ، فأسلم
وصحب وكان من عمال رسول الله ﷺ على اليمن، وكان أول من اعترض على
الأسود العنسي وكابره، ثم سكن الكوفة.

ثم أخذ الناظم يتكلم على الأزدي بن سبأ، وبدأ بابنه نصر بن الأزدي، فقال رحمه
الله وعفا عنه:

(1) دياجر ودياجير: جمع ديجور وهو: الظلام. واصفق الناس: اجتمعوا.

(2) الوائي: التعب. والمشيق (بوزن أمير): المهزول.

نسب الأزد*

مِنْ نَصْرِ أَزْدٍ مَلِكًا عُمَانًا لِهَبِّ، ثُمَالَةَ بَنُو عَدِثَانَا
مِنْ لِهَبِّ الْمَبْعُوثِ أُمَّةً خَطَرُ وَكَانَ مِنْ كَهَانَةٍ عَلَى خَطَرِ
وَمِنْ ثُمَالَةَ الْمُبَرِّدِ الذَّرْبِ وَيَشْنُوعَةَ جَمِيعَهُمْ لُقْبُ

قوله ملكا (بكسر اللام): مبتدأ، خيره الجار والمجرور قبله، أي أميرا عمان؛ وعمان (بوزن غراب) مدينة باليمن سميت بعمان بن سبأ⁽¹⁾. والمراد بملكي عمان: جيفر وعبد ابنا الجلندي (بضم الجيم واللام مقصوراً وبضم الجيم وفتح اللام ممدودا)، والجلندي هذا ينسب إلى عمان لأنه رئيس أهلها؛ قال الأعشى:

وجلنداء في عُمان مقيما ثم قيسا في حضرموت النيف

وقوله هب (بكسر اللام وسكون الهاء)، وثمانة (بوزن ثمانية)، وبنو عدثان (بتثليث العين) - كلها بالرفع -: معطوفات على ملكا عمان.

يقول: ومن بطون نصر بن الأزد بنو هب وبنو ثمانية وبنو عدثان؛ وقد مر

* تقدم أن الأزد قبيلة من أعظم قبائل قحطان وأكثرها بطوننا، وأمدها فروعها، وأنهم افترقوا على نحو سبع وعشرين قبيلة، وأن تلك القبائل تشعبت إلى بطون وأفخاذ متسعة، وذكر منها الناظم: بني نصر وبني مازن، ابني الأزد؛ أما بنو مازن فيأتي ذكرهم، وأما بنو نصر هؤلاء فقد تفرعوا أيضاً إلى بطون عديدة وأفخاذ كثيرة، منهم بنو مالك وبنو دهمان وبنو زياد وبنو حوران وبنو معاوية، ويطلق على الجميع: أزد شنوءة؛ ومنهم بنو راسب وبنو لهب وبنو ثمانية وبنو عدثان (الذين منهم دوس)، وذكر الناظم منها أربعة أفخاذ، وذكر من أعيانهم تسعة رجال وامرأة، فيهم ثلاثة رجال صحابة وثلاثة ملوك وكاهن.

(1) عُمان: إقليم في الجنوب الشرقي من بلاد العرب على الخليج العربي وبحر الهند، وكان ضمن حدود اليمن الشرقية، وأصبح الآن دولة مستقلة.

الكلام على نسب نصر بن الأزرد وعلى قبائل الأزرد الثلاث: أزد شنوءة وأزد السراة وأزد عمان. وقد تفرعت من نصر بن الأزرد (وهو شنوءة) بطون كثيرة، فمن بينه عثمان ومالك ودهمان، بنو نصر. فمن عثمان: بنو عبد شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان، وهم عدة بطون: زياد وحران ومعاوية، بنو عبد شمس؛ فمن معاوية بن عبد شمس: ملكا عمان وهما جيفر وعبد (أو عباد) ابنا الجلندي بن كركرة بن المستكير بن الحراز بن عبد العزى بن معولة بن عثمان بن عبد شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر، الأزديان العمانيان.

كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وأخيه

كان جيفر بن الجلندي رئيس أهل عمان والمقدم عليهم، وكان أسن من أخيه عبد، وكان عبد أحلم منه وأسهل خلقا؛ وقد أرسل إليهما رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بن وائل السهمي بكتاب، ولما قدم عليهما نزل على عبد أولا وقال له: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال عبد: أخي المقدم علي في السن والملك وأنا أوصلك إليه، ثم قال له: وما تدعو إليه؟ قال: إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك.. فإن لنا فيه قدوة؟ قال عمرو: مات ولم يؤمن.. ووددت أنه كان أسلم، فقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فسألني أين كان إسلامك؟ فقلت: عند النجاشي وقد أسلم، قال عبد: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه، قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى قد علم وقال رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملككي لصنعت كما صنع! فمكث عمرو عند عبد أياما، وعبد يصل إلى أخيه جيفر ويخبره خبر عمرو، ثم أدخله عليه.

قال عمرو: فلما دخلت علي جيفر أخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلوني؛ فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فقال: تكلم بمجانتك. قال: فدفعت إليه الكتاب محتوما، ففَضَّه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه عبد فقراه مثل قراءته، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه؛ فقال جيفر: كيف صنعت قريش؟ فقلت: تبعوه، إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة⁽¹⁾، وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل.. فأسلم تسلم ويستعملك على قومك. قال: دعني يومي هذا وارجع إليَّ غدا. قال عمرو: فلما أتيت غدا لم يأذن لي، فأخبرت أخاه أنه لم يأذن لي وإني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن مكنت رجلا مما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا. قال عمرو فقلت له: إني خارج غدا. فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه عبد. فلما أصبح أرسل إلي؛ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً فأسلما على يدي وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني. ولم يقدم جيفر وعبد على رسول الله ﷺ ولم يرياها. ولم يزل عمرو مقيماً فيهم حتى بلغته وفاة النبي ﷺ.

وجاء في كتاب رسول الله ﷺ الذي أرسل إليهما: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأ نذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولتكنما وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحمل

(1) الحرجة (بالتحريك): غيضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها.

بساحتكما وتظهر نبوتّي على ملككما..». وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثمان للهجرة بعد فتح خيبر. ولما توفي النبي ﷺ ارتد أهل عمان، فأمد أبو بكر ملكهم جيفر هذا بعكرمة بن أبي جهل وعرفجة بن خزيمة ولقيط بن مالك الأزدي وحذيفة بن محصن القلعاني، فظفروا بالمرتدين.

وللجلندي عقب كثير كانوا يملكون جزيرة واسعة بقرب عمان - كما في القلقشندي - ومن عقبه: زبير الأعرج بن الجلندي، أسلم ثم ارتد.

ومن مالك بن نصر بن الأزد: بنو راسب بن مالك بن جدعان بن مالك بن نصر، منهم عبد الله بن وهب الراسبي الخارجي ذو الثففات⁽¹⁾ رأس الخوارج يوم النهروان، وقتل يومئذ. ومنهم بنو عبد الله بن مالك بن نصر، منهم ماسخة بن الحارث بن كعب الذي تنسب إليه القسي الماسخية، وهو أول من رمى بها.

وأما لهب فهو حي من الأزد، وهم بنو لهب بن احجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد؛ وعرف بنو لهب هؤلاء وبنو أسد بن خزيمة بالعيافة⁽²⁾ والزجر (وهما التطير بالطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها)

(1) الثففات في الأصل: أعضاء الناقة التي تلتصق بالأرض عند البروك. وقد قال حسان بن ثابت يصف ناقته:

فإن بركت خوَّت على ثففاتها كأن على حيزومها حرف أعبلا .. الخ

ومعنى خوَّت تجافت. والحيزوم: الصدر، والأعبل: الغليظ. ولقب هذا الخارجي بذي الثففات لأن طول السجود أثر في ثففاته - [القاموس].

(2) العيافة: بكسر العين المهملة. روي عن وهب بن قبيصة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العيافة والطرق والجبث من عمل الجاهلية» - أخرجه أبو داود في كتاب الطب عن قطن بن قبيصة عن أبيه. والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وهو من عادة العرب، كثير في أشعارهم. والطرق: الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، وقيل هو الخط في الرمل.

واشتهرت بنو هلب بها ؛ ومما قيل فيهم:

خبير بنو هلب فلا تك ملغيا مقالة لهي إذا الطير مرت

ويقول فيهم كثير عزة:

تيممت لها أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى هلب

ويقول أيضاً:

فما أعيىف اللهي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصره

ومنهم اللهي الذي زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأدمته - وذلك في الحج - فقال: أشعر أمير المؤمنين⁽¹⁾، والله لا يحج بعد هذا العام، فكان كذلك!. وأما ثمالة (بضم المثناة) فهو لقب لعوف بن أسلم بن احجن

----->>>

والجبت: كل ما عبد من دون الله، وقيل الجبت والطاغوت: الكهنة والشياطين، وفي القرطبي في تفسير ﴿أو آثارة من علم﴾: قال ابن العربي: إن الله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلق بها والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها وأخبر أنها جزء من النبوة وكذلك الفأل، وأما الطيرة والزجر فإنه نهى عنهما. والفأل: هو الاستدلال بما يسمع من كلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسناً، فإذا سمع مكروهاً فهو تطير، أمره الشرع بأن يفرح بالفأل ويمضي على أمره مسروراً، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك».

(1) أي دُمِّي كما يُدَمِّي الهدى إذا أشعر، والإشعار الإعلام والشعار العلامة وأشعر البدنة أعلمها، وهو أن يشق جلدتها أو يطعنها بحديد ونحوها في أحد جانبي سنامها حتى يظهر الدم ويُعرف أنها هدي. وقيل إن قاتل ذلك ليس لهيباً وإنما هو رجل من الحاضرين ولكن لهيباً سمع ذلك فتطير به لما كان عليه من العيافة والزجر والتشاؤم فقال: "ليقتلن أمير المؤمنين". وقد كانت العرب تقول للملوك إذا قتلوا: "أشعروا"، وتقول لسوقة الناس: "قتلوا". فتطير هذا اللهي بقول الرجل "أشعير أمير المؤمنين" وحقت طيرته، لأن عمر لما صدر عن الحج ورجع إلى المدينة قتل في تلك السنة. [لسان العرب].

بن كعب المذكور؛ ولقب ثماله لأنه سقى قومه لبنا بثمانته أي رغوته، وقيل ثماله اسم امرأة أم بني أسلم بن أحجن عرفوا بها.

وأما بنو عدنان فهم بطن من نصر بن الأزد؛ وهم بنو عدنان بن عبد الله بن الحارث بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر، وهو شنوءة بن الأزد بن الغوث.

ثم أخذ الناظم يتكلم على هذه البطون الثلاثة مرتباً لها حسب ذكره لها، فقال: من هب.. إلخ. وقوله المبعوث: مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله. وأمةً (بالنصب): حال من المبعوث. وخطر (بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة): اسم كاهن، وهو بدل من المبعوث. وقوله على خطر: متعلق بكان، والخطر (بالتحريك): الأمر العظيم. والكهانة (بفتح الكاف): الإخبار بالغيب⁽¹⁾، والكاهن: صاحبها، جمعه كهَّان وكهَّنة؛ والكهانة (بالكسر): حرفة الكاهن. وتقرير الكلام: من هب بن أحجن خطر المبعوث أمة وحده، الذي كان على جانب عظيم من معرفة علم الكهانة. وخطر هذا هو خطر بن مالك اللهي الكاهن المشهور.

بعض أخبار خطر بن مالك وكهاتته

وقد أشار الناظم - رحمه الله - بهذا البيت إلى ما روي عن لبيب بن مالك اللهي في أعلام النبوة؛ قال: حضرت عند رسول الله ﷺ، فذكرت عنده الكهانة، قال فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء، وزجر الشياطين ومنعهم

(1) روي أن وفد بني أسد بن خزيمه الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع سألوه عن الكهانة والعيافة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله.

من استراق السمع عند قذف النجوم⁽¹⁾؛ وذلك أنا اجتمعنا عند كاهن لنا يقال له خطر بن مالك، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة - وكان من أعلم كهاننا - فقلنا: يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فإننا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها؟ فقال: عودوا علي السحر، ائتوني بسحر، أخبركم الخير، أخير أم ضرر، أو لأمن أو حذر! فانصرفنا عنه يومنا. فلما كان الغد أتينا في وجه السحر، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه، فنادينا: يا خطر، فأوماً إلينا أن امسكوا، فأمسكنا؛ فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته: أصابه أصابه.. خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حاله، بلباله بلباله، عاوده خباله، فقطعت خباله، وغيرت أحواله!! ثم أمسك طويلا وهو يقول: يا معشر بني قحطان.. أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة والأركان، والبلد المؤمن والسُدان، قد منع السمع عتاة الجان، بثاقب بكف ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. فقلنا: ويحك يا خطر إنك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خير نبي الإنس

(1) روى عبد الله بن عباس عن رهط من الأنصار أنهم قالوا: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رمى بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون لمثل هذا إذا رمي؟» قالوا: كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته ولكن ربنا إذا قضى أمرا سبحة حملة العرش ثم أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ثم يقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ما ذا قال ربكم؟ فيحيونهم، فيستخبر أهل السماوات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخير السماء الدنيا، ثم تخطف الجن السمع ليلقونه إلى أوليائهم، فترمى الشياطين بالنجوم» - [مسند الإمام أحمد: 1 / 218].

برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الحمس

بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا: يا خطر ومن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش⁽¹⁾، يكون في جيش، وأي جيش، من آل قحطان وآل أيش! فقلنا له: بين لنا من أي قريش؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحاييم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم. ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان. ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخير. ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة، فقال: لا إله إلا الله!. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده»⁽²⁾. [قاله في الروض الأنف].

وكان خطر بن مالك هذا أحد الثلاثة الذين يُبعث كل واحد منهم أمةً وحده، وهم: خطر هذا وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وقد ذكروهم الناظم: فقال في خطر: من هب المبعوث أمةً خطر..، وفي قس بن ساعدة: ..وقس المسلم، وهو إشارة إلى أنه يبعث أمةً وحده؛ وفي زيد بن عمرو بن نفيل: يبعث أمةً أبوها.. إلخ. كما أشار فيما تقدم إلى شهرة بني هب بالعيافة وشهرة بني مدلج بالقيافة، فقال:

في مدلج من بكر القيافة كما للهب كانت العيافة

ومن لهب - أيضا - الحارث بن عمير اللهي، بعثه النبي ﷺ إلى ملك الروم أو

(1) الحلم: العقل، والطيش: الخفة والنزق، والخلق (بضم اللام وسكونها): الطبع والسجية والمروءة والعادة، والهيش: الطرب وكثرة الكلام.

(2) أخرجه العقيلي وأبو سعد - [الإصابة: 3 / 332] - وضعف ابن عبد البر إسناد هذا الحديث.

صاحب بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه ربطاً وضرب عنقه صبراً، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولاً غيره. فلما بلغه صلى الله عليه وسلم الخبر بعث جيش مؤتة المشهور وأمر عليهم زيد بن حارثة في ثلاثة آلاف فلقيتهم الروم في مائة ألف، فكانت غزوة مؤتة.

قوله: المبرد (بصيغة اسم الفاعل): مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله. والذرب (ككتف): صفة للمبرد، وهو الحديد اللسان الفصيحة. أي ومن بني ثمالة المذكورين النحوي البصري: المبرد وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن عوف (وهو ثمالة) بن أسلم بن احجن الشمالي.

أخذ المبرد الأدب عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه نبطويه، وكان كثير الأمالي حسن النوادر يحب المناظرة مع أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب ثعلب، صاحب كتاب الفصيح. توفي المبرد سنة ست وثمانين ومائتين ببغداد⁽¹⁾، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل:

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون: ومن ثمالة؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهم جهاله

قوله جميعهم (بالرفع): مبتدأ، خبره جملة قوله لقب. وقوله بشنوءة: متعلق بلقب، ولقب مبني للمفعول نائبه ضمير مستتر عائد على جميعهم. والضمير في جميعهم عائد على بني نصر بن الأزد. يعني أن شنوءة لقب يطلق على جميع بني نصر بن الأزد - كما مر.

(1) راجع ترجمته في طبقات النحويين للزبيدي. ص: 21.

ثم شرع يتكلم على البطن الثالث وهو بنو عدثان، فقال رحمه الله:

دَوْسُ بَنِ عُدْثَانَ قَبِيلُ قَارِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ الطَّفِيلِ الذَّاهِبِ
مِنْ وَجْهِهِ النُّورِ إِلَى عَصَاهُ فَكَانَ ذَا النُّورِ إِذْنُ سُمَاهُ

دوس: مبتدأ، وابن عدثان: صفته (وعدثان: بثلاث العين)، وقبيل قارب: خبره، والقبيل (بوزن أمير): الجماعة. وأبي هريرة، والطفيل (بالجر فيهما) معطوفان على قارب بحذف العاطف. والذاهب: صفة للطفيل. والنور (بالرفع): فاعل الذاهب. وإلى عصاه: متعلق بالذاهب. وذا النور (بالنصب): خبر كان. وسماه (بثلاث السين): لغة في الاسم، وهو اسم كان.

يعني أن البطن المسمى بدوس بن عدثان منه قارب والد سواد بن قارب، ومنه أبو هريرة والطفيل بن عمرو الدؤسيون. ودوس بطن من أزد شنوءة وهم: بنو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر - وهو شنوءة - بن الأزد بن الغوث كما مر. وأم دوس بن عدثان ليلي بنت الظرب، أخت زينب بنت الظرب أم ثقيف؛ فدوس وثقيف ابنا الخالة.

سواد بن قارب الدوسي

أما قارب الدوسي فهو والد سواد بن قارب الشاعر الدوسي الصحابي الجليل، وقد كان سواد بن قارب هذا يتكهن في الجاهلية. قال أبو علي القالي: خرج خمسة نفر من طيء، هم: برج بن مسهر (أحد المعمرين) وأئيف بن حارثة بن لام وعبد الله بن سعد (والد حاتم) وعارق الشاعر ومرة بن عبد رضاء، يريدون سواد بن قارب ليمتحنوا علمه فقالوا ليخبأ كل منا خبيئاً⁽¹⁾ ولا يخبر أصحابه، فإن أصاب

(1) يخبأ: يستر ويخفي. والخبيء: ما خبيء أي ستر يقال: اختبأ له خبيئاً أي عمى له شيئاً ثم سأله عنه.

عرفنا علمه وإن أخطأ ارتحلنا عنه. ثم وصلوا إليه فأهدوا إليه إبلا وطُرُقًا، فضرب عليهم قبة ونحر لهم؛ فلما مضت ثلاثة أيام دعاهم، فتكلم برج - وكان أسنهم - فقالوا: قد خبأ كل واحد منا لك خبيئاً لتخبره باسمه وخبيئته. فذكر اسم كل واحد منهم وذكر خبيئته في أسجاع - في قصة طويلة - ثم ارتحلوا عنه مصدقين له ومعجبين بأمره. وقال فيه عارق الشاعر:

إلى الغايات في جنبي سواد	ألا لله علم لا يجارى
ونحسب أن سيعمد ⁽¹⁾ بالعناد	أتيناه نساآله امتحانا
فأضحى سرها للناس باد	فأبدى عن خفي مُخَبَّات
عن القصد الميّم والسداد ⁽²⁾	حسام لا يُليق ولا يُثأني
بعينه يصـرح أو ينادي	كان خبيئنا لما انتحينا
ومن نـسك الأقيصرَم العباد ⁽³⁾	فأقسم بالعتائر حيثُ فـلس
وشـق والمرقل من إياد ⁽⁴⁾	لقد حزت الكهانة عن سطيح

وقد روي في سبب إسلام سواد بن قارب هذا، أنه حدث أنه أتاه قبيل إسلامه رثيه من الجن ثلاث ليال متواليات، وهو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال له: قم

(1) سيعمد: أي يهلك.

(2) الحسام: السيف القاطع، يقال: هذا سيف لا يُليق شيئاً أي لا يمر بشيء إلا قطعته، وثأناً عن الشيء: فتر عنه.

(3) العتائر: جمع عتيرة، وهي: شاة كان العرب يذبحونها لآلتهم في شهر رجب، وفلس: اسم صنم.

(4) سطيح وشق كاهنان مشهوران. والمرقل: المملك أو المعظم والمسود، مستعار من ترفيل الازار وهو إسباغه وإرساله. وإياد (بوزن كتاب): قبيلة من معد بن عدنان، ولعله يعني به حكيمهم وبلغهم المشهور قساً بن ساعدة الإيادي، الذي ورد فيه الحديث: «يرحم الله قسا إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده»؛ وقبر قس هذا بلحف روحين وهي قرية بجبل لبنان.

يا سواد فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته. وأنشده في كل ليلة من الليالي الثلاث ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة، وأولها:

عجبت للجن وتطالباها وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كأذناها

فرحل إلى رسول الله ﷺ، ولما قدم عليه أخبره بما كان من رثيه في الليالي الثلاث وأسلم. وفي ذلك يقول:

أتاني نجي⁽¹⁾ بعد هداء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فرقت أذيال الإزار وشمرت بي العزمس الوجنا هجول السباب⁽²⁾
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما جئت شيب الذواب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعه بمغن فتيلنا عن سواد بن قارب

وداعبه عمر يوما، فقال له: ما فعلت كهانتك يا سواد؟ فغضب وقال: ما كنا عليه نحن وأنت يا عمر في جاهليتنا وكفرنا شر من الكهانة، فما لك تعيرني بشيء تبت

(1) النجي: المناجي.

(2) شمرت: أسرع، والعرمس (بالكسر): الناقة الصلبة. والوجناء: الناقة الشديدة. وهجول: جمع هَجَل وهو المظلم من الأرض. والسباب: جمع سبب، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة. ولابن أحر - من قصيدة له -:

بهَجَلٍ من قسا ذفر الحزامي تداعى الجزيباء به حيننا .. الخ.

منه وأرجو من الله العفو عنه، فقال عمر: اللهم غفرا. وفي رواية أن عمر قال لسواد يوماً - وكان عمر إذ ذاك خليفة: كيف كهانتك اليوم؟ فغضب سواد وقال: يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك، فاستحيا عمر ثم قال: إيه يا سواد.. الذي كنا عليه من الشرك وعبادة الأصنام أعظم من كهانتك؛ وسأله عن حديثه في بدء الإسلام وما أتاه به رثيّه⁽¹⁾ من ظهور رسول الله ﷺ، وقال له: كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك؛ فقال سواد: إنه لعجب، كنت كاهنا في الجاهلية فينما أنا نائم إذ أتاني نجيبي، فضربني برجله ثم قال: قم يا سواد اسمع أقل لك، قلت: هات، قال: عجبت للجن.. [إلخ الأبيات]. فقال عمر: هل يأتيك رثيك اليوم؟ قال: أمّا منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوضُ كتاب الله عز وجلّ.

ولما بلغ دوسا وفاة رسول الله ﷺ قام فيهم سواد بن قارب خطيبا، وحرّضهم على التمسك بالإسلام وخوفهم من عاقبة الرجوع عنه فأجابوه لما قال وأطاعوه. وقال في ذلك:

جلت مصيبتك الغداة سواد	وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد	صلى الإله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا	أو هل لمن فقد النبي فؤاد؟
كنا نحل به جنابا ممرعا	جفّ الجناب فأجذب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسمأونا	وتصدعت وجدا به الأكباد
إن النبي وفاته كحياته	الحق حق والجهاد جهاد
إني أحاذر - والحوادث جمّة -	أمرا لقاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم	للأرض إن رجفت بنا أوتاد

(1) رثيه: تابعه من الجن.

لو زاد قوم فوق منية صاحب زدتم وليس لنية مزداد

فأعجب القوم شعره وقوله، وأجابوه إلى ما أحب.

تنبيه: يلاحظ أن الناظم يشير في عدة مواضع من هذا النظم إلى ذكر بعض المشاهير بذكر آبائهم الذين يقلون عنهم شهرةً كما فعل هنا، فالمراد بذكر قارب الإشارة إلى ذكر ابنه سواد الذي كان مشهوراً في كتب الأدب والسير، وكذلك فعل بالنسبة لربيعة بن مكرم - أحد الأبطال المشهورين الذين ضرب المثل بشجاعتهم - بذكر أبيه مكرم بقوله المتقدم:

ومن كنانة بنو فراس رهط مكرم وكل قاس

وقد يشير رحمه الله بذكر الابن قصداً إلى ذكر أبيه لنكتة تتعلق به، كما فعل في قوله: *أصهار هند بنت عوف الفضلا.. إلخ*، فذكر خالد بن الوليد - حيث قال: *وتلك أيضاً أم خالد.. إلخ* - وفي ذكره ذكر الوليد بن المغيرة في *أصهار هند* ضمناً ولم ينص عليه، تنزيهاً للأصهار الكرام الذين منهم النبي ﷺ وبعض أعيان الصحابة عن أن يذكره معهم لكفره - وإن كان له شرف ومكانة في الجاهلية - كما قال الشيخ حماد رحمه الله عند قول الناظم: *أصهار هند.. إلخ*.

التعريف بأبي هريرة

وأما أبو هريرة فاختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، أصحها أن اسمه عبد الرحمن بن صخر بن عامر بن عبد الشرى بن طريف بن عتاب بن أبي صععب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان الدوسي. وكان وسيطاً في قبيلته دوس، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، واشتهر بكنيته أبي هريرة؛ واختلف في سبب تكيته بها. فقد

روي عنه أنه قال: كنت أحمل يوماً هرة في كمي فرآني رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه؟» فقلت: هرة، فقال: «يا أبا هريرة»⁽¹⁾ — [قاله ابن عبد البر في الاستيعاب].
 وروي — أيضاً — عن عبد الله بن أبي رافع قال قلت لأبي هريرة: لم كنت أبا هريرة؟ قال: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هرة صغيرة فكنت أجعلها بالليل في شجرة وإذا كان بالنهار ذهبت بها معي ألعب بها، فكنوني أبا هريرة — [قاله الشيرخيتي في شرح الأربعين].

أسلم رضي الله عنه سنة سبع للهجرة، وقدم على النبي ﷺ بجزير وسار معه إلى المدينة، ولزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضياً بشعب بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائطهم. وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث.

وروي عنه أنه قال: قلت يا رسول الله إني قد سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى أن أنسى، فقال: «ابسط رداءك»، قال: فبسطته حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ثم قال: «ضمه إلى صدرك»⁽²⁾، فضمته فما نسيت شيئاً بعده؛ وأتم الله لولا آية في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشيء أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾⁽³⁾. رويت له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً، اتفق الشيخان منها على

(1) أخرجه الترمذي.

(2) أخرجه مسلم.

(3) البقرة: 159.

ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين - كما مرّ - وروى عنه أكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي. وروى عنه أنه قال: نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا، فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواماً وأبا هريرة إماماً. وكان رضي الله عنه هو وأمه أميمة بنت صبيح محبّين إلى كل مؤمن، لا يسمع بهما أحد من المؤمنين إلا أحجها لدعوة رسول الله ﷺ لهما بذلك. وكان قد استعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم راوده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي في خلافة معاوية سنة سبع - أو ثمان أو تسع - وخمسين، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أميراً على المدينة يومئذ.

التعريف بالطفيل بن عمرو

وأما الطفيل فهو ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي الصحابي. كان سيد دوس في الجاهلية، وشريفاً من أشرف العرب؛ كان يؤمن الخائف ويجير المستجير ويطعم الجائع، وكان مع ذلك أديباً أريباً لبيباً شاعراً. وكان من سبب إسلامه رضي الله عنه ما روي عنه أنه قال: كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: يا طفيل إنك رجل شاعر سيد مطاع في قومك وإنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد عضل⁽¹⁾ بنا، وفرق جماعتنا وإننا قد خشينا أن يلقاك فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر فاحذر أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا وعلى قومنا.. فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا يحدثونني ويحذرونني

(1) عضل بي الأمر، وأعضل بي: اشتد وغلظ.

أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادُّ أذني! قال: فحشوتهما كرسفاً⁽¹⁾ ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائماً في المسجد. قال: فقامت منه قريباً وأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله. قال: فقلت في نفسي والله إن هذا للعجزُ.. والله إنني امرؤُ ثبت لبيب ما يخفى عليَّ من الأمور حسنُها ولا قبيحُها؛ والله لأستمعن منه، فإن كان أمره رُشدًا أخذت منه، وإن كان غير ذلك اجتنبتُه. قال: فنزعت الكرسفَ من أذني وألقيته ثم استمعت له؛ فلم أسمع كلاماً قط أحسن مما تكلم به. قال: فقلت يا سُبْحان الله ما سمعت كالיום لفظاً أحسن منه ولا أجمل. قال: فانتظرتُه حتى انصرف من المسجد فاتبعته حتى دَخَلت عليه فقلت له: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا - وأخبره بالذي قالوا - وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض عليَّ أمرَك وما تأمرني به وما تنهاني عنه. قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآن؛ قال: فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا رسول الله إنني أرجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع وأنا داعيهم إلى الإسلام لعلَّ الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللهم اجعل له آية تعينه على ما ينوي من الخير»، وفي رواية أنه قال: «اللهم نور له»⁽²⁾. قال: فخرجت حتى أشرفت على الثنية التي تهبطني على حاضرة دوس⁽³⁾ - وأبى هناك وأمي وامراتي - فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني

(1) الكرسف: القطن.

(2) أخرجه الطبراني.

(3) أشرف على الشيء: اطلع عليه من فوق. والثنية: طريق العقبة. وتهبطني: تنزلي من فوق، والحاضرة: خلاف البادية.

نورا كالشهاب يترآه الحاضر في ظلمة الليل، فقلت: اللهم في غير وجهي فياني
أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم، فتحول في رأس سوطي كأنه قنديل معلق
فيه. فلذلك لقب "ذا النور"؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **الذاهب من وجهه
النور.. إلخ.** قال: فسرت حتى قدمت عليهم؛ ثم أسلم أبوأي وامرأتي، وكان أبي
شيخا كبيرا. وروي أن أبا هريرة كان ممن أسلم على يديه.

قال الطفيل: ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقمت مع أهلي أدعوهم إلى
الإسلام حتى استجاب لي منهم من استجاب؛ وفاتني بدر وأحد والخندق مع
رسول الله ﷺ، ثم قدمت عليه وهو بخير بثمانين أو تسعين بيتا من دوس. وقيل
قدم عليه بالمدينة، فكان بها معه إلى أن شهد الفتح، وبعثه صلى الله عليه وسلم إلى
ذي الكفين (صنم عمرو بن حممة الدوسي) فحرقه وجعل يوقد النار عليه ويقول:

يا ذا الكفين⁽¹⁾ لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وأقام معه حتى قبض صلى الله عليه وسلم؛ ثم
خرج في الجيش الذي أرسله أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب،
واستشهد باليمامة. وصحب أبوه عمرو بن طريف وابناه عمرو وعبد الله، وحضر
منهما عمرو اليمامة مع أبيه الطفيل وقطعت فيها يده. وروي أنه دخل يوما على
عمر وهو خليفة، فأتي عمر بطعام والناس جلوس عنده، فدعاهم إلى الطعام فتنحى
عمرو عنه، فقال له عمر: مالك؟ لعلك تأخرت عن الطعام خجلا من يدك؟ قال:
أجل يا أمير المؤمنين، قال عمر: والله لا أذوق هذا الطعام حتى تخلطه بيدك

(1) أراد الكفين (بالتشديد)، فخففه للضرورة.

المقطوعة، والله ما في القوم أحد بعضه في الجنة إلا أنت! يريد بذلك يده. واستشهد عمرو بن الطفيل هذا باليرموك. وابنه عبد الله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو صحب أيضا. فهم أربعتهم صحابة؛ ولا تعرف إلا لهم ولآل أبي بكر الصديق وآل زيد بن حارثة - كما سيأتي. وكان عبد الله بن عمرو بن الطفيل هذا من فرسان المسلمين، قتل بأجنادين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

أُمُّ شَرِيكِ أَدْلَيْتِ دَلْوُ لَهَا فَشَرَيْتَ وَسَاسَ ذَاكَ أَهْلَهَا
 وَوَهَبْتَ لِلْمُصْطَفَى عَصِمَتَهَا وَأَنْكَرْتَ عَائِشَةَ فَعَلَّتَهَا
 فَزَلَّتْ فِي الْبَدْلِ فِيمَا عَتَبَتْ «وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ»
 فَقَالَتْ أَمْنَا: «إِلَّاهُ لَكَ فِي هَوَاكَ يُسْرِعُ» نَعَمْ وَيَصْطَفِي
 وَأَدْلَيْتِ لَأُمَّ أَيْمَنَ فَمَا بَعْدُ اشْتَكْتَ بِالصَّوْمِ فِي الْحَرِّ الظَّمَا
 وَشَرَيْتَ مِنْ بَوْلِ أَحْمَدَ فَمَا فِي بَطْنِهَا بَعْدُ تَشَكَّتْ أَلْمَا

أم شريك (بوزن أمير): مبتدأ، خبره: الجملة بعده. ودلو (بالرفع): نائب فاعل أدليت. والضمير في لها: عائد على أم شريك. والدلو: ما يستقى به (مؤنث ويذكر) جمعه: دلاء وأدل ودلي. قوله وساس ذاك: أي إدلاء الدلو لها من السماء. وأهلها (بالنصب): مفعول به لساس، أي أصلحهم وأرشدهم إلى طريق الحق⁽¹⁾.

يقول: ومن بطن دوس بن عدنان - أيضا - أم شريك بنت جابر الدوسية؛ وأم

(1) ساس القوم: دبرهم وتولى أمرهم، وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها، والسياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل.

شريك هذه هي غَزِيلَةٌ، ويقال غَزِيَّة بنت جابر بن حكيم الدوسية الصحابية الجليلة، قيل كانت تحت أبي العكر بن سُمَيِّ بن الحارث الأزدي، فولدت له شريكا فكنيت به، وقيل أبو العكر بن سمي هذا هو شريك نفسه.

وماصل قصة إدلاء الدلو لها التي أشار إليها الناظم - كما في أسد الغابة وغيره - عن ابن عباس قال: أخبرتني أم شريك بنت جابر قالت: أسلم أبو العكر وهاجر إلى رسول الله ﷺ فجاءني أهله فقالوا: لعلك على دينه، قالت: فرحلوا وحملوني على جمل ثفال⁽¹⁾ لا يطعمونني ولا يسقونني، وإذا انتصف النهار نزلوا في أخبيتهم وطرحوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، فلما كان اليوم الثالث عند انتصاف النهار وجدت برد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه نفسا ثم انتزع مني فنظرت فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دنا مني ثانية فشربت منه نفسا، ثم رفع ثم دنا مني ثالثة فشربت حتى رويت، وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي. قالت: فنظروا إلي فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟! قالت: رزقني الله تعالى، فانطلقوا سراعا إلى قريتهم فوجدوها مربوطة فقالوا: نشهد أن الذي رزقك هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا إلى رسول الله ﷺ. وروي أيضا أنها لما أسلمت أقبل أهلها عليها يعذبونها ليردوها عن الإسلام ومنعوها الماء والظل حتى بلغت الجهد من العطش فأدليت لها دلو من السماء فيها ماء فشربت منها، فقالوا لها: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، فقالوا: إذن دينك خير من ديننا ونشهد أن ربك ربنا فأسلموا. وإلى ذلك أشار بقوله وساس ذاك أهلها⁽²⁾. وروي أنها أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها في الهجرة إلى رسول الله ﷺ، فلقيت يهوديا فقال: ما لك يا أم شريك؟ قالت: أطلب من يصحبني إلى النبي ﷺ، قال: أنا

(1) الثفال (بالثاء المثناة): البطيء الثقيل.

(2) تقدم شرحها.

أصبحك، فسارت معه فأمست وهي صائمة، فقال اليهودي لامراته: لئن سقيتها لأفعلن؛ فباتت كذلك حتى إذا كان في آخر الليل إذا على صدرها ذكؤ موضوع فشربت منها.

قوله ووهبت: فاعله ضمير مستتر عائد على أم شريك. وعصمتها (بالنصب): مفعوله، أي وهبت له نفسها بغير مهر. وعائشة: فاعل أنكرت، والمراد بها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها. وفعلتها (بالنصب): مفعول به لأنكرت، والفعله التي أنكرت عائشة هي هبة أم شريك نفسها لرسول الله ﷺ. وقوله في البذل: أي بذلها نفسها لرسول الله ﷺ، فأل فيه خلف عن الضمير، وعتب فلان على فلان (كضرب ونصر) عتبا ومعتبة أنكرو عليه شيئا من فعله. وفاعل عتبت: ضمير مستتر عائد على عائشة. وجملة قوله فيما عتبت: بدل من قوله في البذل، أي نزل في عتب عائشة على أم شريك بذلها نفسها لرسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾⁽¹⁾؛ فقوله وامرأة مؤمنة (بالنصب على الحكاية): فاعل نزلت. يعني أن أم شريك هذه لما وهبت نفسها لرسول الله ﷺ أنكرت عليها عائشة ما فعلت، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ — الآية.

وحاصل ما أشار إليه الناظم هنا أن أم شريك بنت جابر هذه وهبت نفسها لرسول الله ﷺ بغير مهر — وكانت جميلة قد أسنت — فقالت لها عائشة: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها لرجل؟ ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خيرا! فقالت أم شريك: هي أنا. وإنما كان ذلك غيرة من عائشة رضي الله عنها، فنزل

(1) الأحزاب: 50.

في ذلك قوله تعالى ﴿وامرأة مؤمنة﴾ — الآية — فقالت عائشة: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك.

ثم علق الناظم رحمه الله على قول عائشة هذا بقوله نعم ويصطفي، فنعم هنا حرف تصديق وتقرير. والمعنى نعم يسرع له في هواه ويصطفي، أي يختار له ويخصه ببعض الأحكام دون أمته. ومن ذلك أنه يجوز أن تهب له المرأة نفسها دون مهر، ويجوز له النكاح بلا مهر وبلا ولي وبلا شهود، ويجوز له نكاح أكثر من أربع .. وغير ذلك من مما خصه الله تعالى به.

وقوله تعالى ﴿وامرأة﴾ (بالنصب): معطوف على مفعول أحللتنا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽¹⁾.

وقيل إن التي نزلت فيها هذه الآية زينب بنت جحش، وقيل هي ميمونة بنت الحارث الهلالية حين بعث إليها رسول الله ﷺ جعفرًا بن أبي طالب يخطبها له، فجاءها وهي على بغيرها فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ.

(1) الأحزاب: 50.

الواهبات أنفسهن للنبي ﷺ

والنساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ قيل أربع: أم شريك - هذه - وميمونة بنت الحارث⁽¹⁾ وزينب بنت خزيمة (أم المساكين)⁽²⁾ وخولة بنت حكيم⁽³⁾، وقيل لا يحصرن كثرة. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قبل من أم شريك هبتها نفسها له، فلما دخل عليها رأى بها كِبَرَةً⁽⁴⁾ فطلقها، وقيل لم يقبلها - أصلاً - ولم تتزوج حتى ماتت.

ثم استطرد الناظم رحمه الله بمناسبة ذكره إدلاء الدلو لأم شريك، قصة إدلائها - أيضاً - لأم أيمن رضي الله عنها، فقال: وأدليت لأم أيمن.. إلخ، وأدليت (بالنساء

(1) الحارث هو ابن حزن بن بجر بن الهرم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة؛ الهلالية أم المؤمنين، كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبد ود القرشي العامري (من بني عامر بن لوي)، وقد ذكر الزهري وقتادة وعكرمة أنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فيها الآية، وقيل الواهبة غيرها، وقيل إنهن تعددن وهو الأقرب. [الإصابة].

(2) خزيمة هو ابن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة؛ الهلالية أم المؤمنين، كنيت بأم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، قيل: كانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد، وقال ابن الكلبي: كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب فطلقها، ثم خلف عليها أخوه عبدة بن الحارث، فقتل عنها بيدر، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها فجعلت أمرها إليه فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في ربيع الآخر سنة أربع، وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها. [الإصابة].

(3) حكيم هو ابن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم؛ السلمية، كانت امرأة صالحة فاضلة، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنها بعض الصحابة والتابعين، روى هشام بن عروة عن أبيه وهشام بن الكلبي أنها كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنها كانت عند عثمان بن مظعون ومات عنها. [الإصابة].

(4) الكبرة (بفتح الكاف وسكون الموحدة) الكبر في السن، يقال: علاه الكبر، أو علته كِبَرَةٌ، إذا أسن.

للمفعول) نائبه ضمير الدلو المذكورة. وقوله فما بعد: أي بعد شربها من تلك الدلو، اشتكت: أي تألمت من العطش. والظمأ: العطش. وقوله فما في بطنها.. إلخ: أي لم تشتك من ألم البطن بعد شربها ذلك.

أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ

وقد أشار بذلك إلى ما روي أن أم أيمن خرجت من مكة مهاجرة إلى المدينة ماشية ليس معها زاد، فلما كانت دون الروحاء عطشت وليس معها ماء - وهي صائمة - فأجهدتها العطش فدليت عليها من السماء دلو فيها ماء فشربت منها حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت ؛ وفي رواية: ولقد كنت بعد ذلك أصوم في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعد. وروي عنها - أيضا - قالت: كان للنبي ﷺ فخارة⁽¹⁾ يبول فيها بالليل، فكننت إذا أصبحت صبيتها ؛ فتمت ليلة ثم استيقظت وأنا عطشى فغلطت وشربتها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنك لا تشتكي بطنك بعد يومك هذا»⁽²⁾. وإلى ذلك أشار بقوله وشربت من بول أحمد.. إلخ.

وأم أيمن هذه هي مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، اسمها بركة بنت ثعلبة بن

(1) الفخارة: الجرة، وهي إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(2) أخرجه ابن السكن - كما في الإصابة، وقيل إن التي شربت بول النبي صلى الله عليه وسلم هي بركة الحبشية مولاة أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ فعن أبي عمر قال: أخرجني حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة بنت رقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ويوضع تحت السرير، فجاء ليلة فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لبركة خدام أم حبيبة: «أين البول الذي كان في هذا القدح»؟ قالت: شربته يا رسول الله، وبركة هذه جاءت مع أم حبيبة من أرض الحبشة.

عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ؛ قيل إنها حبشية، ورثها صلى الله عليه وسلم من أبويه، قيل كانت لأبيه عبد الله بن عبد المطلب؛ فلما ولد رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه كانت تحضنه حتى كبر. وقيل كانت لأمه آمنة بنت وهب فورثها صلى الله عليه وسلم وأعتقها. وكانت من السابقات إلى الإسلام، وهاجرت الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة. تزوجها عبيد الحبشي فولدت له أيمن بن عبيد، وبه كنيته؛ فكان يعرف بابن أم أيمن، وقيل تزوجها عبيد بن عمرو بن هلال الأنصاري الخزرجي ثم الحبلي فولدت له أيمن - كما يأتي - . واشتهرت بكنيتها أم أيمن، وعرفت أيضا بأُمّ الظباء. ثم تزوجها زيد بن حارثة فولدت له الحب ابن الحب: أسامة بن زيد. وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويזורها في منزلها، ويقول: «أم أيمن أُمِّي بعد أُمِّي»⁽¹⁾، ويقول لها: «يا أُمَّه»، وكان إذا نظر إليها يقول: «هذه بقية أهل بيتي»⁽²⁾. وكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ تلاطفه وتضحكه وتقرب إليه اللبن، وكانت تقدم عليه.

ولما كان بعد وفاة رسول الله ﷺ قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزر أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما دخلا عليها بكت، فقالا: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله، فقالت: أبكي على الوحي الذي رفع عنا؛ فهيجت على البكاء فجعلت تبكي ويبكيان معها. فكانا بعد ذلك يزورانها في منزلها تأسيا برسول الله ﷺ. ولما قتل عمر بكت، فقيل لها، فقالت: اليوم وهى الإسلام.

وتوفيت رضي الله عنها في أول خلافة عثمان سنة ثلاث وعشرين، وقيل إنها توفيت بعد رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة. والله أعلم.

(1) ذكره ابن حجر في الإصابة: 4 / 432 - 433.

(2) المرجع السابق.

ولما ذكر بعض خبر أم شريك، واستطرد بموجبه بعض خبر أم أيمن، رجع إلى سرد بعض أعيان دوس بن عدنان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْهُمْ مَعِيقِبُ الَّذِي مِنْ يَدِهِ سَقَطَ فِي بئرِ أَرِيْسِ عَدَّةٌ
خَاتَمٌ خَيْرٌ مُرْسَلٍ فَاخْتَلَفَتْ أَرَأُوهُمْ وَيَعَدَا مَا اتَّخَلَفَتْ
وَكَوْنُهُ مِنْ يَدِ عَثْمَانَ سَقَطَ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جُلٌّ مَنْ فَرَطُ
مُجَذَّمٌ وَلَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْجُدَامِ غَيْرُ مَا أَصَابَهُ
وَآكَلَهُ عُمَرُ لَكِنْ اعْتَذَرَ بِفَضْلِهِ مُبْسَمِلًا عَنِ الضَّرَرِ

معيقب: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (وهو بالقاف وبوزن دنينير ويقال فيه معيقب بوزن دريهم). وضمير منهم: عائذ على دوس المحدث عنهم. وبئر أريس: بئر معروفة بقاء، وأريس (بوزن أمير) الذي تضاف إليه: اسم حديقة قريبة من مسجد قباء⁽¹⁾. وعده (بالجر): بدل من: بئر أريس، والعد (بكسر العين وتشديد الدال المهملتين): الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع جمعه اعداد ويقال أيضا للقديم بقوله:

(1) وهي البئر التي تفل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قريبة من المسجد في داخل البستان، ويستحب الإتيان إليها والتوضؤ والشرب من مائها، وكذلك الإتيان إلى الآبار الأخرى التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب ويغتسل من مائها، اتباعا لفعله صلى الله عليه وسلم، وطلباً للشفاء والبركة، وهي سبعة آبار يعرفها أهل المدينة؛ وقد أشار إليها القائل بقوله:

إذا رمت آبار النبي بطيبة فعسدتها سبع مقالاً بلا وهن
أريس وغرس رومة وبضاعة كذا بضة قل بئر حاء مع العهن

وقيل إن آثار بئر أريس هذه كانت ماثلة حتى سنة 1389هـ. والله أعلم.

من الركايا⁽¹⁾. وقوله خاتم (بالرفع): فاعل سقط. وقوله آراؤهم: أي المسلمون. وقوله ما ائلفت: أي ما اتفقت بعد ذلك. وقوله مجذم (بصيغة اسم المفعول): خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، عائد على معقيب. والضمير في أصابه، وواكله، وبفضله: عائد على معقيب أيضا. وعمر: فاعل واكله، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبمسماً: حال من عمر. وقوله عن الضرر: أي ضرر الجذام.

يعني أن من دوس بن عدنان - أيضا - معقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني العاص بن أمية بن عبد شمس. وقد أسلم معقيب هذا قديماً بمكة، وهاجر منها إلى أرض الحبشة الهجرّة الثانية، وأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ بخير، وشهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها، وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

خاتم النبي ﷺ الذي سقط في البئر

وكان هذا الخاتم المذكور قد وهبه عمرو بن سعيد ذي العمامة للنبي ﷺ - كما مر⁽³⁾ - فلم يزل عنده حتى قبض، ثم كان عند أبي بكر ثم عمر ثم كان بعده عند عثمان حتى سقط من يده في بئر أريس في السنة السادسة من خلافته⁽⁴⁾؛ وقيل بل سقط من يد معقيب في البئر المذكورة، والراجح الأول، كما قال الناظم: وكونه من

(1) جمع ركية (بوزن مطية): البئر لم تطو.

(2) يعني أنه كان أمينا عليه، وقد روى إياس بن الحارث بن معقيب عن جده قال: كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة فرمما كان في يدي.

(3) وروي أيضا أن صانع خاتمه صلى الله عليه وسلم هو يعلى بن منية (بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية) وهو اسم أمه، واسم أبيه أمية، روى الدارقطني عنه قال: أنا صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم خاتماً لم يشركني فيه أحد نقش فيه "محمد رسول الله". [نزهة الأفكار على قرّة الأبصار].

(4) وقيل في السابعة، فكان في يده ست سنين. [البدر العيني].

يد عثمان سقط.. إلخ، وهو الذي في صحيح البخاري وغيره؛ فعن ابن عمر قال: "فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس"، وعن أنس قال: "كان خاتم النبي ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعد وفي يد عمر بعد أبي بكر فلما كان عثمان جالس على بئر أريس - قال -: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط" - قال -: "فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فتنزح البئر فلم نجده"⁽¹⁾. ولما سقط فيها نزحوها وأخرجوا منها أكواما من الطين فلم تنزل البئر تجم، فلم يجده، وكان ذلك سنة ثلاثين. ومن حين سقط اختلفت كلمة المسلمين؛ وكان من أمر عثمان ما كان.. ولم يزل الخلاف إلى الآن. فكان الخاتم المذكور كالأمان للناس من الفتن، كما في الحلة السبراء وفي البدر العيني: قيل كان في خاتمه صلى الله عليه وسلم سر مما كان في خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه، وعثمان رضي الله عنه لما فقد خاتم النبي ﷺ انتقض عليه الأمر وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مَبْدَأَ الفتن التي أفضت إلى قتله واتصلت إلى آخر الزمان. وفي جوامع السيرة لابن حزم: كان أثرا مباركا فذهب، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ولما سقط الخاتم في بئر أريس جدَّد عثمان خاتما آخر ونقش عليه "محمد رسول الله" مثل ما كان في الخاتم المذكور⁽²⁾. قال في أسد الغابة: والناس يعجبون من خاتم

(1) أخرجهما البخاري، وقوله: فلما كان عثمان: يعني في الخلافة، وقوله: فجعل يعبث به: قال الكرمانى: يعني يحرکه ويدخله ويخرجه، وذلك صورته صورة العبث، وإلا فالشخص إنما يعمل ذلك عند تفكره في الأمور. وقوله: فاختلفنا ثلاثة أيام.. إلخ أي في الصدور والورود والنجىء والذهاب والتفتيش.. [البدر العيني].

(2) راجع البدر العيني.

سليمان بن داوود عليهما السلام وكانت المعجزة بها في الشام حسب⁽¹⁾، وهذه الخاتم مذ عدمت اختلفت الكلمة وزال الإتفاق في جميع بلاد الإسلام من أقصى خراسان إلى آخر بلاد المغرب. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **فاختلفت آراؤهم... إلخ.**

وكان معيقب هذا قد نزل به داء الجذام، فعولج منه بالحنظل⁽²⁾ بأمر من عمر بن الخطاب فتوقف، ولم يكن في الصحابة مجذوم غيره⁽³⁾؛ وكان عمر يجالسه ويواكله ويشرب سؤره، وربما وضع فمه على موضع فمه، ويقول: لو كان هذا البلاء بغيرك ما واكلني، ويقول إذا واكله: بسم الله ثقة بالله وتوكلا علي الله. كما في الحلة

(1) ذكر المفسرون في قصة خاتم سليمان بن داوود عليهما السلام حكايات كثيرة، أكثرها من الإسرائيليات الواهية العارية من الصحة، وحاصل بعض ما يمكن ذكره من تلك القصص أن سليمان كان ذات مرة على شاطئ البحر وهو يعيث بخاتمه إذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه، وفي رواية - أيضا - أنه كان في الشياطين مارد لا يقوى عليه شيء من الشياطين، وكان ذلك المارد يطلب خاتم سليمان فلم يزل يجتال عليه حتى ظفر به، قيل وجده تحت فراشه، وقيل عند إحدى نساته، فأخذه فعند ذهاب ذلك الخاتم ذهب ملك سليمان، فخرج تائها وسائحا فبينما هو ذات يوم بساحل البحر يتضيف إذ أطعمه صياد سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فيها، وكان ذلك بعد أربعين يوما من زوال ملكه، فأخذه ولبسه ورد الله عليه ملكه، وسلطانه وبهائه وأبهته، فحاءت الطير حتى حامت عليه، فعند ذلك دانت له الإنس والجن والشياطين. وروى الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان فص خاتم سليمان بن داوود عليهما السلام سماويا فألقي إليه فأخذه فوضعه في خاتمه وكان نقشه: أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورَسُولِي". [البدر العيني].

(2) الجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء، وسمي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها، والحنظل: نبات يمتد على الأرض كالبطيخ ثمرة يشبه ثمرة البطيخ لكنه أصغر منه جدا، ويستعمل في الطب، ويضرب المثل بممارته، فيقال: "أمر من الحنظل".

(3) المجذوم، والمجذم والأجذم: المصاب بالجذام، وقد كان بأنس بن مالك رضي الله عنه وضع.

والزرقاني وغيرهما؛ وقد عقد الناظم بهذه الأبيات نصَّ عبارتهما.

واستعمل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معيقياً هذا على بيت المال، وتوفي في آخر خلافة عثمان، وقيل بل توفي سنة أربعين في آخر خلافة علي رضي الله عنه، وله عقبٌ. وروى عن النبي ﷺ: «ويل للأعقاب من النار»⁽¹⁾، وروى عنه ابنه محمد والحارث وابن ابنه إياس بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

ومن دوس - أيضاً - عمرو بن حممة بن الحارث بن رافع بن ربيعة بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غانم بن دهمان بن منهب بن دوس الدوسي أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، قيل مات في الجاهلية؛ وقيل بل أدرك الإسلام ووفد على رسول الله ﷺ وصحب، ومما ينسب إليه:

كبرت وطال العمر مني كأنني سليم أفاع ليله غير مودع⁽²⁾
وما السقم أبلاني ولكن تنابعت عليّ سنون من مصيف ومرجع
ثلاث مئين من سنين كوامل وها أنا ذا قد أرتجي مرّاً أربع
فأصبحت بين الفخ والعشّ ثاويًا إذا رام تطيارًا يقال له: قع⁽³⁾
أخبر أخبار القرون التي مضت فلا بد يوماً أن أطارَ لمصرعي

لطيفة: روي عن الشعبي قال: كنا عند ابن عباس وهو في صفة زمزم يفتي الناس، إذ قام إليه أعرابي فقال: أفتيتهم فأفتنا، قال: هات، قال: ما معنى قول

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) السليم: اللديغ، سموه به تفاؤلاً بالسلامة، جمعه سلْمَى. والمودع: الهادئ الساكن.

(3) الفخ: آلة تصاد بها الطيور والسباع. والعش (بضم المهملة وفتحها): موضع الطائر يجمعه من دقاق العيدان وغيرها في أفنان الشجر، فإذا كان في جبل أو جدار ونحوها فهو وكر ووكن، وإذا كان في الأرض فهو أفضوص. وقع (بفتح القاف) أمر من وقع الطائر في الشرك إذا حصل فيه أو نزل عن طيرانه.

الشَّاعِر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا

فقال ابن عباس: ذلك عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة، فكبر فألزمه السابع أو التاسع من ولده، فكان إذا غفل قرع له العصا⁽¹⁾ فيرجع إليه فهمه، فلما حضرته الوفاة أوصاهم بوصية حسنة فيها حِكْمٌ.

وإليه أشار الحارث بن وعله بقوله:

إِن الْعِصَا قَرَعَتْ لِذِي الْحِلْمِ

وقال الفرزدق:

كَأَنَّ الْعِصَا كَانَتْ لِذِي الْحِلْمِ تَقْرَعُ

وابنه جندب بن عمرو صحابي، وبنته أم عمرو بنت جندب؛ هي أم عمرو وأبان وعمر وخالد ومريم، بني عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد هاجر جندب هذا وصحب ثم مضى إلى الشام، وكان من بين الصحابة الذين قتلوا بأجنادين؛ وكان قد خلف ابنته أم عمرو بنت جندب عند عمر بن الخطاب وقال له: إن

(1) العصا: العود الذي يتخذ للتوكؤ عليه والضرب به، جمعه: عصي (بكسر العين وضمها) وأعص، وأعصاء، ومثاها: عصوان، قيل سميت عصًا لأن اليد والأصابع تجتمع عليها، مأخوذة من "عصوت القوم" إذا جمعتهم على خير أو شر، وقد ضربت العرب فيها أمثالا كثيرة، منها "قرع له العصا": أي نبهه وفضنه، و"شق العصا": أي خالف جماعته، و"انشقت عصا القوم": أي وقع الخلاف بينهم، و"رفع العصا": أي سار، و"ألقي المسافر عصاه": أي بلغ موضعه، و"ألقي عصا الرحال": أي أقام واستقر، و"الناس عبيد العصا": أي يهابون من آذاهم، و"قرعه بعصا الملامة": أي بالغ في عدله، و"قشر له العصا": أي أبدى له ما في ضميره، و"فلان لين العصا" و"ضعيف العصا": أي رقيق لين حسن السياسة، وفي ضده: "صلب العصا" و"شديد العصى": أي عنيف. وغير ذلك. [المعجم الوسيط، ومنجد اللغة].

وجدت لها كفوا فزوجها ولو بشراك نعله⁽¹⁾، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها؛ فكانت عند عمر تدعوه أباهما إلى أن زوجها من عثمان فولدت له أولاده المذكورين.

فائدة: ورد في كثير من الأحاديث أنه كان للنبي ﷺ خاتم من فضة نقشه "محمد رسول الله" وأنه جعله مرة في يمينه ومرة في يساره. فقد روي عن علي وابن عباس وابن عمر وجابر وعبد الله بن جعفر وأبي أمامة أنه يتختم في يمينه. وعن أنس وابن عمر أنه كان يتختم في يمينه ويجعل فسه في باطن كفه، وعن عائشة أنه كان يتختم في يمينه ويقول: «اليمين أحق بالزينة من الشمال»، وأنه قبض والخاتم في يمينه. وعن ابن عمر - أيضا - أنه كان يتختم في يمينه ثم حوله في يساره. وعن أنس وأبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره. وعن عائشة وأنس - أيضا - أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان في خنصره اليسرى. وعن أنس وابن عمر أنه كان يتختم في يسراه ويجعل فسه في باطن كفه. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم كلهم يتختمون في اليسار⁽²⁾. وعن أنس قال: كان لرسول الله ﷺ خاتم من ورق وكان فسه حبشيا؛ وفي رواية كان خاتمه صلى الله عليه وسلم من فضة.

(1) الشراك: سير النعل على ظهر القدم، جمعه: أشرك وشرك.

(2) ذهب مالك رحمه الله إلى استحباب التختم في اليسار، وكره التختم في اليمين، وقال: إنما يأكل ويشرب ويعمل بيمينه فكيف يريد أن يأخذ باليسار ثم يعمل، واختلف في الشافعية، فقيل الأرحح عندهم التختم في اليمين، وقيل في اليسار، ومذهب الحنفية: استحباب جعله في خنصر اليسرى، وسوى الفقيه أبو الليث بين اليمين واليسار. [البدر العيني].

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى ملوك الأعاجم وغيرهم ليدعوهم إلى الإسلام، وقيل له إنهم لا يقبلون الكتاب إلا محتوما؛ اتخذ خاتما من فضة، ونقش عليه "محمد رسول الله" ثلاثة أسطر: سطر "محمد" وسطر "رسول" وسطر "الله" وقال للناس: «إني اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحدٌ على نقشه»، فكان يختم به الكتب إلى الملوك؛ وسبب النهي فيه هو أنه إنما اتخذها ونقش فيه ليختم به كتبه إلى الملوك، فلو نقش غيره مثله - ولو على سبيل التبرك - لأدى إلى الإلتباس وبطلان المقصود. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

جَدِيْمَةُ الْأَبْرَشُ مُلْكُ الْحِيْرَةِ قَبْلَ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ الْخِيْرَةِ
مُلُوكُ لَحْمٍ (*) الْمَنَادِرُ الْبِهْمِ أَوْلَهُمْ ذُو الطُّوقِ عَمَرُو الْخِصْمِ

جذيمة (بوزن سفينة): مبتدأ، والأبرش: صفته. وملك (بفتح الميم وسكون اللام): لغة في الملك، وهو خير المبتدأ. والحيرة (بكسر الحاء المهملة): قرية قرب

(*) كانت للخميين دولتان مشهورتان بالحيرة من العراق وبإشيلية من الأندلس، أما دولتهم بالحيرة فتعرف بدولة المناذرة لكثرة من تسمى منهم بالمنذر، وتعرف بملوك لحم، وملوك بني ماء السماء للخميين؛ مكثت نحواً من خمسمائة سنة، وتعاقب عليها اثنان وعشرون ملكاً، أولهم: ذو الطوق عمرو بن عدي اللخمي، وآخرهم: المنذر الخامس بن النعمان بن المنذر الرابع اللخمي. وانتهت هذه الدولة سنة اثنتي عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وإلى هذه أشار بقوله: ملوك لحم المناذر.. إلخ.

وأما دولتهم بإشيلية فتعرف بدولة بني عباد اللخمين من ذرية ذي الطوق عمرو بن عدي، مكثت نيفا وسبعين سنة، وتعاقب عليها أربعة ملوك، أولهم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، وآخرهم المعتمد بن عباد اللخمي، وانتهت هذه الدولة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة للهجرة. وإلى هذه أشار بقوله: وآل عباد ملوك الأندلس.. إلخ.

الكوفة بالقرب من نهر الفُرات؛ قيل إن أول من حيرها بخت نصر، جعل فيها سبانيا العرب فتحيروا هنالك؛ فسميت الحيرة. وقوله قبل بني ماء السماء: أي قبل استيلاء ملوك بني ماء السماء عليها، وهم المناذرة. وماء السماء: لقب أمهم مارية بنت عوف. والحيرة (بكسر الخاء المعجمة): جمع حَيْرٍ (بوزن سيد). وملوك لحم: بالجر: صفة لبني ماء السماء أو بالرفع: خير مبتدأ محذوف، أي وهم ملوك لحم. والمناذر: بدل من ملوك لحم، وهو جمع منذر؛ يعني بهم آل المنذر بن ماء السماء. والبهم (بضم ففتح): جمع بهمة (بضم فسكون) وهو الشجاع الذي يستبهم مأتاه على أقرانه. والضمير في أولهم: عائد على ملوك لحم. والطوق: القلادة. وعمرو: بدل من ذو الطوق. والخضم (بكسر ففتح): السيد والجواد المعطاء.

بعض أخبار جذيمة الأبرش

يعني أن من دوس بن عدنان أيضا جذيمة الأبرش ملك الحيرة قبل المناذرة - ملوك بني ماء السماء اللخمييين - وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان الدوسى الفهمي، يعرف بجذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح؛ لأنه كانت قد أصابته حروق فبقيت فيه نقط سود وحمر، فكنت العرب عنه بالوضاح، والأبرش - عدولا عن الأبرص - إعظاما له. ويقال له - أيضا - منادم الفرقدين. وأبوه مالك بن فهم هو أول من ملك الحيرة، ثم ولي الملك بعده ابنه جذيمة هذا؛ وهو أول من تملك بالعراق من العرب فساس العرب وملك على قضاة. وقد ملك من شاطئ الفرات إلى الأنبار وما وآلى ذلك إلى السواد⁽¹⁾.

(1) سواد العراق: ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى.

وكان أعز من سبقه وأول من غزا بالجيوش المنظمة وأول من عملت له المجانيق⁽¹⁾ للحرب من ملوك العرب، قيل كانت مدة ملكه ستين سنة، وكان من أفضل العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكاية⁽²⁾، وكانت تفد عليه الوفود وتجيى إليه الأموال. ويروى أنه هو أول من رمى بالمنجنيق وأول من أوقد الشمع⁽³⁾. وكان قد بلغه أن غلاماً من لحم يسمى عدي بن ربيعة بن نصر مقيم في أخواله من إباد له ظرف⁽⁴⁾ ولُب⁽⁵⁾، وأنه يصلح لمنادمة الملك والقيام بمجلسه، فبعث إلى إباد أن يعثوه إليه ففعلوا، فضمه إلى نفسه؛ فكان ينادمه ويسقيه. فتعشقتة⁽⁶⁾ رقاش أخت الملك جذيمة، فبعثت إليه: إذا سقيت الملك أخي وانتشى⁽⁶⁾ فاخطبني إليه وأشهد عليه؛ ففعل، فقالت له: عرس بأهلك ففعل. فأصبح عدي على جذيمة وهو مضرج بالطيب، فقال له جذيمة: ما هذا الأثر؟ فقال: آثار العرس، قال: وأي عرس؟ قال: عرس رقاش! فأكب جذيمة على الأرض؛ ففرَّ عدي، فطلبه جذيمة فلم يدركه. فأرسل جذيمة لأخته رقاش يقول:

خبريني رقاش لا تكذبيني أبحرُ زنتِ أم بهجين⁽⁷⁾
 أم بعبد وأنت أهل لعبد أم بدون وأنت أهل لدون

فأجابته بقولها:

-
- (1) المجانيق، والمجانيق: جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرهما) وهو آلة حربية كانوا يرمون بها الحجارة، وهي كلمة يونانية معربة.
 (2) المغار: بمعنى الغارة وهي النهب، والنكاية: هزيمة العدو وغلبتهم.
 (3) الشمع: نوع من المصابيح.
 (4) الظرف: الكياسة والحذق والبراعة. واللُب: العقل الخالص من الشوائب، أو ما ذكى منه.
 (5) تعشقه: أحبه أشد الحب، والعشق: إفراط الحب يكون في عفاف، وفي دعارة.
 (6) انتشى: سكر.
 (7) الهجين: الذي أبوه عربي وأمه أعجمية أو أمة غير محصنة.

أنت زوجتي وما كنت أدري وأتني النساء للتزيين
ذاك من شريك المدامة صرفاً وتماذك في الصبا والمجون

فحبسها جذيمة في قصر له، وكانت قد حملت من عدي فولدت غلاماً سمته عمرا وربته حتى شب وترعرع، فألبسته كسوة لم ير مثلها وحلته وعطرته، ثم أزارته خاله جذيمة فأعجبه وألقيت عليه محبته. ثم خرج جذيمة في سنة قد أكملت، فبسط له بسطه في روضة⁽¹⁾؛ وكان قد خرج بعمره هذا وأغلمة معه يجتنون الكمأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها لخاله، ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم ويقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحل عنده بمكان.

ثم إن الجن اختطف عمرا هذا، فطلبه جذيمة زمانا وأرسل فيه إلى الآفاق فلم يوجد له خبر. فبينما مالك وعقيل ابنا فالج بن كعب بن القين بن جسر بن قضاة، وهما متوجهان إلى جذيمة ومعهما قينة تغنيهما وتطعمهما وتسقيهما تُسمى أم عمرو وقد نزلا منزلا، إذ جاءهما عمرو بن عدي هذا فرمت له الجارية بكراع من طعامهما فلم يرض ومدَّ يده، فقالت: "أعط العبد الكراع فيطمع في الذراع" - فأرسلتها مثلاً - فناولتهما الشراب وأوكأت زقَّها، ولم تناول عمرا شيئا؛ فقال:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شرر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تعلمينا

(1) أكْمَات: كثر فيها الكمء وهو نبات يعيش تحت الأرض ويميل إلى الغبرة، يطبخ فيها منه طعام لذيذ. والبسط: جمع بساط وهو ضرب من الطنافس. والروضة: الأرض المخضرة بأنواع النبات، جمعها: روض، ورياض.

فما شرب الشراب كمثل عمرو وما نال المكارم فاصبحينا
فإن تك تنكري عمرا فإني أنا ابن عدي حقاً فاعرفينا
وخالي - لا أبا لك - ذو المعالي جذيمة كيف - ويحك - تنكرينا؟

فقالا له: من أنت يا فتى؟ قال: أنا عمرو بن عدي. فضماه إليهما وألبساه بعض الثياب التي كانت عندهما، وقالا ما كنا لنهدي إلى الملك أنفس من ابن أخته. ثم قدما به على جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما: تمنيا، فسألاه أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا، فنادماه أربعين سنة؛ فهما نديما جذيمة المشهوران اللذان يضرب المثل بهما في الملازمة، وإليهما يشير متمم بن نويرة بقوله:

وكنا كندمانئ جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وكان جذيمة لا ينادم أحدا، كبيرا وزهوا، ويقول أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقتين!. ويقال إنهما نادماه أربعين سنة يحدثنه، فما أعادا عليه حديثا.

وعمدت رقاش إلى ابنها عمرو وأدخلته الحمام وألبسته من طرائف الثياب وجعلت في عنقه طوقا من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة، فلما رآه في تلك الحال قال: "شب عمرو عن الطوق" فأرسلها مثلا. وأقام عمرو بن عدي مع خاله جذيمة يوليه بعض أموره ويخلفه في بعض شؤونه.

وقد كان مُلكُ العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام في زمن جذيمة هذا لعمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة من العمالقة، وهو والد الزباء بنت عمرو المشهورة؛ فطمع جذيمة في امتلاك تلك الجزيرة فغزاها وحارب ملكها عمرو بن الظرب، فوقعت بينهما حروبٌ مات فيها عمرو بن الظرب وهزمت جيوشه وانتهتْ بلاده وعاد جذيمة سالما ظافرا. ثم ملكت بعد عمرو بن الظرب هذا ابنته الزباء - واسمها نائلة ولقبت الزباء لكثرة شعرها - فجمعت جيوشا وغزت بها من حولها من الملوك فذللتهم، فضرب بها المثل فقيل "أعز من الزباء". فلما استحکم ملكها أرادت غزو

جذيمة لتدرك منه ثأر أبيها، فنهاها بعض خواصها وقالوا: لا طاقة لك به، ولكن اعلمي له بالمكر والحيل؛ فتركت غزوه وكتبت إليه تدعوه إلى نفسها ليتزوج بها وتضيف ملكها إلى ملكه فيصير بذلك أعز الملوك، وقالت - فيما كتبت له به - إنها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السما وضعفا في السلطان، وإنها لم تجد لنفسها ولا لملكها كفؤا غيره. فلما انتهى إليه كتابها استخفه ما دعته إليه ورغب فيما أطمعته فيه، وكانت أجمل نساء عصرها؛ وكان قد بلغه من جمالها ما أطمعه في الظفر بها. فجمع ثقات دولته وعرض عليهم ما دعته إليه واستشارهم، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ويستولي على ملكها، إلا رجلا من مستشاريه اسمه قصير بن سعد بن عمرو من لحم - وكان أربيا حازما أثيرا عند جذيمة⁽¹⁾ - قال له: هذا رأي فاتر وغدر حاضر؛ ثم قال لجذيمة: الرأي أن تكتب لها كتابا، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباه. فأبى جذيمة ما أشار إليه به قصير، ودعا ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي واستخلفه على ملكه، وجعل عمرو بن عبد الجن التنوخي معه على جنوده وحيوله.

وسار جذيمة في جمع قليل من جيوشه ووجوه أصحابه، فلما كان في أثناء الطريق استقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطف، ثم تلقتهم الكنائب وأحاطت به، فأدخلوه على الزباء في القصر؛ فأمرت بنطح فأجلسه عليه، وأمرت بقطع رواهشه⁽²⁾ فقطعت ومات جذيمة.

(1) الأريب: العاقل الماهر البصير، والحازم: الذي يضبط أموره ويحكمها ويأخذ فيها بالثقة، والأثير: المفضل على غيره والمكرم المكين.

(2) النطح: بساط من جلد يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، يقال علي بالسيف والنطح. والرواهش: عروق باطن الذراع أو ظاهر الكف، واحدها: راهش وراهشة، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

ولما رأى قصير ما فعلت الكتاب بجذيمة ركب فرسا مشهورة لجذيمة اسمها العصا، لا تبارى ولا يشق لها غبار⁽¹⁾ ونجا عليها، فلما نظر إليه جذيمة موليا على متنها ينقطع دونها السراب، قال: "ما ذل من جرت به العصا"، فذهبت مثلاً. فلحق بالعمريين بالحيرة، وقال لعمر بن عبد الجن - أمير الجنود - اطلب بدم الملك وإلا سبتك العرب. فلم يفعل، وأيس منه قصير؛ ثم مشى إلى عمرو بن عدي وقال له: هل لك في أن أصرف إليك الجنود على أن تطلب بثأر خالك بقتل الزباء؟ فقال: كيف وهي أمنع من عقاب الجوء؟ - فسارت مثلاً - (ويقال إن الزباء كانت من أحزم الناس).

حيلة قصير لقتل الزباء

فاستهوى قصير قادة الجنود بالمال حتى انصرفوا إلى عمرو بن عدي وانقادوا له حتى انقاد له عمرو بن عبد الجن نفسه، ولم يزل قصير بعمر بن عدي حتى أقنعه بطلب ثأر خاله؛ فأراد عمرو أن يعمل الحيلة في قتل الزباء، فأرسل قصيرا إليها ليطلع له على أمرها؛ فجدع قصير أنفه وضرب ظهره، وخرج كأنه هارب من عمرو إلى الزباء، فقالت العرب: لأمر ما جدع قصير أنفه، فسارت مثلاً.

فلحق قصير بالزباء حتى وقف ببابها، فأعلموها بحمله وأدخلوه عليها؛ فقالت له: ما الذي أرى بك يا قصير؟ قال: زعم عمرو بن عدي أنني قد غررت خاله جذيمة وزينت إليه المسير إليك ومالاتك عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك وعرفت أنني لا أكون مع أحد أثقل عليه منك. فأكرمته وأصابته عنده بعض ما أرادت من الرأي والحزم والتجربة والمعرفة بأمر الملك.

فلما عرف أنها وثقت به قال لها: إن لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا

(1) يقال: طلب فلانا فما شق غباره: أي لم يدركه.

فابعثيني لأحملها إليك. فسرحته وجهزت معه عيرا، فسار حتى دخل العراق متنكرا، فدخل على عمرو بن عدي فأخبره الخبر، وقال: جَهَّزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يملكك من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك؛ فأعطاه حاجته وخاصة ما كان يعجبها من بضائع العراق. ورجع قصير إلى الزباء بما معه من الطرائف فعرضه عليها، فأعجبها ما رأت وسرها، وازدادت ثقة. فجهزته ثانية بأكثر مما جهزته في الأولى، فسار حتى قدم العراق؛ فلم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه إلا وساقه إليها. ثم عاد الثالثة فأخبر عمراً الخبِر، وقال له: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهيئ لي الغرائر والمسوح⁽¹⁾؛ ثم جعل الرجال بأسلحتها في الغرائر وجعل معقد رؤوسها من داخل، وحمل على كل بعير رجلين في غرارتين.

وكان للزباء نفق في الأرض تدخله إذا هاجمها أمر؛ ثم قال قصير لعمرو: إذا دخلنا مدينتها قم على باب نفقها لتقتلها. فساروا إليها، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار. وكانت الزباء تتطلع إلى أخبار قصير، فسمعت أنه قد أخذ طريق الغوير (وهو ماء معروف لبني كلب) فقالت: عسى الغوير أبوسا، فذهبت مثلا.

فلما قرب قصير من مدينة الزباء تقدم إليها فأعلمها بكثرة ما حمل إليها من المتاع والطرائف، وطلب منها أن تخرج لتنظر ما جاء به فخرجت، فلما أبصرت الإبل تكاد قوائمها تسيخ في الأرض من ثقل أحمالها قالت: يا قصير:

ما للجِمالِ مشيها وثيدا أجنـدلا يحملن أم حديدا؟
أم صرفانا باردا شديدا؟ أم الرجال جثما قعودا؟⁽²⁾

(1) الغرائر: جمع غرارة وهي: العدل من صوف أو شعر، وهي أكبر من الجواليق. والمسوح: جمع مسح: الكساء من شعر.

(2) وثيدا: أي على تودة وتمهل. والجنـدل: الصخر العظيم (واحدته جندلة وجمعه جنادل). والصرفان: النحاس والرصاص، والصرفان - أيضا - الموت. والجثم: جمع جاثم وهو التلبد بالأرض اللاصق.

ثم دخلت الإبل المدينة؛ فلما توسطتها وأنيخت، دل قصير عمرا على باب النفق وخرجت الرجال من الغرائر، وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو على باب النفق، فأقبلت الزباء تريده؛ فلما أبصرت عمرا عرفته - وكانت قد رأت صورته - فمصّت خاتماً لها مسموماً وقالت: بيدي لا بيد عمرو، وأرسلتها مثلاً؛ فتلقاها عمرو بن عدي وجللها بالسيف فماتت. واستباح عمرو بلادها، وخلف فيها خيلاً ورجع هو وقصير بالغنائم.

تملك عمرو بن عدي وبدء ملك المناذرة

ولما مات جذيمة الأبرش وقتل عمرو بن عدي الزباء خلص الملك لابن أخت جذيمة وهو عمرو (ذو الطوق) بن عدي بن ربيعة بن نصر بن مالك بن معمم بن نمارة بن لحم اللخمي. فكان له الملك على الحيرة والعراق، وعظم أمره وهابته الملوك لما علموا من حيلته في طلبه بثأر خاله وقتله الزباء التي كانت من أحزم وأعز ملوك عصرها؛ ومكث عمرو في الملك نيفاً وستين سنة؛ ثم توارث الملك بعده بنوه، وعرفوا بملوك لحم - نسبة إلى جددهم لحم - وبالمناذرة (وهو جمع منذر) لكثرة من تسمى منهم بهذا الاسم، مثل المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو ذي الطوق؛ وهو أول المناذرة، وكان قد تولى الملك بعد أبيه وبنى دير حنة بالحيرة. والمنذر الثاني ابن المنذر الأول بن امرئ القيس بن عمرو، تولى الملك بعد أخيه الأسود بن المنذر، وأقرته الفرس (وكانت الحيرة تابعة للفرس). والمنذر الثالث ابن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود بن ماء السماء، كان يلقب ذا القرنين - بضعفرتين له - وكان من أرفع المناذرة شأنًا وأشدهم بأسًا وأكثرهم أخبارًا، انتهى إليه ملك الحيرة بعد أبيه وأقره كسرى، وبنى قصر الزوراء بالحيرة؛ ووقعت بينه وبين الحارث بن أبي شمر الغساني حروب مات فيها. والمنذر الرابع ابن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود، تولى الملك بعد أخيه قابوس. والمنذر الخامس ابن

النعمان بن المنذر (الرابع) بن المنذر (الثالث) بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود، وكان آخر المناذرة أصحاب الحيرة؛ قتل في الفتوحات الإسلامية، قيل يوم جؤاثى بالبحرين، وقيل مع مسيلمة الكذاب؛ وعموته انقرضت دولة اللخمين بالحيرة، قيل كان ذلك سنة اثني عشرة للهجرة.

ومن ملوك لضم بالحيرة: امرؤ القيس بن عمرو ذي الطوق، تولى بعد أبيه عمرو. ومنهم النعمان الأول ابن امرئ القيس بن عمرو، تولى بعد أبيه، وكان شجاعا كثير الغارات داهية رفيع الذكر؛ وكان له جيش مكون من كتيبتين إحداهما من رجال الفرس تسمى "الشهباء"، والأخرى من تنوخ وتسمى "دوسر"⁽¹⁾، وكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب؛ وكان حازما صارما كثير الأموال والرقبى، وهو باني القصرين المشهورين: الخورنق والسدير⁽²⁾؛ يعرف "بفارس حليلة" و"ب"الأعور السائح". ملك نحو ثلاثين سنة، ثم

(1) سميت بذلك: اشتقاقا من الدسر وهو الطعن وكانت هي أحسن كتائبه، وفي المثل: "أبطش من دوسر".

(2) اللذين يعنيهما أعشى بني قيس بن ثعلبة (أو الأسود بن يعفر النهشلي) بقوله:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الشرفات من سنداد

ويقول عدي بن سالم المري في الخورنق من قصيدة له:

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير ..إخ.

والخورنق: قصر بناه النعمان هذا لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه بنيانا عجيبا لم تعرف العرب مثله، واسم الذي بناه: سنمار، وكما تم بناؤه عجب الناس من حسنه فقال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته لجعلته يدور مع الشمس حيث دارت - وكان بناه في عشرين سنة - فقال له النعمان: إنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا؟! وخاف أن يبني لغيره مثله، وأمر به فطرح من أعلاه فمات، فقالت العرب: "جزاء سنمار"، وفي ذلك يقول الشاعر:

جزائي - جزاه الله شر جزائه - جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

<<=

زهد عند اكنهاله فتخلى عن الملك وانصرف سائحا في البلاد فانقطع خبره.

ومنهم النعمان الثاني ابن الأسود بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي. ولي الملك بالحيرة بعد عمه المنذر الثاني، واستنصر به ملك الفرس على فتح مدينة الرها، فانصرف إليها بجيش من العرب ومات على أبوابها محاصرا لها.

ومنهم النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ابن المنذر بن امرئ القيس، يعرف بأبي قابوس. ورث ملك الحيرة عن أبيه فأقره كسرى عليها؛ وكان من أشهر ملوك الحيرة ذاهية مقداما، وهو ممدوح النابغة الذبياني وغيره؛ واستمر ملكه إلى أن نقم عليه كسرى أمرا فعزله، فقيل سجنه وقيل ألقاه تحت أرجل الخيل فوطئته حتى هلك⁽¹⁾. وقد روي أن فترة ملوك لخم بالحيرة نحو خمسمائة سنة وأن عدد ملوكهم بلغ اثنين وعشرين ملكا، أولهم عمرو بن عدي.

وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله: ملوك لخم المناذر.. إلخ. وماء السماء: لقب ماوية بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط، وهي أم المنذر بن امرئ القيس بن

>>>---

سوى رصفه البنيان عشرين حجة	يعد عليه بالقرامد والسكب
فلما انتهى البنيان يوما تمامه	وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
رمى بسنمار على حـق رأسه	وذاك لعمـر الله من أقيح الخطب

(1) راجع تاريخ الزركلي لخير الدين. وفي النعمان هذا يقول الشاعر:

هو المنـزل النعمان بيتا سماؤه	نحور الفيول بعد بيت مسردق
-------------------------------	---------------------------

ويقول فيه زهير المزني:

ألم تر للنعمان كان بنجوة	من الشر لو أن أمرا كان ناجيا
فغير منه ملك عشرين حجة	من الدهر يوم واحد كان غاويا
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه	أقل صديقا باذلا ومواسيا

النعمان بن امرئ القيس (المحرق)⁽¹⁾ بن عمرو بن عدي، لقبته به لجمالها فعرف ولدها ببني ماء السماء. وفيهم يقول زهير بن حبان:

ولازمت الملوك من آل نصر وبعدهمُ بنو ماء السماء

وقد اختلف في نسب المناذرة هؤلاء، فقليل من لحم (وهو المشهور) وعليه درج الناظم، وقيل هم من ذرية قنص بن معد بن عدنان، وقد نسبهم إليه جبير بن مطعم حين سأله عمر رضي الله عنهما عن نسب النعمان بن المنذر.

وكانت لغة المناذرة عربية وبلاطهم يشبه بلاط الفرس، ولهم فضل كبير في تعليم الخط العربي، وكانوا يدينون بالوثنية ثم اعتنقوا النصرانية، وبنوا كثيرا من البيع وأقاموا القصور والحدائق، واشتهرت الحيرة - مقرهم - بطيب هوائها. وقد ظل المناذرة يحكمونها إلى أن تم استيلاء المسلمين عليها في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه - كما مرَّ قريبا.

ثم أشار إلى دولتهم بالأندلس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَأَلْ عِبَادِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ نَسْلِ ذِي الطَّوْقِ وَغَالِهَا النَّدْسُ
يُوسُفُ الْعَدْلُ ابْنُ تَاشِفِينَا الْحَمِيرِيُّ ثُمَّ مِنْ لَمْتُونَا

آل عباد: مبتدأ، (وعباد: بفتح العين وتشديد الموحدة بوزن كَتَان). وملوك الأندلس: صفة لآل عباد، والأندلس (بفتح الهمزة والذال وضمهما، واللام مضموم - على كل -): هو الإقليم المعروف، وسمي بأول من خطه وعمره، وهو أندلس بن -

(1) وقيل المحرق لقب لابنه: عمرو بن المنذر، ويعرف بعمرو بن هند، عرف - أيضا - بامه هند بنت الحارث أكل المرار الكندي، ولقب محرقا: لأنه حرق مدينة يقال لها: ملهم حول اليمامة، وقيل لأنه حرق مائة من بني تميم.

يافث بن نوح. وقوله من نسل ذي الطوق: خير المبتدأ، وذو الطوق: عمرو بن عدي - المتقدم. وغالها: أهلكتها، والضمير فيه عائذ على ملوك الأندلس من بني عباد. والندس (كعضد وكتف): الفطن الكيس، وهو فاعل غالها. ويوسف: بدل من الندس. والعدل وما بعده: أوصاف ليوسف. والحميري: نسبة إلى قبيلة حمير بن سبأ. ولتونة: قبيلة مشهورة من قبائل صنهاجة، يعود نسبها إلى قبيلة حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

يعني أن بني عبّاد ملوك إشبيلية وما والاها من الأندلس هم من ذرية ذي الطوق عمرو بن عدي اللخمي، وأن ملك إشبيلية لم يزل بأيديهم حتى انتزعه منهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الحميري ثم للمتوني سنة أربع وثمانين وأربعمائة للهجرة.

دولة اللخمين بالأندلس

وآل عباد هم الملوك اللخميون بإشبيلية من الإقليم الأندلسي، وأول من دخل الأندلس من أسلافهم نعيم اللخمي من نسل النعمان بن المنذر ملك الحيرة وابنه عطاف بن نعيم، وأول زعماء الدولة العبادية بإشبيلية أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، من بني عطاف بن نعيم اللخمي.

وكان إسماعيل بن محمد هذا - في بدء أمره - من حرس الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة، ثم عرف بالفضل والصلاح، فولاه هشام إمامة مسجده بها؛ ثم قدمه المنصور بن أبي عامر فتولى القضاء بإشبيلية، وأضيفت إليه الأمانة، فلقب بذي الوزارتين؛ ثم اضطرب أمر الأمويين في الأندلس فنهض بأعباء إشبيلية مستقلاً، وضعف بصره فولى ولده أبا القاسم محمد بن إسماعيل القضاء واقتصر هو على شياخة البلد والنظر في الأمور السلطانية. وكان آية في العلم

والمعرفة والأدب والحكمة، وحمى مدينة إشبيلية من سطوة المعتدين بالتدبير الصحيح والرأي الراجح، إلى أن توفي سنة أربعمائة وأربع عشرة للهجرة.

ثم تولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن إسماعيل، وكان أول أمره قاضيا بإشبيلية، وعرف بالقاضي ابن عباد. وكان عاقلا مهيبا كريم اليد بارعا في العلم والأدب، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك الرسائل، وكان ذا معرفة فائقة بتدبير الدول. وقد أصبح من مؤسسي الدولة العبادية في إشبيلية من الأندلس، وتوفي - رحمه الله - سنة أربعمائة وثلاث وثلاثين هجرية. ثم تولى بعده ابنه أبو عمرو الملقب بالمعتضد بالله عبّاد بن محمد بن إسماعيل، وكان غاية في كمال الخلق وجمال الصورة وفخامة الهيئة وثقابة الذهن وحضور الخاطر، وكان جوادا سخيا. وكان قبل طلب السلطان قد مال إلى الأدب فحصل منه على حظ كبير، فكان يقول الشعر ويطرب له؛ وازدهر الأدب في عصره وجمع له ديوان. وكان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأفطس وغيرهم؛ وكان شجاعا حازما، ينعت بأسد الملوك، طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس فدان له أكثر ملوكها واستولى على غربيها وولى عليها العمال وطالت مدته. وتوفي بإشبيلية بالذبح الصدرية⁽¹⁾ سنة أربعمائة وإحدى وستين للهجرة. وفيه يقول محمد بن عمار الأندلسي:

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ونحاه لا يردون حتى يصدرا
اندى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سنة الكرى
قداح زند المجد لا ينفك من نار الوغى إلا إلى نار القرى

ثم تولى بعده ابنه أبو القاسم الملقب بالمعتد على الله محمد بن عباد بن محمد بن

(1) الذبحة (بضم المعجمة وكسرهما مع سكون الموحدة وفتحها) وجع في الحلق كأنه يذبح، وضيق الصدر مع إحساس بالاختناق وبالاشراف على الموت.

إسماعيل، كان أحد أفراد الدهر شجاعة وحزما وضَبْطاً للأُمور، ولي إشبيلية بعد أبيه وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية، وكانت تعرف بتدمير. وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأُمراء. يروى أنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع عند بابه من أعيان الأدب، وكان فصيحاً شاعراً وكتاباً له ديوان شعر؛ ومن شعره:

أكثرت هجرك غير أنك ربما عطفك أحياناً إلى أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا ليل وساعات الوصال بدور

وكتب إلى ندمائه بقصره بقرطبة وقد أصبحوا بالزهاء، وهي من عجائب أبنية الدنيا - بناها الأمويون بالقرب من قرطبة - كتب إليهم:

حسد القصر فيكم الزهراء ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شمساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدورا مساءً

ولم يزل المعتمد بن عباد هذا في صفاء ودعة إلى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، حيث استولى الروم على طليطلة (مملكة بني ذي النون) وكان ملوك الطوائف - وعلى رأسهم المعتمد بن عباد هذا - يؤدون ضريبة سنوية لملك الروم، فلما استولوا على طليطلة ردوا على المعتمد ضريبته وأرسلوا إليه يهددونه ويدعونه إلى النزول لهم عما في يده من الحصون، وإلا فعلوا به مثل ما فعلوا بملك طليطلة، فكتب المعتمد إلى ملوك الأندلس يستثير عزائمهم ويستنهض همهم، وكتب إلى يوسف بن تاشفين بمراكش يستنجده.

ضعف ملوك الأندلس واستنجادهم بالمرابطين

وحاصل ذلك أنه بينما كان ملوك الطوائف في مثل تلك الحال من الفرقة والانقسام، توحد بعض دول النصارى في الشمال، وأخذوا يقومون بغارات على المناطق الإسلامية في مختلف نواحي الأندلس، منتهزين حالة التفرق والانقسام في

ملوك الطوائف. فأثار سقوط طليطلة في أيدي النصارى الذعر في نفوس عدد من هؤلاء الملوك وعامة المسلمين، وكانت شهرة يوسف بن تاشفين - كمجاهد وبطل عظيم - قد وصلت إلى الأندلس، فاتفقت كلمة بعض هؤلاء الملوك وخاصة مملكة بني عباد بإشبيلية ومملكة غرناطة وبلنسية وغيرهم، على الاستنجاد بهذا المجاهد الكبير.

ومن الجدير بالذكر - في هذه المناسبة - أنه عندما أبدى بعض الزعماء أو الأمراء مخاوفهم من استيلاء يوسف بن تاشفين على الأندلس رد عليه المعتمد بن عباد هذا بكلمته التي صارت مثلا: "رعي الجمال خير عندي من رعي الخنازير"، ومعناها أنه كان متأكدا من سقوط إشبيلية في أيدي النصارى، وأنه يفضل أن يكون راعي جمال في المغرب - في حال إستيلاء المرابطين عليها - على أن يكون راعي الخنازير بعد سقوطها في أيدي النصارى الذين طالبوه بتسليمها إليهم وإلا فسيكون مصيره مصير صاحب طليطلة.

ثم أرسل ملوك تلك الطوائف وفدا من قضاة قرطبة وفقهائها إلى يوسف بن تاشفين يستنجدونه، ثم جاء المعتمد بن عباد نفسه مستنجدا. فقرر يوسف الذهاب بنفسه لمساعدتهم - قياما بالواجب الإسلامي - وسار إليهم بجيوش عظيمة، وكسب معركة الزلاقة المشهورة وغيرها، فانتصر انتصارا عظيما وانهزم الروم وقتل أكثر عساكرهم، وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وشهد له بالشجاعة، وغنم المسلمون سلاح ودواب عدوهم وكثيرا من الذخائر، ورجع يوسف إلى بلاده.

وما حصل سبب استيلاء يوسف بن تاشفين على مملكة آل عباد الإشبيليين، الذي أشار إليه الناظم، أنه بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس وتمزق وحدته، قام ملوك الطوائف بإنشاء دويلات عددها نحو عشرين دولة بين كبيرة وصغيرة؛ وقد أشار أحد شعراء الأندلس إلى حقيقتها متهكما فقال:

وتفرقوا شيعة فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكان من تلك الطوائف مملكة بني حمود في قرطبة ومملكة بني ذي النون في طليطلة ومملكة بني عباد في إشبيلية (وكانت هي أكبر هذه الدويلات).. إلى آخر ما هناك من تلك الإمارات أو الممالك، فتناسى هؤلاء الملوك رابطة الأخوة الإسلامية في علاقاتهم، بل ناصب كل منهم العداة للآخر!

فلما رأى يوسف بن تاشفين تفرق كلمتهم ومؤامرات بعضهم ضد بعض واتصالاتهم السرية بالنصارى، واستنجدهم بهم لحماية عروشهم المتداعية.. أدرك أن هذا الوضع السيئ سوف يمهد لاستيلاء النصارى على جميع الأندلس، فاتخذ قراره الحاسم بإزالة ملوك الطوائف، وتوحيد الأندلس مع المغرب. وفي تلك الآونة تلقى فتاوى من فقهاء الأندلس والمغرب، وبعض أئمة المشرق يلحون عليه بضرورة خلع ملوك الطوائف بالأندلس، وتدارك الأمر لنصرة الإسلام فيه. فتوجه إليهم بجنود عظيمة، ولم يزل يواصل جهادهم وحصارهم حتى تم فيما بين سنتي 484 و488 هـ إخضاع معظم ملوك الطوائف، وضم ممالكهم إلى الدولة المرابطية؛ مثل مملكة آل عباد المذكورة، وممالك قرطبة وبلنسية والمرية، وغيرها.

وهكذا انتهى حكم ملوك الطوائف في الأندلس وتم توحيدها في دولة المرابطين القوية، وبذلك أنقذت الأندلس من الإنهيار والسقوط في أيدي النصارى، فكان ذلك أكبر إنجاز تم على يد أمير المسلمين يوسف، وكان من نتائجه استمرار الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى.

ولما جاء جيش يوسف إلى إشبيلية تلقاه المعتمد بن عباد بجيشه فأظهر لهم الشجاعة والمصابرة، فحاصروه حتى استولى الفرع على أهلها، وتفرقت جموع

المعتمد، وقتل ولداه المامون والراضي، وفت في عضده⁽¹⁾ فأدر كته الخيل فدخل القصر مستسلما للأسر، فحمل مقيدا مع أهله على سفينة حتى أدخل على يوسف بن تاشفين في مراكش؛ فأمر بإرساله هو ومن معه إلى أغمات⁽²⁾، فحبس بها إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة؛ فكان آخر ملوك بني عباد بإشبيلية والأندلس. ويروى أنه دخلت عليه بناته يوما وهو في السجن وكان ذلك يوم عيد، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهن في أظمار رثة⁽³⁾ وحال سيئة، فصدعن قلبه فقال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا	فساءك العيد في أغمات ماسورا
ترى بناتك في الأظمار جائعة	يغزلن للناس ما يملكن قطميرا ⁽⁴⁾
يدرن حولك للتسليم خاشعة	أبصارهن حسيرات مكاسيرا ⁽⁵⁾
يطآن في الطين والأقدام حافية	كأنها لم تطأ مسكا وكافورا ⁽⁶⁾
وكان دهرك مامورا فتامره	فردك الدهر منهيًا ومامورا
من بات بعدك في ملكٍ يسرُّ به	فإنما بات بالأحلام مغرورا

وفي اعتقال ابن عباد - بأغمات - هذا يقول ابن اللبانة:

لكل شيء من الأشياء ميقات	وللمنى من منايهاهن أوقات
انفض يدك من الدنيا وساكنها	فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

(1) أي كسرت قوته وفرق عنه أعوانه.

(2) أغمات: بلدة في المغرب جنوبي مراكش، كانت قاعدة البلاد قبل تأسيس مراكش، فيها مياه غزيرة وبساتين كثيرة.

(3) الأظمار: جمع طمر (بكسر الطاء): للثوب الخلق، والرت (بفتح المهملة وتشديد المثناة): البالي.

(4) القطمير (بالكسر): شق النواة أو القشرة التي فيها أو القشرة الرقيقة بين النواة والتمر أو النكته البيضاء في ظهرها - [القاموس].

(5) حَسَرَ البصر يحسِر: كلَّ وانقطع من طول مدى فهو حسير، وحسِر عليه حَسْرَة: تلهف فهو حسير أيضا. وكسر من طرفه: غض.

(6) المسك والكافور: نوعان من الطيب.

وقل لعالمها بالأرض قد كتمت سريرة العالم العلوي أغمات

(من قصيدة طويلة)

وفي المعتمد هذا وبنيه: الرشيد والراضي والمأمون والمؤمن يقول أحد الشعراء:

يغيثك في محمل يعينك في رَدَى يروحك في درع يروقك في برد
جمال واجمال وسيف وصوله كشمس الضحى كالنن كالبرق كالرعد
يبهجه زاد العلى ثم زادها بناء بأبناء جَحَاجِحَةٍ لُدَّ
بأربعة مثل الطباع تركبوا لتعديل جسم الجمد والشرف العد

وفي ملوك بني عباد هؤلاء يقول أحد الشعراء:

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في فخره بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الأولاد

وفيهم يقول ابن اللبانة:

تبكي السماء بمزن رائح غاد على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال وقد هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

(من قصيدة له)

ويقول محمد بن عمار الأندلسي:

ملوك مناخ العز في عرصاتهم ومشوى المعالي بين تلك المعالم
إذا قصر الروع الخط نهضت بهم طوال العوالي في طوال المعاصم
وأيدأبت من أن تموت ولم تفز بجـز النواصي أو بجـز الغلاصم

ومكارم آل عباد وإحسانهم العام ومدائحهم لا تسعها الطروس، ومع ذلك لم

يسلموا من لسان طاعن؛ ففيهم يقول بعض الشعراء:

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها فقد عدم المعروف في آل عباد
حللت بهم ضيفاً ثلاثة أشهر بغير قيرى ثم ارتحلت بلا زاد

ويقول آخر:

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت يدها بالويل حتى أخجل الديما

لأنها فلتات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وهجا ابن عمار المعتمد وأباه المعتضد بيتين كانا سبب قتله؛ وهما:

مما يقبح عندي ذكر أندلس سماع معتضد فيها ومعتمد

أسماء مملكة في غير موضعها كاهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وأشعار الشعراء في دولة بني عباد هذه كثيرة. [فَسْبِحَانَ مَنْ لَّهُ العز والبقاء
والعظمة والكبرياء].

وإلى سقوط دولة بني عباد هذه أشار الناظم بقوله وغالها الندس يوسف.. إلخ.

يوسف بن تاشفين

أما يوسف بن تاشفين، فهو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الحميري
ثم اللمتوني من قبيلة "المتونة" المشهورة؛ وهي من قبائل صنهاجة التي يعود نسبها إلى
قبيلة حمير بن سبأ، وكانت قبائل صنهاجة تنتشر - آنذاك - في صحراء المغرب.

وقد ولد يوسف بن تاشفين في حدود سنة أربعمائة وعشر (410)هـ، ونشأ في
ظل حركة الإصلاح والجهاد التي قام بها الشيخ المجاهد عبد الله بن ياسين الجزولي
مع أفراد أسرته الذين لعبوا في هذه الحركة دورا قياديا مشهورا، وشارك في الجهاد
ضد القبائل البربرية المارقة عن الدين في شبابه، حتى عين قائدا على الجيش الذي
وجهه ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة
(448) هجرية لفتح بلاد السوس الأقصى على ساحل المحيط في جنوب المغرب؛
وهذه أول مرة يظهر فيها اسمه.

نشأة دولة المرابطين

ثم تولى بعد ذلك قيادة دولة المرابطين فكان أبرز أمرائها فيما بعد، وكانت هذه
الدولة قد ولدت في أوائل القرن الخامس الهجري (أي في فترة انهيار الدولة الأموية

في الأندلس وقيام ملوك الطوائف فيه، وسقوط دولة الأدارسة بالمغرب، وقيام عدة إمارات فيه تحكمها بعض القبائل المحلية، واضطراب الأحوال في الأندلس والمغرب). وفي ظل ذلك التفكك السياسي والمحن الدينية والحروب الأهلية، قامت حركة المرابطين على أساس دعوة دينية إصلاحية. وكان الفضل في إنشائها واتساع فتوحاتها وجهادها المتواصل ودورها في نشر الإسلام والعلم، من أقصى شمال الأندلس إلى جنوب إفريقيا الغربية، يعود إلى أربعة من أمرائها وهم يحيى بن إبراهيم الكدالي ويحيى وأخوه أبو بكر ابن عمر ويوسف بن تاشفين اللمتونيون.. وإلى مستشاريهم من أهل العلم.

فقد كان مولدها ونشأتها وبعض فتوحاتها تعود إلى القائدين الأول يحيى بن إبراهيم الكدالي، والثاني يحيى بن عمر اللمتوني، ومستشارهما الروحي المعلم الأول: عبد الله بن ياسين الجزولي. ثم كان التوسع فيها بالجهاد المتواصل في الجنوب يعود إلى القائد الثالث المحنك والأمير الكبير: أبي بكر بن عمر اللمتوني. وذلك أنه لما توفي أخوه يحيى بن عمر، أخذ له عبد الله بن ياسين البيعة في سجلماسة على قيادة جيش المرابطين في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة (450) هجرية، فكان مجاهداً مخلصاً ورعاً فقاد الجيش ودخل أغمات وبر غواطة، فكانت لهم في هذه الأخيرة ملاحم أصيب فيها عبد الله بن ياسين بجروح استشهد منها يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى من نفس السنة، بعد أن استولوا على سجلماسة وأعمالها وبلاد السوس، وغيرها. وأصبح أبو بكر هو المسؤول الأول عن الدعوة والدولة المرابطية، فعبأ العساكر وفتح بلاداً كثيرة. ثم قرر التوجه إلى الصحراء الكبرى وجنوبها، وإلى ممالك السودان (مثل مملكة غانا المشهورة آنذاك وغيرها) لمواصلة الجهاد ضد الوثنيين، ولنشر الإسلام بين الأفريقيين؛ فاستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني - الذي

كان قد ظهر كأبرز قائد عسكري ومجاهد كبير في صفوف المرابطين، بالإضافة إلى انتسابه إلى بيت الإمارة في القبيلة اللمتونية - وسلم له الأمر، وأوصاه بتقوى الله في المسلمين وبالحفاظ على أمورهم، وترك معه جيشا عظيما؛ وخرج هو بجيش آخر من أخلاط الناس من العرب والبربر وغيرهما، وتوجه إلى الجنوب - وكان ذلك سنة ثلاث وستين وأربعمائة - وصحب معه رجالا من أهل العلم والدين، مستشارين وقضاة ومعلمين.

ثم لم يزل يواصل الجهاد والفتوح الإسلامية في طريقه تلك حتى استشهد إثر إصابته بسهم مسموم رماه به بعض المحاربين من السودان، فكان فيه حتفه سنة ثمانين وأربعمائة بمنطقة (تكانت) الشنقيطية⁽¹⁾. ثم تفرق رجال العلم والدين من أعيان جيشه في بلاد الصحراء، وما يعرف - حاليا - "بموريتانيا" وأصبحوا ينشرون الإسلام وتعاليمه في شتى ربوع القطر بين سكانه، فمنهم - على سبيل المثال - الإمام محمد بن الحسن الحضرمي المرادي؛ الذي كان مستشارا ومعلما للأمير، فأقام شمالي القطر حتى مات سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ودفن "بأزوكي" حول مدينة "أطار" الشنقيطية، والقاضي إبراهيم الأموي الذي كان قاضي مجلس الأمير ومعلما فيه، والذي أقام في الجنوب الغربي من القطر الموريتاني حتى مات في نهاية القرن الخامس الهجري ودفن بموضع يسمى "انبلطون" شمالي غرب مدينة "القوارب" الموريتانية. وآخرون من أجداد بعض القبائل المحلية في القطر الشنقيطي.

ومن الجدير بالذكر هنا أن إبراهيم الأموي هذا الذي كان قاضي مجلس الأمير

(1) تكانت (بكاف معقودة): معناها: الغابة، وهي الولاية التاسعة من ولايات الدولة الموريتانية، وعاصمة ولاية تكانت "تجحكة" والمحل الذي استشهد فيه يعرف الآن بـ "مكسم بوبكر بن عامر".

أبو بكر بن عمر يعود إليه نسب قبيلة المؤلفين: الناظم أحمد البدوي والشارح حماد بن الأمين المجلسيين؛ وهي نسبة إلى مجلس العلم، وهو اسم قبيلتهما التي اشتق اسمها من مجلس جدها إبراهيم هذا. وسبب ذلك أن المجتمع الشنقيطي في محيطه كانوا في زمنه (وزمن بنيه وأحفاده) إذا اختلفوا في حكم أو أشكل عليهم، يقولون: اذهبوا بنا إلى مجلس القضاء أو مجلس العلم، يعنون بذلك مجلس إبراهيم الأموي هذا وبنيه. ولم يزالوا كذلك حتى أصبحوا يعرفون بمجلس العلم، وأصبح هذا الاسم علما عليهم. وجدهم إبراهيم الأموي هذا ينتهي نسبه إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي؛ وهو أمر شائع بين علماء وثقات المؤرخين وغيرهم في القطر الشنقيطي.

أما القائد الرابع في دولة المرابطين فهو يوسف بن تاشفين الذي عاد إلى المغرب - بعد تنازل أبي بكر له عنه - وأصبح قائدا عاما لدولة المرابطين، فبدأ يُوطدُ أركانها وينظمها ويوسع رقعتها. فواصل حركة الإصلاح والجهاد التي رسمها له سلفه، حتى توسعت رقعة دولته إلى أضعاف ما كانت عليه قبله، ووحد المغرب العربي من حدود تونس إلى المحيط الأطلسي، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى حدود مملكة غانة في الجنوب، بعد القضاء على إمارات البربر العديدة في تلك المنطقة الواسعة، وذلك بعد حروب متواصلة عبر سنين عددا. ولهذا اعتبره بعضهم هو المؤسس الحقيقي للدولة. ولا شك أنه أشهرُ قواد المرابطين، ولو لم يكن له في حياته غير هذا لكفاه خلودًا في التاريخ، ولكنه أضاف إلى ذلك إنجازات أخرى عظيمة منها: إنقاذه الوجود الإسلامي في الأندلس من الانهيار المحقق أمام نصارى الشمال بجهاده المتواصل ضد دول الروم القوية في شمال إسبانيا، والتي كادت تبتلع جميع بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف، عصر التمزق السياسي والفساد الاجتماعي

والنزاعات الداخلية، وبذلك أطال عمر الإسلام في تلك البلاد ولمدة أربعة قرون أخرى؛ وبهذا سجل له التاريخ صفحة مشرقة في سجل حياته الحافلة بجلائل الأعمال. ومن أهم إنجازاته الحضارية إنشاء مدينة مراكش عاصمة دولته، وغدت هذه المدينة مركز العلم والثقافة في المغرب في عهده وبعد عهده، فكان لها اثر كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في شتى المناطق المغربية والافريقية، وغيرها.

وكان - رحمه الله - ورعا تقيا زاهدا متقشفا، وكان يحب العلماء والفقهاء ويقربهم إليه ويستمع إليهم، وكان متمسكا بأحكام الشرع الحنيف رفيقا بالناس متسامحا سخيا جوادا، وكان دائم التفقد لبلاده وثغورها وأحوال شعبه، مجاهدا لا يكل عن متابعة الجهاد، واتخذ لنفسه لقب "أمير المسلمين" وأحبه المسلمون داخل وخارج دولته لصفاته الشخصية الكريمة وإنجازاته السياسية والجهادية.

توفي - رحمه الله - في أوائل سنة خمسماية (500) هـ عن عمر يناهز مائة سنة، وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة، ودفن في قصره بمراكش.

وتولى الحكم بعده ابنه علي بن يوسف، وسار على سيرة أبيه في التدين والجهاد وحب العلم والعلماء وتقريهم، والاعتماد على آرائهم في جميع شؤون الدولة، ولكنه لم يكن مثله في الحزم والصرامة، بل كان كثير التسامح حليما زاهدا في متاع الدنيا، كريم الخلق محبا لدى الجميع، وضعف أمر الدولة في فترته، وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسماية بمراكش. وتولى الأمر بعده ابنه تاشفين بن علي. ثم استمر تدهور شؤون الدولة حتى سقطت بعد وفاة علي بن يوسف بأربع سنين، حيث خلفتها دولة الموحدين.

وكان شعب المرابطين يتقنعون باللثام لعادة قديمة عندهم، فكانوا يتوارثونه خلفاً عن سلف⁽¹⁾، ومن ثم عرفت دولتهم المرابطية بدولة المثلثين أيضاً، وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد:

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا انتموا صنهاجة فهُمْ هُمُ
لما حوروا إحرار كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

ولما ذكر الناظم بعض بطون بني نصر بن الأزد شرع في ذكر بعض بني عمهم: مازن* بن الأزد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِن مَّازِنِ بْنِ الْأَزْدِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ حَيُّ غَسَّانَ السَّنِيِّ
وَهَكَذَا الْأَكْرَادُ وَالْمَهَالِبَةُ لِلْأَمْوِيِّينَ هُمُ الْمَرَازِبَةُ
تَطَوَّقُوا الْمَجْدَ وَطَوَّقُوا الْمِنْنَ

قوله حي غسان: مبتدأ، خبره من مازن. والسني: صفة لحي غسان، ومعناه: الرفيع القدر. والأكراد: مبتدأ مؤخر، خبره هكذا قبله. والأكراد (جمع كرد بضم الكاف): نسبة إلى جدهم كرد بن مزيقيا. والمهالبة: (بفتح الميم وكسر اللام وفتح الموحدة): عطف على الأكراد، نسبة إلى جدهم المهلب (بوزن معظم - بصيغة اسم المفعول) ابن أبي صفرة الأزدي، وهم: ضمير عائد على المهالبة، وهو مبتدأ،

(1) وما زال اللثام شعاراً لمعظم بني جلدتهم (الموريتانيين) إلى اليوم.

* تفرعت من مازن هذا بطون عديدة وأفخاذ كثيرة منهم: غسان (الذين منهم الأنصار)، وملوك آل جفنة المشهورون، ومنهم أيضاً بنو أسلم وبنو مالك ابني أفضى والمهالبة والأكراد وخزاعة - على قول - وهؤلاء ذكرهم الناظم، إما تصريحاً وإما تلويحاً، وذكر من أعيانهم - من سوى الأنصار - ستة عشر رجلاً وامرأتين، من بينهم عشرة رجال صحابة وملك وثلاثة كهان مشهورون.

والمرازية (بفتح الميم): خبره. وللأمويين: متعلق بالمرازية: وهو جمع مرزبان (بفتح الميم وضم الزاي): يقال للذي دون الملك في الرتبة، وللفارس الشجاع المقدم على القوم؛ وهي لفظة فارسية معربة. وقوله تطوقوا المجد: أي اتخذوه طوقاً، أي قلادة؛ أي تزينوا به. [وفي بعض النسخ: تطوقوا الحمد، أي الثناء؛ لمدح الشعراء لهم]. وقوله وطوقوا المنن: أي ألبسوها الناس بجودهم وكرمهم. والمنن: النعم.

يعني أن من بني مازن بن الأزد، ثم من بني ماء السماء منهم خاصة، حي غسان ومنهم - أيضاً - الأكراد؛ وهم بنو كرد بن مزيقيا، والمهالبة؛ وهم بنو المهلب بن أبي صفرة وزراء بني أمية المشهورون بالسيادة والشجاعة والكرم المدحون.

أما مازن بن الأزد فقد تفرعت منه غسان والأنصار وخزاعة، وقد تقدم سبب تسمية غسان وأنه اسم لعدة بطون؛ منهم بنو جفنة، والحارث (وهو المحرق) وثعلبة (وهو العنقاء) وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف، بنو عمرو (وهو مزيقيا) ابن عامر (وهو ماء السماء). ويقال لعامر هذا - أيضاً - المنذر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وتقدم - أيضاً - نسب الأزد. ولقب جدهم - عامر بن حارثة - بماء السماء لجوده؛ قيل لأنه كان إذا أجذب قومه مأنهم⁽¹⁾، فكان لهم خلفاً من المطر وقيل لقب به لجماله، فقيل لولده بنو ماء السماء، كما قيل لبني ماوية بنت عوف بن النمر بن قاسط بنو ماء السماء لجمالها - كما مر. ووصف الناظم حي غسان بالرفعة لأن منهم أنصار رسول الله ﷺ وكفى بها رفعة، ولأن منهم - أيضاً - بني جفنة الملوك المشهورين الآتي ذكرهم إن شاء الله.

وأما الأكراد فهم بنو كرد بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ

(1) مأنهم: أي احتمال مؤنتهم، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب.

القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي، كانوا قد انفردوا في القديم في الجبال واليراري، وجاوروا أمم العجم فتعجموا لغة وطبعا، وتناسلوا بأرض العجم وكثروا؛ فعرفوا بالأكراد نسبة إلى جدتهم كرد بن مزيقيا المذكور. وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

[قاله ابن عبد البر في كتابه القصد الأمم في أنساب العرب والعجم⁽¹⁾، وذكره أيضا صاحب الحلة السيرة، وعلى ذلك درج الناظم]. وقيل إن الأكراد من ربيعة بن نزار، وقيل هم بنو كرد بن صعصعة من هوازن. والله أعلم.

وأما المهالبة فهم بنو المهلب بن أبي صفرة⁽²⁾ بن غالب بن سراق بن صبيح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن مزيقيا بن ماء السماء الأزدي. وقد أسلم أبو صفرة هذا ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرة من ولده، فيهم المهلب - وهو أصغرهم - فقال له عمر: هذا سيد ولدك.

المهلب بن أبي صفرة

والمهلب هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بن غالب بن سراق الأزدي ثم العتيكي؛ ولد في "دبا" ونشأ بالبصرة، وكان تابعيا ثقة في الحديث، وكان أميرا مشهورا بالشجاعة والكرم، نشأ في دولة معاوية بن أبي سفيان، ثم ولاه مصعب بن الزبير على البصرة - نيابة عنه - في أيام أخيه عبد الله بن الزبير؛ وقد قال فيه عبد الله إنه سيد أهل العراق. وكان المهلب هذا قد قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته

(1) راجع كتاب وفيات الأعيان.. تاريخ ابن خلكان.

(2) اسم أبي صفرة هذا: ظالم بن غالب، وكني بينت له اسمها صفرة.

بالحجاز والعراق فخلا به عبد الله يشاوره، فدخل عليهما عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، فقال لابن الزبير: من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أما تعرفه؟! قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة؟ قال: نعم؛ فقال المهلب: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد قریش، قال: فهو عبد الله بن صفوان؟ قال: نعم!.

ولما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة جعل المهلب بن أبي صفرة هذا على قيادة الجيش في قتال الخوارج، فكانت له في حروبهم أيام مشهورة ووقائع مذكورة، وحى البصرة منهم حتى سميت بصره المهلب لذلك. وكانوا يرمونه بالكذب، بل سموه الكذاب، وكان سبب ذلك أنه كان يخادعهم في الحرب بالمعاريض والحيل⁽¹⁾؛ وفي الخبر: «الحرب خدعة»⁽²⁾، ثم ولاه - أيضا - خراسان فقدمها سنة تسع وسبعين؛ وفقت عينه بسمرقند⁽³⁾. وكان قائدا مشهورا وسيدا مذكورا. يقال: "ساد الأحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته العشيرة وقتيبة بدعائه والمهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخلال"؛ وكان يقول لبنيه: أحسن ثيابكم ما كان على غيركم. وقد أشار إلى ذلك أبو تمام فيما كتبه إلى من يطلب منه كسوة بقوله:

(1) المعاريض: (جمع معارض): وهو التورية بالشئ عن شئ آخر، وفي الحديث: "إن في المعاريض لمدوحة عن الكذب" أي في الكلام المورى به، أو المعنى، والحيل: (جمع حيلة): وهي الخدق، وجودة النظر.

(2) أخرجه مسلم وأحمد.

(3) كان في جيش سعيد بن عثمان بن عفان في خلافة معاوية حين فتح سمرقند، ولما أصيبت عين المهلب قال:

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي
إذا جاء أمر الله أحيا حيولنا ولا بد أن تعمي العيون لدى الرمس

أطلب أنت العلم إن وصية بها كان أوصى في الثياب المهلب

ومما يحكى عنه أنه كانت له جارية فتغنى بها فتى يوما، فقال المهلب:

لعمرك إني للمحبين راحم وإني بسر العاشقين حقيق

سأجمع منكم شمل جمع مفرق وإني بما قد قلت له خليق

ولم يزل المهلب على خراسان إلى أن مات سنة ثلاث وثمانين ، ودفن
بمرو الروذ⁽¹⁾ بخراسان. وفي ذلك يقول نهار بن توسعة:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والحزم بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ وهي ضريحه وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده يزيد بن المهلب وأوصاه بوصايا منها: يا بني
استعقل الحاجب واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه.
وحت بنيه على الاجتماع وحذرهم من الفرقة، ودعا بسهام فحزمت ثم قال:
أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها مفرقة؟ قالوا: نعم،
قال: هكذا الجماعة⁽²⁾. وخلف المهلب أولادا كرماء نجباء أجوادا أجمادا، وله عقب
كثير بخراسان عرفوا بالمهالبة، نسبة إلى جدهم المهلب هذا. وقد روي أنه كان له
من الولد ثلاثمائة، وأعقب منهم تسعة عشر ولدا. وكان المهلب وبنوه أهل شجاعة
وبسالة وكانوا أيضا أهل جود وسخاء، وقد قالوا إنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم
من بني المهلب، كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة، واشتهروا

(1) توفي بقرية "راغول" من أعمال مرو الروذ الخراسانية. [ابن خلكان].

(2) ومما ينسب إليه في هذا المعنى:

كونوا جميعا يا بني إذا اعزى خطب ولا تفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا فإذا افترقن تكسرت أفرادا

بالسيادة والمجد. وقد روي أن الحجاج سأل مالكا بن بشير عن ولد المهلب، فقال: هم رعاة البيات حتى يؤمنوه، وحماة السرح حتى يردوه. فقال: وأيهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم، فقال: لتقولن، قال: هم حلقة مفرغة لا يعلم طرفاها⁽¹⁾.

وقد تنافس الشعراء في مدحهم وأكثروا منه إجمالا وتفصيلا؛ ومما قيل فيهم:

آل المهلب قوم إن نسبتهم كانوا المكارم آباء وأجدادا
 كم حاسد لهم يعيا بفضلهم وما دنا من مساعيهم وما كادا
 إن العرانيين تلقاها محسدة ولا ترى للنام الناس حسادا
 لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم بما ابتغيت من الدنيا لما حادا
 إن المكارم أرواح تكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا
 ومنه أيضا قول الأخفش الطائي:

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان في زمن الخل
 فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي⁽²⁾

وقال آخر:

فلأمدحن بني المهلب مدحة غراء ظاهرة على الأشعار
 مثل النجوم أمامها قمرها يجلو العمى ويضيء ليل الساري

(1) البيات: المهجوم على الأعداء ليلا، والسرح: الماشية (من التسمية بالمصدر) ولا يسمى سرحا إلا ما يغدى به ويراح، والحلقة: كل شيء استدار (جمعه حلق وحلقات) والمفرغة: المتصلة لا قطع فيها المصمتة الجوانب فارغ جوفها. وكان مالك بن بشير هذا قد أوفده المهلب إلى الحجاج حين هزم قطري بن الفجاءة، فلما دخل عليه قال له: ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير، قال: ملك وبشارة، ثم قال: كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أمل وأمن ما خاف، فقال: كيف هو بجنده؟ قال: والد رؤوف، قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل، قال: أبحرني عن ولد المهلب، فقال: هم رعاة البيات.. إلخ.

(2) افتقد الشيء: طلبه عند غيبته، قال أبو فراس:

... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

ورثوا الطعان عن المهلب والقري وخلائقنا كتدفق الأنهار

يزيد بن المهلب ونماذج من كرمه

ولما مات المهلب بن أبي صفرة خلفه ابنه يزيد على خراسان بعهد منه - كما مر - فمكث نحوًا من ست سنين فعزله عبد الملك بن مروان برأي من الحجاج الثقفي وولى مكانه - في خراسان - قتيبة بن مسلم الباهلي؛ فدخل عليه نهار بن توسعة وهو يعطي الناس العطاء، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا نهار بن توسعة، فقال قتيبة: أنت القائل في المهلب ما قلت؟ قال: نعم.. وأنا القائل - أيضا:

فما كان مذكنا وما كان قبلنا ولا كائن من بعد مثل ابن مسلم
أعم لأهل الشرك قتلا بسيفه وأقسم فينا مغنما بعد مغنم

فقال: إن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر وإن شئت فأحمد وإن شئت فذم.. لا تصيب معي خيرا أبدا، اقرض يا غلام اسمه من الدفتر!. فلزم نهار بيته حتى مات قتيبة بن مسلم، فجاء نهار بن توسعة إلى يزيد بن المهلب فقال:

لئن كان ذنبي يا قتيبة أني مدحت امرأ قد كان في المجد واحدا
أبا كل مظلوم ومن لا أبا له وغيث مغيثات أظن التلدا⁽¹⁾
فشأنك إن الله أحسن محسن إلى إذ ابقي لي يزيدا ومزيدا

فقال له يزيد: احتكم، قال: مائة ألف درهم، فأعطاه إياها. وكان يزيد بن المهلب أميرا من القادة الشجعان الأجواد، وكان الحجاج يخشى بأسه ويكرهه لما يرى فيه من النجابة ويخاف أن يجعل مكانه، فكان يقصده بالمكروه كي لا يثب عليه؛ ثم قبض عليه مرة وجعل يعذبه، فسأله يزيد أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل

(1) مغيثات (جمع مغيثة): الأرض التي نزل بها الغيث. والتلدد: الالتفات يمينا وشمالا تحميرا. والتلبث والتبلد.

يوم مائة ألف درهم، فجمع يزيد يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه؛
فدخل عليه الأخطل الشاعر، فقال:

أبا خالد بادت خراسان بعدكم وصاح ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة ولا أخضر بالروين⁽¹⁾ بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

فأعطاه المائة ألف، فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال: يا مروزي أفنيك هذا الكرم
وأنت بهذه الحالة؟! قد وهبت لك عذاب هذا اليوم وما بعده.
ومما يروى من جوده أنه طلب يوما حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم،
فتحير ودهش، وقال: بهذه الألف أمضي إلى أمي فلانة فأشترىها، فقال: أعطوه ألفا
أخرى، فقال: امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك! فقال: أعطوه ألفين. ومما
مدح به قول الشاعر:

إني رأيت يزيد عند شبابه لبس التقى ومهابة الجبار
ملك عليه مهابة الملك التقى قمر النهار به وشمس نهار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار
ما زال مذ عقدت يده إزاره فسمأ فأدرك خمسة الأشبار
يدني كتائب من كتائب تلتقي بالطعن يوم تجاول وغوار

وذكر أنه هرب من الحجاج قاصدا الشام، وأقام به حتى أفضت الخلافة إلى
سليمان بن عبد الملك فولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها وفتح فتوحات عديدة،
ثم ولي البصرة حتى أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه بحلب

(1) المروان: تثنية مرو إحداهما: مرو الشاهجان وهي العظمى والأخرى: مرو الروذ وهي الصغرى،
وهما مدينتان مشهورتان بخراسان - [ابن خلكان]. والنسبة إلى مرو "مروزي" على غير قياس.

بسبب بعض أفعاله وتجاوزاته وأخذه أموال المسلمين، ومنع الناس من الدخول عليه؛ ثم أتاه سعيد بن عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إن لي على يزيد بن المهلب خمسين ألف درهم، وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؛ فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد - وكان سعيد مؤاخيا ليزيد - فقال له يزيد: كيف وصلت إلي؟ فأخبره سعيد، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

فلم أر محبوبا من الناس ماجدا حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازته بخمسين ألفا عجلت لسعيد

وقدم عليه قوم من قضاة فقال أحدهم:

والله ما نـدري إذا ما فاتنا طلب إليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التي عـودتنا أولا، فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار. فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشد:

ما لي أرى أبوابهم مهجورة وكان بابك مجمع الأسواق
خافوك أم هابوك أم شاموا الندى بيديك فانتجعوا من الآفاق؟⁽¹⁾
إني رأيتك للمكارم عاشقا والمكـرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم. ولما مات عمر خرج يزيد من السجن وسار إلى البصرة وغلب عليها، فعند ذلك جهز يزيد بن عبد الملك جيشا لقتال يزيد بن المهلب،

(1) شام البرق: نظر إليه أين يتوجه، وأين يحطر، وشام تخايل الشيء: أي تطلع نحوه بصره منتظرا له، والندى: المطر والحدود والفضل والخير، وانتجع فلانا: أتاه طالبا معروفا (من "انتجع الكلاء" ذهب لطلبه في مواضعه)، والآفاق: النواحي (جمع أفق).

وجعل عليه أخاه مسلمة بن عبد الملك؛ فخرج يزيد بن المهلب للقاءه، واستخلف على البصرة ابنة معاوية بن يزيد وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العفر⁽¹⁾ حول الكوفة، فالتقى الجيشان واقتتلوا قتالا شديدا ومكثوا أياما، فقتل يزيد ومن معه. فعند ذلك اجتمع آل المهلب بالبصرة - وكانوا يتخوفون ذلك - وأمروا عليهم المفضل بن المهلب - وكان أكبرهم سنا - فأعدوا السفن البحرية، وتجهزوا بكل الجهاز وخرجوا إلى كرمان. فبعث مسلمة بن عبد الملك في طلب فلولهم، فأدر كوههم في عقبة بفارس؛ فاشتد قتالهم فقتلوا عن آخرهم إلا أبا عتبة وعثمان بن المفضل فإنهما نجوا ولحقا بخاقان.

ومن سراة⁽²⁾ أولاد المهلب: أبو فراس المغيرة بن المهلب، كان مشهورا بالشجاعة والكرم، وكان أبوه المهلب يقدمه في قتال الخوارج؛ وله معهم وقائع مشهورة أبلى فيها بلاء حسنا. ومات بمرو - في حياة أبيه - سنة اثنتين وثمانين، ورثاه زياد الأعجم العقبسي بقصيدة من غرر القصائد، منها:

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا	والباكرين وللمجد الرائح
إن السماحة والمروءة ضمنا	قبرا بمرو على الطريق الواضح
رجفت لمصرعه البلاد فأصبحت	منا القلوب لذاك غير صحائح
فإذا يناح على امرئ فلتعلمن	أن المغيرة فوق نوح النائح
تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا	والباقيات برنة ونصائح

(1) العفر: موضع قريب من كربلاء التي قتل بها الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولما مات يزيد بن المهلب قال الناس "ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العفر". [ابن خلكان].

(2) سراة القوم: أشرفهم وخيارهم، جمع سري (كغني) وهو السيد الكريم والسخي ذو المروءة، ويجمع سراة بسروات.

كان المهلب بالمغيرة كالذي ألقى البلاء إلى قلب المائح⁽¹⁾

ملك أغر متوج يسمو له طرف الصديق بغض طرف الكاشح⁽²⁾

رفّاع ألوية الحروب إلى العدا بسعود طير سوانح وبوارح⁽³⁾

ومن آل المهلب - أيضا - مخلد بن يزيد بن المهلب أحد الأجواد المدحيين.

وفيه يقول حمزة بن بيض الحنفي - وكان قدم عليه في جماعة من أهل الكوفة:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل: مرحبا يجب المرحب⁽⁴⁾

ولا تكلنا إلى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدب فيهم قد نشأت فينعم - لعمرك - ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سنينك ما بلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقلت: ألا سائل؟ فيسأل أو راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين ومن ببابك أن يطلبوا

(1) القليب: البحر، والمائح: من يستقي الماء مغترقا باليد، جمعه: ماحة.

(2) الأغر: الكريم الأفعال والسيد الشريف (جمعه: غرٌّ وغرَّان)، والمتوج: الذي يلبس التاج، وهو الإكليل، شبه عصابة تزين بالجواهر توضع على رأس الملك. والكاشح: العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه.

(3) الألوية: (جمع لواء) العلم، وهو دون الراية، قيل سمي اللواء لواء لأنه يلوي لكبره فلا ينشر إلا عند الحاجة. وسعود: جمع سعد وهو اليمن ونقيض النحس. والسوانح (جمع سانح) هو الذي يأتي من جانب اليمين، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب الشمال، وكانت العرب تيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح، ومنه المثل: "من لي بالسانح بعد البارح" أي من يتسبب لي بالبارك الميمون بعد المشؤوم، يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه، ويضرب - أيضا - في اليأس من تحسن الأحوال. [فرائد الأدب ومنجد اللغة].

(4) المرحب: السعة، ويقال في الترحيب "مرحبا بك" أي أنزل في الرحب والسعة، وأقم فقد صادفت سعة ورحبا، و"أهلا ومرحبا" أي أتيت أهلا وصادفت سعة فاستأنس ولا تستوحش.

فقضى له حاجته، وأمر له بمائة ألف درهم. وقدم عليه رجل فقضى له حاجته، فعاد إليه - أيضا - فقال له: ألم تك أتيتنا فأجزناك؟ قال: بلى، قال: فما ذا ردك؟ قال: قول الكميت:

سألناه الجـزـيل فما تلـكا وأعطى فـوق منيتنا وزادا
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما أعود إليه إلا تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فأضعف له ما كان أعطاه. ولما مات رثاه بقوله:

وعطلت الأسـرة⁽¹⁾ منك إلا سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهدنا بك يوم يمـثى عليك بدابق سهل الزاب

ورثاه الفرزدق بقوله:

وما حملت أيديهم من جنازة ولا ألبست أثوابها مثل مـخلد
أبوك الذي تُستهزَمُ الخيل باسمه وإن كان فيها قيد شهر مُطرِد
وقد علموا إن شد حقويه أنه هو الليث ليث الغاب لا بالمـرد⁽²⁾

وإلى هذا أشار الناظم بقوله تطوقوا الحمد.. إلخ. ثم قال رحمه الله:

...
وَجَدَهُمْ عِمْرَانُ كَاهِنُ الْيَمَنِ
أَخْبَرَ أَهْلَهُ بِرَحْمَتَيْنِ سَتَاتِيَّانِ وَبِسَخَطَيْنِ

(1) عطل الشيء: ترك، يقال: "عطلت الرعية": أي تركت بلا وال يسوسها، وعطلت الثغور: تركت بلا حامية تحميها، والأسرة (جمع سرير) وهو عرش الملك، ويقال: "زال عن سريرته" أي ذهب عزه ونعمته.

(2) الليث: الأسد، والغاب: جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر الكثير المتكاثف (لأنها تغيب ما فيها)، والمرد: الهارب الفار؛ يقال: "عرد عن قرنه" أي نكل وأحجم.

خَيْرِ الْوَرَى وَمَنْ بِذِي السُّوقَتَيْنِ شَرَّدَ وَالسَّيْلِ مُجِيحِ الْجَنَّتَيْنِ
 وَقَهْرِ آسَادِ الْأَحَابِيشِ الْيَمَنِ وَاسْتَنْصَرُوا بِسَيْفِ ابْنِ ذِي يَزَنَ

جدهم: مبتدأ، والضمير فيه عائذ على المهالبة الأنفي الذكر، وعمران (بالرفع): خبره. وفاعل أخبر أهله: ضمير مستتر عائذ على عمران. وخير الورى (بالجر): بدل من قوله برحمتين. وقوله من بذي السوقتين.. إلخ: عطف على خير الورى. وشرد (بتشديد الراء) معناه في الأصل: طرد وفرق، والمراد به هنا الإهلاك. وقوله والسيل (بالجر): عطف على خير الورى - أيضا - ومجيج (بضم الميم وبالجر): صفة للسيل (من أجاهه: استأصله وأهلكه). والجننتين (تثنية جنة) وهي الحديقة ذات الشجر، سميت بذلك لسترها الأرض بظلالها، وجمعها جنانٌ وجناتٌ. وقوله وقهر (بالجر): عطف على السيل، أي غلبة. وآساد الأحابيش: أي أبطال الحبشة. واليمن: مفعول به لقهر، وهو على حذف مضاف أي أهل اليمن. والضمير في انتصروا عائذ على أهل اليمن. وسيف بن ذي يزن: أحد ملوك اليمن الحميريين.

يعني أن آل المهلب بن أبي صفرة يرجع نسبهم إلى كاهن اليمن المشهور عمران بن ماء السماء، أخي مزيقيا. وكان عمران بن ماء السماء هذا ملكا متوجا من التبابعة، وكانت دار مملكته مدينة مأرب، وبها مات؛ وكان كاهنا لم يكن في زمنه أعلم منه، وعاش عمرا طويلا وتنبأ بجمادات ستقع. يروى أنه عند موته قال لأخيه مزيقيا بن ماء السماء: إن بلادكم ستخرب، وإن لله في أهل اليمن سخطتين وهما تخريب البلاد بسد مأرب وغلبة الحبشة على أهل اليمن، ورحمتين وهما بعثة نبي اسمه محمد، ورجل يقال له شعيب بن صالح يهلك من خرب بيت الله ويخرجهم حتى لا يكون في الدنيا يمان إلا في أرض اليمن. [قاله في الحلة السيرة، وقد عقد الناظم نص كلامه].

والمراد بذي السُّوقَتَيْنِ: الحبشي الذي يخرب الكعبة في آخر الزمان؛ ففي

الحديث: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»⁽¹⁾، وفيه «لا يستخرج كثر الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة»⁽²⁾ كأني به أسود أفجج يقلعها حجرا حجرا». والمراد بالذي يشرد به ويقتله شعيب بن صالح التميمي قائد جيش المهدي. وأشار بقوله: والسيل مجيح الجنتين.. إلى قوله تعالى ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۖ ﴾⁽³⁾. وقد مر ذكر ذلك.

انهيار ملك حمير في اليمن

وقد ملك اليمن بعد عمران هذا أخوه مزيقيا بن ماء السماء، وكان مزيقيا من التبابعة، قيل كان أعظم ملك بمأرب؛ وكان له تحت السد من الحدائق ما لا يحاط به، وكانت له ولآبائه من قبله بادية كهلان باليمن تشاركهم حمير. ثم استقلوا بالملك بعد حمير. وقد بدأ الضعف يدب في الدولة أيامه، فتغلب بدو كهلان على أرض سبأ وعاثوا وأفسدوا، فذهب الذين كانوا يقومون بصيانة السد بمأرب، وأهمل أمره فخرّب. وبدأت هجرة الأزد من تلك الديار، ورحل مزيقيا بجموع منهم فزلوا بماء غسان، ثم انتقلوا إلى وادي عك، وبه مات مزيقيا؛ وتفرقت الأزد — كما مر.

وأما سيف بن ذي يزن فاسمه معد يكرّب، وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ.

(1) أخرجه مسلم. والسويقتين: تصغير ساق الإنسان، قال القاضي: صغرهما لرفقتهما وهي صفة سوق السودان غالبا.

(2) أخرجه أبو داود.

(3) سبأ: 16.

وحاصل ما أشار إليه الناظم - رحمه الله - من غلبة الحبشة على اليمن وانتصار سيف بن ذي يزن الحميري اليمني على الحبشة - حسبما ذكره أهل السير - أنه لما مات أسعد بن كرب بن زيد الحميري ملك اليمن ولي الملك بعده ابنه حسان بن أسعد، فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم، حتى إذا كانوا بأرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فكلّموا أخاه عمرا بن أسعد - وكان معه في جيشه - وقالوا له: اقتل أخاك حسانا ومملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم لذلك واجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَيْنِ الحميري فنهاه عن ذلك فلم يلتفت إليه، فقال ذو رعين:

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من بيت قريب رعين
فإما حمير غدرت وخانت فمعدرة الإله لذي رعين

ثم كتب الأبيات في رقعة وأودعها عند عمرو. وقتل عمرو أخاه حسانا فولي ملك حمير بعده ورجع بمن معه إلى اليمن، فنزل بغمدان من اليمن وأقام به. فمُنِعَ النومَ وسُلِطَ عليه السهرُ، فلما أجهده ذلك سأل الأطباء والعرفاء عما به؟ فقالوا له: إنه ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه وسُلِطَ عليه السهرُ، فأخذ يقتل كل من أشار إليه بقتل أخيه حسان حتى خلاص إلى ذي رعين يريد قتله، فقال له ذو رعين: إن لي عندك براءة! فأخرج الكتاب فإذا فيه البيتان: *ألا من يشتري سهرا بنوم .. إلخ*، فتركه ورأى أنه نصحه. ثم هلك عمرو بن أسعد فحل محله أخوه ذو نواس بن أسعد، فأكثر فيهم التقتيل، ومرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا. وانفلت رجل من سبأ اسمه دوس وهرب إلى قيصر ملك الروم، فاستنصره وأخبره بما كان من ذي نواس، فقال: إن بلادك بعيدة من بلادي ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة لأنه على دينك وأقرب إلى بلادك؛ فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر،

فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمّر عليهم رجلاً منهم يقال له أرباط ومعه في جنده الأشرم (وهو ابرهة صاحب القليس)؛ فركبوا البحر حتى نزلوا بساحة اليمن، فخرج إليهم ذونواس في أصحابه فاقتتلوا حتى انهزم ذو نواس، فدخل البحر وغرق وتفرق أصحابه. فدخل أرباط اليمن وتملك به، ولم يزل عليه حتى نازعه ابرهة الأشرم فحلاً محله.

سيطرة الأحباش على اليمن وهمهم بهدم الكعبة

ولما ملك ابرهة اليمن - وكان نصرانياً - بنى القليس بصنعاء (وهي كنيسة⁽¹⁾) لم ير مثلها في زمانها في الأرض) ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُن مثلها ملك قبلك، ولست بممتته حتى أصرف إليها حج العرب. فتحدثت العرب بكتاب ابرهة للنجاشي وغضبت لذلك؛ ثم خرج رجلٌ من بني فقيم بن عدي حتى أتى تلك الكنيسة فتغوط فيها وخرج حتى لحق بأرضه، فأخبر بذلك ابرهة فقال: من صنع هذا؟ فقبل صنعه رجلٌ من أهل البيت الذي تحج إليه العرب بمكة لما سمع قولك: أصرف إليها حج العرب، يرى أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه؛ وبعث إلى بني كنانة (قبيلة الرجل الذي تغوط في الكنيسة) يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة، فقتلوا رسوله؛ فزاد ذلك ابرهة غضباً وحنقاً. ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم خرج بمجموعه وفيلته وسار يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. فسمعت العرب بذلك

(1) خربت هذه الكنيسة زمن السفاح العباسي، وكان قد أمر عامله على اليمن فأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير الذهب، ففعا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها.

فأعظموه وأفظعوه⁽¹⁾ ورأوا جهاده حقاً عليهم، وتعرضت له منهم عدة قبائل وقاتلوه، فهزمهم ومضى على وجهه يريد ما خرج له حتى نزل بالمغمس⁽²⁾، فبعث خيلاً من الحبشة حتى انتهت إلى مكة؛ فسأقت إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصابته فيما أخذت مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم - وهو يومئذ كبير قريش وسيدها - وقد عرفت قريش أنه لا طاقة لها بقتال ابرهة، فأعرضت عنه.

ثم بعث ابرهة رسولا إلى مكة يسأل عن سيدها ويأتيه به؛ فلما دخل مكة سأل فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فانطلق معه عبد المطلب إلى ابرهة حتى دخل عليه - وكان عبد المطلب أوسم الناس⁽³⁾ وأجملهم وأعظمهم - فلما رآه ابرهة أجله وأعظمه عن أن يجلس تحته وكره أن يجلسه على سريره، فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه وقال له: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا لي مجرب فلا حاجة لي بدمائكم. فقال له عبد المطلب: إنا لا نريد حربك، وهذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منك فهو حرمه وبيته وإن يخل بينك وبينه فلن ندفعك عنه. ثم قال ابرهة لعبد المطلب: ألك حاجة؟ قال: نعم.. أن ترد عليّ مائتي بعير أصبتها لي، فقال له ابرهة: لقد كنت أعجبني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟! فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل "وإن للبيت رباً سيمنعه"، قال: ما كان ليمنع مني،

(1) أفضعوه، واستفظعوه: وجدوه فظليماً أي شديد الشناعة مجاوزا الحد في ذلك.

(2) المغمس (بوزن معظم ومحدث): موضع بطريق الطائف، فيه قبر أبي رغال (دليل ابرهة) ويرجم. [القاموس].

(3) الروسامة: أثر الحسن، ووسم (ككرم) وسامة ووساماً (بفتحهما) فهو وسيم، جمعه: وسماء. [القاموس].

قال: أنت وذاك؛ فرد عليه الإبل.

وانصرف عبد المطلب إلى قريش، وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في الجبال والشعاب، تَخَوُّفاً عليهم معرفة الجيش⁽¹⁾. ثم أخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده، ثم خرج وخرجت قريشٌ إلى شَعَفِ الجبال⁽²⁾ فتحرزوا فيها ينتظرون ما يقع إذا دخل ابرهة مكة.

فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيلَه وعبأ جيشه، وهو مُجمِعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فأرسل الله تعالى عليهم طيرا مجتمعة (أو متتابعة بعضها في أثر بعض) فرمتهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول.

سيف بن ذي يزن وانتصاره بالفرس على الأحباش

ولما هلك ابرهة تتابع على ملك اليمن ابنه يكسوم ومسروق، فأكثر القتل في أهل اليمن وفي حمير، فعند ذلك نهض سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح الحميري، وكان من زعماء العرب اليمانيين ودُعاتهم - وقد ولد ونشأ بصنعاء - فسار إلى أنطاكية، وفيها قيصرُ ملك الروم، فشكا إليه ما أصاب اليمن فلم يلتفت إليه؛ فقصد النعمان بن المنذر عامل كسرى (أنوشروان) ملك الفرس على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادةً في كل عام فأقم حتى يكون ذلك، ففعل حتى خرج معه إليه فحدثه بأمره، وشكا إليه أمر الحبيشة في اليمن، وقال له: جئتك أيها الملك لتتنصرنني ويكون لك ملك بلادي، قال: إن

(1) معرفة الجيش: شدته.

(2) شعف (بالتحريك): جمع شعفة (محرقة): رأس الجبل.

بلادك مني بعيدة مع قلة خيرها، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب..
لا حاجة لي بذلك.

ولم يزل سيفُ بنُ ذي يزن يعمل الحيلَ في أن ينصره كسرى حتى جمع كسرى
مرازبته وقال لهم: ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء به؟ فقال بعضهم: أيها الملك
إن في سجنك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك
الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكاً ازددته؛ فبعث معه كسرى من كانوا في
سجنه - وكانوا نحو ثمانمائة رجل - وأمر عليهم رجلا من أشرف العجم، فسار بهم
إلى الأبله - غرب البصرة - وركبوا البحر وخرجوا بساحل عدن، فأقبل إليهم أنصار
سيف من رجال اليمن ومن انضاف إليهم من قبائل العرب.

فلما سمع بهم ملك اليمن الحبشي مسروق بن أبرهة الأشرم جمع جنده وخرج
إليهم، وتواقفوا على مصافهم، وكان مسروق على فيل له عظيم على رأسه تاجُ
الملك وبين عينيه ياقوتة حمراء. فحملت عليهم الفرس فاقتتلوا قتالا شديدا، وقتل
مسروق، وانهزم جيشه في كل وجه. ودخل سيف بن ذي يزن هو وعاملُ كسرى
صنعاء ناصبين رايهم. وطرودوا الحبشة من اليمن، وكتبوا بذلك إلى كسرى؛
فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها سيفُ بن
ذي يزن، وعاد الفرس إلى بلادهم.

واتخذ الملك سيف "غمدان" قصرا له بصنعاء، وقدمت عليه وفود العرب
وأمرؤها تهنته بالانتصار على الحبشة. ومن قدم عليه يهنئه وفد من وجوه قريش فيه
عبد المطلب بن هاشم وأميه بن عبد شمس بن عبد مناف وعبد الله بن جدعان
وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار، وكان عبد المطلب
رئيسهم ومتكلمهم. وفي ذلك يقول أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (وتروى لابنه
أمية بن أبي الصلت):

ليطلب الوترَ أمثالُ بنِ ذي يزنِ رِيَمَ في البحرِ للأعداءِ أحوالا⁽¹⁾
يَمَمَ قيصر لما حان رحلته فلم يجد عنده بعض الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشره من السنين يُهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم إنك عمري لقد أسرعت قلقالا⁽²⁾
لله درهم من عصبه خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
بيضا مرازبة غُلْبًا أساوره أسدًا تُرَبُّبُ في الغيصات أشبالا⁽³⁾
يرمون عن شُدْفٍ كأنها غُبُطٌ بزخْرٍ يُعجّل المرمي إعجالا⁽⁴⁾
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحي شريدهم في الأرض فُلاّلا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا⁽⁵⁾
واشرب هنيئا فقد شالت نعماتهم⁽⁶⁾ وأسبل اليوم في برديك إسبالا

(1) ريم في البحر: أقام، يريد أنه غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء.

(2) يريد ببني الأحرار: الفرس، والقلقال (بالكسر والفتح): شدة الحركة.

(3) الغلب: (جمع أغلب): وهو الشديد، والأساور: رماة الفرس، وتربب: من التربية، والغيصات:

(جمع غيضة): للشجر الملتف، والأشبال: جمع شبل (بالكسر): ولُدَّ الأسد إذا أدرك الصيد.

(4) يريد بالشدف: عظام القسي، والغبط (جمع غبيط) وهي عيدان الهودج، والزخْر: القصب اليابس،

يريد به قصب النشاب.

(5) غمدان (بضم فسكون): قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه: وجه أبيض ووجه أحمر

ووجه أصفر ووجه أخضر، وبنى في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقوفين منها أربعون

ذراعا، وجعل في أعلاه منزلا ملاء بالرخام الملون، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل

ركن من أركانه تمثال أسد كأعظم ما يكون من الأسد، فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال

من تلك التماثيل دخلت في دبره وخرجت من فيه فسمع له زئير كزئير السباع. وقيل إن الذي

بناه هو سليمان بن داود عليهما السلام، وللشعراء فيه كثير من الشعر. وروي أنه هدم في عهد

عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(6) شالت نعماتهم: هلكوا، والنعام: باطن القدم، وشالت: ارتفعت ومن هلك ارتفعت رجلاه

وانتكس رأسه فظهرت نعمة قدمه.

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعدد أبوالا

ثم ودعهم وأحسن جوائزهم، وبشر عبدَ المطلب بمبعث النبي ﷺ.

ومكث سيفُ بن ذي يزنٍ في الملك بضعا وعشرين سنة. وكان قد استبقى جماعةً من الحبشة أشفق عليهم وجعلهم خدماً له، ثم تأمروا عليه مع بقايا الأحباش باليمن فقتلوه. وكان سيف هذا هو آخر من ملك اليمن من قحطان.

وقد روي أن الحبشة ملكوا اليمن لمدة اثنتين وسبعين سنة، تعاقبَ عليها أربعة ملوك هم: ارباط وأبرهة الأشرم، وابناه: يكسوم ومسروق.

وروي - أيضا - أن بعض جيش الفرس بقي باليمن ولم تنزل أحفادهُ به، وهم الأبناء الذين اشتهروا باليمن، وأن كسرى أمر على اليمن وهرز الفارسي، ولم يزل عليه حتى مات، فأمر ابنه المرزبان بن وهرز الفارسي ثم ابنه التيجان بن المرزبان ثم ابن التيجان مكانه، ثم عزله وأمر على اليمن باذان؛ فلم يزل عليه حتى جاء الإسلام وأسلم باذان سنة عشر، وبعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ. وكان من الأبناء هؤلاء: فيروز ودادويه اللذان قتلا العنسي الكذاب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَهَكَذَا أَسْلَمُ رَهْطُ الْأَكْوَعِ وَابْنِ أَبِي حَادِرٍ الْمُرْتَفِعِ
تَبْيَانُ خَيْرِ لَيْلَةٍ أَنْ لَأَحَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَخَيْرًا جَاحَا
أَوْسُ الَّذِي بِأَمْرِ خَيْرِ قَبْسٍ وَسَمَّ سَرَحَهُ بِقَيْدِ الْفَرَسِ
وَوَهَّابِ النَّبِيِّ وَالصَّدِّيقَا قَرِيعَهُ وَنَكَبَ الطَّرِيقَا
بِهِمْ غُلَامُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَزَانَ مَازِنًا حَلَى ذِي الزَّيْنَةِ

وَإِخْوَةُ السَّبْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَدْ بَايَعُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَيْرَةَ

قوله أسلم (بفتح اللام)⁽¹⁾: مبتدأ، خبره: هكذا قبله. ورهط (بالرفع): صفة لأسلم. وابن أبي حدرد (بالجر): عطف على الأكوع، والمراد به عبد الله بن أبي حدرد. والمرتفع: صفة لابن أبي حدرد. وتبيان (بكسر التاء) فاعل المرتفع، والمراد بخير ليلة: ليلة القدر. وأن (بفتح الهمزة): تعليلية، أي لأجل أن لاحي (وهو من الملاحاة وهي المخاصمة والمنازعة). وفاعل لاحي: ضمير مستتر عائد على ابن أبي حدرد. وكعب بن مالك (بالنصب) مفعول به للاحي. وقوله خيرا (بالنصب) مفعول به لجاح بعده. والألف في جاح ضمير عائد على ابن أبي حدرد وكعب. أي أزالا خيرا كثيرا بملاحاتهما التي كانت سببا في ارتفاع ليلة القدر.

يقول: ومن مازن بن الأزد - ثم من بني ماء السماء منهم - بنو أسلم بن أفصى رهط الأكوع وعبد الله بن أبي حدرد. وأسلم هذا ابن أفصى بن حارثة بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.

أما الأكوع فهو سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم؛ وقيل هو سنان بن عياذ بن ربيعة بن كعب بن أمية بن يقظة بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم الأسلمي والد الصحابي الجليل عامر بن الأكوع المستشهد يوم خيبر وجد سلمة بن عمرو بن الأكوع الذي كان ممن بايع تحت الشجرة؛ وهو الشجاع المشهور العداء الذي كان يسبق الخيل عدوا

(1) ليس في العرب أسلم (بضم اللام) إلا ثلاثة اثنان منهم في قضاة وهما: أسلم بن الحاف وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، والثالث في عك وهو أسلم بن القيانة بن غابن بن الشاهد بن عك، وما عدا هؤلاء فأسلم (بفتح اللام). ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف. [الروض الأنف].

على قدميه، وكان رامياً فاضلاً.

وأما ابن أبي حدرد فهو أبو محمد عبد الله بن أبي حدرد، واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساوب بن الحارث بن قيس بن هوازن بن أسلم الأسلمي. شهد الحديبية وخيبر وما بعدهما، وكان معدوداً من أهل البيت، وبعثه رسول الله ﷺ في السنة الثامنة - ومعه رجلان - إلى "الغابة"، لما بلغه أن رفاة بن قيس (أحد بني جشم بن معاوية) يجمع لحربه في بطن عظيم من بني جشم - وكان سيداً فيهم - فقال ﷺ لعبد الله بن أبي حدرد وصاحبيه «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تاتوا منه بخبر وعلم»⁽¹⁾ قال عبد الله: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى جئنا قريباً من القوم مع غروب الشمس، قال: فكمننت في ناحية وأمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى، وقلت لهما: إذا سمعتماني كبرت وشدت في ناحية العسكر فكبرا وشدوا معي. قال: وأقمنا كذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء⁽²⁾. وكان لهم راعي سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه وجعله في عنقه، وقال: لأتبعن أثر راعيها هذا ولقد أصابه شر، فقالوا له: دعنا نحن نذهب في طلبه ونكفك أنت أو نذهب معك إليه، قال: والله لا يذهب إليه أحدٌ إلا أنا ولا يتبعني أحد منكم. قال عبد الله: فخرج حتى مر بي، فلما أمكنتني نفحته بسهم⁽³⁾ فوضعتة في فؤاده، فوالله ما تكلم، ووثبت عليه فاحتزرت رأسه وشدت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباهي وكبرا؛ فوالله ما كان إلا النجا ممن فيه

(1) حديث: اخرجوا إلى هذا الرجل.. إلخ: ذكره ابن هشام: 4 / 306 ، وابن كثير في البداية والنهاية.

(2) الفحمة (يفتح فسكون): سواد الليل وقيل خاص بأول ظلام الليل.

(3) أي رميته به.

عندك عندك⁽¹⁾.. بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم؛ فاستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة، فجننا بها إلى رسول الله ﷺ، وحثت برأسه أحمله معي. قال عبد الله بن أبي حدرد: فأعاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداق امرأة تزوجتها من قومي على مائتي درهم، فحثت بها إلى أهلي.

ثم بعث رسول الله ﷺ أيضا عبد الله بن أبي حدرد هذا عينا إلى هوازن بجنين، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد اجمعوا عليه من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك بن عوف النَّصْرِيّ، رئيسهم؛ ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. وتوفي عبد الله بن أبي حدرد هذا سنة إحدى وسبعين عن إحدى وثمانين سنة.

وأشار الناظم بقوله: المرتفع تبيان خير ليلة.. إلى ما روي في الصحيح وغيره أن كعب بن مالك الأنصاري لقي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي - وكان له عليه دين فأراد أن يتقاضاه منه. فسارا حتى دخلا المسجد فجرت بينهما مخاصمة وملاحاة حتى ارتفعت أصواتهما في المسجد، وكان رسول الله ﷺ قد خرج ليخبر الناس بليلة القدر؛ فوجدهما يتلاحيان فحجز بينهما واشتغل بإصلاحهما، ثم قال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر⁽²⁾ فتلاحى فلان وفلان فرفعت⁽³⁾ وعسى أن يكون خيرا لكم»⁽⁴⁾. وفي النهر الجاري على صحيح البخاري قال: كان لكعب بن

(1) النجا: السرعة، وعندك عندك: كلمتان يقولهما الإنسان عند الإغراء.

(2) أي بتعيين ليلة القدر.

(3) أي من قلبي فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين.

(4) أخرجه البخاري، ووجه الخبرية من جهة أن خفاءها يستدعي قيام كل الشهر أو العشر بخلاف ما لو بقيت معروفة.

مالك الأنصاري على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي مال، قيل كان أوقيتين، فلقيه كعب فلزمه؛ فارتفعت أصواتهما في المسجد حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما فقال: «يا كعب ضع عنه من دينك الشطر» أي النصف، فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال ﷺ لابن أبي حدرد: «قم فاقضه الشطر الآخر»⁽¹⁾ ففعل.

وأما كعب بن مالك فهو الصحابي الجليل شاعر رسول الله ﷺ الخزرجي الجشمي ثم السلمى، وسيأتي التعريف به عند ذكره في النظم.

قوله أوس (بالرفع) مبتدأ، خبره محذوف. أي ومن أسلم بن اقصى - أيضا - أوس بن عبد الله بن حجر. والقبس (بالتحريك): الضوء، وكنى بخير قبس عن رسول الله ﷺ لأنه أفضل ضوء يستضاء به وخير نور يهتدى به، وهو قبس يلوح كما يلوح ضوء المهند إذا أخرج من غمده كما قال حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوذة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وأرسله ضوءاً منيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند

وكما قال كعب بن زهير:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيسوف الله مسلول

وقول حسان أيضاً:

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير مجدود
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأماجد
مبارك كضياء البدر صورته .. إلخ.

(1) أخرجه أحمد في المسند.

وكقول كعب بن مالك:

فإني - وإن عفتموني - لقاتل فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

وقد كان ﷺ وهو ما زال في أصلاب الرجال نورا ينتقل من أصلاب الطاهرين
لأرحام الطاهرات ، كما قال شمس الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نورا عظيما تلالأ في جباه الساجدينا
تقلّب فيهم قرنا فقرنا إلى ان جاء خير المرسلينا

وقوله **وسم سرحه**: أي جعل له سمة (وهي أثر الكي بالنار) والسرح (في الأصل): المال السائم، والمراد به هنا إبل أوس. وقوله **بقيد الفرس**: متعلق بوسم، والمراد **بقيد الفرس**: سمة خاصة تكون في العنق على صورة قيد الفرس، وهي حلقتان بينهما مد (صورتها < >) قال الراجز:

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تدانى والتبس

وقوله **ووهب**: فاعله ضمير عائد على أوس. وقريعه (بالنصب) مفعول ثان لوهب، والقريع (بوزن أمير) فحل الإبل، سمي بذلك لأنه مقترع من الإبل أي مختار. و**نكب الطريق**: أي عدل عنها. وقوله **بهم**: متعلق بنكب، وهو عائد على النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ورفقتهما رضي الله عنهم. و**غلامه**: فاعل نكب. و**حلي** (بضم الحاء المهملة): فاعل زان. و**الزينة** (بكسر الزاي): ما يتزين به.

يعني أن من أسلم بن أفصى - أيضا - أوس بن عبد الله الأسلمي الذي مر به رسول الله ﷺ في طريق الهجرة هو ورفقته، وقد أعيت إحدى رواحلهما، فأعطاهما فحل إبله، وبعث معهما غلامه مسعودا؛ فكانت فعلته هذه حلية وزينة لقبيلته بني مازن بن الأزد بصفة عامة، ولرهنه أسلم بصفة خاصة.

أوس بن تميم وصنيعه مع النبي ﷺ وأبي بكر

وأوس هذا هو أبو تميم أوس بن عبد الله بن حجر (بتقديم المهمله وبضم فسكون أو بالتحريك) الأسلمي، وربما نسب إلى جده فقيل أوس بن حجر. كان رضي الله عنه شيخا من أهل العرج يسكن البادية. وقد مر به رسول الله ﷺ وأبو بكر في الهجرة برحبات (بين الجحفة وهَرَشَى) - وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما - فطلب منه أبو بكر أن يحملهما على بعير وأن يزودهما ويرسل معهما دليلا يدهما على الطريق؛ فحملهما على فحل إبله وبعث معهما غلامه مسعودا دليلا، ومعه وطب لبن وقال له: لا تفارقهما حتى يصلا المدينة ويقضيان حاجتهما منك ومن جملك؛ ونكب بهما الطريق واسلك بهما حيث تعلم من مخارمها؛ فسلك بهما كما أمره سيده. قال مسعود: فجعلت أتخلل بهما الجبال والأودية، وكنت قد عرفت الإسلام⁽¹⁾. قال: فصلى رسول الله ﷺ فقام أبو بكر إلى جنبه فحسب أصلي فدفع النبي ﷺ في صدر أبي بكر فقمنا خلفه. ولم يزل مسعود معهما حتى أوصلهما المدينة؛ ولما أراد الرجوع أمره رسول الله ﷺ أن يأمر سيده أوسا أن يسم إبله في أعناقها بقيد الفرس، فامتثل أوس أمره صلى الله عليه وسلم؛ ولم تزل تلك سمتهم في إبلهم. وغلام أوس هذا اسمه مسعود بن هنيذة، أسلم حين مر بهم رسول الله ﷺ في الهجرة، ولما عاد إلى سيده أوس أعتقه. ثم قدم بعد على رسول الله ﷺ فقال له: «أين تريد يا مسعود؟» قال: جئت لأسلم عليك وقد أعتقني أبو تميم، قال: «بارك الله عليك، أين تركت أهلك؟» قال: بموضعهم والناس صالحون، وقد كثر الإسلام حولنا، فأعطاه النبي ﷺ عشرا من الإبل فرجع إلى أهله فأصاب منها خيرا⁽²⁾. ولما مر

(1) وذلك لأنه كان قد أسلم حين مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الواقدي عن أبي سيرة: 3 / 413، من الإصابة.

المشركون بأهل العرج يقصدون المدينة (غزوة أحد) أرسل أوس غلامه مسعودا هذا إلى رسول الله ﷺ يخبره بهم؛ وكان آل أوس يسكنون "العرج" وهو منزل بين مكة والمدينة من بلاد أسلم بين الجحفة وهرشى⁽¹⁾.

قوله والإخوة: مُبتدأ خبره جملة قوله من هؤلاء الخيرة، وهؤلاء: إشارة إلى قبيلة أسلم. والخيرة (بالتحريك): جمع خير للكريم الفاضل، (وبكسر ففتح): أي المختارين.

يعني أن من أسلم بن أفصى - أيضا - الإخوة السبعة الذين أسلموا وصحبوا النبي ﷺ، وشهدوا معه بيعة الرضوان، ولا نظير لهم فيها. وقد تبع الناظم رحمه الله - في عددهم سبعة - صاحبَ الحلة السيرا حيث قال: وهم سبعة إخوة شهدوها ولا نظير لهم. وقال في الإصابة والاستيعاب: إنهم ثمانية وهؤلاء الإخوة هم: هند وأسماء وخراش وذؤيب وفضالة وسلمة ومالك وحران، بنو حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى؛ ومالك بن أفصى هذا أخو أسلم بن أفصى. ولم تعرف هذه المنقبة لغيرهم، وقد لزم منهم النبي ﷺ اثنان: أسماء وهند، قال أبو هريرة: ما كنت أرى أسماء وهندا إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول لزومهما بابه وخدمتهما إياه، وكانا من أهل الصفة. ومات هند بن حارثة بالمدينة في خلافة معاوية. وبعث رسول الله ﷺ أسماء إلى قومه يوم عاشوراء وقال: «مرهم بصيام يوم عاشوراء» فقال: رأيت إن وجدتهم قد طعموا؟

(1) هرشى هذه: هضبة معروفة في طريق الحجر، مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمر الطريق تارة من بطنها وتارة من خلفها، وفي ذلك يقول بعض الأعراب:

خذا بطن هرشى أو فقاها فإنما كـلا جاني هرشى من طريق

قال: «فليتموأ»⁽¹⁾. وتوفي أسماء سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة. وفي ابن حجر أنه لا يعلم إخوة في عددهم شهدوا بيعة الرضوان غيرهم. وقد أوردوا عليه بني مقرن وهم: النعمان وسويد ومعاوية ونعيم وعقيل وعمرو ومعل، بنو مقرن⁽²⁾؛ وكانت لهم صحبة وهجرة وفضل. وقد قال مصعب: هاجر النعمان بن مقرن ومعه سبعة إخوة له؛ قال النعمان بن مقرن: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب من مزينة؛ وقال ابن مسعود: إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن.

تنبيه على أن الرجل قد ينسب إلى أخيه أو عمه للشهرة

هذا وقد نسب الناظم - رحمه الله - هؤلاء الإخوة السبعة إلى أسلم بن أفضى، مع أنهم ليسوا من ولده وإنما هم من ولد أخيه مالك بن أفضى، لاشتهار أسلم؛ وهو في ذلك متبع وما كان بدعا: قال في أسد الغابة: أسماء بن حارثة أسلمي وهو من ولد مالك بن أفضى أخي أسلم بن أفضى، ولاشتهار أسلم ينسب ولد أخيه إليه. وفيه أيضا: نعيم بن هزال الأسلمي من بني مالك بن أفضى، ومالك أخو أسلم، ويقال لهم: أسلميون ومالكيون. ثم إنه قد جرت عادة أهل السير أن ينسبوا إلى العم وإلى الأخ إذا كانا مشهورين. ففي أسد الغابة ما نصه: أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، قال: وإنما قيل له أنصاري وليس من الأوس ولا الخزرج لأنه من ولد

(1) أخرجه أحمد، والحاكم في المستدرک، وغيرهما. [الإصابة].

(2) وورد في أسمائهم - أيضا - ما نظمه من قال:

حذيفة نعيم النعمان ومعل ضرارهم سنان
كذا سويد سبعة قد هاجروا في الله ثم جاهدوا وصبروا
أبوهم مقرن يا لهمم من سبعة قد أنجبت أمهم

أخيها عدي بن حارثة، والأوس والخزرج ولدا حارثة، وكثيرا ما كانت العرب تفعل هذا: تنسب ولد الأخ إلى عمه لشهرته. وفيه - أيضا: قيس بن مسحل من ولد كلب بن عوف الكناني، ثم قال: قيس بن مسحل اليعمري نسبة إلى يعمر الشداخ بن عوف، وهو أخو كلب بن عوف الكناني، قال: وكثيرا ما ينسبون إلى الأخ المشهور. وفيه - أيضا: أبو سعيد بن المعلّى بن لوذان الزرقى جده حبيب بن عبد حارثة أخو زريق، وإنما قيل له الزرقى لأن العرب كثيرا ما تنسب ولد الأخ إلى أخيه المشهور. وهذا النوع لا ينحصر، وفي أسد الغابة وغيره له نظائر كثيرة.

ومن أسلم أيضا: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمي، مر به رسول الله ﷺ في طريقه مهاجرا بموضع يقال له الغميم⁽¹⁾، فأسلم هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتا، وصلى عندهم رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلوا خلفه. وأقام بريدة بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد، فشهد معه ما بعدها من المشاهد؛ وكان ممن بايع تحت الشجرة. وسكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بها داراً، ثم خرج إلى خراسان فأقام بها بمرو حتى مات، ودفن بها. ومنهم - أيضا - خيرة بنت أبي حدرد أخت عبد الله بن أبي حدرد، وهي المشهورة (بأم الدرداء). وكانت لأبي الدرداء زوجتان كلهما تدعى أم الدرداء إحداهما بنت أبي حدرد هذه - وهي الكبرى - وتوفيت قبل أبي الدرداء بالشام في خلافة عثمان، وكانت فاضلة ذات علم ودين وعبادة وعقل ورأي. والثانية أم الدرداء الصغرى، عاشت بعد أبي الدرداء؛ وكانت قد قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحوني إياك، وإنني أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: فلا تنكحي

(1) وفي القاموس: كراع الغميم (كامير): واد بين الحرمين على مرحلتين من مكة.

بعدي؛ فخطبها معاوية فأبت أن تتزوجه وأخبرته بما كان بينها وبين أبي الدرداء فقال لها: عليك بالصيام.

ومن أسلم أيضا: أبو عقبة أهبان بن الأكوع، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع (وقيل هو ابن أوس) كان من أصحاب الشجرة في الحديبية، ثم سكن الكوفة. وروي في سبب إسلامه أنه كان في غنم له فكلمه الذئب، وستأتي قصته عند قول الناظم: **مكلم الذئب دليل خالد.. إلخ.**

فائدة: يوخذ من أمره صلى الله عليه وسلم لأوس بن حجر المذكور قبلُ بوسم إبله في أعناقها بسمة خاصة، مدرك لجواز الوسم للماشية؛ وفعلاً نص العلماء على جوازه. وكما أمر صلى الله عليه وسلم أوسا بذلك فقد أمر آخرين بسمات أخرى وأرشدهم إلى بعض المواضع التي يسمون فيها، ونهاهم عن الوسم في أخرى. ففي أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم أمر سيمعان بن خالد الكلابي من بني قرط أن يجعل ميسمه علاطين بالسالفة اليسرى (والعلاط: علامة تجعل في عنق البعير عرضا وربما كانت خطأ واحدا أو خطين أو أكثر في كل جانب، والسالفة: مقدم العنق). وكان سمعان هذا قد قدم على النبي ﷺ فدعا له بالبركة ومسح ناصيته وقال له: «أبما أحب إليك؟ تجعل رزقك في الوبر أو في المدر»؟⁽¹⁾، قال: بل في الوبر؛ فأمره بالسمة المذكورة. وقدم عليه صلى الله عليه وسلم أيضا - جنادة بن جراد العيلاني الأسدي بإبل قد سمها في أنفها، فقال: «يا جنادة أما وجدت عظما تسمها فيه إلا الوجه أو ما علمت أن أمامك

(1) أخرجه أبو نعيم وابن منده - كما في أسد الغابة. وقوله: أبما أحب إليك.. إلخ: يعني في البادية أو في المدينة والقرية، والبدو يتخذون بيوتهم من وبر الإبل، والمدر: جمع مدرة وهي البنية، وهي بناء أهل الحضرة.

القصاص»؟ قال: قلت: أمرها إليك، قال: «أئتني بشيء ليس عليه وسم»، قال فأتيته بابتون وحقنة وجعلت الميسم حبال العنق، فقال: «أخر»، ولم يزل يقول: «أخر».. حتى بلغ الفخذ، فقال النبي ﷺ: «على بركة الله»، قال: فوسمتها في أفخاذها، وكانت صدقتها حقتين⁽¹⁾.

وفي الاستبصار لابن قدامة: جاء أنس بن مالك إلى النبي ﷺ يحمل أخاه عبد الله بن أبي طلحة حين وُلد، فوجده يسم إبلاً أو غنماً (أي يضع عليها علامة للتمييز) فألقى ما بيده وتناول الصبي فحنكه بتمر ودعا له.

وكان من العرب من لا يسم - وهو قليل - مثل مُغفل بن الواقعة بن حرام بن غفار الغفاري، وإنما لقب مُغفلاً لأنه أغفل سمة إبله فلم يسمها - [كما في أسد الغابة]. ومن النيران التي كانت العرب توقدها في الجاهلية "نار الوسم" وهي النار التي يسم بها الرجل منهم إبله وخيله، فيقال له: ما سمة إبلك؟ فيقول: نار كذا - [كما في نهاية الأرب]. ولوسوم الإبل أسماء كثيرة⁽²⁾ وباب طويل، ذكر أبو عبيد منه كثيراً في كتاب الإبل. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

خُرَاعَةٌ كَذَاكَ لَكِنَّ أَنْخَزَعُ عَنْ وَرْدِ غَسَّانَ وَمَا مِنْهُ نَقَعُ

(1) أخرج الدارقطني بعضه - [الإصابة].

(2) منها: المشيطة والمفاعة والقرمة (وهي في الأنف) والدلو والمشط والفرثاج والثؤثور والدماع (في موضع الدمع) والصداع (في الصدغ) واللجام (من الخند إلى العين) والهلال والخراش (وهو من الصدغ إلى الذقن) والجرف والخطاف (وهي في العنق) والعلاط والعلطتان (وهما في قصر العنق) وقيد الفرس والشعب (وهو كالحجن، وهما في العنق) والرقمة (وهي في العضد والكشاح للوسم في الكشح) والسطاع والخباط (في الفخذ)...

خزاعة: مبتدأ، وكذاك: خبره. والمخزوع: أي انقطع. وورد (بكسر الواو): بمعنى الورد. وغسان: اسم ماء - كما مر. والضمير في منه: عائد على غسان. ونقع (كمنع): شرب. وفاعل كل من المخزوع ونقع: ضمير مستتر عائد على خزاعة.

يعني أن من بني مازن بن الأزد ثم من بني ماء السماء منهم - أيضا - القبيلة المعروفة بخزاعة، فهي من بني عمومة البطون الغسانية.

خزاعة وسبب تسميتها

وكان من خيرها وبدء أمرها وسبب تسميتها بخزاعة: أنه لما تفرق أهل اليمن أيدي سبا - بسبب سيل العرم - تجمعت بطون من الأزد على ماء باليمن يقال له غسان⁽¹⁾ فسموا به وصار كل من أقام به يدعى غسانيا. وسار إخوتهم بنو عمرو بن لحي بن حارثة الغطريف حتى نزلوا مرَّ الظهران وأقاموا به فسموا خزاعة لعدم ورودهم ماء غسان وتخلفهم عنه، فكان ذلك سبب تسمية غسان بـ"غسان" وخزاعة بـ"خزاعة". وفي ذلك يقول عوف بن أيوب الأنصاري؛ وقيل حسان بن ثابت:

فلما نزلنا بطن مرَّ تخزعت خزاعةُ عنا في حلول كراكر⁽²⁾

(1) غسان: ماءً أو موضع بالشام، نزل به بنو ماء السماء اليمينيون.

(2) بطن مر: يريد مر الظهران، وهو موضع قريب من مكة، سمي "مرًا" لمرارة مائه، وبه تخزعت خزاعة عن أخواتها، ونزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاء ومعه عشرة آلاف من المسلمين (في غزوة فتح مكة) فأوقدوا عشرة آلاف نار حين أمرهم صلى الله عليه وسلم بذلك. وتخزعت: تخلفت. وحلول: جمع حال من حل بالمكان: نزل. والكراكر: الجماعات من الناس واحدها: كركرة، وسميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فاتتوا إلى مكة تخزعوا عنهم فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام.

حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرهفات البواتر⁽¹⁾

ثم خرجت خزاعة حتى قدمت مكة، فنزلت على جرهم، وهم - إذ ذاك - سدنة الكعبة⁽²⁾، فأقاموا معهم ثلاث ليال يقرونهم، ثم قالوا لهم: الضيافة ثلاث فارتحلوا عنا، فقالت خزاعة: نعم ولكن أمهلونا نقيم اليوم حتى نتجع منزلاً، فأبت جرهم! فاقتتلوا فانهزمت جرهم وأخرجتهم خزاعة من الحرم وخلفوهم عليه، وانتزعوا منهم مفاتيح الكعبة. ولم تزل خزاعة بعد جرهم أهل الحرم وسدنة البيت يفتحونه لمن شاءوا ومتى شاءوا حتى أزالهم عنه قصيُّ بن كلاب، فوليت قريش بعدهم أمر الكعبة. وقد قيل إن ولاية خزاعة للبيت كانت نحوًا من ثلاثمائة سنة. وقد تقدم أن خزاعة وإخوتهم قضاة من القبائل المتذبذبة بين العدنانية والقحطانية، فخزاعة بنو عمرو بن لحي اتفاقاً؛ واختلف في لُحي - واسمه ربيعة وكنيته أبو عمرو - فقيل هو ابن قمعة بن إلياس العدناني، وقيل هو ابن حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء بن مزيقيا الأزدي؛ كما قال الناظم:

"خزاعة كذاك ذو تذبذب ما بين قمعة وأزد يثرب"

وقيل لكل من النسبتين وجه، فنسبته إلى قمعة بن إلياس بالولادة، وإلى حارثة بن

(1) وبعد البيتين:

خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة	وأنصارنا جند النبي المهاجر
وسرنا إلى أن قد نزلنا يثرب	بـلا وهن منا وغير تشاجر
وسارت لنا سيارة ذات منظر	بكرم المطايا والخيول الجماهر
يؤمنون أهل الشام حين تمكنوا	ملوكا بأرض الشام فوق البرابر
أولاك بنو ماء السماء توارثوا	دمشقا بملك كابرأ بعد كابر

(2) سدنة الكعبة: خدامها القائمون بشؤونها.

ثعلبة بالتبني. وذلك أن حارثة بن ثعلبة العنقاء خلف على أم لحي بعد أن آمت من قمعة بن إلياس - ولحي صغير - فتبناه حارثة، فنسب تارة إلى قمعة وتارة إلى حارثة. وقد اختلف في لفظ خزاعة، فقيل لقب جد من بني عمرو بن لحي اختلف النسابون في اسمه، وقيل خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحي. وبطونهم كثيرة؛ مثل بني كعب وبني عدي وبني عوف وبني سعد وبني مليح وبني سلول.. وغيرهم.

أما بنو كعب فمنهم أكثم بن الجون الخزاعي الذي قال له النبي ﷺ: «رأيتُ عمرو بن لحي يجرُ قُصْبَه في النار⁽¹⁾ وما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به» - أو كما قال - فقال أكثم: هل يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: «لا، لأنك مسلم وهو كافر»⁽²⁾. وأم أكثم هذا أم معبد عاتكة بنت كعب الخزاعية - صاحبة الشاة - التي نزل بها رسول الله ﷺ هو وأبو بكر في طريقهما في الهجرة؛ والتي يقول فيها الشاعر:

جزى الله عنا والجزاء بفضله رفيقين حلاً خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهني بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين عرصداً.. الخ.

(وكان منزل أم معبد هذه بقديد). ومنهم سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعية أم لؤي وتيم ابني غالب بن فهر القرشيين.

وأما بنو عمري فمنهم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم عام الفتح وكان سيد خزاعة؛ وكان يقاتل مع علي بصفين، ولم يزل يضرب بسيفه يومئذ ويرتجز حتى انتهى إلى معاوية وأصحابه فأزالهم عن محلهم، فرشقوه بالحجارة حتى

(1) أخرجه مسلم. والقصب (بضم فسكون) المعى، جمعه: أقصاب، أي يجر أمعاه في النار.

(2) متفق عليه.

قتلوه، وأرادوا أن يثملوا به فمنعهم عبد الله بن عامر؛ فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة! والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلاً عن رجالها، وتمثل بقول الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطُّرا⁽¹⁾

وأخو عبد الله هذا نافع بن بديل من فضلاء الصحابة، قتل يوم بئر معونة. وقد تقدم ذكر عدة أعيان من بني كعب، وبني عدي هذين عند قول الناظم: وهو أبو خزاعة وأكثم.. إلخ. وأما بنو سلول فمنهم عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب المصطلقى الذي شبه به النبي ﷺ المسيح الدجال.

ومن خزاعة - أيضاً - كرز بن علقمة بن هلال بن جريفة بن عبد نهم بن حليل بن حُبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن لُحي الخزاعي. وكرز هذا هو الذي قصَّ أثرَ النبي ﷺ ليلة الغار حتى وصل إلى الغار، فلما رأى عليه نسج العنكبوت قال: ههنا انقطع الأثر. وهو الذي قال حين نظر إلى قدم النبي ﷺ: هذه القدم من تلك القدم التي في المقام⁽²⁾. وقد أسلم كرز هذا يوم الفتح وعُمِّرَ عمرًا طويلاً، وهو الذي نصب أعلام الحرم⁽³⁾ أيام معاوية في إمارة مروان على المدينة. وقد روي عنه أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل للإسلام

(1) الليث: الأسد. والهزبر: الأسد الكاسر. والذمار: كل ما تلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه كالأهل والعرض، يقال هو حامي الذمار: إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعنف، قيل سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له: أي التغضب له. وقصدها: أي تجاهها فلم تحطه. وتقطر: سقط، وقطره: صرعه صرعة شديدة، وأقطره: ألقاه على أحد قطريه أي شقه وجانبه.

(2) يعني مقام إبراهيم، وقد كان به أثر قدم إبراهيم عليه السلام، أدركه أوائل قريش.

(3) أعلام الحرم: المراد بها الحجارة المنصوبة التي وضعت لتكون علامات وحدودا بين الحل والحرم.

منتهى؟ قال: «نعم، فمن أراد الله به خيرا من عرب أو عجم أدخله عليه ثم تقع فتن كالظلل يضرب بعضكم رقاب بعض، فأفضل الناس يومئذ معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ويدع الناس من شره»⁽¹⁾. ومن بني سلول - أيضا - لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعية أم أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

عَسَانُ جَيْلٍ قَيْلَةَ الْأَعْلَامِ هُمُ الْمُلُوكُ بُرْهَةً بِالشَّامِ
وَأَلْ جَفْنَةَ هُمُ الْمُلُوكُ بِمَدْحِهِمْ مُلَّتِ الصُّكُوكُ
آخِرُهُمْ جَبَلَةَ بَنُ الْأَيَّهِمْ فَرَّ إِلَى الرُّومِ مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ

الجيل (بالكسر): الصنف من الناس. وقيلة (بفتح القاف): أم الأوس والخزرج، وهي بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة الغسانية. يعني أن غسان هم أصل قيلة بنت الأرقم الغسانية وبنو عم ذريتها: الأوس والخزرج وهم الأنصار، وقد اشتهروا بالنسبة لأهمهم فعرفوا ببني قيلة؛ ولبعض الشعراء فيهم:

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد عليهم خليط في مخالطة عبا⁽²⁾

(1) أخرجه أحمد في مسنده والحاكم، وروى البخاري بعضه. والظلل: جمع ظلة وهي ما أظلك من سحابة أو شجر وغيرهما. والشعب (بالكسر): انفراج بين الجبلين والطريق في الجبل جمعه شعاب بالكسر. ويدع الناس: يتركهم. والشر: الفساد والسوء ونقيض الخير وهو اسم جامع للردائل والخطايا.

(2) بهاليل: جمع بهلول (بضم الموحدة) وهو: السيد الجامع لكل خير. والخليط: المخالط لهم، أي المداخل لهم والمعاشر لهم كالجليس والمجالس. والمخالطة: المداخلة والمعاشرة. والعتب: اللوم، أي لم يجد شيئا ينكره عليهم من أفعالهم.

مساميح أبطال يراحون للندى يرون عليهم فعل آباؤهم نجبا⁽¹⁾

والأعلام: جمع علم (بالتحريك) وهو الجبل العالي الذي يهتدى به، وهو صفة لقبيلة باعتبار ذريتها الأوس والخزرج. والضمير في قوله هم الملوك: عائد على غسان. وبوهة (بوزن غرفة): المدة الطويلة من الزمان. والشام: البلاد المشهورة، التي تعرف الآن بسوريا وفلسطين والأردن، وسميت بذلك لأنها عن مشأمة القبلة⁽²⁾، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود، أو لأن قوما من بني كنعان تشاءموا إليها (أي تياسروا). وجملة: آل جفنة.. إلخ: مفسرة لقوله هم الملوك. وقوله بمدحهم: متعلق بملئت. والصكوك (بضم الصاد): جمع صك (بفتحه) وهو الكتاب، وهو نائب فاعل ملئت. وجيلة (بالتحريك): من ولد عمرو بن النعمان الجفني. والأيهم (بالياء المثناة التحتية وبوزن ضيغم) هو ابن جيلة الغساني.

يعني أن غسان الذين هم أصل قبيلة، قد استقر لهم ملك بالشام زمنا طويلا، وأن بيت ملكهم كان في آل جفنة بن مزيقيا، وقد طار ذكرهم في الآفاق وملئت الصحائف بمدحهم والثناء عليهم، وأن آخر ملوكهم جيلة بن الأيهم الذي أسلم ثم ارتد بمكة زمن عمر ولحق بقيصر ملك الروم.

وكان آل جفنة هؤلاء قد نزحوا من اليمن إلى الشام حين جاء سيل العرم، وتفرق أهل اليمن أيدي سبأ، فنزل آل عمرو بن ربيعة بن حارثة بمكة (وهم خزاعة) - كما مر - وذهب عمران بن عامر نفسه وذريته إلى عمان (وهم أزد

(1) مساميح: أي أهل جود وسماحة، جمع سَمَح. وأبطال: أي أهل شجاعة، جمع بطل. والندى: الجود والفضل والخير. ويراحون: أي يسرعون إلى فعله فرحين. والنحب: النذر، أي يرون فعل أسلافهم نذرا عليهم يجب الوفاء به.

(2) المشأمة: ضد الميمنة.

عمان)؛ ونزل أزد السراة السراة؛ وسار آل جفنة بن مزيقيا بن ماء السماء نحو الشام (وهم الغساسنة)؛ وسار آل حارثة بن العنقاء إلى يثرب (وهم الأوس والخزرج) وسكنوها فعرفوا (ببني قيلة)، ثم طرأ لهم اسم بعد إسلامهم هو الأنصار، فنالوا مجداً عظيماً وشرفاً جسيماً؛ فلذلك وصفهم بالأعلام.

بعض أخبار آل جفنة ملوك الشام

وأول ملوك آل جفنة بالشام: جفنة بن عمرو مزيقيا بن ماء السماء. وكان هو أول من تولى قيادة الغسانيين إلى أطراف الشام الجنوبية، وإليه تنسب أمراء الغساسنة، فيقال لهم "آل جفنة"، وكانت عاصمتهم الجباية من قرى الجولان، ثم امتد سلطانهم إلى تدمر وضفة الفرات شمالاً، بعد أن حكموا عبر الأردن ووادي اليرموك جنوباً. وكان جفنة من الشجعان الأشداء، حارب الضجاعم - أمراء البلقاء وحوران - وقهرهم وبنى آثاراً كثيرة منها جلق والقرية، وطالت مدته.

ومن ملوكهم عمرو بن جفنة بن عمرو، قيل إنه كان أول من لبس التاج من ملوك الغساسنة، قاتل الروم في أرض البلقاء وهزمهم، ثم التقى بهم في مرج الظباء فتكاثروا عليه فصالحهم على جزية يؤديها إليهم؛ فكانت هي الجباية بدمشق. ومنهم الحارث الأكبر بن جبلة بن الحارث الرابع بن حجر الغساني، كان من أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام وأعظمهم شأنًا، وهو الذي حارب المنذر الأكبر ابن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة وانتصر عليه؛ وكان الحارث هذا داهية عارفاً بأسرار الحروب جواداً، واستمر ملكاً نحو من أربعين سنة؛ ويقال له الحارث الخامس. وهو أبو حلينة بنت الحارث المنسوب إليها "يوم حلينة"، أحد أيام العرب المشهورة، و"مرج حلينة" ببادية الشام؛ وكانت فيه الواقعة بين أبيها الحارث الأكبر الغساني وبين ملك الحيرة المنذر الأكبر اللخمي. وإنما نُسب إليها لتحريضها رجالاً

أبيها على القتال في ذلك اليوم، أو لأنها أخرجت إليهم مركنا فيه طيب فطيبتهم منه. وفيها المثل السائر: "ما يومٌ حليلة بسر" يضرب في كل أمر متعارف مشهور. ومن أمثالهم "أعز من حليلة"، يعنونها. وقد قال نابغة ذبيان يصف سيوفا:

تُورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جُرئِن كلَّ التجاربِ

ومن ملوكهم - أيضا - عمرو بن الحارث بن عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث الغساني، وحجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني، والحارث الجفني بن أبي شمر، مدحه النابغة وحسان بن ثابت. وقد قيل إن مدة ملك آل جفنة بالشام ستمائة وست عشرة سنة، تعاقب عليها بضع وثلاثون ملكا. وكان آخر ملوكهم: جبلة بن الأيهم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكانت الملوك الغساسنة كراما ممدحين فقد عليهم الشعراء فتمدحهم وتسترفدهم فيرفدونها وتجتديهم فيجدونها⁽¹⁾، وقد أجادت في مدحهم وأحسنوا جوائزها. ومن مدحهم النابغة الذبياني بمدائح كثيرة؛ منها قوله من قصيدة في مدحهم:

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب⁽²⁾
 حلفت يمينا غير ذي مشوية⁽³⁾ ولا علم إلا حسنُ ظن بصاحبي
 لئن كان للقبرين: قبرٍ يجلسق وقبر بصيذاء الذي عند حارب⁽⁴⁾

(1) استرفده: استعانه واستعطاه. ورَفَدَه يرفده رَفْدًا: أعطاه وأعانه، والرفد: المعونة. واجتدى فلانًا واستجده: سأله حاجته وطلب جدواه أي عطيته، وأجده: أعطاه الجدوى.

(2) عقارب النعمة: تكديرها بالمن والأذى، والمعنى: علي لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده، لم يكدرها من ولا أذى.

(3) أي لم يستثن فيها ثقة بالمدوح وحسن ظن به.

(4) جلق: اسم لدمشق، وصيذاء: من مدن الشام. وحارب: اسم رجل أو بلد. وصاحبا القبرين: أبوه يزيد وجده الحارث الأعرج.

وللحارث الجنفي سيد قومه⁽¹⁾
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
كَلَيْتَمَسْنُ بِالْجِيْشِ دَارَ الْحَارِبِ
كُتَابٌ مِنْ غَسَانَ غَيْرِ أَشَائِبِ⁽²⁾
أَوْلَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْهَمٍ غَيْرِ كَاذِبِ

إلى أن يقول:

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
محلتهم ذات الإله ودينهم
رقاق النعال طيب حجراتهم
تحبيهم بيض الولائد بينهم
يصنون أجساداً قديماً نعيمها
ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده
من الجود والأحلام غير عواذب⁽³⁾
قويم فما يرجون غير العواقب⁽⁴⁾
يُحْيُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ⁽⁵⁾
وأكسية الإضريح فوق المشاجب⁽⁶⁾
بخالصة الأردن خضر المناكب⁽⁷⁾
ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازب⁽⁸⁾

(1) هو الحارث الأكبر بن ابي شمر سيد آل جفنة. فالممدوح - إذن - هو الحارث بن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الجفني.

(2) الأشائب: الأخلاط من الناس. يريد أنه غزا بغسان ولم يحتج أن يستعين بسواهم.

(3) شيمة: طبع وخلق. والأحلام: العقول، والعواذب: جمع عازب: وهو الغائب.

(4) محلتهم بالحاء (المهمل): يعني الأرض المقدسة، وبالجميم: كتابهم الذي يتكلمون إليه.

(5) رقة النعال: كناية عن الترف لأنهم لا يمشون على أرجلهم. وطيب الحجرات: كناية عن العفة. والريحان: الزهر الطيب الرائحة. ويوم السباسب: أحد أعياد النصارى؛ وكان الممدوح يدين بالنصرانية.

(6) الولائد: الإماء البيض الحسان. والاضريح: الخبز الأحمر. والمشاجب: أعواد تعلق عليها الثياب (جمع مشجب)؛ يعني أنهم ملوك أهل نعمة: خدمهم الولائد البيض، وثيابهم ثمينة مصنوعة تعلق على المشاجب.

(7) قديماً نعيمها: أي عريقة في التنعم. والخالصة: الشديدة البياض. والأردان: جمع ردن: مقدم كم القميص. وخضر المناكب: أي مصبوغة مناكبها بالخضرة. وهذا النوع من الثياب هو زي تلك الملوك.

(8) اللازب: الثابت اللازم، يعني أنهم عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فلا يغتزون بشيء من أحواله، فلم يثقوا بخيره ولم يضحروا من شره.

حبوت بها غسان⁽¹⁾ إذ كنت لاحقاً بقومي وإذ أعيت علي مذاهي

ويقول - أيضاً - وهو يصف كتائبهم، وقد أحسن وأجاد:

إذا ما غزوا في الجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدي بعصائب
يصاحبهم حتى يُغرن مغارهم
من الضاريات بالدماء الدوارب⁽²⁾
تراهن خلف القوم خزرًا عيونها
جلوس الشيوخ في ثياب المرانب⁽³⁾
جوانح قد أيقن أن قبيلَه
إذا ما التقى الجمعان أولُ غالب
لهنَّ عليهم عادة قد عرفنها
إذا عرّض الخطيُّ فوق الكواثب⁽⁴⁾
على عارفات للطعان عوابس
بهن كلومٌ بين دام وجالب⁽⁵⁾
إذا استنزوا عنهن للطعن أرقلوا
إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب⁽⁶⁾
فهم يتساقون المنية بينهم
بأيديهم بيض رقاق المضارب
يطير فضاضًا بينها كلُّ قونس
ويتبعها منهم فراش الحواجب⁽⁷⁾

(1) أي بقصائدي.

(2) أي تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير بغارتهم على الأعداء. والضاريات: المتعودات. والدوارب: المدربات.

(3) القوم: الحارث وجيشه، والخزر: جمع أخزر وهو الذي ينظر بمؤخر عينه، والمرانب: الأكسية المصنوعة من جلد الأرنب أو هي الثياب المبطنة بفراء الأرناب.

(4) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط (بلد بالبحرين) تنسب إليه الرماح الجياد، والكواثب: جمع كاثبة، وهو امام القربوس، أي اعتادت الطير أن الرماح إذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها.

(5) عارفات: صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه، والكلوم: الجروح (جمع كلم). والدامي: الذي يسيل دمًا. والجالب: الذي ييسر وعلته جلبة وهي القشرة الجافة فوق الجرح.

(6) استنزوا: أي ضاق الموضوع على الدابة فنزلوا عن الخيل للطعان. وأرقلوا: أسرعوا. والمصاعب: جمع مصعب للفحل الذي لم يُرض ولم يجعل فيه جبل فإذا ركب وأسرع إلى مقصده لم يردعه رادع.

(7) الفضاض: المتفرق. والقونس: أعلى البيضة التي توضع على الرأس. وفراش الحواجب: العظام الرقاق التي تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحلق، والضمير في يتبعها: يعود على كل قونس لأنه في معنى الجمع.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
تورثن من أزمان يوم حليلة
تقد السلوقي المضاعف نسجه
ويقول فيهم - أيضا - حين ارتحل عنهم:

لا يبعد الله جيراناً تركتهم
لا يبرمون إذا ما الأفق جلله
هم الملوك وأبناء الملوك هم
أحلام عاد وأجساد مطهرة
مثل المصابيح⁽³⁾ تجلو ليلة الظلم
برد الشتاء من الإحمال كالأدم⁽⁴⁾
فضل على الناس في الأواء والنعم
من المعقة والآفات والائثم⁽⁵⁾
وله - أيضا - في رثاء النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني من قصيدة:

فلا يهنئ الأعداء مصرع ملكهم
وكانت لهم ربيعة يجذرونها
يسير بها النعمان تغلي قدورها
وما عتقت منه تميم ووائل⁽⁶⁾
إذا خضخضت ماء السماء القبائل⁽⁷⁾
تجيش بأسباب المنايا المراحل

(1) الفلول: جمع فل وهو الثلثة. والقراع: المجالدة. والكتائب: الجيوش؛ وفي البيت تأكيد للمدح بما يشبه الذم.

(2) تقد: تشق. والسلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق (من ساحل أنطاكية) بالشام. والمضاعف: الذي نسج حلقتين حلقتين. والصفاح: حجارة عراض؛ والمراد بها ما يجعل على الرأس من البيض. ونار الحياحب: شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى: الحياحب.

(3) شبههم بالمصابيح في حسن الوجوه، أو لأنهم يستضاء بأرائهم فيكشفون بها ما التنس من الأمور.
(4) أي ليسوا بأبرام إذا اشتد الشتاء، والبرم (بالتحريك): الذي لا يدخل في أقداح الشتاء بخلأ ولومأ.
والإحمال: الجذب. والأدم: الجلد الأحمر؛ يريد السحاب الأحمر وهو علامة الجذب.

(5) الأحلام: العقول. وعاد: أمة قديمة كانت تسكن الأحقاف. والمعقة: العقوق. والائثم (جمع ائمة): الأتام أو إرادتها.

(6) مصرع: موت. وملكهم: هو النعمان، وما: مصدرية. وعتقت: نجت، أي لا يهنئ الأعداء موت النعمان ونجاتهم منه.

(7) ربيعة: غزوة في الربيع. وخضخضت: حركت الماء باستقائها منه بالدلاء.

تَحْتُ الحِداةَ جالِزا بِردائِهِ يقي حاجيهِ ما تُثِيرُ القَنابِلُ⁽¹⁾
 يقول رجال ينكرون خليقتي لعلَّ زيادًا - لا أبا لك - غافلُ
 أباي غفلتني أني إذا ما ذكرتُهُ تحرك داءً في فؤادي داخل
 وان تلادي - إن ذكرت - وشيكتي⁽²⁾ ومُهمري وما ضَمَّتْ إلي الأنامل
 جِباؤُك والعيْسُ العتاق كأنها هجان المها تحدى عليها الرحائل⁽³⁾

إلى أن يقول:

سقى الله قبرا بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطرٌ ووايل⁽⁴⁾
 ولا زال ربحانٌ ومسكٌ وعنبرٌ على منتهاه ديمةٌ ثم هاطلُ
 وينبت حَـوْذاناً وعوفاً منورا سأتبعه من خير ما قال قائل⁽⁵⁾
 بكى حارثُ الجولان من فقد ربه وهوران منه موحش متضائل⁽⁶⁾
 قعوداً له غسان يرجون أوبه وترك ورهط الأعجمين وكابل⁽⁷⁾

ومن مدحهم - أيضا - علقمة بن عبدة التميمي بقصيدته المشهورة:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب⁽⁸⁾

ويقول فيها:

- (1) الجالز: الذي تعصب بعمامته. وتُثير: تحرك. والقنابل: القطع من الناس في الخيل.
- (2) التلاد: المال القديم. والشكة: السلاح.
- (3) جباؤك: هبتك. والعيْس: الإبل البيض. وهجان المها: بيضها. وتحدى: تساق.
- (4) بصرى وجاسم: موضعان بالشام. والوسمي: أول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات.
- (5) الحوذان والعوف: نبتان طيبا الرائحة؛ وبالعوف هذا كنيت الجرادة (أم عوف) لكثرة نزولها عليه، وسأتبعه: أي سأثني عليه بخير القول.
- (6) الجولان وهوران: مكانان معروفان بالشام، وموحش: أي ذو وحشة، ومتضائل: متصاغر.
- (7) يقول: إن العرب والترك والعجم كانوا يؤملون حياة النعمان ويرجونه لما كانوا يدركون به من النعمة والتمكن.
- (8) طحا: اتسع وذهب في كل مذهب. والطرب: خفة تصيب الرجل لشدة الفرح أو الحزن، أي ذهب بك قلبك كل مذهب في طلب الحسان بعد مضي الشباب وإقبال المشيب.

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكللها والقصرين وجيب⁽¹⁾
 لتبلغني دار امرئى كان نائيا فقد قربتني من نذاك قروب⁽²⁾
 إليك آيت اللعن كان وجيفها بمشبهات هوطن مهيب⁽³⁾

إلى أن يقول:

فوالله لولا فارس الجون منهم لأبوا خزايا والإياب حبيب⁽⁴⁾
 تقدمه حتى تغيب حجوله وأنت لبئض الدارين ضروب
 مظاهر سرباني حديد عليهما عقيل سيف مخذم ورسوب⁽⁵⁾
 فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم⁽⁶⁾ وقد حان من شمس النهار غروب
 تجود بنفس لا يجاد بمثلها وأنت بها يوم اللقاء تطيب⁽⁷⁾

وممن مدح آل جفنة هؤلاء - أيضا - حسان بن ثابت الأنصاري ثم النجاري؛ فقد كان يفد عليهم في أيام الجاهلية وقيم عندهم طويلا ويمت لهم بالرحم والقراية، لأنهم جميعا من نسل مزيقيا بن ماء السماء، فيمدحهم ويستمطر معروفهم فيجدون عليه ويملاون بجوائزهم يديه؛ وقد أجاد في مدحهم، وكان أجود شعره هو ما قاله فيهم، وحسبه لاميته المشهورة في مدحهم؛ روي أنه قال: قدمت يوما على عمرو

-
- (1) الحارث: هو ابن جبلة، أبي شمر الغساني. وأعملت: أجهدت. وكللها: صدرها. والقصرين: ضلعان قصيرتان تليان الخاصرتين. ووجيب: خفق واضطراب من شدة السير.
 (2) نذاك: عطاؤك. وقروب: اسم فاعل للمبالغة، أي ناقة مسرعة السير، وقيل قروب: اسم ناقته.
 (3) وجيفها: إسراعها. والمشبهات: الطرق يشبه بعضها بعضا ويخاف هولها.
 (4) فارس الجون: هو الحارث المدوح والجون: الحصان الأسود. وآبوا: رجعوا. وخزايا: أي بالخزري والمراد به الانهزام لأنه خزري وهوان. والإياب: الرجوع. والحبيب: المحبوب.
 (5) مظاهر: لايس درعي حديد. وعقيل: أي كريما سيف. والمخذم: القاطع. والرسوب: الذي يغوص في الضريبة لمضائه.
 (6) جالدتهم: ضاربتهم بالسيوف. وكبشهم: سيدهم.
 (7) يوم اللقاء: أي ملاقتك لعدوك، أي تسمح بنفسك في الحرب لشجاعتك وتطيب نفسك بذلك.

بن الحارث الغساني فاعتاص الوصول إليه، فقلت للحاجب⁽¹⁾ - بعد مدة - إن أذنت لي عليه، وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم، فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة⁽²⁾ قد عرفت عيصك⁽³⁾ ونسبك في غسان، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنوية ولا أحتاج إلى الشعر؛ فإني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتي! وأنت لا تحسن أن تقول: رقاق النعال طيبٌ حجزاتهم.. قال: فأبيت وقلت: لا بد منه! فقال: ذاك إلى عميك. فقلت لهما: بحق الملك إلا قدمتماني عليكما، فقالا: قد فعلنا؛ فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت:

بين الجوابي فالْبُضِيعِ فحومل ⁽⁴⁾	أسألت رسمَ الدار أم لم تسأل
فديار سلمى دُرُسا لم تحلل ⁽⁵⁾	فالمرج مرج الصُّقرين فجاسم
والمدجنات من السماك الأعزل ⁽⁶⁾	دمن تعاقبها الرياح دوارس
فوق الأعزة عزهم لم ينقل	دار لقوم قد أراهم مرة

(1) اعتاص الأمر اعتياصا: اشدت وامتنع. والحاجب: البواب، وربما خص بيواب الملك (جمعه حجاب وحجة).

(2) الفريعة (بصيغة التصغير) أم حسان بن ثابت.

(3) عيصك: أصلك، يقال: هو من عيص كريم: أي من أصل كريم.

(4) الجوابي: قرية في الجولان (بين دمشق والأردن). والبضيع: جبل بارض الشام. وحومل: موضع.

(5) مرج الصفرين: موضع بغوطة دمشق. وجاسم: قرية بالجولان. ودرسا: دارة عافية. لم تحلل: أي لم ينزل بها أحد.

(6) الدمن: بقايا الدار، تعاقبها: توالى عليها، والمدجنات: السحب الممطرة، والسماك: من منازل القمر. والأعزل: صفة للسماك، والسماك الأعزل هو أحد السماكين وهما نجمان نيران أحدهما في الشمال ويقال له السماك الرامح لأن أمامه كوكبا صغيرا يقال له "راية السماك ورمحه"، والآخر في الجنوب ويقال له السماك الأعزل وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب، كالأعزل الذي لا سلاح معه.

لله درُ عصابةٍ نادمتهم
 يمشون في الحلل المضاعف نسجها
 الضاربون الكبش يبرق بيضه
 والخالطون فقيرهم بغنيهم
 أولاد جفنة حول قبر أبيهم
 يُغشون حتى ما تهر كلابهم
 يسقون من ورد البريص عليهم
 يسقون درياق الرحيق ولم تكن
 بيض الوجوه كريمةً أحسابهم
 دهرًا بجلق⁽¹⁾ في الزمان الأول
 مشي الجمال إلى الجمال البزل⁽²⁾
 ضربا يطيح له بنان المفضل⁽³⁾
 والمعمون على الضعيف الرمل
 قبر ابن مارية⁽⁴⁾ الكريم المفضل
 لا يسألون عن السواد المقبل⁽⁵⁾
 بردى يصفق بالرحيق السلسل⁽⁶⁾
 تدعى ولائذهم لنقف الحنظل⁽⁷⁾
 شم الأنوف من الطراز الأول⁽⁸⁾ .. إلخ.

وزار حسان بن ثابت يوما الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان النعمان بن

- (1) جلق: موضع قريب من دمشق.
- (2) البزل (جمع بازل): وهو البعير الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة.
- (3) الكبش: سيد القوم. والبيض: جمع بيضة وهي الخوذة. أي المغفر الذي يجعل على الرأس. والبنان: الأصابع.
- (4) مارية: هي بنت أرقم بن ثعلبة الغسانية أم الحارث الأعرج الغساني الملك المشهور، يعني أنهم لعزهم لم يجملوا عن منازلهم قط ولا فارقوا قبر أبيهم.
- (5) يمدحهم بالكرم: فكلابهم تأنس بالوافدين عليهم فلا تهر بوجودهم وهم في سعة لا يضيقون بمن ينزل بهم مهما كثر عددهم.
- (6) البريص: موضع أو نهر بدمشق، وبردى: نهر ترتوي منه البساتين المحدقة بدمشق، وتعرف تلك البساتين بالغوطة كانت تسكنها الغساسنة قديما. ويصفق: يخلط ويمزج. والرحيق: الخمر. والسلسل (من الخمر): اللينة (ومن الماء): العذب البارد.
- (7) الدرياق: الخمر الخالصة، يعني أنهم ملوك يعيشون في سعة، ولهذا لا تحتاج ولائذهم أن تنقف الحنظل كما يحتاج إليه سائر العرب.
- (8) يريد أن آل جفنة كانوا من اليمن ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان باليمن عند غلبة الحبشة على بلادهم، فهم من الطراز الأول الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم.

المنذر اللخمي يساميه، فقال له - وهو عنده - يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل علي النعمان، فقال: وكيف أفضله عليك؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولأُمك أشرف من أبيه، ولأبيوك أشرف من جميع قومه، ولشمالك أجود من يمينه، ولحرمانك أنفع من نداءه⁽¹⁾، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك أشرع من غديره⁽²⁾، ولكرسيك أرفع من سريره⁽³⁾، ولجدولك أغور من بحره⁽⁴⁾، وليومك أطول من شهره، ولشهرك أمد من حوله، ولحولك خير من حقبه، ولزندك أورى من زنده⁽⁵⁾، ولجندك أعز من جنده؛ وإنك من غسان وانه من لحم.. فكيف أفضله عليك وأعدله بك؟! فقال: يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا في شعر؛ فقال:

ونبئت أن أبا منذر	يساميك للحارث الأصغر
قفاك لأحسن من وجهه	وأملك خير من المنذر
ويُسرَى يدك على عُسرها	كَيْمَنِي يديهِ على المعسر
وشتان بينكما في الندى	وفي البأس والخير والمنظر ⁽⁶⁾

ويقول فيهم - أيضا:

- (1) حرمانك: أي منعك الشيء، انفع من نداءه: أي من جوده.
- (2) الثمادُ (بالكسر): الماء القليل الذي ليس له مدد (جمع ثمد). وأشرع: أسقى. والغدير: النهر والقطعة من الماء يغادرها السيل.
- (3) الكرسى: مقعد من الخشب ونحوه لجالس واحد. والسرير: المضطجع وعرش الملك.
- (4) الجدول: مجرى صغير يشق في الأرض للسقيا (جمعه جداول). وأغور: أي أعمق وأبعد قعرا من بحره، والبحر: كل نهر عظيم.
- (5) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار، والأسفل: هو الزنده، ووري الزند وأورى: خرجت ناره.
- (6) شتان (بالبناء على الفتح وقد تكسر النون): اسم فعل بمعنى بُعد، يقال: "شتان ما بينهما" أي بُعد وعظم الفرق بينهما. والندى: الجود والسخاء، والبأس: الشدة في الحرب والشجاعة والقوة. والخير: الشرف والأصل. والمنظر: ما ينظر إليه فيعجب.

ولسنا بِشَرِب فوقهم ظل بردة
ولكننا شَرِبْ كرام إذا انتشوا
وتحسبهم ماتوا زُمين حليمة
وإن جتْهم ألفيت حول بيوتهم
تري فوق أثناء الزرابي ساقطا
وذا نطف يسعى مُلصقٌ خـده

يُعدون للحنوت تيسا ومفصدا⁽¹⁾
أهانوا الصريح والسديف المرهدا⁽²⁾
وإن تأتهم تحمد ندامتهم غدا⁽³⁾
من المسك والجادِي فتيتا مبددا⁽⁴⁾
نعلا وقسوبا وريطا معصدا⁽⁵⁾
بدياجة تكفافها قد تقددا⁽⁶⁾

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: بمدحهم ملئت الصكوك. ثم أشار الناظم — رحمه الله — إلى قصة جبلة بن الأيهم، وسبب رده بقوله: فر إلى الروم .. إلخ.

جبلة بن الأيهم

وحاصل ما أشار إليه: أن جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني كان آخر ملوك آل جفنة الغسانيين في بادية الشام، وكان جبلة هذا قد عاش زمنًا في العصر الجاهلي،

(1) الشرب: قوم يجتمعون على الشراب. والحنوت: دكان الخمار ومحل التجارة. والتيس: الذكر من المعز والظباء والوعول إذا أتى عليه حول. والمفصد: الآلة التي يقصد بها، وفصد العروق: شقها لاستخراج دمه؛ يعني أنهم لا يقصدون التيس ويحسون دمه، وكانت العرب عند القحط تفصد الناقة فيستخرجون دمه ويشربونه؛ ومنه المثل: "لم يحرم القرى من فصد له"، يضرب لمن نال بعض حاجته.

(2) انتشوا: سكروا، والصريح: الخالص مما يشوبه، والسديف: شحم السنام، والمرهد: المقطع.

(3) أي منادمتهم.

(4) الجادي: الزعفران، والفتيت: المفتوت المتكسر، والمبدد: المتفرق.

(5) الزرابي (جمع زريبة) وهي ما بسط وأتكئ عليه، والقسوب: الخف، والريط: الملاعة، والمعصد من السهام: الذاهب يمينا وشمالا عند الرمي.

(6) النطف: الأقرط (جمع نطفة بالتحريك وبضم النون أيضا) وهي القرط، واللؤلؤة: الصافية. والتكفاف: أطراف الدياجة، والدياجة (بالكسر) واحدة الدياج: وهي الثوب الذي سداه ولحمته حرير. وتقدد: تشقق.

وقاتل المسلمين في دومة الجندل، وحضر وقعة اليرموك - وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما - في جيش الروم، فانهزم الروم وجبلة معهم. ثم أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه.

وقيل إن رسول الله ﷺ بعث إليه شجاع بن وهب الأسديّ (من أسد خزيمية) في السنة السابعة هو وابن عمه الحارث بن أبي شمر الغساني، وهما إذ ذاك ملكا البلقاء من عمل دمشق؛ وكان جبلة آخر ملوك غسان، فكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوهُ إلى الإسلام فأسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ بجواب كتابه، وأعلمه بإسلامه وأرسل إليه هدية. ولم يزل ثابتاً على إسلامه حتى كان زمن خلافة عمر بن الخطاب، قدم عليه المدينة في جيش عظيم من قومه في زي عجيب قد لبسوا الدِّياج والحريز، وألبسوا خيولهم قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطاً جدته مارية - الآتي ذكرهما - فدخلوا المدينة، فلم تبق امرأة إلا خرجت تنظر إلى زي جبلة؛ وسُر عمر بقدمه ورحب به وألطفه وأدنى مجلسه. وكان عمر قد تجهز هو ومن معه من المسلمين للحج، فساروا وسار جبلة معهم هو وجيشه؛ فبينما الناس في الطواف إذ وطئ رجل من فزارة إزار جبلة فأنحل، فلطمه جبلة حتى هشم أنفه وكسر ثناياه، فشكا الفزاري إلى عمر، فأرسل إلى جبلة وقال له: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت فيما أن ترضي الرجل وإما أن أقيده منك⁽¹⁾، فقال جبلة: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقَةٌ وأنا ملك؟ قال عمر: الإسلام جمعك وإياه وسوَّى بينكما فلست تفضله إلا بالتقوى، فقال جبلة: فإن كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فسأتنصر. قال عمر: إذن أضرب عنقك،

(1) القود: القصاص، وأقاد القاتل بالقتيل: قتله به قوداً أي بدلا منه.

قال جبلة: قد ظننت يا أمير المؤمنين أنني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، وكان من سبنا ضربناه ومن ضربنا قتلناه، قال عمر: دع عنك هذا إنما نزل القرآن بالقصاص فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك - وكان قد اجتمع بباب عمر من أنصار الفزاري وأنصار جبلة خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة - فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال: أمهلني يا أمير المؤمنين الليلة حتى أنظر في أمري. فلما كان الليل ركب فيمن طاووعه من بني عمه وهرب إلى قسطنطينية - دار مملكة قيصر - فسر هرقل بذلك وظن أنه فتح من الفتوح، وأقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء وجعله من محدثيه وسماره⁽¹⁾.

ويروى أن جبلة ندم على فعلته هذه، وقال في ذلك:

تنصرت الأشرافُ من عار لظمة	وما كان فيها - لو صيرتُ لها - ضرر
تكنفني فيها لجأجٌ ونخوةٌ	وبعت بها العينَ الصحيحةَ بالعور
فيا ليت أُمي لم تـلـدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عُمر
ويا ليتني أرمى المخاض بقفرة	وكنت أسيراً في ربيعةٍ أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ	أجالس قومي ذاهبَ السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يحبس العود الضجور على الدبر ⁽²⁾

ثم اتفق أن يعث عمرُ بعدُ عبدَ الله بن مسعدة الفزاريَّ إلى قيصر برسالة، فلما بلغه إياها قال له قيصر: لو شئت أن تدخل على ابن عمك الذي عندي؟ قال:

(1) النزل: المنزل وما هب للضيف أن ينزل فيه. ومحدثيه: أي الذين يكثرون الحديث معه. وسماره: المتحدثون معه ليلاً (جمع سامر).

(2) العود: المسن من الإبل (جمعه عوذة)، والضجور: الكثير الضجر (وهو القلق) من غم وضيق نفس، والدبر (بالتحريك): جمع دبرة: وهي قرحة تحدث من الرحل ونحوه.

فدخلت عليه فوجدته بمثل ما فيه قيصرٌ أو أعظم، حوله الجوارى يغنيه، فأقبل عليَّ يسألني؛ وكان مما سألني عنه حسَّان بن ثابت، ثم دعا بالشراب والطعام فجاء بهما في آنية الذهب والفضة فدعاني فامتعتُ، فقال: ما لك؟ قلت: نهانا رسولُ الله ﷺ عن الشرب والأكل في أواني الذهب والفضة، قال: نعم صلى الله عليه وسلم، لكن نقِّ قلبك من الدنس، ثم أنشد: تنصرت الأشراف من عار لكمة.. إلخ.

قال عبد الله: فلما سمعت ذلك طمعت فيه، فقلت يا جبلة لو شئت رجعت إلى الإسلام وعدت إلى أرضك وقومك، فقال: وهل إلى ذلك من سبيل؟ قلت: نعم، كان رجل من فزارة ارتدَّ وضرب وجوه المسلمين بالسيف، ثم تاب ورجع عن ذلك فقبلت منه توبته وصار من المسلمين وأنت أيسرُ منه خطبًا، فقال: إن ضمننت لي على أمير المؤمنين أن يوليَّني على أرض وأن يزوجني بنته، قال: قلت: نعم، فقال: اكتب لي بذلك إلى أمير المؤمنين فكتبته، وأمر لي بجائزة وبعث معي هدايا ولطفًا⁽¹⁾ إلى حسان بن ثابت، وقال لي: إن وجدته حيًّا فادفعها إليه وإلا فاشتر بها بُدْنا وانخرها على قبره.

قال فلما قدمتُ على عمرٍ أخبرته بخبر جبلة فقال عمر: أو رأيت جبلة يشرب الخمر؟ قال: نعم، قال: أبعده الله تعجل فانية اشتراها بباقية فما رجحت تجارتها. قال: فلم أزل أحدثه بخبر جبلة حتى انتهيت إلى خير الهدايا التي بعث بها إلى حسان، فقال عمر: اسكت حتى أبعث إليه، فجاء بحسان - وهو أعمى - يقوده ابنه عبد الرحمن، فقال: والله إنني لأجد ريح آل جفنة، وجعل ينشق ويقول: والله إنني لأجد ريح آل جفنة، فلما أخبره أنشأ يقول:

(1) اللطف (محرمة): الهدية، يقال: أهدى إليه لطفًا، وما أكثر تحفه والطفاه.

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يَغْذُهُمُ آبَاؤُهُمُ بِاللُّومِ⁽¹⁾
 لم يَنْسِنِي بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا كَلًّا وَلَا مَتَنَصِّرًا بِالرُّومِ
 وأتيته يوماً ففُـرِبَ مَجْلِسِي فسقى وروائي من الخراطوم⁽²⁾
 يعطي الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم

فقال له عمر: أفي هذا الموضع تُنشد الشعر؟ فقال: والله لقد أنشدته هنا - يعني المسجد - بين يدي من هو أفضل منك - يعني النبي ﷺ.

وهكذا كان ملوك آل جفنة قد حفظوا الوداد لحسان، وأقاموا على برهم به حتى بعد سقوط دولتهم، بل وبعد وفاته رضي الله عنه؛ قال عبد الله بن مسعدة ثم ردني عمر إلى جيلة بالإجابة لما اشترط عليه، فلما قدمت قسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن باب الشقاء غلب عليه. [نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من درك الشقاء].

ولما غزا المسلمون قسطنطينية في خلافة معاوية رأوا قبتين مضروبتين بباب المدينة، فإذا كانت الجولة على الروم ضرب في إحدى القبتين بالدفوف وإذا كانت على المسلمين ضرب في الأخرى بالدفوف، فسألوا عن ذلك، فقيل هنا بنت قيصر تضرب في دفوفها للروم، وبنت جيلة تضرب في دفوفها للعرب. والله تعالى أعلم.
 ثم قال رحمه الله:

وَأَعْدُدْ لِنَسَانِ الْمَعْمَرِ سَطِيحٌ الْمُنْطَوِي لَا عَظْمَ فِيهِ كَالسَّفِيحِ
 حَتَّى إِذَا مَا أَعْضَبُوهُ انْفَتَحَا وَلَا يُجَاوِزُ اضْطَجَاعًا إِنْ صَحَا

(1) غذاه: أي ربه، وغذاه تغذية: أعطاه الغذاء وهو ما يكون به من نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب. واللوم (مخفف): اللوم وهو البخل وشح النفس ودناءة الأصل.

(2) الخراطوم: الخمر السريعة الإسكار.

وَأَعْدَدُ لَهَا ابْنَ أُخْتِهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ الْكَاهِنَ الَّذِي لَهُ عُمَرُ فَسِيحٍ
وَأَذُوتَى سَيْفُ الْإِلَهِ الْحِيرَةَ وَأَرْهَقْتَ جِيُوشَهُ الْجَزِيرَةَ
وَجَدَ سِمَّ سَاعَةٍ بِيَدِهِ فَشَرِبَ السَّمَّ وَلَمَّا يُوَدِّهِ
وَبَنَتْهُ كَرَامَةً اسْتَوْهَبَهَا شَوِيلُ مِنْ طَهَ وَإِذْ وَهَبَهَا
بَعْدُ لَهُ خَالِدٌ افْتَدَتْ بِمَا غَاظَ بِهِ لِلْقَلَّةِ الْعَرَمَرَمَا
مَارِيَّةٌ ذَاتُ غَلَاءِ الْقُرْطِ وَالْجِدْعُ ذُو الْمَثَلِ حِينَ يُعْطِي

المعمر (بصيغة اسم المفعول - كمعظم): الذي طال عمره. وسطيح (بوزن أمير): بدل من المعمر (ووقف عليه بوقف ربعية). والسطيح: المنبسط الذي لا يتحرك لضعف أو مرض، والمراد به هنا الكاهن المشهور ربيع بن ربعية الغساني. والسفيح (كأمير): الكساء الغليظ. وانفتح: يعني به انتفخ غضباً، على سبيل الاستعارة. وصحا: زال غضبه. والضمير في لها: عائد على غسان. والضمير في ابن أخته عائد على سطيح. وعبد المسيح (بالنصب): بدل من ابن أخته، وهو ابن عمرو بن قيس الغساني. والكاهن (بالنصب): صفة لعبد المسيح. والفسيح: الواسع. وسيف الإله: لقب لخالد بن الوليد⁽¹⁾. والحيرة: مدينة في العراق بين النجف والكوفة - كما مر. وأرهقت: أي حملت أهلها على ما لا يطيقون. والضمير في جيوشه: عائد على سيف الإله. والجزيرة: الأرض التي يحيط بها الماء من كل جهة. وفاعل كل من وجد وشرب: ضمير مستتر عائد على سيف الإله. وسم

(1) لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي البخاري والترمذي ومسنده أحمد: لما قتل أمراء جيش مؤتة أمر الصحابة مكانهم خالد بن الوليد، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك رضي أمرهم، وصوب رأيهم، وسمى خالدًا يومئذ: "سيف الله".

ساعة: أي يقتل لساعته. والضمير في بيده: عائد على عبد المسيح. ويوده (بضم الياء وسكون الواو): يهلكه، والضمير فيه عائد على سيف الإله أيضا.

يقول ومن غسان - أيضا - الكاهنان المشهوران: سطيح بن ربيعة بن عدي وابن أخته عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغسانيان. أما سطيح فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن مازن بن ذئب بن عدي بن مالك بن عمرو بن مزيقيا الغساني، ويعرف بالذئبي، وهو كاهن جاهلي مشهور كان من المعمرين يعرف - أيضا - بـ"سطيح" لم يكن مثله في بني آدم. وكان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه؛ وقد تحاكم عليه عبد المطلب بن هاشم وجماعة من قيس عيلان في خلاف بينهم على ماء بالطائف؛ وكان يضرب المثل بجودة رأيه. وفي ذلك يقول ابن الرومي:

تبدي له سر العيون كهانة يوحى بها رأي كـ رأي سطيح

ويقول الأعشى ميمون بن قيس:

ما نظرت ذات أشفار كـ نظرتها حقا كما نطق الذئبي أو سجعاً⁽¹⁾

سطيح وعبد المسيح الكاهنان

وكان سطيح هذا دائما منسطحا على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، لأنه لحم لا عصب ولا عظم فيه سوى رأسه وكفيه؛ وكان يطوي من رجله إلى ترقوته كما يطوى الحصير أو الثوب، ولا يتحرك منه إلا لسانه، وكان يتكلم بكل أعجوبة، وكان إذا غضب انتفخ وجلس؛ وقد عمل له سرير من السعف والجريد والخص، فإذا أريد نقله إلى مكان يطوى ويوضع على ذلك السرير فيذهب به إلى

(1) قبل هذا البيت:

قالت أرى رجلا في كفه كنف أو يخصف النعل لهفي أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي الموت والسلعا ما نظرت .. إلخ.

حيث يشاء؛ وإذا أريد تكهنه وإخباره عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عن المغيبات. وهو من أهل الجايبة (مدينة من مشارف الشام) مات فيها بعد مولد النبي ﷺ بقليل. وكان الناس يأتونه فيقولون: جئناك بأمر فما هو؟ فيجيبهم على ما في أنفسهم، وقد قيل له أنى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يؤدي إلي من ذلك ما يرد. وقيل إن سطيحا هذا ولد في أيام سيل العرم، وخرج من مأرب مع رهط من الأزد في أيام تفرق الناس منها، وعاش إلى زمان مولد النبي ﷺ.

وأما ابن أخته عبد المسيح فهو الكاهن المشهور عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقيلة⁽¹⁾ الغساني من بني عمرو بن مازن بن الأزد. كان أيضاً من المعمرين وكان من الكهان المشهورين، قيل عاش أربعمئة سنة.

وقد روي أنه لما تحصن أهل الحيرة من خالد بن الوليد أتاه عبد المسيح وفي يده سم ساعة في قارورة يقلبها، فقال له خالد: ما هذا؟ فقال عبد المسيح: هذا - وأمانة الله - سم ساعة، فقال خالد: ما تصنع به؟ قال: إن وجدت عندك ما أحبُّ لقومي قبلته، وإلا شربته ولم آت قومي بما يسوءهم، قال خالد: هاته، فأفرغ السم في راحته وقال: لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله خير الأسماء ورب الأرض والسماء.. فأهووا إليه ليمنعوه، فبادرهم

(1) بقيلة (بالتصغير): لقب الحارث الغساني جد عبد المسيح، قيل لقب به لأنه كان قد خرج على قومه في بردين أحضرين فقالوا له: يا حارث ما أنت إلا بقيلة خضراء، فاشتهر بذلك من ثم فقيل عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة.

وشربه فغشيه عرق ثم سري عنه. فأتى عبد المسيح قومه - وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب - فقال لهم: جئتمكم من عند رجل شرب سمّ ساعة ولم يضره، فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا. فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة، فكانت من أول مال ورد على أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقد روي أنه لما ولد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى⁽¹⁾ أنوشروان فسقطت منه أربع عشرة شرفة - وكانت له اثنتان وعشرون شرفة - وانشق بحيث سمع صوته وبقي كذلك آية، وهدت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف سنة، وغاضت بحيرة ساوة⁽²⁾ (وهي بين همدان وقم) وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكان يعبر عليها بالسفينة؛ وبقيت كذلك ناشفة يابسة حتى بنيت موضعها مدينة ساوة، ورأى الموبدان: كأن إبلا صعبا تقودُ خيلاً عرابيا⁽³⁾ حتى عبرت دجلة وانتشرت في بلاد فارس. فلما أصبح كسرى تجلد وجلس على سرير ملكه ولبس تاجه وأرسل إلى موبدان وأخبره بخبر سقوط الإيوان وحمود النار، فقص عليه الموبدان خبر رؤياه أيضا، فقال كسرى للموبدان: ما ترى؟ - وكان الموبدان أعلمهم - فقال موبدان: هذا حدث يكون من جانب العرب. فكتب حيثئذ: "من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أن ابعث إلى رجلا من العرب يخبرني عما أسأله عنه". فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو هذا، فقال له كسرى: يا عبد المسيح هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: يسألني الملك، فإن كان عندي منه علم

(1) ارتجس البناء: تحرك واهتز فسمع له صوت، والإيوان: القصر.

(2) حمدت: أي طفت، وغاضت: أي غار ماؤها ونضب.

(3) صعبا (جمع صعب): وهي التي تركت فلم تتركب ولم ترض، والعراب (بالكسر): خلاف البراذين، وهي الكرائم السالمة من المهجنة.

أعلمته وإلا أعلمته بمن عنده علمه. فأخبره به، فقال: علمه عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح. فقال له كسرى: اذهب إليه فاسأله وأخبرني بما يخبرك به. فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح - وهو مشرف على الموت - فأنشد عبد المسيح رجاء، فلما سمعه سطيح رفع رأسه إليه وقال: "عبد المسيح، من بلد نزيح⁽¹⁾، على جمل مشيخ، جاء إلى سطيح، وقد وافاه على ضريح، بعثك ملك ساسان⁽²⁾، لارتجاس الإيوان، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان؛ رأى إبلا صعبا، تقود خيلا عربا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس.. يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة⁽³⁾، وحمدت نيران فارس، لم يكن بابل للفرس مقاما، ولا الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، ثم يكون هنأت، وكل ما هو آت آت.." ثم مات.

فرجع عبد المسيح إلى كسرى وأخبره بما قال سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور. فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى زمان خلافة عثمان.

قوله: وبنته: مبتدأ، والضمير فيه عائد على عبد المسيح. وكرامة (بوزن سحابة): بدل منه، وخير المبتدأ جملة استوهبها أي طلب هبتها. وشويل (بوزن أمير): فاعل استوهبها، وهو ابن أوس الطائي. وطه: من أسمائه صلى الله عليه

(1) نزيح: أي بعيد.

(2) الساسانيون: سلالة فارسية ملكت أكثر من أربعمئة سنة أسسها اردشير الأول وأشهر ملوكها: شاپور الأول وشاپور الثاني وكسرى أنو شروان.

(3) السماوة (بفتح أوله وتخفيف الميم): مفازة بين الكوفة والشام، وقيل بين الموصل والشام، وهي من أرض كلب، سميت بذلك لعلوها وارتفاعها.

وسلم. وبعد: ظرف مبني على الضم. وخالد (بالرفع): فاعل وهبها. والضمير في له: عائذ على شويل. وافتدت: فاعله ضمير يعود على كرامة، أي أعطته مالا لتتخلص به منه. وغاظه: حملة على الغيظ وهو الغضب أو أشده. والعمرموم: الجيش الكثير.

أشار رحمه الله بهذين البيتين إلى ما روي أن رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك سمعه شويل يذكر الحيرة وأنه أريها ورفعت له وأنها ستفتح على المسلمين، فسأله شويل كرامة بنت عبد المسيح، فقال: «هي لك إذا فتحت عنوة». فلما طلب أهل الحيرة الصلح من خالد قام إليه شويل فذكر له ذلك، وشهد له محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير، فأبى خالد أن يكتبهم إلا بشرط إسلام كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل، فثقل ذلك عليهم؛ فقالت لهم: هونوا عليكم وأسلموني له فإني سأفتدي منه، ففعلوا وكتب خالد بينه وبينهم كتابا. ولما اشتد على قومها دفعها إلى شويل وأعظموه قالت: ما تخافون علي وقد بلغت ثمانين سنة؟ وإنما هذا رجل أحمق رأني في شيبتي فظن أن الشباب يدوم! فدفعوها إلى خالد فدفعها خالد إلى شويل، فقالت له: ما أريك في عجوز كما ترى؟ فادني⁽¹⁾؛ فقال: لا إلا على حكمي، قالت: فلك حكمك مرسلا، فقال: لست لأم شويل إن نقصتك عن ألف درهم، فاستكثرت ذلك لتخدعه، ثم أتته بها فرجعت إلى أهلها. فتسامع الناس بذلك فعنفوه، فقال: ما كنت أحسب عددا فوق الألف! فخاصمها إلى خالد، وقال: كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا أن العدد يزيد على الألف، فقال له خالد: أردت أمرا وأراد الله غيره، ونأخذ ما ظهر وندعك ونيتك كاذبا كنت أو صادقا.

وقوله: مارية مبتدأ خبره محذوف تقديره من غسان. وذات: صفة لمارية.

(1) فاداه فداء ومفاداة: أطلقه وأخذ فديته، والفداء: ما يعطى من مال ونحوه عوض تسريح المقتدى.

والقرط (بضم فسكون): ما يعلق في أسفل الأذن من ذهب أو فضة أو غيرهما⁽¹⁾.
وغلاؤه: ارتفاع سعره وقيمته. والجذع (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة):
عطف على مارية، وهو جذع بن سنان الغساني. وذو المثل: أي صاحبه، والمثل
الذي يعني هو "خذ من جذع ما أعطاك"، يضرب في اغتنام ما يوجد به البخيل.

يقول: ومن غسان - أيضا - مارية بنت أرقم (صاحبة القرطين) وجذع بن سنان
الغسانيان؛ أما مارية فهي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عوف بن
عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا الغسانية جدة بعض ملوك آل جفنة، ابنها الملك
المشهور الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي ثمر الغساني؛ وهي التي يعني
حسان بن ثابت الأنصاري بقوله:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد الأفضل .. إلخ.

وقيل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، أخت
هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

خبر قرطي مارية

وكان لمارية هذه قرطان، قيل كانت فيهما مائتا دينار، وقيل فيهما جوهر قووم
بأربعين ألف دينار، وقيل كانت فيهما درتان كبيضتي الحمامة لم يُر مثلهما؛ فضرب
بهما المثل: "خذه ولو بقرطي مارية" أي على كل حال. قيل توارثتهما الملوك
الغساسنة حتى وصلا إلى آخرهم وهو جبلة بن الأيهم، وكانا في تاجه حين وفد
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كما مر. وقيل بل أهدتهما إلى الكعبة، وقيل

(1) قال ذو الرمة:

والقرط في حرة الذفرى معلقه تباعد الحبل منه فهو يضطرب

أي في أذن حرة الذفرى أي كرمته وعتيقته.

تداولتهما الملوك حتى وصلا إلى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خيرها في أن تقيم معه أو تضعهما في بيت المال؛ فوضعتهما فيه.

وأما جذع فهو ابن سنان⁽¹⁾، وقيل ابن عمرو الغساني؛ كان شاعرا جاهليا قديما. وأصل هذا المثل، الذي أشار إليه الناظم بقوله والجذع ذو المثل.. أن جذعا هذا كان قد خرج مع من خرج من الأزدي قبل سيل العرم فجاءوا إلى الشام - وكان ملكها إذ ذاك لسليخ وهم من غسان أيضا وقيل من قضاة - فأقاموا معهم وجعلوا يؤدون لهم خراج دينارين على كل رجل.

فجاء يوما عامل الملك إلى جذع يطلب منه ما عليه، فدفع إليه سيفه رهنا، فقال السليخي: أدخله في حر أمك!، فغضب جذع وضرب السليخي بالسيف حتى برد وقال: "خذ من جذع ما أعطاك" فذهبت مثلا؛ وامتنعت غسان من دفع ذلك الخراج بعد. ولم يزالوا ينازعون السليخيين حتى خلفوهم على الشام. وقيل في سبب هذا المثل غير ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) قيل إن جذعا هذا وحارثة بن ثعلبة جد الأنصار ماتا من صبيحة كانت بين السماء والأرض سمع فيها صهيل الخيل. [الروض الأنف].

نسب الأنصار*

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

أَوْسٌ وَخَزْرَجٌ هُمُ الْأَنْصَارُ وَقَيْلَةٌ أُمُّهُمَا وَآخْتَارُوا
 أَنَّ لِحِيًّا ابْنَ وَالِدِهِمَا حَارِثَةَ بْنِ مُبْتَنِي مَجْدِهِمَا
 ثَعْلَبَةَ الْعَنْقَاءِ عَن مُزَيْقِيَا عَن مُنْذِرِ مَاءِ السَّمَاءِ الْأَذْكِيَا

أوس والمعطوف عليه مبتدأ وخبره جملة: هم الأنصار، والأوس في الأصل: العطية، ومنه اشتق اسم جد هذه القبيلة. والخزرج (كجعفر) في الأصل: الريح الباردة، وسمي به الخزرج بن حارثة بن العنقاء جد هذا الحي من الأنصار، وغلب عليهم اسم أبيهم؛ وقد كانت العرب تسمي بكل ما يجول في أحيلتها مطلقاً، فتارة تسمي بأسماء الحيوانات كأسد وفهد وكلب وعنز وبكر.. وتارة بأسماء النباتات كحنظلة وحمزة وبقيلة.. وتارة بأنواع الأرض كحزن وسهل وفهر وصخر وجبل.. وغير ذلك⁽¹⁾. قوله قيلة (بفتح القاف): مبتدأ خبره أمهما، والضمير عائد على

* شرع رحمه الله في الكلام على الأنصار وبدأ بذكر نسبهم والخلاف المروي في سبب نزوحهم من اليمن ونزولهم على يهود يثرب ومخالفتهم لهم، ثم استطردهم الخلاف في سبب نزول اليهود لها قبل قدوم الأنصار عليهم وسبب دخول اليهودية اليمن على يد الملك تبع، ثم ذكر أول إسلام الأنصار وسببه ومراحل قدوم وفود الأنصار على رسول الله ﷺ بمكة ومبايعتهم له على الخروج إليهم بالمدينة، وأسماء قبائلهم، بالإضافة إلى بعض الاستطرادات وكل ذلك في نحو خمسين بيتاً.

(1) أما فهد فهو اسم سبع، جمعه: فهود وأفهد، وأما حنظلة فواحدة الحنظل وهو نبت شديد الحرارة، وحمزة من أسماء الأسد ويقال أيضاً لنوع من البقل، وأما بقيلة فتصغير بقلة واحدة البقل، والحزن: ما غلظ من الأرض، والسهل من الأرض: ضد الحزن، والفهر (بالكسر): الحجر قدر ما يملأ الكف

<<=

الأوس والخزرج، والضمير في اختاروا: لعلماء النسب، وإن لم يتقدم لهم ذكر لحضورهم في الذهن. ولحيا هو بصيغة التصغير واسمه ربيعة بن حارثة. وابن والدهما (بالنصب): صفة للحيا. والضمير في والدهما للأوس والخزرج. وحارثة (بالجر بالفتحة للمنع من الصرف): بدل من والدهما. ومبني: اسم فاعل من ابنتى الشيء إذا بناه، وهو صفة لثعلبة. والمجد: العز والرفعة جمعه أجماد. وثعلبة (بالجر بالفتحة أيضا): بدل من مبني. والعنقاء (بالجر): بدل أو عطف بيان على ثعلبة. وقوله عن مزيقيا: متعلق بمبني مجدهما. وقوله عن منذر: متعلق بمبني أيضا. وقوله ماء السماء (بالجر): بدل أو عطف بيان على منذر، ولعل المنذر هو عامر بن حارثة الغطريف. والأذكيا: جمع ذكي وهو سريع الفطنة والفهم؛ وهو صفة لحارثة وآبائه المذكورين.

والمعنى أن ثعلبة العنقاء ابنتى المجد لأحفاده، وقد ورثه عن أبيه عمرو الملقب مزيقيا، الذي ورثه عن أبيه المنذر الملقب ماء السماء؛ ولتضمن الوراثة للأبوة استغنى عن سرد نسب ثعلبة إلى ماء السماء بوصفه لثعلبة بوراثة المجد عن أبيه عن جده ماء السماء. وهذا في معنى قول الشاعر في نسب عبد الله والد رسول الله ﷺ:

قد أورث المجد عبد الله شيبه عن عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

وإنما وصف الناظم حارثة هذا وآبائه المذكورين بابتناء المجد لتبنيه على شرف

----->>>

جمعه: فهور وأفهار. والصخر: الحجر العظيم الصلب، وهو جمع صخرة. هذا وقد ذكر أهل النسب أن وائلا كان إذا ولد له ولد خرج من خباته فما وقعت عينه عليه سماه به، فلما ولد له بكر وقعت عينه على بكر من الإبل فسماه به، فلما ولد له تغلب رأى شخصين يتغالبان فسماه تغلب، فلما ولد له عنز رأى عنزا (وهي الأنثى من المعز) فسماه عنزا، فلما ولد له الشيخيص خرج فرأى شخصا على بعد صغيرا فسماه الشيخيص؛ وكل هؤلاء الأربعة صار جدا لبطن عظيم.

أجداد الأنصار وتوارثهم المجد كإبراهيم عن كابر.

يعني أن الأنصار لقب غلب على الحيين المشهورين: الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن مزريقيا بن ماء السماء، وكانوا ينسبون في الجاهلية إلى أمهم قبيلة بنت الأرقم الغسانية فيقال لهم بنو قبيلة، وأن بعض علماء النسب اختار في نسب لحي انه ابن حارثة هذا، فهو إذا أخو الأوس والخزرج ؛ وقد مر الكلام في نسب لحي والخلاف فيه غير بعيد عند قوله: خزاعة كذلك لكن انخرع.. إلخ.

تعريف الأنصار وذكر بعض مناقبهم

والأنصار في الأصل جمع ناصر (كصاحب وأصحاب) أو جمع نصير (كشريف وأشرف)، وناصر الشخص: معينه ومظاهره على نيل غرضه، وهو وصف عام لجميع من نصره صلى الله عليه وسلم وآواه وحماه. ولما كانت للأوس والخزرج في هذه الخصال اليد البيضاء، اختصوا في العرف الشرعي باسم الأنصار فصار علما بالغبلة عليهم لا يشاركهم أحد في لفظ الأنصار إلا من كان معهم بالحلف؛ وقد سماهم الله تعالى به في كتابه وسماهم به رسول الله ﷺ لِمَا خصهم الله تعالى به من نصرته نبيه صلى الله عليه وسلم وإيوائه ومواساته والدفاع عنه ومحاربة أعدائه⁽¹⁾ لما هاجر من مكة إلى المدينة، وكذلك آووا الذين هاجروا معه من أهل مكة ؛ وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلا شك أفضل، والأنصار يلونهم في الفضيلة.

(1) ولحسان بن ثابت الأنصاري من قصيدة له:

عـلام تدعى سليم وهي نازحة	أمام قوم هُمُ آووا وهُمُ نصروا
سماهم الله أنصارا لنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستمر
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا	للناتبات فما خامسوا ولا ضجروا.. إلخ.

ومآثر الأنصار كثيرة وشهيرة، وكفاهم شرفا قول الله تعالى فيهم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾⁽¹⁾، فليس بعد ثناء الله تعالى ثناء وليس فوق ذكره ذكر. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر — ولم يصعده بعد ذلك اليوم — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبي⁽²⁾ وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم»⁽³⁾، وقال: «لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا (أوشعبا) لسلكت وادي الأنصار»، وقال: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»⁽⁴⁾ — وفي رواية: «ولذراري الأنصار».

والأنصار هم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء (لقب به لطول عنقه) ابن عمرو، وهو مزيقيا (لقب به لأنه كان يلبس كل يوم حلة ثم يمزقها بالعشي يكره أن يعود فيها ويأنف أن يلبسها غيره) ابن عامر، وهو ماء السماء (لقب به

(1) الحشر: 9.

(2) أي بطانتي وخاصتي وموضع سري وأمانتي، والكرش في الأصل معدة الإنسان ومستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه وبقاؤه، والعيبة ما يجرز فيه الرجل نفيس ما عنده، فالأول أمر باطن، والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، وهذا من كلامه المرجز الذي لم يسبق إليه.

(3) رواه مسلم والترمذي؛ والذي عليهم هو نصرته صلى الله عليه وسلم، والذي لهم هو الجنة.

(4) أخرجه الترمذي.

لجوده لأنه كان إذا أجذب قومه كان لهم خلفا من المطر) ابن حارثة الغطريف (لقب به لسيادته وشرفه) ابن امرئ القيس البطريق (وهو القائد) ابن ثعلبة البهلول (وهو السيد الجامع لكل خير) ابن مازن⁽¹⁾ الشداخ بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شاخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. ويقال لمزيقيا أيضا البهلول، وقد قال عمرو بن حرام، جد حسان بن ثابت الأنصاري:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجدا مؤثلا
ولأوس بن الصامت الأنصاري:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي أبوه منذر ماء السماء
وفي رواية:
عامر ماء السماء
ومنذر وعامر مترادفان وماء السماء لقبه.

وكان الأنصار في الجاهلية يُدعون "بيني قبيلة"، نسبوا إلى أمهم قبيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة الغساني الأزدي، وقيل هي بنت كاهل بن عذرة من بني إلحاف بن قضاة، فعرفوا بها فقبل لهم أبناء قبيلة. واشتهر كل من الحيين باسمه الخاص فيقال لبني الأوس "الأوس" ولبني الخزرج "الخزرج".

ولحسان بن ثابت يفتخر بنسبهم هذا ونصرهم لرسول الله ﷺ:

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتق
رسا في قرار الأرض ثم سميت له فروع تسامي كل نجم محلق

(1) مازن هو جماع غسان.

ملوك وأبناء الملوك كأننا	سوارى نجوم طالعات بمشرق
إذا غاب منها كوكب لاح بعده	شهاب متى ما بيد للأرض تُشرق
لكل نجيب منجب زخرت به	مهذبة أعراقها لم ترهق ⁽¹⁾
كجفنة والقمقام عمرو بن عامر	وأولاد ماء المزن وابني محرق ⁽²⁾
وحارثة الغطريف أو كآبن منذر	ومثل أبى قابوس رب الخورنق ⁽³⁾
أولئك لا الأوغاد في كل مآقط	يردون شأوا العارض المتألق ⁽⁴⁾
بطعن كإيزاغ المخاض رشاشه	وضرب يزيل الهام من كل مفرق ⁽⁵⁾
أتانا رسول الله لما تجهمت	له الأرض يرميه بها كل موفق ⁽⁶⁾
تطرده أفناء قيس وخندف	ككاتب ان لا تغد للروع تطرق ⁽⁷⁾
فكنا له من سائر الناس معقلا	أشم منيعا ذا شماريخ شهق ⁽⁸⁾
مكللة بالمشرفي وبالقنا	بها كل أظمى ذي غرارين أزرق ⁽⁹⁾

- (1) زخرت: كرمت، من قولهم فلان زاحر أي كريم. والمهذبة البريئة من العيب. والأعراق الأصول. ولم ترهق: أي لم تصب بإثم أو اتهام.
- (2) جفنة هو ابن عمرو أول ملوك الغساسنة. والقمقام: السيد العظيم ذو الفضل العميم. وعمرو بدل من القمقام وهو مزيقيا بن عامر، وهو ماء السماء. والمراد بأولاد ماء المزن: أولاد ماء السماء. والمحرق: لقب الحارث بن عمرو من آل جفنة، يقال هو أول من أحرق العرب في ديارهم.
- (3) حارثة الغطريف: هو والد ماء السماء، وابن منذر هو عمرو بن هند من ملوك الحيرة. وأبو قابوس: هو النعمان بن المنذر. والخورنق: قصر النعمان.
- (4) الأوغاد: جمع وغد وهو الضعيف العقل والأحمق الدني. والمآقط: المعترك. والعارض: الجيش الضخم، والمتألق: الذي يبرق لما عليه من الحديد.
- (5) الإيزاغ: قذف الناقة ببوها، والهام: الرؤوس (جمع هامة).
- (6) تجهمت: تنكرت، والموفق: من أوفق السهم: وضع الفوق في الوتر ليرمي. وفوق السهم طرفه الذي يكون من ناحية الوتر.
- (7) الأفناء: الأخلاط. والكاتب: جمع كتيبة: القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل. والروع: الحرب والفرع، وتطرق: من الطروق وهو المحيئ ليلا (مقابل الغدو).
- (8) المعقل: الملاذ. والأشم: المرتفع. والشماريخ: جمع شمراخ: وهو رأس الجبل، والشهق: العالية.
- (9) القنا: الرماح، والأظمى: الرمح الأسمر. وذو غرارين: أي ذو حدين.

تذود بها عن أرضها خزرجية
تؤازرها أوسية مالكية
كأسد كراءٍ أو كجِنَّةٍ ثَمَنق⁽¹⁾
رقاق السيوف كالعقائق ذلق⁽²⁾ الخ.

ويقول أيضا:

فإن تك عنا معشر الأسد⁽³⁾ سائلا
لزيد بن كهلان الذي نال عزه
إذا القوم عدوا مجدهم وفعالهم
وجدت لنا فضلا يقر لنا به
وله رضي الله عنه في رسول الله ﷺ:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا واطمأننت به النوى
وأصبح لا يخشى عداوة ظالم
بذلنا له الأموال من جل مالنا
نحارب من عادى من الناس كلهم
ونعلم أن الله لا رب غيره

ويقول من قصيدة:

-
- (1) تذود: تدفع وتحمي. وكراء: مأسدة. وثمانق: اسم موضع.
(2) تؤازرها: تقويها وتعينها. والعقائق: جمع عقيقة وهي ما يبقى في السحاب من شعاع البرق، وبه تشبه السيوف فتسمى عقائق. والذلق: الماضية.
(3) الأسد والأزد اسمان ترادفا.
(4) دراري النجوم: الثاقبة المضئية، والشوابك: المختلطة.
(5) ثوى: أقام. وحجة: سنة. ومواتيا: موافقا وملائما.
(6) يؤوي: يرق له ويرحمه. وداعيا: مليبا دعوته.
(7) الوغى: الحرب. والتأسي: المواساة.

فلما أتانا رسول الملى
رکنا إليه ولم نعصه
وقلنا صدقت رسول الملى
فنشهد أنك عند الملى
فناد بما كنت أخفته
فإنا وأولادنا جنّة
فَنَحْنُ وَأَلَاتُكَ إِذْ كَذَبُوكِ
فطار الغواة بأشباعهم
فقمنا بأسافنا دونّه
بكل صقيل له ميعه
إذا ما يصادف صم العظا
فذلك ما أورثتنا القرو
ك بالنور والحق بعد الظلم
غداة أتانا من ارض الحرم
هلم إلينا وفينا أقم
ك أرسلت حقا بلدين قيم⁽¹⁾
نداء جهارا ولا تكتتم
نقيك وفي مالنا فاحتكم
فناد نداء ولا تحتشم
إليه يظنون أن يخترم⁽²⁾
نجالد عنه بغاة الامم
رقيق الذباب غموس خذم⁽³⁾
م لم ينب عنها ولم يتلهم
م مجداً تليداً وعزا أشم
.الخ.

ويقول من أخرى:

الله أكرمنا بنصر نبيه
وبنا أعز نبيه وكتابه
في كل معترك تطير سيوفنا
يتابنا جبريل في آياتنا
يتلو علينا النور فيها محكما
فنكون أول مستحلّ حلاله
وبنا أقم دعائم الإسلام
وأعزنا بالضرب والاقدام
فيه الجماجم عن فراخ الهام
بفرائض الإسلام والأحكام
قسماً لعمرك ليس كالأقسام
ومحرم لله كل حرام

- (1) الدين القيم: أي القويم المستقيم؛ ﴿دِينًا قِيمًا﴾ قرأ بها الكوفيون وابن عامر الشامي.
(2) الغواة: جمع غاو: الضال المنقاد للهوى. وأشباعهم: أتباعهم وأنصارهم. ويخترم: يقلع ويستأصل.
(3) الصقيل: السيف المصقول. والميعه: الصفاء. وذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. والغموس: النافذ. والخذم: القاطع.

نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام
..إلخ.

وله:

نصرنا وآوينا النبي وصدقت وأوائنا بالحق أول قائل
وكنا متى يفضز النبي قبيلة نصل حافتيه بالقنا والقنابل⁽¹⁾
ويوم قريش إذ أتونا بجمعهم وطننا العدو وطأة المتأقل
وفي أحد يوم لهم كان مخزيا نطاعنهم بالسهمري الذوابل
ويوم ثقيف إذ أتينا ديارهم كتائب نمشي حولها بالمناصل
ففرروا وشد الله ركن نبيه بكل فتى حامي الحقيقة باسل
ففرروا إلى حصن القصور وغلقتوا وكان ترى من مشفق غير وائل⁽²⁾
وله أيضا من قصيدة:

لنا حرة ماطورة بجبالها بني الجمد فيها بيته فتأهلا⁽³⁾
بها النخل والآطام تجري خلالها جداول قد تعلق رفاقا وجرولا⁽⁴⁾
إذا جدول منها تصرم ماؤه وصلنا إليه بالنواضح جدولا⁽⁵⁾
إلى أن يقول:

نصرنا بها خير البرية كلها إماما وقرنا الكتاب المنزلا
نصرنا وآوينا وقوم ضربنا له بالسيوف ميل من كان أميلا
..إلخ

(1) القنا: الرماح. والقنابل: المجموعة من الناس في الخيل.

(2) كائن: أي كثير. والمشفق: الهلع. وغير وائل: أي غير ناج من الهلاك.

(3) الحرة: أرض في المدينة ذات حجارة سوداء. وماطورة: محاطة بأطر. وتأهل: اتخذ لنفسه أهلا.

(4) الآطام: الحصون. والجداول: جمع جدول: مجارٍ تشق في الأرض للماء للسقاية. والرقاق (جمع رقة): الأرض المستوية. والجروول: القسم من الجبل الأكثر حجارة.

(5) تصرم: انقطع. والنواضح: جمع ناضح، وهي الناقة التي تستخدم لنقل الماء.

وله أيضا:

أروني سعودا كالسعود التي سمت
أقاموا عماد الدين حتى تمكنت
وكم عقدوا لله ثم وفوا به
بمكة من أولاد عمرو بن عامر⁽¹⁾
قواعده بالمرهفات البواتر⁽²⁾
بما ضاق عنه كل باد وحاضر

سبب نزول الأنصار المدينة

ثم أشار الناظم إلى بدء نزول الأوس والخزرج يثرب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَنَزَلُوا عَلَى يَهُودِ يَثْرِبِ إِذْ هَرَبُوا مِنْ سَيْلِ سَدِّ مَأْرِبِ
بِأَمْرِ عِمْرَانَ وَأَمْرِ الْكَاهِنَةِ زَوْجَتِهِ طَرِيفَةَ الْمَائِنَةِ
فِي فَمٍ شِيقٌ وَسَطِيحٌ تَفَلَّتْ فَخَلَفَا فِي الَّذِي تَقَوَّلَتْ
هَدِيَّهُمْ تُهْدَى إِلَى الْقَيْطُونِ قِيلَ يَهُودَ قَبْلَ زَوْجِ الْهُونِ
وَمَا لِكَ أَخُو ابْنَةِ الْعَجْلَانِ أَنْقَذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْهُوَانِ

الضمير في نزلوا وفي هربوا عائد على الأوس والخزرج المتقدم ذكرهم. ويثرب: اسم المدينة المنورة في العصر الجاهلي، قيل سميت باسم الذي اختطها وبنائها أولا،

(1) المراد بالسعود هنا سبعة نفر من الأنصار، ثلاثة من الخزرج وأربعة من الأوس، وكل منهم اسمه سعد، وهم: سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان، الخزرجيون، وسعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن زيد وسعد بن عبيد، الأوسيون. وقد نظمهم من قال:

سعود الأنصار اتسبن لزيد خيثمة عبادة عبيد

عثمان والربيع مع معاذ هم سبعة جعلتهم معاذي

وكونهم سبعة فيه نظر لأنهم كثيرون كابن إياس وابن الحارث وابن الصمة وابن زرارة.. وغيرهم. وقوله من أولاد عمرو بن عامر يعني بعمرو: مزيقيا، وبعامر: ماء السماء جدي الأوس والخزرج.

(2) المرهفات: السيوف. والبواتر: القاطعة الماضية.

وهو يثرب بن عبيل⁽¹⁾ بن شداد بن عاد بن عوص بن سام ؛ وقيل هو يثرب بن قايين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح - كما في الروض الأنف. وقد سميت في الإسلام بالمدينة المنورة وبطيبة وأسماء أخرى. والسيول: الماء الجاري على وجه الأرض. والسد (بضم السين - وتفتح - مشددة): الحاجز بين الشيئين. ومأرب (كمجلس): مدينة باليمن. وعمران: هو ابن ماء السماء. وزوجته (بالجر): بدل أو عطف بيان على الكاهنة، والأكثر حذف التاء منه. وطريفة (بوزن سفينة): بدل من زوجته، والمائة: صفة لها، أي الكاذبة (من مان يمين مينا فهو مائن: كاذب). يعني أن الأوس والخزرج لما خرجوا من اليمن سجت لهم طريفة الكاهنة بنزول يثرب، فنزلوا على يهودها وحالفوهم.

هذا وقد روي عن بعض أهل العلم بالنسب أن أكثر المعمور في اليمن كان لكهلان وحمير، ومنهم التبابعة؛ وكان من ملوكهم عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، وكان من بنيه عمران بن ماء السماء ؛ ملك بعد أبيه وكانت دار مملكته مدينة مأرب - كما مر - وبها مات وكان له من القصور والبساتين والمال ما لم يكن

(1) كما في البيهقي، وبنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول وبذلك سميت الجحفة، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسميتها يثرب لما فيه من لفظ التشريب فسمها طيبة والمدينة، وإن كانت قد وردت تسميتها بيثرب في القرآن وذلك لأن الله تعالى إنما ذكرها بهذا الاسم حكاية عن المنافقين ﴿إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم ..﴾ فنبه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله ورسوله به وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم، والله سبحانه قد سماها المدينة، فقال غير حاك عن أحد: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ..﴾ - الآية، وفي الحديث: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة» رواه أحمد في مسنده - كما في الجامع الصغير - وروي عن كعب الأخبار قال: إنا نجد في التوراة يقول الله للمدينة يا طابة يا طيبة يا مسكينة لا تقبلي الكنوز ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى. ومن أسمائها الجابرة والحبة والمحجوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة.. وغيرها.

لغيره من ملوكهم. وكان كاهنا لم يكن في زمنه أعلم منه وزوجته طريفة بنت الخير الحميرة كاهنة أيضا. وقد تكهنا بحوادث عجيبة. وقد أنبأت طريفة زوجها عمران بقرب انفجار سد مأرب، فأعلم بذلك عمراناً خاصيته وأخبر أخاه مزيقيا بن ماء السماء بأن بلاد أهل اليمن ستخرب ويغلب عليها أهل الحبشة فكتسم أخوه الأمر، ليحاول النزوح والجلء إلى بلاد أخرى، وأقبل يعرض ما عنده من القصور والبساتين للبيع فاشترها منه الحميريون، وتجهز للارتحال.

وسجعت طريفة الكاهنة لكل قبيلة من سبأ بالجهة التي تسير إليها؛ فسجعت لبني حارثة بن ثعلبة (وهم الأوس والخزرج) أن ينزلوا يثرب ذات النخيل. فلما جرى سيل العرم تفرق بنو مزيقيا في البلاد أيدي سبأ ونزحوا من اليمن، فنزل آل ثعلبة العنقاء بن مزيقيا يثرب - وكان نزولهم لها بأمر من الكاهنة طريفة الحميرية وزوجها عمران بن مزيقيا - ونزل بنو لخم بالعراق (وهم آل نصر) ومنهم المناذرة، ونزل بنو عمرو بن ربيعة بن مزيقيا بمكة (وهم خزاعة)، ونزل آل جفنة بالشام - كما مر.

أما الأوس والخزرج (بنو قبيلة) فقد نزلوا بضواحي يثرب ولم يكن لهم إذ ذاك نعم ولا شاء ولا خيل، فنزلوا على يهود يثرب؛ وكانت بها من اليهود ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. وكانت اليهود إذ ذاك أهل أموال وخيل ونعم، فحالفوهم وأقاموا معهم فكانت الدار واحدة؛ وقد وجدوهم أهل منعة وحرية يقيمون في الآطام تحسباً وتحصناً⁽¹⁾، وكانوا أهل عدد وقوة. فعاشوا بينهم في

(1) المنعة (بالتحريك): العز والقوة جمعه: منعات، يقال لهم منعات أي معاقل حصينة لا يقدر العدو عليها. والآطام: جمع أطم وهو الحصن المبنى بالحجارة والقصر وكل بناء مرتفع وتحصن اتخذ لنفسه حصنا وهو المكان المحمي المنيع.

الضواحي والقرى في شظف⁽¹⁾ من العيش وهوان وإذلال من اليهود ومكثوا معهم ما شاء الله على تلك الحالة ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم حوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمنعون به من سواهم، فتحالفوا أو تعاملوا؛ وكان اليهود يتحكمون فيهم حتى قيل إنهم ألزموهم خراجا يؤدونه إليهم. وقد بلغوا من إذلالهم ما روي من أنهم اشتروا عليهم أن لا تهدى عروس من الحيين الأوس والخزرج إلى زوجها حتى تدخل على القيطون ملك اليهود، فيكون هو الذي يفتضها. وظلوا على ذلك فترة طويلة حتى قويت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد وسودوا عليهم مالك بن العجلان، أخا بني سالم بن عوف بن الخزرج الخزرجي؛ فبينما هم على ما هم عليه مع اليهود إذ تزوجت أخت مالك بن العجلان، فخرجت إلى أخيها مالك وهو في نادي قومه فضلاً⁽²⁾، فنظر إليها أهل المجلس فشق ذلك عليه فدخل عليها فعنفها، فقالت: ما يُصنع بي غدا أعظم: أهدى إلى غير زوجي! فقال مالك: أكفيك ذلك، فقالت: وكيف؟ قال: أتريا بزي النساء وأدخل معك عليه بالسيف فأقتله.

فلما أمسى اشتغل على السيف ودخل مع النساء متنكرا فقتل القيطون وخرج هاربا فلاحق بالغسانيين بالشام واستنجدهم⁽³⁾ على اليهود وشكا إليهم حالهم معهم، فسيروا معه جيشا عظيما فقتل عظماء اليهود؛ فتمكن الأوس والخزرج من ملك

(1) شظف العيش: ضيقه وشدته، قال ابن الرقاع:

ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الأمور شداها

(2) الفضل (بضمّتين): المرأة إذا لبست ثوبا واحدا أو لبست ثياب مهنتها.

(3) استنجدهم: استعان بهم، وكان الذي استنجد من الغسانيين جيلة بن عمرو بن جبلة بن جفنة بن عمرو بن ماء السماء الغساني فأنجده، وسار معه حتى قتل وجوه اليهود ورجع ومات من علة شربها في ماء وهو منصرف عن يثرب. وجيلة هذا هو جد جبلة بن الأيهم آخر ملوك بني حفنة.

يثرِب و انقلبت الأوضاع رأسا على عقب، فأصبحت بنو قيلة سادة يثرِب. ثم عاد الجيش إلى الشام، وسود بنو قيلة مالك بن العجلان الخزرجي، فأثنخن بالقتل⁽¹⁾ في بقية اليهود حتى ضعفوا وذلوا وخضعوا لبني قيلة.. حتى طلبوا الحلف منهم؛ فحالفت بنو قريظة الأوس وحالفت بنو النضير وبنو قينقاع الخزرج. وصار اليهود هم الذين في جوار الأوس والخزرج - عكس ما كانوا عليه قبل - فكان كل بطن من اليهود إذا خافوا من أحد يلجأون إلى البطن الذي حالفوه من الأوس أو الخزرج ويقولون: إنما نحن مواليكم وجيرانكم، ويتعززون بذلك البطن؛ ولم يزالوا على تلك الحال وملك يثرِب للأوس والخزرج في الجاهلية.

حروب الأوس والخزرج

وظل الحيان على اتفاق ووثام فترة من الزمن، ثم لجأ اليهود إلى وسيلة جديدة هي الدس والخديعة ففرقوا بين القبيلتين وزرعوا الشر بينهما وأصبحوا يحاولون أن يؤججوا بينهم نار الفتنة والقتال، فلم يزالوا كذلك حتى نشبت بين الأوس والخزرج سلسلة حروب في الجاهلية تكاد تكون متصلة الحلقات بعضها قبل الإسلام بكثير وبعضها قبله بقليل؛ ومن أشهر تلك الحروب حرب سُمير، وحرب بُعات (وهما للأوس على الخزرج) وحرب كعب وحرب حاطب (وهما للخزرج على الأوس).

أما حرب سمير فأصلها أن الحيين أقاما على ملك يثرِب - بعد تغلبهم على يهود يثرِب - في اتفاق واجتماع، ولم يزالا كذلك حتى وفد عليهم وافد من ذبيان اسمه كعب فنزل على مالك بن العجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه فاتفق أن وقع

(1) أي بالغ فيه وأكثر، يقال: أثخن في العدو: بالغ في قتاله وأثنخن في الأرض: بالغ في قتل أعدائه.

بينه وبين رجل من الأوس اسمه سمير خلاف ، فعدا سمير على الذبياني حليف مالك فقتله، فوقع الخلاف بين الحيين (الأوس والخزرج) لذلك فكانت الخزرج تريد قتل سمير مكان حليفهم أو تدفع لهم دية كاملة، وامتنع الأوس وخاصة بنو عمرو بن عوف - رهط سمير - من ذلك وقالوا للخزرج: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية! فغضب مالك بن العجلان وأبى أن يأخذ الدية إلا كاملة أو يقتل سميرا. وكانت الأوس تكره أن تنشب الحرب بينهم وبين إخوتهم، فدعوا مالكا إلى أن يُحكّموا بينهم وبينه عمراً بن امرئ القيس - جد عبد الله بن رواحة - أحد بني الحارث بن الخزرج. فانطلقوا إليه، فحكّم على مالك أن ليس له إلا دية الحليف؛ فلم يرض مالك بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر بقبائل الخزرج فأجابوه إلا بني الحارث (لرفضه حكم صاحبهم). فزحف مالك بمن معه من الخزرج وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة وغيرهم، وتحاشد الحيان والتقوا بفضاء قريب من قباء واقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا وهم منتصفون جميعا، ثم التقوا مرة أخرى عند أطم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظفر للأوس على الخزرج.

ولبثت الأوس والخزرج متحارين نحواً من عشرين سنة في أمر سمير؛ ثم تحاكم الحيان على ثابت بن المنذر بن حرام - والد حسان - فتوثق منهم خوف أن يردوا حكمه، فأعطاه الجميع موافقهم؛ فحكّم أن يؤدي حليف مالك دية الصريح، ثم تكون السنة بعده كما كانت عليه: الصريح على ديته والحليف على ديته.. وأن تعد القتلى التي أصيبت من الحيين في حروبهم ثم يكون بعض ببعض ثم تعطى الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين؛ فرضي الجميع بذلك وتفرقوا على أن يكون على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصف؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي عليهم وهو دية

الحليف، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب وودى جاره دية الصريح.

وأما حرب كعب فسببها أن كعب بن عمرو المازني الخزرجي كان قد تزوج امرأة من بني سالم، وكان يختلف إليها فقعد له رهط من بني جحجبي من الأوس بمرصد فضربوه حتى مات أو كاد؛ فبلغ ذلك أخاه عاصما فخرج ومعه بنو النجار وأرسل إلى بني جحجبي يؤذنههم بحرب، فتلاقوا بالرحابة (حصن بالمدينة) واقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت بنو جحجبي، وكان معهم أحيحة بن الجلاح الأوسي فطلبه عاصم ليقته في داره فشعر أحيحة بذلك؛ وكان إذا أمسى جلس بمخاض حصنه وأرسل كلابا له تنبح دونه من يأتيه ممن لا يعرف حذرا من عدوه، فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقته بأخيه، وقد أخذ معه تمرا؛ فلما دنا منه نبخته الكلاب فألقى لها التمر فاشتغلت به، فلما رآها أحيحة قد سكنت حذر وقام فدخل حصنه، فرماه عاصم بسهم فأحرزه الباب؛ فلما سمع أحيحة وقع السهم في الباب صرخ في قومه، فجرى عاصم فأعجزهم حتى أتى قومه. ثم إن أحيحة جمع قومه وأراد أن يغتر بني النجار ويوقع بهم، وكانت تحته سلمى بنت عمرو النجارية، وكان لها منه ابنه عمرو بن أحيحة وهو يومئذ فطيم؛ فلما رأت عزم أحيحة على غزو قومها أمهلتها حتى نام فأخذت حبلا وعقدته برأس الحصن ثم تدلت معه وانطلقت إلى قومها فأندرتهم وأخبرتهم بالذي اجتمع عليه أحيحة وقومه، فاجتمعوا وحذروا واستعدوا له. فأقبل أحيحة إلى القوم فوجدهم في حال استعداد ووطن لحذرهم ثم رجع وقد فقد زوجه سلمى فعلم أنها خدعته، (ولهذه القصة سميت سلمى بالمتدلية). وسلمى هذه هي أم عبد المطلب بن هاشم تزوجها هاشم بن عبد مناف بعد أحيحة فولدت له عبد المطلب، وكانت سلمى امرأة شريفة لا تتزوج الرجال إلا وأمرها بيدها إذا كرهت من رجل شيئا تركته.

وأما حرب هاطب فأصلها أن حاطبا بن قيس الأوسي أتاه رجل من ذبيان

ونزل عليه وضيئه ثم غدا الذبياني إلى سوق بني قينقاع، فرآه رجل من بني الحارث بن الخزرج فقال ليهودي: لك ردائي إن كسعت⁽¹⁾ هذا الذبياني، فكسعه اليهودي برجله (أي ضربه بها) ضربة سمعها من في السوق وأخذ الرداء. فنادى الذبياني: يا لحاطب كسع ضيفك! فأخبر حاطب بذلك، فجاء وسأل الذبياني فأشار إلى اليهودي، ففلق رأسه بسيفه ورجع؛ فاسرع الخزرجي خلف حاطب ليدركه يريد قتله فوجده دخل بيوت قومه ورأى رجلا من الأوس قتلته. ففارت الحرب بين الأوس والخزرج فاحتشدوا؛ وكان على الأوس حضير بن سمالك الأشهلي، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي. فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الدائرة على الأوس.⁽²⁾

وأما يوم بعات⁽³⁾ فكان أشهر تلك الحروب وأعظمها، وكان سببه هو ما تقدم بين الأوس والخزرج من الحروب؛ فتجهزت الأوس للحرب وكان عليهم حضير بن سمالك فجمعهم وأرسلوا إلى حلفائهم من العرب واليهود، وقام فيهم حضير خطيبا يحرصهم على الجدد في حرب الخزرج ويذكرهم بما صنعت بهم وجعل يعدده مما أثار الحماس في نفوس الأوس، فأجابوه لما يريد من النصر والمؤازرة والجدة في الحرب حتى يظفروا بهم ويُقتلوهم حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم اجتمع الخزرج وجعلوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حربهم وأرسلوا إلى حلفائهم من العرب واليهود، وحشد الحيات ولم يتخلف عنهما إلا من لا ذكر له. فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا، فانهزمت الأوس فصاحت الخزرج بهم: أين الفرار؟ فلما سمع حضير ذلك طعن برمح في فخذه ونزل فصاح: لا أريم حتى أقتل!

(1) كسع فلانا يكسعه: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه، ففيه رمز للاحتقار.

(2) الدائرة: الهزيمة.

(3) بعات (بوزن غراب): اسم حصن للأوس كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج وكان الظهور فيه للأوس على الخزرج، والمشهور أنه بالعين المهملة، وروي بالمعجمة؛ ويصرف ويمنع من الصرف.

فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا ؛ فعطفت عليه الأوس وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ذوا بطش فقاتلا حتى قتلا، ثم حملت الأوس وقاتلت قتالا شديدا حتى انهزمت الخزرج، فوضعت الأوس فيهم السلاح حتى صاح صائح: يا معشر الأوس أسجحوا (أي أحسنوا) العفو ولا تهلكوا إخوانكم، فأمر أسيد باستصالحهم، فامتنع أبو قيس بن الأسلت من ذلك وأطاعته الأوس فتناهت عنهم بعد أن أئخنت فيهم قتلا، وحملوا حضيرا وهم يرتجزون حوله، ومات من تلك الجراحات.

وقد فني في هذه الحروب المؤسسة كثير من الأبطال والشجعان من الفريقين، الأوس والخزرج. وكما خاضوها بسلاحهم فقد خاضوها بألستهم ؛ وكان آخر تلك الحروب يوم بعثت، بعد ظهور الدعوة الإسلامية وقبل إسلامهم وقدم النبي ﷺ عليهم مهاجرا بنحو خمس سنوات، ولم يزل النزاع بين القبيلتين قائما حتى ذهب وفد منهم إلى مكة يبغي من قريش حلفا وتأييدا استعدادا للحرب أخرى. فعلم رسول الله ﷺ بمقدمهم فلقبهم بصورة خفية فعرض عليهم الدعوة وبشرهم ونصحهم ووعدهم خيرا فاستجابوا له خيرا استجابة، فانصرفوا ولم يتصلوا بقريش وتركوا فكرة قتال بعضهم لبعض.

فكان لقاءهم لرسول الله ﷺ وإسلامهم سببا لحسم الاقتتال بينهم نهائيا ؛ وأمالوا سيوفهم للدفاع عنه صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام وألف بين قلوبهم على نصرة رسول الله ﷺ، وحل الوئام والتآخي محل التفرقة والعداوة، وحلت المحبة والمودة محل الحقد والجفاء، وسجل لهم التاريخ في الإسلام مواقف عظيمة في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام والمسلمين ونصرتهم ومحاربة أعداء الإسلام، وإيواء من هاجر إليهم والأثرة على أنفسهم، ورضاهم التام بتأثير المهاجرين بغنائم حنين العظيمة، وتخليهم عن الشقاق ونبذهم

الخلاف في مبايعة أبي بكر الصديق يوم السقيفة وتركهم لمبايعة أكبر زعيم لهم هو سعد بن عباد، الشيء الذي كان أكبر نواة للوحدة الإسلامية وعقد العروة الوثقى للخلافة الإسلامية.. وغير ذلك مما لا يحصى من مناقبهم.

وقول الناظم في فم شق: متعلق بتفلفت. وشق (بسکر الشين المعجمة): اسم كاهن جاهلي مشهور، لقب به لأنه شق إنسان. وسطيح كاهن أيضا - وقد مر الكلام عليه. وتفلفت: بصقت. والضمير المنصوب في خلفاها: عائد على طريفة، وكذلك المستتر في تفلفت وتقولت. وقد أشار الناظم به إلى ما روي من أن شقا وسطيحا ولدا في اليوم الذي ماتت فيه الكاهنة طريفة الحميرية زوج عمران بن ماء السماء وأنها دعت بهما قبل أن تموت فأتيت بهما فتفلفت في فمويهما، وأخبرت أنهما سيخلفانها في علمها وكهانتها؛ وقيل أخبرت أن سطيحا سيخلفها. ثم ماتت، وقبرها بالجحفة.

أما سطيح فقد مر الكلام عليه. وأما شق فهو الكاهن المشهور شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار، وأنمار هذا هو أبو بجيلة وخنعم، وقد مر ذكر نسبهما والتعريف بهما. فشق هذا أزدي أنماري بجلي قسري؛ كاهن جاهلي كان من عجائب المخلوقات عاصر سطيحا الكاهن وكانا يستدعيان أحيانا للاستشارة أو تفسير بعض الأحلام. وعاش شق إلى ما بعد مولد النبي ﷺ - فيما يقال - وقد عُمّر طويلا؛ وكان نصف إنسان له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة. وروى ابن حزم أنه كان له نسل اشتهر منه في العصر المرواني خالد وأسد ابنا عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب القسريان، وكان خالد منهما أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وأسد والي خراسان.

وقول الناظم هديهم الضمير فيه عائد على الأوس والخزرج، والهدى (كغني):

العروس؛ قال الشاعر:

ألا يا دار عبلة بالطوي كرجع الوشم في رسغ الهدي⁽¹⁾

والقيطون (بفتح القاف فمثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة فواو فنون)⁽²⁾: اسم لمن ملك اليهود (وهي لفظة عبرية). والقييل (بفتح القاف وسكون الياء مضاف ليهود): بدل أو عطف بيان على القيطون. والقييل: من دون الملك (إلا في حمير فهو الملك نفسه، فأقياها ملوكها). وقوله قبل زوج الهون: متعلق بتهدي، والهون: الذل، وصف به هديهم أو بعلمها؛ وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، أو على حذف مضاف أي صاحبة الهون. ومالك: مبتدأ خبره جملة أنقذهم.. إلخ، والضمير فيه عائذ على الأوس والخزرج أيضا. والهوان الذي يعني به امتهان اليهود لهم بهذه المعرفة، وقد تقدمت قريبا.

ثم استطرده الناظم هنا قصة أخت الأسود بن غفار الجديسية والهوان الذي أصاب قومها جديسا على يد ملك طسم، لشبهها بقصة أخت مالك بن العجلان المذكورة وما أصاب قومها (بني قيلة) من الهوان على يد قيل يهود يثرب، فقال رحمه الله:

وَأَخْتُ الْأَسْوَدِ بْنِ غِفَارِ الشَّمُوسِ جَرَى لَهَا مِثْلُ الَّذِي لِلَّذِي الْعُرُوسُ
فَشَقَّقَتْ ثِيَابَهَا وَأَنْشَدَتْ . وَهِيَ عَلَى أَفْبَحِ هَيَاةٍ بَدَتْ .

(1) الطوي (كغني): موضع. والرجع: خط الواشمة، والوشم (كالوعد): غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه (وهو الشحم الذي يعالج به الوشم حتى يخضر) جمعه: وشوم ووشام. والرسغ (بالضم وبضمتين): مفصل ما بين الساعد والكف جمعه: أرساغ و أرسغ. [القاموس].

(2) كما في الخميس وهي الرواية المشهورة في البيت وفي السمهودي (حاشية الحسيني) على عمود النسب: القيطون بتقديم الطاء على الياء.

«لَا أَحَدٌ أَدَلُّ مِنْ جَدِيسٍ أَهَكَذَا يُفَعَلُ بِالْعَرُوسِ؟!
يَرْضَى بِهَذَا يَالْقَوْمِ حُرٌّ أَهْدَى وَقَدْ أُعْطِيَ وَسِيقَ الْمَهْرُ
لِخَوْضِهِ بَحْرَ الرَّدَى بِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفَعَلَ ذَا بِعَرْسِهِ»
فَمَزَّقَ الْأَسْوَدُ طَسْمًا وَهَرَبَ لَتُبَّعِ أَحَدُ طَسْمٍ وَعَطِيبٌ
كَلْبَتَهُ لِيَحْسِبُوهُ خَرَجًا عَنْ كَتِّبٍ وَتُبَّعٌ مِنْهُ نَجَا
لِطِيٍّ أَخُو الشَّمُوسِ الْأَسْوَدُ وَالْخَطْبُ لِلزَّرْقَاءِ فِيهِ أَنْشَدُوا:
«أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يُجْرَ»

قوله وأخت الأسود: مبتدأ. وغفار: بوزن كتاب (وشددت الفاء هنا ضرورة).
والشموس: بدل من أخت، وخبر المبتدأ جملة قوله جرى لها.. إلخ. وذوي العروس:
إشارة إلى أخت مالك بن العجلان المتقدم ذكرها. وفاعل كل من شققت
وأنشدت وبدت: ضمير مستتر عائد على أخت الأسود. ومزق: أي فرق في كل
وجه. والأسود: فاعل مزق. وطسما: مفعول به لمزق، والمراد هنا أنه قتلهم. وقوله
أحد طسم (بالرفع): فاعل هرب، والمراد به رزاح بن مرة الطسمي.

وعطب الفرس ونحوه (كفرح): انكسر، وهو لازم ولكنه هنا ضمنه معنى كسر
العظم إذا هشمه وهو متعد؛ والتضمين: إشراب لفظ معنى آخر وإعطاؤه حكمه
إذا اجتمعا في معنى، وهو أمر شائع وفصيح؛ وقد قيل بقياسه. وقد يضمن اللازم
معنى المتعدي فيتعدى كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقَدَةَ النَّكَّاحِ﴾⁽¹⁾ أي

(1) البقرة: 235، فأصل عزم الزوم وقد تعدى بالحرف، كعزم على الأمر: عقد ضميره على فعله. وأصل نوى
التعدي، يقال: نوى الشيء: قصده وعزم عليه فضمن الأول معنى الثاني في الآية المذكورة.

تسروا. ومن هذا قول الناظم هنا: وعطب كلبته أي كسرهما. وقد يتضمَّن المتعدي معنى اللازم فيلزم، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ ﴾⁽¹⁾ أي بارك. وإلى هذا أشار ابن بونه في احمراره على الخلاصة بقوله:

وَأَنْزَمَ الْفَعْلُ الْمَعْدَى إِنْ وُجِدَ مَضْمَنَ اللَّازِمِ وَالْعَكْسُ يَرِذُ

والضمير المستتر في عطب والبارز في كلبته: عائدان على أحد طسم. والضمير المرفوع في ليحسبوه: عائد على تبع ومن معه. وعن كئيب: أي قرب. وأخو الشمس: فاعل نجا. والأسود: بدل من أخو الشموس. والخطب: الشأن والأمر - صغر أو عظم - وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه، والمراد به هنا وقعة تبع بجديس. والزرقاء: هي زرقاء اليمامة، امرأة مشهورة بمجدة النظر؛ يروى أنها كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام. وفي المثل: "أبصر من زرقاء اليمامة"، وهي من طسم وهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح من قبائل العرب البائرة.

وأما الأسود بن غفار فمن جديس وهم بنو جديس بن لاوذ أيضا، وقيل ابن إرم بن سام، وقد باروا أيضا.

قصة طسم وجديس

وحاصل القصة⁽²⁾ التي أشار إليها الناظم هنا، أن جديسا وطسما كانتا قبيلتين متجاورتين وكان الملك عليهما من طسم، ولم يزالا كذلك حتى انتهى ملكهما الي

(1) الأحقاف: 15.

(2) تقدم ذكر الشارح رحمه الله لقصة جديس وطسم هذه في التعريف بهما عند قول الناظم: العرب من أبناء سام جرهم. إلخ، وإنما ذكرتها هنا لأن هذا محلها، لورودها في النص إضافة إلى بعض الزيادات.

ملك غشوم⁽¹⁾ اسمه عمليق من طسم، فتعدى في الظلم والتجبر؛ فأنته يوما امرأة من جديس قيل اسمها هزيلة بنت مازن، كان زوجها قد طلقها وأراد أخذ ولده منها فأبت عليه فترافعا إلى عمليق ليحكم بينهما فقالت: أيها الملك إنني حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني بعده ولها⁽²⁾؛ فقال زوجها: أيها الملك إنني قد أعطيتها المهر كاملا ولم أصب منها طائلا إلا وليدا خاملا⁽³⁾ فافعل ما كنت فاعلا؛ فأمر الملك بالغلام أن ينزع منهما جميعا ويجعل في غلمانه، ثم قال لها: أبغيه ولدا ولا تنكحي أحدا أو اجزيه صفدا⁽⁴⁾، فقالت: أما النكاح فإنما يكون بالمهر وأما السفاح فإنما يكون بالقهر وما لي فيهما من أمر. فلما سمع عمليق كلامها أمر أن تباع مع زوجها ويُسترقا، فأنشأت تقول:

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا فأنفذ حكما في هزيلة ظلما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا ولا كنت فيما ترم الحكم عالما

فلما سمع عمليق كلامها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها قبله. فلقيت جديس من ذلك جهدا وذلا، وأقاموا على ذلك زمنا طويلا، إلى أن تزوجت الشموس بنت غفار (أخت الأسود) فانطلق بها الجوارى والمغنيات إلى عمليق يغنينها ويقلن:

(1) الغشوم بفتح الغين: الظلوم الغاصب.

(2) الولهاء: من ولّته الأم إلى طفلها: حنت إليه فهي والهة وولهي؛ وأولها: فجعلها بولدها.

(3) طائلا: أي منفعة أو فائدة، والخامل: الخفي الساقط الذي لا نباهة له.

(4) أبغيه ولدا: أي أعينيه على طلبه، يقال: أبغاه الشيء: أعانه في طلبه، وأبغني ضالتي: أعني على طلبها. والصفد: العطاء، يقال: "الصفد صفد" أي العطاء قيد.

أبديّ بعَمَلِيق وقومي واركي وبادري الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي وما لبكر عنده من مهرب⁽¹⁾

فلما دخلت عليه افتزعها وخلقى سبيلها، فخرجت إلى قومها في حالة قبيحة مشققة ثيابها تبكي وتنشد: لا أحد أذل من جديس.. [إلى آخر الأبيات الثلاثة]. وطفقت تحرض قومها وتقول:

أصلح ما يوتى إلى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء شميسة صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تغب عن الكحل
ودونكم طيب العروس فأغا خلقتم لأثواب العروس وللنسل!
فلو أننا كنا رجالا وأنتم نساء لكنا لا نقيم على الذل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعا ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل

فلما رأى الأسود بن غفار حالها وسمع مقالها قال لقومه: يا معشر جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم، فأطيعوني يكن لكم عز الدهر وذهاب ذل العمر وإلا أضع سيفي في بطني وأتحامل عليه حتى ينفذ من ظهري⁽²⁾؛ وكان الأسود في قومه سيدا مطاعا. فقالوا: نطيعك ولكن القوم أكثر منا وأقوى، قال: فإني أصنع للملك وقومه طعاما ثم أدعوهم إليه فإذا جاءوا يرفلون في حللهم فخذوا سلاحكم واضربوهم به ضربة رجل واحد وأنا أنفرد بعَمَلِيق. فأجابوه لذلك؛ فعمل الأسود طعاما كثيرا وأمر

(1) يعنين أنها أخت سيدهم، فإن كانت هي يفعل بها ذلك فغيرها أولى!

(2) تحامل على الشيء: أقبل إليه وتكلفه على مشقة وإعياء. ونفذ منه: خرج إلى الجهة الأخرى.

القوم فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في التراب، ودعا الأسود الملك ومن معه، فجاءوا؛ فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم للطعام، أخذ القوم سيوفهم من تحت أقدامهم؛ فشد الأسود على عمليق وقتله وحملوا على القوم وضربوهم ضربة رجل واحد، فلما فرغوا من قتل الأشراف شدوا على السفلة فافنؤهم ولم ينفلت منهم سوى رجل واحد اسمه رزاح بن مرة - أخو الزرقاء امرأة الأسود بن غفار - هرب إلى تبع باليمن يستنجده على جديس.

زرقاء اليمامة

ويحكى أنه استتبع كلبة وحمل معه جريد نخل رطب فجعل عليه طينا، فلما دنا من الملك كسر الكلبة وقلع الطين عن الجريد؛ فلما دخل على الملك وأخبره بما فعلت جديس بقبيلته (طسم) واستنجده، قال: إن بلادك بعيدة ولولا ذلك لأبجدناك؛ فقال رزاح: كيف وهذا الجريد الرطب أتيت به منها، ويعلم الملك ومن معه أن لا نخل دون أرضي.. وهذه الكلبة خرجت بها تتبعني كسيرة! فصدقه الملك واستنفر جيشا من جنوده وأمرهم بالرحيل، وجعل على مقدمتهم ابن مشوب الحميري. وساروا إلى جديس، فلما كانوا بالطريق قال لهم رزاح إن فيهم أختا لي تبصر من مسيرة ثلاثة أيام وأخاف أن تنذر قومها. قالوا: فما الرأي؟ قال: أن يقتلع كل واحد منكم شجرة ويحملها أمامه؛ فاقتلع كل واحد من الجيش شجرة وجعلها أمامه يمشي خلفها.

فأرت الزرقاء ذلك فقالت: يا قوم إنني أرى عجبا: رأيت الأشجار تمشي على وجه الأرض وأرى الجيش يأتيكم من وراء الشجر! فلم يصدقوها، ثم قالت: إنني لأرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا؛ وأنشأت تقول:

أقسم بالله لقد دب الشجر أو هير قد أخذت شيئا يجر

ثم قالت:

إني أرى شجرا من خلفها بشر فكيف تجتمع الأشجار والبشر
ثوروا بأجمعكم في صدر أولهم فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر

فلم يكثرثوا بقوها. فأتاهم الجيش فاستأصلهم ولم ينفلت منهم غير الأسود بن غفار، فقد نجا منهم وهرب بإبله إلى جبلي طيب؛ فلم يزل بهما وحده إلى أن قدمت عليه أعازيب طيب فتوحش منهم. فلم يزالوا يدنون منه ويدنو منهم حتى آنس بهم، فأمهلوه حتى نام ذات ليلة معهم فقتلوه غدرا.

ولما فرغ جيش تبع من جديس أخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها ووجدوا فيهما عروقا سودا، فسئلت عن ذلك فقالت: إني كنت أكتحل بحجر الالمثد؛ فمن ثم اتخذها الناس للاكتحال⁽¹⁾. وروي أن الزرقاء هذه كانت ذات يوم في قصرها فمر فوقها حمام طائر في الجو فنظرت إليه فأحصت عدده بسرعة، وكان ستا وستين حمامة، وكانت عندها حمامة؛ فتمنت أن يكون لها ومعه نصفه وتكمله حمامتها مائة، وأنشأت في الحين قائلة:

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قديه تم الحمام ميه

وإلى هذه القصة أشار نابغة ذبيان بقوله مخاطبا للنعمان:

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمثد⁽²⁾

(1) الالمثد (بكسرتين بينهما سكون): ضرب من الكحل يدق ناعما ويكتحل به يقوي البصر ويجلوه، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم المثد يكتحل به عند النوم في كل عين ثلاثا، وقال: «عليكم بالالمثد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» - كما في الجامع الصغير.

(2) يقول: أصب في أمري ولا تخطئ فيه كما أصابت الزرقاء في عدد الحمام ولم تخطئ فيه. والثمثد: الماء القليل.

يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ⁽¹⁾
 قالت ألا ليثما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد⁽²⁾
 فحسبوه فالفوه كما زعمت تسعا وتسعين، لم تنقص ولم تزد
 فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد⁽³⁾

هذا وقد انقضت طسم وجديس، وخربت منازلهم. وفيهم يقول بعض الشعراء:

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمَاءً أفناهم الليل والنهار
 وقيلهم غالت المنايا طسما فلم ينجها الخذار
 وحل بالحي من جديس يوم من الشر مستطار
 وأهل جو أتت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا⁽⁴⁾
 فصبحتهم من الدواهي جائحة عقبها الدمار⁽⁵⁾
 ومردهر على وبار فهلكت جهرة وبار

ولها ذكر الناظم القول المشهور في سبب نزول الأوس والخزرج يثرب، ذكر
 قولا آخر مقابلا له معبرا عنه بقيل التي تقتضي التضعيف؛ فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَقِيلَ هُمْ مِنْ عُلَمَاءِ تَبِعَ تَبَطُّوا عَنْ تَبِعِ اللُّوَدَعِي
 بَطِيئَةٍ يَنْتَظِرُونَ أَحْمَدًا وَكُلُّهُمْ بَنَى لَهُ وَشَيْدًا

(1) يحفه: يحيط به. وجانبا: ناحيتا. والنيق: الجبل. ومثل الزجاجة: أي عينا صافية لم يصبها رمذ
 فحتاج إلى كحل.

(2) فقد: أي فحسب.

(3) الحسبة: الحساب. وفي ذلك العدد: أي عدد الحمام المذكور.

(4) جو: اسم منازل جديس، ولما قتل الملك جديسا وقتل الزرقاء سمى أرضهم بـ"اليمامة"، باسم
 اليمامة بنت مرة الطسمية - وهي الزرقاء المذكورة هنا - فعرفت بها من يومئذ، ويقال لها: جو
 اليمامة وحجر اليمامة. وعيشهم: حياتهم. وباروا: هلكوا.

(5) الدواهي: جمع داهية: المصيبة والأمر العظيم. والجائحة: البلية والتهلكة والدمار: الهلاك.

دَارًا لِحَيْرِ الْخَلْقِ آلتُ لِأَبِي أَيُّوبَ قَبْلَ أَنْ يَجِيئَهُ النَّبِيُّ
وَعِنْدَهُ أَيْضًا كِتَابٌ تَبَعَ أَنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ أَيُّ تَبَعَ
وَبَعَثُوا إِلَى النَّبِيِّ بِالسَّجْلِ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ
إِلَيْهِ حَامِلَ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ وَقَالَ إِذْ أَخْبَرَهُ: يَا لِلْعُجَابِ

الضمير في هم: عائد على الأنصار المتقدم ذكرهم. وقوله من علماء تبع: أي من ولد علماء تبع، وتبع: ملك حمير، وهو لقب أطلق على كل من ملك اليمن وحضرموت، مثل كسرى للفرس وقیصر للروم والنجاشي للحبشة. وتببطوا: أي تريضوا وتعوقوا، والضمير فيه عائد على علماء تبع. واللوذعي: الذكي الحديد الفؤاد، صفة لتبع. وطيبة: من أسماء المدينة المنورة. والضمير في كلهم: عائد على علماء تبع أيضا. وفاعل كل من بنى وشيد: ضمير مستتر عائد على تبع. ودارا: مفعول به تنازعه بنى وشيد، والبناء المشيد: المرفوع. وآلت: رجعت وصارت لأبي أيوب، وهو خالد بن زيد الأنصاري النجاري. والضمير في عنده: عائد على أبي أيوب. وأن (بفتح الهمزة مخففة) وصلتها: جملة مفسرة لمضمون كتاب تبع. والضمير في بعثوا: عائد على الأنصار. والسجل: الكتاب. والنبي: فاعل أخبر. وفاعل يصل: ضمير مستتر عائد على السجل. وحامل الكتاب (بالنصب): مفعول به لأخبر. وقوله بالكتاب: متعلق بأخبر. وفاعل قال: ضمير مستتر عائد على حامل الكتاب. وفاعل أخبره: ضمير مستتر عائد على النبي، وضمير المفعول عائد على حامل الكتاب أيضا. والعجاب (بوزن غراب): ما جاوز حد العجب أو ما يدعو إلى التعجب، ومنه: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾⁽¹⁾، ويقال عجب عجاب للمبالغة،

(1) سورة ص: 4.

والتعجب هو استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب، أو أن ترى الشيء فيعجبك وتظن أنك لم تر مثله. والعجب: روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء الذي يرد عليه.

يعني أنه قد قيل أيضا إن الأنصار كانوا من ذرية العلماء الذين تخلفوا بالمدينة عن تبع الحميري ينتظرون النبي ﷺ، وكان عندهم علم بأنه سيهاجر إليها وإن ذلك كان هو سبب نزول أصول الأنصار المدينة.

تبع الأول وإيمانه بالنبي ﷺ

وحاصل ما أشار إليه بهذه الآيات - حسبما في الحلة السيرة وغيرها - أن تبعا الأول⁽¹⁾ سار مرة في جيش عظيم ما بين فارس وراجل، ومعه بعض وزرائه، وفي جيشه أربعة آلاف ما بين عالم وحكيم؛ فمر بأهل مكة فلم يعظموه فغضب عليهم وعزم على هدم الكعبة وقتل الرجال وسي النساء؛ فقال له بعض وزرائه إنهم عربيون جهال لا يعرفون شيئا.. فلم يرده ذلك. ولم يزل على ذلك حتى أخذه صداع فاستمر به حتى أعيأ أطباءه، ثم اشتد به حتى تأذى جلساؤه من نتن رائحته، ولم يزل أمره يشتد حتى أسرَّ بعض العلماء الذين معه إلى أحد وزرائه أنه إن صدقه عاجله، فاستبشر الوزير بذلك وأخبر به الملك؛ فأرسل إلى العالم فدخل عليه فقال له: أيها الملك هل نويت لهذا البيت سوءا؟ قال: نعم نويت تخريبه وقتل رجاله وسي نساؤه، فقال له: إن رب هذا البيت قوي يعلم الأسرار، فبادر وأخرج من قلبك ما هممت به، فقال الملك: أفعل. فبرئ بإذن الله، فأمن بالله وكسا الكعبة وعظمتها؛ فكان أول من كساها. وخرج إلى وجهته حتى مر بيثرب فنزل بها هو وجنوده،

(1) وقيل هو تبع الأخير، وكان تبع هذا من الخمسة الذين ملكوا الدنيا كلها.

فخرج أربعمائة حبر من الأربعة الآلاف الذين معه من العلماء والحكماء وتعاهدوا على أن لا يخرجوا من تلك الدار وإن أدى ذلك إلى قتل الملك لهم، انتظارا لمبعث النبي ﷺ؛ فلما رأى الملك ذلك سأهم عن تخلفهم بذلك المكان، فقالوا له: ننتظر نبيا يبعث في آخر الزمان اسمه محمد من صفته كذا وكذا.. رجاء أن ندركه نحن أو أولادنا، فاستحسن الملك ذلك منهم وأقام معهم مدة - رجاء أن يدركه - وبني لهم أربعمائة دار بعددهم وأعطى لكل واحد منهم جارية ومالا كثيرا، وبني دارا عظيمة وأوصى أن ينزلها رسول الله ﷺ إذا قدم يثرب، وكتب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى كبير تلك الأحبار وأمره أن يسلم إليه تلك الدار وأن يدفع له ذلك الكتاب إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده.. إلى وقت خروجه؛ وكتب على الكتاب: "إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله من تبع الأول الحميري أمانة لله من يد من يقع إليه". ولم تزل تلك الدار تتداولها الأملاك إلى أن صارت لأبي أيوب الأنصاري، وهو من ولد ذلك الحبر الذي دفع إليه تبع الكتاب وأوصاه على الدار. فكان الأنصار من ولد هؤلاء العلماء والحكماء.

ويروى أنه كان بين موت تبع هذا ومبعث رسول الله ﷺ نحو ألف سنة. ولما ظهر خير النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة أرسلت الأنصار كتاب تبع مع أبي أيوب الأنصاري إلى النبي ﷺ، فلما قدم عليه قال له رسول الله ﷺ: «أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع»، فقال أبو أيوب: نعم، وتعجب وقال: من أنت كأنك ساحر؟ قال: «لا، بل أنا محمد بن عبد الله؛ هات الكتاب»⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وبعثوا إلى النبي بالسجل.. إلى قوله وقال إذ أخبره يا للعجاب. فأخرج أبو أيوب الكتاب ودفعه للنبي ﷺ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) ذكره البدر العيني في "عمدة القاري على صحيح البخاري".

إلى علي بن أبي طالب فقراه على النبي ﷺ. وقد روي أنه جاء في الكتاب: "أما بعد فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وستتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تنسي يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام". ومما جاء فيه:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم⁽¹⁾
 له أمة كتبت في الزبور⁽²⁾ وأمته هي خير الأمم
 فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

فلما سمع رسول الله ﷺ كلام تبع قال: «مرحباً بالأخ الصالح» ثلاث مرات⁽³⁾. ثم رجع أبو أيوب إلى المدينة. ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة تلقاه الأنصار، فكان كل بيت منهم يطلبون من رسول الله ﷺ النزول عندهم وهم متعلقون بناقته وهو يقول: «دعوها فإنها مأمورة»⁽⁴⁾، فلم يزل على ذلك حتى وصلت إلى باب دار أبي أيوب - وهي قرية من موضع المسجد - فبركت ولم ينزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ثارت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد، ثم التفتت فعادت إلى المكان الذي بركت فيه أولاً فبركت فيه ووضعت

(1) باري: أصله باري من برأه: إذا خلقه من العدم. والنسم (بالتحريك): جمع نسمة، وهي الإنسان أو كل دابة فيها روح، ويجمع أيضاً بنسمات.

(2) الزبور: الكتاب، وغلب على الكتاب الذي أنزل على نبي الله داود عليه السلام.

(3) ذكره البدر العيني في عمدة القاري على صحيح البخاري.

(4) أخرجه الحاكم - كما في فتح الباري: 245/7، وذكره ابن هشام في سيرته ومختصر تاريخ دمشق والكامل في الضعفاء.

جرانها⁽¹⁾ على الأرض، فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال: «هذا إن شاء الله المنزل»⁽²⁾؛ فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في داره وأقام عنده رسول الله ﷺ سبعة أشهر أو أكثر حتى بنى حجرة عائشة وحجرة سودة، فتحول إليهما رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ولما ذكر الناظم نزول أجداد الأنصار المدينة على يهود يثرب استطرد سبب مجيء اليهود ليثرب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَجَاءَ بِالْيَهُودِ قَبْلُ أَنَّهَا بَعَثَهَا الْكَلِيمُ حِينَ مَنَّا
 نَهَبُ الْعَمَالِقِ إِلَى الْعَمَالِقِ فَأَهْلَكُوهُمْ غَيْرَ طِفْلِ رَائِقِ
 فَعَاظَ إِيقَاءَ الْغُلَامِ أَهْلَهُمْ إِذِ الْكَلِيمِ بِالْفَنَّا أَرْسَلَهُمْ
 فَارْجَعُوا لِطَيْبَةِ وَخَيْرًا أَوْ بِالْيَهُودِ جَاءَ بَخْتُ نَصْرًا

قوله وجاء باليهود: أي إلى يثرب. وقوله قبل (بالبناء على الضم): أي قبل نزول الأنصار لها. وفاعل جاء جملة قوله أنها (بفتح الهمزة) وصلتها. والكليم (بالرفع): فاعل بعثها، وهو نبي الله وكليمه موسى عليه السلام. ومنها (بفتح الميم وتشديد النون): أي أضعفها وذهب بمنتها (بضم الميم) أي قوتها، والضمير فيه عائد على اليهود. ونهب (بالرفع): فاعل منها وهو مضاف إلى العمالق: أي حين

(1) جران البعير (بالكسر): مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، جمعه: جُرُنٌ (ككسب) وأجرنة، يقال: "ألقي البعير جرانه" أي برك ويقال "ألقي فلان على هذا الأمر جرانه" أي وطن نفسه عليه، و"ضرب الإسلام بجرانه" أي ثبت واستقر، و"ضرب الليل بجرانه" أي أقبل، و"ألقي عليه جرانه" أي ألقاه.

(2) أخرجه البخاري.

انتهاج العمالق لليهود. وقوله إلى العمالق: متعلق ببعثها وضمير فاعل أهلكتهم: عائد على اليهود، وضمير المفعول عائد على العمالق. وقوله رائق: صفة لطفل أي معجب. وغازط: أغضب. وإبقاء الغلام (بالرفع): فاعل غازط، وأهلهم (بالنصب): مفعوله. وقوله بالفنا: متعلق بأرسلهم: أي بإهلاك العمالق عن آخرهم. وطيبة: من أسماء المدينة. وخيبر: مدينة معروفة كانت تسكنها اليهود وفتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة. قوله أو باليهود: أي وقيل إن الذي جاء باليهود إلى يثرب الملك الجبار المشهور بخت نصر البابلي، فقد أتوها فرارا منه.

يعني أنه اختلف في سبب التحاق اليهود بأرض يثرب واستيطانهم لها قبل مجيء بني قيلة لها فارين من سيل العرم. وقد ذكر فيه روايتين: إحداهما أن سببه جيش اليهود الذي أرسله موسى عليه السلام لغزو العمالق بيثرب وخيبر فأقاموا بهما حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج. والثانية: وصول فلول اليهود إلى يثرب فرارا من الجبار المشهور بخت نصر البابلي.

قصة مجيء اليهود المدينة واستيطانهم لها

وماصل ما رواه أهل السير في القصة الأولى أن يثرب كانت تسكن بها في العصور القديمة قبائل من العمالق⁽¹⁾ منهم بنو وهب وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطرون، ولهم بها نخل كثير وزروع؛ ثم عتوا عتوا كبيرا وبغوا في الأرض وأكثروا

(1) وهم بنو عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم من العرب البائرة وهم أمة عظيمة يضرب بها المثل في الطول وعظم الجثمان، وتفرقت منهم أمم كثيرة في البلاد فكان منهم أهل عمان والبحرين وملوك العراق، والجزيرة وجبابة الشام وفراعنة مصر، وانتشروا في الحجاز وسكنوا مكة ويثرب، وكانوا أهل عز ومنعة، وكان منهم ملك بالحجاز يقال له الأرقم بن أبي الأرقم ينزل ما بين تيماء إلى فدك.

فيها الفساد. فلما أظهر الله نبيه موسى عليه السلام على فرعون ودخل الشام وأهلك من به، بعث جيوشه إلى الجبابرة من أهل القرى؛ فبعث إلى العمالقة القاطنين يثرب جيشاً من بني إسرائيل وأمرهم باستصاهاهم جميعاً إذا أظهرهم الله عليهم وأن لا يستبقوا أحداً منهم بلغ الحلم، فقدم الجيش الحجاز وأظهره الله تعالى على العمالقة؛ فقتلوههم أجمعين وأصابوا ابن ملكهم الأرقم، وكان غلاماً وضيعاً جميلاً⁽¹⁾ أحسن الناس وجهاً؛ فلما رأوه بهرهم جماله، فقالوا نستحيه⁽²⁾ ونذهب به إلى موسى حتى يراه فيحكم فيه بما يرى. فرجعوا إلى الشام فوجدوا موسى عليه السلام قد قبض، فتلقاهم بنو إسرائيل وقالوا لهم: ما صنعتم؟ فأخبروهم بما فعلوا وأخبروهم بأمر الغلام، فقالوا لهم: هذه معصيةٌ قد أمرتم ألا تستبقوا منهم أحداً فخالفتم أمر نبيكم، والله لا تدخلوا علينا البلاد أبداً. فلما منعوهم من دخولها قالوا ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجع إليها فنقيم فيها. فرجعوا حتى أتوا يثرب فنزلوا بها، فكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود ليثرب فانتشروا فيها واتخذوا فيها المزارع والأموال ولبثوا ردحا من الزمن حتى ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام وقتلوهم وسبوا نساءهم، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هارين من الروم إلى من يثرب من اليهود؛ فلما قدموا يثرب وجدوها وبيئة فكرهوها⁽³⁾ وبعثوا رائداً يلتمس لهم سواها، فخرج حتى أتى العالية - وهي حرة تصب منها بطحان ومهروز، وهما واديان من حرة على تلاع عذبة تنبت حر

(1) الوضيء: التنظيف الحسن، جمعه: وضاء (بكسر الواو) وأوضياء. والجميل: الحسن الخلق والخلق.

(2) نستحيه: أي نتركه حياً.

(3) وبيت الأرض توباً ووبؤت: كثر فيها الوباء فهي وبئة ووبيئة، والوباء: الطاعون وكل مرض فاش عام.

الشجر⁽¹⁾ - فاختارها لهم فتحولوا إليها من يثرب؛ فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان، ونزل بنو قريظة ومن معهم على مهروز، وانتشرت هناك قبائل أخرى من بني إسرائيل، مثل بني عكرمة وبني ثعلبة وبني محيمر وبني عذراء وبني قينقاع وبني زيد وبني عوف.. وغيرهم.

وكان لليهود يثرب الشرف والعز والثروة على سائر اليهود. وكان معهم أحياء من العرب، كبنى مرثد وبني أنيف (وهما من بلي) وبني معاوية (وهم من بني سليم، ثم من بني الحارث بن بُهثة) وبني السبطة (وهم من غسان).. وغير هؤلاء. وكان يقال لبني النضير وبني قريظة الكاهنان لأنهما ابنا الكاهن بن عمران بن هارون، أخي موسى عليهما السلام. ولم تنزل اليهود مقيمين يثرب وضواحيها حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج وحالفوهم بها - كما مر.

ثم أشار إلى الرواية الثانية في سبب مجيء اليهود إلى يثرب واستيطانهم بها بقوله أو باليهود جاء بخت نصرا. وبُخت نصر هذا ملك من ملوك فارس من أهل بابل، يروى أنه ملك الأرض سبعمائة سنة وتجبر فيها وسلطه الله على بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا أنبياءهم؛ وكان في عهد أرميا ودانيال، وقيل كان في زمن يحيى بن زكرياء عليهم السلام.

وما حصل ما أشار إليه الناظم هنا في الرواية الثانية - حسبما ذكره أهل السير - أن بني إسرائيل كانوا يسكنون بالشام وبيت المقدس في أرغد عيش وأحسن حال، وكانت تقع فيهم الأحداث والذنوب فيتجاوز الله عنهم ويحسن إليهم، وكان إذا

(1) التلاع: جمع تلة، وهي ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها (ضد) ومسيل الماء. والعذبة: الطيبة. وحر الشجر: خياره وطيبه وأعتقه.

مَلِكٌ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ بَعَثَ اللَّهُ لَهُمْ مَعَهُ نَبِيًّا يَسُدُّهُ وَيُرْشِدُهُ. وَلَمْ يَزَلْ حَالُهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِهِمْ - بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ - أَنْ مَلِكٌ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ يُدْعَى صَدِيقَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ مَعَهُ شَعِيًّا نَبِيًّا، وَكَانَ شَعِيًّا هَذَا هُوَ الَّذِي بَشَّرَ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ. فَمَلِكٌ صَدِيقَةَ هَذَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْتَ الْمُقَدَّسِ زَمَانًا، وَفِي آخِرِ فِتْرَتِهِ غَزَاهُمْ سَنْجَارِيْبُ مَلِكِ بَابِلَ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ؛ فَسَارَ بِهَا حَتَّى نَزَلَ حَوْلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُ، فَلَجَأَ مَلِكُهُمْ إِلَى نَبِيِّهِمْ شَعِيًّا فَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعِينَ بِإِخْلَاصٍ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى شَعِيًّا أَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُمْ وَسَيَهْلِكُ عَدُوَّهُمْ؛ فَأَصْبَحَتْ الْجِيُوشُ مَوْتَى إِلَّا سَنْجَارِيْبَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنْ كِتَابِهِ، مِنْهُمْ بَحْتُ نَصْرٍ؛ فَأَخَذُوهُمْ وَأَسْرَوْهُمْ وَأَهَانُوهُمْ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ لِيَنْدَرُوا مِنْ وِرَاءِهِمْ. فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِبَابِلَ وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا وَقَعَ لَهُمْ. وَلَبِثَ سَنْجَارِيْبُ قَلِيلًا وَمَاتَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ بَحْتُ نَصْرٍ؛ فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ وَلَبِثَ فِتْرَةً قَلِيلَةً، فَغَبِضَ اللَّهُ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ صَدِيقَةَ فَمَرَجَ⁽¹⁾ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَنَافَسُوا عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَشَعِيًّا بَيْنَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ نَصْحًا، فَقَامَ فِيهِمْ وَوَعَظُهُمْ وَبَيْنَ لَهُمْ ثَوَابُ الطَّاعَةِ وَحَذْرُهُمْ عِقَابِ الْمَعْصِيَةِ وَبَشَرَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَبَيْنَ لَهُمْ سِيرَتُهُ وَسِيرَةُ أُمَّتِهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ مَقَالَتِهِ عَدُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ. فَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا اسْمُهُ نَاشِيَّةٌ، وَبُعِثَ لَهُمْ أَرْمِيَا نَبِيًّا مِنْ سَبَطِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسُدُّهُ وَيُرْشِدُهُ.

ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم، فقام فيهم أرميا خطيبا ووعظهم ونصحهم فلم يقبلوا منه، فأوحى الله إليه: "وعزتي لأقضين لهم فتنة يتحير الخليم فيها ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع

(1) المرج (محرقة): الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب، وإنما يسكن مع الهرج.

من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم". فسلط الله عليهم بخت نصر ملك بابل في جنود لا قبل لهم بها، فحرب بيت المقدس وقتل بعضهم وسبى بعضا وجاس خلال ديارهم⁽¹⁾، ففترقوا أيدي سبأ. وكانوا يجدون نعت محمد ﷺ في كتابهم وبشروا به على لسان نبيهم وأنه سيظهر في بعض القرى العربية في قرية ذات نخل، فخرجت فلولهم من الشام وتفرقت في البلاد وجعلوا يرتادون كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمن في ذلك الوصف الذي عندهم، حتى مرت بيثرب منهم طائفة من ذرية نبي الله هارون عليه السلام كانت ممن حمل التوراة معه فوجدوا نعتها هو الذي عندهم فاقاموا بها. فكان ذلك هو أول سكنى اليهود بيثرب، ولم يزالوا بها حتى مات أولئك الآباء وهم يصدقون بأنه ﷺ سيبعث ويؤمنون به ويحئون أبناءهم على اتباعه ومبادرة تصديقه إذا بعث؛ وجعل أولئك الأبناء يحئون أبناءهم.. وهكذا حتى أدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه، حسدا منهم للأنصار؛ حيث سبقوهم إليه. فكان هذا هو سبب وصول اليهود ليثرب واستيطانهم لها - كما أشار إليه الناظم.

بعض أخبار الملك بختنصر

ثم كان من أمر بخت نصر هذا أنه أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة ورأى شيئا بعدها أنساه إياها، فدعا علماء بني إسرائيل وجماعة منهم كانت من ذراري الأنبياء فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: ما هي؟ فقال: نسيتها ولئن لم

(1) جاس: أي عاث وقتل، ومثله: حاس وهاس وداس. وخلال ديارهم: أي تخللها وطاف فيها طلبا لمن فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها، أي تردد بين الدور والمسكن ذاهبا وآتيا يطلبهم ويقتلهم.

تخبروني بها وتأويلها لأنزعن أكتافكم ولأستأصلنكم! وأجلهم أجلا قريبا. فخرجوا من عنده وهم في كرب، وتضرعوا إلى الله تعالى فأعلمهم بها وتأويلها، فجاءوا إلى بخت نصر وقالوا له: رأيت تمثالا على صورة إنسان قدماء وساقاه من فخر⁽¹⁾ وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وعنقه ورأسه من حديد.. فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبتك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكه. قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: إنك رأيت ملك الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا، الفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه وفوق النحاس الفضة أحسن منه وفوق الفضة الذهب أحسن منه وأفضل ثم الحديد وهو أشد مما كان قبله وأعز، وهو ملكك؛ والصخرة التي رأيت نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه. وقيل إنهم فسروا له الذهب بملك العرب وأنه سينسخ ما قبله؛ فعند ذلك انتدب لإبادة وإذلال العرب⁽²⁾ ومكث على ذلك مدة ثم أقلع عنه أو مات.

وروي في سبب هلاكه أنه لما تجبر وطغى وملك الأرض وانقاد له من عليها قال لمن معه من بني إسرائيل: أخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا لأقتل من فيها وأتخذها ملكا فإني قد فرغت من أهل الأرض؟ قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق، قال: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم؛ فبكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل. فبعث الله عليه بعوضة دخلت في منخره حتى وصلت إلى أم دماغه فعضتها، فما

(1) التمثال (بالكسر): ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه على صورة شيء من خلق الله تعالى من ذوات الروح. والفخر: الخزف واحده: فخارة

(2) الإبادة: الإهلاك. والإذلال: الإهانة والإخضاع.

كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ⁽¹⁾ له رأسه؛ ولم يزل كذلك حتى مات ونجى الله تعالى من بقي من بني إسرائيل في يده وتفرقوا ورجع بعضهم إلى الشام واستوطنه وبني فيه وكثر.

دخول اليهودية اليمن على يد تبع

ثم أشار الناظم إلى سبب انتشار اليهودية في اليمن واعتناق الحميرين باليمن لها، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أَفْشَى الْيَهُودِيَّةَ فِي أَرْضِ الْيَمَنِ حَبْرَانٍ مِنْ يَهُودٍ أَوْضَحًا السَّنَّ
لِتَبَّعِ الْمُسْلِمِ . أَوْ هُوَ نَبِي . إِذْ نَهْيَاهُ عَنْ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ
وَمَرَّ بِالْبَيْتِ وَعَنْهُ نَهْيَاهُ إِذْ رَجُلَانِ مِنْ هُدَيْلٍ أَغْرِيَاهُ
فَكَعَّ عَنْهُ وَكَسَاهُ وَنَحَرَ عَنْهُ الْأُفُوفَ وَالصَّنَائِعَ نَشْرُ
وَإِذْ أَتَى بِدِينِهِ أَهْلَ الْيَمَنِ رَدُّوهُ مُنْكَرِينَ دِينَهُ الْحَسَنَ
ثُمَّ تَحَاكَمُوا لِنَارٍ عِنْدَهُمْ فَسَالَمَتْهُ وَأَجَادَتْ حَرْقَهُمْ

أفشى الأمر: أظهره. واليهودية (بالنصب): مفعول به لأفشى، وهي الدين الذي أرسل به موسى عليه السلام فدان به بنو إسرائيل. وحبران: فاعل أفشى، تثنية حبر: لعالم أهل الذمة؛ ويطلق أيضا على أحد علماء المسلمين. وجملة أوضحا السنن: صفة لحبران، وأوضحا: أي أظها. والسنن (بالتحريك): الطريق المستقيم. وقوله لتبع: متعلق بأوضحا. والمسلم: صفة لتبع. وجملة إذ نهياه.. إلخ: تفسيرية

(1) البعوضة: واحدة البعوض، وهي حشرات مضرّة من ذوات الجناحين. وأم الدماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ، ويقال لها أيضا أم الرأس. ويوجأ: يضرب.

لقوله أوضحا السنن تتبع. ومهاجر النبي (بضم الميم وفتح الجيم): مكان هجرته، وهو المدينة. وفاعل مر ضمير مستتر عائد على تبع. والمراد بالبيت هنا البيت الحرام. وأغرياه: أي حضاه عليه. وكع عنه: تأخر ورجع. والصنائع: المواهب الجليلة. ونشر: فرقها وبسطها. ودينه: أي الذي تعلمه من الحيرين وهو اليهودية. وأهل اليمن (بالنصب): مفعول به لأتى.

وقد أشار الناظم هنا إلى ما روي من أن تبعا ملك حمير سار من اليمن يقصد المشرق فمر في طريقه يثرب فلم يهيج أهلها وترك بين أظهرهم ابنا له فقتله أهل المدينة غيلة⁽¹⁾، فلما أقبل من المشرق، جعل طريقه إلى المدينة وعزم على تخريبها واستئصال أهلها وقطع نخلها. فلما سمع الأنصار ذلك من أمره اجتمعوا وخرجوا لقتاله فالتقوا واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فكان الأنصار يُقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل! فأعجبه ذلك منهم، وقال: والله إن قومنا لكرام. فبينما هو على ذلك من حربهم إذ جاءه حيران من أحبار بني قريظة وقالوا له: قد سمعنا ما تريد أيها الملك من تخريب يثرب وإهلاك أهلها فحجنا نريد منك أن لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ قالوا: لأن هذه القرية مهاجر نبي من قريش يبعث بدين إبراهيم يخرج من الحرم في آخر الزمن اسمه محمد، مولده بمكة، وهذه دار هجرته؛ فلما سمع قولهما أقلع عما كان يريد ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما، وكان تبع وأصحابه أصحاب أوثان يعبدونها.

ثم إن الحيرين دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف بهما وبنفر آخر من اليهود عائدا إلى اليمن. فلما كان في الطريق أتاه نفر

(1) قتله غيلة: خدعه فذهب به إلى موضع فقتله. [القاموس].

من هذيل بن مدركة فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته⁽¹⁾ الملوك قبلك فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة؟ قال: بلى؛ أي بيت هذا؟ قالوا: بيت بمكة يعبد أهله ويصلون عنده، (وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك). فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحيرين فسألهما عن ذلك فقالا له: لا نعلم لله بيتا في الأرض اتخذه لنفسه غير هذا البيت الذي بمكة وما أراد القوم بما أشاروا عليك به إلا هلاكك وهلاك جنحك، قال فما ذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالوا: تكرمه وتصنع عنده ما يصنعه أهله: تطوف به وتعظمه وتنحر عنده وتلحق رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده، فقال: وما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه لبيت أئبنا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله والدماء التي يهريقونها عنده، وهم نجس أهل شرك. فعرف نصحهما له وصدق حديثهما، ثم دعا بنفر هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم. ثم مضى إلى مكة، فلما نزل بها كسا البيت بالبرود اليمنية وطاف به ونحر بالشعب وحلق رأسه وأقام به أياما كل يوم ينحر للناس وأوصى به ولاته من جرهم، وانصرف متوجها إلى اليمن بمن معه؛ فلما دنا من اليمن ليدخله حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا. فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: حاكمنا إلى النار؛ وهي - كما يزعمون - نار باليمن في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتم.

فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحيران بمصاحفهما في أعناقهما يتلوان التوراة، فقعدها للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فأقبلت حتى

(1) داثر: أي كثير أو قديم. وأغفلته: أهملته وتركته.

غشيتهم فأكلت الأوثان وما قُرَّبَ معها وأكلت حملة ذلك من الرجال ؛ وخرج
الخيران ومصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما النار، ورجعت إلى
مخرجها الذي خرجت منه. فعند ذلك أقبلت حمير على دين الخيرين فانتشرت
اليهودية من ذلك في اليمن.

وعلى هذا يكون في قول الناظم: فسألتهُ إسناد الفعل تتبع مجازا، وذلك لأنه
هو المتبوع، فهو من باب قولهم بنى الأمير المدينة. وقوله لتببع المسلم: أشار بذلك
إلى ما روي من أن تبعا هذا كان مسلما؛ فقد جاء في الخبر: «لا تسبو تبعا فإنه كان
قد أسلم»⁽¹⁾، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا تسبوا تبعا فإنه كان
رجلا صالحا. وذكر القرطبي أنه حُفِرَ قبر بصنعاء (ويقال بناحية حمير) في الإسلام
فوجد فيه امرأتان عند رأسيهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب: "هذا قبر حُبِّي"
وليس ابنتي تبعا ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشارك به شيئا وعلى
ذلك مات الصالحون قبلهما". وأشار بقوله: أو هو نبي: إلى ما روي من أن تبعا
كان نبيا؛ قال القرطبي وغيره: اختلف في تبعا هل كان ملكا أو كان نبيا؟ فقال
ابن عباس: كان تبعا نبيا، وقال كعب: كان تبعا ملكا من الملوك.

ديانات العرب قبل الإسلام

هذا وقد كانت للعرب قبل الإسلام ديانات مختلفة ومتباينة، فمنهم من أنكر
الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفي، ومنهم من اعترف بالخالق وأنكر

(1) أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد وهو حديث حسن - كما في الجامع الصغير - وروي أنه
كان يدين بالزبور. [العيني].

البعث، ومنهم من دان باليهودية، ومنهم من دان بالمسيحية، ومنهم من دان بالفارسية، ومنهم الوثنية.

أما اليهودية فهي دين جاء به موسى عليه السلام خاص ببني إسرائيل، وسمي باليهودية نسبة إلى يهوذا أحد أسباط إسرائيل، والسَّبَط الأكبر الذي منه كان جلة الملوك من إسرائيل. ولليهود كتابان دينيان هما التوراة، وتتألف من خمسة أسفار، وتجمع الشريعة والتاريخ والفلسفة والقصص والأساطير الدينية والشعر. والكتاب الثاني هو التلمود، وهو مجموع السنن والنصائح والشروح التي نقلت عن موسى عليه السلام؛ وقد دونت في زمن متأخر عنه⁽¹⁾. وممن دان باليهودية من العرب: اليمينيون - كما مر - وقوم من الأوس والخزرج ومن غسان وجزام، كما تهودت حمير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وكندة.. وغيرهم. وكانت العرب إذا أشكل عليها شيء من أسرار الوجود أو تشوقت إلى معرفة شيء من ذلك يسألون أهل التوراة من اليهود، وقد أخذوا عنهم بعض الرقى والتعاويذ.

وأما المسيحية فهي الدين الذي أرسل به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسمي بالمسيحية نسبة إلى المسيح، وبالنصرانية نسبة إلى الناصرة؛ وهي أول قرية عرف بها المسيح، فقال العرب: نصري ونصراني. وكان المسيح يدعى الناصري. وكتاب المسيحيين الديني هو العهد الجديد (أو الإنجيل)؛ وتوجد أربعة كتب مقدسة عندهم وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وانقسمت أتباع المسيحية إلى فرق مختلفة وكان أشهرها ما اختلفوا فيه: أكان عيسى ربا أم خلقه الرب؟ وهل هو الرب سواء أو هو منفصل عن الرب؟! فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا،

(1) التلمود بمثابة مرجع للتصوف عند اليهود.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾⁽¹⁾.

هذا وقد دخلت النصرانية في الجزيرة العربية مع دخول النُساك⁽²⁾ والرهبان⁽³⁾ إليها للعيش فيها ورافق بعضها الأعراب وعاشوا عيشهم حتى عُرفوا بأساقفة الخيام أو أساقفة أهل الوب⁽³⁾.. وغير ذلك؛ وانتشرت عقائد النصارى وتعاليمها على ألسنة شعرائها أمثال عدي بن زيد والأعشى.. وغيرهما، وفي آثار شعراء آخرين من غير النصارى مثل أمية بن أبي الصلت والأفوه الأودي، والنابغة الجعدي، مما يؤكد انتشار المسيحية بين القبائل.

وأما الفارسية فهي نسبة إلى الفرس، وهم قوم كانوا منذ القدم يعبدون المظاهر الطبيعية⁽⁴⁾، واشتهر عندهم إلهان اثنان سموهما باسمين خاصين عندهم، ورمزوا لأحدهما بالنور وللثاني بالظلمة، وهما عندهم في نزاع دائم؛ لأن كل ما في الطبيعة — حسب رأيهم — إنما هو نزاع بين قوتين: قوة الخير؛ التي رمزوا لها بالنور،

(1) الكهف: الآية: 5.

(2) النساك (بضم النون وتشديد المهملة): جمع ناسك وهو المتعبد المتزهّد. والرهبان جمع راهب: وهو المعتزل عن الناس يتعبد في صومعة يتخلّى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها معتزلا أهلها وأصله من الرهبة وهي الخوف.

(3) الأساقفة والأساقف: جمع أسقف (بضم الهزّة والقاف) ويتخفيف الفاء وتشديدها): رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران. والخيام: جمع خيمة وهي كل بيت يقام على أعواد الشجر يلقي عليه النمام ويستظل به في الحر، وقد يكون من صوف أو قطن ويقام على أعواد ويشد بأطناب. وأهل الوب: أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوب.

(4) المظاهر: جمع مظهر وهو الصورة التي يبدو عليها الشيء، والمظهر "في علم النبات" صفة النبات في المواسم المختلفة، فيقال: المظهر الربيعي والخريفي والصيفي. والطبيعية: المنسوبة إلى الطبيعة وهي: المخلوقات التي يتألف منها الكون، وعلم الطبيعة: علم يبحث عن طبائع الأشياء وما اختصت به من القوة، والطبائع الأربع عند الأقدمين: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وقوة الشر التي رمزوا لها بالظلام. ودعوا إلى تأييد إله الخير ضد إله الشر؛ فأشعلوا النار الدائمة في معابدهم لأنها رمز الضوء، ومن هنا نشأت عبادة النار.

ومن معتقداتهم أن المواد الأصلية للعالم هي الماء والهواء والنار والتراب، واعتبروها عناصر طاهرة يجب أن لا تنجس؛ ولهذا دعوا إلى تقديس النار واتخاذها رمزا، ودعوا إلى حرق الموتى ليظفروا ومنعوا دفنهم في التراب حتى لا يندسوه، وحرموا تنجيس الماء الجاري.

وأما الوثنية فهي دين منسوب إلى الوثن الذي هو الحجر الغفل⁽¹⁾ من الصنعة يتعبد به المشركون، وتدخل فيه عبادة الصنم الذي هو تمثال على صورة إنسان أو غيره؛ يكون تارة من ذهب وتارة من فضة أو غيرهما.

وقد كان جل العرب يدين بها، وكانت لهم في ذلك جملة مسالك (أو أديان)؛ فمنهم من آمن بالله وعبد الأصنام للقربى والزلفى إلى الله تعالى، ومنهم من عبد الأصنام واعتقد أنها تنفع وتضر!. وكانت عبادة الأصنام أمرا ساريا بين العرب؛ فكانت لقريش وبني كنانة "العزى"، وللأوس والخزرج "مناة"⁽²⁾، ولكلب "ود"، ولهديل "سواع"، ولمدج وبعض أهل اليمن "يغوث"، ولهمدان "يعوق"، ولذي كلاع "نسر"، ولثقيف "اللات". وكان "هبل" من أعظم أصنامهم عندهم؛ وكان على ظهر الكعبة، و"إساف" و"نائلة" على الصفا والمروة.

وقد ظهرت في الجاهلية طائفة لم تعبد الأوثان ولم تدن باليهودية ولا النصرانية، بل اعتقدت بوجود إله واحد عبده ولم يشركوا به أحدا؛ فدعوا بالحنفاء. ومن أشهرهم: أسد بن كرب الحميري وعامر بن الظرب العدواني وعبيد بن الأبرص

(1) الغفل (كقفل): ما لا علامة فيه.

(2) كانوا يسمون آلهتهم بأسماء مؤنثة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات.

الأسدي وسويد بن عامر المصطلق وقس بن ساعدة الإيادي وحنظلة بن صفوان وأمية بن أبي الصلت الثقفي وورقة بن نوفل الأسدي وعداس مولى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وعبيد الله بن جحش الأسدي وحرملة بن أنس الأنصاري وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي (الذي كان يقول: يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغير الله؟! فأخرجته قريش من مكة مخافة أن يفسد عليهم دينهم؛ فخرج إلى الشام، واستعدى عليه عمه الخطاب شبابا من قريش يمنعون من دخوله مكة)، وغير هؤلاء..

هذا وبعد هذا المبحث أكتب في متن هذه الورقة هذه الكلمة التي أستودعها الله عز وجل الذي لا تضيع ودائعه وأشهده عليها - وكفى به شهيدا - وأشهد عليها حملة عرشه وملائكته وأنبياءه وجميع خلقه وهي: "أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وآمنت بالقدر خيره وشره وأني رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأنشد وأتمثل بقول القائل:

يا رب يا من يعلم الخفيا	حقيقة كعلمه الجليا
كن شاهداً أني شهدت أن لا	إله معبود بحق إلا
أنت فلان ولا شريك لك	صدقتُ أحمد النبي مرسلك
وأشهد بأنّها ودیعة لديك	إلى وقوفی غدا بين يديك

وأقول هذا استشعاراً لقول رسول الله ﷺ وإيماناً به وتصديقاً له: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار» وقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة»⁽¹⁾.

(1) متفق عليهما..

بداية إسلام الأنصار

ثم أشار الناظم إلى بدء إسلام الأنصار، فقال رحمه الله:

أَوَّلُ إِسْلَامٍ لِأَنْصَارِ النَّبِيِّ أَنْ خَرَجَتْ لِمَكَّةَ مِنْ يَثْرِبِ
 مِنْ خَزْرَجٍ سِتُّ وَأَسْلَمَ النَّفَرُ وَجَاءَهُ فِي قَابِلٍ اثْنَا عَشَرَ
 خَمْسُ مِنَ الَّذِينَ قَبْلُ قَدْ أَتَوْا وَسَبْعَةٌ مِنْ غَيْرِهِمْ كَذَا رَوَوْا⁽¹⁾
 هُمْ: قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَرَافِعُ وَعَقْبَةُ بْنُ عَامِرِ السَّمَاذِغِ
 وَابْنُ زُرَّارَةَ النَّقِيبُ أَسْعَدُ وَخَامِسُ الْخَمْسَةِ عَادَ يَخْدُ
 عَوْفُ، ابْنُ عَفْرَاءَ، مُعَاذَهَا أَحْسَبُ فِي السَّبْعِ، ذَكَوَانَ عِبَادَةَ الْأَبِيِّ
 وَسِبْطَ نَضَلَةَ، يَزِيدَ الْبَلْسَوِي عُوَيْمُ هَكَذَا ابْنُ تَيْهَانَ رُوِيَ
 وَجَابِرُ سِبْطُ رِثَابِ السَّادِسُ فِي النَّفَرِ الْأَوَّلِ هُوَ الْخَانِسُ

قوله أول إسلام: مبتدأ خبره جملة: أن خرجت لمكة.. إلخ. وست (بالرفع): فاعل خرجت، وحذفت منه التاء ومن قوله أيضا خمس من الذين.. إلخ، وإن كان المقصود بهما مذكراً، لحذف المعداد، إذ محل لزوم التاء في المذكر إذا ذكر المعداد؛ فإن قصد ولم يذكر في اللفظ يجوز الإثبات والحذف. ومن الحذف حديث «...ثم أتبعه ستا من شوال»⁽²⁾، كما نص عليه الأشموني عند قول ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قلل للعشره ... إلخ.

(1) في نسخة: كما رروا.

(2) أخرجه مسلم ورواه في الجامع الصغير.

والنفر: الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة وفيه إقامة الظاهر مقام المضمّر. والضمير في جاءه عائد على النبي ﷺ. وقوله في قابل: أي في العام الموالي لعام مجيء هذا نفر. واثنان عشر: فاعل جاءه. وخمس: بدل من اثنا عشر. وسبعة: عطف على خمس. والسماذع: جمع سميدع: السيد الكريم الشريف. وأسعد: بدل من ابن زرارة. وخامس الخمسة: مبتدأ خبره: عوف بن عفراء. وعاد: أي رجع. ويخد (بفتح فكسر) أي يسرع. وقوله معاذها (بالنصب): مفعول به لاحسب مقدم عليه، وأضافه إلى ضمير أمه عفراء لبنوته لها واشتهاره بالنسبة إليها. وذكوان وعبادة وسبط نضلة (كلها بالنصب): عطوف على معاذها بجذب العاطف في الأولين. والأبي: صفة لعبادة، وهو الذي يأبى الضيم⁽¹⁾. والسبط: ولد الولد. ويزيد (بالنصب أيضا): معطوف على سبط نضلة بجذب العاطف. والبلوي: نسبة إلى بلي (كغني) ابن عمرو بن إلخاف بن قضاة. وعويم (بوزن زبير، وبالرفع): مبتدأ خبره هكذا. وابن تيهان: عطف على عويم بجذب العاطف أيضا. وتيهان: بفتح التاء وسكون الياء المخففة. وجابر: مبتدأ خبره جملة هو الخانس، والخناس (بالنون): المتأخر. وسبط رئاب والسادس.. صفتان لجابر، أي وجابر بن عبد الله بن رئاب سادس نفر - أي الستة الأولين - هو المتخلف عن المحيي معهم في العام الثاني.

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى ما روي في سبب إسلام الأنصار. وحاصل - ذلك كما في ابن هشام وغيره - أنه لما هلك أبو طالب، عم النبي ﷺ نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في

(1) الضيم: الظلم والإذلال ونحوهما جمعه: ضيوم، قال المثقب العبدى:

ونحني على الثغر المخوف ونتقي بغارتنا كيد العدا وضيوها

حياة ابي طالب. فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة⁽¹⁾ بهم من قومه حتى يُبلغ ما جاء به من الله عز وجل ، فلم يفعلوا ؛ بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ولاقى منهم أعظم جهد ومشقة. فانصرف راجعا إلى مكة حين يئس منهم حتى قدمها وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به.

فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويقف على منازل كل قبيلة ويقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله تعالى ما بعثه به⁽²⁾. وممن عرض عليه نفسه وطلب منه النصرة بنو كندة، فأبوا عليه؛ وأتى كلبا في منازلهم، وخصوصا منهم بطن بني عبد الله، فعرض عليهم نفسه حتى إنه كان يقول لهم: «يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم»⁽³⁾، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. وأتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله فلم يكن أحد من العرب أقبح منهم ردا عليه؛ وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقالوا له: أرأيت إن نحن تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيقون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء»⁽⁴⁾، فأبوا عليه ؛ فلما رجعوا إلى ديارهم جاءوا إلى شيخ لهم كان قد أدركته السن لا

(1) المنعة بالتحريك: العز والقوة.

(2) رواه ابن هشام في سيرته: 2 / 32.

(3) أخرجه الطبري في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية وابن هشام في سيرته.

(4) سيرة ابن هشام.

يقدر أن يوافي معهم الموسم - وكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم - فسألهم عما كان في موسمهم ذلك، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا؛ فوضع الشيخ يديه على رأسه وقال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذنا بها من مطلب؟ والذي نفسي بيده ما تقولها إسماعيلي قط وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟!.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة.. وغيرهم، وكان رد الجميع عليه من أقبح الرد، وقالوا له: عشيرتك وأسرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك. فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره في كل موسم، وكان لا يسمع بقادم يقدم مكة له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز وعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه نفر الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم؛ فبينما هو عند العقبة التي تضاف إليها الجمرة⁽¹⁾ إذ لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود؟»⁽²⁾ قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى؛ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن⁽³⁾.

(1) أي عند جمره العقبة وهي على يسار القاصد منى من مكة.

(2) أخرجه البيهقي وأبو نعيم في دلائل النبوة والطبري في تاريخه وابن هشام في سيرته.

(3) سيرة ابن هشام.

وكان من صنع الله بهم أن اليهود الذين كانوا معهم في بلادهم كانوا أهل كتاب وعلم، وكان الأنصار إذ ذاك أهل شرك وأوثان؛ وكانوا قد غلبوا اليهود على بلادهم وغزوهم بها، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالت اليهود لهم: إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا؛ والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وصدوقه، ثم قالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجنبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. وهؤلاء النفر حسب ترتيب الناظم لهم هم:

- قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، الخزرجي السلمي (يكنى أبا يزيد)، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدر وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ورمى يوم بدر حجرا وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وجرح يوم أحد تسع جراحات، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان، وقيل في خلافة عمر.

- الثاني: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، الخزرجي الزرقي (يكنى أبا مالك وقيل أبا رفاعة)، شهد العقبة الأولى والثانية وكان من النقباء،

وشهد بدرا، وروي أنه كان يقول: ما يسرني أني شهدت بدرا بالعقبة⁽¹⁾؛ قيل إنه كان من أول من أسلم من الخزرج وأول من قدم المدينة بسورة يوسف، وانه لما لقي رسول الله ﷺ بالعقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه وقرأ عليهم في موضعه. وروي أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن وأن النبي ﷺ عجب من اعتدال قبلته. وقد قتل رافع يوم أحد شهيدا.

- الثالث: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الخزرجي السلمي، شهد العقبة الأولى وشهد بدرا وسائر المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدا، ورؤي عنه أنه قال: جئت رسول الله ﷺ بابني وهو غلام حدث السن فقلت: بأبي أنت وأمي علم ابني دعوات يدعو بهن وخفف عليه، فقال: «قل يا غلام: اللهم إنني أسألك نجاة في إيمان وإيماننا في حسن خلق وصلاحا يتبعه نجاح»⁽²⁾.

- الرابع: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج النجاري، (يكنى أبا أمامة)، شهد العقبة الأولى والثانية، وزعم بنو النجار أنه أول من بايع ليلة العقبة؛ وكان من النقباء. ومات قبل بدر والمسجد يبنى؛ قيل إنه أول من دفن

(1) في رواية: "ما أحب أن لي بها مشهد بدر"، لأن من شهد بدرا وإن كان فاضلا - بسبب أنها أول غزوة نصر فيها الإسلام - لكن بيعة العقبة كانت سببا في فشر الإسلام ومنها نشأ مشهد بدر. [فتح الباري].

(2) نحوه في الجامع الصغير والطبراني في الأوسط وأحمد في مسنده، وفيه: "نجاحا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا".

بالبقيع، وقيل أول دفين به عثمان بن مظعون⁽¹⁾.

- الخامس: عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجاري، وهو ابن عفراء؛ اشتهر بالنسبة إلى أمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجارية. شهد عوف رضي الله عنه العقبة الأولى وشهد بدرًا مع أخويه: معاذ ومعوذ ابني عفراء؛ وقتل هو وأخوه معوذ بها شهيدين. وروي أن عوف بن عفراء هذا لما التقى الجمعان يوم بدر قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟⁽²⁾ قال: «أن يراه قد غمس يده في القتال حاسراً»⁽³⁾، فنزع عوف درعه وتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

- السادس: جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي، روي أنه هو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة بعام، وكان رضي الله عنه قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا ولما بايع هؤلاء النفر رسول الله ﷺ رجعوا إلى المدينة فلما قدموا على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم؛ فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

(1) يمكن الجمع بين القولين بأن أسعد هو أول دفين بالبقيع من الأنصار، وعثمان أول دفين به من المهاجرين (رضي الله عنهما).

(2) أي يُرضيه غاية الرضى فإذا قيل ضحك الرب لفلان: فهي كلمة وجيزة تتضمن رضا مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليهما. [الروض الأنف].

(3) أخرجه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق بسنده إلى قتادة، كما في الإصابة، وقوله: غمس يده في القتال: أي رمى بنفسه في وسط الحرب. والحاسر: الذي يحسر عن وجهه ورأسه في الحرب أو الذي لا درع له ولا مغفر ولا جنة.

فلما كان العام المقبل - وهو العام الثاني عشر من النبوة - وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة؛ وهي العقبة الأولى (وبعضهم يسميها بالثانية ويعد إسلام نفر الستة المذكورين العقبة الأولى). وهؤلاء الاثنا عشر خمسة منهم من الستة السابقين وسبعة جاءوا معهم لأول مرة ليبايعوا رسول الله ﷺ. أما الخمسة فهم أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء، النجاريان، وعقبة بن عامر بن نابي وقطبة بن عامر بن حديدة السلميان ورافع بن مالك الزرقني، وبقي سادسهم وهو جابر بن عبد الله بن رثاب لم يحضر معهم، تأخر بالمدينة؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وجابر سبط رثاب.. إلخ. وأما السبعة فهم:

● معاذ بن الحارث بن رفاعة، شقيق عوف بن عفراء المتقدم؛ ويروى أن معاذاً هذا كان هو أول من أسلم من الأنصار بمكة وشهد بدرًا مع أخويه عوف ومعوذ ابني عفراء واشتركا في قتل أبي جهل، وشهد أحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وبقي إلى زمن عثمان، وقيل توفي في أيام حرب صفين، وقيل غير ذلك.

● الثاني: ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مُخَلد بن عامر بن زريق الزرقني، كان ممن شهد العقبة وبدرًا وأحداً - واستشهد به - وقال فيه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر من يبطأ بقدمه خضراء الجنة فلينظر إلى هذا»⁽¹⁾. وروي أنه خرج هو وأسعد بن زرارة إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا بالنبي ﷺ فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما ولم يقربا ساحة عتبة ورجعا إلى المدينة فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة، ثم رحل منها ذكوان إلى مكة وسكنها مع رسول الله ﷺ ثم هاجر بعد فكان مهاجرًا أنصاريًا.

(1) رواه ابن المبارك في الجهاد - [كما في الإصابة].

• الثالث: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي نسبة إلى القواقل ، وهم بنو غنم بن عوف؛ لقبوا بذلك لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهمًا وقالوا له: قوئل به حيث شئت بيثرب (والقوئلة ضرب من المشي).

وعبادة هذا يكنى أبا الوليد، أمه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن العجلان الخزرجية، أسلمت وبايعت رضي الله عنها. وكان عبادة من فضلاء الصحابة وعلمائهم وشهد العقبة الأولى والثانية وكان من النقباء، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد فتح مصر سنة عشرين. ولما غدر بنو قينقاع ونقضوا عهد النبي ﷺ وجاء ابن أبي يشفع لهم عند النبي ﷺ — وكان له من حلفهم مثل ما لابن أبي — مشى عبادة إلى النبي ﷺ فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، فنزلت: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾. قيل كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وتفقه في الدين وبعثه عمر إلى أهل الشام يفقههم في الدين، وولي قضاء فلسطين؛ وهو أول من ولي القضاء بها. وكان موصوفًا بالورع، وكان من سادات الصحابة. ومات، قيل بالرملة⁽²⁾، وقيل بفلسطين، وقيل ببيت المقدس؛ وقد قيل إن قبره معروف ببيت المقدس، ولا يعرف قبر صحابي به غيره وغير قبر شداد بن أوس. وكانت وفاة عبادة هذا سنة أربع وثلاثين، وقيل عاش إلى سنة خمس وأربعين.

(1) المائة: الآية: 51.

(2) الرملة: مدينة مشهورة في فلسطين وهي بين يافا والقدس.

• الرابع: العباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي العجلاني، شهد العقبة الأولى والثانية وأقام مع رسول الله ﷺ بمكة ثم هاجر إلى المدينة، فكان يوصف بأنه مهاجري أنصاري، استشهد رضي الله عنه يوم أحد.

• الخامس: يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة بن مالك، من بني غُضَيِّنة من بلي، حليف للقوائل؛ فهو بلوي بالنسب وأنصاري بالحلف. يكنى أبا عبد الرحمن، شهد العقبتين.

• السادس: عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد العقبة الأولى والثانية — كما للواقدي — وشهد بدرًا وأحدا والخندق، ومات في حياة رسول الله ﷺ، وقيل شهد المشاهد كلها ومات في خلافة عمر بالمدينة. وروي أن عمر رضي الله عنه وقف على قبره وقال: "ما يستطيع أحد على وجه الأرض أن يقول إنه أفضل من صاحب هذا القبر، ما نصب رسول الله ﷺ راية إلا وعويم تحت ظلها"؛ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الذين قال الله فيهم ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾⁽¹⁾ فقال: «نعم المرء منهم عويم بن ساعدة»⁽²⁾.

• السابع: أبو الهيثم مالك بن التيهان — واسم التيهان مالك أيضا — وهو ابن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم، واختلف في نسبه؛ فقليل أنصاري بالنسب وإن

(1) التوبة: الآية: 108.

(2) أخرجه ابن سعد في طبقاته وابن حجر في تهذيب التهذيب ورواه الإسماعيلي عن الزهري — كما في الإصابة.

جده عبد الأعمى هذا ابن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ولذا كان من النقباء وهم من الصميم الصريح ولم يكن فيهم حليف. وقيل أنصاري بالحلف وأصله من بلي بن عمرو بن إلخاف بن قضاة، حليف لبني عبد الأشهل؛ فهو بلوي النسب أشهلي بالحلف. وقيل هو من بني أراشة من خزاعة، ولذا قال فيه ابن رواحة:

فلم أر كالأسلام عزاً لأهله ولا مثل أضياف الأراشي معشرا

شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيب بني عبد الأشهل هو وأسيد بن حضير، وعده بعضهم في الستة الأولين، مكان عوف بن عفراء؛ وقد قيل إنه أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة. وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بالمدينة في خلافة عمر، وقيل قتل مع علي بصفين، وهو الأصح - كما في الروض الأنف والاستبصار.

وقصة أضيافه رضي الله عنه التي أشار إليها ابن رواحة هي - كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لم يخرج فيها ولا يلقاها فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟» قال: للقائك يا رسول الله والسلام عليك والنظر في وجهك، فلم يلبث أن جاء عمر فقال: «ما جاء بك يا عمر؟» قال: الجوع يا رسول الله؛ قال صلى الله عليه وسلم: «قد وجدت بعض ذلك، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري» - وكان رجلاً كثير النخل والشاء ولم يكن له خادم - فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء. فلم يلبثوا أن جاء بقربة يزعبها⁽¹⁾

(1) استعذب: طلب أو استقى ماء عذبا، يقال: خرج يستعذب الماء أي يطلبه عذبا. والقربة (بالكسر): ظرف من جلد يستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما. وزعب القربة: احتملها ممتلئة.

فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه⁽¹⁾ ثم انطلق بهم إلى حديقة وبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بعدق فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره»؟⁽²⁾ فقال: يا رسول الله إني أردت أن تخيروا من رطبه وبسره. وخرج فورا ويده شفرة ليذبح لهم، فقال له رسول الله ﷺ: «نكّب عن ذوات الدر»⁽³⁾، فأخذ عناقا⁽⁴⁾ فذبحها ثم قال لامرأته اعجني واخيزي لنا، ثم أخذ نصف العناق فطبخه وعمد إلى نصفها الآخر فشواه، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ أخذ قطعة من اللحم ووضعها في رغيف وأرسلها إلى فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم. فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبزٌ ولحمٌ وتمرٌ ورطبٌ وبسرٌ»⁽⁵⁾ ودمعت عيناه ثم قال: «والذي نفسي بيده إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطبٌ طيب وماء بارد...» - الحديث. وقد روي وقوع مثل هذه القصة لأبي أيوب الأنصاري مع النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر

(1) يلتزمه: أي يعتنقه. ويفديه: يقول له: أفديك بأبي وأمي.

(2) أخرجه الترمذي، والعدق: غصن له شعب. والرطب: ما نضج من تمر النخل. والبسر: ما لم يكتمل نضجه.

(3) أخرجه مسلم والترمذي، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الهيثم: «هل لك خدام؟» قال: لا، قال: «فإذا أتانا سبي فأتنا»، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اختر منهما» فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فيأني رأيتك يصلي واستوص به معروفا»، فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: ما أنت ببالحق ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تعتقه، قال هو عتيق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يعث نبيا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا؛ ومن يوق بطانة السوء فقد وقى» - [الترمذي].

(4) العناق (كسحاب): الأنتى من المعز قبل استكمالها سنة.

(5) أخرجه الترمذي.

رضي الله عنهما. والله أعلم.

ولما التقى رسول الله ﷺ بهذا النفر بالعقبة بايعوه بيعة النساء⁽¹⁾، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب. وإلى ذلك أشار الناظم رحمه الله بقوله:

وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ النَّسَاءِ بِبِلَا قِتَالٍ وَبِلَا عَدَاءٍ
وَسَأَلُوا مُعَلِّمًا يُرْشِدُهُمْ إِذْ يَكْرَهُونَ أَنَّهُ أَحَدُهُمْ
فَأَرْسَلَ الْأَعْمَى لَهُمْ وَمُضْعَبًا مِنْ أَوَّلِ النَّاسِ إِلَيْهِ انْتِدَبًا
أُسَيْدُهُمْ وَسَعْدُ الذُّ أَلَى لِقَوْمِهِ فَدَخَلُوا أَرْسَالًا
فِي الْحَيْنِ مَا عَدَا الْأَصِيرِمَ السَّرِي وَكُلَّهُمْ مِّنَ النَّفَاقِ قَدْ بَرِي

الضمير المرفوع في بايعوه عائد على الوفد الاثني عشر المتقدم ذكره، والمنصوب عائد على النبي ﷺ؛ والمراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، ولذا فسرها بقوله: بلا قتال وبلا عداء. والعداء (بالفتح): الظلم. والضمير في سألوه: عائد على الوفد أيضا. وقوله يرشدهم: أي يهديهم إلى الإسلام. وقوله إذ يكرهون: أي الأنصار، أنه: أي المعلم، أحدهم أي منهم؛ أي يكره كل فريق من الحيين - الأوس والخزرج - أن يؤمه أحد من الفريق الآخر، وذلك لقرب العهد بما كان بينهما من التنافس في الجاهلية. وقد كان من طباع العرب قديما النفور من أن يتقدم على القبيلة أحد من غيرها، والمعهود عندهم أن يكون إمام كل قبيلة منها. وقوله فأرسل: فاعله ضمير مستتر عائد على النبي ﷺ.

والمراد بالأعمى: عبد الله ابن أم مكتوم العامري. ومصعب: هو مصعب بن

(1) أي على وفق بيعة النساء التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة.

عمير العبدري. والضمير في إليه عائد على مصعب. وانتدب له: استجاب. وأسيدهم (بوزن زبير) هو أسيد بن حضير الأشهلي، والضمير الذي أضيف إليه عائد على الأنصار. وسعد هو ابن معاذ سيد الأوس. وآلى: حلف. ولقومه: أي بني عبد الأشهل. وأرسالا: أي جماعات (جمع رَسَلٍ — بالتحريك — كسبب وأسباب). والأصيرم هو عمرو بن ثابت الأنصاري ثم الأشهلي. والسري: الشريف. والضمير في كلهم عائد على بني عبد الأشهل. وبسري (مخفف): برئ، أي سلم من النفاق.

هذا وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله وبايعوه بيعة النساء.. إلخ، إلى ما رواه ابن هشام وغيره عن عبادة بن الصامت الخزرجي القوقلي، قال: "كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلکم الجنة وإن غَشِيْتُمْ من ذلك شيئا فأمرکم إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب"⁽¹⁾. فكانت بيعتهم له صلى الله عليه وسلم تشبه بيعة النساء من حيث أنها كانت على الشروط التي كان رسول الله ﷺ بعد ذلك يشترطها على النساء في مبايعتهن بعد الفتح، وهي المبينة بقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا

(1) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه».

يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ^١ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَعْفَرَ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^٢، ولم يكن إذ ذاك قد نزل على رسول الله ﷺ من الفرائض إلا التوحيد والصلاة. ثم أشار الناظم بقوله إذ يكرهون.. إلخ، إلى ما في أسد الغابة: قال: لما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى بعث معهم مصعب بن عمير يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن فكان يصلي بهم، وذلك لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض. وروى ابن إسحاق مثله أيضا كما في

سيرة ابن هشام. وقد ذكر الشيخ حماد في روض النهاية^٣ في الكلام على مصعب هذا أنه لما كانت ليلة العقبة سأل الأنصار النبي ﷺ أن يرسل معهم من يرشدهم للدين ولا يكون منهم خوف التنافس — كما مر — فبعث معهم مصعبا وابن أم مكتوم، فترلا على أسعد بن زرارة. وذكر ابن حزم في جوامع السيرة، وصاحب الحلة السيرة في نهاية كلامه على الأنصار، أنه صلى الله عليه وسلم بعث معهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم، ثم نزل مصعب بن عمير على أبي أمامة أسعد بن زرارة النجاري، فكان يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ويصلي بهم؛ فكان يدعى في المدينة القارئ والمقرئ، وجمع بهم أول جمعة في الإسلام في هزم حرة

(1) ولا يأتين ببهتان: هو الولد تنسبه إلى بعلها وليس منه، وقيل هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والحسة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وقيل يفتريه بين أيديهن: يعني الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم، وأرجلهم: يعني المشي في معصية، ولا يعصينك في معروف: أي في خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعم الرجال والنساء. [الروض الأنف].

(2) الممتحنة الآية: 12.

(3) حماد بن الأمين ابن أخي الناظم وصاحب شرح أول هذا النظم، وكتابه روض النهاية شرح نظم الغزوات لأحمد البدوي أيضا (مطبوع).

بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضعات، وهم أربعون رجلاً⁽¹⁾.

مصعب بن عمير

ومصعب هذا هو ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله؛ كان من جلة الصحابة وفضلائهم، وكان أحد السابقين إلى الإسلام. وقد كان قبل أن يسلم فتى من فتيان مكة شبابا وجمالا وتيها وكان أعطر أهل مكة وكان أبواه يجبانه؛ فكانت أمه الخناس بنت مالك بن المضرب⁽²⁾ تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وتلبسه الحضرمي من النعال⁽³⁾. وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير»⁽⁴⁾؛ فلما بلغه أن النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم دخل عليه فأسلم وكنم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فوشى لهم بإسلامه، فأخذوه وأوثقوه وحبسوه. ولم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة؛ وقد أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه وأنهك جسمه. ولما رآه النبي ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ولما

(1) الهزم: ما اطمأن من الأرض. والحررة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار، جمعها: حررات وحرار وإحرون. وبنو بياضة: بطن من الخزرج؛ وهم بنو بياضة بن عامر بن زريق. ونقيع الخضعات: موضع. وللدارقطني من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير: «أن اجمع بهم»، فكانت الجمعة فريضة صلاها المسلمون قبل أن يصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه إذ ذاك بمكة ولم يتمكن من صلاتها.

(2) العامرية من بني عامر بن لؤي.

(3) الحضرمي من النعال: الملسن منها وهي التي فيها طول ولطافة كهيئة اللسان، ويقال: نعلان حَضْر موتيان. [القاموس].

(4) ذكره الواقدي - كما في أسد الغابة.

صار إليه⁽¹⁾، ثم بعثه رسول الله ﷺ مع أهل العقبة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فسار معهم فكان يصلي بهم ويعلمهم؛ وأسلم كثير منهم على يديه. وشهد رضي الله عنه بدرا وكانت معه راية رسول الله ﷺ، ثم شهد أحدا ومعه اللواء ولم يزل يقاتل حتى استشهد. وقد روي أنه لم يترك إلا نمرة واحدة كانوا إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا بها رجله خرج رأسه؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله شيئا من الإذخر»⁽²⁾. ولم يعقب إلا بنتا اسمها زينب بنت مصعب؛ تزوجها عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فولدت له محمدا ومصعبا وغيرهما. وأم زينب هذه حمنة بنت جحش.

عبد الله بن أم مكتوم

وأما الأعمى فاختلف في اسمه، والمشهور أن اسمه عبد الله - وقيل عمرو - وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم (جندب) بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب العامري المعيصي، فهو خال (أو ابن خال) أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وأمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم المخزومية؛ وقد دعيت بأم مكتوم لأنها ولدت له أعمى مكتوما، ولقب مكتوما لاكتتام نور بصره، وقيل إنما عمي بعد بدر بسنتين - كما في الحلة

(1) رواه الترمذي، والحاكم في معرفة الصحابة.

(2) أخرجه البخاري. والنمرة (بفتح النون وكسر الميم): كساء ملون مخطط أو بردة من صوف تلبسها الأعراب، جمعها: نمرات ونمور. والإذخر (بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين آخره راء): الحشيش الأخضر وحشيش ينبث بمكة وأرض الحجاز طيب الرائحة ينبث في السهول والحزون وإذا جف أبيض. [القاموس] و[البدر العيني].

السيرة — واشتهر بالنسبة إلى أمه.

وقد جاء ذكره بهذا اللقب (الأعمى) في القرآن الكريم؛ وذلك أنه رضي الله عنه جاء يوماً إلى النبي ﷺ وعنده رجل من عظماء المشركين، فجعل ابن أم مكتوم يقول: يا رسول الله أرشدني وعلمي مما علمك الله؛ ورسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الرجل الذي معه يدعو إلى الإسلام رجاء أن يسلم — وكان قد طمع في إسلامه — فنزل قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾ (١) الآيات، فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم ييسط له رداءه ويقول: «مرحبا بمن عاتيني فيه ربي» (٢) ويكرمه ويقول له: «هل من حاجة»؟ (٣)؛ ونزل جبريل مرة على رسول الله ﷺ ووجد معه ابن أم مكتوم فقال جبريل: يا هذا متى فقدت بصرك؟ فقال: وأنا صغير، فقال جبريل: أبشر فإن الله تعالى يقول: «إذا أخذت كريمي عبدي فلا أجازيه إلا بالجنة» (٤). وكان رضي الله عنه قدم الإسلام، أسلم بمكة وكان من المهاجرين الأولين؛ ففي الاستيعاب أنه قدم مع مصعب بن عمير المدينة. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين: مصعب بن عمير ثم جاء بعده عمرو بن أم مكتوم. ولما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة جعله من مؤذنيه، واستخلفه على المدينة مرارا؛ فقد استخلفه في غزوة الأبواء وبواط وذو العشيرة والسويق وغطفان وأحد وحمراء الأسد وذات الرقاع، واستخلفه في مسيره إلى حجة الوداع، وغير ذلك..

(1) سورة عبس: الآيات: 1 - 10.

(2) أخرجه البغوي.

(3) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم — كما في ابن كثير.

(4) أخرجه الترمذي.

وروي عن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري قال: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيت السكينة فوقعت فخذة صلى الله عليه وسلم على فخذي، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فخذة صلى الله عليه وسلم؛ ثم سري⁽¹⁾ عنه فقال: «اكتب يا زيد»، فكتبت في كتف⁽²⁾: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (..). وَأَلْمَجَّهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..﴾ إلى آخر الآية، فقام ابن أم مكتوم — وكان رجلاً أعمى — (لما سمع فضيلة المجاهدين) فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فوقعت فخذة على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اقرأ ما كتبت يا زيد» فقرأت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب ﴿غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ﴾»⁽³⁾ — الآية كلها؛ قال زيد فأنزلها الله وحدها فألحقتها، والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إلى ملحقتها عند صدع في كتف⁽⁴⁾ — [كما في القرطبي وغيره].

ثم إن ابن أم مكتوم — رغم هذا العذر الصريح النازل فيه — أبت له نفسه أن يقعد مع القاعدين؛ وعقد العزم على الجهاد مع المجاهدين، فخرج مجاهداً في سبيل

(1) سري عنه: كشف عنه ما نزل به من شدة الوحي وثقله.

(2) الكتف: عظم عريض خلف النكب يكون للإنسان والحيوان (مؤنثة) جمعه: أكتاف؛ وفي المثل: "إنه ليعلم من أين توكل الكتف" يضرب للداهي الذي يأتي الأمور من مآتها، وكانوا يكتبون فيها لقلعة القراطيس عندهم.

(3) النساء: الآية: 95.

(4) أخرجه أبو داود.

الله بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه بالقادسية ومعه لواء المسلمين - كما مر⁽¹⁾؛ قيل إنه كان يقول لهم: أقيموني بين الصفيين وحملوني اللواء أحمله لكم وأحفظه، فأنا أعمى لا أستطيع الفرار، فدفعه له سعد بن أبي وقاص أمير الجيش، وكان قد لبس درعه واستكمل عدته. واحترب الفريقان حربا لم يشهد لها تاريخ الفتوح مثيلا حتى انجلى اليوم الثالث عن نصر مؤزر للمسلمين وزال عرش دولة الفرس ورفعت راية التوحيد؛ وكانت قد سقطت مئات الشهداء وكان من بينهم ابن أم مكتوم، فقد وجد صريعا مضرجا بدمائه وهو يعانق راية المسلمين. وقيل رجع من القادسية إلى المدينة ومات بها.

قوله: من أول الناس إليه انتدبا.. إلخ، أشار به إلى ما رواه ابن إسحاق وغيره من أن أسعد بن زرارة خرج يوما بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر - وكان أسعد بن زرارة ابن خالة سعد بن معاذ - فدخل أسعد بمصعب في حائط من حوائط بني ظفر وجلسا فيه، فاجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيذا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما إذ ذاك مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أباك لك!⁽²⁾ انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لو لا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدا. فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم

(1) راجع قول الناظم:

وإذ شكاً للمصطفى أن حذفاً ﴿غير أولي الضرر﴾ جاء المصطفى

(2) يقال لا أب لك ولا أباك لك ولا أباك كل ذلك دعاء في المعنى لا محالة وفي اللفظ خير ويقال لمن له أب ولمن لا أب له.

أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا أسيد بن حضير سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف أسيد متشتما⁽¹⁾ فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت؛ ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن. فقالا - فيما يذكر عنهما -: والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراق وجهه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر² وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين؛ ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي سار به من عندهم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت؛ وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك!⁽²⁾، فقام سعد مغضبا مبادرا - تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة - فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا. ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما؛ فوقف عليهما متشتما، وقد قال ابن زرارة لمصعب: أي مصعب جاءك

(1) متشتما: أي متعرضا للشتم وهو السب.

(2) ليخفروك: أي ينقضوا عهدك ويغدروك، وفي رواية: ليحقروك - [كما في الطبري].

والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. فقال سعد بن معاذ لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا، أتغشانا في دارينا بما نكره؟ فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؛ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس. فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين، قال: فقام واغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا إلى نادي قومه. فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمنا نقيية⁽¹⁾، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة، غير الأصيرم عمرو بن ثابت. وقد قال في الأنوار الحمديّة: لم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم أجمعين، ونص عليه أيضا ابن حزم في جوامع السيرة النبوية. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وكلهم من النفاق قد بري..

أما أسيد بن حضير وسعد بن معاذ فسيأتي الكلام عليهما إن شاء الله، وأما الأصيرم فهو عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل،

(1) أصل النقيية: النفس، وميمون النقيية: أي منجح الفعال مظفر المطالب.

أمه ليلى بنت اليمان أخت حذيفة بن اليمان، ويعرف بالأصيرم لانصرامه عن قومه بتخلفه عنهم حين أسلموا وبقائه على شركه ؛ فكان يأبى الإسلام على قومه واستمر على ذلك حتى كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ ، ألقى الله الإسلام في قلبه للذي أراد به من السعادة ف جاء إلى رسول الله ﷺ وهو مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أسلم أم أقاتل؟ قال: «أسلم ثم قاتل»⁽¹⁾. فأسلم ثم أخذ سيفه حتى أتى القوم فدخل في عرض⁽²⁾ الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحات؛ فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا: إن هذا للأصيرم! ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر. فقالوا له: ما جاء بك يا عمرو ههنا، أحدبا على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام فأمنت بالله ورسوله وأسلمت وأخذت سيفي وقاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما أصابني.. ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال: «إنه لمن أهل الجنة»⁽³⁾، وروي أيضا أنه قال: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»⁽⁴⁾. فدخل الأصيرم الجنة بمجرد الإيمان والجهاد في سبيل الله، ولذا كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة قط؟! فإذا لم يعرفه الناس قال: هو أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت⁽⁵⁾.

(1) أخرجه أبو داود وابن منده وابن الأثير.

(2) أي عامتهم وجماعتهم.

(3) أخرجه أبو داود، وأورده ابن منده وابن الأثير.

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

(5) وقد كان ممن دخل الجنة ولم يصل قط أيضا مخيريق بني النضير والأسود الراعي، أما مخيريق فكان حيرا يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ولكنه غلب عليه دينه ولم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد قال: والله يا معشر يهود إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا:

وما وقع لسعد بن معاذ هذا مع قومه وقع مثله (أو ما يشبهه) لضمام بن ثعلبة السعدي - أحد بني سعد بن بكر - مع قومه. فقد روي عن ابن عباس وغيره قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه فأناخ بعيره وعقله على باب المسجد - وكان رجلا جلدا ذا غديرتين⁽¹⁾ - فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فأشاروا له عليه فقال: إني سائلك ومُغَلِّظ عليك في المسألة فلا تجحدن في نفسك، فقال: «لا أجد في نفسي؛ سل عما بدا لك»، قال: أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله أمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: «اللهم نعم». قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الصلاة والزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام ينشده عند كل فريضة كما ينشده في التي كانت قبلها حتى فرغ، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وسؤؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص! ثم انصرف

----->>>

اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم؛ وأخذ سلاحه وسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد فقاتل معهم حتى قتل، فكان صلى الله عليه وسلم يقول: «مخبريق خير يهود». وأما الأسود الراعي فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لخير فعرض عليه الإسلام فأسلم ثم تقدم ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى الله صلاة قط، فأتوا به ووضعوه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسحى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زوجته من الحور العين».

(1) الغديرة: المضمور من الشعر.

راجعاً، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة»⁽¹⁾.

فلما أتى قومه اجتمعوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بعست اللات والعزى! فقالوا: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجدام، اتق الجنون.. فقال: ويلكم إنهما والله ما يضران وما ينفعان، وإن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنفذكم به مما كنتم فيه؛ وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. فما أمسى من ذلك اليوم في حضرته من رجل ولا امرأة إلا مسلما. قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام بن ثعلبة⁽²⁾.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَجَاءَهُ فِي ثَالِثِ الْأَعْوَامِ زُهَاءُ سَبْعِينَ وَفِي الظَّلَامِ
عَلَى الْخُرُوجِ بَايَعُوهُ وَحَضَرَ عَمُّ النَّبِيِّ حِلْفَهُمْ حَتَّى اسْتَمَرَ
وَصَرَخَ الصَّارِخُ أَنْ مُحَمَّدًا . مُحَرَّفًا . لِحَرِيكُمُ قَدْ مَهَّدَا
وَاخْتَارَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ تَفَاوُلًا بِالنُّقْبَا لِإِثْنَيْ عَشَرَ
وَهُمْ مِّنَ الْأَوْسِ: أُسَيْدٌ فَاعْلَمَهُ رِفَاعَةُ وَسَعْدُ ابْنُ خَيْثَمَةَ
وَتَسْعُ خَزْرَجِ بَنُو بُدُورٍ رَوَاحَةَ زُرَّارَةَ مَعْرُورٍ
وَأَبْنُ عَبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ الشَّهْمِ الرَّفِيعِ

(1) أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن عبد البر. والمراد بالعقيصتين: الضفيرتان من الشعر.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

عَبْدُ الْإِلَهِ نَجَلُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَمُنْذِرٌ وَنَجَلٌ صَامِتِ الْهَمَامِ

الضمير في جاءه: عائد على النبي ﷺ المتقدم ذكره. وقوله في ثالث الأعوام: أي أعوام لقائهم له؛ فالعام الأول لقي فيه نفر الستة، والثاني لقي فيه الوفد الاثني عشر، والثالث لقي فيه هذه السبعين. قوله زهاء (بضم الزاي والرفع): فاعل جاءه، وزهاء الشيء: مقداره أو ما يقرب منه. وفي الظلام: متعلق ببايعوه؛ وإنما فعلوا ذلك حذرا من مشركي قومهم ومشركي قومه صلى الله عليه وسلم. وقوله: على الخروج: أي خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليمنعوه حتى يبلغ عن الله ما أرسل به. وعم النبي: المراد به هنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. وحلفهم (بالكسر): عهدهم وعقدهم الواقع بينهم وبين النبي ﷺ على أن يمنعه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم. واستمر: ثبت ودام. وصرخ: صاح صياحا شديدا، والمراد بالصراخ هنا: إبليس لعنه الله. وقوله: محرفا (بصيغة اسم الفاعل وبالنصب على الحال من فاعل صرخ)، والتحريف: تغيير اللفظ عن حاله الأصلي؛ والمراد بتحريفه هنا أنه حرف لفظ محمد إلى لفظ مذمم، فقال: هل لكم في مذمم والصباء معه اجتمعوا على حربكم، فجعل لفظ "مذمم" موضع الاسم الشريف "محمد". وقوله: لحربكم متعلق بمهد التي بعده، والضمير فيه لقريش. ومهد (بتشديد الهاء): أي أسس بسبب هذه المعاهدة. وقوله واختار منهم: أي السبعين. والتفاؤل: ضد التشاؤم. والنقبا: جمع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم، سمي بذلك لأنه ينقب عن أمورهم. والاثني عشر هم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾⁽¹⁾، وبين النقباء بقوليه: وهم من الأوس.. إلخ، وحذفت

(1) المائدة: الآية: 12.

التاء من قوله وتسع خزرج، لما مر⁽¹⁾. وقوله بنو بدور بدل من تسع خزرج. والشهم: الذكي الفؤاد والسيد النافذ الحكم. والرفيع: ذو الرفعة أي ارتفاع القدر والمنزلة. والهمام: السيد الشجاع السخي.

بيعة العقبة الثانية

أشار الناظم رحمه الله بهذه الآيات إلى ما في ابن هشام عن كعب بن مالك الأنصاري السلمي - وكان رضي الله عنه ممن شهد العقبة الثانية وبايع رسول الله ﷺ بها - قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين حتى قدمنا مكة فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، قال: وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا؛ فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ودعوانا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا؛ قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين⁽²⁾، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة⁽³⁾، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من

(1) عند قوله: من خزرج ست وأسلم النفر .. إلخ.

(2) تسلل وانسل في الظلام أو من الزحام: انطلق في استخفاء. والقطا: جمع قطة، وهي طائر في حجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء، فيقال: "أهدى من القطا"؛ قيل سميت القطا لثقل مشيها، وقيل بصوتها.

(3) هي العقبة الأخيرة.

نسائنا: نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف (إحدى نساء بني مازن بن النجار)،
وأسماء بنت عمرو بن عوف بن نابي (إحدى نساء بني سلمة).

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد
المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له،
فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - قال
كعب: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج (خزرجها
وأوسها) - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل
رأينا فيه؛ فهو في عز من قومه ومنعة⁽¹⁾ في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم
واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه
فأنتم وما تحملتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به
إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما
قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال فتكلم رسول الله
ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني
مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»⁽²⁾. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم
والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا⁽³⁾.. فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله
أهل الحرب وأهل الحلقة⁽⁴⁾ ورثناها كابرا عن كابر. قال: فاعترض القول - والبراء
يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيتنا وبين القوم

(1) منعة (محرمة وتسكن): أي معه من يمنعه من عشيرته - [القاموس]. والمنعة: أيضا القوة التي تمنع من يريد أحدا بسوء.

(2) أخرجه أحمد وابن إسحاق في سيرته. ورواه بالمعنى ابن سعد في طبقاته وأبو نعيم وابن حجر والطبري.

(3) يعني نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار.

(4) الحلقة (يفتح فسكون): السلاح عاما، وقيل خاص بالدروع.

حبلا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن بايعناك وخرجنا معك ثم نصرك الله وأظهرك أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدمُ الدُّمُّ والهدمُ الهدمُ أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم»⁽¹⁾.

وروي أن العباس بن عباد بن نضلة قال: يا معشر الخزرج هل تدرون على مَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال⁽²⁾ وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإننا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة»⁽³⁾، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه. وإنما قال العباس ذلك ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وروي عن عباد بن الصامت - وكان من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى على بيعة النساء ومن هذه السبعين الذين بايعوا في العقبة الثانية على الحرب ومن النقباء - قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرنا وَمَنْشَطِنا ومكْرَهنا

(1) أخرجه أحمد، ورواه ابن إسحاق، وقد كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمته من الدماء هدمته أنا. وقال ابن هشام: الهدم الهدم: أي ذممتي وحرمتي حرمتكم.

(2) نهكة الأموال: نقصها.

(3) أخرجه أحمد في مسنده.

وأثرة علينا⁽¹⁾ وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. وعن الشعبي قال: قال النبي ﷺ ليلة العقبة: «يا معشر الأنصار تكلموا وأوجزوا فإن علينا عيوننا»⁽²⁾، قال: فخطب أبو أمامة أسعد بن زرارة خطبة ما خطب المرء ولا الشيب مثلها قط؛ قال: يا رسول الله اشترط لربك واشترط لنفسك واشترط لأصحابك، قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهلكم»⁽³⁾، وأشترط لأصحابي المواساة من ذات أيديكم»⁽⁴⁾، قالوا: هذا لك فما لنا؟ قال: «الجنة»⁽⁵⁾؛ قالوا: ابسط يدك فبايعوه. واختلف في أول من بايعه، فبعضهم يقول أسعد بن زرارة، وبعضهم يقول ابن التيهان، وبعضهم يقول البراء بن معرور.

ولما بايعوا رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم»⁽⁶⁾، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا: ثلاثة من الأوس وتسعة من

(1) السمع والطاعة: أي الانقياد. والعسر: الشدة والضييق وقلّة ذات اليد. واليسر: ضد العسر. والمنشط (بفتح الميم والشين): طيب النفس للعمل بخلاف المكروه (بفتح الميم والراء)، يقال: "افعلوا ذلك على المنشط والمكروه" أي على طيب النفس للعمل وكرهها له. والأثرة (بضم الهمزة وسكون المثناة وبالتحريك): هي الاستيثار عليهم وتفضيل غيرهم عليهم في نصيبه من الشيء. وفي رواية أنهم قالوا له: على م نبايعك؟ فقال: «على السمع والطاعة في المنشط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(2) أخرجه أحمد: 4 / 120، وأبو نعيم في الدلائل.

(3) أخرجه أحمد وابن إسحاق في سيرته، ورواه بالمعنى ابن سعد في طبقاته وأبو نعيم وابن حجر والطبري.

(4) أخرجه أحمد والبيهقي في الدلائل، وابن سعد وابن كثير في البداية والنهاية.

(5) أخرجه أحمد في مسنده.

(6) فتح الباري، وابن هشام في سيرته.

الخزرج. وذكر الناظم أسماءهم، وبدأ بنقباء الأوس الثلاثة، ثم ذكر تسعة الخزرج. وهذا بعض التعريف بهم على ترتيب الناظم لهم:

التعريف بالنقباء

أما أسيد فهو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الأشهلي، نقيب بني عبد الأشهل. كان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعثت - كما مر - ويعرف بحضير الكتائب، وكان جده سماك بن عتيك فارسهم وسيدهم في الجاهلية؛ ثم كان أسيد هذا من وجوه الأنصار وسادات الصحابة وكان شريفا كاملا عاقلا من أهل الرأي وكان من السابقين إلى الإسلام، وتقدم سبب إسلامه؛ وشهد رضي الله عنه بدرًا وأحدا وكان ممن ثبت فيه ثم شهد المشاهد كلها، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة؛ وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه: «نعم الرجل أسيد بن حضير»⁽¹⁾. وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يقدم عليه أحدا من الأنصار؛ وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر، وقالت فيه أيضا: كان أسيد بن حضير من أفاضل الصحابة.

وكان رضي الله عنه من أحسن الناس صوتا بالقرآن. واستعمله عمر رضي الله عنه على الإمامة. وتوفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين وصلى عليه عمر، ودفن بالبقيع، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك. ولم يعقب.

(1) أخرجه أحمد وذكره البغوي.

وأما رفاعة فهو أبو لبابة رفاعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي نقيب بني عمرو بن عوف، اشتهر رضي الله عنه بكنيته، وكان معدودا في البدرين؛ خرج مع النبي ﷺ إلى بدر فرده من الروحاء إلى المدينة أميرا عليها وضرب له بسهمه وأجره وشهد أحدا والمشاهد بعدها، واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة في خروجه إلى غزوة السويق، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح. وتوفي بعد قتل عثمان بن عفان في خلافة علي رضي الله عنه. وقد عد قوم أبا الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا. والله أعلم.

وأما سعد فهو أبو عبد الله سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأوسي، كان رضي الله عنه يسمى سعد الخير، وكان ممن شهد بدرا؛ روي أنه استهم يوم بدر هو وأبوه خيثمة فخرج سهم سعد فقال له أبوه يا بني آثرني اليوم، فقال: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت؛ فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد شهيدا.

وأما ابن رواحة فهو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي نقيب بني الحارث بن الخزرج، أمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من بني الحارث بن الخزرج أيضا، شهد رضي الله عنه بدرا وأحدا والمشاهد بعدهما إلا الفتح وما بعده، لأنه استشهد قبله يوم مؤتة سنة ثمان بأرض الشام، وهو ثالث أمراء الجيش. وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الرجل عبد الله بن

رواحة»⁽¹⁾، وقال: «رحم الله ابن رواحة إنه يجب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»⁽²⁾؛ وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان مرة يخطب فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول: اجلسوا فجلس مكانه خارجا من المسجد؛ فلما فرغ قال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله»⁽³⁾. وروي عن أبي الدرداء قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة.

وكان رضي الله عنه أحد الشعراء المجيدين الذين كانوا ينافحون⁽⁴⁾ عن رسول الله ﷺ ويمدحونه ويهجون الكفار، وكان من أسرع الناس بديهة في الشعر؛ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال له يوما: «قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك»⁽⁵⁾، فانبعث مكانه يقول:

إني تفرّست⁽⁶⁾ فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يجرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر⁽⁷⁾

-
- (1) فوائد ابن أبي طاهر الذهلي - [كما في الإصابة].
(2) أخرجه أحمد في مسنده، وابن عساكر في تاريخه.
(3) أخرجه البيهقي بسند صحيح - كما في الإصابة - والطواعية: الطاعة، يقال حسن الطواعية أي حسن الطاعة.
(4) ينافحون عنه: أي يدافعون عنه.
(5) أخرجه ابن سعد - كما في الإصابة - وذكره ابن هشام في سيرته وتاريخ دمشق.
(6) تفرست فيه: نظر وثبت نظره فيه، وتفرست فيه الخير: أي رأى فيه مخايل الخير وتوسمه.
(7) أزرى به: عابه ووضع من حقه، والقدر (بالتحريك): ما يقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به. ول بعضهم في تعريف القدر والقضاء والفرق بينهما:

<<=

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال له: «وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة». وفيه وفي صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾⁽¹⁾. وروي أنه مشى ذات ليلة إلى أمة له فناهها، ففطنت له امرأته فلامته، فأنكر ذلك - وكانت قد رأت وقاعه لها - فقالت له إن كنت صادقا فاقرا القرآن، فالجنب لا يقرأ القرآن؛ فقال:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء حرق وفوق العرش رب العالمينا
وتحمليه ملائكة غلاظ ملائكة الإله مسومينا⁽²⁾

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيناى! وكانت لا تحفظ القرآن. وروي أنه أتى النبي ﷺ وحدثه بالقصة فضحك حتى بدت نواجذه صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه من كتابه صلى الله عليه وسلم. ومناقبه لا تحصى.

وأما ابن زرارة فهو أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس الخزرجي النجاري نقيب بني النجار وقد مر التعريف به في الرهط الذين أسلموا بالعقبة رضي الله

--->>

اعلم وقاك الله كل كدر أن القضاء سابق للقدر
وقوع ذي الأشياء والإمضاء في اللوح جملة هو القضاء
بروزها وفق القضاء: القدر ذا الفرق ساقه الألى تصدروا

(1) الشعراء: الآية: 227.

(2) غلاظ: ضخام الأجسام ما بين منكي الواحد منهم مسيرة سنة، وورد: ما بين منكي أحدهم كما بين المشرق والمغرب. ومسومين: أي معلّمين بعلامات، وقد روي أن سيما الملائكة كانت عمائم بيضا قد أرسلوها بين أكتافهم.

عنهم، ولما مات جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن أسعد قد مات وكان نقيينا، فلو جعلت لنا نقييا؛ فقال: «أنتم أحوالي وأنا نقييكم»⁽¹⁾، فكانت هذه فضيلة لبني النجار⁽²⁾.

وأما ابن معرور فهو أبو بشر البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي السلمي من نقباء بني سلمة.

كان رضي الله عنه من سادات الأنصار، قيل إنه هو أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة وهو أول من استقبل الكعبة حيا وميتا؛ فقد روي عن كعب بن مالك - وكان ممن شهد العقبة الثانية وبايع بها رسول الله ﷺ - أنه قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا، فلما أجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا قوم إني رأيت رأيا ما أدري أتوافقوني عليه أم لا؟ فقلنا: وما ذلك؟ قال: إني رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها، فقلنا ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه، فقال: إني لمصل إليها، فقلنا: لكننا لا نفعل؛ فكننا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى البراء إلى الكعبة، والنبي ﷺ إذ ذاك لم يزل يصلي إلى بيت المقدس. فلما قدموا مكة انطلق البراء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال له: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها»⁽³⁾، فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ. وفي ذلك يقول عون بن أيوب الأنصاري من قصيدة له:

(1) رواه الحاكم في المستدرک عن الواقدي، وذكره ابن هشام في سيرته.

(2) قاله في أسد الغابة.

(3) أخرجه أحمد وأبو نعيم وابن عبد البر - كما في أسد الغابة - وذكره ابن هشام في سيرته.

ومنا المصلي أول الناس مقبلا على كعبة الرحمن بين المشاعر

وروي أنه لما حضرته الوفاة قال لأهله: استقبلوا بي الكعبة، وكان قد توفي قبل مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر؛ فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى إلى قبره وصلى عليه. والبراء بن معرور هذا هو أول من أوصى بثلث ماله؛ وقد أوصى به للنبي ﷺ قبله ورده على ولده (كما يأتي إن شاء الله).

وأما ابن عبادة فهو أبو قيس سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي نقيب بني ساعدة. كان رضي الله عنه سيدا في الأنصار مقدما وجيها له رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها وكان سيد الخزرج، كما كان سعد بن معاذ سيد الأوس؛ وإياهما يعني القائل:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد	بمكة لا يخشى خلاف المخالف
أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا	ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف ⁽¹⁾
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا	على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى	جنان من الفردوس ذات رفارف ⁽²⁾

وكان سعد بن عبادة هذا يلقب في الجاهلية بالكامل لأنه كان يحسن الكتابة بالعربية ويحسن الرمي والسباحة؛ وكانت العرب تسمي من اجتمعت فيه هذه الأشياء الثلاثة بالكامل. وكان مشهورا بالجدود هو وأبوه وجدته وولده؛ ويقال إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد

(1) الغطارف: جمع غطريف: السيد السري الشريف.

(2) الرفارف: جمع رفر: البساط الأخضر أو الثوب الأخضر وفي التنزيل ﴿متمكئين على رفر

خضر﴾.

بن عبادة بن دليم، فقد كان لهم أطم⁽¹⁾ ينادى عليه من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة. وروي عن نافع قال: مر ابن عمر على أطم سعد فقال لي: يا نافع هذا أطم جده، لقد كان مناديه ينادي يوماً في كل حول: من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليم، فمات دليم فنادى منادى عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادي سعد بمثل ذلك، ثم قد رأيت قيس بن سعد يفعل ذلك. وكانت لسعد جفنة⁽²⁾ تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه. وروي عن قيس بن سعد قال: زارنا النبي ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله..» - الحديث، وفيه: ثم رفع يديه وقال: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»⁽³⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «جزى الله عنا الأنصار خيراً لا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة»⁽⁴⁾. وروي عن ابن سيرين قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة أما سعد فينطلق بثمانين، وشهد سعد مع النبي ﷺ المشاهد كلها إلا بدرًا فإنه تهيأ للخروج فلدغ فأقام وأهدى إلى النبي ﷺ حين سار إلى بدر سيفه الذي يسمى العَضْبَ ودرعه التي تسمى ذات الفضول⁽⁵⁾؛ وكان عند المسلمين يوم بدر سبعون بعيراً لسعد منها عشرون. وقصة تخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مشهورة وقد خرج رضي الله عنه بعدها إلى الشام وتوفي بجوران سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة

(1) الأطم (بضمتين): الحصن المبنى بالحجارة.

(2) الجفنة: القصة الكبيرة جمعها: جفان وجففات.

(3) أخرجه أحمد.

(4) أخرجه أبو يعلى - كما في الإصابة - ورواه في الجامع الصغير.

(5) سميت بذلك لطولها، قيل إنها هي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على صاع من شعير. [الخميس]. وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير.

وقيل دفن بالمنيحة وهي قرية بدمشق بالغوطة، وقيل بل بْبُصْرَى، وهي أول مدينة فتحت بالشام.

وأما سعد بن الربيع فهو الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، نقيب بني الحارث بن الخزرج. شهد العقبة الأولى والثانية، وكان كاتباً في الجاهلية وكان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فقال سعد لعبد الرحمن: إنني أكثر الأنصار مالا؛ هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما لك فسمها أطلقها لك فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلِكَ ومالك، أين سوقك؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو. ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة فقال له النبي ﷺ مهيم؟ قال: تزوجت، قال: كم سقت إليها قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة⁽¹⁾. وكان سعد ممن شهد بدرًا وأحداً واستشهد به.

وكان من خبره أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد بعد انتهاء المعركة: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟»⁽²⁾، فقال أبي بن كعب: أنا يا رسول الله؛ فذهب يطوف بين القتلى ويناديه، فلم يجبه إلى أن قال: يا سعد بن الربيع إن النبي ﷺ بعثني أنظر له ما صنعت أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟

(1) أخرجه البخاري، ومهيم (بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء آخره ميم ساكنة): كلمة استفهام معناها: ما شأنك أو ما هذا، وقيل اسم فعل بمعنى أخير؛ وهذه المرأة هي أم إياس بنت أبي الحيسر أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية.

(2) أخرجه في الموطأ - كما في الإصابة.

قال: فأجابني بصوت ضعيف: أنا في الأموات! فجاءه فوجده وبه رمق فقال له: بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك، فقال له سعد: اذهب فاقرئ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته؛ وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فوالله ما لكم عند الله عذر إن يَخْلَصُ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. قال أبي: فلم أبرح حتى مات، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره فقال: «رحمه الله نصح الله ورسوله حيا وميتا»⁽¹⁾؛ ودفن سعد بن الربيع هذا هو وخارجة بن زيد في قبر واحد. وخلف سعد بن الربيع بنتين أعطاهما رسول الله ﷺ الثلثين، فكان ذلك أول بيان للآية الكريمة في قوله عز وجل ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾⁽²⁾، وقيل إن صاحب ذلك هو عبد الرحمن بن ثابت أخو حسان بن ثابت (كما يأتي). وروى أن إحدى بنتي سعد بن الربيع هذا دخلت يوما على أبي بكر الصديق وهو خليفة فألقى لها ثوبه حتى جلست علي، فدخل عمر فسأله، فقال: هذه ابنة من هو خير مني ومنك، قال: ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده من الجنة⁽³⁾ وبقيت أنا وأنت!.

وأما رافع بن مالك بن العجلان الزرقي فهو نقيب بني زريق، وقد مر بعض التعريف به فيمن بايعوا بالعقبة الأولى.

وأما عبد الله بن عمرو فهو أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن

(1) أخرجه ابن عبد البر عن أبي سعيد، كما في الإصابة والاستيعاب وابن الأثير.

(2) النساء: الآية: 11.

(3) تبوأ المكان وبه: أقام به. والمقعد: مكان القعود جمعه: مقاعد.

حرام بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي السلمي من نقباء بني سلمة.

كان رضي الله عنه من سادات قومه وأفاضل الصحابة. شهد بدرا وأحدا واستشهد به ومثل به المشركون؛ روي عن ابنه جابر بن عبد الله قال: جيء بابي يوم أحد إلى النبي ﷺ وقد مثل به فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه وجاءت عمي تبكي وجعلت أبكي عليه وجعل القوم ينهونني ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني، فقال صلى الله عليه وسلم: «ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه»⁽¹⁾. وعنه أيضا قال: لقيني النبي ﷺ فقال: «يا جابر ما لي أراك منكسرا»؟ فقلت: يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا، فقال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا⁽²⁾، وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له "يا عبدي سلني أعطك"، قال: يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا، فقال الرب تعالى ذكره "إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون"، قال: يا رب فأبلغ من ورائي⁽³⁾، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽⁴⁾.

وأما منذر فهو المنذر بن عمرو بن حنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي من

(1) حديث ابكوه أو لا تبكوه.. إلخ أخرجه مسلم وأحمد في مسنده، وبعضه في البخاري.

(2) كفاحا: أي مواجهة.

(3) أخرجه ابن ماجه والترمذي.

(4) آل عمران: الآية: 169.

نقباء بني ساعدة. شهد بدرًا وأحداً واستشهد يوم بئر معونة؛ وكان أميراً على تلك السرية.

وأما نجل الصامت فهو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي القوقلي، وقد مر التعريف به في أهل العقبة الأولى.

فهؤلاء هم النقباء الاثنا عشر. قال في الاستيعاب: وإنما جعلهم عليه الصلاة والسلام اثني عشر اقتداءً بموسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾⁽¹⁾. وأشار الناظم إلى ذلك بقوله: تَفَاوُلًا بِالنَّقْبَاءِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ.

ثم قال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي»⁽²⁾ — يعني المسلمين — قالوا: نعم. وتسمى هذه العقبة بالعقبة الثانية وهي التي وقعت فيها بيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يسميها بالعقبة الثالثة والتي قبلها بالثانية (كما مر).

ولما بايع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الجبابرة هل لكم في مُذَمَّمٍ وَالصُّبَّاءِ⁽³⁾ معه قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أذب

(1) المائة: الآية: 12.

(2) قاله في فتح الباري، ورواه ابن هشام في سيرته.

(3) الجبابرة: (بالجيم والباء): منازل منى، وقيل هي حفر منى يجمع فيها دم البدن والهدايا تعظمها العرب وتفتخر بها. والصباء جمع صابئ وهو الخارج من دين إلى آخر؛ وكانوا يقولون لمن أسلم إنه صبأ ويسمون المسلمين صبأء.

العقبة»⁽¹⁾، فحرف - لعنه الله - لفظة محمد إلى لفظ مذمم⁽²⁾؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وصرخ الصارخ .. إلخ.** ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رجالكم»⁽³⁾، فقال العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدا بأسيفنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رجالكم».

قال كعب: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا؛ فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يملفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه؛ قال: وقد صدقوا لم يعلموه، وبعضنا ينظر إلى بعض. وأتوا عبد الله بن أبي سلول⁽⁴⁾ فقالوا

(1) أخرجه أحمد بإسناد صحيح، وأخرجه الطبراني أيضا. والأزب: من أسماء الشياطين، ومنه حديث ابن الزبير فيه أنه وجد رجلا طوله شبران فأخذ السوط فأتاه فقال: من أنت؟ فقال: أزب، قال: وما أزب؟ قال: رجل من الجن .. إلخ، والمراد به هنا شيطان اسمه أزب العقبة. [القاموس].

(2) وهذا التحريف كان يطلقه عليه بعض مرده المشركين مثل حمالة الحطب التي تقول فيه:

مذمما أيينا ودينه قلينا وأمره عصينا

فض فوها ولعنت بما قالت، وروي أنها كانت تطوف بالبيت فعثرت في مرطها فقالت: تعس مذمم. وروي أن قريشا كانت تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما وتسبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش: يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد». [القرطبي].

(3) أخرجه أحمد بلفظ: ارجعوا .. إلخ، وذكره ابن هشام. ورفضوا إلى رجالكم: أي تفرقوا إليها.

(4) سلول امرأة من خزاعة جدة عبد الله بن أبي، أم أبي بن مالك - كما في ابن هشام - وفي القاموس: سلول أم عبد الله بن أبي المنافق، وقد عرف عبد الله بالنسبة إليها.

له مثل ذلك، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا⁽¹⁾ علي بمثل هذا وما علمته كان، فانصرف القوم.

ثم انطلق أهل العقبة راجعين إلى المدينة، فلما قدموها أظهرها الإسلام بها. فلما رأت قريش ذلك أقبلت علي من أسلم منهم يعذبونه ويفتنونه عن دينه؛ فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»⁽²⁾. فخرجوا أرسالا.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه في الخروج من مكة والهجرة منها إلى المدينة، ومكث بقية ذي الحجة والحرم وصفرا وهاجر في شهر ربيع الأول.



ترجمد الله تعالى وحسن عونه الجزء الأول من كتاب: رياض السيرة والأدب في

إكمال شرح عمود النسب؛ ويليّه الجزء الثاني وأوله:

لِمَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ عَوْفُ عَمْرُو ...

والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبدّه.

(1) الأمر الجسيم: العظيم. وتفوت عليه بالشيء: فات به.

(2) أخرجه ابن هشام في سيرته.

فهرس محتويات الجزء الأول من التكملة

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر.....	أ
التعريف بالمؤلف	ج
توطئة بقلم المؤلف.....	1
كلمة مختصرة في التعريف بالناظم	3
لمحة موجزة في التعريف بنظم عمود النسب	7
مقدمة التكملة	11
آل أبي هب	16
سبب نزول سورة المسد.....	17
بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة مع الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب	25
ترجمة حمزة بن عبد المطلب وسبب إسلامه	28
بعض ما قيل في رثاء حمزة بن عبد المطلب	33
أشقاء حمزة بن عبد المطلب	35
العباس بن عبد المطلب وذكر بعض مناقبه.....	36
تولي العباس وأبنائه سقاية الحاج.....	38
استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما.....	39
أبناء العباس ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم	46
ترجمة حبر الأمة عبد الله بن عباس.....	52
المكترون من الحديث وعدد مروياتهم	58

- 59 أبو طالب وكفالته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
- 62 مسيرهُ صلى الله عليه وسلم إلى الشام في تجارة خديجة، وزواجه بها
- 63 رسالته صلى الله عليه وسلم و مناهضة قومه إياه ودفاع عمه عنه..
- 65 وصية أبي طالب لقريش عند وفاته
- 59 أولاد أبي طالب بن عبد المطلب.....
- 71 أعمام النبي صلى الله عليه وسلم.....
- 73 ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم.....
- 75 أول من اجتمعت له ولادة السبطين: عبد الله بن الحسن المثنى
- 76 الحسن بن علي وتنازله لمعاوية بن أبي سفيان عن الخلافة
- 79 وصية الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما
- 82 السلسلة الذهبية من تسلسل الحسين السبط رضي الله عنه
- 93 علي بن أبي طالب وأولاده رضي الله عنهم.....
- أشرف الناس نسبا وحسبا الحسن والحسين وذكر فضلية خديجة على عائشة
- 97 رضي الله عنهم.....
- طلب الوليد بن عتبة من الحسين وابن الزبير مبايعة يزيد وسير الحسين إلى
- 101 الكوفة ومقتله مع عترته بكربراء
- 107 بعض المرثي التي قيلت في شهداء كربلاء.....
- 109 نجاة علي زين العابدين وأخواته من القتل
- 111 ترجمة زيد بن علي بن الحسين (يعسوب قريش).....
- 112 وقفة تأمل فيما أصاب أهل البيت وما واجهوه من مر القضاء.....
- 114 يزيد بن معاوية وتلقيه بالفويسق.....
- 116 موسى الجون بن عبد الله المحض

- 117إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب
- 119عبد القادر الجيلاني
- 121ترجمة جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين
- 123الجواد المشهور عبد الله بن جعفر ونماذج من كرمه
- 126خطبة معاوية بن أبي سفيان لأم كلثوم بنت عبد الله على ابنه يزيد
- 128عقيل بن أبي طالب وأولاده
- 133ترجمة سلمان الفارسي وبعض مراحل حياته وتطلبه الأديان
- 143بنو المطلب بن عبد مناف
- 145المطلب بن عبد مناف وإتيانه بعبد المطلب من المدينة
- 146ترجمة الإمام الشافعي
- 151مسطح بن أثاثة وأمه سلمى بنت أبي رهم
- 152ركانة بن عبد يزيد ومصارعته للنبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه
- 153يزيد بن ركانة وابنه علي وقوتهما المفرطة
- 154عبدة والحصين والطفيل بنو الحارث بن المطلب
- 155جهيم بن الصلت ورؤياه في النوم
- 156رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب قبيل وقعة بدر
- 157بنو نوفل بن عبد مناف
- 159المطعم بن عدي وإجارته للنبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف
- 162قصة نقض الصحيفة والمتماثلين عليها
- 166قتل خبيب بن عدي الأوسي الجحجي وسببه
- 170قتل حمزة بن عبد المطلب لطعيمة بن عدي
- 171جبير بن مطعم وإسلامه

- 172 بنو عبد شمس بن عبد مناف
- 174 أولاد أمية بن عبد شمس العشرة
- عتاب بن أسيد وإسلامه وتولية مكة للنبي صلى الله عليه وسلم، وذكر
- 177 سبب زواجه بجويرية بنت أبي جهل
- 179 عبد الرحمن بن عتاب وحضوره وقعة الجمل
- 182 بنات أبي جهل وأزواجهن
- خروج سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل
- 186 مجاهدين ومرابطين بأرض العدو
- 187 أولاد أبي جهل
- 188 خالد بن أسيد بن أبي العيص وإسلامه وذكر ولده عبد الله
- 193 أبو أحيحة سعيد بن العاص (ذو التاج)
- 194 خالد بن سعيد وإسلامه وهجرته
- 195 عمرو بن سعيد بن العاصي وإسلامه وهجرته
- 196 أبان بن سعيد وإسلامه وهجرته
- 198 سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص (كريمة قريش)، ووصيته المشهورة
- 202 عمرو بن سعيد وسبب تسميته بالأشدر، وغدر بني أمية له
- 206 آل أبي العاص بن أمية أصحاب الدولتين بالشرق والأندلس
- الحكم بن أبي العاص (الطريد)، ونفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
- 208 له إلى الطائف
- 114 دولة بني أمية ونماذج من أعمالها الصالحة وأخرى من أعمالها السيئة
- 222 أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
- 226 ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه

- 232 حصار عثمان بن عفان وسب قتله
- 243 أولاد عثمان بن عفان
- 250 محمد الديباج بن عبد الله المطرف وأخواته زوجات بني عبد الملك
حفصة بنت محمد الديباج ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء
- 252 الأربعة وطلحة والزبير
- 253 عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان العرجي
- 257 التعريف بأبي سفيان بن حرب
- 260 يزيد بن أبي سفيان
- 264 معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما
- 267 منقبة لمعاوية في الولاية لم تكن لغيره
- 269 زياد بن أبيه
- 270 استلحاق معاوية لزياد بن أبيه وسب ذلك
- 276 عتبة بن أبي سفيان وفصاحته
- 278 أولاد معاوية بن أبي سفيان
- 279 وقعة الجمل
- 286 عبد الله بن يزيد المضعف
- 288 معاوية بن يزيد وزهده في الخلافة
- 289 خالد بن يزيد بن معاوية وشهامته
- 292 أبو عمرو ذكوان بن أمية
- 294 عقبة بن أبي معيط وعداوته للنبي صلى الله عليه وسلم
- 296 قتل النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف يوم أحد
- 297 أولاد عقبة بن أبي معيط

- 301عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
- 305جهد عتبة في إحباط دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
- 308أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة
- 310سالم مولى أبي حذيفة والقول في رضاعة الكبير
- 312القول في العتق سائبة
- 314هند بنت عتبة بن ربيعة
- 318خذوا القرآن من أربعة
- 319أصحاب الستة الشورى
- 324عبد الله بن عمر بن الخطاب
- 326عبد الله بن عامر المسقي
- 328العبلات أبناء عبد شمس
- 330أبو العاص بن الربيع وقصة إسلامه
- 331علي وأمامة ابنا أبي العاص من زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
- 333القول في قحطان عمود نسب الأنصار
- 335الصحابي الجليل وائل بن حجر
- 336المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون
- 337نسب سبأ وذريته
- 344مذحج (مالك بن أدد) وبنوه
- 347بنو كندة
- 348أثمار بن إراش وبنوه
- 352جرير بن عبد الله البجلي
- 353غسان وذكر بعض البطون المتفرعة منهم

- لخم (مالك بن عدي) وذكر بعض البطون والأفخاذ المتفرعة منه 355
- جذام (عمرو بن عدي) والقول في نسبه 358
- عاملة الحارث بن عدي وما قيل في أصله 360
- طيب أرض سبأ وذكر ما حل بأهلها لما أعرضوا 361
- كهلان بن سبأ والقبائل المنحدرة منه 365
- خولان وما تفرع منه من بطون 366
- الصحابي الجليل ذؤيب بن كليب الخولاني 370
- عم أنس صنم خولان واستسقاؤهم به 378
- إسلام همدان وجبهم علي بن أبي طالب 375
- عوام بن جهيل الهمداني وإسلامه 377
- نصر بن الأزد والقبائل المنحدرة منه 379
- كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وأخيه 380
- بعض أخبار خطر بن مالك وكهنته 384
- محمد بن يزيد المبرد النحوي 387
- سواد بن قارب الدوسي 388
- التعريف بأبي هريرة الدوسي 392
- التعريف بالطفيل بن عمرو الدوسي 394
- أم شريك بنت جابر وإدلاء الدلو لها 397
- النساء اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم 401
- أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم 402
- معيقيب الدوسي وقصة سقوط الخاتم الشريف في بئر أريس 404
- عمرو بن حممة الدوسي، وخبر قرع العصا له 408

- 410 نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم، وصفة تحتمه
- 412 جذيمة الأبرش ملك الحيرة وقتل الزباء له
- 419 تملك عمرو بن عدي وبدء تملك المناذرة
- 423 دولة اللخمين بالأندلس
- 425 ضعف ملوك الأندلس واستنجداهم بالمرابطين
- 430 التعريف بيوسف بن تاشفين
- 430 نشأة دولة المرابطين في الصحراء (موريتانيا) والمغرب
- 431 التعريف ببعض قادة وعلماء المرابطين
- 435 بنو مازن بن الأزد
- 436 بنو ماء السماء الأكراد والمهالبة
- 437 المهلب بن أبي صفرة
- 441 يزيد بن المهلب وتمادج من كرمه
- 444 المغيرة بن المهلب
- 448 انهيار ملك حمير في اليمن
- 450 ابرهة وبنائوه القليس وهمه بهدم الكعبة
- 452 سيف بن ذي يزن وانتصاره بالفرس على الأحباش
- 456 الأكوع (سنان) بن عبد الله، وعبد الله بن أبي حدرد
ملاحاة كعب بن مالك وعبد الله بن أبي حدرد التي كانت سبباً في
ارتفاع ليلة القدر
- 458 ارتفاع ليلة القدر
- 461 أوس بن تميم وصنيعه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
- 462 الإخوة السبعة بنو حارثة بن هند
- 463 تنبيه على أن الرجل قد ينسب إلى أخيه أو عمه للشهرة

- 465 وسم الإبل، والقول في جواز وسم الماشية
- 467 خزاعة واستيلاؤهم على الحرم، وذكر أصل تسمية "خزاعة" و"غسان"
- 473 بعض أخبار آل جفنة ملوك الشام
- 483 جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة
- 489 سطيح بن ربيعة وابن أخته عبد المسيح الكاهنان
- 490 صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة وشربه السم
- 492 قصة شويل بن أوس الطائي وكرامة بنت عبد المسيح
- 493 مارية صاحبة القرطين
- 495 جذع بن سنان صاحب المثل
- 496** **نسب الأنصار**
- 498 تعريف الأنصار وذكر بعض مناقبهم
- 505 سبب نزول الأنصار بالمدينة
- 509 حرب الأوس والخزرج
- 514 شق بن مصعب الكاهن
- 517 قصة طسم وجديس
- 520 زرقاء اليمامة
- 522 قول آخر في سبب نزول الأنصار المدينة وخير تبع الأول
- 528 سبب مجيء اليهود يثرب
- 432 بعض أخبار الملك مجتنب
- 534 دخول اليهودية اليمن على يد تبع
- 537 الديانات القديمة (اليهودية والمسيحية والفارسية والوثنية)
- 542 بداية إسلام الأنصار

- 546 أصحاب العقبة الأولى الستة
- 549 أصحاب العقبة الثانية الاثنا عشر ومبايعتهم بها
- 557 مصعب بن عمير مقرئ أهل المدينة
- 558 عبد الله بن أم مكتوم
- 561 إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما
- 563 الأصيرم (عمرو بن ثابت) وقصة إسلامه
- 568 بيعة العقبة الأخيرة
- 572 التعريف بالنقباء الاثني عشر رضي الله عنهم
- 585 فهرس الموضوعات
- 595 فهرس الأعلام

فهرس بأسماء الأعلام المترجمين والمعرفين في
الجزء الأول من التكملة

- أمنة بنت سعيد : 204
أبان بن سعيد : 196
أبان بن عثمان بن عفان : 245
أبو أحيحة، سعيد بن العاص: 197، 193
أبو أيمن، سفيان بن وهب الخولاني : 374
أبو أيوب الأنصاري : 525
أبو إدريس بن عبد الله الخولاني : 367
أبو البخترى، العاصي بن هشام : 164
أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل : 342
أبو العاصي بن أمية : 207
أبو العاصي بن الربيع: 330
أبو المهاجر (القائد) : 216
أبو بكر بن عمر اللمتوني : 431
أبو حذيفة، مهشم بن عتبة : 309
أبو سفيان، صخر بن حرب : 256
أبو صفرة بن غالب بن سراق : 437
أبو طالب، عبد مناف بن عبد المطلب : 60
أبو علقمة بن أبي جهل 187
أبو فراس، المغيرة بن المهلب : 444
أبو كبشة : 19
أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب: 16
أبو مسلم الخولاني، عبد الله بن أيوب 367
أبو مكنف، عبد رضا الخولاني : 374
أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس : 342
أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر: 59، 392
أبي بن خلف : 296
الأحوص بن عبد أمية : 328
الأحوص، أبو محمد عبد الله بن محمد : 22
أحيحة بن الجلاح الأوسي : 511
أرميا (النبي) : 531
أروى بنت أبي العيص : 183
أروى بنت حرب، حمالة الخطب : 21
أروى بنت كرز : 297
الأزد بن الغوث : 339
أسعد بن زرارة، أبو أمامة : 547، 56، 575
أسماء بن حارثة بن هند : 462
أسماء بنت أبي جهل : 183
أسماء بنت عمرو بن عوف : 569
أسماء بنت عميس الخثعمية : 349
الأسود الراعي : 565
الأسود بن غفار : 517 – 519
الأسود بن وهب : 74

- أسيب بن حضير : 562 ، 572
الأشدق، عمرو بن سعيد : 202
الأشعر، نبت بن سبأ : 340
الأصيرم، عمرو بن ثابت : 563
أكثم بن الجون الخزاعي : 469
أكدر بن حمام بن صعب : 357
الأكوع، سنان بن عبد الله : 456
أم أبان الكبرى بنت عثمان بن عفان : 246
أم أيمن، مولاة رسول الله ﷺ : 402
أم الدرداء (الصغرى) : 464
أم خارجة، عمرة بنت سعد : 352
أم خالد بنت خالد بن أبي أحيحة : 195
أم خالد بنت عثمان بن عفان : 246
أم شريك بنت جابر : 397
أم عثمان بنت عثمان بن عفان : 246
أم عمرو بنت جندب : 409
أم عمرو بنت عثمان بن عفان : 246
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط : 299
أم هاشم بنت أبي هاشم : 291
أم هانئ، فاختة بنت أبي طالب : 70
أمامة بنت أبي العاص بن الربيع : 331
أنس بن مالك الأنصاري : 58
أنمار بن اراش : 348
أهبان بن الأكوع، أبو عقبة : 465
الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو : 369
أوس بن عبد الله الأسلمي : 461
أيوب بن أعظم : 367
أيوب بن موسى بن عمرو : 206
إبراهيم الأموي : 432
إدريس بن عبد الله المحض : 116
إسحاق بن قاسم بن سمرة : 367
إسماعيل بن الأشدق : 206
إسماعيل بن محمد، أبو الوليد : 423
إبرهة الأشرم، أرياط : 450
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : 336
بازان الفارسي : 455
بختنصر (الملك) : 530 ، 532
البراء بن معرور : 576
بريدة بن الحصيب : 464
تاشفين بن علي بن يوسف : 434
تبع (ملك حمير) : 525 ، 535
تمام بن العباس : 50
تميم الداري، بن أوس بن خارجة : 355
ثابت بن المنذر بن حرام : 510
الثريا بنت عبد الله بن الحارث : 329
ثعلبة العنقاء بن مزيقيا : 497
ثمالة، عوف بن أسلم : 383
جابر بن عبد الله الأنصاري : 58
جابر بن عبد الله بن رثاب : 548
جبلة بن الأيهم : 473 ، 483
جبير بن مطعم بن عدي : 171
جذام، عمر بن عدي : 358

- جذع بن سنان الغساني : 495
 جذيمة الأبرش : 412
 جرير بن عبد الله البجلي : 352
 جعفر الصادق بن محمد الباقر : 88
 جعفر بن أبي طالب الهاشمي : 121
 جفنة بن عمرو مزيقيا : 473
 جلندی العماني : 379
 جمانة بنت أبي طالب : 71
 جندب بن عبد الله بن سفيان : 351
 جهيم بن الصلت بن مخزومة : 155
 جيفر وعبد ابنا الجلندی : 380
 الحارث الأكبر بن أبي شمر : 475 ،
 الحارث بن أبي العاصي بن الربيع : 331
 الحارث بن أمية : 328
 الحارث بن جبلة بن الحارث : 473
 الحارث بن عبد الله الأعور : 369
 الحارث بن عبد المطلب : 72
 الحارث بن عمير اللهي : 386
 حاطب بن قيس الأوسي : 511
 حبيب بن عبد شمس : 325
 حذيفة بن عتبة : 315
 حسان بن أسعد بن كرب : 449
 حسان بن ثابت الأنصاري : 479
 الحسن الخالص بن علي العسكري : 82
 الحسن المثنى بن الحسن السبط : 76
 الحسن بن علي بن أبي طالب : 76
 الحسين بن علي (السيط) : 93
 الحسين بن علي بن عبد الله بن حمزة : 27
 حضير بن سماك : 512
 حفصة بنت الدياج : 251
 الحكم بن أبي العاص، الوزغ : 207
 حليلة بنت الحارث : 473
 حمزة بن عبد المطلب الهاشمي : 28
 حمزة بن عتيبة : 27
 حمير بن سبأ : 343
 حنظلة بن أبي سفيان : 222
 الحنفاء بنت أبي جهل : 184
 خالد بن أبي أحيحة : 124
 خالد بن أسيد بن أبي العيص : 188
 خالد بن المطرف : 251
 خالد بن عقبة بن أبي معيط : 300
 خالد بن يزيد بن معاوية : 289
 خالدة بنت أبي لهب : 21
 خثعم بن أنمار : 349
 خطر بن مالك (الكاهن) : 384
 خولان، فكل بن عمرو : 366
 خولة بنت حكيم السلمية : 401
 خيرة بنت أبي حدر، (أم الدرداء الكبرى) : 464
 دوس السبئي : 449
 الدياج، محمد بن عبد الله المطرف : 250
 ذؤيب بن كليب بن ربيعة : 371
 ذكوان بن أمية، أبو عمرو : 293

- ذكوان بن عبد القيس : 549
- ذو الأنف بن عبد الله الخثعمي : 349
- ذو رعين : 449
- ذو نواس بن أسعد : 449
- رافع بن مالك بن العجلان : 380، 546
- ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس : 332
- رزاح بن مرة : 520
- رفاعة بن عبد المنذر، أبو لبابة: 573
- رقاش بنت مالك : 413
- رقية الصغرى بنت الدياج : 251
- رقية الكبرى بنت الدياج : 251
- ركانة بن عبد يزيد : 152
- رملة بنت أبي سفيان (أم المؤمنين): 222
- روح بن زنباع الجذامي : 359
- الزباء، نائلة بنت عمرو : 415
- الزبير بن العوام : 243
- الزبير بن العوام الأسدي : 321
- الزبير بن عبد المطلب : 72
- زرقاء اليمامة : 517 ، 520
- زمعة بن الأسود بن المطلب : 164
- زهير بن أبي أمية بن المغيرة : 164
- زياد بن أبيه : 270
- زياد بن الحارث الصدائي : 346
- زيد بن علي بن الحسين : 111
- زينب بنت علي بن أبي طالب : 125
- السائب بن عبيد، أبو شافع : 148
- سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة : 310
- سبأ، عبد شمس بن يشجب : 337
- سطيح بن ربيعة (الكاهن) : 489
- سعد بن أبي وقاص : 320
- سعد بن الربيع بن عمرو : 579
- سعد بن خيثمة بن الحارث : 573
- سعد بن عبادة بن دليم، أبو قيس : 577
- سعد بن معاذ: 562
- سعيد بن أبي أحيحة: 193
- سعيد بن خالد بن عبد الله : 191
- سعيد بن عثمان بن عفان: 246
- السفاح، عبد الله بن محمد: 42، 46
- سلمان الفارسي : 134
- سلمى بنت أبي رهم، أم مسطح: 151
- سلمى بنت عمرو النجارية: 511
- سليمان بن عبد الله المحض: 118
- سمعان بن خالد الكلابي: 465
- سمير الأوسي : 510
- سنجاريب (ملك بابل) : 531
- سهيل بن عمرو : 186
- سواد بن قارب : 388
- سيف بن ذي يزن : 448، 452
- شافع بن السائب : 149
- الشافعي، محمد بن إدريس : 146
- الشريف الرضا، محمد بن الحسين: 87
- شعيا (النبي) : 531

- العباس بن عبادة بن نضلة : 550، 570
العباس بن عبد المطلب الهاشمي : 36
العباس بن علي بن أبي طالب : 104
عبد الرحمن بن أبان بن عثمان : 245
عبد الرحمن بن العباس : 49
عبد الرحمن بن عتاب : 179
عبد الرحمن بن عديس البلوي : 238
عبد الرحمن بن عوف : 323
عبد العزى بن عبد شمس : 329
عبد العزى بن قطن بن عمرو : 470
عبد العزيز بن المطرف : 251
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد : 189
عبد القادر الجيلاني : 119
عبد الله المحض بن الحسن، أبو محمد : 75
عبد الله بن أبي أحيحة : 193
عبد الله بن أبي حدرد : 457
عبد الله بن أم مكتوم : 558
عبد الله بن الحارث بن أمية : 328
عبد الله بن الهبرزي ، ابن الأزرق : 185
عبد الله بن بديل بن ورقاء : 469
عبد الله بن ثوب، أبو مسلم الخولاني : 374
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : 123
عبد الله بن خالد بن أسيد : 189
عبد الله بن رواحة : 573
عبد الله بن سبأ (اليهودي) : 237
عبد الله بن عامر الحضرمي : 280
شق بن صعب (الكاهن) : 514
الشموس بنت غفار : 518
شويل بن أوس الطائي : 493
شيبه بن هاشم، عبد المطلب : 146
سخره بنت أبي جهل : 184
صديقة (ملك اليهود) : 531
صفية بنت أبي العاص : 221
صفية بنت الحارث : 285
صفية بنت العباس : 50
صفية بنت عبد المطلب : 35
ضمام بن ثعلبة الأزدي : 340
ضمام بن ثعلبة السعدي : 565
طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب : 69
طريفة بنت الخير (الكاهنة) : 507
طعيمة بن عدي : 170
الطفيل بن عمرو الدوسي : 394
طلحة بن عبيد الله التيمي : 320
عائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين) : 58
عائشة بنت عثمان بن عفان : 246
عاتكة بنت يزيد بن معاوية : 291
العاص بن سعيد : 198
عاصم بن ثابت : 166
عاصم بن عمرو المازني : 511
عامر بن شهر الهمداني : 378
عاملة، الحارث بن عدي : 360
عبادة بن الصامت : 550، 582

- عبيد بن عمرو بن عمرو : 252
عبد الله بن عمرو بن حرام : 580، 568
عبد الله بن عمرو بن عثمان : 245
عبد الله بن مسعدة الفزاري : 485
عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان : 278
عبد الله بن ياسين الجزولي : 431
عبد الله بن يزيد بن معاوية : 287
عبد المسيح بن عمرو (الكاهن) : 490
عبد شمس بن عبد مناف : 173
عبدة بنت عبد الله بن معاوية : 279
عبهلة، الأسود العنسي : 371
عبيد الله، أبو محمد بن العباس : 49
عبيد بن سليم، أبو عامر : 342
عبيدة بن الحارث بن المطلب : 154
عبيدة بن قيس بن عمرو : 345
عتاب بن أسيد بن أبي العيص : 177
عتبة بن أبي سفيان : 276
عتبة بن أبي لهب : 19
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : 305، 302
عتيبة بن أبي لهب : 17
عثمان بن حنيف : 281
عثمان بن عفان (أمير المؤمنين) : 226
- عجيد بن يزيد بن هاشم : 154
عدي بن نوفل، أبو المطعم : 158
العرجي، عبد الله بن عمر بن عمرو : 252
عزة بنت أبي لهب : 21
عفان بن أبي العاص : 223
عقبة بن أبي معيط : 294
عقبة بن الحارث بن عامر : 165
عقبة بن عامر بن نايي : 547
عقبة بن نافع النهري : 216
عقيل بن أبي طالب : 129
عكرمة بن أبي جهل : 187
علقمة بن أبي جهل : 187
علي الرضا بن موسى الكاظم : 85
علي بن أبي العاصي بن الربيع : 331
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : 93
علي بن الحسين، زين العابدين : 89
علي بن الحسين، علي الأكبر : 105
علي بن محمد الجواد، العسكري : 83
علي بن يزيد بن ركانة : 153
علي بن يوسف بن تاشفين : 434
عمارة بن عقبة : 299
عمر بن عثمان بن عفان : 245
عمران بن ماء السماء : 447، 509
عمرو بن أسعد بن كرب : 449
عمرو بن الحارث بن زهير : 315
عمرو بن الظرب : 415

- عمرو بن امرئ القيس : 510
 عمرو بن جفنة بن عمرو : 473
 عمرو بن حممة بن الحارث : 408
 عمرو بن سبيع الرهاوي : 345
 عمرو بن سعيد بن العاص : 195
 عمرو بن عبد الجن : 417
 عمرو بن عثمان بن عفان : 245
 عمرو بن عدي : 418، 419، 414
 عمرو بن نفيل العدوي : 541
 عمليق الطسمي : 518
 عمور بن النعمان البياضي : 512
 عنبسة بن أمية : 175
 عنبسة بن سعيد بن العاص : 201
 العوام بن جهيل الهمداني : 377
 عوف بن الحارث بن رفاعة : 548
 عويم بن ساعدة : 551
 فاختة بن سعيد : 194
 فاطمة بنت أسد : 71
 فاطمة بنت الحسين بن علي : 79
 فريعة بنت وهب : 74
 الفضل بن العباس بن عتبة : 22
 الفضل، أبو عبد الله بن العباس : 48
 القاسم بن العباس بن محمد بن معتب : 27
 قتيبة بن مسلم الباهلي : 216
 قحطان بن عابر : 334
 قرة العين بنت عبادة : 550
 قصير بن سعد بن عمرو : 416
 قصير بن عمرو بن رزين : 356
 قطبة بن عامر بن حديدة : 546
 القلمس الكناني (الناسي) : 208
 قيس بن سعد بن عبادة : 578
 قيس بن مخزومة بن المطلب : 155
 قبلة بنت الأرقم الغسانية : 471، 498، 500
 كثير بن العباس : 50
 كرامة بنت عبد المسيح : 493
 كرد بن مزيقيا بن ماء السماء : 436
 كرز بن علقمة بن هلال : 470
 كعب الذيباني (حليف الخزرج) : 509
 كعب بن عمرو المازني : 511
 كعب بن مالك : 459، 568
 كندة، ثور بن عفير : 347
 لبنى بنت هاجر : 471
 لخم، مالك بن عدي : 355
 مالك بن التيهان، أبو الهيثم : 551
 مالك بن العجلان الخزرجي : 508، 510
 مالك بن النمط بن قيس : 367
 مالك بن مسمع : 285
 المأمون بن الرشيد : 46
 ماوية بنت عوف، ماء السماء : 421
 المراد، محمد بن يزيد (النحوي) : 387
 محمد الباقر بن علي زين العابدين : 89
 محمد الجواد بن علي الرضا : 84

رِیَاضُ السَّیْرَةِ وَالْأَدَبِ

فِي إِكْبَالِ شَرَحِ عَمُورِ النَّسَبِ

لِأَخِي عَبْدِ الْبَدِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَلِيسِيِّ الشَّنْفِيطِيِّ

تأليف العلامة

أباهُ بْنُ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بْنِ نَعْمِ الْعَبْدِ الْجَلِيسِيِّ الشَّنْفِيطِيِّ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ

مُحَمَّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آتَاهِ الْجَلِيسِيِّ

أَعَدَّهُ وَنَشَرَهُ

مُحَمَّدُ مَجْفُوظُ بْنُ أَحْمَدَ

الجزء الثاني

رياضُ السَّيرةِ والأدبِ

في إكمالِ شرحِ عمودِ النسبِ

الطبعة الأولى

1421 هـ / 2001 م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الجزء الثاني من السلسلة

الكلام على بني الأوس بن حارثة*

ولما ذكر الناظم نسب الأنصار ونزولهم المدينة وبدء إسلامهم ومبايعتهم النبي ﷺ بالعقبة، أخذ يتكلم على تفرعهم من الأوس والخزرج؛ وبدأ بالأوس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِمَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ: عَوْفٌ عَمْرُو وَجَشْمٌ وَمَرَّةٌ الْغُرُّ
كَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ وَمِنْهُ: خَيْثَمَةُ وَالِدُ سَعْدِ النَّقِيبِ فَأَعْلَمَهُ

قوله عوف: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وعمرو: عطف على عوف بحذف العاطف. والغر (بضم المعجمة): جمع أعر: للكريم، صفة لعوف والمعطوفين عليه. وقوله خيثمة: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في منه: عائد على امرئ القيس. ووالد (بالرفع): صفة لخيثمة. والنقيب (بالجر): صفة لسعد.

يعني أن مالك بن الأوس له من الولد خمسة أبناء هم: عوف وعمرو وجشم ومرة وامرؤ القيس، وأن من ولد امرئ القيس بن مالك: سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي أحد نقباء الأنصار.

أما الأوس فلم يكن له من الولد إلا مالك بن الأوس؛ وقد روي أن الأوس لما احتضر اجتمع عليه قومه وقالوا له: قد حضرك من أمر الله ما ترى وقد كنا نأمرك

* تناول الناظم الكلام على بني مالك بن الأوس في ثلاثة وعشرين بيتا، وذكر بطونهم الكبرى ثم ذكر من الأفخاذ المتشعبة من هذه البطون عشرا وهي بنو عبد الأشهل وبنو الحارث وبنو مجدعة وبنو ظفر وبنو ظهير وبنو زعور - وهذه الستة متفرعة من بني عمرو - وبنو عمرو بن عوف وبنو السرك وبنو جحجبي - وهذه الثلاثة من بني عوف - وبنو وائل - وهم من بني مرة - ثم ذكر من أعيانهم اثنين وأربعين رجلا: اثنان وعشرون من بني عمرو، وثلاثة عشر من بني عوف، وأربعة من بني مرة واثنان من بني امرئ القيس، وواحد من بني جشم.

في شبابك أن تتزوج فتاة وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك غير مالك، فقال: إنه لن يهلك هالك ترك مثل مالك، إن الذي أخرج النار من الزند قادر أن يجعل للملك نسلًا ورجالًا بُسلاً⁽¹⁾؛ ثم أقبل إلى مالك فقال له: يا بُنيَّ "المنية ولا الدنيا"⁽²⁾ وذكر سجعًا، ثم أنشأ يقول:

فعلّ الذي أودى ثمود وجرهما سيعقب لي نسلًا إلى آخر الدهر
يقربهم من آل عمرو بن عامر لدى طلب الداعي إلى طلب الوتر⁽³⁾
ألم يأت قومي أن الله دعوة تفوز بها أهل السعادة بالبر
إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصره لنبيكم بني عامر إن السعادة في النصر

ثم مات الأوس وأعقب ابنه مالكا؛ فكان من السادات المشهورين والنبهاء المذكورين، فتزوج بنت عمه هند بنت الخزرج بن حارثة؛ فولدت له خمسة أبناء — عدد أولاد عمه الخزرج - فتفرعت منهم بطون الأوس الكبرى، وهي خمسة: بنو عمرو وبنو عوف وبنو جُشم وبنو مرة وبنو امرئ القيس، ثم تفرعت من هذه البطون بطون أخرى كثيرة.

أما البطن الأول - حسب ترتيب الناظم لهم - فهو بنو امرئ القيس بن مالك بن الأوس وقد تفرعت منه أفخاذ منها بنو غنم بن السلم (وهم حلفاء بني عمرو بن عوف) ولذلك أسلموا كلهم بإسلامهم قبل الهجرة وفي أولها، وذكر من أعيانهم

(1) الزند: العود الذي تقدح به النار. والنسل: الولد. والبُسل (كقفل): جمع باسل وهو الشجاع.

(2) المنية: الموت. والدنيا: النقيصة، أي اختر المنية على العار، ومن كلامهم: "المنايا ولا الدنيا" و"النار ولا العار".

(3) عمرو هو مزيقيا، وعامر هو ماء السماء (وهما جدا قبيلة الأنصار) أوسها وخزرجها. والوتر (بالكسر): الثأر والانتقام، أو طلب مكافأة بجنابة جنيت عليك، أو عداوة أتيت إليك.

رجلين: خيثمة بن الحارث وابنه سعد بن خيثمة.

أما خيثمة فهو الصحابي الجليل خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأوسي السلمي والد سعد. روي أنه لما ندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى غير قريش قال لابنه سعد: إنه لا بد أن يقيم أحدنا في نساءنا، فاستهما فخرج سهم سعد، فقال له خيثمة: يا بني أقم أنت وآثرني بالخروج ، فقال سعد: يا أبت لو كان غير الجنة آثرتك ولكني أرجو الشهادة من وجهتي هذه؛ فخرج سعد فاستشهد بيدر. ولما كان يوم أحد خرج خيثمة مع رسول الله ﷺ فاستشهد به رضي الله عنه.

وأما سعد فهو أبو عبد الله سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأوسي السلمي أحد نقباء بني عمرو بن عوف ثم بني غنم بن السلم، وقد مر التعريف به في النقباء.

ومن بني غنم بن السلم - أيضا - قدامة وعرفجة وأبو أمية بنو الحارث بن مالك بن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم. وانقرض بنو غنم بن السلم هؤلاء.

ومن امرئ القيس - أيضا - بنو سالم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ويقال لهم بنو واقف؛ وواقف لقب سالم بن امرئ القيس. وقد تأخر إسلام جمهورهم، منهم هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأوسي الواقفي، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك وتاب الله عليهم وقصتهم مشهورة؛ قيل هو الذي قذف زوجته بشريك ابن سحماء، فنزلت في شأنه آية اللعان، فتلاعنا عند رسول الله

ﷺ⁽¹⁾. والصحيح أن صاحب تلك القصة هو عويمر العجلاني كما يأتي.

ومن بني واقف - أيضا - أبو قدامة بن سهل بن الحارث بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف الواقفي، قتل بصفين مع علي رضي الله عنه. ومنهم - أيضا - هرمي بن عبد الله بن رفاعة بن نجدة بن مجدعة بن عدي بن نمير بن واقف الواقفي، شهد الخندق وما بعدها إلا تبوك، وهو أحد البكائين الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

ثم ذكر الناظم البطن الثاني، وهم بنو جشم بن مالك بن الأوس. فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَجُشْمٌ بَعْدَ اللَّتْيَا أَسْلَمُوا خَزِيمَةَ بِنُ ثَابِتٍ قَرَمَهُمُ

(1) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس أن هلال بن أمية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني جئت أهلي فوجدت عندهم رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ - الآية - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا».. فأرسل إليها، وذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا. فقال هلال: والله لقد صدقت عليها، فقالت: كذب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاعنوا بينهما»، فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت من أجل أنهما تفرقا من غير طلاق ولا متوفى عنها، وقال صلى الله عليه وسلم: «انظروها فإن جاءت به أحمش الساقين أحيمر كأنه وحرّة فلا أراه إلا قد كذب عليها، وإن جاءت به أكحل جعدا جماليا سايب الألتين خدج الساقين فهو للذي رميت به». فأنت به على النعت المكروه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن» - والمراد بالأيمان الشهادات: وفي رواية: «انظروه (يعني ولدها) فإن جاءت به على صفة كذا فهو لشريك ابن سحماء» يعني الزاني. وقوله أحمش الساقين: أي رقيقهما. والحرّة: وزغة كسام أبرص. والجعد من الشعر: خلاف السبط والقصير منه. والجمالي: الضخم الأعضاء التام الأوصال. وخدج الساقين: ممتلئهما وعظيمهما. [المغني لابن قدامة].

قوله **جشم** (بوزن زفر): مبتدأ خبره جملة **أسلموا** (وصرف ضرورة)، والمراد بنو **جشم بن مالك**. وقوله **بعد اللتيا** (تصغير التي)⁽¹⁾ وهو متعلق بأسلموا، أي أسلموا بعد بطاء وتأخر. وقوله **خزيمة** (بصيغة التصغير): مبتدأ خبره **قرمهم** (والقرم: السيد)، والضمير فيه عائذ على بني **جشم**.

خزيمة بن ثابت وشهادته

يعني أن بني **جشم بن مالك بن الأوس** كانوا من آخر من أسلم من الأنصار، وأن من أعيانهم ذا الشهادتين **خزيمة بن ثابت**.

هذا وقد تفرع بطن بني **جشم** هذا إلى عدة أفخاذ منها: بنو **خطمة**⁽²⁾ بن **جشم** الذين منهم ذو الشهادتين؛ وهو أبو عمارة **خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غياث بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأوسي الخطمي**، أمه أم **خزيمة كبشة بنت أوس الخطمية**. كان رضي الله عنه من السابقين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها، وقيل أول مشاهدته أحد؛ وكان يكسر أصنام بني **خطمة**، وكانت بيده رايتهم يوم الفتح؛ وعرف بذى الشهادتين لأن النبي ﷺ جعل شهادته كشهادة رجلين. روي عن ابنه **عمارة بن خزيمة** قال: اشترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرسا من **سواء بن قيس المخاربي**، فجحدته **سواء**، فشهد **خزيمة بن ثابت** للنبي ﷺ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حملك على الشهادة ولم

(1) وفي المثل: "بعد اللتيا والتي". يضرب للدهاية الصغيرة والكبيرة، قيل أصله أن رجلا من حديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال: "بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا". [فرائد الأدب].

(2) **خطمة** (بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة) اسمه عبد الله، ولقب بـ"خطمة" لأنه ضرب رجلا بسيفٍ على خطمه، والخطم: الأنف، أو مقدمه.

تكن معنا حاضراً؟ قال: صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً، فقال النبي ﷺ: «من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه»⁽¹⁾؛ وقد قيل إن الذي اشترى منه النبي ﷺ الجواد المذكور هو سواد بن الحارث بن ظالم الحاربي، ويعرف هذا الجواد بـ"المرتجز"⁽²⁾. ولما ابتاعه صلى الله عليه وسلم منه مضى ليعطيه ثمنه، وأمره باتباعه وأسرع صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ سواد، فظفقت رجال يعترضون سواداً فيساومون منه الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه منه حتى زاده بعضهم في السوم على ثمن الفرس، فنادى سواد النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقال النبي ﷺ: «أو ليس قد ابتعته منك؟» قال: لا والله ما بعتك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد ابتعته منك»⁽³⁾، فظفقت الناس يلودون برسول الله ﷺ وبسواد وهما يتراجعان، فقال سواد: هلم بشاهدك، فقال خزيمة: أنا أشهد. وروي أن النبي ﷺ رد الفرس على سواد وقال: «لا بارك الله لك فيها» فأصبحت من الغد ميتة، ثم قال لخزيمة: «ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟» فقال: بأبي أنت وأمي أصدقتك على أخبار السماء وما يكون في غد ولا أصدقتك في ابتياعك هذا الفرس؟! فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وقال: «إنك ذو شهادتين يا خزيمة»⁽⁴⁾، فكان يقال له ذو الشهادتين.

وكان خزيمة بن ثابت هذا ممن بايع علياً كرم الله وجهه، وفي ذلك يقول:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن

(1) أخرجه أبو داوود والطبراني وابن شاهين - [الإصابة].

(2) مأخوذ من الرجز (هو بجر من بحور الشعر) سمي به لحسن صهيله، وكان أبيض.

(3) أخرجه أبو داوود وأحمد.

(4) أخرجه البخاري بالمعنى والدارقطني.

وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم بعضُ الذي فيه من حسن

وشهد معه يوم الجمل كافيًا سلاحه لا يقاتل، ثم كان معه بصفين كذلك حتى قتل
عمار بنُ ياسر بصفين، قال: قد بانَّت لي الضلالة، سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«تقتل عمارًا الفئةُ الباغية»⁽¹⁾ فسَلَّ سيفه وقاتل حتى قتل سنة سبع وثلاثين.

ومن بني خُطبة - أيضا - عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن
خطمة الجشمي الخطمي الصحابي الجليل، كان قارئ بني خطمة وإمامهم وأولهم
إسلامًا، وكان أعمى. وقيل كان ضريرَ البصر، وكان النبي ﷺ يزوره وهو في بني
واقف. وعمير هذا هو الذي قتل عصماءَ بنت مروانَ أختَ بني أمية بن زيد، التي
كانت تعيب الإسلام وأهله وتؤذي المسلمين وتحرض عليهم؛ ولما غزا رسول الله
ﷺ بدرًا قالت: أبياتا في ذم الإسلام وأهله فسمعها عمير بن عدي - وكان قد تخلف
عن بدر لأنه كان ضريرَ البصر - فنذر لئن رد الله عز وجل رسوله صلى الله عليه
وسلم من بدر سالمًا ليقتلنها.

فلما كانت ليلة قدومه المدينة من بدر دخل عليها في جوف الليل في بيتها
وحولها نفر من أولادها نيام فحسَّها بيده فوجأها بسكين تحت ثديها فقتلها، وقيل
سَلَّ سيفه ووضع ذبابه⁽²⁾ في صدرها حتى أنفذه من ظهرها؛ ثم خرج إلى رسول
الله ﷺ فصلى معه الصبح بالمدينة فلما رآه قال: «أقتلت بنتَ مروان؟» قال: نعم
قال: «لا ينتطح فيها عنزان»⁽³⁾، وأقبل رسول الله ﷺ على الناس وقال: «من أحب

(1) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد والطبراني.

(2) الجس: المس باليد. ووجأها بسكين: ضربها بها. وذباب السيف: حده، أو طرفه الذي يضرب به.

(3) ذكره ابن هشام في سيرته، وابن حجر في الإصابة. والمعنى: لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها
سائل فإنها هدر. وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي

منكم أن ينظر إلى رجل بات في نصرة الله ورسوله فليُنظر إلى عمير بن عدي»⁽¹⁾. ثم رجع عمير إلى قومه، بعد أن فرغوا من دفنها وفيهم بنوها (وهم خمسة)، فجعل يُوبخهم في شأنها ويقول: يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان ﴿فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾. فكان ذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم قبلُ يستخفي بإسلامه عنهم؛ فأسلم يومئذ منهم رجال لما رأوا من عز الإسلام. وكان قتله لها في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة؛ ومات عمير هذا في حياة النبي ﷺ، وابنه عبد الله بن عمير الخطمي صحابي أيضا؛ قام مقام أبيه في إمامة مسجد قومه.

ومن بني خطمة - أيضا - بديل بن عمرو الأنصاري الخطمي له صحبة، روي عنه أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ رقية الحية، فأذن لي فيها ودعا فيها بالبركة - [قاله في أسد الغابة]. ومنهم - أيضا - عباد بن نُهيك الخطمي، هو الذي أنذر بني حارثة حين وجدهم يصلون إلى بيت المقدس فأخبرهم أن القبلة قد حولت، فأتموا الركعتين الباقيتين نحو المسجد الحرام.

ومنهم - أيضا - حبيب بن خماشة الخطمي، سمع النبي ﷺ يقول بعرفة: «عرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن

----->>>

من الكلام الموجز البديع الذي لم يسبق إليه مثل «حمي الوطيس» و«مات حتف أنفه» و«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» و«الولد للفراس وللعاقر الحجر» و«كل الصيد في جوف الفرا» و«الحرب خدعة» و«إياكم وحضراء الدمن» و«الشديد من غلب نفسه» و«المجالس بالأمانة» و«اليد العليا خير من اليد السفلى» و«البلاء موكل بالمنطق» و«الناس كأسنان المشط» و«ترك الشر صدقة» و«أي داء أدرى من البخل» و«سيد القوم خادهم» و«فضل العلم خير من فضل العباد» و«الخيل في نواصيها الخير»، وغير ذلك .. [راجع الخميس 406/1 - 407].

(1) ذكره ابن هشام في سيرته بلفظ قريب من هذا.

محسّر»⁽¹⁾؛ وابنه يزيد وحفيده عمير بن يزيد بن حبيب كانوا قد توارثوا الصدق بعض عن بعض - [قاله في الاستبصار].

وقول الناظم: وجشم بعد اللتيا أسلموا أشار به إلى أن جمهور بني جشم بن مالك بن الأوس - ولا سيما بني خطمة منهم - تأخر إسلامهم، وكذلك إسلام من معهم من بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، وبني أوس الله⁽²⁾ من بني مرة بن مالك؛ عكس بني عمهم من بني غنم بن السلم بن امرئ القيس فقد أسلموا أول وهلة مع بني عمرو بن عوف كما مرّ. وفي سيرة ابن حزم قال: لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون رجالا ونساءً حاشى بني أمية بن زيد وخطمة وواقف، وهم بطون من الأوس، وكانوا سكاناً في عوالي⁽³⁾ المدينة؛ فأسلم منهم قوم كان سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر الآتي ذكره، فتأخر إسلامه وإسلام قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلهم⁽⁴⁾.

بنو مرة بن مالك بن الأوس

ثم ذكر الناظم البطن الثالث من بطون الأوس وهو بنو مرة بن مالك بن

(1) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وأحمد بدون ذكر الاستثناء.

(2) بنو أوس الله هؤلاء كان لهم عدد، وكان جدّهم يدعى أوس اللات فحول إلى أوس الله، قال ثعلب: إنما قل عدد الأوس في بدر وأحد وكثرتهم الخزرج فيهما لتخلف أوس الله عن الإسلام.

(3) العوالي: جمع عالية، وهي مواضع وقرى يقرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من ميلين إلى ثمانية أميال. وقيل أذناها من أربعة أميال - [البدر العيني].

(4) روي أن الخزرج جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: إئذن لنا في أصحابنا هؤلاء الذين تخلفوا عن الإسلام. فقالت الأوس لأوس الله: إن الخزرج تريد أن تشأركم بيوم بعث وقد استأذنوا فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا قبل أن يأذن لهم فيكم. فأسلموا؛ وهم أمية وخطمة ووائل.

الأوس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ مُرَّةٍ وَائِلٍ رَهْطُ الْأَسْلَتِ وَالِدِ وَحَوْحِ حُصَيْنِ عُقْبَةَ

قوله وائل: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. ورهط (بالرفع): بدل من وائل. والأسلت: اسمه عامر بن جشم بن وائل. وقوله والد (بالجر): صفة للأسلت. ووحوح (بوزن جعفر وعمهلتين): مضاف إليه ما قبله. وقوله حصين عقبة (بجرهما): معطوفان على وحوح بحذف العاطف.

يعني أن من بني مرة بن مالك بن الأوس بن وائل بن زيد رهط الأسلت بن جشم وابنه وحوح وسبطيه: الحصين بن وحوح بن الأسلت وعقبة بن أبي قيس بن الأسلت. وبنو مرة هؤلاء بطن من بطون الأوس وهم بنو مرة بن مالك بن الأوس ويعرفون بالجعدرة لقصر فيهم⁽¹⁾، وقيل لأنهم كانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له: جَعْدِرْ به حيث شئت، كما كانت القواقلة تفعل. وقد تفرعت من هذا البطن أفخاذ عديدة منها بنو أمية وبنو عطية وبنو وائل أبناء زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس. فمن بني أمية بن زيد طليب بن ربعي بن عبد الأشهل بن أمية بن زيد، وهو الذي عدل إليه حضير بن سماك بن عتيك (والد أسيد) يوم بعث وهو جريح فمات عنده. ومن بني عطية بن زيد شأس بن قيس بن عبادة بن زهير بن عطية، كان من أشرف الأوس في الجاهلية.

أما بنو وائل بن زيد فمنهم الأربعة الذين ذكرهم الناظم؛ أما الأسلت فهو عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي، وأما وحوح فهو أبو الحصين وحوح بن الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي. أسلم

(1) الجعدر: القصير - [القاموس].

وصحب وشهد الخندق وما بعدها، وله يقول أخوه أبو قيس بن الأسلت الشاعر:

أرى وحوحا ولىّ عليّ بأمره كاني امرؤ من حضرموت غريب
كأني امرؤ ولىّ ولا ودّ بيننا وأنت حبيب في الفؤاد قريب
وإن بني العلات⁽¹⁾ قوم وإني أخوك فلا يكذبك عنه كذوب
أخوك إذا نابتك يوماً عظيمة تحملها والنائبات تنوب

وأما الحصين فهو ابن وحوح بن الأسلت، له صحبة وهو راوي قصة طلحة بن البراء البلوي حليف بني عمرو بن عوف التي تأتي في ترجمته - إن شاء الله. ومات حصين هذا يوم العذيب⁽²⁾، وقيل في وقعة القادسية، وقتل معه أخوه محصن بن وحوح فيها.

أبو قيس صيفي بن الأسلت

وأما عقبة فهو ابن أبي قيس بن الأسلت الأوسي، قتل رضي الله عنه بالقادسية. وأبوه أبو قيس هذا هو صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي، كان من سادات قومه وكان قد ترهّب في الجاهلية وفارق الأوثان وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها وقال: أنا أعبد إله إبراهيم؛ ولم يزل على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة - وأبو قيس شيخ - واختلف في إسلامه فقيل لم يسلم؛ وكان ممن خرج مع أبي عامر الفاسق إلى مكة ثم أقبل يريد النبي ﷺ ليسلم فقال له عبد الله بن أبي: خفت والله سيوف بني الخزرج، فقال: لا جرم والله لا أسلم العام؛ فمات في الحول. وقيل بل أسلم وحسن

(1) بنو العلات: الذين أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، عكس الإخوة الأخياف الذين أمهم واحدة وأباؤهم شتى.

(2) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة - [معجم البلدان لياقوت].

إسلامه، وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا - كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي - وكان يقيم عندهم السنين بامراته، ولما وقع بينهم الاختلاف في أمر رسول الله ﷺ قال قصيدة ينهاهم عن الحرب ويحذرهم عاقبتها، يقول منها:

أيا راكبًا إما عرضت فبلغن	مغلغلة عني لؤي بن غالب ⁽¹⁾
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم	على النأي محزون بذلك ناصب
أعيذكم بالله من شر صنعكم	وشر تباغيكم ودس العقارب ⁽²⁾
وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة	كوخز الأشافي وقعها حق صائب ⁽³⁾
وقل لهم والله يحكمكم حكمه	ذروا الحرب تذهب عنكم في المذاهب ⁽⁴⁾
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	هي الغول ⁽⁵⁾ للأقصى معا والاقارب
تقطع أرحاما وتهلك أمة	وتبري السديف من سنام وغارب ⁽⁶⁾
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها	سمالا ⁽⁷⁾ واصباغا ثياب المخارب

(1) عرض: أتى العروض وهي مكة والمدينة - حرسهما الله - وما حولهما. والمغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد. ولؤي بن غالب: من قريش.

(2) الدس: إخفاء الشيء في التراب. والعقارب: (جمع عقرب) وهي دوية سامة في طرف ذنبها إبرة تلسع بها لسعا مؤلما. تكنى "أم عريط" و"أم ساهرة" وكنى بها هنا عن الشدائد والنمائم، ومن كلامهم: "دبت عقاربه، ودبت منه عقارب السعاية وإنه لتدب عقاربه أي يقترض أعراض الناس" ويقال أيضا: "عيش ذو عقارب" أي فيه شر وخشونة، وعقارب الشتاء: شدة برده.

(3) الوخز: الطعن غير النافذ بإبرة أو رمح أو نحوهما. والأشافي (جمع أشفى): وهي حديدة يثقب بها ويجرز. والصائب: الذي يصيب الهدف.

(4) المذاهب: الطرق.

(5) الغول: أصله - في زعمهم - ساحرة الجن، أو ما يتلون ألوانا من السحرة، وأراد بها هنا: الداهية العظيمة (جمعها أغوال).

(6) تبرى: تقطع، وتنحت. والسديف: شحم السنام أو قطعه (جمعه: سِدَاف وسدائف). والغارب: الكاهل، أو بين الظهر أو السنام، والعنق.

(7) الأتحمية: نوع من الثياب اليمينية الفاخرة. والسمال (أصله الأسمال): وهي الخلق من الثياب.

وبالمسك والكافور غبرا سوابغا
 ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
 كأن قتيريها عيون الجنادب⁽¹⁾
 فتعتبروا أو كان في حرب حاطب⁽²⁾
 طويل العماد ضيفه غير خائب
 فكم قد أصابت من شريف مسود
 وذئ شيمّة محض كريم الضرائب
 عظيم رماد النار يحمّد أمره

إلى أن يقول:

أقيموا لنا دينا حنيفاً فأنتم
 وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
 لنا غاية قد يهتدى بالذوائب⁽³⁾
 تؤمون والأحلام غير عواذب⁽⁴⁾
 لكم سرر البطحاء شم الأرانب⁽⁵⁾
 بأركان هذا البيت بين الأخاشب⁽⁶⁾
 بخزي أبي يكسوم هادي الكتائب⁽⁷⁾
 يعاش بها قول امرئ غير كاذب
 فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم
 فعندكم منه بلاء ومصداق

ومن ولد الأسلت - أيضا - جرول بن جرول بن النعمان بن الأسلت، قاتل يزيد بن مرداس السلمى، أخي عباس بن مرداس السلمى، بابن عمه قيس بن أبي قيس بن الأسلت.

-
- (1) الغبر (بضم فسكون): جمع أغبر وغبراء وهو الذي لونه الغبرة (وهي لون الغبار) والسوابغ: الدرور الوافية. والقتير: رؤوس المسامير في الدرور. والجنادب: ذكور الجراد.
- (2) حرب داحس: كانت بين عبس وفزارة من ذبيان في الجاهلية، وحرب حاطب: كانت بين الأوس والخزرج بسبب مقتل يهودي كان جارا للخزرج.
- (3) الذوائب: مقدمة الناس وأشرافهم.
- (4) الأحلام: العقول. وغير عواذب: أي غير بعيدة (جمع عازب وهو الغائب).
- (5) السرر (جمع سرّة): وهي خير الشيء وأعلاه. والأرانب: جمع أرنب: أي شم الأنوف، يعني أعزاء.
- (6) الأخاشب: يعني بها الأخشيين وما حولهما وهما جيلان بمكة.
- (7) أبو يكسوم كنية أبرهة. وهادي: أي قائد. والكتائب: جمع كتيبة وهي الجيوش، يشير بذلك إلى أنه هو قائد الحبشة في اليمن وهو الذي توجه لهدم الكعبة وصحب معه الفيل وكان من أمرهما ما كان.

ومن بني مرة بن مالك - أيضا - بنو سعد بن مرة بن مالك بن الأوس، وهم أهل راتج. منهم الحباب بن زيد بن تيم بن أمية، قتل يوم اليمامة، وبنت عمه أم علي بنت خالد بن تيم هي التي نزل الأذان في بيتها.

بنو عمرو بن مالك

ثم شرع الناظم في ذكر البطن الرابع من بطون الأوس وهم بنو عمرو بن مالك بن الأوس، فقال رحمه الله:

مِنْ عَمْرٍو الْكَرَامُ عَبْدُ الْأَشْهَلِ⁽¹⁾ رَهْطُ أُسَيْدٍ وَابْنُ بَشْرِ الْعَلِيِّ
 كِلَاهُمَا لَهُ عَصًا مُضِيئَةٌ مِنْ نُورِهِ عَجَّلَتْ الْهَنْيئَةَ
 وَابْنُ مَعَاذٍ خَيْرُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَخَيْرٌ مَنْ دَانَ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
 وَفَتِيَّةُ السَّكَنِ الَّذِينَ خَبَعُوا غَدَاةَ إِذْ عَنِ النَّبِيِّ دَافَعُوا

قوله الكرام: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وعمرو هذا يلقب بالنبيت ، وهو ابن مالك بن الأوس. وعبد الأشهل (بالرفع): بدل من الكرام، ورهط: صفة لعبد الأشهل، أو عطف بيان عليه. وابن بشر (بالجر): عطف على أسيد، والمراد به عباد بن بشر؛ والعلي: صفة له - ومعناه الرفيع القدر - والضمير في كلاهما عائد على أسيد وابن بشر. وقوله من نوره أي صاحب العصا المعلوم من قوله: كلاهما.. إلخ. وعجلت (بتشديد الجيم والبناء للمفعول) ونائبه الهنيئة وهي (بوزن سفينة): البشارة.

يعني أن من البطون المتفرعة من عمرو بن مالك بن الأوس بني عبد الأشهل بن

(1) الأشهل الذي يضاف إليه عبد الأشهل: صنم - قاله ابن دريد - [البدر العيني].

جشم رهط أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وقد تفرعت من عمرو بن مالك هذا بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة؛ فمن تلك البطون بنو ظفر بن الخزرج بن النبيت رهط قتادة بن النعمان بن زيد وعمه رفاعة بن زيد، وبني عمهم بني الأبيرق بن عمرو الظفرين. ومنها بنو الحارث بن الخزرج بن عمرو؛ وقد تشعبوا إلى أفخاذ منها بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث، وبنو زعور بن جشم بن الحارث، وبنو الحريش بن جشم بن الحارث، وبنو عمرو بن جشم بن الحارث. ومنها - أيضا - بنو جشم بن حارثة بن الحارث، وبنو مجدعة بن حارثة بن الحارث.

فمن بني عبد الأشهل أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وبنو السكن بن رافع، وقد مرَّ الكلام على بني عبد الأشهل هؤلاء وسبب إسلامهم. ومن بني زعور بن جشم آل التيهان، وآل أوس بن عبيد. ومن بني الحريش عباد بن سهل وصيفي بن قيظي. ومن بني عمرو بن جشم سهل بن عدي وابناه رافع وعبد الله ابنا سهل. ومن بني جشم بن حارثة عرابة بن أوس، وأبو عيس بن جبر، ورافع بن خديج. ومن بني مجدعة بن حارثة عازب بن الحارث وابنه البراء بن عازب، وحويصة ومحبيصة ابنا مسعود.

ومن فروع بني عبد الأشهل بنو زعور⁽¹⁾ بن عبد الأشهل، وبنو كعب بن عبد

(1) زعور بن عبد الأشهل بن جشم هذا غير زعور بن جشم بن الحارث، فالثاني عم الأول، وكلاهما ينسب إليه فخذ مستقل. ومن الصعب السلامة من الخطأ في أنساب أعيانهم، فقد يسقط لفظ عبد الأشهل من نسب بني زعور بن عبد الأشهل بن جشم فيضاف للفخذ الثاني، وهو بنو زعور بن جشم بن الحارث، وقد يزداد لفظ "عبد الأشهل" في نسب أحد بني زعور بن جشم بن الحارث فيضاف للفخذ الأول، وهو بنو زعور بن عبد الأشهل بن جشم، فيقع الخلط واللبس بينهما. ويقع مثل هذا أيضا بين بني جشم بن حارثة بن الحارث وبني جشم بن الحارث بن الخزرج، والثاني عم الأول وكلاهما ينسب إليه فخذ مستقل، وهذا النوع من تكرر الأسماء وتشابهاها وتداخلها كثير في هذه البطون.

الأشهل؛ فمن بني زعور هذا عباد بن بشر وسلطان بن سلامة والأصيرم (عمرو) بن ثابت، ومن بني كعب سعد بن زيد بن مالك وثابت بن الصامت وغيرهم.. ويأتي تفصيل هذا.

أما أسيد فهو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأشهلي، أحد وجوه الأنصار وسادات الصحابة، كان من السابقين إلى الإسلام، حضر العقبة وشهد بدرًا وجميع المشاهد بعدها وكان نقيب بني عبد الأشهل، وقد مر بعض التعريف به في النقباء.

وأما ابن بشر فهو أبو بشر عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة، وكان فيمن قتلوا كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي النبي ﷺ ويحرض عليه. وسمع النبي ﷺ ليلة صوت عباد فقال: «اللهم ارحم عبادا»⁽¹⁾، وقالت عائشة رضي الله عنها: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر؛ واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، واستشهد باليمامة، وكان له فيها بلاءً وغناء⁽²⁾. وقوله كلاهما له عصا.. إلخ: عقد به رحمه الله نص كلام صاحب الحلة السراء؛ فقد قال فيها: كان لعباد بن بشر عصا تضيء إذا خرج من عند النبي ﷺ ليلاً، وكذلك أسيد بن حضير إكراما لهما، وآية له صلى الله عليه وسلم وإظهارا لسر قوله عليه الصلاة

(1) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم - كما في أسد الغابة: 47 / 3.

(2) أبلَى في الحرب بلاءً حسناً: أظهر فيها بأسه حتى بلاه الناس فامتحنوه والغناء: ما يقتنى به.

والسلام: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»⁽¹⁾ فعجل لهما مما أحر في الآخرة. وفي الإصابة - أيضا - من حديث أنس أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما. وذكر أيضا في الاستيعاب والاستبصار مثله. فمعنى قوله **عجلت الهنيئة** أي أن الله تبارك وتعالى عجل لهما في الدنيا مصداق تلك البشارة التي وردت في حديث: «بشر المشائين في الظلم...» - الحديث - وإن كان مدلولها في دار الآخرة. والله أعلم.

ترجمة سعد بن معاذ

قوله **وابن معاذ**.. يصح جره عطفًا على أسيد، ورفع على أنه مبتدأ حذف خبره، تقديره: ومنهم ابن معاذ؛ أي ومن بني عبد الأشهل - أيضا - سيدنا أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت (عمرو) بن مالك بن الأوس الأوسي الأشهلي الصحابي الجليل، أمه كبشة بنت رافع بن عبيد الخدرية الصحابية، عاشت بعده؛ وكان سعد هذا سيد الأنصار كما ورد في حديث: «قوموا إلى سيدكم»⁽²⁾، وكان من سادات الصحابة وشجعانهم، وكان سيد الأوس، كما كان سعد بن عبادة سيد الخزرج، وفيهما جاء الخير المأثور: إن قريشا سمعت صائحا يصيح ليلا على أبي قبيس ويقول:

(1) أخرجه أبو داود 1 / 154.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف
 فيا سعدُ سعدُ الأوس كن أنت ناصراً ويا سعدُ سعدُ الخزرجين الغطارف
 أجيبا إلى داعي الهدي وغميا على الله في الفردوس ميةً عارف
 فإن ثوابَ الله للطالب الهدي جناحٌ من الفردوس ذاتُ رفارف

وهو - أيضا - من سادات السعدود الذين أشار إليهم حسان بن ثابت الأنصاري بقوله:

أروني سعودا كالسعود التي سمت بمكة من أولاد عمرو بن عامر
 أقاموا عماد الدين حتى تمكنت قواعده بالمرهفات البــــــــــــــــواتر

وقد تقدم سبب وتاريخ إسلامه رضي الله عنه وبركته على قومه إذ جمعهم جميعا وعزم عليهم أن يسلموا، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وهو مسلم - غير الأصيرم - فكان إسلامهم في يوم واحد، ولم يكن فيهم منافق.

وشهد سعد بن معاذ رضي الله عنه بدرا ويده لواء الأوس يومئذ، وبنى به عريشاً للنبي ﷺ وحرسه فيه من المشركين؛ وله في يوم بدر المقام المحمود والذكر الجميل، وكفاه قوله فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج لعير أبي سفيان حتى وصل بدرا بلغه مسير قريش إليه، فاستشار الصحابة في طلب العير وحرب النفير، فقال أبو بكر وأحسن، وقال عمرُ وأحسن، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس أشيروا عليَّ»⁽¹⁾، وإنما يريد الأنصار، لأنه تخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرتَه إلا ممن دهمه بالمدينة، فعند ذلك قام سعدُ بن معاذ وقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، فقال سعد: يا رسول الله قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به

(1) أخرجه مسلم والحاكم في معرفة الصحابة، وابن هشام.

هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ عند اللقاء⁽¹⁾ ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر (بنا) على بركة الله. وفي رواية أنه مما قال له: لعلك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره، فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعادٍ من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت؛ وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك. فسرَّ رسول الله ﷺ بقوله وقال: «سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»⁽²⁾.

وشهد سعد رضي الله عنه أحدا؛ وكان ممن ثبت فيه مع رسول الله ﷺ، وشهد الخندق، وأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسعد بن عباد دون سائر الأنصار - لسيادتهما عليهم - يشاورهما فيما أراد أن يعطيه يومئذ لغطفان من ثمر نخل المدينة لينصرفوا عنه ويخذل بهم الأحزاب، فقالا له: يا رسول الله إن كنت أمرت بشيء فافعله وامض له وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، فقال: «لم أومر بشيء ولو أمرت به ما شاورتكما وإنما هو رأي أعرضه عليكما»⁽³⁾ فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية، فكيف اليوم وقد هدانا الله بك وأكرمنا وأيدنا.. والله لا نعطيهم إلا السيف! فسرَّ رسول

(1) استعرضت: أي خضت. وصبر: جمع صبور. وصدق: جمع صدوق وهو الثابت عند اللقاء.

(2) ابن هشام في سيرته.

(3) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم - [كما في أسد الغابة].

الله ﷺ بقولهما.

ورُمي سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم يوم الخندق كان سببا في استشهاده بعدُ. وقد روي في ذلك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كنت في حصن بني حارثة يوم الخندق - وكان من أحرز حصون المدينة (وذلك قبل أن يضرب عليها الحجاب)، وكانت معها في الحصن أم سعد بن معاذ - قالت: مر بنا سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة (أي قصيرة قد ارتفعت عن مكانها الذي ينبغي أن تصله) قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة يسرع بها وهو يقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَاءُ حَمْلًا⁽¹⁾ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فقال له أمه: الحق يا بني فقد والله تأخرت، قالت عائشة: والله لقد وددت أن درع سعد أسبغ⁽²⁾ مما هي، وخفت عليه حيث أصاب السهم منه. ثم رماه حبان بن العرقه فقطع أكحله وقال: خذها وأنا ابن العرقه، فقال له سعد: عرّق الله وجهك في النار⁽³⁾. وقيل الذي قال له ذلك رسول الله ﷺ. ثم قال سعد: اللهم إن كنت قد أبقيت الحرب بيننا وبين قريش فأبقني لها فإنني أحب حرب قوم كذبوا نبيك وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تُمتني حتى تقرّ عيني في بني قريظة؛ وكان جرحه يسيل دمًا، فرقأ حتى فات أمرُ بني

(1) لَبْتُ قَلِيلًا: أي توقف يسيرًا. ويشهد: أي يحضر. والهيجاء: الحرب. وحمل: اسم رجل.

(2) أسبغ: أطول، والدرع السابغة: الواسعة (جمعها: سوابغ).

(3) الأكحل (يفتح الهمزة والحاء المهملة بينهما كاف ساكنة): عرق في وسط الذراع، قال الخليل: هو عرق الحياة، يقال: إن في كل عضو منه شعبة، فهو في اليد: الأكحل، وفي الظهر: الأبهر، وفي الفخذ: النسا، وإذا قطع لم يرقأ الدم. وابن العرقه: نسبة إلى أمه، واسمها: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم، ولقبت بالعرقه (بكسر الراء؛ وتفتح): لطيب ريحها. وعرق الله وجهك في النار: أي صيره يعرق فيها (وحبان هذا هو حبان بن قيس، ويقال ابن أبي قيس بن علقمة القرشي).

قريظة؛ وكان النبي ﷺ أمر بضرب فسطاط⁽¹⁾ لسعد في المسجد، فكان يعود فيه كل يوم. وقيل إنه قال لهم: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب»⁽²⁾؛ وهي امرأة من أسلم كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمتهم، وكانت خيمتها إلى جانب المسجد.

ولما حاصر صلى الله عليه وسلم بني قريظة حتى نزلوا على حكمه كلمه الأوس فيهم، فقال: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذلك إلى سعد بن معاذ»⁽³⁾. فأقبل عليه الأوس يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فلما توثق سعد من الجميع وأعطوه العهد والميثاق على إنجاز ما حكم به فيهم قال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسي الذراري والنساء وتكون ديارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»، وفي رواية: «من فوق سبع سماوات»⁽⁴⁾.

ولما تم أمر بني قريظة ورجع صلى الله عليه وسلم هو ومن معه من الصحابة إلى المدينة وقرت عين سعد في بني قريظة، انبعث جرحه يسيل دماً ولم يرقأ حتى مات رضي الله عنه؛ فأتى جبريلُ النبي ﷺ متعمماً بعمامة من إستبرق⁽⁵⁾، فقال: «يا محمدُ

(1) الفسطاط (بالضم): السرادق من الأبنية، وبيت من شعر.

(2) ابن سعد في طبقاته، وابن إسحاق - [كما في فتح الباري].

(3) أخرجه البخاري، وابن إسحاق - [كما في فتح الباري].

(4) أخرجه ابن إسحاق كما في فتح الباري وابن سعد، وأخرج البخاري ومسلم وأحمد نحوه بألفاظ متقاربة. وأرقعة (بالقاف): جمع رقيق وهو من أسماء السماء، قيل سميت بذلك لأنها رقت بالنجوم.

(5) الإستبرق: الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل من الذهب أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج - [القاموس].

من هذا العبد الصالح الذي فتحت له أبوابُ السماء واهتز له العرش»؟ فقام صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد قبض.

وفي ذلك يقول أحد شعراء الأنصار:

وما اهتزَّ عرش الله من أجل هالك سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو

وكان اهتزاز العرش لموته ارتياحاً بروحه واستبشاراً لكرامته على ربه⁽¹⁾.

فلما توفي وحملوه على نعشه وجدوا له خِفةً - وكان رجلاً جسيماً عظيماً - فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لبادناً وما حملنا من جنازة أخفَّ منه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن له حملةً غيركم ولقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعداً ما وطئوا الأرض إلا يومهم هذا»⁽²⁾.

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: كنت فيمن حفر لسعد - رضي الله عنه - قبره فكان يفوح علينا المسك من تراب قبره كلما حفرنا. ودفن بالبقيع وعمره سبعٌ وثلاثون سنةً، وكان ذلك سنة خمس، وحزن عليه النبي ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ رأى يوماً حلةً سبَّاء فقال: «لَمِنْدِيلٌ من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ منها»⁽³⁾. ولما مات ندبته أمه كبشة بنت رافع بقولها:

وَيْلُمٌ⁽⁴⁾ سعد سعدا صرامة وحداً
وسوددا ومجداً وفارساً مُعدداً

(1) القاموس المحيط، في مادة "هزّه".

(2) أخرجهما الترمذي.

(3) أخرجه البخاري ومسلم. والحلة (بضم المهملة وتشديد اللام): كل ثوب جديد ساتر لجميع البدن (جمعه: حلل). والسيراء (بكسر السين وفتح الياء مخففة): نوع من البرود فيه خطوط صفر أو يخالطه حرير.

(4) وَيْلُمٌ: أصلها: ويل أمه.

سَدِّ بِهِ مَسْداً يُقَدُّ هَاماً قَدَاً

فلما سمعها (رسول الله) صلى الله عليه وسلم قال: «كل نادبة تكذب إلا نادبة سعد» (أو كما قال). وفي رواية أنه قال لها: «لا تزيدني على هذا كان والله ما علمت حازما وفي أمر الله قويا»⁽¹⁾. وعن عائشة قالت: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد رسول الله ﷺ من المسلمين أحداً أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر.

وروي أن سعد بن معاذ قال: ثلاث أنا فيهن رجل⁽²⁾: ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً قط إلا علمت أنه حق من الله، ولا كنت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى أفضيها، ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها. قال سعيد بن المسيب: ما كنت أحسب هذه الخصال إلا في نبي. ومناقب سعد رضي الله عنه لا تحصى، فحياته كلها - على قصرها - حياة خالدة وجهاد صادق.

ولحسان بن ثابت الأنصاري فيه:

لقد سجمت من دمع عيني عبرة	وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعت به	عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة	مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا	وأمسيت في غرباء مظلمة اللحد
فأنت أالذي - يا سعد - أبت بمشهد	كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حبي قريظة بالذي	قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم	ولم تعف إذ ذُكرت ما كان من عهد

(1) أخرجهما الطبراني وابن سعد في طبقاته، وابن الأثير.

(2) يعني: كما ينبغي، وما سوى ذلك فهو فيه كرجل من سائر الناس.

فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألى شـرّوا هذه الدنيا بجنتها الخلد
فنعـم مصير الصادقين إذا دُعوا إلى الله يوماً للوجهة والقصد

ومن ولد سعد بن معاذ: عمرو، وبه يكنى. وشهد عمرو هذا بيعة الرضوان؛
ومن ولده: محمد بن الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، كان من
علماء الأنصار.

قوله: وفتية (بالجر): عطف على أسيد السابق، أو (بالرفع): عطف على ابن
معاذ، على قطعه عن التبعية. والفتية: جمع فتى وهو الشاب الكريم. والسكن
(بفتح الكاف وقد تسكن) - كما هنا - هو ابن رافع بن امرئ القيس. وخبعوا
(بالبناء للمفعول): أي ماتوا (وأصل خبع: غيب وستر، واستعير لمعنى مات).
ودافعوا عنه: أي ردوا عنه العدو وانتصروا له.

يعني أن من بني عبد الأشهل - أيضا - الفتية المنسوبين إلى السكن بن رافع بن
امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الذين قاتلوا عن النبي ﷺ يوم أحد ودافعوا عنه
حتى ماتوا عن آخرهم؛ وكانوا خمسة هم: زياد ويزيد ابنا السكن، وابناهما: عمارة
بن زياد بن السكن، وعامر بن يزيد بن السكن، والخامس حليف لهم اسمه مرشدة
بن عقبة بن قره.

وماصل قصتهم أنه لما اشتد القتال يوم أحد وغشي العدو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخلصوا إليه، وذبح عنه مصعب بن عمير حتى قتل، وأبو دجاجة
حتى كثرت فيه الجراحة، وأصيب وجهه - صلى الله عليه وسلم - الشريف وتلمت
رباعيته وكلمت شفته (وكان قد ظاهر يومئذ بين درعين)⁽¹⁾.. عند ذلك قال صلى

(1) تلمت: كسر طرفها. والرابعة: إحدى الأسنان التي تلي الثنايا. وكلمت: جرحت. وظاهر: أي
جعل الواحدة فوق الأخرى شدة للوقاية.

الله عليه وسلم: «من رجل يبيع لنا نفسه»؟⁽¹⁾ فوثبت إليه فتية من الأنصار ثم من بني السكن — وهم الخمسة المذكورون — فقاتلوا دونه صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا رجلا رجلا، وكان آخرهم موتاً زياد بن السكن أو ابنه عمارة بن زياد؛ وكان قد قاتل حتى أثبتته الجراحة وسكنت يده، فثاب عليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا⁽²⁾ عنه العدو، فقال صلى الله عليه وسلم: «ادنوه مني»⁽³⁾ فأدنوه منه فوسده قدمه الشريفة، ولم يزل خده عليها حتى مات؛ ووجدوا به أربعة عشر جرحاً. وكان بنو السكن هؤلاء بدرين كلهم، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد بعد أن باعوا أنفسهم مرة أخرى بيعة رابحة بالجنة رضي الله عنهم.

ومن بني عبد الأشهل: هند بنت أسيد بن حضير الأوسية الأشهلية؛ روي عنها أن النبي ﷺ كان يخطب بالقرآن، قالت: وما تعلمت ﴿ق﴾ إلا من كثرة ما كان يخطب بها⁽⁴⁾ — تقصد سورة ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾⁽⁵⁾.

ذكر بعض ما للنساء من الأجر

ومن بني عبد الأشهل أيضاً أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأشهلية بنت عمه معاذ بن جبل كانت من ذوات العقل والدين، روي عنها أنها أتت النبي — وهو بين أصحابه — فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، يقلن قولي وعلى مثل رأيي؛ إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة

(1) أخرجه مسلم وأبو نعيم وابن عبد البر — [كما في أسد الغابة].

(2) أثبتته الجراحة: أي صار لا يتحرك منها. وأجهضوا عنه: أزالوا ومنعوا عنه.

(3) أخرجه ابن إسحاق في المغازي — كما في الإصابة —. وأدنوه: أي قربوه مني، يعني زياد بن السكن.

(4) أخرجه الثلاثة.

(5) ق: 1.

فآمننا بك وبإهلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم؛ وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج؛ وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل؛ وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم.. أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟! فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه»؟⁽¹⁾ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي ﷺ إليها وقال: «افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها⁽²⁾ وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله». فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ⁽³⁾.

ومن هذا المعنى ما روي عن أنس بن مالك عن سلامة حاضنة إبراهيم بن النبي ﷺ أنها قالت: يا رسول الله إنك تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء؛ قال: «أصويجباتك دسسنك لهذا»؟ قالت: أجل هن أمرنني، قال: «ألا ترضى إحدان أنهن إذا كانت حاملاً من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله عز وجل وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة أعين» وذكر الحديث في فضل الولادة والرضاع والسهر على

(1) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن منده وابن الأثير.

(2) أي حسن مصاحبته له.

(3) رواه ابن الأثير: 6 / 19. تهلل وتكبر: أي تقول: لا إله إلا الله والله أكبر. والاستبشار: السرور والفرح.

الولد⁽¹⁾. [أخرجه أبو نعيم وأبو موسى - كما في أسد الغابة].

ومنه أيضا ما روي عن ابن عباس قال: وفدت إلى النبي ﷺ امرأة يقال لها أم رَعْلَة القشيرية - وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة - فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومربيات الأولاد وممهدات المهادر، ولا حظ لنا في الجيش الأعظم.. فعلمنا شيئا يقربنا إلى الله عز وجل؛ فقال لها النبي ﷺ: «عليكن بذكر الله عز وجل أثناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت..» - الحديث - [أخرجه أبو موسى]⁽²⁾.

ومن بطن بني كعب بن عبد الأشهل بن جشم: ثابت بن الصامت بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأشهلي، روى عن النبي ﷺ أنه صلى في كساء ملتفا به يضع عليه يديه يقيه برد الحصى، وروى عنه ابنه عبد الرحمن بن ثابت، وقيل إن ثابتا توفي في الجاهلية وإنما الصحبة لابنه عبد الرحمن.

ومنهم - أيضا - سعد بن زيد بن مالك بن عبيد بن كعب، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض سبايا قريظة إلى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا، وهو الذي هدم المنار الذي بالمشثل⁽³⁾ للأوس والخزرج، وهو الذي ضرب مربع بن قيظي بالقوس فشججه بها حين قال لرسول الله ﷺ ما قال يوم أحد؛ وكانت ضربته له قبل نهى رسول الله ﷺ عنه.

(1) حديث سلامة حاضنة إبراهيم أخرجه ابن الأثير: 6 / 144. ورواه الطبراني في الأوسط. وابن عساكر - [كما في الجامع الصغير].

(2) والمستغفري كلاهما عن ابن عباس - [كما في الإصابة].

(3) المشثل: المكان الذي كانت فيه آفة الأوس والخزرج في الجاهلية، وهي مناة في مكة - [ابن سعد: 147 / 2].

والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَالْحَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو جَدُّ بَنِي مَجْدَعَةَ الْغُرِّ
وَعَازِبُ أَبُو الْبَرَاءِ عَرَابَهُ حَوِيصَةٌ مُحْيِصَةٌ أَتْرَابَهُ

قوله والحارث مبتدأ خبره جد بني مجدعة ، وبنو مجدعة: بطن من بني الحارث الأوسيين. والغر: صفة لبني مجدعة: جمع أغر للكريم. وعازب (بالرفع): مبتدأ خبره محذوف، تقديره ومنهم عازب. وأبو البراء: صفة لعازب. وعراية (بوزن سحابة) وحويصة ومحيصة (بصيغة التصغير فيهما⁽¹⁾) وبالرفع): معطوفون على عازب بحذف العاطف. وقوله أترابه (بالنصب بأعني مقدره): أي معاصريه، وهو جمع ترب (بكسر التاء وسكون الراء) لمن ماثلك في السن، أي متعاصرين في سن واحدة.

هذا وقد ذكر الناظم هنا بعض بطون بني الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وقد مر قريبا أن من بطونهم بني مجدعة بن حارثة بن الحارث - بطن عازب بن الحارث بن عدي وابنه البراء بن عازب - وحويصة ومحيصة ابني مسعود المجدعيين، وأن من بطونهم - أيضا - بني جشم بن حارثة بن الحارث؛ رهط عراية بن أوس، وغيرهم..

أما عازب فهو ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي المجدعي، أسلم رضي الله عنه وله صحبة، ولم يسمع له ذكر في المغازي - كما في الإصابة - روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى منه رحلا وقال له: مر ابنك فليحمله معي، فقال له

(1) وبفتح الصاد المهملة مشددة [كما في القاموس] وخُففا في النظم ضرورة.

عازب: لا حتى تحدثنا كيف هاجرت أنت ورسول الله ﷺ⁽¹⁾.

وأما ابنه البراء بن عازب فهو الصحابي الجليل؛ يكنى أبا عمارة، وقيل أبا عمرو، واستصغره رسول الله ﷺ هو وابن عمر يوم أحد، وأول مشاهدته الخندق؛ وافتتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد مع علي الجمل، وصفين وقاتل الخوارج، ونزل الكوفة وبنى بها داراً، ومات بها في أيام مصعب بن الزبير. ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

(1) فقال له أبو بكر: خرجنا فأدجننا فأحينا يوماً وليتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهرية فضربت ببصري هل نرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله؛ فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت؟ فقال: لرجل من قريش فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ فقال: نعم، فقلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعني أداة على فمها خرقة فحلب لي كئيباً من اللبن (أي قليلاً) فصببت على القدح حتى يبرد أسفله ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفائته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله؛ فشراب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقاً بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، قال: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين، قال قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: «لم تبكي»؟ قال قلت: والله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم اكفناهم بما شئت»، فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعmin على من ورائي من الطلب. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق ورجع إلى أصحابه. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قدمنا المدينة فتلقاه الناس في الطريق وعلى الأجاجير واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء محمد؛ وتنازع القوم أيهم ينزل عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك»، فلما أصبح غدًا حيث أمر.

وأما هويصة فهو أبو سعد حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة الحارثي المجدعي، أسلم رضي الله عنه على يد أخيه محيصة - كما يأتي قريبا - وشهد أحدا وما بعدها من مشاهد رسول الله ﷺ.

وأما محيصة بن مسعود أخوه فأسلم قبله، وكان أصغر منه وله صحبة، بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل فدك⁽¹⁾ يدعوهم إلى الإسلام. وكان سبب إسلام أخيه حويصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - بعد قتل كعب بن الأشرف اليهودي - «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه»⁽²⁾ فوثب محيصة على تاجر من اليهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله، فجعل حويصة يضربه ويقول له: أتقتله؟ أما والله لرُبَّ شحم في بطنك من ماله. فقال له محيصة: أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لفعلت. فقال حويصة: آله لو أمرك بقتلي لقتلتني؟ فقال: نعم، فقال حويصة: والله إن ديننا بلغ بك هذا لعجب! فأسلم على يده؛ فكان ذلك أول إسلام حويصة، وكان أكبر من محيصة. وفي ذلك يقول محيصة رضي الله عنه:

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله لطبقت ذفراه بأبيض قاضب⁽³⁾
 حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب
 وما سرني أني قتلتك طائعا وأن لنا ما بين بصرى ومأرب⁽⁴⁾

وأما عرابة فهو ابن أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن

(1) فدك: من نواحي نخير، استولى عليها المسلمون صلحا، وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وقد نشأ بسببها خلاف بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته، وابن هشام في سيرته.

(3) الذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن. والأبيض: السيف. والقاضب: القاطع.

(4) بصرى: من مدن الشام في جنوبي حوران. ومأرب: مدينة مشهورة باليمن.

الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي؛ استصغره النبي ﷺ يوم أحد فرده في تسعة نفر منهم البراء بن عازب وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد . وكان عرابة مشهورا بالكرم والجود. وقد قيل إن سبب ارتفاع ذكره أنه لقي الشماخ بن ضرار يريد المدينة فسأله ما أقدمك؟ قال: أمتار لأهلي، وكان معه بعيران فأوقرهما له بُراً⁽¹⁾ وتمراً وكساه وأكرمه؛ فانصرف الشماخ من المدينة ومدحه بقصيدة يقول منها:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
 إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمين
 إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشركني بدم الوتين⁽²⁾ .. الخ.

وله أخبار حسنة في الجود وغيره من المكارم. وكان عرابة سيذا من سادات قومه، روي أن معاوية لقيه فقال له: بِمَ سدت قومك؟ قال: لست سيدهم ولكني رجل منهم. فعزم عليه فقال: أعطي في نائبتهم وأحلم عن سفيههم وشدت يدي على حلیمهم، فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزني فهو أفضل مني.

وكان أوس بن قيطي - والدُ عرابة هذا - قد أسلم هو وأبناؤه، وشهد أحداً هو وابناه عبداً لله وكتابة، رضي الله عنهم.

تفجیه: ظاهر سياق النظم أن عرابة بن أوس هذا من بني مجدعة، لذكر الناظم له بين نفر منهم، مع أنه ليس منهم بل هو من بني عمومتهم؛ لأنه من بني حشم بن

(1) امتار لعياله أو لنفسه: جمع لهم الطعام والمؤنة. وأوقر الدابة: حملها ثقيلًا. والير: القمح.

(2) اشركني: أي غصي، من شرق بريقه (كفرح) شرقًا: غص. والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه لأنه يجري منه الدم إلى سائر العروق.

حارثة بن الحارث، والبراء وحويصة ومحبيصة من بني مجدعة بن حارثة، وجشم ومجدعة ابنا حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. فذكر الناظم هنا لعرابة في بني مجدعة فيه تجوز، لكنه تسوغه عدة وجوه، منها أن المذكورين جميعا حارثيون، فهم من بطن واحد؛ ولذا قال: والحارث بن الخزرج بن عمرو.. إلخ. ومنها أن عرابة بن أوس هذا والبراء وحويصة ومحبيصة المذكورين معه متقاربون في السن والنسب معا، فكان ذكرهم في نسق سائغا مجازا، سيما في النظم - لضيقه - ولذا قال: أترابه. ومنها أنه جرت عادة أهل السير أن ينسبوا الرجل إلى عمه أو أخيه إذا كان مشهورا، فنسب عرابة إلى عمه مجدعة بن حارثة لشهرته، وقد استعمل - رحمه الله - ذلك مرارا في هذا النظم؛ فعلى سبيل المثال ذكر في بني العجلان البلويين - حلفاء الأنصار - هاني بن نيار البلوي بين عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلويين، ثم العجلانيين؛ ولم يكن هاني بن نيار عجلانيا وإنما كان من بني عمهم من بلي، فلما ذكر بني بلي - ولم يتعرض لغير بني العجلان من فصائلهم - وذكر بعض أفرادهم، أدمج فيهم ابن عمهم هاني بن نيار. وقد مر بعض الإشارة إلى هذا النوع عند قول الناظم والإخوة السبعة تحت الشجرة.. إلخ، وذكر له من الأمثال ما فيه كفاية. والله تعالى أعلم.

ومن بني جشم بن حارثة بن الحارث، رهط عرابة هذا، أبو عيس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم، كان اسمه في الجاهلية عبد العزى فسمي عبد الرحمن، وشهد بدرًا وما بعدها (وهو أحد الخمسة الذين قتلوا كعب بن الأشرف الآتي ذكرهم). ومنهم - أيضا - عبد الله وعبد الرحمن ومرارة بنو مربع بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة؛ شهد عبد الله وعبد الرحمن منهم أحدا وما بعدها، واستشهد عبد الله يوم الجسر. وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم عرفة إلى

قوم بالموقف يقول لهم: «كونوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث أبيكم إبراهيم»⁽¹⁾، وكان أبوهم مربع وأخوه أوس منافقين، وكان مربع أعمى؛ وهو الذي سلك رسول الله ﷺ حائطه في خروجه إلى أحد، فجعل يحنو التراب في وجوه المسلمين ويقول: إن كنت نبيا فلا تدخل حائطي. وأخوه أوس هو الذي قال: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾⁽²⁾.

ومنهم — أيضا — رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي كان عريف قومه بالمدينة، شهد أحدا والخندق؛ وتوفي سنة أربع وسبعين بالمدينة من جراحات به. ومن عقبه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة في اللغة وغيرها — والرافعي نسبة إلى رافع هذا — ولد بقزوين وكان له بها مجلس يحاضر به في علم التفسير والحديث، وكان من علماء عصره، توفي بقزوين سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ومن بني مجدعة بن حارثة بن الحارث عبد الله بن سهل بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة، كانت له صحبة، وقد وجد مقتولا بخير غيلة، فكانت فيه قضية القسامة، فألزم النبي صلى الله عليه وسلم أهل خير ديته، فأخذها ابنا عمه حويصة ومحيصة، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم عقله من

(1) أخرجه أحمد. والمشاعر: هي المناسك، كالمشعر الحرام، وعرفات ونحوهما.

(2) الأحزاب: 13، وعورة: أي سائبة ضائعة ليست بحصينة، وهي مما يلي العدو، وقيل هي الممكنة للسراق يخلوها من الرجال، يقال: دار معورة وذات عورة: إذا كان يسهل دخولها، وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة، وتقول العرب: دار فلان عورة إذا لم تكن حصينة. ثم قال الله تعالى — تكذيبا لهم وردا عليهم فيما قالوا — ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ — الآية — أي ما يريدون إلا الهرب من القتل أو من الدين. [القرطبي].

عند نفسه⁽¹⁾؛ وروى أن اليهود دلوه في المنهل. وكان محيصة بن مسعود رفيقا له، فاستخرجه من المنهل وكفنه ودفنه، وأتى رسول الله ﷺ ومعه أخو المقتول وهو عبد الرحمن بن سهل؛ فبدر عبد الرحمن بالكلام في أمر أخيه فقال له رسول الله ﷺ: «كَبْرٌ كَبِيرٌ»⁽²⁾، وكان عبد الرحمن أصغر من محيصة ومن أخيه عبد الله المذكور، وكان له فهم وعلم. روي عن القاسم بن محمد أنه قال: جاءت إلى أبي بكر جدتان فأعطى السدس أم الأم دون أم الأب، فقال له عبد الرحمن بن سهل هذا: يا خليفة رسول الله ﷺ أعطيت التي لو ماتت لم يرثها وتركت التي لو ماتت ورثها، فجعله أبو بكر بينهما. وروى عنه محمد بن كعب القرظي أنه غزا فمرت به

(1) وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر عنوة دعا يهودها فقال: «إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله» فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وأقاموا على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم حتى عدوا على عبد الله بن سهل هذا. وكان عبد الله بن سهل قد خرج في أصحاب له إلى خيبر يمتارون منها تمرا ففقدته أصحابه، ثم وجدوه في عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها، فاتهما به اليهود، فكلمت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل وابنا عمه: حويصة ومحيصة ابنا مسعود - وكان عبد الرحمن أحدثهم سنا - وكان هو صاحب الدم، فأراد أن يتكلم قبلهما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كبر كبير» فسكت فتكلم حويصة ومحيصة ثم تكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهود لصاحبهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم»، فقالوا: ما كنا لنحلف على ما لا نعلم، قال: «أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرأون من دمه» قالوا: يا رسول الله ما كنا لنقبل إيمان يهود ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر: «إنه قد وجد قتيل بين أياتكم فدوه أو آذنوا بحرب من الله»، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا، فوداه صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة، قال سهل: فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها. وحديث «أتسمون قاتلكم ثم تحلفون...» إلخ متفق عليه.

(2) حديث: «كبر كبير» متفق عليه. ومعناه: أعط مجالا للأكبر سنا.

روايا تحمل خمرا فشقتها برمحها وقال: إن رسول الله ﷺ نهانا أن يدخل الخمر بيوتنا وأسقيتنا⁽¹⁾.

ومن بني مجدعة - أيضا - أبو عبد الله محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، كان معدودا فيمن سموا محمدا في الجاهلية، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، وكان حليفا لبني عبد الأشهل، وعداده فيهم؛ ثم أسلم على يد مصعب بن عمير وصحب وكان من أفاضل الصحابة وشجعانهم، واستخلفه النبي ﷺ في بعض غزواته، وشهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك بإذن من رسول الله ﷺ في تخلفه عنها بالمدينة، وكان من قتلة كعب بن الأشرف اليهودي؛ واعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين وقال فيه حذيفة: إني لأعلم رجلا لا تضره الفتنة فذكره؛ وصرح بسماع ذلك من النبي ﷺ⁽²⁾.

وروي عن محمد بن مسلمة نفسه قال: أعطاني النبي ﷺ سيفًا وقال: «قاتل به من المشركين ما قاتلوا فإذا رأيت أمي يضرب بعضها بعضا فأت به أحدا واضرب به حتى يتكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية»⁽³⁾؛ ففعل.

(1) جمع سقاء: وهو وعاء من جلد. وعبد الرحمن بن سهل هذا هو المنهوس ببحر الأفاعي فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمارة بن حزم النجاري أن يرقيه؛ فرقاه، وهي رقية آل حزم كانوا يتوارثونها. روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لآل حزم في رقية الحية - [زواه مسلم]، وقالت فيهم عائشة: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيت من الأنصار في الرقية من كل ذي حمة (وهم من بني ساعدة) - [الاستبصار]، وروي عن بديل بن عمرو الأنصاري الخطمي أنه قال: عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية الحية فأذن لي فيها، ودعا فيها بالبركة - [أسد الغابة].

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک. وابن سعد في طبقاته. وابن عساکر في مختصر تاریخ دمشق.

(3) أخرجه أحمد في مسنده وابن عساکر في تاريخه وابن شاهين [كما في الإصابة].

وروي أنه دخل عليه رجل من أهل الشام في داره فقتله. وله من الأبناء جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمرو، وصحبوا معه كلهم؛ وقيل كان له غير هؤلاء من الأبناء - كما في الإصابة والحلة السيري - قيل كان له من الولد عشرة ذكورا وست بنات، ولم يستوطن غير المدينة حتى مات بها سنة ثلاث وأربعين.

ومن بني مجدعة بن حارثة أيضا أبو حثمة عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة الأوسي الجدعي، كان دليل رسول الله ﷺ إلى أحد، وبعثه رسول الله ﷺ خارصا⁽¹⁾ إلى خيبر، وضرب له بها سهمه وسهم فرسه، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. وابنه سهل بن أبي حثمة حفظ عن رسول الله ﷺ فأتقن، وتوفي بالمدينة. ومنهم أبو أمامة إياس بن ثعلبة بن حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار؛ روي أنه لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى بدر أجمع أبو أمامة على الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة: أقم على أمك - وكانت مريضة - فقال له أبو أمامة: بل أنت فأقم على أختك. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمر أبا أمامة بالإقامة على أمه وخرج أبو بردة، فرجع رسول الله ﷺ وقد توفيت فصلى عليها.

ومن أفخاذ بني الحارث بن الخزرج بن عمرو - أيضا - بنو الحريش بن جشم بن الحارث وبنو عمرو بن جشم بن الحارث، وكلاهما في عداد إخوتهم بني عبد الأشهل. فمن بني الحريش عباد بن سهل بن مخزومة بن قلع بن الحريش بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت الأوسي الحارثي، استشهد بأحد. ومنهم صيفي وخباب ابنا قيظي بن عمرو بن سهل بن مخزومة بن قلع بن الحريش، استشهدا يوم أحد.

(1) الخارص: الحازر والمقدر، يقال: "خارص النخلة" إذا قدر ما عليها.

ومن بني عمرو بن جشم بن الحارث: سهل بن عدي بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، قتل يوم أحد شهيدا وابناه: رافع وعبد الله ابنا سهل خرجا مع رسول الله ﷺ - وهما جريحان يوم أحد - إلى حمراء الأسد - ولم يكن لهما ظهر - وشهدا الخندق؛ فقتل عبد الله يومئذ.

ومنهم أيضا - ولكن بالحلف - حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن اليمان العبسي، واسم اليمان: جروة بن الحارث، وسمي باليمان لأنه أصاب دما في قومه بني عبس فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان لمخالفته اليمانية، وشهد حسيل هذا هو وابناه حذيفة وصفوان أحدا فقتله المسلمون في المعركة يظنونهم مشركاً، وكان حذيفة يقول أبي أبي.. ولم يسمع، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال رحمه الله:

مِنْ عَمْرٍو أَيْضًا ظَفَرُ رَهْطِ الْأَبِيِّ قَتَادَةَ ذِي الْعَيْنِ رَدَّهَا النَّبِيُّ
وَالدَّرْعِ سَلْهَا بَنُو الْأَبْيُرِقِ أَوْ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ التَّقِيِّ

قوله ظفر: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (وهو بظاء معجمة ففاء مروسة آخره راء مهملة محركا)، واسم ظفر كعب، وهو أبو بطن من الأوس (هم بنو ظفر⁽¹⁾ بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس). ورهط (بالرفع): بدل من ظفر أو عطف بيان عليه. والأبني: الذي يأبى الضميم⁽²⁾، وقنادة (بفتح القاف والجر): بدل من الأبني.

(1) أولاد ظفر هذا أربعة: سواد وهُتيم ومرة وعبد رزاح بنو ظفر بن الخزرج، وكلهم أبو بطن.

(2) الضميم: الظلم أو الإذلال، جمعه: ضيوم.

وقوله ذي العين: صفة لقتادة. وجملة ردها: حال من العين. والدرع⁽¹⁾ (بالجر): عطف على العين. وجملة سلها: حال من الدرع، وسلها: أي سرقها، والسلة والإسلال السرقة والخلسة، وفي المثل: الخلة تدعو إلى السلة أي الحاجة تدعو إلى السرقة. وبنو الأبيرق: فاعل سلها، والابيرق (بصيغة التصغير): لقب الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهثيم بن ظفر. وقوله أو لرفاعة عطف على قتادة. والثقي: صفة لرفاعة أي ذي التقوى، وهو الخوف من الله تعالى والعمل بطاعته؛ ولعل الناظم احترز به من رفاعة بن زيد بن التابوت، كهف المنافقين الذي هبت لموته ريح أفزعت الصحابة رضي الله عنهم.

يعني أن من البطون المتفرعة من عمرو بن مالك بن الأوس بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وقد تفرعت من هذا البطن أربعة أفخاذ هم بنو سواد بن ظفر رهط قتادة بن النعمان وعمه رفاعة بن زيد، وبنو الهثيم بن ظفر رهط بني الابيرق أصحاب الدرع، وبنو عبد رزاح بن ظفر رهط لبيد⁽²⁾ بن سهل الذي رماه بنو الابيرق بالدرع فبرأه الله تعالى منها، وبنو مرة بن ظفر.

قتادة بن النعمان

أما قتادة فهو أبو عمرو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر — وهو كعب — بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الظفري، كان رضي الله عنه من فضلاء الأنصار، وكان في أول من قدم المدينة بالقرآن. روي أنه قدم بـ ﴿كَتَّهَيْعَصَ﴾⁽³⁾ بعد قدوم رافع بن مالك بسورة يوسف، فكان يكثر

(1) الدرع: حُسنة من حديد تصنع حلقةً حلقةً وتلبس للحرب.

(2) يقال فيه ابو لبيد بن سهل، من سعد العشيرة (بن الكلبي) — [كما في الإصابة].

(3) سورة مريم: 1.

من قراءتها في داره فكانوا يستهزئون به، وإذا رأوه طالعا قالوا: هذا زكرياء قد جاءكم، لكثرة ما فيها من زكرياء. وحضر العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدها، وكانت معه راية بني ظفر يومي الفتح وحنين، وأصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجهه وبقيت معلقة بعرق؛ فأرادوا قطعه، فقالوا: لا حتى نستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، فاستأمره فقال: «لا»، ثم دعا به فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته وقال: «اللهم اكسها جمالا»⁽²⁾، فمات وإنما لأحسن عينيه وأحدهما نظرا، وما مرضت بعد.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له: «إن شئت صيرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا» فقال: يا رسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردني، ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة، فقال: «أفعل يا قتادة». وروي أن رجلا من ولده قدم على عمر بن عبد العزيز بالمدينة، فقال له عمر: ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فرُدت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادة بعد أبوالا

وفي رواية أنه قال له: يمثل هذا فليتوسل المتوسلون. فوصله وأحسن جائزته.

(1) سألت: تدلّت. وحدقته: عينه، والحدقة (محرّكة): سواد العين الأعظم. والاستثمار والإثمار: المشاورة.

(2) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، والدارقطني.

وروي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة لصلاة العشاء - وقد هاجت السماء واشتدت الظلمة - فبرقت برقة فرأى رسول الله ﷺ قتادة فقال له: «قتادة»؟ فقال: نعم يا رسول الله، قال: «ما السرى يا قتادة»؟ فقال: يا رسول الله علمت أن شاهد الصلاة الليلة قليل فأحببت أن أشهدها، فقال له: «إذا انصرفت فأتني»؛ فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال له: «خذها فستضيء أمامك عشرا وخلفك عشرا»⁽¹⁾.

وتوفي قتادة رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين - وقيل أربع وعشرين - وهو ابن خمس وستين سنة، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزل في قبره أبو سعيد الخدري، وهو أخوه لأمه (أمهما أنيسة بنت قيس النجارية).

وأما رفاعة فهو ابنُ زيد بن عامر بن سواد بن كعب - وهو ظفر - بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس؛ الأوسي الظفري، عم قتادة بن النعمان بن زيد المذكور.

ومن بني ظفر - أيضاً - ثم من بني سواد منهم: قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر الظفري، الشاعر المشهور في حرب الأوس والخزرج، قدم مكة مرة فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة، فوقع حرب بعث التي اندلعت قبيل إسلام الأنصار فمات فيها، وأخته ليلى بنت الخطيم يقال

(1) أخرجه أحمد بسند صحيح، والطبراني - كما في الإصابة - وقوله: هاجت السماء: أي تغيبت وكثر ريحها. وبرقت برقة: أي ظهرت ولمعت. وقوله: «قتادة» أي هل أنت قتادة؟ بتقدير همزة الاستفهام، فقال قتادة: نعم إني أنا قتادة. والسرى (بضم السين): سير الليل، وفي المثل: "عند الصباح يحمد القوم السرى" يضرب في احتمال المشقة والحث على الصبر حتى تحمد العاقبة. وشاهد الصلاة: أي حاضرها. والعرجون: العذق المعوج. وقوله: عشرا: أي من الأذرع.

إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ. ومن أبناء قيس بن الخطيم هذا: ثابت بن قيس له صحبة، شهد مع علي حروبه كلها، ومات في خلافة معاوية. وأبنائه: محمد وعمرو ويزيد، قتلوا جميعاً يوم الحرة.

ومن بني قيس - أيضاً - يزيد بن قيس بن الخطيم، شهد أحداً وجرح فيه جراحات كثيرة، وسماه النبي ﷺ يومئذ حاسراً، فكان يقول: «يا حاسر أقبل، يا حاسر أدبر»⁽¹⁾، وقتل يوم الجسر. ومنهم عبيد بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر، شهد بدرًا وقرن يومئذ أربعة أسارى في حبل واحد، منهم عقيل بن أبي طالب ونوفل والسائب، وأتى بهم رسول الله ﷺ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليهم ملك كريم»⁽²⁾، وسماه النبي ﷺ مقرنا.

بنو الأبيرق وقصة سرقتهم

ومن بني الهثيم بن ظفر: بشر ومبشر وبشير وطعيمة بنو أبيرق (الحارث) بن عمرو بن حارثة بن الهثيم الظفريون؛ كانت لبشر ومبشر منهم صحبة، وشهدا أحداً مع النبي ﷺ، وكانا فاضلين. وأما بُشَيْرٌ وطعيمة فكانا أهل حاجة وفاقة⁽³⁾ في الجاهلية والإسلام وهما اللذان سرقا درع قتادة بن النعمان - كما يأتي قريباً. وكان بشير منافقاً يقول الشعر ويهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله لبعض العرب⁽⁴⁾، ويقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا.. فإذا

(1) الحاسر: من لا درع له ولا مغفر، وللعباس بن مرداس:

كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقتنع
في كسل سابعة تخير سردها داوود إذ نسج الحديد وتبع .. الخ.

(2) نحوه في مسند أحمد.

(3) الفاقة: الفقر.

(4) ينحله: ينسبه إلى غيره، والشعر المنحول: المعزول لغير قائله.

سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا والله ما هو إلا شعر الخبيث بشير.
وهو القائل في ذلك:

أَوْ كَلِمَا قَالَ الرَّجَالُ قَصِيدَةً ضِيمُوا وَقَالُوا ابْنُ الْأَبِيرِقِ قَالَهَا⁽¹⁾

قيل إنه ارتد سنة أربع للهجرة.

ومن بني الهتيم - أيضا - أنس ومؤنس ابنا فضالة بن عدي بن حرام بن الهتيم بن ظفر، بعثهما النبي ﷺ حين بلغه دنو قريش يريدون أحداً، فاعتراضاهم بالعقيق فصارا معهم، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراهُ خبرهم وعددهم ونزولهم حيث نزلوا، وشهدا معه أحدا. ومنهم اسيرة بن عروة بن سواد بن الهتيم بن ظفر، كان رجلا منطيقا ظريفا⁽²⁾ بليغا حلوا، هو الذي جادل عن بني الأبيرق.

وحاصل قصة سرقة الدرع التي أشار إليها الناظم أنه كانت لقتادة بن النعمان بن زيد المذكور درع وطعام في مشربة⁽³⁾ له، فعدا عليها من تحت الليل بنو الأبيرق وهم بشر ومبشر وبشير وطعيمة فسرقوهما، فشكاهم إلى رسول الله ﷺ. والصحيح أن سارق الدرع إما بشير وإما طعيمة وكانا أهل حاجة وفاقة - كما مر. وقيل إن الذي سرقها هو طعيمة وإنه لما ظهرت عليه السرقة خاف القطع والفضيحة فهرب إلى مكة وارتد، فنزل على الحجاج بن علاط السلمي، فنقب بيته، فأخذه ليقتلوه فقال لهم الحجاج: دعوه فإنه قد لجأ إليكم، فتركوه فسار إلى الشام مع تجار من قضاة فسرق بعض متاعهم فأخذه فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقيل إنه

(1) ضيموا: أي اغضبوا.

(2) المنطيق: الفصيح الحسن البيان يبلغ بعبارته كنه ضميره. والظريف: الكيس الحاذق.

(3) المشربة (بفتح الراء، وتضم): الغرفة.

ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً⁽¹⁾ فيه دنانير، فأخذوه وألقوه في البحر. وقيل إنه نزل في حرة بني سليم فكان يعبد صنما لهم إلى أن مات، فنزل فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾.

وقيل إن الدرع المسروقة والطعام الذي معها كانا لرفاعة⁽³⁾ بن زيد المذكور، عم قتادة بن النعمان بن زيد، وكان الذي سرقهما من بني أبيرق رمى بهما ليبد بن سهل بن الحارث بن عروة بن عبد رزاح بن ظفر الظفري الصحابي الجليل البدري — وهو بريء منهما — فجاء رفاعة إلى رسول الله ﷺ يشكوهم ومعه قتادة، فقال قتادة: يا رسول الله إن أهل بيت منا، أهل جفاء، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وعدوا على درع وطعام كانا فيها وسرقوهما وعمدوا إلى أهل بيت أهل صلاح ودين فنزوههم بالسرقة⁽⁴⁾ ورموهم من غير بينة.

فسمع بذلك اسيرة بن عروة بن سواد بن الهثيم المتقدم ذكره، فجمع جماعة من قومه وأتى بهم رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله إن قتادة عمد إلى أهل بيت منا أهل حسب ونسب يأبئهم⁽⁵⁾ بالقبح، ويقول لهم ما لا ينبغي بغير ثبت ولا بينة

(1) الكيس (بالكسر): وعاء معروف يكون للدرهم والدنانير والدر والياقوت.

(2) النساء: 116/48.

(3) كان طعام الناس بالمدينة: التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت من الشام غير تحمل الزيت والدرمك (وهو الدقيق الحواري، أي الذي نخل مرة بعد أخرى) يتناع منه لنفسه، فقدمت مرة فابتاع رفاعة بن زيد حملا من الدرمنك فجعله في مشربة له، ومعه في المشربة سلاح، فعُدِّي عليه من تحت الليل فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فتحسس رفاعة وقومه فوجدوا بني أبيرق قد نقبوا البيت وأخذوا الطعام والسلاح.

(4) نزوهم: أي عابوهم بها.

(5) يأبئهم: أي يتهمهم.

ويغتاهم. وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله ﷺ على قتادة ولائمه على ما قال في بني الأبيرق. فقام قتادة وهو يقول لوددت أني خرجت من أهلي ومالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في شيء من أمرهم! فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتِكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ - الآيات⁽¹⁾.

ومن بني عبد رزاح بن ظفر ليبد بن سهل المذكور. ومنهم أيضا: الحباب بن جزى بن عمرو بن عامر بن عبد رزاح بن ظفر الظفري، شهد أحدا.

ومنه بني مرة بن ظفر معاذ بن زرارة بن عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن ظفر الظفري ابناه: أبو نملة وأبو درة، شهدوا أحدا كلهم (واختلف في شهود أبي نملة بدر) وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان، وقتل له ابنان يوم الحرة؛ وشهد أبو درة فتح مصر.

ثم ذكر الناظم بطنين آخرين من بني جشم بن الحارث، وهما بنو ظهير وبنو زعور ابني جشم بن الحارث، فقال رحمه الله:

بَنُو ظَهْيِرٍ زَعُورٍ رَهْطِ الْبُهَمِ أَوْسٍ وَتَيْهَانِ عَتِيكَ الْخِضْمِ

قوله بنو ظهير (بوزن زبير): مبتدأ حذف خبره، أي ومن بني الحارث بن الخزرج بن عمرو - أيضا - بنو ظهير. قوله زعور (بوزن جعفر، وبالجر) ويقال فيه زعوراء (بالمذ): عطف على ظهير بحذف العاطف. ورهط (بالجر): بدل من زعور،

(1) النساء: 105 - 112.

أو عطف بيان عليه، والبهم (بضم ففتح): جمع بهمة (بضم فسكون): للشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى. وقوله أوس (بالجر): بدل من البهم. وتيهان (بفتح التاء وسكون الياء) وعتيك (بوزن أمير): معطوفان على أوس بحذف العاطف. والخصم (بكسر ففتح): صفة لعتيك وهو السيد الجواد.

يقول: ومن بني عمرو بن مالك بن الأوس أيضا بنو ظهير بن رافع وبنو زعور بن جشم رهط أوس بن عبيد وآل التيهان. أما ظهير فهو ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن عمرو بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي، الصحابي الجليل؛ حضر العقبة الثانية وشهد بدرًا وأحدا وما بعدهما. وروي أنه جاء في خلافة عمر بأعلاج من الشام ليعملوا له في أرضه، فحرضتهم اليهود على قتله فدسوا له سكينين ثم وثبوا عليه وبعجوا⁽¹⁾ بهما بطنه فقتلوه، فأجلى عمر اليهود عن خير لذلك. ومن بنيه رضي الله عنه أنس بن ظهير أسلم وصحب وشهد أحدا، وأخوه أسيد بن ظهير استصغره النبي ﷺ يوم أحد، وأول مشاهدته الخندق، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ومن حديثه «من أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كعمرة»⁽²⁾.

وأما زعور فهو ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس جد بطن من بطون الأوس، وهم بنو زعور بن جشم، إخوة بني عبد الأشهل بن جشم وحلفاؤهم وهم سكان راتج⁽³⁾ يعرفون بأهل راتج، منهم أوس بن عبيد بن عبد الأعلم والتيهان بن عمرو بن عبد الأعلم وعتيك بن التيهان، كما قال: زعور

(1) بعجوا بطنه: أي شقوه، يقال: بعج فلان بطن فلان إذا شقه.

(2) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم في صحيحه والبيهقي وابن حبان.

(3) راتج: أطم من أطام اليهود بالمدينة.

رَهطُ البَهِمِ: أوس و تيهان عتيك ..

أما أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم (ويقال فيه عبد الأعلى) بن عامر بن زعور بن جشم، فهو والد الإخوة السبعة الشهداء المشهورين؛ وهم إياس وأنس ومالك وعمير والحارث وعمرو و عامر، شهدوا أحداً وما بعدها وكلهم قتل شهيداً؛ فقتل إياس يوم أحد، وأنس يوم الخندق، ومالك وعمير يوم اليمامة، والحارث يوم أجنادين، وعمرو يوم جسر أبي عبيد الثقفي، و عامر يوم الحرة.

وأما التيهان فهو مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جشم الأوسي الحارثي، ويقال فيه التيهان (بالتخفيف والتشديد، مثل مِيت وميِّت)، وأبناؤه أبو الهيثم وعبيد وعتيك بنو التيهان صحابة كلهم؛ واسم أبي الهيثم مالك أيضاً واشتهر بكنيته وكان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرًا، وقد مر التعريف به والخلاف في نسبه في أهل العقبة الأولى.

وأما عتيك فهو ابن التيهان بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جشم الأوسي الحارثي، شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وبدرًا وأحداً واستشهد به، وابناه عبيد الله بن عتيك قتل يوم اليمامة، وعباد بن عتيك شهد بدرًا. [قاله في الاستبصار]. ومنهم - أيضاً - عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم والد التيهان.

ومراد الناظم بذكر أوس و تيهان ذكر أولادهم من الصحابة الأجلاء المذكورين. والله أعلم.

ومن بني عمرو بن مالك بن الأوس - أيضاً - بنو عامر بن عمرو بن مالك كانوا يسكنون في عمان، ولم يكن منهم في المدينة أحد، فليسوا من الأنصار.

ولما تكلم على أولاد عمرو بن مالك بن الأوس أخذ يتكلم على أبناء أخيه عوف بن مالك⁽¹⁾ بن الأوس وهم "أهل قباء"⁽²⁾، فقال رحمه الله وعفا عنه:

عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ تَشَعَّبُوا مِنْهُ وَبُرُكُهُ الْأُنُوفُ
عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ جَبْرِ الْقِيَمِ بِأَحَدٍ عَلَى الرِّمَاءِ مِنْهُمْ
وَصِنُوهُ الشَّاعِلُ بِالنَّحْيَيْنِ خَوَاتُ مِنْ ضَرَاغِمِ الْحَيَيْنِ

قوله عوف بن مالك مبتدأ، وبنو عمرو بن عوف مبتدأ - أيضا - خبره جملة تشعبوا منه، ومجموع الجملة خبر عن المبتدأ الأول، وهو عوف بن مالك. والضمير في تشعبوا عائد على بنو عمرو بن عوف. والضمير في منه عائد على عوف بن مالك. وتشعبوا: أي تفرعوا منه. وقوله بركه (بالرفع): مبتدأ (وهو بوزن فلس وقفل، وقيل بوزن زفر وسكنت راءه ضرورة). والبرك: لقب امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ والضمير المضاف إليه عائد على عوف بن مالك. والأنوف (بضم الهمزة والنون): جمع أنف، صفة لبركه؛ وإنما جمع صفته لاعتبار أن البرك جمع معنى لأن المراد به بنوه، وأنف كل شيء: أوله، وهو هنا

(1) تطلق بنو عوف على كثير من البطون المختلفة مثل بنو عوف بن مالك الأوسيون هؤلاء، وبنو عوف بن عمرو بن عوف الأوسيون - أيضا - وبنو عوف بن الخزرج بن حارثة الخزرجيون، وبنو عوف بن عمرو بن عدي الغسانيون (من بني مازن بن الأزدي) وبنو عوف بن عامر المنتفق العدنانيون (من بني عامر بن صعصعة)، وبنو عوف بن النخع النخعيون، وبنو عوف بن كعب التميميون، وبنو عوف بن ثقيف الثقفيون، وبنو عوف بن عمرو الخزاعيون، وبنو عوف بن سعد الذبيانيون، وبنو عوف بن منبه من سعد العشيرة، وبنو عوف بن مالك الدوسيون، وبنو عوف بن وائل العكليون، وبنو عوف بن عذرة الكلبيون، وبنو عوف بن بكر العذريون، وغيرهم..

(2) لم يكونوا بقباء كلهم، وإنما كان به جلهم.

استعارة عن رفعة بني البرك، أي سيادتهم في قومهم. وقوله عبد الإله: مبتدأ خبره قوله منهم (في آخر البيت)، والجملة خبر عن قوله بركه، والضمير في منهم عائد على بركه باعتبار أنه جمع معنى - كما مر -. وقوله القيم (بوزن كيس): صفة لعبد الإله، وهو القائم على الأمر المتولي، والمراد به هنا المؤتمر على الرماة يوم أحد. والرماة: جمع رام، وهو من يرمي بالنبل. وصنوه: أي شقيقه، وهو مبتدأ. والنحين: تشية نحي (بكسر فسكون) وعاء السمن. وخوات (بوزن كتان): بدل من صنوه. وقوله من ضراغم: خير صنوه (وهو جمع ضرغم بفتح الضاد): الأسد؛ والضراغم (بكسر الضاد): الأسد والشجاع، والمراد بالحيين: الأوس والخزرج.

يعني أن من بني عوف بن مالك بن الأوس عمرو بن عوف الذي تفرعت منه بطونهم التي منها بنو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، رهط عبد الله بن جبير أمير الرماة بأحد وأخيه خوات بن جبير فارس الأنصار.

هذا وقد تفرعت من عوف بن مالك بن الأوس هذا بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة، فمن تلك البطون بنو الحارث بن عوف وبنو عمرو بن عوف. أما بنو الحارث فدخلوا في بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. وأما بنو عمرو بن عوف فمنهم بنو ثعلبة بن عمرو، وبنو عوف بن عمرو بن عوف، وبنو حبيب بن عمرو، وبنو وائل بن عمرو، وبنو لوذان بن عمرو، وغيرهم. وقد تفرعت هذه البطون إلى أفخاذ عديدة؛ فمن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس البرك وهو امرؤ القيس بن ثعلبة؛ من ولده عبد الله وخوات ابنا جبير.

أما عبد الله فهو ابن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي البركي، الصحابي الجليل. حضر العقبة، وشهد

بدرا وأحدا واستشهد به وكان رضي الله عنه أميراً على الرماة بأحد، وكانوا خمسين رجلاً؛ أمرهم النبي ﷺ أن يثبتوا في مركزهم على جبل "عَيْنَيْن" (1) وأمر عليهم عبد الله هذا وقال لهم: «إن رأيتونا تخطفنا الطير فلا ترحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم» (2)، فلما رأوا انهزام المشركين قالوا: إنها الغنيمة، وأرادوا الالتحاق بالمسلمين؛ فذكّرهم عبد الله بأمره ﷺ بالصبر والثبات وحضّهم على ذلك، فقالوا له: قد انهزم المشركون فما بقاءنا هنا؟ فلم يرد رسول الله ﷺ هذا، وانطلقوا يتبعون العسكر وينهبون معهم، وبقي عبد الله في أقل من عشرة؛ فكّر عليهم العدو فقتلهم، وقتل أميرهم عبد الله بن جبير. وكانت لأبيه جبير بن النعمان صحبة رضي الله عنهم.

خوات بن جبير وقصته مع ذات النحرين

وأما خوات فهو أبو عبد الله خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك، كان من شجعان الأنصار وفرسان الصحابة - كما أشار إليه الناظم - وكان رضي الله عنه معدوداً في أهل بدر، وكان قد سار إليه مع النبي ﷺ حتى بلغ الصفراء فأصابه حجر في ساقه؛ فردّه النبي ﷺ إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحداً والمشاهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة، وكان شاعراً؛ فقد روي عنه أنه قال: خرجنا حجاجاً مع عمر فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، فقال القوم: غننا من شعر ضرار، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده (يعني من شعره). قال: فما زلت أعنيهم حتى كان السحر،

(1) عينين (بفتح العين وكسرهما مثني): جبل بأحد قام عليه إبليس عليه لعنة الله تعالى فنأدى إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل - [القاموس].

(2) أخرج البخاري نحوه. وتخطفه واختطفه: استلبه واحتذبه.

فقال عمر: ارفع عنا لسانك يا خوات فقد أسحرنا - [قاله في الاستبصار].
ومات رضي الله عنه بالمدينة سنة أربعين - وقيل اثنتين وأربعين - وهو ابن أربع
وسبعين سنة.

وحاصل قصته المشهورة في الجاهلية مع ذات النخيين (التي محأها الإسلام والتي
أشار إليها الناظم - رحمه الله) أن امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة تسمى خولة بنت
عدي كانت تبيع السمن في الجاهلية، فبينما هي ذات يوم بسوق عكاظ دخل عليها
خوات بن جُبَيْر هذا فوجدها خالية فراودها فأبت، فخرج فتكَّر ورجع فقال لها:
هل عندك من سمن طيب؟ قالت: نعم فحلت زقا⁽¹⁾ فذاقه فقال: أريد أطيب منه،
فأمسكته وحلت آخر فقال: امسكيه فقد انفلت بعيري، قالت: اصبر حتى أوثق
الأول، قال: لا وإلا تركته من يدي يهراق فإني أخاف أن لا أجد بعيري، فأمسكته
بيدها الأخرى، فانقض عليها؛ فلما قضى حاجته قالت: لا هناك⁽²⁾. وفي ذلك
يقول:

وذات عيال واثقين بعقلها	خلجت لها جار استها خلجات
وشدت يديها إذ أردت خلأطها	بنحين من سمن ذوي عجرات
فكان لها الوليات من ترك سمنها	ورجعتها صفرا بغير بتات
فشدت على النحين ⁽³⁾ كفا شحيحة	فأعجلتها والفتك من فعلائي

(1) الزق (بكسر الزاي وتشديد القاف): جلد يجزُّ ولا ينتف ولا يستعمل للشراب وغيره، جمعه: زقاق
وأزقاق.

(2) لا هناك: أصله هناك (بالهمزة) أي لا ساغ ولا لذ، ومنه قول الفرزدق:
ولت بمسلمة الركاب مودعا فارعي فزارة لا هناك المرتع

(3) النحي (بتثني النون): زق خاص بالسمن يصنع من جلد.

وروي أن رسول الله ﷺ سأله عن هذه الأبيات وتبسم فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور⁽¹⁾. وضربت العرب المثل بهذه المرأة فقالت: "أشغل من ذات النحين". وهجا رجل رهطها فقال:

أناس ربة النحين منهم فعدوها إذا عد الصميم

وروي أن خوات بن جبير هذا مر في الجاهلية بنسوة فأعجبه حسنهن، فجلس إليهن وسألهن أن يفتلن له قيذا لبعير له زعم أنه شارد، فجلس إليهن فمر به رسول الله ﷺ وهو يتحدث إليهن، فأعرض عنه. فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد وهو يتبسم فقال خوات: قيده الإسلام يا رسول الله. وفي رواية أنه قال له: «ما فعل بعيرك الشارد؟» وقال له: «يرحمك الله» ثلاثا.

ومن بني البرك - أيضا - الحارث بن النعمان بن أمية بن البرك الصحابي الجليل، عم عبد الله وخوات المذكورين، شهد بدرًا وأحدًا، وشهد صفين مع علي كرم الله وجهه. وابنا أخيه أبو حبة وأبو ضياح ابنا ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك شهدا بدرًا وأحدًا واستشهد به أبو حبة؛ وشهد أبو ضياح أيضا الخندق والحديبية واستشهد بخير. والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَمِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الْهَدْمِ وَالِدُ كُلِّئِوْمٍ كَذَا عَوِيْمُ
خُبَيْبُ الْبَلِيْعِ وَالْغَسِيْلُ وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ الْجَلِيْلُ
أَحِيْحَةٌ نَجْلُ الْجَلَاْحِ الْجَحْجَبِي حَلِيْلُ أُمَّ شَيْبَةَ جَدِّ النَّبِي

(1) الحور: النقصان، والكور: الزيادة. يستعيذ بالله من الرجوع إلى الباطل بعد الإسلام، أو من الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية.

لَأَهْلِهَا تَدَلَّتْ إِذْ بَيْتَهُمْ فَهَشَّ عَظْمَهَا وَرَدَّهَا لَهُمْ
وَأَبْنَا سُؤَيْدِ الْجُلَّاسِ أَلَى بِاللَّهِ مَا قَالَ وَكُفْرًا قَالَا
وَالْحَارِثُ الَّذِي سُؤَيْدٌ عَفْرًا مُجَذَّرًا وَجَبْرَيْلُ أَخْبَرًا
أَبُو لُبَابَةَ الرَّيِّطُ وَأَبُو يَوْسُفِ الْقَاضِي إِلَيْهِمْ يُنْسَبُ

الهدم (بكسر الهاء وسكون الدال المهملة): مبتدأ خبره المجرور قبله. ووالد
(بالرفع): صفة للهدم. وعويم (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله. وخيب والغسيل
وعاصم وأحيحة (كلها بالرفع): معطوفات على عويم بحذف العاطف من خيب
وأحيحة. وكلثوم: (هو بوزن عصفور)، وعويم وخيب (كلاهما بوزن زبير).
والبلع (بالعين المهملة بوزن أمير): فعيل بمعنى مفعول، صفة لخيب، وصف بها
لأنه لما قتله قريش وصلبته أرسل إليه رسول الله ﷺ بعض الصحابة فأنزله عن
الخشبة التي كان مصلوبا عليها فابتلعه الأرض صونا لجنته الشريفة عن أن يعبث بها
المشركون ويمثلوا بها. والغسيل لقب اشتهر به حنظلة بن أبي عامر (الفاسق) بعد
موته. والجليل: صفة لعاصم، وهو العظيم المنزلة. وأحيحة: هو مهملتين (بوزن
جهينة). والجلاح: بوزن غراب. والجحجي (بجيمين مفتوحتين بينهما حاء مهملة
ساكنة آخره باء موحدة): نسبة إلى جحجا بن عوف بن كلفة، وهو صفة
لأحيحة. وأم شيبه: هي سلمى⁽¹⁾ بنت عمرو النجارية. وشيبه: هو عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف القرشي. وجد النبي (بالجر): صفة لشيبه. والضمير في لأهلها

(1) هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليث بن حرام بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار،
وأما عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار؛ وأم عميرة: سلمى بنت عبد
الأشهل النجارية.

عائد على أم شيبه، وهم بنو النجار. وتدلى: تعلق بالشيء واسترسل معه إلى أسفل. وكانت سلمى هذه قد تدلت من حائط زوجها أحيحة فلقت لذلك بالمتدلية. وضمير الرفع المستتر في **بَيْتَهُمْ** عائد على أحيحة، والضمير البارز عائد على أهلها وهم بنو النجار. وهش **عظمتها**: أي كسره.

يقول: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس وعويم بن ساعدة وخبيب بن عدي وحنظلة الغسيل وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح وأحيحة بن الجلاح الجحجي، زوج سلمى بنت عمرو النجارية أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ.

قوله **وابنا سويد** (بالثنية): مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني عمرو بن عوف — أيضا — ابنا سويد، وسويد (بصيغة التصغير) هو ابن الصامت. والجلالاس (بوزن غراب): بدل من ابنا سويد. وآلى: حلف. وكفراً (بالنصب): متعلق **بقالا** بعده. وألف **قالا**: للإطلاق، أي ولقد قال كفراً، أي قولاً يتضمن الكفر؛ لأن مضمون مقالته السب للنبي ﷺ والطعن في الإسلام، ولأن الكفر يطلق على كل ما يناقض التصديق. وفي قول الناظم هنا اقتباس من لفظ الآية التي نزلت في الجلاس هذا، وهي قوله تعالى ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾⁽¹⁾ — الآية.

قوله **والحارث** (بالرفع): عطف على الجلاس. واللذ (بسكون الذال المعجمة): لغة في الذي. وقوله **بسويد**: متعلق بعفراً، وعفراً (بالتشديد والتخفيف) ضرب به العفراء وهي الأرض. ومجدرا (كمعظم): مفعول به لعفراً، وهو المجدر بن زياد

(1) التوبة: 74 .

البلوي. وفاعل أخبرا ضمير مستتر عائد على جبرئيل، وحذف مفعولي أخبر لدلالة ما قبله عليهما، أي أخبر جبريل النبي ﷺ بقتل الحارث للمجذر بن زياد.

يعني أن من بني عمرو بن عوف - أيضا - الجلاس بن سويد الذي حلف ما قال المقالة التي نسبت إليه، وهو كاذب في يمينه. ومنهم - أيضا - أخوه الحارث بن سويد الذي قتل المجذر بن زياد خفية، فأخبر جبريل النبي ﷺ بقتله له.

وقوله أبو لبابة: مبتدأ. والربيط (بالرفع): صفة له. وأبو يوسف عطف عليه. والقاضي: صفة لأبي يوسف. وإليه: متعلق بينسب المبني للمفعول، والجملة خبر أبو لبابة. والضمير في إليه عائد على بني عمرو بن عوف، أي ومن بني عمرو بن عوف - أيضا - أبو لبابة بن عبد المنذر والقاضي أبو يوسف الأنصاري.

لها ذكر الناظم - رحمه الله - بعض بطون بني ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، شرع يتكلم على بعض بطون أخويه عوف وحبيب ابني عمرو بن عوف، وعلى بعض أعيان تلك البطون؛ وأكثر بطون الأوس متفرعة من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك هذا. فمن البطون المتفرعة منه بنو عبيد وبنو أمية وبنو ضبيعة بني زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

ومنهم أيضا بنو جحجج بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. فمن بني عبيد بن زيد: كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس. ومن بني أمية بن زيد: عويم بن ساعدة وأبو لبابة بن عبد المنذر والقاضي أبو يوسف. ومن بني ضبيعة بن زيد: حنظلة الغسيل بن أبي عامر وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. ومن بني جحجج بن عوف: حبيب بن عدي وأحيحة بن الجلاح.

التعريف ببعض أعلام بني عمرو بن عوف

هذا عن عوف بن عمرو، أما أخوه حبيب بن عمرو بن عوف فمن البطون المتفرعة منه بنو عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو، رهط الجلاس والحارث ابني

سويد بن الصامت. وعلى هؤلاء المذكورين اقتصر الناظم.

وهذا بعض التعريف بهؤلاء الأعيان مع زيادة بعض مشاهير هذه البطون؛ وذكر بعض بطونهم الأخرى:

أما كلثوم فهو ابن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الصحابي الجليل، أسلم قبل وصول النبي ﷺ المدينة من الهجرة، وكان شيخا كبيرا؛ وكان شيخ بني عمرو بن عوف بقاء.

ولما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة نزل أولا على بني عمرو بن عوف بقاء، وكان نزوله فيهم على كلثوم بن الهدم هذا؛ فكان يعرف بصاحب رحل رسول الله ﷺ. وروي أنه عندما نزل عنده نادى كلثوم غلاما له يقال له نجيح، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال له: "أُنْجِحْتُ يَا أبا بكر" (1). وأقام صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف أربعة أيام - يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس - كان فيها عند كلثوم هذا، وقيل أقام فيهم أربع عشرة ليلة؛ وكان يتلقى الناس ويتحدث معهم في بيت سعد بن خيثمة (2)؛ وكان بيته يعرف بـ"منزل العزاب" لأن سعدا كان عزبا ونزل عليه العزاب من المهاجرين القادمين من مكة. وأسس رسول الله ﷺ في تلك الفترة مسجد بقاء، وخرج من عندهم يوم

(1) رواه ابن الأثير: 4 / 195.

(2) كانت دار كلثوم بن الهدم التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت سعد بن خيثمة الذي كان يلقي فيه الناس في الدور التي قبلي مسجد بقاء، وهي التي تلي المسجد في قبلته يدخلها الناس إذا زاروا مسجد بقاء ويصلون فيها، وفي تلك العرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة. [الخميس].

الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف فصلى الجمعة في بطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ، ثم سار حتى نزل على أبي أيوب الأنصاري، وأقام عنده حتى بنى المسجد وبعض مساكنه، ثم انتقل إليها صلى الله عليه وسلم. وتوفي كلثوم بن الهدم قبل بدر، ولم يدرك شيئاً من مشاهدته صلى الله عليه وسلم، وكان أول من مات من الصحابة بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، ثم مات بعده بقليل أسعد بن زرارة رضي الله عنهما.

ومن بني عبيد بن زيد - أيضاً - أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد بن زيد، شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

وأما عويم فهو أبو عبد الرحمن عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، وقد قيل في نسبه غير هذا، وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة الأولى.

أبو لبابة وقصة التوبة عليه

وأما أبو لبابة فهو رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي، الصحابي النقيب؛ وقد مر بعض التعريف به في النقباء. وأشار الناظم بقوله الربيط إلى قصته المشهورة؛ وهي أن النبي ﷺ لما حاصر بني قريظة، أرسلوا إليه أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا - وكانوا حلفاء الأوس - فأرسله إليهم، فلما رأوه مقبلا قام إليه الرجال وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم ورحمهم، فقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد؟ فقال نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله. فندم أبو لبابة واسترجع؛ ثم انطلق على وجهه ولم يأت النبي ﷺ حتى ارتبط في سارية من سواري المسجد، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله علي مما

صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره — وكان قد استبطأه — قال: «أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي يطلقه حتى يتوب الله عليه»⁽¹⁾، فمكث سبعة أيام؛ وقيل بضع عشرة ليلة تأتيه امرأته — وقيل بنته — فتحله للصلاة وقضاء حاجته ثم يعود فتربطه في الجذع، وكان لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه. ثم تاب الله عليه، فترل على رسول الله ﷺ من السحر — وهو في بيت أم سلمة — قوله تعالى ﴿وَأَخْرُوجُنَّ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسَيْنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾، فضحك صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال: «تیب علی ابي لبابة، قالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت»⁽³⁾، فقامت على باب حجرها وقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك؛ فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يلجني. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح مر به فأطلقه رضي الله عنه، فمن هذا لقب بالربيط، واشتهر به.

وروي أن الاسطوانة التي ربط فيها نفسه هي الاسطوانة التي ربط فيها ثمامة بن أثال الحنفي وأنها تعرف بـ"اسطوانة التوبة". وعن محمد بن كعب أن النبي ﷺ كان يصلي نوافله إلى اسطوانة التوبة؛ ولا بن ماجه عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف طرَحَ لَهُ فراشه ووضع له سريره وراء اسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها. ونقل عياض عن ابن المنذر أن مالكا بن أنس كان له موضع في

(1) رواه ابن هشام في سيرته.

(2) التوبة: 102.

(3) رواه ابن هشام في سيرته.

المسجد، قال: وهو مكان عمر بن الخطاب، وهو الذي كان يوضع فيه فراش النبي ﷺ إذا اعتكف.

أبو يوسف فقيه العراق

وأما أبو يوسف فهو القاضي فقيه العراق يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، وقيل إن جده سعدا هذا ابن بَحِير⁽¹⁾ بن معاوية بن سلمى من بجيلة حليف بني عمرو بن عوف، ويعرف بسعد ابن حَبْتَة⁽²⁾ أمه، وهي بنت مالك من بني عمرو بن عوف.

وأبو يوسف هذا بغدادى كوفى، ولد بالكوفة ونشأ في طلب العلم ولزم أبا حنيفة وتفقه في الحديث والرواية، فكان فقيها علامة من حفاظ الحديث، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، وغلب عليه الرأي. وكان من أبرز تلامذة أبي حنيفة وهو أول من نشر مذهبه؛ وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيدي، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء. وقيل إنه هو أول من دُعي قاضي القضاة وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة. وله تآليف كثيرة⁽³⁾، وكان وردّه في اليوم مائتي ركعة، وتوفي رحمه الله في ربيع

(1) بحير (بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجميم المفتوحة). [ابن خلكان].

(2) سعد ابن حَبْتَة هذا كان من المستصغرين يوم أحد، رده النبي صلى الله عليه وسلم لصغر سنه، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديدا فدعاها وقال له: «من أنت؟» فقال له: سعد ابن حَبْتَة، فقال: «أسعد الله جدك» ومسح على رأسه ودعا له بالركعة في ولده ونسله، فكان عما لأربعين وخالا لأربعين وأبا لعشرين - [الروض الأنف وابن خلكان].

(3) ومن كلام أبي يوسف: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة، وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة أولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها،

الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة، وروى عنه خلق كثير منهم أحمد بن حنبل وابن معين.

وجده سعد بن عبيد بن النعمان كان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكان يوم أهل مسجد قباء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي زمن أبي بكر وعمر، وكان يعرف بسعد القارئ، وشهد رضي الله عنه بدرا، وتوفي في خلافة عمر شهيدا بالقادسية، وابنه عمير بن سعد كان من أفاضل الصحابة ولقبه عمر بـ"نَسِيحٌ وَحَدِيثُهُ"⁽¹⁾ واشتهر بها، وهو ربيب الجلاس بن سويد، وهو الذي رفع مقاله إلى النبي ﷺ في قصة الجلاس الآتية.

وكان أبو يوسف يكنى بابنه يوسف بن يعقوب؛ ويوسف هذا كان ممن فقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما؛ وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور وبأمر من هارون الرشيد، ولم يزل على القضاء إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد - [قاله ابن خلكان].

حنظلة بن أبي عامر الغسيل

وأما الغسيل فهو حنظلة بن أبي عامر (الفاستق) بن صيفي بن النعمان بن مالك

----->>>

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها. وروي أنه كان يجلس إليه رجلٌ فطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوما: ألا تتكلم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟!، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك! ثم تمل:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصممت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلم

(1) يقال: "هو نسيح وحده" أي منفرد بخصال محمودة لا نظير له فيها.

بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الضبعي، كان من خيار المسلمين وساداتهم، ومن فضلاء الصحابة، واشتهر بلقبه "الغسيل" أو "غسيل الملائكة". وسبب تلقيبه به أنه رضي الله عنه تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول في الليلة التي في صبيحتها كانت وقعة أحد، فاستأذن رسول الله ﷺ في المبيت عندها في تلك الليلة فأذن له؛ فرأت جميلة تلك الليلة (ليلة أحد) في النوم كأنَّ باباً من السماء قد فتح فدخله وأغلق دونه، فعلمت أنها الشهادة؛ فدعت رجلاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع.

ولما صلى حَنْظَلَةَ الصبح وأراد الخروج إلى المعركة مال إلى زوجته جميلة فأجنب منها، وخرج يريد أن يغتسل فأعجلته الهيعة⁽¹⁾ عن الغسل وخرج إلى المعركة وهو جنب، فلحق بالقوم والنبى ﷺ يسوي الصفوف، ودخل فيهم وقاتل معهم؛ فلما انكشف المسلمون اعترض حَنْظَلَةَ أبا سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان عنه فاستعلى عليه حَنْظَلَةَ وكاد يذبحه بالسيف، فأتاه شداد بن الأسود بن شعوب الليثي - حليف العباس بن عبد المطلب - فقتله، فقام أبو سفيان وقال: حَنْظَلَةَ بِحَنْظَلَةَ. ثم قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، وفي رواية: «رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض»⁽²⁾. فالتمسوه في القتلى فوجدوا رأسه يقطر ماء وليس بقربه ماء، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام. فسئلت زوجه جميلة فقالت: خرج وهو جنبٌ حين سمع الهاتفة،

(1) الهيعة والهاتفة: الصوت المفرع.

(2) ذكره في الإصابة نقلا عن ابن إسحاق.

فقال صلى الله عليه وسلم: «لذلك غسلته الملائكة»⁽¹⁾، وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً⁽²⁾.

ثم إن جميلة بنت عبد الله بن أبي حملت من حنظلة هذا بعبد الله بن حنظلة الغسيل - وولده على عهد رسول الله ﷺ - فكان عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبع سنين، وقد رآه وكان خيراً فاضلاً مقدماً في الأنصار، وكان إمام أهل المدينة لما خلعوا يزيد فكانت عليهم وقعة الحرة سنة ثلاث وستين، واستشهد بها رضي الله عنه هو وثمانية من ولده.

عاصم بن ثابت حمي الدَّبَر

وأما عاصم بن ثابت فهو أبو سليمان عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، واسم أبي الأفلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن

(1) ذكره ابن هشام في سيرته.

(2) اختلف الأئمة والعلماء في غسل الشهيد، فالجمهور على ترك غسله، ولو كان جنباً أو حائضاً، وهو الأصح، لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بشهداء أحد فدفنوا بثيابهم، وقال: «لا تغسلوهم فإن كل جرح - أو كل دم - يفوح مسكاً يوم القيامة»، وقيل يغسل لأن كل ميت يجنب فيجب غسله، وبه قال الحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهما. ولعلمهم كانوا يرون أن ما فعل يقتل أحد كان لموضع الضرورة لمشفة غسلهم، وقيل يغسل الجنب للجنبانية لا بنية غسل الميت، لما في قصة حنظلة بن الراهب، وأجيب بأنه لو كان واجباً ما اكتفى فيه بغسل الملائكة، وهذا بالنسبة لشهيد المعركة بين المسلمين والمشركين. واختلف أيضاً في غسل سائر الشهداء الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن أحمد والأوزاعي وجماعة: حكمهم حكم من قتله أهل الشرك، وعن مالك والشافعي: يغسلون. وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هو الشهادة مطلقاً، أو خصوص الشهادة على أيدي الكفار. فعلى الأول لا يغسل كل من نص صلى الله عليه وسلم أنه شهيد. وعلى الثاني يقصر على من مات في قتال المشركين. والله أعلم. [بداية المجتهد، وفتح الباري].

عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، وشهد بدرًا وأحداً، وأمره رسول الله ﷺ على بعث الرجيع - كما مر في قصة حبيب البليع - وكان يقاتل يومئذ ويرتجز ويقول:

أبو سليمان ومثلي رامى وكان قومي معشرا كراما
ويقول أيضاً:

ما علتي وأنا جلد بازل والقوس فيها وتر عنابل⁽¹⁾
تزل عن صفحتها المعابل⁽²⁾ الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله⁽³⁾ نازل بالمرء والمـــــــرء إليه آئل
إن لم أقاتلكم فأمي هابل⁽⁴⁾

وكان قد قتل يوم أحد بعض أبناء طلحة بن أبي طلحة العبدري⁽⁵⁾، وكانت أمهم سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية الأوسية اخت بني عمرو بن عوف، في النسوة اللواتي حضرن أحداً وعانيت موت بنيتها وأبيهم يومئذ، فنذرت إن قدرت على رأس عاصم بن ثابت لتشرين فيه الخمر؛ وجعلت لمن يأتيها به مائة ناقة، فلما قتل يوم الرجيع أرادت هذيل أن يحتزوا رأسه لبيعوه من سلافة، فأرسل الله عليهم مثل الظلة من الدبر (وهو ذكور النحل) فحمته منهم، وحالت بينهم وبينه، فلم

(1) الجلد (يفتح فسكون): الشديد القوي. والبازل: الرجل الكامل في تجربته. والقوس: آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام، جمعها: قسي وأقواس. والوتر (محرّكة): شرعة القوس ومعلقها، جمعها: أوتار؛ ووتر القوس: شد وترها. والعنابل (بوزن علابط): الشديد الغليظ.

(2) تزل: أي تزلق. وصفحتها: عرضها وجانبها. المعابل: السهام، واحدها معبله وهي نصل عريض طويل.

(3) حم الإله: قدره وهياً أسبابه.

(4) هابل: فاقد ثكلى.

(5) منهم: الجلاس ومسافع ابنا طلحة بن أبي طلحة، قتلها عاصم.

يقدرُوا منه على شيء، فلما أعجزهم قالوا دعوهُ حتى يَمسي فإن الدبر سيذهب إذا جاء الليل؛ فما جاء الليل حتى بعث الله عز وجل مطراً جاء بسيل فحمله، فلم يجدوا له بعدُ خيراً؛ فمن ذلك لقب بـ"حَمِيّ الدَّبْرِ". وكان رضي الله عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والإسلام وأعطى الله عهداً أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك (فلما بلغ عمرَ بن الخطاب أن الدبر منعه قال: يحفظ الله عبده المؤمن). كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

وعاصم هذا هو جد - أو خال - عاصم بن عمر بن الخطاب، ولذا سمي باسمه، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاث أو أربع، وأخوه عامر بن ثابت بن أبي الأقلح هو الذي ضرب عنق عقبة بن أبي معيط. ومن ذرية عاصم بن ثابت: الأحوص، واسمه عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الشاعر المشهور، مهاجبي الفضل بن عتبة بن أبي لهب المتقدم ذكره عند قول الناظم: وسبط عتبة مهاجبي الأحوص.. إلخ.

وكان الأحوص هذا شاعراً مفلحاً مجيداً، ولشعره رونق ودياجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ، ولكنه كان هجاءً كثير التشبب⁽¹⁾ بالنساء ذوات الأخطار⁽²⁾ من أهل المدينة؛ وتغنى بشعره فيهنَّ معبد⁽³⁾ ومالك⁽⁴⁾ المغنيان، فشاع ذلك في الناس، فنهي ولم ينته؛ فرفع أمره إلى سليمان بن عبد الملك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه

(1) التشبب: شعر يتضمن لهواً وغزلاً مخلاً بالحياء أو معاقرة حمرٍ أو خلاعة.

(2) الخطر (جمعه أخطار): الشرف وارتفاع القدر.

(3) معبد: مغن مشهور عاش في الدولة الأموية، نشأ بالمدينة المنورة ثم رحل إلى الشام وتوفي سنة 52 هـ.

(4) هو مالك بن أبي السمع الطائي، مغن مشهور عاش في آخر الدولة الأموية وأول العباسية؛ أخذ

الغناء عن معبد وجيلة، توفي بالمدينة المنورة سنة 63 هـ.

مائة سوط ويغربه ففعل؛ وسيره إلى جزيرة بين اليمن والحبشة، فمكث بها مدة خلافة سليمان وعمر بن عبد العزيز. وكان قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة يمدحه ويستعطفه في أن يرده، فامتنع من ذلك. ومما كتب به إليه:

أيا راكبا إما عرضت فيبلغن هديت أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفص إذا ما لقيته لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل
فكيف ترى للعيش طيبا ولذة وخالك أمسى موثقا في الجبال

وتوجه إليه الناس في أن يرده فقال لهم: أليس هو القائل كذا وكذا؟!.. قالوا: نعم، فقال: والله لا أردّه ما دام لي سلطان. فبقي هنالك إلى أن ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك فردّه وأعظم العطية له وأكرمه فمدحه الأحوص بأمداح كثيرة حسنة.

ومن بني ضبيعة بن زيد - أيضا - أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد، استشهد بأحد. ومنهم - أيضا - بنو العطاف بن ضبيعة الذين منهم جمع بن جارية بن زيد بن العطاف، قيل إنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلا سورة أو سورتين، وجعله عمر إمام مسجد قباء بعد سعد بن عبيد، ومات رضي الله عنه في آخر زمن معاوية، وكان أبوه جارية بن زيد على رأس الذين اتخذوا مسجد الضرار.

وأما خبيب البليغ فهو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الجحجبي، وقد مر بعض التعريف به وقصة قتله وصلبه، وما أشار إليه الناظم من ابتلاع الأرض له عند قول الناظم:

للحارث بن عامر بن نوفل عقبة قاتل خبيب العلي

أحيحة بن الجلاح

وأما أحيحة فهو أبو عمرو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي الجحجبي، كان شاعرا جاهليا من دهاة العرب وشجعانهم، وكان من سادات أهل يثرب وإليه ترجع سيادة الأوس منهم في الجاهلية، وكان كثير المال كثير الحصون والبساتين والمزارع بالمدينة وكان مرايبا وكان من الأجواد؛ روي أنه ضمن لكل وافد عليه من العرب إذا عقر ناقته على باب أطمه خلفها وقضاء حاجته، وكان ذلك دأبه. وفيه يقول الشاعر:

إذا ما رأيت العز في آل يثرب فناد بصوت: يا أحيحة تمنع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره بيت قرير العين غير مروع
ومن يأتيه من خائف ينس خوفه ومن يأتيه من جائع ثم يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة وأكرم بفخر من خصالك الأربع

وكانت تحتها سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدش بن عامر بن غنم بن عددي بن النجار النجارية؛ فاتفق أن وقعت إحدى الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج - وهي "حرب كعب" التي مر بعض الكلام عليها عند قوله: ونزلوا على يهود يثرب.. إلخ - فأراد أحيحة أن يبيت قومها بني النجار، ففطنت لذلك وخدعته حتى نام، فتدلّت من حائط زوجها ليلا وذهبت إلى أهلها بني النجار فأنذرتهم أحيحة وقومهم (فسميت لذلك بـ"المتدلّية")؛ فلما أنذرتهم تأهبوا له، فلما أتاهم وجدهم في حالة استعداد له؛ فرجع ولم يقع كبير شيء. وكان أحيحة قد افتقدها، فلما رأى استعدادهم قال: هذا من فعل سلمى خدعتني حتى بلغت قومها ما أردتُ بهم، فضربها حتى كسر ذراعها وطلقها وأرسلها لأهلها، فما ضلّ سعيها ولا فال رأيها؛ تزوجها بعد ذلك لباب صفوة العرب: هاشم بن عبد مناف، فولدت له شيبه الحمد (عبد المطلب) بن هاشم جد النبي ﷺ، فكانت من جدّاته

صلى الله عليه وسلم. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: لأهلها تدلت اذ بيتهم... إلخ. وتوفي أحيحة في الجاهلية.

ومن ولده محمد بن عقبة بن أحيحة جاهلي أيضاً، كان فارساً شريفاً. وهو الذي نافر الزبرقان بن بدر إلى النابغة الذبياني بعكاظ؛ فلما تنافرا عليه قال محمد: أنا ابن أحيحة بن الجلاح، فقال الزبرقان: أنا ابن بدر بن عامر؛ فقال النابغة: أما عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ورحل وسهل وجبل؛ وأما الجلاح فصاحب حكم وشأن وفصاحة ولسان وكفاحة وطعان وخيل ورهان وخمر وقيان.. فالجلاح أفضل من عامر؛ وأما بدر فصاحب صيد وسيف ورحلة في شتاء وصيف، وأما أحيحة فرأس معبود وخلق محسود قاتل الجنود وعلم الجود وواهب ذات الحواشي لقيس بن زهير، ثمها ثمانمائة ناقة، وضمن لكل من أتاه إذا عقر ناقته على باب داره خلفها واحتفظ على عياله.. فأحيحة أفضل من بدر؛ وأما الزبرقان فصاحب نساء وغزل وفتك وشجاعة وجهل؛ وأما محمد فصاحب بذل ونائل ومرتع للسائل وغيث للأرامل، أعان أخاه⁽¹⁾ عبد المطلب على حفر زمزم ونحر يوم كشف زمزم مائة بدنة وأطعمها أهل مكة.. فمحمد أفضل من الزبرقان؛ فنفر النابغة محمداً.

ومن ذرية أحيحة - أيضاً - محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال بن أحيحة، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وابنه بكر بن عبد الرحمن كلهم ولي قضاء الكوفة.

الجلال بن سويد وعمير بن سعد

وأما الجلال فهو ابن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب

(1) قوله: أخاه عبد المطلب، بل هو عمه لأنه أخو أبيه عقبة بن أحيحة لأمه، أمهما سلمى بنت عمرو.

بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، أسلم وصحب وحضر مع النبي ﷺ بعض المغازي، ولكن كانت له نزعة، فقد عد من المنافقين ومن تخلف عن غزوة تبوك، وكان يثبط الناس عن الخروج؛ وكانت تحته أم عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان أخي بني عمرو بن عوف.

وكان عمير بن سعد هذا يتيما في حجره، وكان الجلاس له بمنزلة الأب يكفله وينفق عليه ويحسن إليه، فلما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك مكث مدة ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين، فعند ذلك قال الجلاس مقالة المشهورة وهي: والله إن كان ما يقوله محمد في إخواننا الذين تخلفوا بالمدينة حقا مع أنهم أشرافنا لنحن شر من الحمرا!. فسمعه ربييه عمير بن سعد المذكور فقال له: يا جلاس والله لقد كنت أحب الناس إلي وأحسنهم عندي يدا وأعزهم علي أن يدخل عليه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لأفضحك ولئن كتمتها لأهلكن وإحداهما أهون من الأخرى. قال الجلاس: اكنتمها علي يا بني، فقال: لا والله؛ ثم سار إلى رسول الله ﷺ وذكر له مقالة الجلاس، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجلاس فسأله عما قال عمير، فأنكر ذلك وحلف بالله ما تكلم به قط وإن عميرا لكاذب — وكان عمير حاضرا — فقام وقال: اللهم أنزل على رسولك بيان ما تكلمت به، فأنزل الله على رسوله ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾⁽¹⁾ — الآية، فاعترف الجلاس بذنبه، وقال: والله لقد قتلته وصدق عمير فتاب وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير، فكان ذلك مما عرفت به توبته، ولم يسمع عمير من الجلاس شيئا يكرهه بعدها؛ وحمد أمر الجلاس

(1) التوبة: 75.

إلى أن مات. ولم يزل عمير بن سعد منها بعد ذلك في علياء، فسماه عمر بـ"نَسِيحُ وَحْدِهِ" لإعجابه به، واشتهر بهذا اللقب؛ وكان عمر يقول فيه: وددت أن لي رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. وشهد رضي الله عنه فتوح الشام وكان من الزهاد، واستعمله عمر على حمص. واختلف في تاريخ وفاته، ف قيل مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في عهد معاوية.

الحارث بن سويد وقتله في أول قصاص

وأما الحارث بن سويد بن الصامت فقيل كان منافقا، ولكنه تبرأ من النفاق عند قتله؛ وكان من أمره أنه شهد أحدًا مع المسلمين فلما كانوا في أثناء القتال رأى غرة من المجذر بن زياد البلوي فاغتاله غدرا، ولم يعلم بذلك أحد، فنزل جبريل بذلك على النبي ﷺ، وأمره أن يقتل الحارث به، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه فاجتمع إليه بنو عمرو بن عوف، فأتى الحارث في جملتهم وعليه حلة له مورسة⁽¹⁾ فأمر صلى الله عليه وسلم بعض الأنصار (وفي رواية أنه أمر عويم بن ساعدة بضرب عنقه)، فقال الحارث: وفيم يا رسول الله؟ فقال: «لقتلك المجذر بن زياد يوم أحد غيلة»⁽²⁾، فما زاد على أن قام ومد عنقه واعترف بذلك وقال: يا رسول الله والله ما قتلت المجذر شاكا في ديني ولا نفاقا ولكني لما رأيت قاتل أبي لم أتمالك أن قتلته - وكان المجذر هذا قد قتل سويد بن الصامت قبيل حرب بعاث - فقتل صلى الله عليه وسلم الحارث هذا قودا،

(1) الحلة (بالضم): الثوب الجيد الجديد غليظا كان أم رقيقا، والمورسة: المصبوغة بالورس، وهو صبغ أصفر أو أحمر.

(2) أخرجه ابن الأثير [كما في الإصابة] والغيلة: الاغتيال.

وانصرف ولم يجلس؛ فكان الحارث هذا أول من أقيد⁽¹⁾ في الإسلام — [كما في الاستبصار].

ويروى — أيضا — أن الحارث بن سويد هذا رجع عن الإسلام في عشرة نفر، فهربوا ولحقوا بمكة، ثم ندم الحارث ورجع حتى إذا كان قريبا من المدينة أرسل إلى أخيه الجلاس بن سويد إني قد ندمت على ما صنعت فسل لي رسول الله ﷺ هل لي من توبة إن رجعت؟ فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ فأخبر الجلاس النبي ﷺ بخبر الحارث وندامته وشهادته، فأنزل الله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾. فلما علم الحارث أقبل على رسول الله ﷺ واعتذر له وتاب إلى الله، فقبل منه صلى الله عليه وسلم.

وفي قصة قتل الحارث للمجذر يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا حار في سنة⁽³⁾ من نوم أولكم أم كنت ويحك مغترا بجبريل
أم كنت بابتغى حين تقتله بغرة في فضاء الأرض مجهول

وكان سويد بن الصامت (والد الجلاس والحارث هذين) من سادات قومه، وكانوا يدعونهم بالكامل لشرفه ونسبه⁽⁴⁾ وكان قدم مكة مرة فلقى رسول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام فأعجبه وقارب الإسلام ولم يسلم، فرجع إلى المدينة فوَقعت بعثت فقتله المجذر فيها. وسويد هذا ابن خالة عبد المطلب، أمه ليلى بنت عمرو النجارية أنخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم، وكان شاعرا؛ ومن شعره:

(1) أقيد (بالبناء للمفعول): قتل قصاصا بمن قتله، والقود: القصاص وقتل القاتل بدل القاتل.

(2) آل عمران: 89.

(3) حار: ترخيم الحارث. والسنة (بالكسر): النعسة.

(4) كانوا يسمون الرجل بالكامل إذا كان فارسا شاعرا شريفا كاتبا راميا سابحا جلدا جوادا.

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفري⁽¹⁾
مقالته كالشهد ما دام شاهدا وبالغيب مأثور على ثغرة النحر⁽²⁾
يسرك باديه وتحت أديمه نائمة غش تبزي عقب الظهر⁽³⁾
تُبين لك العينان ما هو كاتم من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا ييري⁽⁴⁾

والمجذر هو ابن ذياب بن عمرو بن أكرم البلوي الخزرجي حليف بني عوف بن الخزرج، كان شاعرا فارسا، أسلم مع بني الخزرج وصحب، وشهد بدرًا وأحدا واستشهد به على يد الحارث بن سويد - كما مرَّ.

ومن بطون بني عمرو بن عوف بن مالك - ممن لم يذكر الناظم - بنو لوزان، وبنو وائل ابني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. فمن بني لوزان بن عمرو بنو مالك بن لوزان الذين كانوا يعرفون في الجاهلية ببني الصماء نسبة إلى أمهم، وهي امرأة من مزينة، وقيل هي امرأة كانت قد أرضعت أباهم فنسبوا إليها، فسماهم رسول الله ﷺ بني السَّمِيعَةَ، منهم صيفي بن ساعدة بن عبد الأشهل بن مالك بن لوزان بن عمرو بن عوف، خرج مع النبي ﷺ في بعض المغازي فتوفي بالكديد، فكفنه صلى الله عليه وسلم بقميصه ودفنه هناك. ومنهم عبد الرحمن بن شبل بن عمرو بن زيد بن نجدة بن مالك بن لوزان الأنصاري الأوسي، له صحبة ورواية.

(1) يفري: يأتي بالكذب ويختلقه.

(2) المأثور: من الأثر وهو فرند السيف، أي كأنه سيف على ثغرة النحر، ومعناه: أنه يقول في غيابك ما لا يقول في حضورك.

(3) باديه: ظاهره. وأديمه: جلده (يعني داخله). وتبزي: تقطع.

(4) فرشني: أي أعني وقوني. وبراه: نخته وأضعفه. ويريش: يعين وينفع. ولا ييري: لا يضر، يقال: "فلان لا يريش ولا ييري" أي لا يضر ولا ينفع.

ومن بطون بني عمرو بن عوف أيضا بنو حنش بن عوف بن عمرو، وقد دخلوا في بني ضبيعة بن زيد. ومن بني حنش (بن عوف بن عمرو) هؤلاء سهل وعثمان ابنا حنيف بن واهب بن العُكَيْم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن حنش بن عوف، لهما صحبة. شهد سهل منهما بدرًا وما بعدها، وكان ممن ثبت يوم أحد، وبايع فيه على الموت، وشهد صفين مع علي وولاه فارس، ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين. وأما عثمان بن حنيف فولاه عليُّ على البصرة، وكان واليها في وقعة الجمل. ومنهم أسعد بن سهل بن حنيف، محدث.

ومن بطون بني عمرو بن عوف أيضا: بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، منهم حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك (بن عوف بن عمرو بن عوف) فيه كانت حرب حاطب بين الأوس والخزرج. ومنهم جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية، شهد بدرًا وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني معاوية يوم الفتح. روي عن عبد الله بن عبد الله بن جبر بن عتيك عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عادته في مرضه، فقال قائل من أهله: إن كنا لنرجو أن تكون وفاته شهادة في سبيل الله (1) فقال رسول الله ﷺ: «إن شهداء أمي - إذن - لقليل، القليل في سبيل الله شهيد والمبطون شهيد والمطعون شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة والحرق شهيد والغرق شهيد والمجنوب شهيد» (2).

ومنهم سعد بن النعمان بن زيد بن أكمال بن لوزان بن الحارث بن أمية بن

(1) يعني أنهم لا يريدون موتاً على الفراش، بل قتلاً في سبيل الله.
(2) أخرجه أحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه - كما في الجامع الصغير - والمبطون: الذي يموت من داء البطن. والمطعون: الذي يموت بالطاعون. وجمع (بضم الجيم وسكون الميم): أن تموت المرأة وفي بطنها ولد. والمجنوب: من مات بذات الجنب.

معاوية، خرج معتمرا بعد وقعة بدر فأسره أبو سفيان بن حرب بن أمية، وكان ابنه عمرو بن أبي سفيان أسر يوم بدر؛ فأرسل أبو سفيان إلى قوم سعد هذا:

أَرْهَطْ ابْنَ أَكَّالِ أَجِيبُوا دَعَاءَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تَسْلَمُوا السَّيِّدَ الْكُهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَنَامَ أَذْلَةٌ لَنْ لَمْ يَفْكَوْا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكِبْلَا

فمشى بنو معاوية إلى رسول الله ﷺ فأخبروه الخبر، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، فوهبه لهم فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد.

فائدة: جبرئيل (ويقال جبريل، وفيه لغاتٌ أخر⁽¹⁾): اسم سرياني، ومعناه عبد

الرحمن أو عبد العزيز، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصح؛ وأكثر الناس على أن آخر الإسم منه هو اسم الله وهو "إيل"، وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن الإضافة في هذه الأسماء مقلوبة - وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون "إيل" عبارة عن العبد، ويكون أول الإسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، فيكون جبريل، وميكائيل⁽²⁾ مثل عبد الله وعبد الرحمن، فقد تكرر لفظ العبد فيهما بلفظ واحد، واختلفت ألفاظ الأسماء. وروي عن أشهب قال سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده، فكره ذلك ولم يعجبه. [قاله في الروض الأنف].

ولما أنهى الناظم الكلام على الأوس، شرع في الكلام على إخوتهم الخزرج، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) قرأ نافع وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وحفص عن عاصم "جبريل" (بكسر الجيم وبلا همز)، وعبد الله بن كثير المكي "جَبْريل" (بفتح الجيم بلا همز)، وحمزة والكسائي "جبرئيل" (بفتح الجيم والراء وهمز ممدود بالكسر)، وشعبة عن عاصم "جبرئيل" (بفتح الجيم والراء وقصر الهمزة).
(2) قرأ نافع "ميكائيل" (بقصر الهمز)، والبصري وحفص عن عاصم "ميكال" (بجذف الهمز)، والباقون "ميكائيل" (بمد الهمز).

الكلام على بني الخزرج بن حارثة*

لِلخَزْرَجِ الحَارِثُ عَوْفُ جُشْمٍ كَعْبُ وَعَمْرُو العَزِيزِ مِنْهُمْ
 مِنْ عَمْرُو⁽¹⁾ النَّاجِرُ بِالقَدُومِ أَبُو عَدِيٍّ كَعْبَةُ القُرُومِ
 وَمَالِكٍ وَمَازِنٍ

قوله الحارث: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والخزرج (بوزن جعفر): هو ابن حارثة بن العنقاء بن مزريقا، أخو الأوس الذي مر الكلام على بنيه؛ والخزرج هو أبو الحي الثاني من قبيلة الأنصار وبه كان يعرف حيا الأنصار من الأوس والخزرج قبل. وقوله عوف، جشم، كعب (بالرفع كلهم): معطوفون على الحارث بحذف العاطف. وقوله عمرو: مبتدأ والعزيز صفته. وقوله منهم: خبر عمرو، والضمير فيه عائد على الحارث والمعطوفين عليه. والعزيز: الشريف القوي.

يعني أن أبناء الخزرج بن حارثة خمسة وهم: الحارث وعوف وجشم وكعب وعمرو، وكلهم أبو بطن؛ ومنهم تفرعت بطون الخزرج وانتشرت.

قوله الناجر مبتدأ خبره المجرور قبله، والناجر: الناحت للخشب ونحوه، المزيل للنجارة (بضم النون) وهي ما يسقط من الخشب عند ما ينجر، والنجار (ككتان):

* تكلم الناظم على بني الخزرج بن حارثة في مائة وسبعة أبيات، وذكر بطونهم الكبرى وهي خمسة: بنو عمرو بن الخزرج وبنو جشم بن الخزرج وبنو عوف بن الخزرج وبنو الحارث بن الخزرج وبنو كعب بن الخزرج، ثم ذكر سبعة عشر بطنا متشعبة من هذه البطون، وذكر اثنين وستين رجلا من أعيانهم، وسيأتي تفصيل ذلك عند كل بطن.

(1) تناول الناظم الكلام على بني عمرو بن الخزرج في نحو خمسين بيتا، وذكر منهم بطنين هما بنو غنم، وبنو مبدول، ثم ذكر من أعيانهم خمسة وعشرين رجلا وثلاث نسوة.

الذي حرفته نجر الخشب، والمراد بالناجر هنا النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ولقب بالنجار لأنه ضرب وجه رجل اسمه العتر بقدم فنجره، وقيل لأنه اختن بها وقيل كان نجارا. واسم النجار - في الأصل - تيم اللات فسماه النبي ﷺ: تيم الله⁽¹⁾. وقوله بالقدم: متعلق بالناجر، والقدم (كصبور): آلة النحت والنجر. وقوله أبو عدي: صفة للناجر. وكعبة (بالجر): صفة لعدي، والكعبة في الأصل البيت المرتفع ولذا سمي البيت الحرام كعبة لارتفاعه، والكعب: الشرف والمجد، يقال أعلى الله كعبهم أي رفع شأنهم. والقروم: جمع قرم للسيد. وقوله ومالك ومازن (بالجر): معطوفان على عدي.

يعني أن من ولد عمرو بن الخزرج النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج والد عدي ومالك ومازن بني النجار بن ثعلبة بن عمرو، وكلهم أبو بطن؛ ومنهم تفرعت قبائل بني النجار؛ وهي بنو عدي بن النجار وبنو مالك بن النجار وبنو مازن بن النجار؛ وبقي عليه منهم بطن رابع وهو بنو دينار بن النجار.

هذا وقد وصف الناظم رحمه الله عمرو بن الخزرج بالعز الذي هو الشرف - دون إخوته - لأن منه بني النجار أحوال النبي ﷺ، فكان له الفضل والشرف بذلك على سائر إخوته، وأخره عنهم في الذكر في البيت ليبدأ بالكلام عليه، كما وصف ابنه عديا بن النجار بكونه كعبة إخوته وعشيرته لأن بيته أرفع من بيوتهم وأشرف، ثم وصف بني النجار عموما بالسيادة على بني عمومتهم ووصف منهم بني عدي خاصة بالعلو والرفعة على إخوتهم، وكل ذلك لخؤولتهم للنبي ﷺ.

ثم أخذ يتكلم على بني النجار، وبدأ ببني عدي منهم، فقال رحمه الله:

(1) بسبب انتساب الأنصار إليه فكره أن يكون في أنسابهم ذكر اللات، وتيم اللات: عبدها، وتيم الله: عبده، والتيم: المعبد المذل.

بنو عدي بن النجار*

... فَمِنْ عَدِي ... أَنَسُ عَمُّ أَنَسٍ ذِي الْعَدَدِ
 وَصِنُوهُ الْبِرَاءُ وَهُوَ الْقَاتِلُ لَدَى الْبِرَازِ مِائَةً ، أَلْدَاخِلُ
 عَلَى أَبِي ثَمَامَةَ وَشَبْرَقُوهُ وَخَيَّمَتِ شَهْرًا تَدَاوِيهِ الْوُجُوهُ
 يَعْتَادُهُ الْأَفْكَلُ عِنْدَ الْمُصْطَدَمِ يُضْبَطُ مِنْهُ وَيَبُولُ مِنْهُ دَمٌ
 ثُمَّ يَكُونُ أَشْجَعَ النَّاسِ فَمَا لَهُ يَقُومُ عَسْكَرٌ إِذَا انْتَمَى
 آلَى عَلَى اللَّهِ فَبَرَّهُ الْإِلَهَ بِالْفَتْحِ وَالْمَوْتِ الَّذِي مِنْهُ ابْتِغَاةُ

قوله أنس: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وعم أنس (بالرفع): صفة لأنس.
 وقوله ذي العدد (بالجر): صفة لأنس الأخير، أي صاحب العدد؛ والمراد بالعدد هنا
 الكثرة في الولد والمال والعمر. وقوله وصنوه (بالجر): عطف على أنس الأخير،
 والصنو: الأخ الشقيق. والبراء (بالجر): بدل من صنوه، وجملة وهو القاتل .. إلخ:
 صفة للبراء. والبراز (بالكسر): المبارزة. ومائة (بالنصب): مفعول به للقاتل.
 والداخل: عطف على القاتل بحذف العاطف. وأبو ثمامة هو مسيلمة الكذاب.
 وشبرقوه: أي مزقوه، وفاعله ضمير عائد على قوم أبي ثمامة؛ واستغني عن ذكرهم
 بذكر بعضهم وهو أبو ثمامة، قال ابن بونه في الجامع بين التسهيل والخلاصة:

* أولاد النجار أربعة: عدي ومالك ومازن ودينار، وكلهم أبو بطن. وبدأ الناظم بعدي ومنه تفرعت
 عدة بطون أخرى، فمن تلك البطون بنو عامر بن غنم بن عدي وتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو
 حرام بن جندب بن عامر بن غنم وبنو مالك بن عدي بن عامر بن غنم، وقد تناول الناظم الكلام
 عليهم في ثلاثة عشر بيتا، وذكر من أعيانهم سبعة رجال: أربعة من صميمهم واثنين منهم بالخلف
 وأدرج فيهم واحدا، والمشهور أنه ليس منهم. والله أعلم.

واستغن عن مفسر الضمير بالكل والجزء وبالنظير

والضمير المنصوب في شبرقوه عائد على البراء. وخيمت: أقامت بالمكان أو بنت خياما وأقامت بها. والضمير في تداويه عائد على البراء. والوجوه فاعله، وهم العظماء، والمراد بهم هنا خالد بن الوليد وجيشه. ويعتاده: يتتابه. والأفكل: الرعدة. والمصطدم (بصيغة اسم المفعول): مكان اصطدام الأبطال، والمراد به محل القتال. ويضبط (بالبناء للمفعول): أي يمسك. والضمير في منه عائد على الأفكل؛ ووقف على دم بوقف ربيعة الذين يقفون على المنون المنصوب بالسكون⁽¹⁾، والضمير المستتر في يكون عائد على البراء. وانتمى: انتسب أي إذا قال: أنا البراء بن مالك انهزم عدوه. وقوله آلى: أي حلف. وقوله بالفتح: أي غلبتهم للعدو وانهزاه أمامهم. والموت (بالجر): عطف على الفتح، والمراد به الشهادة في سبيل الله. وابتغاه: طلبه.

يقول ومن بني عدي بن النجار أنس بن النضر بن ضمضم وابنا أخيه أنس خادم رسول الله ﷺ والبراء أحد أبطال الإسلام الذين أبلوا فيه بلاء حسنا.

هذا وقد بدأ الناظم في الكلام على الخزرج ببني النجار لأنهم أخواله صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ ببني عدي من بني النجار لأنهم أقرب بني النجار إليه صلى الله عليه وسلم، واقتصر على بني عامر بن غنم بن عدي من بني عدي بن النجار لأنهم فصيلة أم جده عبد المطلب بن هاشم وهي سلمى بنت عمرو (المتدلية)، وقد مر بعض خبرها في الكلام على زوجها أحيحة بن الجلاح الأوسي. ومن فروع هذا

(1) قال شاعرهم:

ألا حبذا غنم وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائما دنف

البطن بنو حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي، وبنو مالك بن عدي بن عامر بن غنم، فمن بني حرام أنس بن النضر وابنا أخيه: أنس خادم رسول الله ﷺ والبراء ابنا مالك بن النضر الذين ذكرهم الناظم.

أما أنس عم أنس فهو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. كان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة وأجلاتهم. شهد أحدًا وأبلى فيه بلاء حسنا واستشهد به. روي عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن يوم بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني أصحابه — وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء — يعني المشركين — وكان رضي الله عنه قد مر بعمر وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه نبيكم، ثم استقبل العدو وتقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد واهما لريح الجنة.. ورب النضر إني لأجد ريحها دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله أن أصنع ما صنع. فقاتل حتى قتل؛ قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ووجدناه قد مثل به فما عرفه إلا أخته الربيع⁽¹⁾ عرفته ببنائه، فنزل فيه قوله تعالى ﴿مَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

(1) هي بضم الراء وفتح الموحدة وكسر وتشديد الياء التحتية.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١﴾.

وروي أن أخته الربيع بنت النضر هذه كانت قد كسرت سنَّ جارية، فأتى أهل الجارية رسول الله ﷺ فأمر بالقصاص فعرض بنو النضر عليهم الأرش⁽²⁾ فامتنعوا فسألوهم العفو فأبوا، فقام أنس بن النضر وقال: أتكسر سن الربيع يا رسول الله؟! والذي بعثك بالحق لا تكسر نثيتها⁽³⁾. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فغفا القوم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»⁽⁴⁾.

وأما أنس ذو العدد فالمراد به أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله ﷺ سميَّ عمه أنس بن النضر المتقدم، أمه رضي الله عنه أم سليم بنت ملحان الأنصارية الصحابية، أتت به وهو ابن عشر سنين إلى النبي ﷺ قدومه المدينة وقالت: يا رسول الله هذا أنس غلام يخدمك، فقبله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأنصار تتقرب إلى رسول الله ﷺ بالهدايا رجالا ونساء ولم تجد أم سليم ما تهديه إليه، فأهدت إليه ابنها أنساً بن مالك؛ وخرج به رسول الله ﷺ إلى بدر يخدمه، ولم يذكر في البدرين لأنه لم يكن في سن من يقاتل؛ ولم يزل معه حتى توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة. وروي أن أم سليم هذه قالت يوماً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ادع الله لخادمك أنس، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه»⁽⁵⁾ فكان رضي الله عنه من أكثر الأنصار مالا وولداً، فكان له

(1) الأحراب: الآية: 23.

(2) الأرش: دية الجراحات.

(3) النثية: واحدة الثنايا، وهي أسنان مقدم الفم في الفكين (ثتان من فوق وثنان من أسفل).

(4) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(5) وفي رواية: «وبارك له فيما أعطيته» رواه مسلم.

بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، وكان له من الولد ثمانون؛ منهم ثمانية وسبعون ذكرا وابتنان هما حفصة وأم عمرو، وقيل لم يمت حتى مشى أمامه من ذكور ولده وولد ولده خاصة مائة رجل يرجعون بنسبهم إليه. وروي أنه قال: دعا لي رسول الله ﷺ وقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»⁽¹⁾، قال: وقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة.

وكان أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ - كما مر - وشهد الفتوح وأقام بالمدينة بعده صلى الله عليه وسلم مدة ثم انتقل منها إلى البصرة وقطن بها إلى أن توفي في قصره بالطف على فرسخين من البصرة، ودفن هناك سنة إحدى وتسعين - وقيل اثنتين وتسعين - عن مائة إلا سنة، وقيل مائة وثلاث سنين، وقيل في سنة وتاريخ وفاته غير ذلك. وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة، وقيل بل كان من آخرهم موتا مطلقا. وكان من ولده وعقبهم محدثون كثيرون وقضاة. روي عنه أنه قال: خدمت النبي ﷺ تسع سنين فما قال لي لشيء قط صنعته أسأت أو بيس ما صنعت. وكان رضي الله عنه أحد الرماة المصيين، وكان يأمر ولده أن يرموا بين يديه وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة إصابته، وكان يشد أسنانه بالذهب ويلبس الخنز ويتعمم به، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

البراء بن مالك وبعض صفاته

وأما أخوه البراء بن مالك بن النضر الخزرجي النجاري فقيل كان شقيقه أسن منه (وقيل بل أخوه لأبيه)، وأما أمه فهي سحماء أم شريك، فهو أخو أنس بن مالك لأبيه وأخو شريك بن سحماء لأمه. وكان البراء من فضلاء الصحابة، شهد

(1) ذكره في الإصابة، وروى مسلم نحوه.

أحدا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الصوت يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ويجدو به. وكان له بلاء حسن وأخبار عجيبة في كل من يوم اليمامة (في خلافة أبي بكر الصديق) ويوم تستر (في خلافة عمر الفاروق)، رضي الله عنهم. واستشهد يوم حصن تستر. وقد أشار الناظم إلى ذلك مع ضميمته ذكر بعض صفاته رضي الله عنه.

وحاصل ما أشار إليه من خير البراء بن مالك هذا أنه كان من الأبطال الأشداء؛ روي أنه كان إذا لقي العدو تأخذه رعدة شديدة حتى يضبطه الرجال مليا ثم يفيق فيبول بولا أحمر كأنه نقاعة الحناء⁽¹⁾، فإذا انتشى من ذلك لا يقوم شيء أمامه مهما بلغ من الشجاعة ويصير مثل الأسد. روي أنه لما كان يوم اليمامة التقى الجيشان، جيش خالد بن الوليد وجيش مسيلمة، فكانت الجولة الأولى لجيش مسيلمة؛ فعند ذلك أعاد خالد تنظيم جيشه، وحرصهم على الجهاد، ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروس⁽²⁾ لم تعرف حروب المسلمين لها نظيرا من قبل، وثبت قوم مسيلمة في ساحة الوغى⁽³⁾ ثبات الجبال الراسيات ولم يلتفتوا لكثرة ما أصابهم من القتل، ولكن المسلمين أبدوا من خوارق البطولات أروع وأعظم مما أبداه العدو؛ وأبلى فيها كثير من أبطال المسلمين بلاء حسنا، مثل ثابت بن قيس الأنصاري وزيد بن الخطاب، أخي عمر وسالم مولى أبي حذيفة، ولكن البراء بن مالك كان فوق ذلك كله. فقد روي أنه لما حمى الوطيس واشتد الأمر التفت إلى قومه وقال: يا معشر

(1) الرعدة: الاضطراب يكون من الفزع وغيره. وضبطه أمسكه وقهره. ومليا: أي وقتا. والنقاعة (بالضم): اسم ما نفع فيه الشيء من ماء ونحوه. والحناء (بالكسر) نبات يتخذونه للخصاب الأحمر.

(2) ضروس: أي شديدة مهلكة.

(3) الوغى: الحرب.

الأنصار لا يفكرون أحد منكم بالرجوع إلى المدينة فلا مدينة لكم بعد اليوم وإنما هو الله وحده ثم الجنة، وحمل على المرتدّين وحملوا معه وانبرى يشق الصفوف ويعمل السيف في رقاب أعداء الله حتى تزلزلت أقدام مسيلمة وأصحابه؛ فلجأوا إلى حديقة مسيلمة التي باليمامة فدخلوا فيها وتحصنوا بها وجعلوا يمحطون المسلمون بنبالهم من داخلها فتساقط عليهم كتساقط المطر، واستحر القتل في المسلمين

فعند ذلك أخذ البراء ما كان يأخذه فانتفض فضبطه أصحابه وجعل يقول: مدوني إلى الأرض، فلما أفاق سري عنه⁽¹⁾ وهو مثل الأسد فقال: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فأشغلهم عنكم حتى تدخلوا فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحم منه ونزل عليهم نزول الصاعقة؛ فقاتلهم على الحديقة حتى فتح الباب فتدفق عليهم المسلمون داخل الحديقة وأعملوا السيوف في رقاب العدو حتى قتلوا منهم حوالي عشرين ألفا عند ذلك وصلوا إلى مسيلمة فأردوه قتيلا وفتح الله على المسلمين، وأصيب البراء ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم. فحمل إلى رحله وأقام عليه خالد شهرا يداويه حتى برئ. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وشبرقوه.. إلخ.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكتب إلى جيوشه لا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «كم من ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»، وفي رواية: «رب أشعث

(1) سري (بالبناء للمفعول): أي زال عنه ما كان يجد من الرعدة والهجم.

أغبر لا يؤبه له لو أقسم..»⁽¹⁾. ولما كان يوم تستر⁽²⁾ لقي المسلمون من زحوف المشركين جهدا عظيما، فقال المسلمون: يا براء إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم، فحمل وحمل الناس معه وقتلوا بعض عظماء الفرس وسلبوهم فانهزم الفرس ومنح الله المسلمين أكتافهم واستشهد البراء بعد أن انتصر المسلمون، قتله الهرمزان وقتل معه مجزأة بن ثور السدوسي بعد أن قتل كل منهما يومئذ مائة رجل من المشركين مبارزة سوى من شارك في قتله، وقيل كانت تلك المائة التي قتلها البراء مبارزة قبل يوم "تستر" الذي استشهد به رضي الله عنه.

ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم أيضا أم سليم وأم حرام بنتا ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الآتي ذكرهما. ومنهم أيضا أبو زيد قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب، غلبت عليه الكنية؛ قيل إنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ - وسيأتي ذكرهم - شهد أبو زيد هذا بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم جسر أبي عبيد عن غير عقب.

(1) أخرجه الترمذي في المناقب، وروى مسلم نحوه. والضعيف: ذو الضعف (ضد القوة)، والمستضعف: الذي يعد ضعيفا. وذو طمرين: تتنية طمر (بالكسر): وهو الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف جمعه: أطمار. ولا يؤبه له: أي لا يهتم به. وأقسم عليه: حلف عليه. وأبره: أمضى يمينه على الصدق. والأشعث: المتلبد الشعر. والأغبر: أغبر الجسم المتغير من الغبار.

(2) تستر: مدينة في خوزستان من بلاد فارس. وفي نهاية الأرب أن "تستر" هي أكبر مدينة بخرستان كانت بها وقعة للمسلمين على الفرس عام سبعة عشر - [الطبري: ج2/ص500]. وكل هذه المناطق تقع في إيران اليوم.

ولما ذكر الناظم رحمه الله أنساً بن مالك ذكر بذكره مولاه سيرين بن عمرو
والد محمد بن سيرين المشهور وألحقه به، فقال:

سِيرِينُ مَوْلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ جِيلُ النَّاسِكِ
وَبِالْمُعَبَّرِ ابْنِ سِيرِينَ الْعَلَمِ جَاءَتْ لِدِي الْخِلَالِ مَوْلَاةٌ وَكَمْ
دَعَا لَهَا عِنْدَ الزَّوْجِ مِنْ مَكِينٍ وَزَفَفَتْهَا أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

سيرين (بكسر السين المهملة وبالرفع): عطف - بحذف العاطف - على أنس الذي مر ذكره، ويحتمل أن يكون مبتدأ حذف خبره تقديره: ومن بني عدي بن النجار أيضا سيرين. ومولى أنس .. إلخ: صفة له أو عطف بيان عليه. والسبي: أسر العدو، والغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء⁽¹⁾. وعين التمر: موضع قرب الأنبار غربي الكوفة، فتحه خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما. وجيل الناسك (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله. والجيل (بكسر الجيم): الصنف من الناس⁽²⁾ والمراد به هنا قومه. والناسك: العابد، والمراد به سيرين. يقول: ومن بني عدي بن النجار - بالولاء - سيرين بن عمرو مولى أنس بن مالك، رضي الله عنهما.

وقوله وبالمعبر (بوزن محدث): متعلق بجاءت، والمراد به محمد بن سيرين. والعلم (بالتحريك): الجبل العالي الذي يهتدى به، وهو صفة لمحمد بن سيرين وصفه به لأنه كان من أعلام المسلمين الذين يهتدى بهديهم ويقتدى بسيرتهم. وذو

(1) كانوا يقولون للأخذ: "أسيراً" والأصل في ذلك أنهم كانوا إذا أخذوا أسيراً شدوه بالقد فلزم هذا الاسم كل مأخوذ شد به أو لم يشد.

(2) فالترك جيل، والروم جيل، والصين جيل.. وكل قوم يختصون بلغة جيل؛ جمعه: أجيال.

الخلال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومولاة: فاعل جاءت، واسم هذه المولاة صفية. والمكين (كأمير): ذو المكانة أي المنزلة. والضمير في دعا لها وفي زففتها عائد على مولاة، وزففتها: أهدتها إلى زوجها.

يعني أن سيرين هذا تزوج مولاة لأبي بكر الصديق، فدعا لهما أجراء الصحابة عند زواجه بها، فولدت له محمدا بن سيرين العالم الجليل المشهور بتعبير الرؤيا.

أما سيرين فهو التابعي الجليل سيرين بن عمرو النجاري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان قد صار إليه من غنائم عين التمر التي جاء بها خالد بن الوليد؛ وكان خالد قد توجه إلى عين التمر في خلافة أبي بكر الصديق بعد فراغه من قتال أهل الردة، وكان بها يومئذ بهرام بن سوس في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب؛ من النمر بن قاسط وتغلب وإياد وغيرهم.. فهزمهم خالد وأكثر فيهم الأسر وهدم حصونهم ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: رهن، فقسّمهم. ومن أولئك الغلمان سيرين⁽¹⁾ بن عمرو هذا؛ ثم صار بعد مولى لأنس بن مالك فأعتقه، وقد قال فيه حين سأله عنه أبو بكر الصديق: ما عرفته إلا صحيح الدين رضي الخلق موفور المروءة⁽²⁾. ولما أعتقه أنس اشتغل بالتكسب فكان نحاسا ماهرا يتقن صناعة القدور، ثم خطب سيرين عند أبي بكر مولاته صفية، وكانت جارية وضيئة الوجه ذكية الفؤاد كريمة الشمائل محبة إلى كل من عرفها من نساء المدينة، وكان أشد الناس حبا لها أمهات المؤمنين ولاسيما عائشة رضي الله عنها. ولما أراد أبو بكر أن

(1) ومنهم أيضا: أبو زياد مولى ثقيف، وحران مولى عثمان بن عفان، ومنهم نصير والد موسى بن نصير الفاتح المشهور.

(2) موفور المروءة: تام النخوة كامل الرجولة.

يزوجها من سيرين جمع لذلك جمعا كبيرا من الصحابة وتولى عقدها أبي بن كعب ودعا لهما وأمن على دعائه الخلفاء وأكابر الصحابة، وقد روي أنه حضر زواجه بها ثمانية عشر بدريا، فكان ذلك من أسباب نجابة بنيتها، وطيبتها وزينتها ثلاث من أمهات المؤمنين حين زفت إلى زوجها. فولدت لسيرين أبناء وبنات منهم محمد وأنس ويحيى ومعبد وخالد وعمرة وأم سليم وسودة وغيرهم.

محمد بن سيرين المعبر للرؤيا

وأما محمد بن سيرين فقد ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وترى ونشأ في بيت التقى والورع وتردد في أخذ العلم على كثير ممن أدرك من الصحابة، وكبار التابعين فكان من فقهاء وفضلاء التابعين، رأى ثلاثين من الصحابة وروى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وعمران بن حصين وعائشة وغيرهم.. فامتلا علما وحكمة وتفقه في الكتاب والسنة واشتهر بالعلم والصلاح والورع والعبادة، وكان ثقة مأمونا مفتيا. ثم انتقلت أسرته إلى البصرة، التي كانت آنذاك من مراكز العلم والتعليم، فتعلم بها وتكسب فكان يغدو على مسجد البصرة فيتعلم فيه ويعلم حتى إذا ارتفع النهار خرج إلى السوق فيبيع ويشترى ويذكر الناس بالآخرة ويصبرهم بالدنيا ويفصل فيما شجر بينهم ويرشدهم إلى ما يقربهم من الله حتى إذا أقبل الليل رجع إلى بيته وأقبل على عبادة ربه والبكاء من خشيته، وقد منحه الله تعالى قبولا وتأثيرا، وكانت سيرته العملية خير مرشد للناس؛ وقد أعطي سمنا وهديا⁽¹⁾ فكان إذا

(1) السم: الزي في الملابس وغيرها ويستعمل لهيئة أهل الخير، يقال: "ما أحسن سمت فلان": أي هيئته. والهدي: الطريقة والسيرة، يقال: ما أحسن هديه: أي سيرته.

رآه الناس وهم غافلون انتبهوا فذكروا الله وكبروا وهللوا، وكان إذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان، وكان يدخل السوق نصف النهار ويكبر ويسبح ويذكر الله، فقبل له في ذلك فقال: إنها ساعة غفلة؛ وكان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان مجلسه مجلس خير وبر وموعظة، وكان إذا ذكر عنده رجل بسبة⁽¹⁾ ذكره هو بأحسن ما يعلم فيه. وقد روي أنه سمع يوما رجلا يسب الحجاج بعد موته فأقبل عليه وقال: صه⁽²⁾ يا ابن أخي فإن الحجاج مضى إلى ربه وإنك حين تقدم على الله عز وجل ستجد أن أحقر ذنب ارتكبه في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنب اجترحه⁽³⁾ الحجاج فلكل منكما يومئذ شأن يغنيه، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم كما سيقص للحجاج ممن يظلمونه فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد.

هذا وقد كانت لمحمد بن سيرين هذا اليد الطولى في تعبير الرؤيا وكان مشهورا بذلك وله في تأويلها غرائب عجيبة. روي أن امرأة جاءت به يوما وهو يتغدى فقالت: رأيت القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي إيتي ابن سيرين فقصي عليه؛ فتغير لونه وقام وهو آخذ على بطنه فقالت له أخته: ما بالك؟ قال: زعمت هذه أنني ميت بعد سبعة أيام! فمات بعد سبعة أيام. وكانت وفاته في شوال سنة مائة وعشرين - وقيل مائة وعشر - وله سبع وسبعون سنة، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

(1) السبة (بضم السين وتشديد الباء الموحدة): العار والعيب.

(2) صه (بفتح الصاد المهملة وبسكون الهاء وكسرهما مُنَوْنَةً): كلمة زجر للمتكلم أي: اسكت.

(3) اجترحه: أي اكتسبه وارتكبه.

ومن حلفاء بني عدي بن النجار - أيضا - سواد⁽¹⁾ بن غزية بن وهب البلوي، شهد بدرًا والمشاهد بعدها، وهو الذي غمزه النبي ﷺ في خاصرته بقدح كان بيده⁽²⁾ يعدل به القوم ويسوي به الصفوف وقال له: «استو يا سواد» فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني، فكشف له رسول الله ﷺ عن بطنه الشريف وقال له: «استقد»، فاعتنقه وقبل بطنه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حملك على هذا يا سواد»؟⁽³⁾ قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير. وسواد هذا هو الذي أسر خالد بن هشام المخزومي يوم بدر، وكان عامل رسول الله ﷺ على خيبر.

ثم ذكر الناظم بعض أعيان بني مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، فقال رحمه الله:

حَارِثَةُ الْبُرِّ رَأَى جَبْرِيلاً مَعَ النَّبِيِّ وَوَعَى تَرْتِيلاً
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ لَهُ النَّبِيُّ وَهَكَذَا سَمِيَّهُ الْأَبِيُّ
حَارِثَةُ الْقَتِيلُ بَعْدَ مَهْجَعِ وَأُمُّهُ عَلَيْهِ ذَاتُ جَزَعِ
وَسَكَّنَ النَّبِيُّ إِذْ أَخْبَرَهَا بِنَيْلِ نَجْلِهَا الْجِنَانَ حَرَّهَا

(1) قال ابن هشام: يقال سواد بن غزية (مثقلة)، وسواد في الأنصار غير هذا (مخفف). قال أبو ذر: وبالتخفيف قيده الدارقطني وعبد الغني - [سيرة ابن هشام: ج2/ص266].

(2) غمزه: أي جسمه. والخاصرة: الجنب مما فوق رأس الورك. والقدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش، جمعه قداح وأقداح.

(3) رواه ابن إسحاق عن ابن حبان وابن عبد البر في الاستيعاب - [كما في الإصابة].

حارثة: مبتدأ خبره محذوف، أي ومن بني النجار أيضا حارثة. والبر (بفتح الموحدة): المتقي ربه المطيع لوالديه، ووصفه بالبر لقول رسول الله ﷺ فيه: «كذلك البر كذلك البر»⁽¹⁾. وجملة رأى جبريل.. إلخ: صفة لحارثة. وقوله ووعى: أي حفظ. والترتيل: تجويد القرآن في مهل. والضمير في له عائد على حارثة، والنبي فاعل وعى. وقوله سميه: مبتدأ خبره هكذا مقدم عليه، وسميه: أي موافقه في الاسم. والأبي: الذي يأبى الضيم. وحارثة (بالرفع): بدل من سميه. والقتيال: فعيل بمعنى مفعول أي المقتول وهو صفة لحارثة. ومهجع (بوزن منبر): هو ابن صالح مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين ببدر. والضمير في أمه وفي عليه عائد على حارثة. والجزع: الحزن. وسكن (بتشديد الكاف) فاعله النبي ومفعوله حرها آخر البيت، والمراد به حرارة حزنها أي شدته. وجملة إذ أخبرها اعتراضية. وقوله بنيل فجلها: مفعول ثانٍ لأخبرها وهو مصدر مضاف إلى فاعله. والجنان (بكسر الجيم وبالنصب): مفعوله.

حارثة بن النعمان

يقول ومن بني النجار ثم من بني عدي منهم: حارثة بن النعمان وسميه حارثة بن سراقة النجاريان. أما حارثة البر فهو أبو عبد الله حارثة بن النعمان بن نفيح - أو رافع - بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه جعدة بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. شهد حارثة هذا بدرًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان من فضلاء الصحابة، روي عنه أنه قال: رأيت جبريل مرتين: يوم خروج النبي ﷺ إلى بني

(1) أخرجه النسائي وأحمد والطبراني - [كما في الإصابة].

قریظة حین مر بنا فی صورة دحیة بن خلیفة الکلبی فأمرنا بلبس السلاح، و یوم رجوعنا من حنین مررت به وهو یکلم النبی ﷺ؛ ولم أسلم مخافة أن أقطع حدیثهما فقال جریرل: «من هذا یا محمد»؟ قال: «حارثة بن النعمان» قال: «أما إنه من المائة الصابرة یوم حنین الذین تکفل الله بأرزاقهم فی الجنة ولو سلم لرددنا علیه السلام». و فی رواية قال: مررت علی رسول الله ﷺ ومعہ جریرل قاعدا فسلمت علیه وجزت، فلما رجعت وانصرف النبی ﷺ قال لی: «هل رأیت الذی کان معی»؟ قلت: نعم، قال: «فإنه جریرل وقد رد علیک السلام»⁽¹⁾.

وروی عن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمت فرأیتنی فی الجنة فسمعت صوت قارئ فقلت من هذا؟ فقیل: حارثة بن النعمان»؛ فقال النبی ﷺ: «كذلك البر كذلك البر»⁽²⁾. وكان رضی الله عنه أبر الناس بأمه. وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب منزل النبی ﷺ بالمدينة فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل بعد منزل حتی قال النبی صلی الله علیه وسلم: «لقد استحييت من حارثة بن النعمان مما يتحول لنا عن منازله»⁽³⁾. وكان رضی الله عنه قد ذهب بصره فاتخذ خیطا أو حائطا من مصلاه إلى باب حجرته ووضع عنده مكتلا⁽⁴⁾ فيه تمر، فكان إذا جاء المسکین سائلا أخذ من مکتله شیئا ثم أخذ بطرف الخیط أو الحائط حتی یناوله، فكان أهله یقولون له: نحن نکفیک، فیقول: إني سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول: «مناولة المسکین تقی

(1) أخرجه أحمد وابن سعد والهيثمي.

(2) أخرجه النسائي وأحمد والطبراني - [كما في الإصابة].

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(4) المکتل والمکتلة (بکسر الميم فیهما): زنبیل من خوص یحمل فیہ التمر وغیره، جمعه: مکتائل.

ميتة السوء»⁽¹⁾. وتوفي رضي الله عنه في خلافة معاوية.

هذا وما يقتضيه سياق النظم من أن حارثة بن النعمان هذا من بني عدي بن النجار لم أقف عليه في غيره، والمعروف أنه من بسني مالك بن النجار - بني عمومتهم - فلعل الناظم رحمه الله وقف على ما نص عليه في غير ما وقفت عليه من الكتب؛ ومن المعلوم أن الأنساب معرضة لاختلاف الرأي فيها والرواية، وقد جرت عادة أصحاب السير أن يذكروا الرجل في بطن غير بطنه ويُدرجوه فيه لعدة أسباب: مثلما إذا كان في عدادهم أو يسكن فيهم أو مولى لهم أو حليفا فيهم، ولو كان من بني عمومتهم. قال ابن هشام: ربما كانت دعوة الرجل في القوم أو يكون فيهم فينسب إليهم وليس منهم في الأصل فقد نسبوا معاذاً بن جبل إلى بني سلمة وليس منهم وإنما هو من بني أدي بني عمومتهم، ونسبوا عتبة بن غزوان إلى بني سليم بن منصور وليس منهم وإنما هو من بني مازن بن منصور بني عمومتهم، ونسبوا الحكم بن عمرو إلى بني غفار بن مليل وليس منهم وإنما هو من بني نعيمة ابن مليل بني عمومتهم.. ومثل هذا لا ينحصر، والله أعلم.

وأما هارثة القتيل بعد مهجع فهو حارثة بن سراقبة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، أمه الربيع بنت النضر عمه أنس بن مالك التي مر بعض خبرها؛ وكان حارثة هذا عظيم البر بأمه. شهد بدرًا وهو غلام وكان من أول من انتدب إليه واستشهد به رضي الله عنه، قيل كان أول قتيل به، وقيل ثاني قتيل؛ فقد قتل قبله مهجع مولى عمر بن الخطاب الذي كان أول قتيل من المسلمين يومئذ. روي أن حارثة هذا رماه حبان

(1) أخرجه الطبراني وابن عبد البر - [كما في الإصابة].

بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته — وقيل وقع في ثغرة نحره — وهو يشرب من الحوض (وكان قد خرج نظارا) فمات. ولما استشهد جاءت أمه الربيع إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله قد علمت مكان حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن كان غير ذلك فستري ما أصنع، وفي رواية اجتهدت في البكاء؛ وفي رواية أخرى: وإن يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا.. فقال رسول الله ﷺ: «يا أم حارثة أوجئة واحدة هي؟ إنما هي جنات وإن ابنك لفي الفردوس الأعلى»، فرجعت تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة⁽¹⁾.

ومهجع المذكور هو سيد الشهداء مهجع بن صالح، أصله من اليمن وقيل من عك بن عدنان، كان قد أصابه سب⁽²⁾ فوصل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعتقه. وكان من السابقين إلى الإسلام وهو أول من خرج للقتال من المسلمين يوم بدر فكان أيضا أول قتيل به من المسلمين رضي الله عنه، أصيب يومئذ بسهم لا يدري راميه، وقيل رماه به عامر بن الحضرمي. وعن ابن عباس أنه كان ممن نزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري وأحمد وابن عبد البر وأبو نعيم، كما في الحلية. وبخ بخ: تقال بسكون الأول وتووين الثاني وتووينهما مخففتين ومشددتين وتسكينهما، وهي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء. [القاموس].

(2) أي أخذ في سبي، والسب: أسر العدو؛ والغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء.

(3) الأنعام: الآية: 52.

ومن بني مالك بن عدي بن عامر بن غنم أيضا عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه أم حكيم بنت النضر بن ضمضم عمه أنس بن مالك، فهو ابن خالة حارثة بن سراقمة المتقدم، وكان ممن شهد بدرًا. ومنهم محرز بن عامر بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه سعدى بنت خيثمة بن الحارث (خاله سعد بن خيثمة)، شهد بدرًا وتوفي يوم خروج النبي ﷺ إلى أحد؛ وإثر صلواته عليه خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد.

ومنهم سليط بن قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه زغبة بنت زرارة بن عدس (خاله أسعد بن زرارة)، وكان رضي الله عنه من كاسري أصنام بني عدي بن النجار، وشهد بدرًا وما بعدها واستشهد يوم جسر أبي عبيد سنة أربع عشرة. ومنهم صرمة بن قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أسلم وهو شيخ كبير وكان قد رفض الأوثان في الجاهلية.

ولما أنهى الناظم الكلام على بني عدي بن النجار أخذ يتكلم على بني عمهم مالك بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو مالك بن النجار*

مِنْ مَالِكِ غَنَمٍ⁽¹⁾ قَبِيلُ أَسْعَدٍ هُمْ نَقَبُوا مِنْ بَعْدِهِ بِأَحْمَدٍ
وَطَلْحَةَ دَعَا لَهُ أَنْ يَضْحَكَ إِلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ حِينَ هَلَكَ
نَبِينَا وَمَنْ أَضَافَ الْمُجْتَبَى بِطَيِّبَةٍ بَعْدَ ارْتِحَالٍ مِنْ قُبَا
حَتَّى بَنَى مَسَاكِنَ الْأَزْوَاجِ وَهُوَ بِخَيْرِ الْخَلْقِ ذُو ابْتِهَاجٍ

قوله غنم (بفتح فسكون): مبتدأ خبره المجرور قبله، والمراد بنو غنم. وقبيل (بالرفع): بدل من غنم أو عطف بيان عليه وهو بوزن (أمير) أي رهط أو بطن أسعد. وأسعد (بوزن أحمد) هو أبو أمامة أسعد بن زرارة. وهم: ضمير عائد على غنم. ونقبوا.. إلخ: أي اتخذوا أحمد ﷺ نقيباً عليهم بعد موت نقيبهم أسعد بن زرارة المذكور. والضمير في من بعده: عائد على أسعد. وأحمد من أسمائه صلى الله

* أولاد مالك بن النجار هذا ثلاثة: غنم، وفيه العدد والكثرة، وعمرو ومبذول، واسمه عامر. ويعتبر بطن بني مالك بن النجار هذا من أهم بطون الخزرج، وقد تفرع إلى بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة، فمن تلك البطون: بنو ثعلبة بن غنم وبنو عبد عوف بن غنم وبنو سواد بن غنم بن مالك. ومنها بنو معاوية بن عمرو، ويقال لهم بنو حُدَيْلَة (بالحاء المهملة وبصيغة التصغير)، نسبو إلى أمهم حديلة بنت مالك بن زيد الله الخزرجية الجشمية أم معاوية. ومنها بنو عدي بن عمرو عرفوا بأهمهم مغالة بنت فهيدة بن عامر بن بياضة البياضية أم عدي بن عمرو، ومن بطونهم أيضاً: بنو مبذول عامر بن مالك بن النجار، وقد تناول الناظم الكلام على بني مالك هؤلاء في اثنين وثلاثين بيتاً، وذكر بطونهم هذه، إما بتصريح وإما بتلويح بذكر بعض أفرادها؛ وذكر من أعيانهم ستة عشر رجلاً، وأشار إلى تسعة آخرين.

(1) أولاد غنم بن مالك بن النجار هذا ثلاثة: ثعلبة وعبد عوف وسواد بنو غنم وتفرع من كل واحد منهم فخذ.

عليه وسلم، قال تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾⁽¹⁾.

يقول ومن بني مالك بن النجار بنو غنم بن مالك، بطن أسعد بن زرارة نقيب بني النجار. وأسعد هذا هو أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، كان أحد الستة الذين لقيهم النبي ﷺ بالعقبة فآمنوا به فكانوا أول من أسلم من الأنصار، وقدموا بالإسلام على المدينة وحضر العقبتين الأولى والثانية، وكان أحد النقباء. وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ المدينة؛ وقيل إنه أول دفين بالبيعة. ولما مات جاءت بنو النجار إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله مات نقيبنا فنقب علينا، فقال: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم»⁽²⁾ فكانت لهم مفخرا يفخرون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم، وكان صلى الله عليه وسلم قد كره أن يخص بها بعضهم دون بعض، وإلى ذلك أشار بقوله: هم نقبوا.. إلخ، وقد مر بعض التعريف بأسعد هذا في الستة المذكورين.

قوله وطلحة (بالرفع): عطف على غنم، وجملة دعا له.. إلخ: صفة له. ورب العرش: فاعل يضحك. وحي: متعلق بيضحك. وفاعل هلك: ضمير مستتر عائد على طلحة. وقوله نبينا (بالرفع): فاعل دعا له.

يقول ومن بني مالك بن النجار أيضا طلحة بن البراء الذي دعا له النبي ﷺ بعد موته. وطلحة هذا هو ابن البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غنم بن سُري (بوزن قصي) بن سلمة بن أنيف البلوي الأنصاري، حليف بني عمرو بن عوف الأوسيين ثم من بني جحجى بن عوف بن كلفة منهم. وكان طلحة هذا قد لقي النبي ﷺ

(1) الصف: الآية: 6.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک — كما في الإصابة.

وهو غلام حدث فجعل يدنو منه ويلصق به ويقبل قدميه ويديه ويقول: يا رسول الله مرني بما أحببت فلا أعصي لك أمراً، فضحك صلى الله عليه وسلم وقال له: «أذهب فاقتل أباك»، فانقلب مولياً ليفعل فدعاه النبي ﷺ وقال له: «إنني لم أبعث بقطيعة رحم ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة»⁽¹⁾. وكان رضي الله عنه من أبر الناس بأمه؛ وفي رواية أنه لقي النبي ﷺ وقال له: ابسط يدك أبايك، فقال له صلى الله عليه وسلم: «على ماذا؟» فقال على الإسلام، فسر رسول الله ﷺ بذلك وأعجب به، ثم مرض طلحة بعد ذلك فأتاه رسول الله ﷺ يعوده فقال: «إنني لأرى طلحة قد حدث فيه الموت فأذنوني به وعجلوا فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله»⁽²⁾ فحضره الموت ليلاً فقال لأهله إذا مت فادفونني وألحقوني بريبي ولا تؤذنوا بي رسول الله ﷺ فإنني أخاف عليه اليهود وأن يصاب في سبي ولكن إذا أصبحتم فاقروه مني السلام وقلوا له فليستغفر لي. فلما أصبح رسول الله ﷺ أخبر به فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه وصلى عليه ثم رفع يديه وقال: «اللهم التَّ طَلْحَةَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ»⁽³⁾. وإلى ذلك أشار بقوله وطلحة دعا له.. إلخ؛ وقد روى حديثه هذا حصين بن حوح الذي مر ذكره.

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط، والبعوي - [كما في الإصابة].

(2) يقال آذن يؤذن إذا أعلم، قال تعالى ﴿قَالُوا آذِنَاكَ﴾ أي أسمعناك وأعلمناك. وظهراني (بفتح النون): أي وسط أهله. والحديث أخرجه أبو داود في سننه: 2 / 178، ولا بأس أن ينتظر بها مقدار ما يجتمع لها جماعة، لما يؤمل من الدعاء له إذا صلي عليه ما لم يخف عليه أو يشق على الناس - [نص عليه أحمد/ المغني لابن قدامة].

(3) حديث: «اللهم التَّ طَلْحَةَ..» أخرجه أبو نعيم كما في الإصابة، ومعناه القه لقاء متحابين مظهرين لما في أنفسهما من رضى ومحبة - [الروض الأنف].

هذا وقد تبع الناظم هنا - في عده طلحة بن البراء هذا في بني مالك بن النجار - صاحب الحلة السيرة الذي عده في مشاهير بني ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وأدرجه فيهم؛ والمشهور أنه بلوي النسب أنصاري بالحلف، فهو حليف لبني عمرو بن عوف، كما في الإصابة والاستيعاب وغيرهما.. أو لعله إنما عدَّ فيهم لأنه كان في عدادهم، والله أعلم.

وقوله ومن أضاف.. إلخ: عطف أيضا على غنم من قوله من مالك غنم، والمراد به أبو أيوب الأنصاري، وأضاف فلانا: أنزله ضيفا عنده، والضيف: النازل عند غيره، والضيافة: القرى. والمجتبى: المختار، وهما من أسماء رسول الله ﷺ. وقوله بعد ارتحال من قبا: أي بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم عن أهل قبا إلى المدينة. وقوله حتى بنى: متعلق بأضاف، وفاعل بنى: ضمير مستتر عائد على المصطفى ﷺ. والمراد بمساكن الأزواج: حجرات أمهات المؤمنين. وضمير وهو عائد على من أضاف. والابتهاج: الفرح.

يقول: ومن بني مالك بن النجار - أيضا - أبو أيوب الأنصاري الذي أضاف النبي ﷺ بطيبة إلى أن بنى الحجرات وانتقل إليها.

أبو أيوب وخبر نزول النبي ﷺ عليه

وأبو أيوب هذا هو الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار؛ الخزرجي النجاري⁽¹⁾، كان من السابقين إلى الإسلام، حضر العقبة الثانية وشهد بدرًا وجميع المشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان ملازما للجهاد معه صلى الله عليه وسلم حياته وبعده حتى توفي في خلافة

(1) من بني عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار.

معاوية. شهد الفتوح حتى قيل إنه لم يتخلف عن غزاة إلا وهو في أخرى، وكان مع علي في حروبه كلها وفي قتاله للخواارج. ولم يزل رضي الله عنه يواصل الجهاد إلى أن توفي بالقسطنطينية من بلاد الروم على ظهور الجياد الصافنات⁽¹⁾ غازيا تحت إمرة يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين - وقيل اثنتين وخمسين - وسنه تقارب الثمانين. وكان قبره على باب القسطنطينية قرب سورها معروف معظم عند أهلها يستسقون به فيسقون ويستشفون به فيصحون. وروي أنه رضي الله عنه أخذ شعرات من شعر حية رسول الله ﷺ فقال له صلى الله عليه وسلم: «لا يُصيبك السوء يا أبا أيوب».

وماصل ما أشار إليه الناظم من قصة ارتحال النبي ﷺ من قباء ونزوله بطيبة على أبي أيوب الأنصاري وفرحه بنزوله صلى الله عليه وسلم عليه بل وفرح أهل المدينة جميعا؛ أنه صلى الله عليه وسلم أقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة عند كلثوم بن الهدم وأسس مسجد قباء، وهو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ولما أراد المسير من قباء إلى المدينة اجتمعت بنو عمرو بن عوف وقالوا: أخرجت ملالا منا أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: «إني أمرت بقرية تأكل القرى⁽²⁾ فخلوها - يعني ناقته - فإنها مأمورة»⁽³⁾. وكان بنو النجار أحوال

(1) الجياد: جمع جواد للفرس السريع الجري. والصفان: جمع صافن وهو الواقف، قال النابغة:

لنا قبة مضروبة بفنائها عتاق المهاري والجياد الصوافن

وقيل الصافن: الواقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة كما قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة. وذلك لما يفتح الله على أيدي أهلها من المدن ويصيبون من الغنائم.

(3) أخرجه الحاكم وغيره - [كما في فتح الباري].

جده عبد المطلب قد جاءوا متقلدين السيوف وأحاطوا به صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصوى⁽¹⁾، وكان ذلك يوم الجمعة، وسار يريد المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف بوادي رانوناء فصلاها بمن معه من المسلمين فكانت أول جمعة صلاها في الإسلام حين قدم المدينة، ثم ركب راحلته وسار والمسلمون عن يمينه وشماله وخلفه منهم المشي والراكب محتشدين في السلاح فما يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا له: هلم يا رسول الله إلى العز والمنعة والثروة، هلم إلى العدة والعدد والحلقة⁽²⁾، فيتبسم صلى الله عليه وسلم فيقول لهم خيرا ويدعو ويقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»؛ وكان قد أرخى لها زمامها. فلم يزل على ذلك حتى وصلت إلى باب أبي أيوب وهو قريب من موضع مسجده اليوم⁽³⁾ وكان إذ ذاك مريدا للتمر، فبركت

(1) القصوى: مقطوعة الأذن؛ واسمها أيضا العضاء (وهي مشقوقة الأذن) كانت صهباء اللون من نعم بني الحريش - وقيل من نعم بني قشير - اشتراها منهم أبو بكر الصديق بثمانمائة درهم، واشتراها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر عليها، وكانت حين قدومه المدينة رابعة وكان لا يحمله إن نزل عليه الوحي غيرها، وربما بركت من ثقل الوحي، وهي التي كانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه»، وروي أنها لم تأكل ولم تشرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى ماتت، وقيل عاشت حتى ماتت في خلافة أبي بكر وكانت مرسله ترعى بالبقيع. [الخميس وغيره باختصار].

(2) المنعة: القوة التي تمنع من يريده بسوء. والثروة: كثرة المال. والعدة (بالضم) الاستعداد وما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح. والعدد: الكثرة في الشيء. والحلقة (بفتح الحاء المهملة وسكون اللام): السلاح عامة والدروع خاصة.

(3) وقد مرت ناقته صلى الله عليه وسلم المأمورة بستة أفخاذ متتالية المنازل، وبركت بالحلي السابع؛ وهم على التوالي: أهل قباء وكانوا يبعدون من المدينة ميلين في الجنوب الشرقي وأهله بنو عمرو بن عوف. ثم مرت ببني سالم بن عمرو بن عوف ثم ببني بياضة ثم ببني ساعدة ثم ببني الحارث بن

<<=

عنده ولم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم، ثم وثبت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد ثم التفتت فعادت إلى المكان الذي بركت فيه أولاً فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها على الأرض⁽¹⁾، فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال: «هذا المنزل إن شاء الله»⁽²⁾؛ فبادر أبو أيوب إلى رسول الله ﷺ يرحب به وحمل متاعه ورحله بين يديه ووضعه في بيته. فدعته الأنصار إلى النزول عليهم، فقال صلى

>>---

الخزرج ثم ببني عدي بن النجار ثم ببني مالك بن النجار؛ فنزل عندهم على أبي أيوب. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير» - [رواه مسلم وأحمد]. ولما سمع سعد بن عبادة الحديث وهو زعيم بني ساعدة قال: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد فضل علينا. فقيل له: قد فضلكم على كثير. هذا وقد كانت دار أبي أيوب التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرقي المسجد، وكانت قد ابتاعها المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري بألف دينار فتصدق بها على أهل بيت فقراء بالمدينة ثم اشتراها الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي وبنى في عرصتها مدرسة للمذاهب الأربعة، فكانت تعرف بالمدرسة الشهابية، وفي إيوان قاعتها الصغرى الغربي خزانة صغيرة جدا مما يلي القبلة فيها محراب يقال إنها ميرك ناقته صلى الله عليه وسلم - [الخميس والبدر العيني].

(1) تحلحلت: تحركت وتزحزحت. ورزمت الناقة: أخرجت الصوت من حلقها ولم تفتح به فاهها. وجرانها: مقدم عنقها، يقال: ألقى البعير جرانه أي برك.

(2) أخرجه البخاري. وفي البدر العيني: أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المسير من أهل قباء أرسل إلى بني النجار - أحواله - فجاؤوا متقلدين السيوف، فخرج صلى الله عليه وسلم على راحلته القصوى وأبو بكر ردفه وملاً ببني النجار حوله (وكانت لأبي بكر راحلة فلعله تركها في بني عمرو بن عوف لشيء بها أو ردها إلى أهلهم أو استصحبها معه ولكنه لم يركبها لشرف الارتداد خلفه صلى الله عليه وسلم لأنه تابعه والخليفة بعده). وساروا حتى وصلوا دار أبي أيوب الأنصاري فبركت بهم القصوى فجعل جبار بن صخر بن أمية بن خنساء السلمى ينحسها برجله، فقال أبو أيوب: يا جبار أعن منزلي تنحسها! أما والذي بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف.

الله عليه وسلم: «المرء مع رحله»⁽¹⁾.

وفرَّح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ وأشرقت أنواره صلى الله عليه وسلم في جميع أرجائها⁽²⁾، وغمر أبا أيوب الفرح بنزوله صلى الله عليه وسلم عليه، وخرجت نسوة من بني النجار يضرين الدفوف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا هذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم: «أتحيينني»؟ قلن: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: «الله يعلم أن قلبي يحبكم» يعني معشر الأنصار⁽³⁾؛ وتفرَّق الناس في الطرق ينادون فرحاً: جاء محمد، جاء رسول الله ﷺ.. وإلى ذلك أشار بقوله: وهو بخير الخلق ذو ابتهاج.

وكان في منزل أبي أيوب علو وسفل، وكان أبو أيوب في علوه؛ فلما نزل عليهم رسول الله ﷺ نزل في البيت الأسفل، فقال أبو أيوب: بأبي أنت وأمي إنني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فكن أنت في العلو ونكون نحن في السفلى، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا أيوب إن الأرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت»⁽⁴⁾، فامتثل أبو أيوب وأنزله حيث أحب. ولما أقبل الليل وصعد أبو أيوب وأهله إلى العلو لم يغلقا بابهما حتى فكر أبو أيوب فقال لأهله: أيكون رسول الله ﷺ أسفل ونحن أعلى منه أمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا إذا لهالكون؟! ولم تسكن نفساهما بعض السكون إلا حين انحازا إلى جانب العلية الذي

(1) أخرجه ابن سعد في طبقاته - [كما في فتح الباري].

(2) أشرقت أضاءت. والأرجاء: النواحي، والضمير فيه عائذ على المدينة.

(3) أخرجه ابن ماجه بلفظ قريب منه.

(4) أخرجه مسلم.

لا يقع فوق رسول الله ﷺ والتزمناه؛ فلما أصبحنا غدا أبو أيوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص عليه ما باتا فيه من الحزن، فقال رسول الله ﷺ: «هون عليك يا أبا أيوب إنه أرفق بنا أن نكون في السفلى لكثرة من يغشانا من الناس»⁽¹⁾. قال أبو أيوب فامتثلت أمره صلى الله عليه وسلم حتى كانت ذات ليلة انكسرت لنا جرة فاهريق ماؤها في العلية⁽²⁾ فقمتم أنا وأم أيوب بقطيفة نتبع الماء خوف أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إليه وأنا مشفق فقلت: يا رسول الله إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك؛ وقصصت عليه خبر الجرة، فاستجاب لي وصعد إلى العلية وأمر بنقل متاعه إليها، وكان يومئذ قليلا، ونزلت أنا وأم أيوب إلى السفلى.

قال أبو أيوب فكنا نصنع له الطعام ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضلا تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه؛ فجعلنا له ليلة فيه بصلا وثوما فرده علينا ولم أر ليده فيه أثرا فحمته فزعا فقلت: يا رسول الله لم أر موضع يدك وكنت أنا وأم أيوب نقصد موضعها من الطعام نتبغي بذلك البركة، قال: «أجل إن فيه بصلا فكرهت أن أكل من أجل الملك وأما أنتم فكلوا»⁽³⁾؛ قال فأكلنا ولم نصنع له من تلك الشجرة بعد.

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته.

(2) الجرة (بفتح الجيم وتشديد الراء): إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع، جمعه جرار. وهراق الماء بهريقه هراقة: صبه، وأصله أراقه يريقه إراقة أبدلت الهمزة هاء، وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال: اهراقه بهريقه إهراقة (بإسكان الهاء) كإسطاع يسطيع. وأصل هراقه "هريقه" على وزن "دحرجه"، ولهذا يفتح الهاء في المضارع فيقال يُهريقه كما تفتح الدال من يُدحرجه والأمر: هرق؛ والأصل هريق بوزن دحرج، نقلت كسرة الياء للثقل ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين. والعلية (بكسر العين وضمها وتشديد اللام والياء): بيت منفصل عن الأرض بيت ونحوه.

(3) أخرجه مسلم وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة.

وأقام رسول الله ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر أو أكثر حتى بني مسجده
وحجرتي عائشة وسودة فانتقل إليهما من دار أبي أيوب، فقول الناظم: حتى بنى
مساكن الأزواج من إطلاق الكل على البعض، والله أعلم.

ولما ذكر الناظم نزول رسول الله ﷺ على أبي أيوب وأنه لم يزل مقيما عنده
إلى أن بنى مساكن أزواجه صلى الله عليه وسلم، استطرده كيفية بنائها ومم بنيت؛
فقال رحمه الله:

مِنَ الْجَرِيدِ سَقْفَهَا وَمِنْ شَعْرٍ حُجْرَهَا وَهَدَّهَا رَشْحُ الْحَجَرِ
فَضَحَّ أَهْلٌ طَيِّبَةٌ وَزَادَا بِهَا مُصَلَّى الْمُصْطَفَى وَشَادَا
وَمِنْ لَفِيفِ اللَّيْفِ وَالْخُشْبِ قَدْ كَانَ السَّرِيرُ وَلَا خِرَاهُ اسْتَعَدَّ

قوله سقفاها (بالرفع): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وحجرتها (بضم الحاء
المهملة وفتح الجيم): مبتدأ خبره المجرور قبله أيضا. والضمائر في سقفاها وحجرتها
وهدها وبها: عائدة على مساكن الأزواج المتقدم ذكرها. والجريد: قضبان النخل
المجردة من خوصها، واحدها جريدة وهي السعفة الطويلة رطبة كانت أو يابسة.
والسقف: أعلى البيت. والحجر: جمع حجرة: كغرف وغرفة (وزنا ومعنى)، وتجمع
أيضا بحجرات. وهد البناء: هدمه وكسره بشدة. ورشح الحجر: فاعل هدها، وهو
لقب لعبد الملك بن مروان الأموي، لقب به لبخله. وضحَّ: صاح وجزع. وفاعل
زاد وشاد ضمير مستتر عائدة على رشح الحجر؛ والألف فيهما للإطلاق. والمصلَّى:
مكان الصلاة، ويغلب استخدامه لما لم يكن فيه بناء، فإن كان فيه بناء سمي مسجدا؛
وقد استخدمه الناظم هنا بمعناه اللغوي (مكان الصلاة). والليف (بكسر اللام):
قشر النخل وما شاكله أو هو الذي يخرج في أصول سعف النخل لأول خروجها
تحشى به الوسائد والفرش وتقتل منه الحبال، واحده ليفة. وليف الليف: المختلط

بعضه ببعض. والسريور (كأمير): المضطجع، جمعه أسرة وسرر، والمراد به هنا سريره صلى الله عليه وسلم الذي كان يضطجع عليه. والضمير في أخراه عائذ على المصطفى ﷺ. واستعد: تهيأ.

يعني أن الحجرات الشريفة التي كان يسكن فيها رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات كانت مبنية باللبن وجذوع النخل مستورة من خارج بمسوح الشعر الأسود مسقفة بجريد النخل المطين⁽¹⁾، وأن سريره الذي كان يضطجع عليه في تلك الحجرات من الأدم المحشو بالليف وسعف النخل؛ وكان صلى الله عليه وسلم بعيدا عن زهرة الدنيا وزخرفها⁽²⁾ زهداً منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا ورغبة في الأخرى. وقد عقد الناظم رحمه الله بهذه الأبيات نص كلام السهيلي في الروض الأنف حيث قال: "أما بيوته صلى الله عليه وسلم فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضا، وكانت حجره عليه الصلاة والسلام أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر⁽³⁾. ولما توفي أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلك في زمن عبد الملك؛ فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم

(1) اللبن (بوزن كتف وإبل وعجل): المضروب من الطين مربعا للبناء؛ واحده: لينة. ومسوح الشعر: أكسيته (جمع مسح بكسر فسكون). والمطين: المطلي بالطين وهو تراب أو رمل يصب عليه ماء ويدعك ثم يطلى به.

(2) زهرة الدنيا: بهجتها. وزخرفها: زينتها وكمال حسنها.

(3) مرضومة: مجعول بعضها على بعض، والرضم (بسكون الضاد وبالتحريك) والرضام (بالكسر): الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية. والأكسية: جمع كساء وهو الثوب. والخشب ما غلظ من العيدان. والعرعر: جنس من الشجر يقال هو شجر السرو (فارسية).

وفاته عليه السلام، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف" [انتهى المراد منه⁽¹⁾]؛
والمشهور أن الذي أمر بهدم الحجرات وجعلها من المسجد هو ابنه الوليد بن عبد
الملك كما يأتي.

ذكر أول بناء المسجد النبوي والحجرات

وحاصل ما أشار إليه الناظم أن رسول الله ﷺ لما نزل على أبي أيوب
الأنصاري سأل عن مربد كان بإزاء داره فقيل لبيتين هما سهل وسهيل ابنا رافع
بن عمرو النجاريان، وكانا في حجر معاذ ابن عفراء، فقال صلى الله عليه وسلم:
«يا بني النجار ثامنوني بحائطكم»⁽²⁾ قالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا من الله، فأبى
رسول الله ﷺ أن يقبله هبة واشتراه منهم بعشرة دنانير ودفعها أبو بكر الصديق
رضي الله عنه. وكان في الموضع المذكور نخل وقبور للمشركين وخرب، فأمر
بالنخل فقطعت وبالقبور فنبشت وبالخرب فسويت⁽³⁾، وأمر صلى الله عليه وسلم

(1) راجع الروض الأنف: ج: 2 ص: 13.

(2) أخرجه البخاري. وثامنوني (بالتاء المثلثة): أصله من ثامت الرجل في البيع أئامنه: إذا قاوته في ثمنه
وساومته على بيعه وشراؤه، ومعناه هنا: عينوا لي ثمنه أو بيعونه بالثمن أو اذكروا لي ثمنه لأشتره
منكم. والحائط هنا: البستان بدليل قوله: "وفيه نخل". وروي أنه صلى الله عليه وسلم دعا البيتين
فساومهما المربد ليتخذ مسجداً، فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى حتى ابتاعه منهما
بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك، وقيل اشتراه أبو أيوب منهما وأعطاه الثمن،
فبناه مسجداً، وقيل ان معاذ ابن عفراء قال له: يا رسول الله أنا أرضيهما، فاتخذ مسجداً -
[البدر العيني].

(3) وروي أنه كان في موضع المسجد غرقد فأمر أن يقطع وكانت فيه قبور جاهلية فأمر بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب. والمراد بالخرب: ما يخرب من البناء
فقطع النخل والغرقد ونبشت القبور ورفعت رسوم الخرب وسوي الموضع حتى صارت الأرض
مستوية مبسوطة للمصلين. [البدر العيني].

بناء المسجد فيه. فتسابق الصحابة رضي الله عنهم في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن يجعلوه حسن الصورة والبناء قوي الجدر والأساس، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك»⁽¹⁾ فقالوا له: وما ظلة موسى؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «كان إذا قام فيها أصاب رأسه السقف»، فبادر الصحابة الكرام وشمروا عن ساعد الجد وعملوا بنشاط وهمة في بناء المسجد حسبة لله تعالى⁽²⁾، ووظف الرسول ﷺ ينقل معهم اللبن ترغيبا لهم وعونا في عملهم ويقول: «اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة»⁽³⁾، ولما رأوا منه ذلك زاد حرصهم على العمل وتنافسهم فيه حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذا للعمل المضلل

(1) أخرجه ابن سعد في طبقاته، ورواه أبو داود، والعريش: الخيمة والبيت الذي يستظل به. والثمام نبت ضعيف لا يطول. والخشب: ما غلظ من العيدان. والظلة (بضم الظاء وتشديد اللام): شيء يستتر به من الحر والبرد، جمعه ظلل وظلال، والمظلة (بالكسر والفتح): الكبير من الأخبية. وكان موسى عليه السلام يستظل في عريش ويأكل ويشرب في تقير من حجر تواضعا لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه، وكان عليه السلام زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله، ولم يزل في عريشه ذلك حتى خرج يوما لبعض حاجته لا يعلم به أحد من خلق الله فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم وأقبل إليهم حتى وقف عليهم وهم يحفرون قبرا لم ير أحسن منه خضرة ونضرة وبهجة، فقال لهم: لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، قال: إن هذا العبد من الله ليمتزل، فقالوا: أتعب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس أسهل تنفس تنفسته قط؛ ففعل، فقبض الله روحه فسوت عليه الملائكة - [تاريخ الطبري].

(2) الحسبة (بالكسر): اسم من الاحتساب، واحتسب بكذا أجرا عند الله اعتمده ينوي به وجه الله.

(3) أخرجه البخاري.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وتوالى العمل بجد وهمة حتى اكتمل بناء المسجد، وكانت مساحته سبعين ذراعا في ستين ذراعا، وجعلت سواريه من جذوع النخل وقبلته من اللبن، وجعلت في وسطه رحبة، وكان مربعا وكان طول جداره نحو قامة، ولما اشتد الحر ظللوه بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين⁽¹⁾.

ولما تم بناء المسجد النبوي الشريف قام صلى الله عليه وسلم بيناء حجرتين لزوجتيه عائشة بنت أبي بكر الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما، ولم يكن له إذ ذاك غيرهما، وكان قد تزوج بسودة بعد خديجة وانفردت به نحو من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة؛ وكان بناء حجرتيهما على غرار بناء المسجد وعلى نعته من اللبْن وجريد النخل مستورتين. بمسوح الشعر⁽²⁾، وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج⁽³⁾ وهما نوعان من الخشب ثم صار له بابان (فقد روي أنه لما توفي رسول الله ﷺ دخلوا من باب أرسلوا فصلوا عليه وخرجوا من الباب الآخر)، وكان خلف حجرة عائشة كنيف يقضي به النبي ﷺ حاجته؛ فقد روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ندخل كنيفك فلا نرى

(1) الجريد: قضبان النخل المجردة من خوصها، والخصف بالخاء المعجمة محرّكة: جمع خصفة محرّكة أيضا: قفة كبيرة تعمل من الخوص للتمر ونحوه. ووكف البيت بالمطر: تقاطر سقفه. وطينوه: طلوه بالطين.

(2) مسوح الشعر: أكسيته (جمع مسح).

(3) المصراع من الباب: أحد غلّقيّه، والمصراعان من الأبواب: بابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما. والساج: ضرب من الشجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضاً.

شيئا من الأذى؟ فقال: «الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شيء». ثم كان رسول الله ﷺ بعد ذلك كلما أحدث زوجة بنى لها حجرة وأسكنها فيها حتى صارت له تسع زوجات وتسع حجرات، تمتد هذه الحجرات ما بين بيت عائشة رضي الله عنها وإلى جهة اليسار، وقيل كانت لحارثة بن النعمان منازل حول المسجد قريبة منه فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم - [كما في الخميس].

موقع حجرات أمهات المؤمنين من المسجد وصفة بنائها

وقد ضرب رسول الله ﷺ الحجرات ما بين بيت عائشة وبين القبلة والشرق إلى الشام ولم يضرب غريبه، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب، وكانت أبوابها شارعة في المسجد. روي عن محمد بن هلال قال أدركت بيوت أزواج النبي ﷺ، وكانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة إلى القبلة، إلى الشرق وإلى الشام ليس في غربي المسجد منها شيء. وذكر ابن الجوزي أن منازل أزواج النبي ﷺ كانت كلها في الشق الأيسر إلى وجه الإمام في وجه المنبر أي إلى جهة الشام - [كما في الخميس]. وعن ابن النجار أن الحجرات كانت فيما بين عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ؛ قال السمهودي: والباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم هو الباب الذي في الجهة المقابلة من المغرب وهو المعروف الآن بباب الرحمة. وكانت حجرة عائشة ملاصقة للمسجد وفيها خوخة⁽¹⁾ كانت عائشة تنظر منها إلى المسجد؛ والحجرات متلاصقة قريبة

(1) الخوخة (يفتح المعجمتين): كوة في البيت تؤدي إليه الضوء وباب صغير وسط باب كبير.

وكان بين حجرتي عائشة وحفصة طريق ؛ وكانتا تتهاديان الكلام وهما في منزليهما من قرب ما بينهما. وقد روي عن عمران بن أبي أنس رضي الله عنه في وصف هذه الحجرات الشريفة قال: كان منها أربعة أبيات بَلَيْن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسح الشعر؛ وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع. ويصفها الحسن البصري — وهو الذي تربى في حجر أم سلمة زوج النبي ﷺ — فيقول: كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق وأناال السقف بيدي وكان لكل بيت حجرة، وكانت حُجْرُهُ من أكسية من خشب عرعر. وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن داوود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو من ستة أو سبعة أذرع وأحرز البيت الداخل عشرة أذرع وأظن سمكه بين الثمان والسبع.

ولهذه الحجرات الشريفة مكانة عظيمة، فكانت لها حرمة زائدة على ما سواها من البيوت فشأنها أعظم وأمرها أفخم.. ويكفي دلالة على ذلك أنها محل سكنه صلى الله عليه وسلم هو وأزواجه الطاهرات؛ وكان القرآن الكريم ينزل فيها وفيه سورة تسمى سورة الحجرات. وورد ذكر هذه الحجرات في القرآن الكريم في عدة آيات وقد ورد ذكرها مضافة إلى النبي ﷺ، مثل قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ ﴿١﴾، كما ورد ذكرها مضافة إلى أزواجه صلى الله

(1) الأحزاب: الآية: 53.

عليه وسلم، مثل قوله جل ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾⁽¹⁾، وقوله ﴿ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾⁽²⁾؛ وقد قيل إن إضافتها إليه صلى الله عليه وسلم إضافة ملك بدليل أنه جعل فيها الاذن له صلى الله عليه وسلم، والاذن إنما يكون للمالك، ولأنه هو الذي بناها ويجب عليه إسكانهن، وإضافتها إليه حقيقية وإضافتها إلى الأزواج إضافة محل، باعتبار أنهن ساكنات فيها قائمات بمصالحها قيمات عليها، ولأن هن بعده حق السكنى ما بقين لحبسهن لحقه صلى الله عليه وسلم. وقيل إضافتها إليهن باعتبار أنهن ملك لهن، فقد نقل الطبري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم ملك كلا من أزواجه البيت الذي هي فيه؛ ودفن النبي ﷺ في حجرة عائشة فكانت أشرف البقاع لضمها لرسول الله ﷺ، ثم دفن معه أبو بكر فألصق لحده بلحده صلى الله عليه وسلم، ثم دفن عمر معهما، فضربت عائشة جدارا بينها وبين القبور وقسم بيتها قسمين قسم كان فيه القبر الشريف وقبرا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقسم سكنت فيه عائشة رضي الله عنها.

وفي الخميس قال ابن سعد: أوصت سودة ببيتها لعائشة واشترى معاوية منزلها من عائشة بمائة ألف وثمانين ألفا، وقيل بثمانية آلاف، وشرطت سكنها حياتها وحمل إليها المال فما قامت من مجلسها حتى فرقت؛ وقيل اشتراه ابن الزبير من عائشة وبعث إليها خمسة أجمال تحمل المال وشرط لها سكنها حياتها، ففرقت المال. وتركت حفصة بيتها فورثه ابن عمر فلم يأخذ ثمنها فأدخل في المسجد، وباع أولياء صفية بنت حبي بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم.

(1) الأحزاب: الآية: 33.

(2) الأحزاب: الآية: 34.

بعض تاريخ عمارة المسجد النبوي

هذا وكانت قد جرت توسعة للمسجد النبوي الشريف في زمن رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وضاق عليهم المسجد، فأمر صلى الله عليه وسلم بتوسعته فزيد فيه؛ وبقي على تلك الحالة التي تركه عليها رسول الله ﷺ في عهد أبي بكر الصديق فلم يزد فيه شيئا، حتى كانت خلافة عمر ضاق عنهم فوسعه وزاد فيه بنفس الآلة التي كان مبنيا بها من جريد وخشب ولبن. ولما ولي عثمان الخلافة وسعه وزاد فيه زيادات كثيرة وبني جداره بالحجارة المنقوشة والجص وجعل عمدته من حجارة منقوشة أيضا وجعل سقفه من خشب الساج وقبلته من الحجارة. ولم يزل على ذلك حتى جاء زمن الوليد بن عبد الملك فاشتري الحجرات وكتب إلى عامله على المدينة - وكان إذ ذاك عمر بن عبد العزيز - أن يهدمها ويوسع بها المسجد⁽¹⁾ وكانت متصلة به، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين. فأتار ذلك ضجة عظيمة في أهل المدينة؛ قال عطاء الخراساني: أدركت حجرات أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ فما رأيت يوماً أكثر باكيا من ذلك اليوم. وقال عمران بن أبي أنس - لما سمع كلام عطاء: فلقد رأيتني في المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي ﷺ: أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد وإنهم لييكون حتى اخضل لحاهم⁽²⁾ الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة:

(1) في الخميس وغيره: كان عمر بن عبد العزيز عاملا على المدينة من طرف الوليد بن عبد الملك وهو الذي أمره بهدم الحجرات وإدخالها في المسجد. وقد مشى الناظم رحمه الله على ما ذكره صاحب الروض الأنف من أن هدمها والأمر بتوسعة المسجد بها كان في زمن عبد الملك بن مروان وبأمر منه. والله أعلم.

(2) أي بلها الدمع.

ليتها تركت حتى ينقص الناس من النبيان ويروا ما رضي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده. وقال سعيد بن المسيب: والله لو ددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ويكون ذلك مما يزهّد الناس في التكاثر والتفاخر بها.

ثم فعل عمر بن عبد العزيز ما أمره به الوليد، فأمر بهدمها فهدمت وأدخلت في المسجد وبني بالحجارة المنقوشة وشيد تشييدا حسنا؛ ومكث الوليد في بنائه ثلاث سنين، ثم جعل على حجرة النبي ﷺ حاجزا من سقف المسجد إلى الأرض وصارت الحجرة في وسطه وهو على دورانها.

ولما ولي المتوكل الخلافة سنة 232هـ أزر الحجرة بالرخام⁽¹⁾ من حولها، ولم يزل الرخام باقيا عليها إلى سنة 548هـ في خلافة المقتفي فجدد تأزيها وجعل الرخام حولها قامة وبسطه وجعل لها شباكا من خشب الصندل والانبوش⁽²⁾ وأداره حولها مما يلي السقف، وفي سنة 654هـ في عهد الخليفة المستعصم بالله وقعت حادثة حريق في المسجد النبوي الشريف أدى إلى وقوع السقف الذي كان على أعلى الحجرة في البيت الشريف، فأمر الخليفة بإصلاحه فسقفوا الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل.

وفي سنة ثمان وسبعين وستمائة (في أيام الملك المنصور قلاوون الصالح) عملت

(1) الأزرق والتأزير: التقوية. والحجرة بالضم: الغرفة لأنها تحجر من فيها. والرخام: ضرب من الحجر يمكن صقل سطحه بسهولة.

(2) الصندل: جنس من الشجر هندي أبيض الزهر يحمل ثمرا فيه عناقيد وله حب أخضر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالدلك أو بالإحراق مرغوب فيه جدا ولخشبه ألوان مختلفة: أحمر وأصفر وأبيض، أحمر الأصفر ثم الأصفر وأبرده الأبيض. والانبوش (بالضم) - أو الأبنوس - نوع من الشجر.

قبة على ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة وهي مربعة من أسفلها مثمثة من أعلاها؛ وجددت هذه القبة في عهد عبد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وأحكمت في عهد عبد الملك الأشرف سنة خمس وستين وسبعمائة. وفي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة أقر السلطان الأشرف احتياج المسجد للعمارة، فهدموا المقصورة⁽¹⁾ حول الحجرة فظهر فيها الهدم الذي حصل من الحريق فنظفوه وابتدأوا بإعادة بناء الحجرة. وفي سنة ست وثمانين حدث حريق آخر في المسجد النبوي فاشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة فذاب الرصاص⁽²⁾ من القبة التي يسقف المسجد الأعلى واحترقت أخشابها وسلمت الحجرة الشريفة؛ ثم شرع في تجديد البناء وجعلوا على ما يحاذي الحجرة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقودا من الآجر⁽³⁾ بدلا من القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق وأحدثوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذي عليه القبة من تلك الناحية وأعادوا ترخيم الحجرة وما حولها ووضعوا شبابيك من النحاس. وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف (في زمن السلطان العثماني محمد بن عبد الحميد) جدد بناء القبة حيث حصل فيها شقوق في أعلاها، فهدموها من أعلى وأعادوا بناءها، وهي الآن على ما بنيت عليه في العهد العثماني. وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف في عهد السلطان عبد الحميد العثماني صبغت القبة باللون الأخضر وصارت تعرف بالقبة الخضراء.

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود جرى بعض الترميمات والإصلاحات في

(1) المقصورة: الدار الواسعة المحصنة، ومقصورة الدار: حجرة من حجرها.

(2) الرصاص (بالفتح): معدن معروف سمي بذلك لتداخل أجزائه.

(3) الآجر: ما يبنى به من الطين المشوي.

الاسطوانات التي في داخل الحجرة الشريفة. والحجرات حاليا ضمن حاجز نحاسي ملون باللون الأخضر مكتوب في أعلاه قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾⁽¹⁾ وفيها ثلاث طاقات الأولى موازية لقبر الرسول ﷺ ، والثانية لقبر أبي بكر الصديق، والثالثة لقبر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وجرى في العهد الحالي تجديد كسوة اسطوانات الروضة بالرخام المزخرف الجميل وعلى الاسطوانة التي على يمين المسلم على النبي ﷺ مكتوب:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم⁽²⁾

وقول الناظم رحمه الله ومن لفيف الليف.. إلخ، أشار به إلى أنه صلى الله عليه وسلم — رغم أنه كان على أعلى درجة من العظمة وأنه وصفه ربه جل وعلا بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾⁽³⁾ — كان مثالا للزهد في الدنيا والرغبة في العقبى، يرضى بما أعطاه الله لا يتطلع إلى ما عند الناس ولا يمد عينه إلى ما متعهم الله به من زهرة الحياة الدنيا ليفتنهم فيه، ولا يهتم بمأكله ومشربه وملبسه ومسكنه لأن ذلك ليس هدفا له وإنما يأخذ منه ما تيسر دون مبالغة أو مفاخرة، فقد كان فراشه صلى الله عليه وسلم في تلك الحجرات بعيدا عن زهرة الحياة الدنيا وزخرفها. فقد روى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر قال: سألت عائشة ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: من آدم حشوه من ليف، وسألت حفصة ما كان فراش رسول الله

(1) الحجرات: الآية: 3.

(2) القاع: الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال. والأكام والأكم: جمع أكمة وهي التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعا مما حوله.

(3) القلم: الآية: 4.

صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحاً⁽¹⁾ تثنيه ثنيتين فينام عليه. وعن عائشة قالت: كانت لنا حصيرة نبسطها بالنهار وتتحجرها بالليل. وعن ابن مسعود: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فبكيت، فقال: «ما يبكيك»؟⁽²⁾ قلت: كسرى وقيصر على الحرير والديباج⁽³⁾ وأنت نائم على هذا الحصير يا رسول الله بأبي أنت وأمي لو كنت آذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك منه، فقال: «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»⁽⁴⁾.

وروى الحاكم عن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة وإن بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً وإن فوق رأسه لإهاباً عطينا وفي ناحية المشربة قرط⁽⁵⁾، فسلمت عليه وجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرُّ الذهب وفرش الديباج والحرير؛ فقال: "أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وهي وشيكة الانقطاع وإنما قوم ادخرت لنا طيباتنا في آخرتنا"⁽⁶⁾. وإلى هذا أشار الناظم بقوله ولأخراه استعد. والله أعلم.

ثم رجع إلى سرد بعض أعيان بني غنم بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

-
- (1) مسحاً: بكسر الميم وسكون السين: ثوب خشن من صوف أو كساء من شعر يلبسه الزهاد والرهبان.
(2) أخرجه مسلم.
(3) الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من حرير.
(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده.
(5) المشربة: غرفة يرقى عليها، والخصفة (بالتحريك): وعاء من خوص. والعطين: المتغير المتين. والقرط (محركة): ورق السلم الذي يدبغ به. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم لم يعب مضطجعا قط إن أفرش له اضطجع وإلا اضطجع على الأرض - [نزهة الأنكار].
(6) أخرج نحوه مسلم وأحمد. ووشيكة الانقطاع: أي سريته.

زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَتِيمًا الْمَرِيدِ آضَ لَخَيْرِ الْخَلْقِ خَيْرَ مَسْجِدِ
 عَوْفٌ مَعُوذٌ مَعَاذُ اشْتَهَرُوا بِأُمَّهِمْ عَفْرَاءَ وَعَمْرًا عَفْرُوا
 وَمُضْحِكُ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَةِ حَوْلًا نَعِيمَانُ أَخُو الدُّعَابَةِ

قوله زيد بن ثابت: مبتدأ حذف خبره، تقديره ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت. وقوله يتيما (بالرفع بالألف): تثنية يتيم، عطف على زيد بن ثابت بحذف العاطف وحذفت نونه لإضافته للمريد؛ واليتيم من الناس الذي فقد أباه وهو صغير لم يبلغ مبلغ الرجال. والمريد (بوزن منير): موضع تجفيف التمر، ويرادفه الجرين (كأمير) والبيدر والاندر. وقوله آض (بالضاد المعجمة): بمعنى صار. وخير مسجد (بالنصب): خير آض.

وقوله عوف: مبتدأ خبره مقدر أيضا أي ومن بني مالك بن النجار عوف. وقوله معوذ معاذ: معطوفان على عوف بحذف العاطف. وقوله اشتهروا بأهمهم: أي بالنسبة إليها، إذ عرفوا ببني عفراء؛ وعفراء بالمد - وقصره ضرورة - بدل من أهمهم. وعمرا (بالنصب): مفعول به مقدم لعفروا، والمراد بعمرو هنا أبو جهل عمرو بن هشام. وقوله عفروا (بتشديد الفاء): أي ضربوا به العفراء وهي الأرض؛ والمراد أنهم قتلوه يوم بدر. وقوله ومضحك (بالرفع): عطف على عوف، وهو اسم فاعل من أضحكه إذا حملة على الضحك. ونعيمان (بصيغة التصغير): بدل من مضحك. وحولا: أي سنة. وذو الدعابة: صفة نعيمان، والدعابة (بضم الدال المهملة): المداعبة وهي اللعب والمرح.

يقول ومن بني مالك بن النجار ثم من بني غنم منهم: زيد بن ثابت وسهل وسهيل، أبناء رافع، وعوف ومعوذ ومعاذ بنو عفراء، ونعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاريون.

زيد بن ثابت

أما زيد فهو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الصحابي الجليل، أمه النوار بنت مالك بن صيرمة من بني عدي بن النجار، مات عنه أبوه ثابت يوم بعث وهو ابن ست سنين، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة؛ واستصغره صلى الله عليه وسلم يوم أحد؛ وأول مشاهدته الخندق. وكان حين قدوم النبي ﷺ قد قرأ سبع عشرة سورة فقرأ عليه فأعجبه ذلك. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكتب أيضا لأبي بكر وعمر؛ وتولى قسم المغام يوم اليرموك واستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات في حجتين وفي خروجه إلى الشام، وكان عثمان يستخلفه أيضا على المدينة إذا حج وولاه بيت المال وكان يحبه؛ وكان زيد عثمانيا ولم يكن فيمن شهد شيئا من مشاهد علي مع الأنصار، وكان مع ذلك يفضل عليا ويظهر حبه. وكانت بيده راية بني مالك بن النجار في تبوك؛ وكانت أولا مع عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان فأخذها منه النبي ﷺ ودفعها لزيد بن ثابت، فقال له عمارة: يا رسول الله أبلغك عني شيء؟! قال: «لا ولكنه أكثر منك أخذنا للقرآن والقرآن مقدم»⁽¹⁾.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لزيد: «إنني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا فتعلم السريانية»، قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوما⁽²⁾. وروي أيضا أنه قال له: «تعلم كتاب اليهود فما أنا آمنهم على كتابي»، قال ففعلت فما

(1) ذكر بعضه في الإصابة.

(2) رواه ابن حميد في مسنده - [كما في الإصابة].

مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له⁽¹⁾. وكان ترجمان رسول الله ﷺ بالفارسية والرومية والحبشية، وقد تعلم جميعها بالمدينة؛ وتعلم رضي الله عنه العلم وتفقه في الدين فكان من جلة علماء الصحابة وكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقرآن والفرائض، وكان من الراسخين في العلم. روي أن ابن عباس - على جلالة قدره وسعة علمه - كان يأتيه في بيته للأخذ عنه ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي؛ وأخذ مرة بركاب زيد فنهاه زيد فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا؛ فأخذ زيد بكف ابن عباس وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وكان أحد الذين جمعوا القرآن في الصحف في عهد أبي بكر لما استحر القتل في القراء يوم اليمامة، وقال له أبو بكر: إنك شاب عاقل لا تهتمك. قال: فجعلت أجمع القرآن من العشب والرقاع⁽²⁾ وصدور الرجال حتى وجدت آخر آية من التوبة مع رجل يقال له: خزيمة أو أبو خزيمة.

ولما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان واتفق رأيه ورأي الصحابة أن يردوا القرآن إلى حرف واحد، وقع اختياره على حرف زيد فأمره أن يملي المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، وكانوا يقولون: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين القراءة والفرائض. وروى عن رسول الله ﷺ نحواً من اثنين وتسعين حديثاً وروت عنه جماعة من الصحابة والتابعين. وروى أن مالكا بن أنس قال: كان زيد بن ثابت إمام الناس عندنا بعد عمر بن

(1) أخرجه البخاري تعليقا، والبخاري وأبو يعلى - [كما في الإصابة].

(2) العشب (بضمين وتسكن السين): جمع عسيب جريدة النخل كشط خوصها. والرقاع: جمع رقعة: القطعة من الورق يكتب فيها.

الخطاب - يعني بالمدينة - وكان إمام الناس بعده عندنا عبد الله بن عمر. ومناقب زيد بن ثابت لا تحصى. واختلف في وقت وفاته؛ قيل مات سنة خمس وأربعين وصلى عليه مروان؛ ويوم مات قال فيه أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. ورثاه حسان بن ثابت، فقال:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

ومن ولد زيد: خارجة؛ أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين، وسليمان ويحيى وعبد الله وعبد الرحمن وسليط وسعد وزيد، قتلوا كلهم يوم الحرة. ومن ولد ولده: عبد الله بن خارجة بن زيد، كان من علماء المدينة، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت ولي قضاء المدينة أيام يزيد بن عبد الملك.

وأما يتيما المرير فهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو⁽¹⁾ بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجارين، كانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة النجاري، وقيل في حجر معاذ ابن عفراء - كما تقدم - وقيل بل في حجرهما معا، ولذا قال لهم رسول الله ﷺ: «يا بني النجار ثامنوني حائطكم» - كما مر.

أما سهل فشهد أحدا وهو صاحب الصاع خرج بزكاته صاع تمر⁽²⁾ وأتى بابنته عميرة إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي ولها بالبركة فما لي غيرها، ففعل صلى الله عليه وسلم. ومات في خلافة عمر رضي الله عنهما. وأما سهيل فشهد بدرا

(1) كما في الإصابة والاستيعاب وغيرهما، وفي رواية ابن إسحاق أنهما ابنا عمرو.

(2) روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب مرة في الصدقة وحض عليها، فتصدق بعض الصحابة بأربعة آلاف درهم وتصدق آخر بمائة وسق من تمر، فلمزهما المنافقون وقالوا: ما هذا إلا رياء، ثم جاء صحابي آخر بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع، وفي رواية: إن الله لغني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ الآية.

وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وقتل بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وأما عوف ومعوذ ومعاذ بنو عفراء، فهم بنو الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجاريون.

أما عوف فقد مر التعريف به في الستة الذين أسلموا بالعقبة فكانوا أول الأنصار إسلاما. وأما أخوه معوذ فشهد بدرا واستشهد بها قتله أبو مسافع ولم يعقب رضي الله عنه. وأما أخوهما معاذ فشهد بدرا والمشاهد بعدها؛ وروي أنه أعتق ألف نسمة وعاش إلى زمان عثمان رضي الله عنه، وقيل مات في خلافة علي بن أبي طالب (وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة الأولى)، واشترك مع أخيه معوذ في قتل أبي جهل يوم بدر فضرباه حتى برد⁽¹⁾. روي عن عبد الرحمن بن عوف قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما⁽²⁾، فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ فقال: أنبتت أنه يسب رسول الله ﷺ.. والذي نفسي بيده لو رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا؛ قال عبد الرحمن: فعجبت، ثم غمزني الآخر فقال مثلها؛ فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان.. هذا صاحبكما الذي تسألان عنه؛ فابتدراه بأسيا فهما فضرباه حتى أردياه قتيلا.

وظاهر كلام الناظم رحمه الله أن بني عفراء هؤلاء الثلاثة اشتركوا في قتل أبي جهل والمشهور أن الذي اشترك في قتله معوذ ومعاذ، فلعل عبارته من باب إطلاق

(1) برد: أي مات.

(2) رجل أضلع: شديد غليظ عظيم الخلق، والمعنى: تمنيت أن أكون بين رجلين أقوى من اللذين كنت بينهما.

اللفظ العام وإرادة الخاص وهو سائغ وشائع.

وأما أمهم عفراء التي اشتهروا بالنسبة إليها، فهي بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجارية - كما مر - فهي أيضا من بني مالك بن النجار أسلمت وبايعت فكانت صحابية جليلة، ولها خصوصية لم تكن لغيرها وهي أنها تزوجت بعد الحارث بن رفاعة هذا الكبير بن عبد ياليل الليثي فولدت له أربعة: إياسا وعاقلا وخالدا وعامرا؛ أسلموا وصحبوا وشهدوا بدرا كلهم، وكذلك إخوتهم لأهمهم: عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحارث بن رفاعة المذكورون فتحصل من هذا أنها صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرا مع النبي ﷺ، وهذه مزية لهم انفردوا بها.

نعيمان بن عمرو وبعض دعابته

وأما مضحك النبي ﷺ فهو نعيمان بالتصغير، وقيل نعمان بالتكبير، بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري؛ كان من قدماء الصحابة، حضر العقبة الثانية وشهد بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ. وكان رضي الله عنه مضحكا مزاحا⁽¹⁾ وكانت له في ذلك أخبار ظريفة ودعابات طريفة؛ من ذلك ما روي من أنه كانت لا تدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ وقال: هذه هدية لك، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها منه أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول له صلى الله عليه وسلم: «أو لم تهده لنا»⁽²⁾؟ فيقول: نعم ولكن

(1) المضحك (بالكسر): الكثير الضحك. والمزاح (بتشديد الزاي): الكثير المزاح وهو المداعبة.

(2) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة.

لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكله، فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه.

وروي أيضا أنه اشترى مرة ناقة كوماً من أعرابي بنسيئة⁽¹⁾ فنحراها وبعث منها هدايا إلى أزواج النبي ﷺ ، فلما حل دين الأعرابي جاء إلى نعيان فطالبه بثمن ناقته، فقال: ليس عندي شيء، فقال: بيني وبينك النبي ﷺ ؛ فلما أتياه أقر نعيان، فقال له رسول الله ﷺ: «قم فاقضه حقه»⁽²⁾ فقال نعيان: تأكلون أنتم مطاياها وأعطيه أنا الثمن! فضحك صلى الله عليه وسلم وضمن للأعرابي ثمن ناقته. وقد روي أيضا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج مرة في تجارة إلى بصرى ومعه قوم منهم نعيان هذا وسويط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي، فجعل أبو بكر سويطا على الزاد، فجاءه نعيان يوما يشتكي الجوع - وأبو بكر غائب - فقال لسويط: أطعمني ، فقال: لا حتى يرجع أبو بكر، فألح عليه فامتنع ؛ فذهب نعيان إلى أعراب بجوارهم وقال لهم: هل تشترون غلاما عربيا فارها⁽³⁾؟ قالوا: نعم، قال: إنه ذو لسان وسوف يقول أنا حر وكذا وكذا.. فإن كنتم تاركه لذلك فمن الآن لا تفسدوا عليّ عبدي، فقالوا: بل نبتاعه؛ فاشتروه منه بعشر قلائص فذهبوا معه، وأقبل نعيان يسوق القلائص حتى وصلوا إليه، قال: دونكم هو هذا - وكان سويط أسود أو قريبا من السواد - فقالوا له: هلم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: اشتريناك من هذا الرجل، فقال سويط: هذا كاذب ويستهزئ بكم أنا حر ولست بعبد، قالوا: قد أخبرنا

(1) كوماً: أي ضخمة السنم. ونسيئة: أي تأخير دفع الثمن.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

(3) فارها: ماهرا حاذقا ونشيطا خفيفا.

خبرك! وجعلوا حبلا في عنقه، فلم يقاومهم لما رأى منهم من الإصرار والتصميم. فلما جاء أبو بكر سأل عن سويبط، فقال له نعيمان: بعته بهذه القلائص، فضحك أبو بكر وساق القلائص هو وأصحابه إلى أهلها واستخلصوا منهم سويبطا. ولما قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة ذكروا له القصة أضحكهم سنة. وإلى ذلك أشار بقوله ومضحك النبي والصحابة حولا.. الخ.

ومن دعابته أيضا ما روي من أن مخزومة بن نوفل قام يوما في المسجد يريد أن يبول، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فصاح به الناس المسجد المسجد، فأخذ نعيمان بن عمرو وتنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد وقال له: بل ههنا، قال فصاح به الناس، فقال: ويحكم فمن أتى بي إلى هذا الموضع؟ فقالوا: نعيمان، قال: أما إن الله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت؛ فبلغ ذلك نعيمان، فمكث ما شاء الله ثم أتاه يوما - وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد - فقال لمخزومة: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان - وكان إذا صلى لا يلتفت - فقال: دونك هذا نعيمان، فجمع يده بعصاه فضرب عثمان فشجه فصاحوا به: ضربت أمير المؤمنين!!.. إلى غير ذلك. وفي بعض الروايات المشهورة في النظم:

ومضحك النبي والصحابة في حادثة نعيمان ذو الدعابة

ولعلها تشير إلى ما روي من أن نعيمان هذا مات في حياة النبي ﷺ وأنه حضر جنازته، فلما انصرفوا منها ضحك النبي ﷺ فسأله الصحابة: ما يضحكك؟ فقال: «إن نعيمان عندما جاءه الملكان قال: لم تنتظروا ذهاب قومي عني»، فضحكوا فقال: «رحم الله نعيمان يضحكنا حيا وميتا». والمشهور أن نعيمان هذا بقي حتى توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه؛ ومما يدل على ذلك المسألة الأخيرة التي ذكرنا من دعابته لأنها كانت في خلافة عثمان. والله أعلم.

ولما أنهى الكلام على بني غنم بن مالك بن النجار أخذ يتكلم على بني أخيه عمرو بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله:

مِنْ مَالِكٍ أَيْضًا أَبِي الْقَارِيُّ أَوْسٌ وَحَسَّانُ أَخُوهُ الدَّارِيُّ
عَنِ النَّبِيِّ بِلِسَانٍ لَقَلِقٍ بِمَدْحِ أَفْضَلِ الْأَنَامِ مَفْلِقٍ
وَهُوَ إِلَى أَرْبَةِ يَمُدُّهُ وَجَبْرَيْئِيلُ تَارَةً يُمِدُّهُ
وَعَنْ بَنَاتِ عَائِدِ الرَّحْمَنِ أَخِيهِ حَازَ الْإِرْثَ عَنْ هَوَانٍ
لَهُنَّ فَاشْتَكَّتْهُ لِلْعَدْنَانِي أُمَّ بَنَاتِهِ ، وَبِالْقُرْآنِ
وَرَثَهُنَّ الْهَاشِمِيُّ وَالْإِنَاثُ لَيْسَ لَهُنَّ قَبْلُ حَظٌّ فِي التُّرَاثِ

قوله أبيّ (بوزن قصي): مبتدأ خبره المجرور قبله. والقارئ: الحافظ للقرآن المتقن للقراءة وهي صفة لأبيّ؛ وإنما وصفه بها لأنه كان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى. وأوس (بالرفع): عطف على أبيّ بحذف العاطف. وحسان: عطف عليه أيضا. وأخوه: صفة لحسان، والضمير فيه عائد على أوس. والداري: صفة لحسان أيضا، اسم فاعل من درأ عن فلان إذا دفع عنه ومنعه. ولسان لقلق (بوزن جعفر): فصيح أو حديد طويل. وقوله مفلق (بصيغة اسم الفاعل): أي آت بالعجب وهو صفة للسان أيضا. وقوله بمدح أفضل.. إلخ: متعلق بمفلق. وقوله وهو: أي حسان. والأرنية: طرف الأنف. ويمده الأولى (بفتح الياء وضم الميم): مضارع مده إذا بسطه. وتارة: أي وقتا. ويمده الأخيرة (بضم الياء وكسر الميم): مضارع أمده إذا أعانته.

أبيّ بن كعب

يعني أن من بني مالك بن النجار أيضا القارئ المشهور أبيّاً بن كعب وأوسا وحسانا ابني ثابت بن المنذر النجارين.

أما أبي فهو أبو المنذر أبي بن كعب⁽¹⁾ بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الصحابي الجليل، شهد العقبة الثانية وباع بها النبي ﷺ، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى؛ وفي الحديث: «أقرأ أمي أبي»⁽²⁾. وروي عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن»، وفي رواية «أعرض عليك القرآن»، فقال أبي: «الله سمي لك؟ فقال: «نعم»؛ فجعل أبي يبكي، وقرأ عليه رسول الله ﷺ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾⁽³⁾، وقيل قرأ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾⁽⁴⁾ إلى آخر السورة.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم سأله: «أي آية معك في كتاب الله تعالى أعظم؟» فقال أبي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾⁽⁵⁾ فضرب صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: «ليهتك العلم أبا المنذر»⁽⁶⁾. وكان أبي قبل الإسلام من الأجداد مطلعًا على الكتب القديمة يكتب ويقرأ، على قلة العارفين بالكتابة في عصره؛ ولما أسلم كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان من أول من كتب له مقدمه إلى

(1) من بني جديلة (بوزن جهينة وبالحاء المهملة) وهي بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وهي أم معاوية بن مالك بن النجار؛ فبنو معاوية ينسبون إليها — [سيرة ابن هشام].

(2) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(3) يونس: الآية: 58، والحديث رواه البخاري ومسلم.

(4) البينة الآية: 1.

(5) البقرة: الآية: 255.

(6) أخرجه مسلم وأحمد.

المدينة، وكان يكتب له إلى الناس هو وزيد بن ثابت - كما مر - وكان أحد فقهاء الصحابة وأحد أصحاب الفتيا منهم؛ بل كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ، وكان عمر يسأله عن النوازل ويسميه سيد المسلمين، وهو الذي كتب له كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس، وكان يتحاكم إليه في المعضلات. وروى عنه جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عباس وأبو هريرة وأنس وأبو أيوب وعبادة بن الصامت وغيرهم.. وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم. وكان رضي الله عنه ربعة أبيض الرأس واللحية لا يغير شيبه؛ واختلف في وقت وفاته، فقيل مات بالمدينة في خلافة عمر حوالي سنة عشرين، وقيل في صدر خلافة عثمان وإنه كان ممن أمرهم عثمان بجمع القرآن. ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

وابن عم أبي هذا عمرو بن طلحة بن الحارث بن كعب بن معاوية سيد بني مالك بن النجار في الجاهلية، أسلم وهو شيخ كبير وتوفي يوم مقدم النبي ﷺ من بدر. **وأما أوس** فهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه بنت حارثة بن لوذان بنت عم الفريعة، والدة أخيه حسان. شهد أوس بن ثابت العقبة الثانية وبدرا وأحدا واستشهد به على الأثبت، وفيه يقول أخوه حسان بن ثابت من قصيدة له:

ومنا قتيلا الشعب أوس بن ثابت شهيدا وأسنى الذكر منه المشاهد

ومن أوس بن ثابت هذا ابنه شداد بن أوس، الذي قال فيه أبو الدرداء وعبادة بن الصامت إنه ممن جمع الله له العلم والحلم؛ وسكن شداد هذا بالشام بناحية فلسطين وبها توفي سنة ثمان وخمسين، وروى عنه أهل الشام وهو راوي حديث سيد الاستغفار وهو: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ من قالها من النهار موقنا بها

فمات قبل أن يمسي دخل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"⁽¹⁾.

حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ

وأما حسان فهو أبو عبد الرحمن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي النجاري، أمه الفريعة (بصيغة التصغير) بنت خالد بن خنيس بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الأنصارية الخزرجية، أسلمت وبايعت، وكان يعرف بها فيقال له: ابن الفريعة. وكان رضي الله عنه من المخضرمين عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام⁽²⁾ وكان أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام كلهم كذلك: عاش مائة وعشرين سنة. وكان جده المنذر بن حرام ممن تحاكت عليه الأوس والخزرج في بعض حروبهم.

(1) أخرجه البخاري، والترمذي والنسائي، وسيد الاستغفار أي أفضله وأعظمه نفعا وتسميته بذلك من التعبديات، وفيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف وذكر العبد بأنقص الحالات وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو، وقوله: على عهدك إلخ: قيل المراد بالعهد: العهد الذي أخذه الله على عباده في قوله جل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: إن من مات لا يشرك بالله شيئا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة. وقوله: أبوء أي أقر وأعترف. وقوله: موقنا بها: أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها. [البدر العيني].

(2) وللشيخ حماد بن الأمين:

لقد عاش م الأصحاب ستين سنة	ضلالا وعاشوها على خير مذهب
سعيد بن يربوع حكيم حويطب	ومخرمة الزهري وحسان يعرب
وفي العد خلف في ليبد وحنن	بهم أتقى الأسوا وأغنم مطلي

ونشأ حسان في الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك فحولها فكان معدودا منهم، بل فاق الكثير منهم؛ ومن أدرك النابغة الذبياني والأعشى وأنشداهم من شعره وكلاهما قال له: إنك شاعر؛ وكان يمدح الملوك وخاصة المناذرة والغساسنة في الجاهلية ويرحل إليهم فينال العطايا الجزيلة منهم، وأكثر من ينتجع منهم ويمدحه آل جفنة الغسانيين لما بينه وبينهم من صلة النسب وقرب الجوار، فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم بعد أن أسلم وهم إذ ذاك مازالوا نصارى - كما مر في قصة جبلة بن الأيهم - ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم وأخذت شعراء من قريش وغيرهم يهجون رسول الله ﷺ ويعيبون الإسلام، عند ذلك قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله - صلى الله عليه وأخذه بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء - وكان طويل اللسان يضرب به طرف أنفه - فقال له رسول الله ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم؟» فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين⁽¹⁾، فقال له صلى الله عليه وسلم: «إئت أبا بكر فإنه أعلم بأنسَاب القوم منك»⁽²⁾؛ فكان يأتي أبا بكر فيوقفه على أنسابهم ويقول له: كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة.. وجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعره قالوا: إن هذا لشعرٌ

(1) أخرجه مسلم بلفظ مقارب. والعجين: الدقيق المعجون بالماء، ومعنى لأسلنك منهم إلخ أي لأخلصن نسبك من هجوهم بحيث لا يبقى شيء من نسبك في نسبهم الذي ناله الهجو كما أن الشعرة إذا سلت من العجين لا يبقى منها شيء فيه بخلاف ما لو سلت من شيء صلب فإنها ربما انقطعت فبقيت منها فيه بقية.

(2) أخرجه مسلم.

لم يغب عنه ابن أبي قحافة!

فكان حسان يمدح رسول الله ﷺ ويذوب عنه ويحسب كل من هجاه، وكان يهجو قريشا وشعراءهم وساداتهم ذودا عن رسول الله ﷺ. وكان ممن انتدب معه من شعراء الأنصار لهجو المشركين عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكran مثالهم؛ وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم. فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قول حسان فيهم أشد عليهم من وقع النبيل»⁽¹⁾.

وكان لسانه كالسيف القاطع يقطع السنة الأعداء، بل كان لسانه يبلغ في أعدائه ما لا يبلغ السيف لشدة تأثير شعره فيهم، وكان شعره كالبحر الصافي بعيد الغور غزير الماء لا تكدره الدلاء فهو كما قال عن نفسه:

لساني صارم لا عيب فيه وبجري لا تكدره الدلاء

وقال:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وقال:

نسبي أصيل في الكرام ومذودي تكوي مواضعه جنوب المصطلي⁽²⁾

والمذود اللسان لأنه يذاد به عن العرض.

(1) أخرجه مسلم.

(2) المواسم والمياسم: جمع ميسم وهي الآلة التي يوسم بها كالمكواة، وجنوب بضم الجيم: جمع جنب للناحية والشق، والمصطلي: المستدفى بالنار.

ودافع حسان بن ثابت عن النبي ﷺ بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم، فكان لقوله من النكايه في قريش وأعداء الإسلام أحسن بلاء وأحمد أثر، فعرف بشاعر رسول الله واشتهر بذلك؛ وقد وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: كان والله رسول الله ﷺ كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت:

نور أضاء على البريئة كلها من يهد للنور المبارك يهتد

وكما قال:

متى بيد في الداجي البهيم جينه⁽¹⁾ يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكال للمحد

وقال فيه أبو عبيدة: فضّل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام، قال: وأجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت. ومما قال في المنافة⁽²⁾ عن رسول الله ﷺ والذب عنه قصيدته المشهورة التي مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عنراء منزلها خـلاء

إلى أن يقول:

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء⁽³⁾
فُنَحِّمُ بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء⁽⁴⁾

(1) الداجي: الليل الذي عمت ظلمته وألبس كل شيء. والبهيم: الذي لا ضوء فيه إلى الصباح. والجيين: الجهة.

(2) المنافة: المدافعة والمناضلة.

(3) لنا: يعني معشر الأنصار. ومن معد: يريد قريشا لأنهم عدنانيون.

(4) نحكم: أي نمنع، قال جرير: ابني حنيقة أحكموا سفهاءكم إنني أخاف عليكم أن أغضبا وحين تختلط الدماء: أي حين تلتحم الحرب.

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
ومن مدحه له صلى الله عليه وسلم قوله:

وأحسن منك لم ترقط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومنه قوله:

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير افناد⁽¹⁾
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بدممة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
مصدقا للبين الألى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي⁽²⁾ .. إلخ.

وكان رضي الله عنه يمدح من يرتضيه من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وابن عباس والزبير بن العوام رضي الله عنهم؛ وله في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزْنُ بِسِرِّيَّةٍ وَتُضِيحُ غَرْتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ⁽³⁾
حَلِيلَةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا نَبِيَّ الْهَدَى وَالْمَكْرَمَاتِ الْقَوَاضِلِ
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا⁽⁴⁾ وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَيَاطِلِ

(1) الافناد: الكذب والباطل.

(2) الجادي: سائل الجدوى وهي العطية.

(3) حَصَانٌ (يفتح الحاء) يكثر في أوصاف الموث من التحصن وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ومعناه العفيفة. والرزان: القليلة الحركة والكاملة العقل. وتزن: تتهم. والغرثى: حميصة البطن. والغوافل: العفاف الغافلة قلوبهن عن الشر أي خالية البطن من اغتياب الناس.

(4) المهذبة: المطهرة الأخلاق النقية من العيوب. والخيم (بالكسر): الطبيعة والسحبة.

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِّي
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تَطِيرٍ بِهَا الدَّهْرَ بَلْ قَوْلُ امْرِئِي بِي مَاجِلٍ⁽¹⁾
فَكَيْفَ وَوَدِّي مَا حَيَّيْتُ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولَ اللَّهِ زَيْنَ المَحَافِلِ
لَهُ رُتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهَا سَوْرَةُ المِتَطَاوِلِ⁽²⁾
رَأَيْتُكَ وَبِغْفِرُكَ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً مِنَ المُحْصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ غَوَائِلِ⁽³⁾

وأكثر شعره في المدح والهجاء والفخر، ويغلب على الفخر في شعره فخره بنفسه وقومه وعشيرته، وقد مر بعض ذلك. وكان ابنه عبد الرحمن بن حسان شاعرا، أمه سيرين بنت شمعون القبطية أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وكان لعبد الرحمن هذا ابن اسمه سعيد بن عبد الرحمن شاعرا وكان يقال أعرق قوم في الشعر - أو أهل بيت في الشعر - آل حسان فهم ستة في نسق كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، ثم كانت العراقة في الشعر بعدهم لآل أبي حفصة مولى عثمان بن عفان فكانوا عشرة شعراء على نسق، وهم: متوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن الحبوب بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة المذكور.

ومن شعر حسان قوله:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد
ولا بنه عبد الرحمن بن حسان:

(1) لائط: أي لاصق. ومحل به (بتثليث الحاء): سعى به إلى الأمر وكاده أو بهته وقال انه قال شيئا لم يقله.

(2) السورة: رتبة رفيعة من الشرف.

(3) المحصنات: جمع محصنة وهي العفيفة، ويطلق الإحصان على العفة كما في قوله تعالى ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مَسَافِحَاتٍ﴾ وعلى الحرية كما في قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ المَحْصَنَاتِ﴾ وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ وعلى التزويج كما في قوله ﴿والمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾. والغوائل: جمع غائلة وهي الشر والفساد والمهلكة.

وإن امرأ نال الغنى ثم لم ينل صديقاً ولا ذا حاجة لزهيد
ولابنه سعيد بن عبد الرحمن:

وإن امرأ لاحى الرجال على الغنى ولم يسأل الله الغنى لحسود
ومن جيد شعر حسان ما ارتجله بين يدي النبي ﷺ حين قدوم وفد بني تميم،
وقام شاعرهم الزبيرقان بن بدر وقال:

نحن الملوك فلا شيء يقاربنا
فنحن نطعمهم في القحط ما أكلوا
وننحر الكوم عَطَا في أرومتنا⁽³⁾
تلك المكارم حزناتها مقارعة
فقام حسان وأنشد ارتجالاً:

إن الذوائب من فهر⁽⁴⁾ وإخوتهم
يرضى بها كل من كانت سريرته
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
لو كان في الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
قد يئنون سُنناً للناس تتبع
تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
أو حاولوا النفع في أشياعهم⁽⁵⁾ نفعوا
إن الخلائق - فاعلم - شرها البدع⁽⁶⁾
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

(1) جمع بيعة: متعبد اليهود.

(2) العبيط (كأمير): الذبيحة تنحر وهي سمينة فتية من غير علة. والقزع: الغيم أي إذا لم ير المطر وذلك آية القحط.

(3) الكوم جمع كوما: وهي عظيمة السنام. وعبطا: أي من غير علة بها ولا كسر. والأرومة: الأصل.

(4) الذوائب: الأعالي والمراد بها هنا السادة. وفهر هو ابن مالك بن النضر جد قريش يرجع إليه نسبهم جميعاً.

(5) الأشياع: جمع شيعة الأنصار والأتباع.

(6) السجية: الغريزة وما جبل عليه الإنسان. والخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة. والبدع: المستحدث من الأخلاق (عكس الفرائض).

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضمنون عن جار بفضلهم ولا يمسهـم في مطمع طبع⁽¹⁾
أعفة ذكرت في الناس عفتهم لا ييخلون ولا يردبهم طمع
خذ منهم ما أتوا عفاوا إذا عطفوا ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم - فاترك عداوتهم - شرا يخاض إليه الصاب والسلع⁽²⁾
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره فيما يجب لسان حائك صنع⁽³⁾

وعاش حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ محبباً إلى خلفائه مرضياً عندهم يفرض له العطاء الكافي من بيت المال ممتعا بجواسه وعقله، وقد كف بصره في آخر عمره، ومات في خلافة علي رضي الله عنه قبل الأربعين، وقيل في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة.

وقول الناظم: وجبرئيل تارة يمده: أشار به إلى ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان: «اهجهم وهاجهم فإن جبريل معك»⁽⁴⁾، وقال: «إن روح القدس مع حسان ما دام ينافع عن رسول الله ﷺ»، وقال: «يا حسان أجب عن الله ورسوله اللهم أيده بروح القدس». وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقوله

(1) يضمنون: ييخلون، والطبع: الدنس والعيب، وفي الخبر: "نعوذ بالله من طمع يهدي إلى طبع".

(2) الصاب والسلع: ضربان من الشجر مران.

(3) يؤازره: يعينه ويقويه. وحاك الثوب: نسجه وحاك الشاعر القصيدة: نظمها. ولسان صنع (بالتحريك): حاذق ماهر، يقال للشاعر وكل بليغ: "هو صنع اللسان، وله لسان صنع" أي حاذق ماهر.

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

(5) أخرجه مسلم وأبو داوود، وينافع: يدافع ويناضل.

تعالى في صفة عيسى ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾⁽¹⁾ وفي الحديث «إن روح القدس نفث في روعي»⁽²⁾، ويقول حسان من قصيدة له:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء⁽³⁾

وكان حسان رضي الله عنه يرى أنه كأنما يوحى إليه بالشعر، وقد قال:

وقافية عَجَّتْ بليل رزينة تَلَقِيَتْ من جو السماء نزلها⁽⁴⁾

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها⁽⁵⁾

ويقال إن جبريل أعاناه بسبعين بيتا — [كما في الخميس].

وقوله: وعن بنات.. إلخ متعلق بحاز. وأخيه: صفة لعابد الرحمن، والضمير فيه عائذ على حسان، وفاعل حاز ضمير مستتر عائذ على حسان المتقدم ذكره. والهوان: الذل والاحتقار. والضمير في اشتكته عائذ على حسان أيضا. والمراد بالعدناني والهاشمي: رسول الله ﷺ. وقوله أم بناته: فاعل اشتكته، والضمير فيه عائذ على عابد الرحمن. وقوله بالقرآن: متعلق بورثهن. وقوله ليس هن قبل (بالبناء على الضم): أي قبل نزول القرآن. والحظ: النصيب. والتراث: الميراث.

يعني أن حسان بن ثابت لما توفي أخوه عبد الرحمن بن ثابت عن بناته أخذ ميراثه وحرم بناته منه كما كان يفعل في عهد الجاهلية، فجاءت أمهن للنبي ﷺ تشكو له ذلك، فنزلت آية الموارث من سورة النساء، فورثهن ﷺ بموجبها.

(1) البقرة: الآية: 87.

(2) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، والهيتمي وأبو يعلى والبيزار — [كما في زاد المعاد]. والروع (بالضم): القلب.

(3) أي ليس له مثل ولا نظير، يريد أنه لا يقوم له أحد.

(4) عجت: أي رفع قائلها ما صوته ليلًا. ورزينة: أي رصينة محكمة. وتلقيت.. أي أوحى إلي بها.

(5) الذي لا ينطق الشعر: أي لا يجيد حوكة.

وقد أشار الناظم بهذه الآيات إلى ما جاء في الإصابة من أن عبد الرحمن بن ثابت أخا حسان الشاعر مات وترك امرأة يقال لها أم كُحجة (بضم الكاف وتشديد الجيم) وترك خمس حوار وعصبة، فجاء العصبة وأخذوا ماله ولم يعطوا شيئاً لامرأته ولا بناته، فشكت ذلك لرسول الله ﷺ؛ وفي رواية أنها قالت: وأخذ عمُّهما مالهما كله فلم يدع لهما شيئاً، فأنزل الله تعالى آية الميراث ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾⁽¹⁾ الآية، فدعاه وقال له: «أعطهن الثلثين وأعط أمهن الثمن والباقي لك»⁽²⁾؛ وقيل الآية نزلت في بنات سعد بن الربيع — كما مر — وقيل غير ذلك. وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار ولا الضعفاء من الذكور لأنهم لا يركبون فرسا ولا يحملون كلاً ولا ينكثون عدواً، وإنما يورثون الرجال الذين يقاتلون فيحوزون الغنيمة ويحسون الحوزة⁽³⁾.

وقد نسب في الإصابة بعض خبر عبد الرحمن بن ثابت هذا للسدي ثم قال: ولم أره لغيره، ولم يذكر أهل النسب لحسان أخا اسمه عبد الرحمن. والله أعلم.

وَمَدْمِنُ الصَّيَّامِ بَعْدَ الْهَادِي وَصَوْتُهُ كَالْجَيْشِ وَهُوَ الشَّادِي:
«أَنَا أَبُو طَلْحَةَ وَأَسْمِي زَيْدٌ وَفِي سِلَاحِي كُلِّ يَوْمٍ صَيْدٌ»
وَهُوَ الَّذِي جَوَّبَ يَوْمَ أُحُدٍ بِنَفْسِهِ وَتَرَسَهُ عَنِ أَحْمَدِ
وَأَنْكَسَرَتْ فِي يَدِهِ قِيسِيُّ يَوْمَئِذٍ إِذْ نَزَعَهُ قَوِيُّ
بِيَدِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَصَمَا عَشْرِينَ وَالْبَزَّ النَّفِيسَ غَنَمًا

(1) النساء: الآية: 11.

(2) أخرجه أبو داود.

(3) الكَل: العيال والثقل. ونكأ العدو: جرحه وقتله. والحوزة: الناحية، وحوزة الرجل: ما في ملكه.

بِيرِ حَاءٍ اتَّقَى حَرًّا لَظَى إِذْ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ مِنْهُ اتَّعَظَا

قوله ومدمن (بصيغة اسم الفاعل): عطف على أبي القارئ في البيت السابق، أو مبتدأ حذف خبره؛ تقديره ومن بني مالك بن النجار أيضا مدمن الصيام، أي المداوم على الصيام. والهادي: من أسمائه صلى الله عليه وسلم. والضمير في صوته عائد على مدمن الصيام. والشادي: المنشد للشعر الرافع به صوته كالغناء. والصيد: ما يصاد ويؤخذ بجيلة. وجوب (يفتح الجيم وتشديد الواو) عن فلان بنفسه أو بترسه: وقاه بها. والترس: صفحة يحملها المقاتل معه للوقاية من السيف ونحوه. والقسى (بكسر القاف وضمها وكسر السين): جمع قوس وهي آلة من آلات الحرب على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام. ويومئذ: أي يوم أحد. والنزع: الرمي عن القوس⁽¹⁾، ونزع في القوس: مدها أي جذب وترها، وبالسهم رمى به. وقصم (كضرب): أهلك. وعشرين: مفعول به لقصم، والمراد به عشرين فارسا. والبز (بفتح الموحدة وتشديد الزاي، وبالنصب): مفعول مقدم لغنم وهو السلاح وثياب الكتان أو القطن. والنفيس: الذي يرغب فيه ويتنافس عليه والمال الكثير. وغنم (كفرح): فاز بالغنيمة. وقوله ببيرحاء (بالحاء المهملة): متعلق باتقى، وبيرحاء: بير بالمدينة⁽²⁾. واتقى: جعلها وقاية أي حاجزا بينه وبين حر لظى وهي جهنم - أعاذنا

(1) يقال رمى عن القوس ورمى عليها، ولا يقال رمى بها، وإنما جاز رمى عليها لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها.

(2) بير حاء (بضم الراء وبالمد، وروي فيها فتح الراء على كل حال): اسم لحديقة نخل كانت لأبي طلحة وكانت مستقبلية المسجد وبها بير سميت بزجر الإبل عنها، وذلك لأن الإبل يقال لها إذا زجرت عن الماء وقد رويت "حاحا" فسميت لذلك بـ"بير حاء". [الروض الأنف وصحيح الترغيب والترهيب].

الله منها. واتعظ: دخلته الموعظة⁽¹⁾.

أبو طلحة بن سهل

يقول: ومن بني مالك بن النجار ثم من بني عدي منهم أبو طلحة بن سهل الشجاع المشهور المدافع عن النبي ﷺ وهو ابن عم أوس وحسان ابني ثابت المذكورين. وأبو طلحة هذا هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه عبادة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة النجارية.

اشتهر أبو طلحة بكنيته، وكان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة وكان ممن حضر العقبة الثانية وشهد بدرًا وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة المذكورين حتى ضرب المثل بشجاعته، وكان له يوم أحد مقام مشهود، وذلك أنه لما انهزم الناس يومئذ قام بين يدي رسول الله ﷺ وترس بنفسه عنه ونثر سهامه كلها على الأرض وجعل يرمي بين يديه صلى الله عليه وسلم؛ فكان النبي ﷺ يشرف من خلفه لينظر إلى مواقع نبهه فيرفع أبو طلحة صدره ليقى به رسول الله ﷺ ويقول له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تشرف فيصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك وصدري دون صدرك؛ وكان راميا شديد الرمي والنزع وانكسرت في يده يومئذ ثلاث أقواس، وقتل ما شاء الله أن يقتل من جنود المشركين، وكان كلما رمى بسهم يصيح ويقول: يا رسول الله نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء، ورسول الله ﷺ واقف خلفه يقول: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»⁽²⁾؛ وفي رواية: «خير من مائة رجل» - [كما في

(1) الموعظة: اسم من الوعظ وكلام الواعظ جمعها: مواعظ.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، والحاكم في معرفة الصحابة.

أسد الغابة والاستبصار]. وكان رضي الله عنه صيتا وكان يرتجز ويقول:

أنا أبو طلحة واسمي زيد ... إلخ.

وشهد حنيناً وأبلى فيه بلاء حسناً. وكان النبي ﷺ قد قال: «من قتل قتيلاً فله سلبه»⁽¹⁾ فقتل أبو طلحة وحده يومئذ عشرين فارساً وأخذ أسلحتها — [كما في الخميس والاستبصار وغيرهما]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله بيده يوم حنين.. إلخ. وكان أبو طلحة هذا من أكثر الأنصار مالا، وكان له نخل كثير، وقد روي في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾، قال أبو طلحة لرسول الله ﷺ: إن أحب أموالي إليّ بئرحاء⁽³⁾ وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله.. فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «بخ بخ ذاك مال رابح»⁽⁴⁾، وأمره أن يجعلها في الأقربين؛ فتصدق بها أبو طلحة على ذوي قرابته، وكان منهم حسان بن ثابت وأبي⁽⁵⁾؛ وروي أن حسان باع حصته منها لمعاوية.

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية: «من قتل كافراً فله سلبه». والسلب هو: ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها.
(2) آل عمران، الآية: 92.

(3) يعني حديقة كانت عنده فيها بئر طيبة الماء، وقد روي أن رسول الله ﷺ شرب منها.
(4) حديث: «بخ بخ..» رواه البخاري ومسلم وأحمد. وبخ بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء وقد مر ضبطها.

(5) وفي الصحيح أن أبا طلحة دفع بئر حاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها صدقة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في الأقربين، فقسمها بين أبي وحسان، أما حسان فهو ابن عمه يجتمعان في حرام بن عمرو جدتهما الثاني؛ وأما أبي فيجتمع معه في الأب السادس لأبي وهو عمرو بن مالك، إلا أنه كان ابن عمته وهي صهيلة بنت الأسود بن حرام، فمن أجل ذلك خصه بها — [الروض الأنف].

وكان أبو طلحة رضي الله عنه كثير الصيام؛ فعن أبي زرعة قال: عاش أبو طلحة بالشام بعد وفاة النبي ﷺ أربعين سنة يسرد الصوم⁽¹⁾، وعن أنس أن أبا طلحة سرد الصوم بعد النبي ﷺ أربعين سنة، وعنه أيضا قال: كان أبو طلحة لا يكاد يصوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الغزو، فلما توفي رسول الله ﷺ ما رأيته مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى. وإلى ذلك أشار بقوله: ومدمن الصيام بعد الهادي [صلى الله عليه وسلم].

وكان أيضا كثير الجهاد، شهد المغازي مع رسول الله ﷺ والفتوح مع الخلفاء رضي الله عنهم. روي أنه قرأ يوما سورة ﴿بَرَاءَةٌ﴾ فأتى على قوله تعالى ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، فقال: لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شبابا وشيوخا، ثم قال: يا بني جهزوني جهزوني، فقالوا له: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فدعنا نغز عنك، قال: لا جهزوني، فغزا في البحر فمات فيه، فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه بها وهو لم يتغير، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين، وقيل أربع وثلاثين، وقيل توفي بعد الخمسين؛ وروى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن خالد وغيرهم..

ثم أشار الناظم إلى زواج أبي طلحة هذا من أم سليم بنت ملحان ورضاها في المهر منه بإسلامه، وبعض خصائصها وخصائص أختها أم حرام، فقال رحمه الله:

(1) يسرد يتابع بانتظام.

(2) التوبة، الآية: 41.

أُمُّ سَلِيمٍ بِنْتُ مَلْحَانَ نَحْلٍ مِنْ مَهْرِهَا أَنْ كَانَ أَسْلَمَ الْبَطْلُ
 وَوَلَدَتْ تَسْعَةَ أَحْبَارٍ لَمَّا إِذْ أُهْدِيَتْ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمَا
 وَهِيَ الَّتِي أَخْدَمَتْ ابْنَهَا أَنْسَ نَبِيْنَا وَفَضَّلَهُ مِنْهَا اقْتَبَسَ
 بَعَثَهَا نَبِيْنَا لِتَنْظُرَا مَخْطُوبَةَ لَهُ وَأَنْ تَخْتَبِرَا
 نَكَهَتْهَا بِشَمِّهَا الْعَوَارِضُ وَأَنَّ تَرَى الْعُرْقُوبَ إِذْ تُعَارِضُ
 وَأُخْتُهَا أُمُّ حَرَامٍ كَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةِ سَلِيلِ الصَّامِتِ
 تَفْلِي وَتُطْعِمُ النَّبِيَّ وَغَزَتْ وَسَقَطَتْ عَنْ بَغْلَةٍ وَهَلَكَتْ

أم سليم: مبتدأ، وبنيت ملحان (بالرفع): صفته، وملحان (بكسر الميم) اسمه مالك بن خالد. ونحل (بالحاء المهملة كسأل): أعطى ومفعوله الأول ضمير مقدر عائد على أم سليم، والمصدر المنسبك من أن (بفتح الهمزة) وصلتها في قوله أن كان أسلم: مفعول ثان لنحل. ومن مهرها: حال من المصدر المذكور. والبطل: فاعل نحل، وهو الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر فلا ينال منه ثأر؛ والمراد بالبطل هنا أبو طلحة المتقدم ذكره، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر والصفة مقام الموصوف. وجملة نحل.. إلخ: خبر عن قوله أم سليم، والمعنى أن أم سليم بنت ملحان نحلها أي جعل لها أبو طلحة إسلامه مهرا. قوله وولدت فاعله ضمير مستتر عائد على أم سليم. والأحبار: العلماء، جمع حبر (بفتح المهملة وكسرها). وقوله لما (بكسر اللام وتخفيف الميم): أي لأجل دعاء النبي ﷺ لها ولزوجها أبي طلحة بالبركة. وقوله وهي: أي أم سليم التي أخدمت ابنها أي وهبته خادما، أي عاملا. وأنس: بدل من ابنها، ووقف عليه بوقف ربيعة. ونبينا (بالنصب): مفعول ثان لأخدمت. وقوله وفضله (بالنصب): مفعول به مقدم لاقتبس، والضمير فيه عائد على أنس. وقوله منها متعلق باقتبس أيضا، والضمير فيه

عائد على الخدمة اللازمة من أخدمت، على حد قول الشاعر:

لكالرجل الحادي وقد تلغ الضحى وطير المنايا فوقهن أواقع⁽¹⁾

واقتبس الشيء: ناله.

يعني أن أم سليم بنت ملحان هذه هي زوج أبي طلحة بن سهل المذكور التي رضيت بإسلامه صداقا لها وهي أيضا أم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

أم سليم بنت ملحان وزوجها بأبي طلحة

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى بعض خبر أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة وابنها أنس بن مالك، وأم سليم هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجارية الصحابية الجليلة، اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقبيل الرميضاء، وقيل الغميضاء، وقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل مليكة، وقيل غير ذلك..

وكانت أم سليم هذه عاقلة فاضلة، وكانت قد تزوجت مالكا بن النضر في الجاهلية فولدت له أنسا ثم قتل عنها في الجاهلية، وقيل لم يزل معها حتى جاء الإسلام فأسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها مالك فغضب وقال: إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يحرم الخمر، فخرج إلى الشام فهلك به. ثم كانت أم سليم بعد ذلك إذا خطبها أحد تقول: لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس، فكان أنس يقول: جزى الله أمني خيرا لقد أحسنت ولايتي.

(1) الضمير في فوقهن: عائد على المحذوات اللازمة من الحادي، والحادي الذي يسوق الإبل ويتغنى لها.

وتلغ النهار: طلغ. والضحى: انبسط. قال ابن بونه في إهماره على الخلاصة:

واستغن عن مفسر الضمير بالكل والجزء وبالنظير

وما له صاحب مثل ما لزم منه وبالخضور كالذي علم

ولما شب أنس خطبها أبو طلحة فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤ
كافر تعبد خشبة من نبات الأرض نحتها حبشي بني فلان وأنا مسلمة لا تحل لي،
فقال: ما ذاك الذي تريدن! قالت: وما أريد؟ قال: الصفراء والبيضاء - يعني الذهب
والفضة - قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء.. فإن تسلم فذاك مهري لا أريد منك
صداقا غيره، فقال: حتى أنظر في أمري؛ فذهب ثم عاد فقال: أشهد أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، فأمرت ابنها أنسا أن يزوجهما منه، فكان إسلامه
مهرها، فقالوا ما سمعنا بمهر أكرم من مهر أم سليم، فكان أنس ربيب أبي طلحة
وروى عنه.

ثم ولدت أم سليم لأبي طلحة ابنه أبا عمير بن أبي طلحة، وكان أبو طلحة يحبه
حبا شديدا، ثم مرض أبو عمير هذا فكان أبو طلحة يدخل على أم سليم ويسألها
عن حاله ويشق عليه مرضه، ثم مات فنحته أم سليم في جانب البيت وقالت: لا
يذكرُ ذلك لأبي طلحة أحد قبلي، فجاء أبو طلحة فقال: كيف الغلام؟ فقالت: هو
أسكن ما كان هدأت نفسه وأرجو أنه استراح، فظن أبو طلحة أنه عوفي. فقربت له
العشاء فتعشى ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب منها، فلما أراد أن يخرج
قالت: يا أبا طلحة أرأيت أن قوما أعاروا أهل بيت عارية فطلبوا عاريتهم لهم أن
يمنعوهم؟ قال: ليس لهم ذلك إن العارية مردودة إلى أهلها؟ فقالت: إن الله أعارنا
غلاما ثم أخذه منا فاحتسبه عند الله؛ فاسترجع ثم خرج فصلى مع النبي ﷺ وأخبره
بما كان، فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما هذه»⁽¹⁾. ثم ولدت
غلاما فأرسلته إلى رسول الله ﷺ مع أخيه أنس وأرسلت معه تمرات، فمضغها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ من فيه وجعله في في الصبي وحنكه ودعا له

(1) رواه مسلم.

وسماه عبد الله، فبورك فيه بسبب دعاء النبي ﷺ لأبويه⁽¹⁾؛ قال أنس: فما كان في الأنصار ناشئ أفضل منه. وقد قال بعض الأنصار رأيت لعبد الله بن أبي طلحة تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن، وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد وعمرو وعمير والقاسم وزيد وعبد الله، وقد روى أكثرهم العلم وأشهرهم به أبو يحيى إسحاق بن عبد الله شيخ الإمام مالك بن أنس، كان ثقة وحجة، وكان مالك لا يقدم عليه أحدا لنبله عنده، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ وقد روى عن أبيه عبد الله عن جده أبي طلحة، وروى عنه ابنه عبد الحق وعبد الله ابنا إسحاق. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وولدت تسعة أحبار.. إلخ.

وظاهر كلامه رحمه الله أن أم سليم لما تزوجت بأبي طلحة دعا لهما النبي ﷺ بالبركة فولدت له تسعة أولاد صاروا بعد علماء، ولم أقف على هذا؛ والمعروف - فيما وقفت عليه - ما تقدم من أن أم سليم هذه تزوجت بأبي طلحة فولدت له أبا عمير بن أبي طلحة ومات فدعا لهما النبي ﷺ بالبركة، فولد لهما بعده عبد الله فظهرت فيه بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولد له تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن وحمل عنه العلم. فعلى هذا يكون في قول الناظم تجوز، لأن الدعوة المذكورة كانت بعد الزواج لا عنده - كما هو ظاهر كلامه - والأولاد المذكورون أحفاد لأم سليم وليسوا أبناءها مباشرة - كما هو ظاهر كلامه أيضا - ولكن الخطب سهل إذ غاية ما فيه كون الدعوة متأخرة عن وقت الزواج وكون الأولاد أبناء ابنها وهو مجاز ممكن، اللهم إلا أن يكون الناظم وقف على ما يوافق ظاهر كلامه في غير

(1) وفي رواية عن أنس قال: فناولته تمرات فلاكهن ثم فغرفاه ثم مجه فيه فجعل يتلمظ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حب الأنصار التمر» وسماه عبد الله. والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

ما طالعت من الكتب. والله أعلم. وقد قيل إن عبد الله بن أبي طلحة هذا ولد له سوى البنين التسعة الآنفى الذكر إبراهيم وعمارة وأربع بنات. وشهد عبد الله بن أبي طلحة هذا صفيان مع علي رضي الله عنه وقتل بفارس شهيدا، وقيل مات بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

وأما ما أشار إليه الناظم من أن أم سليم أهدت ابنها لرسول الله ﷺ يخدمه فقد مر الكلام فيه في ترجمة أنس رضي الله عنه.

وقوله: **بعثها**: الضمير فيه عائذ على أم سليم. **والمخطوبة**: المدعوة للزواج. **واختبار الشيء**: تجربته والاطلاع على حقيقته. **ونكحتها** (بفتح النون): رائحة فمها. **والعوارض**: جمع عارض، وقيل جمع عارضة: للسن التي في عرض الفم أو ما يبدو من الفم عند الضحك. **والعرقوب** (بوزن عصفور): عصب غليظ فوق العقب، جمعه عراقيب. **وإذ**: بمعنى حين. **وتعارض**: أي تسير حياها.

أشار الناظم رحمه الله بهذين البيتين إلى بعض خصوصيات أم سليم مع النبي ﷺ، وثقته بها؛ فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث أم سليم بنت ملحان إلى امرأة فقال: «انظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها» وفي رواية: «شمي عوارضها»⁽¹⁾ والمراد اختبار رائحة الفم، والنظر إلى العرقوب يعرف به لون سائر الجسد. وفي كشف الغمة عن أنس قال: أراد رسول الله ﷺ مرة أن يتزوج امرأة فبعث إليها امرأة لتنظر إليها وقال: «شمي عوارضها وانظري إلى عرقوبها»، قال أنس فجاءت المرأة إلى أهل المخطوبة فقالوا لها: ألا نغديك يا أم فلان؟ فقالت: لا أكل إلا من

(1) حديث: "انظري إلى عرقوبها.. الخ" رواه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي - [كما في فقه السنة]. [المعاطف: ناحيتا العنق. والعوارض: الأسنان.

طعام جاءت به فلانة، قالت: فصعدت في رَف⁽¹⁾ لهم فنظرتُ إلى عرقوبيها؛ ثم قلت: افليني يا بنية، ففلتني فجعلت أشم عارضيتها، قال أنس: فلما جاءت وأخبرت النبي ﷺ تبسم.

قوله وأختها مبتدأ، والضمير المضاف إليه عائذ على أم سليم. وقوله أم حرام (بالرفع): خير المبتدأ. وقوله كانت تحت عبادة: أي كانت زوجها له. وقوله تفليني (بفتح التاء): من فلاه يفليه فليا إذا نقى رأسه أو ثوبه من القمل ونحوه.

وأُم حرام هي بنت مِلْحَانَ بن خالد خالة أنس بن مالك وقد مر نسبها آنفا عند التعريف بأختها أم سليم. واختلف في اسم أم حرام أيضا ف قيل الغميصاء، وقيل الرميصاء؛ قال في أسد الغابة: لم يصح فيه شيء. وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يكرمها ويزورها في بيتها ويقبل عندها ودعا لها بالشهادة، وكانت هي تكرمه صلى الله عليه وسلم وتطعمه وتفلي رأسه، فجاءها يوما ونام في بيتها فاستيقظ وهو يضحك فقالت: يا رسول الله ما يضحكك فقال: «عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرَكِبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ»، وفي رواية: «ظَهَرَ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ كَالْمَلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ»، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «إِنَّكَ مِنْهُمْ»⁽²⁾، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقالت له: يا رسول الله ما يضحكك؟ فأعاد الرؤيا السابقة فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ»⁽³⁾. ثم لما ولي عثمان الخلافة وجاءت سنة سبع وعشرين، بعث جيشا تحت

(1) الرف (بتشديد الفاء): خشبة أو نحوها تُشدُّ إلى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت.

(2) أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد، وثبج البحر (بالثاء المثناة): معظمه ووسطه. والأسرة: جمع سرير؛ وهو عرش الملك أو مضطجعه.

(3) أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد.

إمرة معاوية بن أبي سفيان لغزو افريقية - وكانت فيه أم حرام هذه وزوجها عبادة بن الصامت وفيه أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم من الصحابة - فركبوا البحر، فلما جاوزوه ووصلوا جزيرة قبرص، خرجوا من البحر فقربت إليها دابة فركبتها فصرعتها فماتت ودفنت مكانها.

وإنما كانت أم حرام هذه تفلي النبي ﷺ للتشريع ولإزالة الغبار عنه لأن القمل لا يؤذيه ولا يكون فيه. وإنما كان صلى الله عليه وسلم يدخل عليها ويمكنها من فليه لأنها ذات محرم له، قيل كانت نخالة أبيه أو جده، وقيل إحدى خالاته من الرضاعة. وجزم النووي بأن ابنتي ملحان كانتا محرمين له صلى الله عليه وسلم، وحكى الاتفاق على ذلك. وفي الاستبصار لابن قدامة المقدسي قال: ذكر أبو عمرو أن أم حرام كانت نخالة رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته أخت لهما ثالثة، قال: ولم أر ذلك عن غيره. والله أعلم.

هذا وكانت أم حرام هذه - قبل عبادة بن الصامت - عند عمرو بن قيس بن زبير بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، فولدت له عبد الله بن عمرو المعروف بابن أم حرام، ثم خلف عليها عبادة بن الصامت فماتت عنده.

تنبيه: أبو عمير بن أبي طلحة المذكور الذي توفي صغيرا كان فطيما وهو صاحب الحديث المشهور الذي كان رسول الله ﷺ يمازحه به ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير»⁽¹⁾. وقد أخذ العلماء من هذا الحديث ما لا يحصى كثرة من

(1) حديث: «يا أبا عمير... متفق عليه. والنغير (تصغير نغر بوزن سرد): وهو طائر أحمر المنقار يشبه العصفور، جمعه نغران (بوزن سردان) كان أبو عمير هذا يلعب به، فمات وحزن عليه فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيت آل أبي طلحة يداعب صبيهم، ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير»؟.

الفقه وفنون الأدب ونوادير الفوائد، منها:

- جواز تكنية الطفل وتكنية من لم يولد له وأنه ليس من الكذب.
- وجواز السؤال عن المعلوم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بموت ذلك النغير.
- وجواز مازحة الصبي الذي لم يميز، وملاطفة الصبيان وتأييسهم.
- وجواز المزاح والمداعبة بما لا إثم فيه، ومعاشرة الناس على قدر عقولهم.
- وجواز لعب الصبي وتلهيته بالعصفور وتمكين وليه له من ذلك بلا تعذيب وعبث.
- وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة.
- وجواز دعاء الشخص بتصغير اسمه عند عدم الإيذاء وتصغير الاسم ولو كان لحيوان.

- وبيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من حسن الخلق وكرم الشماثل مع الصغير والكبير، والتواضع والانبساط مع الناس، إلى غير ذلك..

ولها تكلم على بني غنم وبني عمرو ابني مالك بن النجار؛ أخذ في الكلام على بني أخيها مبدول بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله:

مَبْدُولُ رَهْطِ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ وَهُوَ الَّذِي يَحْدُو بِهَادِي الْأُمَّةِ
صَاحِبِ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ لَدَى بِئْسَ مَعُونَةً وَعَاثَةً الْعِدَا
قَاتِلِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُغِيرَةَ وَاللَّوَاهِ
صُهَيْبِ الرَّومِيِّ ذُو إِخَاءِ وَذُو مَوَدَّةٍ وَذُو صَفَاءِ

مبدول (بالذال المعجمة وبوزن منصور): مبتدأ، واسم مبدول عامر، ويقال له أيضا: سَدَن بن مالك بن النجار. ورهط الحارث: خير المبتدأ. وابن الصمة (بكسر الصاد المهملة وفتح الميم مشددين وبالجر): صفة للحارث. وجملة وهو الذي يحدو.. إلخ: صفة للحارث أيضا. ويحدو به: يسوق الإبل ويغني لها، لأنها

تستحث بالحُداء⁽¹⁾. وهادي الأمة: أي مرشدُها وهو رسول الله ﷺ. وصاحب
 وقاتل (بالجر فيهما): صفتان للحارث أيضا. وغالته العدا: أهلكته. وقوله وللأواه:
 خير مقدم لقوله ذو إخاء، والأواه: الكثير التأوه وهو الشكوى والتوجع، والمراد به
 الخوف من الله والبكاء من خشيته. وصهيب (بوزن زبير وبالجر): بدل من الأواه،
 والرومي: صفته. وذو إخاء: مبتدأ وما بعده معطوف عليه. والإخاء: المؤاخاة
 والمصادقة بحيث يصير كل منهما للآخر كالأخ. والمودة: المحبة. والصفاء:
 الإخلاص في الود.

الحارث بن الصمة

يقول: ومن بني مالك بن النجار - أيضاً - بنو مبدول وهم بطن الحارث بن
 الصمة الذي كان يحدو بالنبي ﷺ. والحارث هذا هو أبو سعيد الحارث بن الصمة
 بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول بن مالك بن النجار، النجاري المبدولي،
 أخى النبي ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان، وكان الحارث بن الصمة هذا قد خرج
 مع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى بدر، فلما كانوا بالروحاء أصاب رجله
 كسر فردّه النبي ﷺ وضرب له بسهمه وأجره، وفيه يقول علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه:

يارب إن الحارث بن الصمّه أهل وفاء صادق وذمه
 أقبل في مهامه ملمه في ليلته ظلماء مدلهمه⁽²⁾
 يسوق بالنبي هادي الأمه يلتمس الجنّة فيها ثمه

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله وهو الذي يحدو بهادي الأمه.

(1) الحداء (بكسر الحاء وضمها): رفع الصوت بالغناء للإبل، يقال: "ما أملح حُداءه".

(2) مهامه: جمع مهمه، وهي المفازة. والملمة: الشديدة. ومدلهمه: شديدة السواد.

وشهد الحارث مع النبي ﷺ أحدا وثبت معه حين انكشف الناس وبايعه على الموت، وقتل عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي يومئذ وأخذ سلبه؛ فسلبه رسول الله ﷺ ولم يُسَلَّب يومئذ غيره، كما في الاستيعاب والاستبصار. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله قاتل عثمان.. إلخ. وروي أنه قال: سألتني النبي ﷺ يوم أحد - وهو في الشعب - عن عبد الرحمن بن عوف، فقلت: رأيتك إلى جنب الجبل، فقال: «إن الملائكة تقاتل معه..» - الحديث (1).

وكان الحارث بن الصمة هذا من البعث الذين أرسلهم النبي ﷺ مع أبي براء بن مالك بن جعفر إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام، وكانوا أربعين - أو سبعين - رجلاً من خيار المسلمين، وأمر عليهم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة. فساروا حتى نزلوا بئر معونة (وهو موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان) بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري (ابن أخي أبي براء). فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، فاستصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا لن نخفر أبا براء؛ وقد عقد لهم عقدا وجوارا. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم: عصابة ورعلا وذكوان، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه وبه رمق (أي بقية حياة) فعاش حتى استشهد يوم الخندق؛ وكان في سرح القوم الحارث بن الصمة هذا وعمرو بن أمية الضمري، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطيرُ تحوم على العسكر، فقالا والله إن لهذي الطير لشأنا؛ فأقبلا لينظرا فإذا القوم صرعى في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الحارث

(1) أخرجه الطبراني - كما في الإصابة - ورواه ابن عبد البر، وأبو نعيم - [كما في أسد الغابة].

لعمرو: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخير، فقال الحارث: ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو؛ فأقبل على القوم فقاتلهم حتى قتل، وما قتلوه حتى أشرعوا فيه الرماح فنظموه بها، وأسروا عمرا؛ فلما أخبرهم أنه مضري أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه!⁽¹⁾، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله صاحب عمرو بن أمية.. إلخ.

صهيب الرومي

وصهيب الرومي هو أبو يحيى صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة النمري، من بني النمر بن قاسط، وأمّه سلمى بنت قعيد بن مهيص من بني مالك بن عمرو بن تميم. وعرف بالرومي لأنه تربى في الروم وأخذ لسانهم فكانت في لسانه عجمة شديدة، وذلك لأن أباه أو عمه كان عاملا لكسرى على الأبلّة؛ وكانت منازل أهله على دجلة من جهة الموصل، وقيل على الفرات، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا - وهو غلام صغير - فنشأ معهم، فصار ألكن، فابتاعه منهم رجل من كلب وقدم به مكة فاشتراه منه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، فأقام معه بمكة حتى هلك ابن جدعان؛ ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان، وكان اسمه - فيما قيل - عميرة، وقيل عبد الملك، فسماه الروم صهيبا، وكان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة كثير شعر الرأس يخضبه بالحناء، ولم يزل بمكة حتى بعث النبي ﷺ. وقد روي عنه أنه قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث؛ وأسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان أحد سبعة هم أول من أظهر إسلامه؛ وكان

(1) يقال: إن أبا براء مات أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل.

من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر رضي الله عنه إلى المدينة مع علي بن أبي طالب بعيد هجرة النبي ﷺ وأدركا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بقباء.

وروي أنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين فقال لهم: يا معشر قريش قد تعلمون أي من أركامكم ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه في يدي شيء، فقالوا له: لا تفجعنا بنفسك ومالك، فرد إليهم ماله فرجعوا عنه؛ فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له: «ربح البيع أبا يحيى»⁽¹⁾، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽²⁾.

وشهد صهيب رضي الله عنه بدرا والمشاهد بعدها؛ وروى الطبراني من حديثه أنه قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يُسرَّ سرية⁽³⁾ قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي. وكان رضي الله عنه — مع فضله ودينه وورعه — حسن الخلق فيه دعابة وفكاهة؛ روي أنه قال: جئت النبي ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد إحدى

(1) رواه ابن عبد البر وابن سعد وابن أبي خيثمة — كما في الإصابة.

(2) البقرة: 207.

(3) سرى السرية: جردها إلى العدو ليلا. والسرية قطعة من الجيش (فعيلة بمعنى فاعلة) لأنها تسرى في خفية ليلا لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا، وقيل سميت سرية لأنها تكون خلاصة العسكر وخياره (من الشيء السري وهو النفيس).

العنين فأكلت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتأكل التمر على عينك؟» وفي رواية: «وبك رمد»؟⁽¹⁾ فقلت: يا رسول الله أكل من ناحية عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. ومات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين عن سبعين - وقيل ثلاث وسبعين سنة - ودفن بالبقيع؛ ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

ومن بني مذبول بن مالك بن النجار - أيضا - ثعلبة وبشير وأبو عبيدة وحبیب؛ بنو عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مذبول بن مالك بن النجار النجاريون. شهد ثعلبة منهم بدرًا وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ، وتوفي في خلافة عثمان بالمدينة، وقيل بل قتل يوم جسر أبي عبيد. وقتل بشير مع علي بصفين؛ واستشهد أبو عبيدة ببئر معونة؛ وحبیب باليمامة.

ولما أنهى الكلام على بني مالك بن النجار أخذ في الكلام على بني عمومتهم بني مازن بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) أخرجه ابن ماجه.

بنو مازن بن النجار*

مِنْ مَازِنٍ مُنْقِذِ الْغَيْبِ وَ«لَا خِلَابَةَ» بِهَا الْأَمِينُ
 أَتَحَفَّهُ حَبِيبُ اللَّذِّ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي ثُمَامَةَ فَقَتَلَهُ
 مِنْهُمْ نَسِيبَةٌ لَهَا الْعَتِيقُ أَذِنَ فِي الْجِهَادِ إِذْ تَلِيقُ
 شَهِدَتْ الرِّضْوَانَ وَالْيَمَامَةَ وَشَاهَدَتْ قَتْلَ أَبِي ثُمَامَةَ
 وَجَرَحَتْ فِيهِ وَشَلَّتْ يَدُهَا وَلِلتَّبَرِّكَ الْوَرَى يَقْصِدُهَا
 هُنَا أَنْتَهَى نَجْرُ بَنِي النَّجَّارِ عَمْرُو

قوله منقذ (بالذال المعجمة، بوزن محسن): مبتدأ خيره الجار والمجرور قبله.
 والغيب (كأمير): المغبون في البيع وهو صفة لمنقذ، وغبته في البيع أو الشراء
 (كنصر): خدعه وغلبه. والخلافة (بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة): الخديعة
 بلطيف الكلام. والأمين: من أسماءه صلى الله عليه وسلم. وأتحفه: أعطاه. وحبيب
 (بالحاء المهملة - بوزن أمير - وبالرفع): عطف على منقذ بحذف العاطف. واللذ
 (بسكون الذال): لغة في الذي. وفاعل أرسله: ضمير مستتر عائد على الأمين. وأبو
 ثمامة: كنية مسيلمة الكذاب الحنفي.

يعني أن من بني مازن بن النجار ثم من بني مازن بن عمرو، وحبيبا
 بن زيد بن عاصم النجارين المازنيين.

* أولاد مازن بن النجار ثلاثة: غنم وثعلبة وعامر، ولطن بني مازن هذا عدة أفخاذ؛ منهم بنو مازن
 بن عمرو بن غنم بن مازن؛ ولهم عدد، وآخرون. وقد تناول الناظم الكلام على بني مازن هؤلاء
 في خمسة أبيات، وذكر من أعيانهم رجلين وامرأة واقتصر على بني مازن منهم.

أما منقذ فهو ابن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجاري المازني الصحابي؛ أصيب رضي الله عنه بضربة في رأسه عقلت لسانه وأصابته عقله؛ وكان لا يدع التجارة ولكنه كان لا يزال يغبن فيها، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إذا أنت بعث فقل: لا خلافة ثم أنت في كل سلعة تبيعها بالخيار ثلاث ليال»⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله ولا خلافة بها الأمين تحفه.. وعاش رضي الله عنه مائة وثلاثين سنة، فكان في زمن عثمان - حين كثر الناس - يتاع في السوق فيغبن فيرجع إلى أهله فيلومونه؛ فيرده ويقول: إن رسول الله ﷺ جعل لي الخيار ثلاثا، فيمر الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: صدق. وتوفي منقذ هذا في خلافة عثمان، وله ابن اسمه حبان (بفتح الحاء وتشديد الموحدة) شهد أحدا وما بعدها؛ وهو زوج أروى الصغرى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ ولدت له يحيى وواسعا، وولد يحيى - منهما - محمدا بن يحيى بن حبان، شيخ الإمام مالك بن أنس رحمه الله. وقد قيل إن حبان بن منقذ هذا هو الذي أصابته الضربة في رأسه؛ فقال له النبي ﷺ: «بع وقل لا خلافة»⁽²⁾، والأول أشهر.

حبيب بن زيد وخبره مع مسيلمة

وأما حبيب فهو ابن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجاري المازني، أمه نسيبة بنت كعب الآتي ذكرها. كان رضي الله عنه ممن حضر العقبة الثانية ومعه أبواه زيد بن عاصم

(1) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده، وفي رواية: "فإن رضيت فأمسك وإن سخطت فارددها على صاحبها - رواه ابن ماجه والبيهقي في سنتهما، وضعف.
(2) أخرجه مسلم وأحمد.

ونسبية وأخوه عبد الله بن زيد؛ وشهد أحدا والخندق والمشاهد بعد، وقيل أول مشاهده الخندق.

وحاصل ما أشار إليه الناظم من إرسال النبي ﷺ لحبيب هذا وقتل مسيلمة له، أن مسيلمة الكذاب لما تنبأ واشتد أمره وكثرت أتباعه، كتب إلى رسول الله ﷺ كتابا جاء فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون. وبعثه مع رجلين؛ فلما قرئ الكتاب على رسول الله ﷺ قال للرجلين: «وما تقولان أنتما؟» فأجابا: نقول كما قال، فقال لهما: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقيكما»؛ ثم كتب إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»، وبعثه مع الرجلين؛ فلما قرأه مسيلمة ازداد شره واستشرى⁽¹⁾ فساده. فعند ذلك كتب إليه رسول الله ﷺ كتابا يزجره فيه عن غيه، وبعثه مع حبيب بن زيد هذا - وكان يومئذ شابا ناضر الشباب مكتمل الفتاء - فمضى به غير وان ولا مترث ترفعه النجاد وتحطه الوهاد⁽²⁾ حتى بلغ ديار بني حنيفة في أعالي نجد، فدفع الكتاب إلى مسيلمة، فلما قرأه انتفخ صدره ضعيفة وحقدا وبدا الشر والغدر على وجهه، وأمر بحبيب أن يقيد ويؤتى به ضحى الغد، فلما كان الغد جلس في مجلسه وجعل كبار أتباعه عن يمينه وعن شماله، وأذن للعامة في الدخول عليه، ثم أمر بحبيب فجيء به إليه يرسف في

(1) استشرى فساده: أي انتشر وازداد.

(2) غير وان: أي غير فاتر ولا ضعيف. والمترث: المتمهل. والنجاد (بالكسر): جمع نجد وهو المكان المرتفع. والوهاد: جمع وهد وهو المكان المنخفض.

قيوده⁽¹⁾ حتى وقف بين يديه مرفوع الهامة شامخ الأنف، فالتفت إليه مسيلمة وقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فقال: نعم أشهد أن محمدا رسول الله، فتميز مسيلمة غيظا وقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال حبيب - في سخرية - إن في أذني صمما عن سماع ما تقول، فتغير وجه مسيلمة وارتجف حنقا وقال لجلاده: اقطع قطعة من جسده، فأهوى الجلالد عليه بسيفه وقطع بعض أعضائه، ثم أعاد عليه مسيلمة السؤال نفسه، فأجابته حبيب بنفس الجواب الأول؛ فأمر الجلالد أن يقطع منه عضوا آخر ففعل، والناس شاخصون بأبصارهم إليه مندهشون من تصميمه وعناده. ومضى مسيلمة يسأل والجلالاد يقطع؛ وحبيب يقول: أشهد أن محمدا رسول الله حتى فاضت روحه رضي الله عنه.

ولما سمعت نسيبة بموته قالت: من أجل مثل هذا الموقف أعددتُه وعند الله أحسنه، لقد بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة صغيرا ووفى له اليوم كبيرا، ولئن أمكنني الله من مسيلمة لأتركن بناته يلطمن الخدود عليه. وعلى هذا درج الناظم، وذكره الشيخ حماد أيضا عند قول الناظم:

ومن بني بكر بنو حنيفة بن لجم فنة سخيفة

وفي الخميس أن سبب قتل مسيلمة له أنه كان مع عمرو بن العاص بعُمان وكان عمرو عاملا عليها لرسول الله ﷺ، فلم يزالا بها حتى بلغتهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجمع عمرو أصحابه وحواشييه وخرج من عُمان إلى المدينة بخفراء من الأزرد وعبد القيس يأمن بهم، وكان حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب الأسلمي في الساقاة؛ فساروا حتى قدموا أرض بني حنيفة، فأخذ منهم عمرو خفراء، فسمع بهم مسيلمة فاعترضهم؛ فسبقه عمرو وأصاب حبيبا وعبد الله بن

(1) يرسف في قيوده: أي يمشي بها بيطاء لتقلها.

وهب فأخذهما ثم قال لهما: أتشهدان أنني رسول الله؟ فقال الأسلمي: نعم؛ فحبسه عنده في الحديد، وقال له حبيب: لا أسمع، فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر به فقطع؛ وكلما قال له: أتشهد أنني رسول الله؟ قال: لا أسمع، وإذا قال له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فقطعه عضواً عضواً وقطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين، ثم أحرقه بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى مات. وأما عمرو بن العاص فسار على وجهه إلى المدينة حتى مر بأرض بني عامر فأخذ منهم خفراء وسار وهو يلقي الناس مرتدين، حتى أتى ذا القصة فلقي عيينة بن حصن خارجاً من المدينة؛ وكان قد قدم على أبي بكر يطلب منه أن يجعل له جعلاً ليكفيه من وراءه، فأبى أبو بكر؛ فقال له عمرو: ما وراءك يا عيينة؟ ومن ولى الناس أمورهم؟ قال: أبا بكر، فقال عمرو: الله أكبر؛ قال عيينة: يا عمرو استويننا نحن وأنتم، فقال عمرو: كذبت يا ابن الأحابيث من مضر - [قاله في الخميس].

وأخو حبيب بن زيد هذا عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب الضوء وراوي حديثه، وقد شارك وحشياً في قتل مسيلمة، وقتل رضي الله عنه يوم الحرة. قوله: نسيبة (بوزن عظيمة): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في: منهم عائذ على بني مازن بن النجار. والعتيق: لقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقوله أذن في الجهاد (كفرح): أي أباحه لها. وقوله إذ تليق: أي تناسبه وتقدر عليه لكثرة غنائها فيه. وقوله شهدت الرضوان واليمامة: أي حضرت بيعة الرضوان وغزوة اليمامة. وشاهدت أي عاينت. وأبو ثمامة: هو مسيلمة الكذاب. قوله وجرحت فيه: أي في يوم اليمامة. وشلت (بالبناء للمفعول): بيست، والشلل: فساد في اليد. والتبرك: محاولة الفوز بالبركة والحصول عليها. والنجر (بفتح فسكون): الأصل. وعمرو (بالرفع): بدل من قوله نجر.

نسيبة بنت كعب وذكر بعض جهادها

يعني أن من بني مازن ثم من بني مذبول منهم أيضا نسيبة بنت كعب النجارية وهي أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن عمرو بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجارية الصحابية الجليلة؛ شهدت العقبة الثانية مع السبعين وبايعت بها رسول الله ﷺ - كما مر - وشهدت هي وزوجها أيضا أحدا؛ ولما انهزم الناس انحازت إلى النبي ﷺ فكانت تذب عنه وتباشر القتال بالسيف، وترمي عن القوس حتى خلصت إليها الجراحات؛ وكان ابن قمئة يومئذ قد أصابها بجروح بالغة، ثم شهدت بيعة الرضوان. ولما بلغها قتل مسيلمة لابنها حبيب بن زيد - المتقدم ذكره - عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو يقتل.

ثم لما تهيأ خالد بن الوليد لغزو مسيلمة باليمامة جاءت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاستأذنته في الخروج فقال لها: ما مثلك يحال بينه وبين الخروج وقد عرفنا مجزأك في الحرب فاخرجي على اسم الله؛ فخرجت معهم ومعها ابنتها عبد الله فكانا ممن شارك في قتل مسيلمة؛ وثلث يدها يومئذ (وقيل قطعت) وجرحت اثني عشر جرحاً؛ روي أنها قالت: قطعت يدي يومئذ فما لويت⁽¹⁾ عليها. فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى منزلي جاءني خالد بن الوليد بطبيب من العرب فداواني بالزيت المغلي، وكان والله أشد علي من القطع؛ قالت: وكان خالد كثير التعاهد لي حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا.

وكان أبو بكر يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة. وعاشت بعد ذلك دهرا، فكان الناس يأتونها من بعيدٍ بمرضاهم لتستشفى لهم، فقلما مسحت بيدها الشلاء

(1) أي لم تعرج عليها ولم تعطف.

وأعطاني هذه القلادة التي في عنقي ووالله لا تفارقني أبداً، وروي أنها أوصت أن تدفن معها. وقد روي أنه شهد خبير مع رسول الله ﷺ نساء من النساء المسلمات فرضخ لهن عليه الصلاة والسلام من الفياء ولم يضرب لهن بسهم، وقيل ضرب لهن بسهم كامل - [كذا في الخميس] - وفيه حجة للأوزاعي لقوله: إن النساء يقسم لهن مع الرجال في المغازي، وأكثر الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسماً، ولكن يرضخ لهن من المغنم، أخذاً بحديث أم عطية؛ قالت: كنا نغزوا مع النبي ﷺ فنداوي الجرحى ونمرض المرضى ويرضخ لنا من المغنم. [قاله في الروض الأنف].

ومن بني مازن بن النجار ثم من بني مبدول - أيضاً - غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار؛ النجاري المازني، شهد العقبة وأحدا، وخلف على نسيبة بنت كعب المذكورة بعد زيد بن عاصم؛ فولدت له تميما وخولة (فهما أخوا حبيب بن زيد لأمه) ولهما صحبة.

ومنهم - أيضاً - البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول المازني، شهد أحدا وما بعدها واستشهد يوم مؤتة، وهو والد إبراهيم بن رسول الله ﷺ من الرضاع لأنه زوج أم بردة خولة بنت المنذر مرضعة إبراهيم عليه السلام.

ومنهم عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبدول المازني، شهد بدرا وأحدا وما بعدهما، وقال: حملت على رجل يوم بدر لأضربه بالسيف فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قتله. ومنهم قيس بن أبي صعصعة بن زيد بن عوف بن مبدول المازني، حضر العقبة وشهد بدرا وأحداً وجعله النبي ﷺ يوم بدر على الساقة. ومنهم عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول، شهد بدراً وكان عامل النبي ﷺ يومئذ على الغنائم، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

ومن أفخاذ بني مازن بن النجار - أيضاً - بنو ثعلبة بن مازن بن النجار؛ منهم

قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار النجاري المازني، شهد بدرًا واستشهد يوم أحد. ومنهم تميم بن عبد عمرو بن قيس بن محرث بن الحارث بن ثعلبة بن مازن النجاري المازني، له صحبة ورواية؛ روى عن النبي ﷺ أنه قال: «الرجل أحق بمجلسه إذا قام عنه ثم انصرف إليه»⁽¹⁾.

تنبيه: ذكر الناظم ثلاثة من أولاد النجار كلهم أبو بطن وهم: عدي ومالك ومازن، وبذكرهم أنهى الكلام على بني النجار، وبقي رابع ولد النجار وهو دينار بن النجار، وهو - أيضا - أبو بطن يقال لهم بنو دينار بن النجار، منهم بنو عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار؛ الذين منهم النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد به، وأخوه الضحاك بن عبد عمرو شهد بدرًا وأحدًا واستشهد ببئر معونة، وأخوهما قطبة بن عبد عمرو واستشهد ببئر معونة أيضا؛ أمهم السميراء بنت قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل، وليس لهم عقب، وأخوهم لأمهم سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد به.

ومنهم - أيضا - كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرًا وأحدًا وبئر معونة وأرثت يومئذ ثم استشهد بالخندق، أصابه سهم لا يدرى راميه، وقيل قتله ضرار بن الخطاب. ومنهم - أيضا - سعيد بن سهيل بن مالك بن كعب بن عبد

(1) رواه مسلم وأحمد، وورد في الجامع الصغير باختلاف يسير في اللفظ مع اتفاق المعنى.

الأشهل بن حارثة بن دينار النجاري الديناري، شهد بدرًا وأحدًا وتوفي وليس له عقب. ولعل الناظم إنما ترك ذكرهم لانقراض عقبهم إلا بقية قليلة منهم. والله أعلم.

تنبيه آخر: لما كانت الإشارة إلى بيعة الرضوان وإلى غزوة اليمامة قد تعددت في هذا النظم كثيرًا، إما بتصريح وإما بتلويح، كان من تمام الفائدة أن أذكر ملخصًا مختصرًا عن بعض ما وقع فيهما، فأقول:

ذكر بيعة الرضوان وسببها

أما بيعة الرضوان فهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽¹⁾، والتي أعرب النبي ﷺ عن فضلها بقوله: «لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية»⁽²⁾، وقال مخاطبًا لأهلها: «أنتم خير أهل الأرض»⁽³⁾.

وسبب هذه البيعة أن النبي ﷺ لما بلغ الحديبية قادمًا من المدينة بعث عثمان بن عفان إلى أهل مكة بكتاب ليلغهم أنه لم يأت يريد حربًا وإنما جاء زائرًا للبيت معتمرًا معظمًا لحرماته؛ فأتى عثمان عظماء قريش وبلغهم رسالة النبي ﷺ وقرأ عليهم كتابه واحدًا واحدًا، فقالوا له: أما أنت إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال لهم: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فحبسوه عندهم أيامًا،

(1) الفتح: 18.

(2) أخرجه أبو داود بدون ذكر بدر.

(3) أخرجه البخاري.

وأشاع الناس أنهم قتلوه. فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»؛ ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على الموت وعلى أن لا يفروا، وبايع رسول الله ﷺ لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: «اللهم هذه يدي عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك»⁽¹⁾؛ ووقعت تلك البيعة تحت الشجرة التي كان رسول الله ﷺ يستظل بها⁽²⁾. ولما سمع المشركون بهذه البيعة المباركة ألقى الرعب في قلوبهم وخافوا، فبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين كانوا قد دخلوا مكة. وبعثت قريش سفراءها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاضونه ويحاولون رده عن دخول مكة، ولم يزالوا به حتى وقعوا معه صلح الحديبية المشهور، وكان ذلك في السنة السادسة.

غزوة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب

وأما غزوة اليمامة⁽³⁾ فحاصل ما وقع فيها أنه لما توفي رسول الله ﷺ طفقت قبائل العرب تخرج من دين الله أفواجا كما دخلت فيه من قبل أفواجا، وكان أقوى

(1) أخرجه البخاري وأحمد، ومعنى لا نبرح: لا نزال المكان ولا نفارقه. ونناجز القوم: أي نبارزهم ونقاتلهم؛ ومنه المثل: "المحاجة قبل المناجزة" أي المسألة قبل المعالجة في القتال، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال.

(2) هي شجرة من أشجار السمر، وهي شجرة الطلح. وقد بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته أن ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف من اتساع الأمر وظهور البدعة وأن تعبد كالأصنام؛ فأمر بقطعها.

(3) اليمامة: بلاد جو وهي معدودة في نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيام يقال لها: "جو اليمامة" وحجر اليمامة، سميت باسم جارية زرقاء مشهورة بحدة النظر، يروى أنها كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، وفي المثل: "أبصر من زرقاء اليمامة"، وباليمامة هذه تنبأ مسيلمة الكذاب وقتل بها، وقد عفت رسومها؛ وتقوم الآن قريبا منها مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية.

المرتدين بأسا وأكثرهم عددا بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب، فقد اجتمع له من قومه ومن حلفائهم أربعون ألفا من أشد المحاربين، وكان أكثر هؤلاء قد اتبعوه عصبية له لا إيمانا، فقد كان بعضهم يقول: أشهد أن مسيلمة كذاب، وأن محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر؛ ومن بأسهم وقوتهم أن هزموا أول جيش خرج إليهم من جيوش المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل، فأرسل إليهم أبو بكر جيشا ثانيا بقيادة خالد بن الوليد، وأوعب معه الناس⁽¹⁾ ومعهم البراء بن مالك، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس، والبراء بن عازب، وعلى المهاجرين أبا حذيفة وزيد بن الخطاب، وعلى كل قبيلة رجلا.

وخرج خالد في جنده حتى أتى اليمامة حيث كان بنو حنيفة مستعدين هناك في جمعهم الكثيف، ولما بلغ مسيلمة الكذاب دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء⁽²⁾ واستنفر الناس، فجعلوا يخرجون إليه وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كتيب مشرف على اليمامة، فضرب عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، والعرب على راياتها. والتقى الناس واقتتلوا قتالا شديدا، وانهمز المسلمون - أولا - ثم عادوا وتذا مرو⁽³⁾ وأخذوا يجالدون بسيوفهم ويتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وأبو حذيفة يقول: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وزيد بن الخطاب يقول: يا أيها الناس عضوا أضراسكم واضربوا عدوكم وامضوا قدما.

وظلت الحرب سجالا مرة على المسلمين ومرة على المشركين، واستحرق القتل

(1) أي جمعهم، وأوعب القوم: خرجوا كلهم إلى الغزو ولم يبق منهم أحد.

(2) عقرباء: منزل من منازل اليمامة.

(3) تذا مروا: حض بعضهم بعضا على الجد في القتال.

في المسلمين، وثبت لهم مسيلمة؛ فلما رأى ذلك خالد عرف أنها لا تترك⁽¹⁾ إلا بقتل مسيلمة، فبرز حتى كان أمام الصف ودعا إلى البراز وانتمى: أنا خالد بن الوليد؛ فجعل لا يبرز إليه أحد إلا قتله، وأقبل المحيطون بمسيلمة يخرجون إلى لقاء خالد فيلقاهم الموت من سيفه قبل أن يبلغوه⁽²⁾، وكثر فيهم القتل، وشعر مسيلمة بالخزي يركبه فساورته نفسه⁽³⁾ أن يخرج كما خرجوا لكنه أيقن أنه مقتول إن خرج، فاضطرب وتردد؛ فبينما هو في تروده إذ شد خالد برجاله عليه وعلى من حوله يُعملون فيهم السلاح، فرأى محكم بن الطفيل - وهو أحد أبطال بني حنيفة - فرار القوم وتعقب المسلمين لهم فصاح بهم: يا بني حنيفة الحديقة⁽⁴⁾ - وكانت على مقربة منهم - ففروا إليها وتحصنوا بها من هزيمتهم بعد أن خر الألوف منهم صرعى. ووقف المحكم برجاله يحمي ظهورهم أثناء فرارهم إليها، فأبصره عبد الرحمن بن أبي بكر فرماه بسهم وقع في نحره فقتله؛ وأحاط المسلمون بالحديقة ليجدوا فيها ثغرة، فصرخ البراء بن مالك: يا معشر المسلمين احمولوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ففعلوا؛ فاقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين، فدخلوا منه زمرا تلمع في أيديهم السيوف، وأغلق الباب عليهم ورمى المفتاح من وراء الجدار، فاقتتلوا قتالا شديدا وأبيد من في الحديقة منهم، فذهب فريق إلى مسيلمة يقولون:

(1) أي تهدأ وتسكن.

(2) يروى أن خالدا بن الوليد لما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف، أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من "لا إله إلا الله" وأنا متترس بها - [أسد الغابة].

(3) الخزي: الذل والهوان، وساورته: أي صارحته.

(4) حديقة كانت لمسيلمة وكانت تدعى عندهم: بحديقة الرحمن، وكانت فسيحة الأرجاء منيعة الجدران كأنها الحصن.

أين ما كنت تعدنا؟ قال: قاتلوا عن أحسابكم. ولم يلبث أن خلص المسلمون إلى مسيلمة، فإذا هو واقف في ثلثة جدار كأنه جمل أورق، وهو لا يعقل من الغيظ⁽¹⁾، فتقدم إليه وحشي بن حرب وسارع إليه أبو دجانة، وقيل عبد الله بن زيد بن عاصم وضربه بالسيف فسقط فنادت امرأة في القصر: قتله العبد الأسود، وصرخ الصارخ إن مسيلمة قد قتل. وفي حديث وحشي أنه قال: فرمته - يعني مسيلمة - بالحرية وضربه رجل من الأنصار بالسيف فربك يعلم أينا قتله.

وفي قتله يقول عبد الله بن زيد بن عاصم:

ألم تر أني ووحشيهم قتلنا مسيلمة المفتن
ويسألني الناس عن قتله فقلت ضربت وهذا طعن

ولما انتهت المعركة خرج خالد بمجاعة بن مرارة أحد فرسان بني حنيفة، وكان أسره أول المعركة، فخرج به يرسف في الحديد⁽²⁾ ليريه مسيلمة وأعلام جنده، فجعل يكشف له القتلى ويعرفه بأعلامهم حتى مر بمحكم بن الطفيل - وكان رجلا جسيما وسيما - فلما رآه خالد قال: هذا صاحبكم؟ قال: لا هذا والله خير منه وأكرم؛ هذا محكم اليمامة، ثم مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة فقلب له القتلى، فإذا رويجل أصيفر أخينس⁽³⁾ فقال بمجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه، فقال خالد لمجاعة: هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل؟ فقال بمجاعة: قد كان

(1) الثلثة بضم فسكون: الخلل في الحائط أو الشقة في الجدار، والأورق: الذي لونه لون الرماد، والغيظ: الغضب أو أشده، وتغير يلحق الإنسان من مكروه يصيبه.

(2) أي يمشي مشية المقيد.

(3) الأخنس: الذي انخفضت قصبه أنفه مع ارتفاع قليل في طرف الأنف، أي في الأرنبة؛ والتصغير في هذه الألفاظ للتحقير.

ذلك يا خالد. فحشر خالد بني حنيفة للبيعة والبراءة مما كانوا عليه؛ فبايعوا وأعلنوا رجوعهم إلى الإسلام وبراءتهم من الردة، وبعث خالد وفدًا منهم إلى أبي بكر فقدموا عليه، فقال لهم أبو بكر: ويحكم ما هذا الذي كان منكم؟ قالوا: يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا وقد كان امرأً لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه.

ولما أنهى الكلام على عمرو بن الخزرج - كما قال: هنا انتهى نجر بني النجار عمرو... - أخذ يتكلم على بني أخيه جشم بن الخزرج، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو جشم بن الخزرج*

... ..
 ... وَأَمَّا جُشَمُ الضَّوَارِيِّ
 فَمِنْهُمْ الْبِرَاءُ وَاجَهَ الْحَرَمَ حَيًّا وَمَيْتًا أَوْلَا قَبْلَ الْأُمَمِ
 أَوَّلُ مَنْ بَثُلَتْ أَوْصَى الْأَبِي صَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ شَهْرِ النَّبِيِّ
 وَبَشَرَهُ سُمٌّ مَعَ النَّبِيِّ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ لِهَذَا الْحَيِّ

أما (بفتح الهمزة): حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعله،
 والمذكور بعدها جواب الشرط، ولذلك لزمته الفاء ولكنها أخرجت إلى الخبر. وإلى

* بنو جشم هؤلاء بطن عظيم من بطون الخزرج، وإياهم يعني الأغلب العجلي بقوله: "إن شرك العز
 فحججهم بجشم" أي افتخر بهم، وفي رواية: "فبخبج" أي قل: بخ بخ، وهي كلمة تقال عند
 الإعجاب من الشيء والرضا به. وكان جشم هذا وأخوه عوف ابنا الخزرج يلقيان في الجاهلية:
 "الخرطومان"، ويتفرع هذا البطن إلى عدة بطون وتنحدر من تلك البطون أفخاذ كثيرة، ومن تلك
 الأفخاذ فصائل متشعبة؛ فمن تلك البطون: بنو تيزيد وبنو غضب وبنو ادي بني جشم وبنو الحارث
 وبنو مالك ابني زيد مائة وغيرهم؛ ومن أفخاذ بني تيزيد: بنو سلمة - وفيهم العدد - وبنو كعب
 وبنو غنم. ومن أفخاذ بني غضب: بنو زريق - وفيهم العدد - وبنو بياضة وبنو العجلان. ومن بني
 سلمة: بنو سنان بن عبيد وبنو سواد بن غنم وبنو حرام، وغيرهم. ومن بني زريق: بنو خلدة وبنو
 مخلد ابني عامر. وقد تناول الناظم الكلام على بني جشم هؤلاء في واحد وعشرين بيتا، وذكر من
 أعيانهم أحد عشر رجلا، ومن بطونهم وأفخاذهم ستة ما بين تصريح وتلويح.

وتطلق بنو جشم على بطون كثيرة مختلفة، منها: بنو جشم بن الخزرج هؤلاء، وبنو جشم بن الحارث
 الأوسيون - وهذان من الأنصار - وبنو جشم بن ثقيف الثقفيون، وبنو جشم بن قيس البكريون
 (من بكر بن وائل)، وبنو جشم بن بكر التغلبيون، وبنو جشم بن معاوية من هوازن - وهذه
 الأربعة من العدنانية - وبنو جشم بن خيوان الهمدانيون، وبنو جشم الجرميون - وهذان من
 القحطانية - وغير هؤلاء كثيرون..

ذلك أشار ابن مالك بقوله:

أما كمهما يك من شيء وفا لتلو تلوها وجوباً ألفا

وقوله **جشم** (بوزن صرد): هو أحد أولاد الخزرج بن حارثة، وهو أبو بطن من بطون الخزرج - كما مر - والمراد به هنا بنو جشم، ولذا وصفه بالضواري، بصيغة الجمع؛ وأعاد عليه ضمير الجمع باعتبار أفراده. **الضواري**: الشجعان، وهو في الأصل وصف للأسد (جمع ضار)⁽¹⁾، ووصف به بني جشم على سبيل الاستعارة. **البراء** (كسحاب): هو ابن معرور النقيب المشهور. وقوله **واجه**: أي استقبل. **والحرم**: الكعبة المشرفة. وقوله **أولاً**: أي قبل تحويل القبلة إلى الكعبة وصلاة الرسول ﷺ والمسلمين إليها. **وأول** (بالرفع): صفة للبراء. **والأبي**: الذي يأبى الضيم، وفيه الإظهار في محل الإضمار، والمراد به البراء. وقوله **صلى عليه أي على قبره**. **والنبي**: فاعل **صلى**، والمراد أنه صلى الله عليه وسلم صلى على قبر البراء بن معرور هذا عند قدومه المدينة وبعد موت البراء بشهر.

قوله **وبشره** (بكسر الباء الموحدة وسكون المعجمة وبالرفع): عطف على البراء، والضمير المضاف إليه عائد على البراء، أي ومنهم بشر بن البراء بن معرور. وقوله **سم** (بالبناء للمجهول): أي جعل له السم في طعامه، فقد أطعمته هو ورسول الله ﷺ يهودية بخير لحما مسموماً.

البراء بن معرور وابنه بشر

يعني أن من بني جشم بن الخزرج - ثم من بني سلمة منهم - البراء بن معرور وابنه بشر. أما البراء فهو أبو بشر البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن

(1) الضاري من السباع: المولع بأكل اللحم المتعود للصيد.

عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن
تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي السلمي، أمه الرباب بنت النعمان بن
امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسية. كان من سادات الأنصار
وكبرائهم، قيل كان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وشرط واشترط عليه.
وأشار الناظم بمواجهته للحرم حيا إلى ما روي من أنه لما سار مع حجاج قومه من
المسلمين يريدون العقبة الثانية ومعهم حجاجهم من المشركين قال لمسلمي قومه:
إني رأيت رأيا ما أدري أتوافقوني عليه أم لا؟ رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر
- يعني الكعبة - وأن أصلي إليها وإني لمصل إليها، فكان إذا حضرت الصلاة صلى
إلى الكعبة وصلى قومه إلى الشام - والنبي ﷺ إذ ذاك لم يزل يصلي إلى بيت المقدس
- وقد أشار إلى ذلك أحد شعراء الأنصار بقوله:

ومنا المصلي أول الناس مقبلا إلى كعبة الرحمن بين المشاعر

كما أشار بقوله: وميتا إلى ما روي أنه لما حضره الموت قال لأهله: استقبلوا بي
الكعبة، فدفن إليها؛ وأوصى بثلاث ماله للنبي ﷺ فقبله ورده على ولده؛ فكان أول
من أوصى بثلاث ماله. وتوفي رضي الله عنه في صفر قبل مقدم النبي ﷺ المدينة
بشهر، فلما قدمها مشى إلى قبره وصلى عليه في أصحابه، وكبر أربعاً - [وقد مر
هذا في ترجمته رضي الله عنه في التعريف بالنباء].

وقد جاء تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة بعد ذلك في رجب
على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة، وقيل في شعبان
على رأس ثمانية عشر - وقيل ستة عشر - شهرا. وجاء الأمر بتحويلها والنبي ﷺ
والصحابه في أثناء الصلاة فحولوا وجوههم أثناءها إلى الكعبة. وقد روي أن أول
من صلى نحو الكعبة أبو سعيد بن المعلى الأنصاري، سمع رسول الله ﷺ يأمر
بتحويل القبلة فصلى ركعتين إلى الكعبة.

وأما بشر فهو ابن البراء بن معرور، الصحابي الجليل سيد بني سلمة، شهد رضي الله عنه العقبة مع أبيه البراء بن معرور وشهد بدرا وأحدا والخندق، ومات بخيبر حين فتحت سنة سبع للهجرة، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل بني سلمة: «من سيدكم»⁽¹⁾ فقالوا: الجعد بن قيس على بخل فيه، فقال: «وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض بشر بن البراء»⁽²⁾، وفي رواية أنه قال: «بل سيدكم عمرو بن الجموح»⁽³⁾ - كما سيأتي إن شاء الله. وكان بشر بن البراء هذا قد استشهد بخيبر بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أهدت لرسول الله ﷺ، وقيل بل مرض منها واستمر به وجعه ذلك حتى مات منه بعد سنة.

خبر الشاة المسمومة

وماصل تلك القصة التي أشار إليها الناظم - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر واطمأن بها، أهدت له زينب بنت الحارث، أخت مرحب اليهودي - زوج سلام بن مشكم - شاة مصلية⁽⁴⁾، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع⁽⁵⁾؛ فأكثر فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة؛ وفي رواية أنها عمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها وجعلت فيها سم ساعة وأكثر

(1) رواه الحاكم وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في مسانيدهما - [كما في الإصابة].

(2) أخرجه الحاكم وابن عبد البر، وأبو نعيم - كما في أسد الغابة - والجعد: الرجل الكريم والأبيض: النقي العرض.

(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد [كما في الإصابة].

(4) مصلية: أي مشوية.

(5) وإنما كان صلى الله عليه وسلم يحب الذراع لأنها هادي الشاة وأبعدها من الأذى - [الروض الأنف].

منه في الذراعين والكتف، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها⁽¹⁾، وكان معه بشر بن البراء فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ولكنه ابتلعها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: «ارفعوا أيديكم إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم»⁽²⁾، وروي أن بشرا قال له: والذي بعثك بالحق لقد وجدت ذلك في أكلتي وما معني من أن ألفظها إلا أنني أعظمت أن أبغضك في طعامك، ولم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك. وأمر رسول الله ﷺ بلحم الشاة فأحرق؛ ثم دعيت المرأة فاعترفت، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما حملك على ذلك»؟ فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نيبا فسيخير، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ؛ وقيل قتلت؛ وقيل دفعها صلى الله عليه وسلم إلى أولياء بشر فقتلوها؛ وقيل أسلمت. ومات بشر من تلك الأكلة التي أكل من ساعته؛ وقيل لم يقم من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول، ومات بعد سنة.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم احتجم على كاهله من أجل تلك الأكلة، حجه أبو طيبة الأنصاري مولى بني بياضة بالقرن والشفرة⁽³⁾، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي منه، فدخلت عليه أم بشر بنت البراء تَعُودُه، فقال لها: «يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي

(1) لآك اللقمة لو كا: مضغها أهون المضغ وأدارها في فيه. والمضغة: القطعة التي تمضغ من لحم وغيره. وأساغ الطعام أو الشراب: سهل مدخله في الحلق وساغ له دخوله فيه.

(2) أخرج أبو داود. ولفظها: أي رمى بها من فيه وطرحها.

(3) الحجابة: المداواة والمعالجة بالحجم. والكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق جمعه كواهل. والقرن: آلة يحتجم بها كالكأس توضع على الجلد ويجذب بها الدم بقوة. والشفرة (بالفتح): السكين العريضة.

أكلت مع أخيك بخير»⁽¹⁾؛ وروي عنه أنه قال: «ما زالت أكلة خبير تعاودني فهذا أوان قُطعت أهري»⁽²⁾. فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة.

قوله: **كعب بن مالك**: مبتدأ خبره الجار والجرور بعده، والمراد بالحي هنا: بنو جشم، ثم بنو سلمة منهم.

كعب بن مالك

يقول: ومن جشم — أيضا — كعب بن مالك، وكعب هذا هو أبو عبد الله كعب بن مالك بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة؛ الخزرجي الجشمي السلمي الصحابي الجليل، شاعر رسول الله ﷺ المشهور.

شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وأحدا وما بعدها من المشاهد إلا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عنها فتاب الله عليهم وغفر لهم، فنزل فيهم قوله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾، وهم كعب هذا وهلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع الأوسي. وكان كعب هذا يوم أحد قد لبس

(1) أخرجه أبو داود. والأهر: عرق في الظهر، وهما أهران، وقيل هما الأكلان اللذان في الذراعين، وقيل هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق بعده حياة، وقيل هو عرق منشؤه في الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر أطراف البدن ويمتد إلى الحلق ويسمى فيه: الوريد، وإلى الصدر ويسمى فيه: الأهر، وإلى الظهر ويسمى فيه: الوتين، وإلى الفخذ ويسمى فيه النسا.. وغير ذلك. ولابن مقبل: وللفؤاد وجيب تحت أهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

(2) أخرجه البخاري تعليقا، وأبو داود وأبو نعيم.

(3) التوبة: 118.

لأمة رسول الله ﷺ - وكانت صفراء - ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمة كعب؛ فجرح كعب أحد عشر جرحا. وهو أول من عرف رسول الله ﷺ يومئذ بعد التحدث بقتله؛ فقد روي عنه أنه قال: لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا معشر المسلمين هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي بيده أن اسكت، ثم ألبسني لأمته ولبس لأمتي، فقد ضربت حتى جرحت بضعا وعشرين جراحة كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ.

وكان كعب من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يجيبون عنه ويردون على هجاء المشركين. وقد روي عنه أنه قال: يا رسول الله ما ذا ترى في الشعر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من يجاهد بسيفه ولسانه»⁽¹⁾؛ وكان رضي الله عنه مجوادا مطبوعا⁽²⁾ قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر. وله في المغازي أشعار كثيرة، وكان الشعر شائعا في أهل بيته، فأبوه مالك شاعر وعمه قيس شاعر، وكان خمسة من أبنائه وأحفاده شعراء مجيدين؛ وكان رضي الله عنه عثمانيا، جرح في قتله، وعتب على أهل المدينة في عدم نصرته والدفاع عنه، وروي أنه كان يقول: يوم الدار: يا معشر الأنصار انصروا الله مرتين، وراثه. وتوفي كعب بالشام في خلافة معاوية، قيل سنة خمسين، وقيل ثلاث وخمسين عن سبع وسبعين سنة، وروى عن النبي ﷺ؛ وروى عنه أولاده وجماعة من الصحابة والتابعين.

(1) أخرجه أحمد.

(2) المجواد (بكسر الميم): الكثير الإتيان بالجيد من الشعر أو سواه كالجيد، والمطبوع من الشعراء: الذي يأتي بالشعر من دون تكلف.

ومن بني سلمة - ثم من بني سواد بن غنم منهم - قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم (ابن عم كعب)، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد؛ ورمى يوم بدر بحجر بين الصفيين وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وقد مر التعريف به في الستة الذين لقيهم رسول الله ﷺ بالعقبة.

ومن بني سواد - أيضاً - أبو اليسر، كعب بن عمرو بن عياد بن عمرو بن غزية بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى، شهد العقبة وبدرًا وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر، وكانت مع أبي عزيز بن عمير، أخي مصعب بن عمير العبدي. وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب، وكان أبو اليسر قصيرا والعباس طويلا ضخماً، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم»⁽¹⁾، وروي عن ابن عباس قال: كنت جالسا مع أبي، فقلت: يا أبا عبد الله كيف أسرك هذا مع قصره؟ قال: يا بني إنه وقع على مثل الجبل، وفي رواية: كان في عيني كالخندمة⁽²⁾، فأخذ بمنكبي الأيمن فعصرها ولوaha ثم أخذ بمنكبي الأيسر وعصرها ثم لوaha فشدهما ثم ذهب بي إلى رسول الله ﷺ. قيل إن أبا اليسر آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدرًا سنة خمس وخمسين، وكان يوم بدر ابن عشرين سنة.

ومن بني سواد - أيضاً - ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نايب بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى، حضر العقبة وشهد بدرًا وأحداً واستشهد يوم الخندق - وقيل يوم خيبر - وكان أحد الثلاثة الذين كسروا أصنام بني سلمة. ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

(1) رواه أحمد في مسنده.

(2) الخندمة: جبل من جبال مكة، وفي رواية: قيل للعباس: كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته؟! فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة.

أَبُو قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعِيٍّ الْمُطَاعُ فِي قَوْمِهِ فَارِسُ أَحْمَدَ الشُّجَاعُ
 خَامِسُ مَنْ بَابِنِ أَبِي الْحَقِيقِ فَتَكَ مِنْ سَلْمَةَ الْعَرِيقِ
 كَفْتَكَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ النَّخْبِ بِمِثْلِهِ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْخَدَبُ

أبو قتادة (بفتح القاف): مبتدأ. وابن ربيعي (بكسر الراء): صفة له. والمطاع وفارس أحمد والشجاع وخامس (كلها بالرفع): صفات لأبو قتادة. وابن أبي الحقيق (كزبير): هو أبو رافع اليهودي محزب الأحزاب يوم الخندق. وقتك به: أي بطش به أو قتله وقوله من سلمة: (بكسر اللام): خبر عن أبو قتادة أي من بني سلمة، وهم بطن من بطون بني جشم المذكورين؛ وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة. وليس في العرب سلمة (بكسر اللام) سوى سلمة هذا [قاله الجوهري] والنسبة إليهم سلمى (بفتح اللام)⁽¹⁾. والعريق (كأمير): الأصيل. وقوله كفتك مثلهم: أي عددهم، وهو خمسة من الأوس. والنخب (كغرف): جمع نخبة للمختار. وقوله بمثله: أي مثل ابن أبي الحقيق في العداوة لرسول الله ﷺ. وكعب (بالجر): بدل من مثله، وهو كعب بن الأشرف النبhani اليهودي. والحدب (كمجن): العظيم الضخم، صفة لكعب.

أبو قتادة بن ربيعي

يقول: ومن بني جشم بن الخزرج ثم من بني سلمة منهم: أبو قتادة بن ربيعي الجشمي السلمى فارس النبي ﷺ، وهو أبو قتادة الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن

(1) أما بنو سلمة (بفتح اللام) فتطلق على عدة بطون مختلفة، منها: بنو سلمة بن عمرو الجعفيون، وبنو سلمة بن نصر الجهنيون، وبنو سلمة بن معاوية الكهلانيون (من عاملة)، وبنو سلمة بن شكامة الكنديون، وبنو سلمة بن قشير العدنانيون، وغيرهم..

خناس (كغراب) بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة؛ الخزرجي
الجشمي السلمي، أمه كبشة بنت مظهر بن حرام السلمية.

واختلف في اسم أبي قتادة هذا، فقيل الحارث - وهو الأصح - وقيل النعمان،
وقيل عمرو. وكان رضي الله عنه من شجعان الصحابة وسادات فرسانهم، وكان
من سادات قومه مطاعا فيهم، وعرف بفارس رسول الله ﷺ، كما عرف حسان
بشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهد أبو قتادة أحدا والمشاهد بعدها.
وروي عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ مال عن راحلته،
قال: فدعته فاستيقظ فقال: «حفظك الله كما حفظت نبيه»⁽¹⁾؛ ولما أغار
الفراريون على لقاح النبي ﷺ التي كانت بالغابة وقتلوا راعيها واستاقوها - وكانوا
أربعين فارسا - خرج رسول الله ﷺ في أثرهم في خمسمائة من أصحابه، فيهم أبو
قتادة هذا وسلمة بن الأكوع، فأدركهم سلمة - وكان عداءً - فجعل يرميهم بنبله
ويرتجز، وأدركهم - أيضا - أبو قتادة وقتل رئيسهم يومئذ - وهو مسعدة بن حكمة
الفراري - وسجّاه بيرده⁽²⁾، فلما رآه الصحابة استرجعوا وقالوا: قتل أبو قتادة؛ فقال
النبي ﷺ: «ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه»؛ فأعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه، وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ: «خير
فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا اليوم سلمة بن الأكوع»، وفي رواية:
«رجّالنا»⁽³⁾.

وروي عن أبي قتادة قال: لما رآني رسول الله ﷺ يوم ذي قرد قال: «أفلح

(1) أخرجه مسلم.

(2) سجى الميت: مد عليه ثوبا، والبرد: نوع من الثياب.

(3) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد.

وجهك» فقلت: ووجهك يا رسول الله؛ فقال لي: «قتلت مسعدة»؟ فقلت: نعم، قال: «فما هذا الذي بوجهك»؟ فقلت: سهم رميت به يا رسول الله، قال: «إدن مني»، فدنوت منه فبصق عليه فما ضرب علي قط ولا قاح⁽¹⁾. وبعثه رسول الله ﷺ على سرية إلى حضرة (وهي أرض محارب) إلى غطفان فقتل من أشرفهم، وسبى سببا كثيرا واستاق النعم: مائتي بعير وألفي شاة؛ وكانوا خمسة عشر رجلا وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة، وكان ذلك في شعبان سنة ثمان للهجرة.

وبعثه رسول الله ﷺ — أيضا — في رمضان من نفس السنة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم على ثلاثة برد من المدينة، لما هم أن يغزوا أهل مكة ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، ولم يلقوا عدوا؛ فرجعوا إلى المدينة، فلما كانوا في طريق العودة سمعوا بخروج النبي ﷺ من المدينة نحو مكة، فساروا في اثره حتى لحقوا به بين المدينة ووادي الصفراء، وكان قد لقيهم في الطريق عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام، فقتله محلم بن جثامة، فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾⁽²⁾ - الآية - فجاء محلم حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا غفر الله لك»⁽³⁾ وكررها، فقام محلم وهو يتلقى دموعه بردائه؛ فما مضت له سابعة حتى مات، ودفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته مرات، فرفضوه بالحجارة⁽⁴⁾ حتى

(1) رواه الواقدي، وضرب الجرح: اشتد وجعه. وقاح الجرح (بالقاف): تورم وسال منه القيح.

(2) النساء: 94.

(3) وفي رواية: «اللهم لا تغفر لمحلم» (ثلاثا) رواهما أبو داود وأحمد.

(4) لفظته: أي رمت به من داخل إلى خارج. ورفضوه بالحجارة: أي جعلوها عليه بعضها على بعض.

واروه، وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ؛ فقال: «إن الأرض لتطابق على من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم»⁽¹⁾.

وروي أنه كانت لأبي قتادة هذا لمة فقال له رسول الله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه»⁽²⁾ وقال: «أكرم جنتك وأحسن إليها»⁽³⁾، فكان أبو قتادة يرجلها غبا، وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له: «اللهم بارك في شعره وبشره»⁽⁴⁾. وتوفي أبو قتادة بالكوفة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصلى عليه، وقيل توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين.

وقوله خامس من بابن أبي الحقيق.. إلخ؛ أشار به إلى قتل الخزرج لأبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي، وقتل الأوس لكعب بن الأشرف الطائي اليهودي.

وقد كان مما أراد الله تعالى لرسوله ﷺ وأتم به نعمته عليه أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه غناء⁽⁵⁾ عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك. فلما

(1) أخرجه ابن ماجه والطبراني.

(2) أخرجه أبو داود.

(3) نفس التحريج السابق.

(4) رواه الواقدي - [كما في الإصابة].

(5) صاوله مصاوله وصيالا وصيالة (بكسرهما): وآبوه، وتصاولا: تواءبا. والفحلين: ثنية فحل، وهو الذكر من كل حيوان، جمعه: فحول وأفحل. وغناء (بوزن سحاب): أي نفع، وبوزن (كساء): ما طرب به من الصوت، وبوزن (إلى): ضد الفقر، قال الراجز:

و ضد فقر: "كألى" و"كسحاب": النفع، والمطرب أيضا ك"كتاب"

أصاب الأوس كعب بن الأشرف وقتلته جرأً عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. فتذاكروا فيمن كان مثل ابن الأشرف في العداوة لرسول الله ﷺ، فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي.

كعب بن الأشرف وقصة قتله

وحاصل قصة قتل الرجلين، أن كعب بن الأشرف هذا كان من أكبر الأعداء لرسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - وأصله من طيئ ثم من بني نبهان، كان أبوه قد أصاب دماً في قومه فأتى المدينة وحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقلية بنت أبي الحقيق اليهودية من بني النضير، فولدت له كعباً ونشأ فيهم، فكان سيداً في أحواله معدوداً فيهم يدين باليهودية. وكان يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر والطعام - وكان شاعراً يهجو رسول الله ﷺ ويخذل عنه ويحرض على محاربتة، ويخرج في الناس وفي قبائل العرب من غطفان في ذلك، ويشبب بنساء المسلمين. وكان قد خرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وأنشدهم الأشعار وبكى على أصحاب القليب⁽¹⁾ من قريش وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة؛ فقال رسول الله ﷺ: «من لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله؟»⁽²⁾، فانتدب لقتله خمسة من الأوس هم محمد بن مسلمة وأبو نائلة (سلكان) بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس عبد الرحمن بن جبر الأوسيون. وروي أن محمد بن مسلمة قال: يا رسول الله إنه لا بد

(1) ندب الميت: بكاه وعدد محاسنه، والاسم: الندبة (بالضم). والقليب: البئر، سميت قليلاً لأن ترابها قلبت، جمعها قلب؛ والمراد بها هنا بدر.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

لنا من أن نقول فيك، فقال صلى الله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك»⁽¹⁾. فاجتمعوا ثم قدموا سلكان بن سلامة - وكان أخوا لكعب من الرضاعة و كان يقول الشعر - فجاء إلى كعب وتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، ثم قال له: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فآتكم علي، فقال: أفعل، فقال سلكان: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا كعب! أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا، فقال له سلكان: إن معي أصحابا لي على مثل رأيي، وقد أردنا أن تبيعنا طعاما، ونرهن لك ونوثق لك وتحسن في ذلك، فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحننا إنا نستحي أن يسب ابن أحدنا ويعير فيقال: هذا رهن وسق شعير أو رهن وسقين! ولكننا نرهنك من الحلقة - يعني السلاح - ما فيه وفاء وقد علمت حاجتنا إلى السلاح (وأراد سلكان أن لا ينكر كعب السلاح إذا رآه وجاءوا به) فقال كعب: إن في الحلقة لوفاءً، فواعده أن يأتيه. ورجع سلكان إلى قومه فأخبرهم الخبر، وأخذوا سلاحهم وانطلقوا ومروا برسول الله ﷺ فمشى معهم إلى أن وصل بقيع الغرقد في ليلة مقمرة؛ ثم وجههم وقال: «انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم»⁽²⁾.

فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصن كعب ليلا، فهتف به أبو نائلة - وكان كعب حديث عهد بعرس - فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيها وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة، فقال: إنه أبو نائلة

(1) رواه ابن هشام في سيرته.

(2) رواه ابن هشام في سيرته.

رضيحي ولو وجدني نائما ما أيقظني، قالت: والله إنني لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو دعي الفتى لطعنة لأجاب! فنزل إليهم ينفح منه ريح الطيب⁽¹⁾؛ فتحدث معهم ساعة ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتمشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: نعم إن شئتم؛ فمشوا ساعة، ثم أدخل أبو نائلة يده في فود رأس كعب فشمها وقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط، قال كعب: إنه طيب أم فلان - يعني امرأته - ثم مشى ساعة ثم عاد سلكان لمثلها حتى اطمأن عدو الله، ثم عاد لمثلها فأمسك بفوده وقال: اضربوا عدو الله ورسوله.. فضربوه فاختلفت عليه أسياهم فلم تغن شيئا، فتذكر محمد بن مسلمة مغولا في سيفه فأخذه ووضع في ثنته⁽²⁾ - وفي رواية في سرتة - ثم تحامل عليه حتى بلغ عانته فسقط عدو الله، وقد صاح صيحة شديدة انذعر بها أهل الحصون حواليه، ولم يبق حصن إلا وأوقدت عليه نار. فقطعوا رأسه وحملوه في محلاة، وعادوا إلى المدينة، وقد جرح الحارث بن أوس؛ أصابه بعض أسياف قومه فأبطأ عنهم لجرحه ونزفه الدم، فوقفوا له ساعة حتى أتاهم فاحتملوه، وقد خرج أهل الحصن في آثارهم، فسلكوا طريقا آخر ففاتوهم، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا فسمع رسول الله ﷺ صوت تكبيرهم - وهو قائم يصلي - فعلم أنهم قتلوه، فلما انتهوا إليه آخر الليل وسلموا خرج إليهم وقال: «أفلحت الوجوه»⁽³⁾ قالوا: ووجهك يا رسول الله، فبشروه بقتل كعب ورموا برأسه بين يديه صلى الله عليه وسلم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، فكان

(1) نَفَحَ الطيب: انتشرت رائحته.

(2) المغول (بكسر الميم وسكون الغين المعجمة): سكين في سوط يهلك به المضروب، والثنية (بوزن

سرة) في الإنسان: ما تحت السرة في أسفل البطن.

(3) رواه ابن سعد، كما في فتح الباري.

أول رأس حمل في الإسلام، وتفل صلى الله عليه وسلم على جرح الحارث فبرئ لحينه، ولم يؤذه بعد؛ ورجع القوم إلى منازلهم.

وخافت اليهود لهذه الواقعة، فلم يبق منهم إلا من هو خائف على نفسه. وقد روي أن رهط كعب جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: قتل سيدنا غيلة من غير جناية ولا سب، فقال لهم: «إنه كان يهجوننا ويؤذي المسلمين ويحرض المشركين علينا»⁽¹⁾، فخافوا وسكتوا ورجعوا. وفي هذه الواقعة يقول عباد بن بشر أحد القوم:

صرخت به فلم يعرض لصوتي	ووافى طالعا من رأس جدر
فعدت له فقال: من المنادي؟	فقللت: أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا - رهنا - فخذها	لشهر - إن وفي - أو نصف شهر
فقال: معاشر سغبوا وجاعوا	وما عدموا الغني من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي سريعا	وقال لنا: لقد جنتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد	مدرسة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردى	بها الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه	فقطره ⁽²⁾ أبو عبس بن جبر
فكان الله سادسنا فأبنا	بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام	هم ناهيك من صدق وبر

وكانت هذه الواقعة في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة. والقوم الذين قتلوه - كما مر - هم: محمد بن مسلمة؛ وقد مر التعريف به عند قول الناظم والحارث بن الخزرج بن عمرو.. إلخ، وعباد بن بشر؛ وقد مر أيضا التعريف

(1) روى نحوه البخاري والحاكم في الإكليل، كما في فتح الباري.

(2) الصلت: الصقيل الماضي، وقطره (بتشديد الطاء): ألقاه على أحد قطريه، أي أحد جانبيه، قال الشاعر:
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

به، وأبو نائلة واسمه سلكان - وقيل سعد - بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأوسي الأشهلي، اشتهر بكنيته. شهد أحداً وغيرها، وكان من الرماة المذكورين في الصحابة، وكان شاعراً.

والرابع الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي، وكان قد أصيب في هذه الوقعة بـدُباب سيف فجرح - كما مر. والخامس أبو عيس عبد الرحمن بن حير بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي، كان ممن كسر أصنام بني حارثة حين أسلم. روي أنه ضعف بصره فأعطاه النبي ﷺ عصاً وقال له: «تنور بهذه»، فكانت تضيء له ما بين كذا وكذا، ومات سنة أربع وثلاثين عن سبعين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه، ودفن بالبقيع، ونزل في قبره أبو بردة بن نيار وأبو قتادة بن ربعي*.

سلام بن أبي الحقيق وخبر قتله

ولما جاءت سنة ست للهجرة اجتمع نفرٌ من الخزرج فتذاكروا قتل الأوس لابن الأشرف، فقالوا: والله لا تذهب الأوس بها فضلاً علينا أبداً. فتذاكروا أهل العداوة لرسول الله ﷺ، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي الذي كان على رأس محزبي الأحزاب يوم الخندق، فانتدب منهم خمسة لقتله، هم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس ومسعود بن سنان والأسود بن خزاعي وأبو قتادة بن ربعي الخزرجيون. فاجتمعوا ومروا برسول الله ﷺ وأخبروه خبرهم، فودّعهم ونهاهم عن قتل النساء والصبيان، فساروا إلى خير، فكمنوا حتى هدأت المارة آخر الليل فجاءوا إلى منزل ابن أبي الحقيق، فصعدوا درجته حتى وقفوا ببابه، فقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، فقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته؛ فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف

فسكتت، فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه في ظلمة البيت، فعلوه بأسيافهم فقتلوه، ولما فرغوا من قتله انطلقوا راجعين. وكان في بصر عبد الله بن عتيك ضعف؛ فلما نزل عن درج غرف أبي رافع تردى في هبوطه من بعض الدرج فانكسرت رجله، فعصبها واحتمله أصحابه حيناً وانطلقوا به إلى النبي ﷺ، فلما رآهم مقبلين قال: «أفلحت الوجوه»⁽¹⁾ وحدثوه بأمرهم، فمسح على رجل عبد الله بن عتيك فبرئت من حينها. واختلفوا فيمن قتله منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «هاتوا أسيافكم» فجاءوا بها؛ فنظر صلى الله عليه وسلم إليها فقال: «لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام»⁽²⁾.

وفي هذه الواقعة والتي قبلها يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

لله در عصابة لاقيتهم	يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأسد في عرين مغرف ⁽³⁾
حتى أتوكم في محل بلادكم	فسقوكم حتفاً ببيض ذفف ⁽⁴⁾
مستصرين لنصر دين نبهم	مستصرين لكل أمر مجحف

وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ست للهجرة - كما مر - وتعرف بسرية عبد الله بن عتيك. وأهلها خمسة - كما تقدم - وهم: أبو قتادة بن ربعي السلمى الذي مر التعريف به قريباً، وعبدُ الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن

(1) رواه ابن سعد - كما في فتح الباري.

(2) رواه ابن كثير في البداية والنهاية: 4 / 139.

(3) العرين (كأمير): أجمة الأسد. والمغرف: الكثير، أي مكثر من الأسد، أو هو توكيد معنى، كما يقال: حبيث مخبث.

(4) ذفف: جمع ذفيف وهو الخفيف السريع، وهو في معنى القاطع والصارم.

مري بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي السلمي، شهد بدرًا وأحدا، واستشهد باليمامة، وقيل شهد صفين مع علي رضي الله عنهما.

والثالث عبدُ الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن نفاثة بن إياس بن يربوع بن البرك بن وبرة، أخي كلب بن وبرة، فهو من قضاة وحالف بني سلمة من الأنصار؛ وبني نايئ من بني سلمة خاصة، وقد دخل بنو جدّه البرك بن وبرة في جهينة فقبل له الجهني، والقضاعي، والأنصاري السلمي. كان رضي الله عنه مهاجرًا أنصاريًا، شهد العقبة وأحدا وما بعدها، وهو الذي سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال: «يا رسول الله إني شاسع الدار فمرني بليلة أنزل لها، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين»⁽¹⁾، فكانت تلك الليلة تعرف عند أهل المدينة بليلة الجهني، وهو من كاسري أصنام بني سلمة، وتوفي بالشام سنة أربع وخمسين.

والرابع مسعود بن سنان بن الأسود الخزرجي السلمي حليف بني غنم بن سلمة، شهد رضي الله عنه أحدا واستشهد باليمامة.

والخامس الأسود بن خزاعي - وقيل خزاعي بن الأسود - بن أسد الأسلمي الأنصاري السلمي، أصله من أسلم وحالف بني سلمة من الأنصار، شهد رضي الله عنه أحدا، وذكر الواقدي أنه ممن سار مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن حين بعثه إليه رسول الله ﷺ.

هذا وقد كان آل أبي الحقيق اليهودي مقيمين بخيبر، وهم من بني النضير. وذلك أنه لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير عن المدينة تجهزوا وتحملوا على ستمائة

(1) أخرجه مالك في الموطأ، وأبو داود في سننه. وشاسع الدار: أي بعيدا.

بعير، وحملوا النساء والأبناء والأموال، فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم، ويظهرون الجلادة⁽¹⁾، فعبروا من سوق المدينة وتفرقوا في البلاد، فذهب بعضهم إلى الشام وإلى أذرعات وأريحاء، ولحق أهل بيتين منهم بخير وهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب، وأقاموا بها.

ومن بني سلمة - أيضا - ثم من بني سنان منهم جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي، ابن عم البراء وأبي قتادة المذكورين، قيل إنه أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى بعام. وشهد مع رسول الله ﷺ جميع المشاهد، وهو أحد الستة الذين لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فأمنوا به، وقد مر التعريف بهم.

ثم أشار الناظم إلى بني حرام من بطون بني سلمة بذكر بعض أعيانهم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَمِنْهُمْ أَيْضًا الْحُبَابُ السَّامِيُّ	سَبَطُ الْجَمُوحِ مِنْ بَنِي حَرَامٍ
وَجَابِرٌ أَحْيَا النَّبِيَّ وَلَدِيهِ	وَسَارَ شَهْرًا لِحَدِيثِ كَيْ يَعِيهِ
مِنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ	خَادِمِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ الْمُعْتَنِيِّ
وَقِيلَ فِي الرَّأْوِيِّ وَفِي الْمَرْوِيِّ	عَنْهُ سِوَى مَا جَاءَ فِي مُحْكِيِّ
وَالِدُهُ سَأَلَهُ الْإِلَهَ	مِنْ بَعْدَمَا بِأَحَدٍ أَحْيَاهُ .
أَنْ يَتَمَنَّى فَتَمَنَّى الْمُحْيَا	لِكَيْ يُجَاهِدَ وَلَيْسَ يَحْيَا

(1) الدفوف: جمع دف (بضم الدال فيهما) وهو الطبل. والمزامير: قصب يتغنى فيها. والقيان (بكسر القاف): الغنيات. ويعزفن: يلعبن بالمعازف (وهي الملاهي) كالعود والطنبور. والجلادة: الشدة والقوة.

فَقَدْ قَضَى أَنْ لَا رُجُوعَ الْمَالِكُ وَلَمْ تَزَلْ تُظَلُّهُ الْمَلَائِكُ

الحباب (بوزن غراب): مبتدأ خبره الجار والجرور قبله. والضمير في منهم عائذ على بني سلمة الجشميين المتقدم ذكرهم. والسامي: الرفيع. والسبط (بالكسر): ولد الولد. والجموح: بوزن صبور. وحرام: بوزن سحاب⁽¹⁾. يعني أن من بني سلمة ثم من بني حرام منهم الحباب بن المنذر بن الجموح.

وقوله وجابر: عطف على الحباب، وجملة أحيا النبي.. إلخ: صفة لجابر. وفاعل سار شهرا ضمير مستتر عائذ على جابر. ويعيه (بفتح المثناة التحتية أوله): أي يحفظه. والجهني (بضم ففتح): صفة لعقبة، وهي نسبة إلى جهينة بن زيد بن سُود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة، واحتز به من عقبة بن عامر الأنصاري ومن عقبة بن عامر السلمي، وغيرهما ممن شاركه في الاسم واسم الأب. وقوله خادم (بالجر): صفة لعقبة، لأنه كان من الصحابة الذين لزموا رسول الله ﷺ وخدموه حتى عرفوا بخدمته، والمعني: صفة له - أيضا - أي المعني بالعلم وتحصيله. قوله وقيل في الراوي: أي للحديث، وفي المروي عنه الحديث سوى، أي غير، ما جاء في محكي: أي منظومتي. يعني أنه قيل إن راوي الحديث غير جابر، وإن المروي عنه غير عقبة بن عامر. وقوله والده: أي جابر، وهو عبد الله بن عمرو. والضمائر في سأله وأحياه ويتمنى وفتحني ويجاهد ويحيا وتظله عائذة كلها على والده. وقضى: حكم. أن لا رجوع: أي إلى الدنيا بعد الموت. والمالك: فاعل قضى، وهو المولى عز وجل.

(1) كل حرام في نسب الأنصار فهو بالراء المهملة وبوزن (سحاب)، وإن كان في نسب قريش فهو بالزاي المعجمة وبوزن (كتاب).

يقول: ومن بني سلمة - أيضا - ثم من بني حرام منهم: جابر بن عبد الله الذي أحيا الله تعالى له ولديه على يد رسول الله ﷺ إكراما ومعجزة له، والذي سافر مسيرة شهر لأخذ حديث عن عقبه بن عامر الجهني.

أما الصباب فهو أبو عمرو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الجشمي السلمي، شهد بدرًا وأحدا وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله ﷺ - وكان يوم بدر ابن ثلاث وثلاثين سنة - وهو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ أن ينزل على أدنى ماء من مياه بدر من جهة العدو للقاء العدو، ويغور⁽¹⁾ غيرها ليقبى المشركون على غير ماء فيضعفهم ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»⁽²⁾، وفي رواية: أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «الرأي ما أشار به الحباب»، ففعل صلى الله عليه وسلم. وكان في رأي الحباب الخير، ثم كان بعد ذلك يدعى: "ذا الرأي"، وهو القائل يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب⁽³⁾.. منا أمير ومنكم أمير. وكان الحباب يقول الشعر، ومن شعره:

ألم تعلموا - لله در أبيكما ، وما الناس إلا أكمه وبصير⁽⁴⁾ -
بأنا وأعداء النبي محمد أسود لها في العالمين زئير

(1) غار الماء: ذهب في الأرض، وسفل فيها، وماء غور: غائر، ويُغور البئر: أي يُذهب ماءها.

(2) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، وأبو نعيم - [كما في أسد الغابة].

(3) جذيلها: تصغير جذل وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به، أي أنا من يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك. وعذيقها: تصغير عذق (بالفتح) وهو النخلة. والمرجب (من الرجة): وهي أن تدعم النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع، يقال رجبها فهي مرجة، ويراد بهذا المثل مدح صاحبه.

(4) الأكمه: الذي ولد أعمى، أو هو عام. والبصير: المبصر.

نصرنا وآوينا النبي وماله سوانا من اهل الملتين نصر
ومات رضي الله عنه في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين.

جابر بن عبد الله وخبر إحياء ولديه

وأما جابر فهو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن
غنم بن كعب بن سلمة الجشمي السلمي، الصحابي ابن الصحابي، أمه نسيبة بنت
عقبة بن عددي من بني حرام أيضا. شهد جابر العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير؛
وروي عنه أنه قال: لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعي أبي فلما قتل لم أتخلف، وشهد
صفين مع علي. وكان رضي الله عنه من علماء الصحابة، فقد كانت له حلقة في
المسجد النبوي لأخذ العلم عنه، وكان أحد المكثرين من الحديث عن النبي ﷺ -
كما مر - وأخذ عنه كثير من أجلاء الصحابة والتابعين، وكف بصره في آخر عمره،
ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين - وقيل سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين - عن أربع
وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان - وكان أمير المدينة إذ ذاك - وكان جابر
أوصى أن لا يصلي عليه الحجاج، وقد قيل إنه كان آخر الصحابة موتا بالمدينة
رضي الله عنه.

وقوله: أحيا النبي ولديه أشار به إلى ما في شواهد النبوة من أن جابراً دعا
رسول الله ﷺ - ذات يوم - إلى القرى فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ففرح
جابر، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فجلس، وكان لجابر داجن⁽¹⁾ فذبحه
ليشويه؛ وكان له ابنان فقال كبيرهما للصغير: هلم أرك كيف ذبح أبي الحمل⁽²⁾،

(1) الداجن: الشاة تألف البيوت.

(2) الحمل (بالتحريك): الخروف، أو هو الجذع من الضأن فما دونه.

فاضطجع الصغير وربط يديه ورجليه، فذبحه وحز رأسه وجاء به إلى أمه، فلما رآته أمه دهشت وبكت، فخاف الصبي وهرب على السطح فتبعته أمه، فزاد خوفه فرمى نفسه من السطح فهلك، فسكتت المرأة وأدخلت ابنيها البيت وغطتهما بمسح في ناحية من البيت، واشتغلت بطبخ الحمل - وكانت تخفي الحزن وتظهر السرور - ولم يعلم جابر ما وقع. فلما تم الطبخ وقرب إلى رسول الله ﷺ أتى جبريل وقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تأكل مع أولاد جابر» فقال رسول الله ﷺ: ذلك لجابر، فطلب جابر ابنه فقالت امرأته إنهما ليسا بحاضرين، فأخبر جابر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله يأمرك بإحضارهما»، فرجع جابر إلى امرأته وأخبرها بذلك، فعند ذلك بكت المرأة وكشفت الغطاء عنهما، فلما رآهما جابر تحير وبكى وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تدعو لهما ويقول: منك الدعاء ومنا الإجابة والإحياء»، فدعا رسول الله ﷺ فحييا بإذن الله تعالى. [انتهى من الخميس بخروفيه]، قال: ولكنها لم تشتهر اشتهارا، وكانت هذه القصة في عام الخندق وقيل في غيره.

ومما يتناسب في المعنى مع ما ذكر من إحياء ولدي جابر ما ذكره الزرقاني على المواهب⁽¹⁾ قال: أخرج أبو نعيم أن جابرا بن عبد الله ذبح شاة وطبخها وثرده (أي فت الخبز في جفنة مع لحم الشاة)، وأتى بذلك رسول الله ﷺ فأكل القوم الذين معه، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم: «كلوا ولا تكسروا عظما»؛ ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام - قال جابر: لم أسمعه - فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها، فقال لي: «خذ شاتك يا جابر ببارك الله

(1) راجع: 5 / 184.

لك فيها»، فأخذتها ومضيت وإنها لتنازعني أذنهما حتى أتيت بها المنزل، قالت المرأة: ما هذا يا جابر؟ قلت: والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ﷺ دعا الله فأحيها، فقالت: أشهد أنه رسول الله.

وقوله: وسار شهرا.. إلخ: أشار به - رحمه الله - إلى ما ذكره صاحب الحلة السيرة في ترجمة جابر قال: وهو الذي رحل إلى مصر مسيرة شهر ليأخذ حديث القصاص عن عقبة بن عامر الجهني، فلما قدم عليه بمصر قال: جئتك لحديث القصاص، لم يبق أحد يحدث به غيرك أردت أن أسمعك قبل أن تموت أو أموت، قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر الله الناس حفاة عراة غرلا بُهْمًا (أي لا شيء لهم) ثم جلس على كرسيه تبارك وتعالى ثم ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قُرب يقول: أنا الملك الديان لا ظلم اليوم لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى لطمة بيد»، قيل يا رسول الله فكيف نأتي وإنما نأتي الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: «بهما من الحسنات والسيئات»⁽¹⁾.

وفي عمدة القارئ للبدر العيني: ذكر أبو سعيد بن يونس بسنده عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص عن عقبة بن عامر الجهني - وهو بمصر - فاشترت بعيرا

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده. والحفاة (بضم المهملة): جمع حاف وهو الذي يمشي بلا نعل ولا خف. وعراة (جمع عار): وهو المتجرد من ثيابه. وغرلا (بضم فسكون جمع أغرل): وهو الأقف الذي لم يحتتن. وبهما (بضم فسكون أيضا): أي ليس معهم شيء، وقيل أصحاء ليس فيهم شيء من العاهات التي تكون في الدنيا كالعمى والعمور وغير ذلك، بل أجسامهم صحيحة للخلود للخير أو الشر. والديان: من أسماء تعالي ومعناه: المحاسب والمجازي.

فشددت عليه رحلاً وسرت إليه شهراً حتى أتيت مصر⁽¹⁾؛ وذكر الحديث.

وقيل إن صاحب الحديث المروي عنه هو عبد الله بن أنيس الجهني، وليس عقبه بن عامر - كما ذكر؛ ففي صحيح البخاري في كتاب العلم: رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد. وروي عن جابر بن محمد بن عقيل انه سمع جابراً بن عبد الله يقول: بلغني عن رجل حديث سمعه عن رسول الله ﷺ فاشترت بهيراً ثم شددت رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر بن عبد الله على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم؛ فخرج فاعتقني فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فخشيت أن أموت قبل أن أسمع منك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهما..» - الحديث - قال البدر: قلت: يحتمل أن يكونا واقعيتين إحداهما لعبد الله بن أنيس والأخرى لعقبه بن عامر رضي الله عنهما. وقيل راوي الحديث الذي سار في طلبه هو أبو أيوب الأنصاري، فقد روي عن عطاء بن أبي رباح وغيره أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحل إلى عقبه بن عامر الجهني في حديث الست على المؤمن، فلما وصل إليه بمصر خرج إليه فعانقه، ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغيرك في الست على المؤمن، قال عقبه: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً

(1) كان البر متصلًا بين الجزيرة العربية ومصر عن طريق الشام وسيناء، قبل أن ينقطع باتصال الماء بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط عبر مجرى "قناة السويس" المصطنعة في أواخر القرن الميلادي التاسع عشر (1870م).

في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة»⁽¹⁾، فقال أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، وفي رواية أنه قال له: هل تذكر مجلساً كنت أنا وأنت فيه مع النبي ﷺ ليس أحد معنا؟ قال: نعم، قال: كيف سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «من اطلع من أخيه على عورة ثم سترها جعلها الله له يوم القيامة حجاباً من النار» قال: كنت أعرف ذلك ولكن وهمت الحديث فكرهت أن أحدث به على غير ما كان، ثم ركب راحلته ورجع.

وروى أبو داود من طريق عبد الله بن بريدة أن رجلاً من الصحابة رحل إلى فضالة بن عبيد - وهو بمصر - في حديث. وروى الخطيب عن عبيد الله بن عدي قال: بلغني حديث عند علي، فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت عليه العراق. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: وقيل في الراوي وفي المروي.. إلخ.

وفي هذه الرحلة دليل على ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية، وفيه فضل الازدياد من العلم ولو مع المشقة والنصب بالسفر وخضوع الكبير لمن يتعلم منه، وفيه دليل على طلب علو الإسناد لأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقنعه حتى رحل، فأخذه عنه بلا واسطة.

وأما والد جابر فهو أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، حضر العقبة وكان نقيباً، وشهد بدرًا وأحداً واستشهد به، وهو أول قتيل به من المسلمين قبل الهزيمة؛ وروى عن ابنه جابر قال: لقيني رسول الله ﷺ - أي بعد أحد - فقال: «يا جابر ما لي أراك منكسراً»؟ فقلت: يا رسول الله قتل أبي وترك ديناً وعيالا، فقال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قلت:

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

بلى يا رسول الله، قال: «إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب فقال له: يا عبدي تمن أعطك قال: يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا، فقال الربُّ تعالى: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽¹⁾.

وروي عن جابر أيضا قال: جيء بأبي يوم أحد إلى النبي ﷺ — وقد مثل به — فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه وجاءت عمي تبكي، وجعلت أبكي عليه وجعل القوم ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، فقال صلى الله عليه وسلم: «ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه»⁽²⁾. وإلى هذا أشار الناظم بقوله والده سأله الإله.. إلخ، وقد تقدم التعريف بعبد الله هذا في ذكر النقباء.

وأما عقبة بن عامر المذكور في النظم فهو أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رَشْدَانَ بن قيس بن جهينة؛ الجهني الصحابي المشهور، روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس وجابر وأبو أمامة وجبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني.. وخلق من أهل مصر. وقد روي عنه أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غنيمة لي أرهاها، فما إن تناهى إلي خبر قدومه حتى

(1) آل عمران: 169. والحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما. والنكسر: الحزين. وكفاحا: أي مواجهة دون ستر أو حجاب.

(2) حديث «ابكوه أو لا تبكوه..» الخ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ومسلم في كتاب فضائل الصحابة والإمام أحمد في مسنده — (ج:3).

تركتها ومضيت إليه لا ألوي على شيء، فلما لقيته قلت: تبايعني يا رسول الله؟ قال: «فمن أنت؟» قلت: عقبه بن عامر الجهني، قال: «أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ تَبَايَعُنِي بِيَعَةَ أَعْرَابِيَةِ أَوْ بِيَعَةَ هَجْرَةَ؟» قلت: بل بيعة هجرة، فبايعني رسول الله ﷺ على ما بايع عليه المهاجرين، وأقمت معه ليلة ثم مضيت إلى غنيمي⁽¹⁾. ثم إنه رضي الله عنه عاد إلى المدينة وأقام في المسجد بجوار رسول الله ﷺ يسمع ما ينزل عليه من الوحي ويتفقه في دينه، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوم الظل لصاحبه، فكان يأخذ له بزمام بغلته أينما سار ويمضي بين يديه أنى اتجه، وكثيرا ما أردفه صلى الله عليه وسلم ورائه حتى دعي "برديف رسول الله ﷺ" فكان من خدمه، وعرف بأنه صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم؛ ففي الخميس: كان عقبه بن عامر الجهني من خدامه صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وروي عنه أنه قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اركب يا عقبه» فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية فركبت هنيهة ثم نزلت⁽²⁾ ثم ركب النبي ﷺ، وكان عقبه يقود به البغلة في صعودها وهبوطها وخروجها عن الطريق رفقا به صلى الله عليه وسلم، وقد جعل رضي الله عنه همه في أمرين: العلم والجهاد، ولم تمض عليه فترة وجيزة حتى صار من أكابر علماء الصحابة بالكتاب والسنة، ومن شيوخ القراء والمحدثين؛ وكان ممن جمع القرآن، وكان فقيها عالما بالفرائض كاتباً شاعراً فصيح اللسان. وإلى ذلك أشار بقوله خادم خير العالمين المعتنى..

(1) رواه ابن الأثير: 3 / 550.

(2) أخرجه أحمد بلفظ قريب منه. والنقب: الطريق في الجبل جمعه: نقاب وأنقاب. وأجللت: أعظمت. وأشفقت: أي خفت وحذرت. وهنيهة: ساعة يسيرة.

وقد شهد مع رسول الله ﷺ أحدا وما بعدها من المغازي ، وأبلى بلاءً حسناً في الفتوح - وخاصة يوم فتح دمشق - وكان هو البريد إلى عمر⁽¹⁾ بفتحها واتخذ بها دارا لنفسه، وكان أحد قادة جيوش المسلمين التي فتحت مصر، وشهد صفين مع معاوية وولاه بعد ذلك مصر وابتنى بها دارا، ثم عزله عنها سنة سبع وأربعين، وتوفي بها في خلافة معاوية - على الصحيح - قيل: سنة ثمان وخمسين، ودفن في سفح المقطم (وهو جبل مطل على القاهرة من جهة الجنوب). والله سبحانه وتعالى أعلم.

عمرو بن الجموح

ومن بني سلمة - أيضا - ثم من بني حرام منهم: عمرو بن الجموح (بفتح الجيم وتخفيف الميم) بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الجشمي السلمي، كان سيديا من سادات الأنصار وشريفا من أشراف بني سلمة، وأحد أجواد المدينة وذوي المروآت فيها. روي أنه كان على أصنام بني سلمة قبل أن يسلم، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يعظمه، فلما أسلم فتيان بني سلمة - ومنهم ابنه معاذ بن عمرو وتربه معاذ بن جيل - كانوا يدخلون على صنم عمرو فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة التي ترمى فيها الأقدار، فيغدو عمرو في طلبه فيجده منكبا لوجهه في العذرة فيأخذه ويغسله ويطيبه، ويقول: لو أعلم من صنع هذا بك لأخزيت⁽²⁾. ففعلوا ذلك مرارا، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه وقال: إن كان فيك خير فامتنع، فلما أمسى أخذوا كلبا ميتا فربطوه في عنقه، فلما أصبح طلبه فوجده كذلك؛ فأبصر رشده وأسلم. وقال يخاطب صنمه ذلك ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى

(1) البريد: الرسول، ويقال للمسافة التي يقطعها الرسول نحو اثني عشر ميلا تقريبا.

(2) أخزاه: أوقعه في الخزي، وهو الهوان والذل.

والضلالة:

تالله لو كنت إها لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن⁽¹⁾
أف للمقاك إها مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن⁽²⁾
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ذيان الدين⁽³⁾
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتنه

بأحمد المهدي النبي المؤمن

ثم قال:

أتوب إلى الله سبحانه وأستغفر الله من ناره
وأثني عليه بآلاته بإعلان قلبي وإسرايره

وكان رضي الله عنه قد جاوز الستين من عمره. ثم شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا واستشهد به، وكان شديد العرج⁽⁴⁾ وكان له أربعة بنين مثل الأسود، وكانوا يقاتلون مع رسول الله ﷺ. ولما أراد الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا له: والله ما عليك من حرج؛ فقد عذر الله الأعرج، وأرادوا حبسه؛ ولكن قوة إيمانه وعظيم

(1) القرن (بالتحريك): جبل يقرب به البعيران.

(2) أف (بضم الهمزة وتشديد الفاء): اسم فعل بمعنى: أتضجر وأتكره، يقال: أفا له وعليه أي قدرا له. ومستدن: من السدانة (وهي خدمة البيت وتعظيمه. وسوء الغبن: أي سوء الرأي، يقال: غبن رأيه، كما يقال: سفه نفسه.

(3) الدين: جمع دينة وهي العادة ويقال لها: دين أيضا، قال يزيد بن الطثرية:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فأدغمت سهمي وسطهم حين أوخشوا فما صار لي في القسم إلا ثمينها

(4) العرج (بالتحريك): مشية الأعرج، وهو الذي أصابه شيء في رجله فمشى مشية غير مستوية.

إيقانه حملاه على الخروج، فأتى رسول الله ﷺ وقال له: إن بني أرادوا أن يجبسوني عن الخروج معك وإني لأرجو أن أطأ الجنة بعرجتي هذه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «لا عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة»⁽¹⁾، فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه في الجنة؟ قال: «نعم»⁽²⁾، فأخذ سلاحه وولّى وقال: والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فلما ولّى أقبل على القبلة وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً. وخرج إلى أحد فقاتل حتى قتل، روي أنه لما انكشف المسلمون حمل هو وابنه خلاد بن عمرو على المشركين فقاتلا حتى استشهدا معاً؛ فلما مر به رسول الله ﷺ قال: «إني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»، وفي رواية: «رأيت يطأ في الجنة بعرجته». ودفن رضي الله عنه مع ابن عمه عبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، وكانا متصافيين⁽³⁾ في الحياة وصهرين لأنه كانت تحتة هند بنت عمرو بن حرام اخت عبد الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره»⁽⁴⁾ منهم عمرو بن الجموح». وكان رضي الله عنه يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج. وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح شهد العقبة وبدرا واشترك هو وبنو عفراء في قتل أبي جهل يوم بدر، وضربه عكرمة بن أبي جهل على عاتقه فقطعه، فأتى معاذ

(1) رواه ابن الأثير: 3 / 705.

(2) أخرجه أحمد بلفظ قريب منه، ورواه ابن هشام وابن أبي شيبة.

(3) تصافى القوم: أخلص بعضهم الود لبعض، والصفى: الصديق المخلص.

(4) رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه وأحمد، وغيرهم بروايات متقاربة.

بعاقته إلى رسول الله ﷺ فألصقه في محله فالتصق، ومات معاذ هذا في خلافة عثمان.

ومن بني حرام أيضا ابن أخي عمرو بن الجموح هذا وهو عمير بن الحمام بن الجموح، شهد بدرا واستشهد به، قتله خالد بن الأعمى العقيلي. وكان عمير هذا قد مر به رسول الله ﷺ وهو يحرض الناس على القتال ويقول: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»، فقال عمير: بخ بخ⁽¹⁾ فما يبني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء - وكانت بيده تمرات يأكلهن فقفدها من يده - وقاتل حتى قتل وهو يرتجز، وقد قيل إنه أول قتيل من الأنصار في الإسلام [قاله في الاستبصار]، وقيل أول قتيل منهم في الإسلام نفيح بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي، وكان قد أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، فضربه رجل من مزينة حليف للأوس فقتله وهو بطحان⁽²⁾ من أحد، فيما كان بين الأوس والخزرج [حكاه ابن الكلبي]. ولا عقب له [كما في أسد الغابة]. ثم قال رحمه الله:

هُمُ الْأَلَى سَأَلَ مَنْ سَيِّدُهُمْ نَبِيْنَا وَقَدْ تَوَارَى جَدُّهُمْ
غَيْرُ الْمَسْوَدِ بِجَنْبِ نَاقَتِهِ عَنِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مِنْ سَخَافَتِهِ

(1) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم [كما في أسد الغابة] ورواه ابن هشام. وصابرا: حابسا نفسه عن الجزع. ومحتسبا: أي ينوي به وجه الله تعالى ويطلب الأجر منه. وبخ بخ: كلمة مزدوجة تقال (بتنوين الخاء وتسكينها، مخففة ومشددة) عند الإعجاب من الشيء والرضا به - [لسان العرب وغيره].

(2) بطحان (بضم فسكون): واد بالمدينة.

فِي الْجَدِّ ذَا، إِذْ هُوَ غَيْرُ مُغْنٍ، أَنْزَلَ: ﴿إِيذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾

قوله هم: ضمير عائذ على بني سلمة المتقدم ذكرهم. والألى: بمعنى الذين. وتواري: أي اختفى. وجدهم: فاعل تواري، وهو اسم رجل؛ أي جد بني سلمة وهو الجد بن قيس بن صخر السلمي. وجملة قد تواري.. إلخ: حالية. وغير (بالرفع): صفة لجدهم. والمسود (كمعظم): المجمعول سيدا على قومه مؤمرا عليهم.

وقوله بجنب ناقته: متعلق بتواري، والضمير فيه عائذ على جدهم. وقوله عن بيعة الرضوان: متعلق بتواري أيضا. وقوله من سخافته: مفعول لأجله، والسخافة (كسحابة): ضعف العقل ونقصانه. وقوله في الجدد ذا: متعلق بأنزل. وذا: إشارة لجدهم. وإذ: تعليلية. وقوله غير مغن: من الغناء (بالفتح والمد): وهو النفع. وأنزل: بالبناء للمفعول. وجملة قوله إيذن لي.. إلخ: نائب فاعل أنزل.

الجد بن قيس

يعني أن بني سلمة الجشميين هؤلاء هم الذين سألهم رسول الله ﷺ من سيدهم؟ فقالوا له: الجد بن قيس على بخل فيه، فنزع رسول الله ﷺ منه سيادة بني سلمة وأعطاهما عمرو بن الجموح. والجد هذا هو أبو عبد الله الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الجشمي السلمي، كان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة الخزرجيين الجشميين، ولكن رسول الله ﷺ سود عليهم مكانه عمرو بن الجموح، لأن الجد بن قيس هذا كان من المنافقين.

وحاصل ما أشار إليه الناظم من خيره أنه لما غزا رسول الله ﷺ غزوة الحديبية كان الجد بن قيس هذا ممن سار معه في رجال بني سلمة؛ فلما بلغ رسول الله ﷺ عليه وسلم الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى قريش ليخبرهم أنه إنما جاء معتمرا وزائرا للبيت؛ فحبسوه عندهم. فبلغ رسول الله ﷺ أنهم قتلوه فقال: «لا نبرح

حتى نناجز القوم»، ودعا الناس للبيعة فأقبل الناس يزدحمون عليها، فبايعوه على الموت وعلى أن لا يفروا، فكانت بيعة الرضوان التي مرَّ ذكرها، وكان من جملة من بايعه - يومئذ - رجال بني سلمة لم يتخلف منهم عن مبايعته إلا الجد بن قيس هذا فاختبأ عن الناس تحت إبطِ ناقته. روي عن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية على أن لا نفر، ولم يتخلف منا - بني سلمة - عن بيعة الرضوان إلا الجد بن قيس، والله لكأنني أنظر إليه لاصقاً بإبطِ ناقته يستتر بها عن الناس!. ثم جاء رجال بني سلمة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا بني سلمة من سيدكم؟» فقالوا له: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «(وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح»، وفي رواية: «بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»، وفي رواية أخرى: «بشر بن السراء» - كما مر. وإلى الأولى أشار أحد شعرائهم بقوله:

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من تعدون سيداً؟
فقلنا له الجد بن قيس على التي	نُبخله فيها وإن كان أسوداً ⁽¹⁾
فسود عمرو بن الجموح لجوده	وحق لعمرو بالندى أن يسودا
فتى ما تخطى خطوة لدنية	ولا مد في يوم إلى سوءة يدا ⁽²⁾
إذا جاءه الركبان أنفق ماله	وقال: خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا جدُّ بن قيس على التي	على مثلها عمرو لكنت المسوداً

ولما أراد رسول الله ﷺ غزو الروم ومن معهم بتبوك في رجب سنة تسع للهجرة - وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم - خرج في حر شديد وجذب كثير

(1) نبخله: أي ننسبه إلى البخل. والأسود: من القوم أجلمهم، يقال: "هو أسود من فلان" أي أجل منه.

(2) الدنية: المذمة والعار. والسوءة: الخلة القبيحة والفاحشة.

واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا، وكان ذلك حين طابت الثمار وأورفت الظلال. فاستنفر رسول الله ﷺ المسلمين للغزو وحث الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله وعلى إعانة المعسرين، فطلق المسلمون يتجهزون والأغنياء ينفقون، وعند ذلك جاء رجال من خيار المسلمين يستحملون رسول الله ﷺ، وهم ذوو حاجة، ويكرهون التخلف عن مشهد خرج له رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا وهم يكون، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾⁽¹⁾. ثم طفق المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلف عن الغزو، ويتعللون بالجهد⁽²⁾ وكثرة العيال.. وغير ذلك من الأعدار الكاذبة، فنزل القرآن بتكذيبهم وذمهم والوعيد لهم؛ وكانوا أكثر من ثمانين رجلا، وكان بعضهم يثبط المسلمين ويقول: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الجبال، إرجافا وترهيبا للمؤمنين⁽³⁾.

وكان الجد بن قيس السلمي المذكور ممن يغمص بالنفاق⁽⁴⁾، فجاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في القعود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل لك في الخروج معنا هذا العام لعل الله ينفلك من بنات بني الأصفر»، وفي رواية أنه قال له:

(1) التوبة: 92، والحديث: أخرجه البخاري ومسلم.

(2) طفق المنافقون: أي أخذوا وشرعوا. يتعللون: أي يبدون حجتهم ويتمسكون بها. والجهد (بفتح الجيم وضهما): الطاقة والمشقة.

(3) الإرجاف في الشيء وبه: الخوض فيه، وهو خاص بالأخبار السيئة والفتن قصد أن يهيج الناس. والأراجيف: الأخبار المختلفة الكاذبة، يقال: "إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف" أي عند الخوف تكثر الأخبار الكاذبة السيئة. والترهيب: التخويف.

(4) يغمص بالنفاق: يعاب به.

«يا جدُّ هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء»⁽¹⁾ [أو كما قال صلى الله عليه وسلم] فقال الجد: قد عرف قومي - يعني الأنصار - أني مغرم بالنساء وإني أحشى أن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فلا تفتني وأذن لي في القعود وأعينك بمالي. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك»، فجاء ابنه عبد الله ابن الجد - وكان بدريا أحديا - وقال: يا أبت لم ترد على رسول الله ﷺ مقاتته والله إنك لأغنى من بين لابتيتها وما بك عجز عن الخروج، فقال: يا بني ما لي وغزو بني الأصفر؟ والله إني لأخافهم وأنا بمنزلي، فكيف أغزوهم في عقر دارهم⁽²⁾؟ فقال: يا أبت ولكنه التَّفَاق والله لا آمن أن ينزل فيك قرآن يتلى، فلطم الجد ابنه على وجهه وقال: أنت أشد علي من محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَذِّنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾.

وروي - أيضا - أن الجد بن قيس هذا كان ممن يشبط الناس عن الخروج مع رسول الله ﷺ لتبوك ويقول: يا بني سلمة لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾⁽⁴⁾ - الآية. وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا

(1) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة، والطبري في تفسيره. وينفلك: أي يعطيك النفل (وهو الغنيمة).
والوصفاء (جمع وصيف) وهو الغلام دون المراهق الذي بلغ أوان الخدمة.

(2) عقر الدار: وسطها.

(3) التوبة: 49.

(4) التوبة: 81.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ نزلت في نفر ممن تخلف عن تبوك، منهم الجند بن قيس؛ وقد قيل إنه تاب وحسنت توبته، ومات في خلافة عثمان. والله أعلم.

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى بطن بني أدي بن سعد الجشميين بذكر بعض أعيانهم، فقال:

مِنْ جُشَمٍ أَيْضًا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمْضَى اجْتِهَادَهُ النَّبِيُّ إِذْ عَدَلَ

معاذ (بضم الميم): مبتدأ خبره الجار والمحرور قبله. وابن جبل (بالتحريك): صفة. وجملة قوله أمضى اجتهاده.. إلخ: صفة لمعاذ أيضا.

ترجمة معاذ بن جبل

يعني أن من بني جشم بن الخزرج ثم من بني أدي بن سعد منهم: سيدنا معاذ بن جبل الجشمي، وهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي، أسلم رضي الله عنه على يد مصعب بن عمير، وشهد العقبة الثانية وبايع بها النبي ﷺ، وشهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد؛ وكان على رأس نفر من شباب المدينة تجمعوا لكسر الأوثان وانتزاعها من بيوت المشركين في المدينة سرا وعلانية، مما كان سبباً في إسلام كثير من مشايخ ورجالات المدينة، مثل عمرو بن الجموح شيخ بني سلمة - كما مر.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة لزمه معاذ وأخذ عنه القرآن العظيم، وتلقى عليه شرائع

(1) التوبة: 102.

الإسلام حتى غدا من أقرأ الصحابة لكتاب الله وأعلمهم بشرعه، فكان من العلماء الأجلاء إماما مقدما في علم الحلال والحرام في الصحابة. ففي أسد الغابة بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمي بأمي أبو بكر» — وذكر الحديث وفيه: «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»⁽¹⁾. وكان ابن مسعود يقول: إن معاذًا ﴿كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ وروي أنه كان في بدء الإسلام من فاته شيء من الصلاة سأل كم فاته؟ فيشار إليه بذلك فيصلبه ثم يدخل مع النبي ﷺ فيما بقي؛ فجاء معاذ وقد فاته شيء فقال لا أجد النبي صلى الله عليه وسلم في شيء إلا دخلت معه فيه، فأحرم مع النبي ﷺ، فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قام فقضى ما سبق به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سن لكم معاذ فهكذا اصنعوا»⁽²⁾؛ فصار الأمر على ذلك. وكان معاذ ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقد مر أنه كان من الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، وروى كثيرا عن النبي ﷺ، وروت عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وأبو أمامة الباهلي وأبو قتادة الأنصاري وجابر بن سمرة،

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى. وفي ابن ماجه عن ابن عمر، والاستيعاب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمي بأمي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على بن أبي طالب وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وأمينا هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأبو هريرة وعاء العلم وعند سلمان علم لا يدرك وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر». ومعنى أفرضهم: أي أكثرهم علما بالفرائض. والخضراء: السماء. وأقلت: حملت. والغبراء: الأرض.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

وغيرهم.. وكان ابن عمر يقول: حدثونا عن العالمين العالمين معاذ بن جبل وأبي الدرداء. وكان رضي الله عنه يمتاز على أترابه بحدة الذكاء وقوة العارضة، وعلو الهمة⁽¹⁾. وبعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن - عام فتح مكة - قاضيا وداعيا إلى الإسلام وقال له حين وجهه إليه: «م تقضي يا معاذ»؟ قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: بسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: أجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما يجب رسول الله»⁽²⁾. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: أمضى اجتهاده النبي إذ عدل.

وروي في خير إرساله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن؛ أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الغداة وأقبل على الناس بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال أبو بكر الصديق: أنا يا رسول الله، فسكت عنه فلم يجبه؛ ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا يا رسول الله، فسكت عنه فلم يجبه؛ ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال معاذ: أنا يا رسول الله، فقال له: «أنت يا معاذ وهي لك» ثم قال: «يا بلال اثني بعمامتي»، فعمم بها رأسه وشد له على راحلته وشيعه ومن كان معه من المهاجرين والأنصار؛ ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي إلى جنبه يوصيه، فقال معاذ: يا رسول الله أنا راكب وأنت تمشي! فقال: «يا معاذ إنما أحتسب خطاي هذه في سبيل الله». وأوصاه بوصايا وقال له: «يا معاذ إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن

(1) الذكاء: سرعة الفطنة وحدة الفؤاد. والعارضة: الرأي الجيد وتنقيح الكلام. يقال: فلان ذو عارضة: أي ذو بيان ولسن وبديهة. وعلو الهمة: هو طلب معالي الأمور.
(2) أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد في مسنده.

لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات باليوم واللييلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»⁽¹⁾، وقال: «يا معاذ إنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تحرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل ولا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب» - [رواه البخاري]. وروي أنه صلى الله عليه وسلم بعث مع معاذ رجلا من الصحابة، منهم عبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة، وأميرهم معاذ؛ وكتب إلى أهل اليمن: «إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا وإني قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وخيرتهم وأولى علمهم آمركم بهم خيرا فإنه منظور إليهم؛ والسلام»⁽²⁾. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ودعه: «حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ودرأ عنك شرور الإنس والجن»، ثم قال: «يا معاذ لو أنا نلتقي بعد يومنا هذا لقصرت إليك فى الوصية ولكننا لا نلتقي إلى يوم القيامة»، وفى رواية: «لا تلقاني بعد عامى هذا ولعلك تمر بمسجدي وقبري»، فبكى معاذ جزعا لفراق رسول الله ﷺ؛ ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» - [رواه أحمد].

ومضى معاذ حتى أتى صنعاء اليمن فصعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه وصلى

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) روى ابن سعد نحوه - [كما فى الإصابة].

على النبي ﷺ ثم قرأ عليهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فأتاه صناديد صنعاء فقالوا له: يا معاذ هذا منزل فرغناه لك ونزل⁽¹⁾ هيأناه لك، فقال معاذ: ما بهذا أوصاني حبيبي رسول الله ﷺ. فكان رضي الله عنه يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه رسول الله ﷺ قبض الصدقات من العمال الذين باليمن. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم اليمن على خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء، والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وزباد بن لييد على حضرموت، ومعاذ بن جبل على الجند⁽²⁾ باليمن، وأبي موسى الأشعري على زبيد وزمعة وعدن والساحل. ومكث معاذ بن جبل معهم أربعة عشر شهرا، وأسلم جميع ملوكهم: كذي الكلاع وذو ظليم وذو زرود وذو مران، وغيرهم. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من اليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم استعمله عمر على الشام؛ وبه توفي في طاعون عمواس بناحية الأردن سنة ثمان عشرة للهجرة عن ثمان وثلاثين - وقيل ثلاث وثلاثين، وقيل ثمان وعشرين - سنة.

وكان شابا جميلا طويلاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض وضيء الوجه براق الثنايا، وابنه عبد الرحمن بن معاذ مات أيضا في الطاعون بالشام. وأخو معاذ ربيعة بن جبل انقرض عقبه، وانقرض بنو أدي بن سعد إخوة بني سلمة.

ثم أشار الناظم إلى بطن بني غضب بن جشم بن الخزرج، فقال رحمه الله:

ذَكَوَانُ الْمَهَاجِرِيُّ الْعَقَبِيُّ بَنُو زُرَيْقٍ وَبَيَاضَةُ الْأَبِيِّ

(1) صناديد: جمع صنديد للسيد الشجاع. والنزل (بضمين وبضم فسكون): ما هيئ للضيف.

(2) الجند (بالتحريك): ولاية باليمن.

أَخُو زُرَيْقٍ وَزُرَيْقٌ ائْتَسَبَ إِلَيْهِ عَجْلَانُ قَبِيلِ الْمُتَخَبِ
 رَافِعِ النَّقِيبِ بِالإِسْلَامِ أَوَّلِ قَادِمٍ عَلَى الأَعْلَامِ
 هُنَا ائْتَهَى جُشْمٌ

قوله ذكوان (بالرفع): مبتدأ حذف خبره، أي ومن جشم - أيضا - ذكوان، والمهاجري والعقي صفتان لذكوان. وقوله بنو زريق (بتقديم المعجمة على المهملة، بوزن زبير): عطف على ذكوان بحذف العاطف؛ وهو من عطف العام على الخاص لأن ذكوان أحد بني زريق. وقوله وبياضة (بوزن سحابة): مبتدأ. والأبي: صفته. وأخو زريق: خبره، وبنو زريق وبنو بياضة قبيلتان من بني جشم بن الخزرج، كما مر. يعني أن من بني جشم بن الخزرج - أيضا - بني زريق وبني بياضة ابني عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج.

قوله وزريق: مبتدأ خبره جملة قوله انتسب إليه.. إلخ. وعجلان (بفتح العين المهملة وسكون الجيم): فاعل انتسب، وعجلان هذا هو عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، والمراد به بنو العجلان، ولذا وصفه بقبيل باعتبار معناه، والقبيل (بوزن أمير): الجماعة. والمنتخب (بصيغة اسم المفعول): المختار. ورافع (بالجر): بدل من المنتخب. والنقيب وأول قادم (بالجر فيهما): صفتان لرافع. وقوله بالإسلام: متعلق بقادم. والأعلام: جمع علم (بالتحريك): وهو في الأصل الجبل العالي الذي يهتدى به، والمراد بالأعلام هنا أهل المدينة الأولون وهم الأنصار.

يقول ومن بني زريق بنو العجلان، فصيلة رافع بن مالك العجلاني. أما ذكوان فهو ابن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي الزرقي، شهد العقبة الأولى والثانية، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: العقي؛ وشهد أيضا بدرا وأحدا

واستشهد به. كان هو وأسعد بن زرارة أول من قدم بالإسلام إلى المدينة، ثم رحل منها ذكوان إلى مكة وسكنها مع رسول الله ﷺ حتى هاجر، ثم هاجر بعد، فكان مهاجريا أنصاريا؛ وإلى ذلك أشار بقوله: المهاجري. وقد مر التعريف بذكوان هذا في أهل العقبة الأولى.

وأما بنو زريق فهم بطن من بطون بني جشم، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وتفرعوا إلى عدة أفخاذ، منهم بنو مخلد بن عامر بن زريق، وبنو خلدة بن عامر بن زريق. فمن بني مخلد ذكوان بن عبد القيس — المذكور — ومنهم قيس بن محسن بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الجشمي الزرقبي، شهد بدرًا وأحدا.

ومنهم الحارث بن قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، حضر العقبة وشهد بدرًا وسائر المشاهد ثم شهد اليمامة، فجرح يومئذ جرحا اندمل حتى انتقض⁽¹⁾ في خلافة عمر فمات منه، فهو معدود من شهداء اليمامة. ومنهم — أيضا — سعد وعقبة ابنا عثمان بن خلدة بن مخلد، شهدا بدرًا وأحدا؛ وفرا يومئذ حتى بلغا الجبل مما يلي الأعوص وأقاما به ثلاثا، ولما رجعا قال لهما النبي ﷺ: «لقد ذهبتما بها عريضة»⁽²⁾، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) اندمل الجرح: تماثل وترجع إلى البرء. وانتقض الجرح بعد برئه: نكس.

(2) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن هشام في سيرته، ونقله في الاستبصار. وقوله: "عريضة" يعرض هزيمتهم.

(3) آل عمران: 155.

ومن بني خلدة بن عامر بن زريق: معاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق الجشمي الزرقي، شهد بدرًا وأحداً واستشهد يوم بئر معونة، وكان فارساً أعطاه النبي ﷺ فرس أبي عياش الزرقي حين سقط عنها أبو عياش يوم ذي قرد. ومنهم أبو عياش عبيد بن معاوية بن الصامت بن زيد بن خلدة بن عامر بن زريق الزرقي. ذكر أهل المغازي أنه مر بالنبي ﷺ يوم ذي قرد على فرس فقال له النبي ﷺ: «يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس من هو أفرس منك فيلحق بالخيول وتلحق أنت بالناس»⁽¹⁾ فقال: يا رسول الله أنا أفرس الناس، ثم ركضه فما جرى خمسين ذراعاً حتى طرحه، فلما سقط أبو عياش عنه أعطاه لمعاذ بن ماعص ابن عمه. ومات أبو عياش هذا في عهد معاوية.

وأما بنو بياضة فهم بطن - أيضاً - من بطون بني جشم بن الخزرج، وهم إخوة بني زريق كما قال: وبياضة الأبى أخو زريق.. وبياضة هذا قيل اسمه عبد الله؛ فهم بنو بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، منهم زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، شهد العقبة، وخرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام معه حتى هاجر فرجع إلى المدينة، فكان مهاجراً أنصاريًا، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وولاه رسول الله ﷺ حضرموت؛ فلما توفي رسول الله ﷺ منع بعضهم زكاة ماله، فناذبهم وحاصرهم⁽²⁾ في بعض حصونهم، ولم يزل كذلك حتى أمده أبو بكر بالمهاجر بن أبي أمية⁽³⁾ فألحا

(1) أخرجه ابن هشام.

(2) نابذه منابذة: خالفه وفارقه عن عداوة. ونابذه الحرب: جاهره بها. وحاصرهم: أي أحاط بهم ومنع عنهم الأمداد.

(3) اسم المهاجر هذا: الوليد بن أبي أمية المخزومي، وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها، ولما هاجر سماه النبي صلى الله عليه وسلم "المهاجر" فصار يعرف بهذا الاسم ويدعى به.

على قتالهم حتى فتحوا الحصن وبعثوا الأشعث بن قيس أسيرا إلى أبي بكر. ومات زياد في خلافة معاوية.

ومنهم - أيضا - زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرًا وأحدا، وأسره المشركون يوم بعث الرجيع وبيع بمكة من صفوان بن أمية فقتله سنة ثلاث. ومنهم - أيضا - عمرو بن النعمان بن خلدة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة رأس الخزرج يوم بعث (وكانت بعث آخر وقعة بين الأوس والخزرج قبل قدوم النبي ﷺ بست سنين - كما مر) وابنه النعمان بن عمرو كانت بيده راية المسلمين يوم أحد، [كما في الاستبصار].

وأما بنو العجلان فهم بطن من بني غضب بن جشم - أيضا - ثم من بني زريق منهم، وهم بنو العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج. منهم رافع بن مالك نقيب بني العجلان، وهو أبو مالك رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن غضب الجشمي الزرقى، كان من الستة الأولى الذين لقوا رسول الله ﷺ بالعقبة فآمنوا به وأحدَ الإثني عشر وأحدَ السبعين وأولَ من أسلم من الخزرج وأولَ من حمل القرآن إلى المدينة. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: بالإسلام أول قادم على الأعلام، وقد مر التعريف به في الستة المذكورين.

ومن بني العجلان - أيضا - النعمان بن العجلان بن النعمان بن عامر بن العجلان الجشمي الزرقى، كان سيّدا من سادات الأنصار وشاعرا من شعرائهم، وهو القائل:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس من بدر
وأصحاب أحد والنضير وخير ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

ويوم بأرض الشام إذ قيل جعفر
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله
ونضرب في يوم العجاجة رؤسا
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف
وقلنا لقوم هاجروا مرحبا بكم
نقاسمكم أموالنا وديارنا
وزيد وعبد الله في علق يجري⁽¹⁾
نطاعن فيه بالثقف السمر⁽²⁾
بيض كأمثال البروق على الكفر
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وأهلا وسهلا قد أمتم من الفقر
كقسمة ايسار الجزور على الشطر .. الخ.

قيل إنه هو الذي خلف على خولة بنت قيس بن قهد الأنصارية بعد قتل حمزة بن عبد المطلب عنها يوم أحد، وروي أن النبي ﷺ دخل عليه يوما وهو يوعك فقال: «كيف تجدك يا نعمان؟» فقال: أجدني أوعك، فقال: «اللهم شفاء عاجلا»⁽³⁾، واستعمله علي بن أبي طالب على البحرين، فجعل يعطي كل من جاءه من بني زريق، فقال أبو الأسود الدؤلي:

أرى فتنة قد أهدت الناس عنكم
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم
فندلا زريق المال ندل الثعالب⁽⁴⁾
يبدد مال الله فعل المناهب⁽⁵⁾

ومن بني جشم - أيضا - بنو الحارث بن زيد مائة بن حبيب بن مالك بن غضب

(1) يعني بيوم الشام: يوم مؤتة. وجعفر: هو جعفر بن أبي طالب. وزيد: هو ابن حارثة. وعبد الله: هو ابن رواحة (وهم أمراء جيش مؤتة، وكانت غزوة مؤتة سنة 8 هـ). والعلق: الدم. ويجري: يسيل.

(2) المثقفة: الرماح المقومة بالثقف، وهي أداة من خشب أو حديد تقوم بها الرماح لتستوي وتعتمد. والسمر: جمع أسمر وهو ذو السمرة وهي لون بين السواد والبياض.

(3) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن السكن وابن منده - [كما في الإصابة].

(4) ندل الشيء: جذبته وخطفه بسرعة. والثعالب: جمع ثعلب للذكر والأنثى (وهو حيوان مشهور بالتحيل والروغان).

(5) يبدد: أي يفرق. والمناهب: المغالب على أخذ المال بالقهر.

بن جشم، وهم حلفاء بني بياضة، منهم سلمة بن صخر بن سلمان بن الصمة بن حارثة بن الحارث البياضي الذي ظاهر من زوجته وأمره النبي ﷺ بالكفارة، وكان أحد البكائين حزنا ألا يجدوا ما ينفقون؛ وكان أبوه صخر شاعرا.

ومن جشم - أيضا - بنو مالك بن زيد مناة - وهم حلفاء بني زريق - منهم نفيح بن المعلى الذي هو أول قتيل من الأنصار في الإسلام - كما مر. ومنهم عبيد بن صخر بن لوزان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن مالك بن غضب بن جشم، بعثه رسول الله ﷺ عاملا على اليمن، روي عنه أنه قال: عهد النبي ﷺ إلى عماله على اليمن في البقر في كل ثلاثين: تبيع، وفي كل أربعين: مسنة، وليس في الأوقاص بينهما شيء⁽¹⁾. ومنهم أبو زغنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة أخو بني جشم بن الخزرج، شهد أحدا؛ وجعل يرتجز ويقول:

أنا أبو زغنة يعدو بي الهزم لم تمنع الحزاة إلا بالألم
يحمي الذمار خزرجي من جشم⁽²⁾

ومن بني عبد حارثة بن مالك بن غضب أبو جيلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة، الملك الغساني الذي جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود بالمدينة. والله أعلم. ولما أنهى الناظم الكلام على بني جشم كما قال: هنا انتهى جشم.. شرع في الكلام على بني عوف بن الخزرج، فقال رحمه الله:

(1) قاله في الاستبصار والاستيعاب. والتبيع: ولد البقر في الأولى. والأوقاص: جمع وقص وهو ما بين الفريضتين في الصدقة. [القاموس].
(2) يعدو: أي يسرع. والهزم: اسم فرس. والحزاة (بضم الميم وفتحها): الغناء. والذمار (بالكسر): ما تجب حمايته وحفظه والدفاع عنه والأهل، يقال "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعنف، قيل: سمي ذمارا لأنه يجب على أهله التذر له: أي التغضب له.

بنو عوف بن الخزرج*

... ..
 أَمَّا عَوْفُهُمْ فَالْحَبْلِيُّ ابْنُ أَبِي كَبْشُهُمْ
 قَبْلُ فَجَلُّهُ السَّمِيُّ الْمُهْتَدِيُّ أَوْسَ بْنَ خَوْلَى وَرِفَاعَةَ أَعْدَدُ

أما (بفتح الهمزة): مر الكلام على معناها. وعوفهم: مبتدأ والضمير المضاف إليه عائد على الخزرج. وقوله فالحبلي (بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة): مبتدأ أيضا، نسبة إلى سالم الحبلي بن غنم بن عوف بن الخزرج؛ ويقال في النسبة إليه أيضا حُبلي (بضمّتين) على غير قياس النسب [قاله سيويه]. وابن أبي (بوزن قصي): بدل من الحبلي، والمراد به عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين. وكبشهم: خير الحبلي، والجملة خير عن عوفهم، وكبش القوم سيدهم، والضمير المضاف إليه عائد على عوفهم؛ وجمع الضمير باعتبار بنيه أي سيد بني عوف بن الخزرج. وقوله قبل (بالبناء على الضم) أي في الجاهلية قبل قدوم النبي ﷺ. وقوله فجله (بالرفع): عطف على ابن أبي، والضمير المضاف إليه عائد على ابن أبي. والسامي (كغني): صفة لنجله أي المسمى باسم أبيه، وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول،

* يعتبر بطن بني عوف هذا من أهم بطون الخزرج، وقد تفرعت منه بطون كثيرة منها: بنو سالم الحبلي بن غنم بن عوف، والقواقلة وهم بنو غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ومنها بنو سالم بن عوف بن الخزرج، وغيرهم.. وقد تشعبت من هذه البطون أفخاذ كثيرة أيضا، فمن بني سالم الحبلي: بنو عبيد وبنو جشم وبنو عدي بني مالك بن سالم الحبلي، ومن القواقلة: بنو ثعلبة وبنو مرضخة ابني قوقل، ومن بني سالم بن عوف: بنو العجلان بن زيد وبنو جشم بن مالك بن سالم بن عوف. وقد تناول الناظم الكلام على بني عوف بن الخزرج هؤلاء في نحو سبعة أبيات، وذكر هذه البطون الثلاثة، كما ذكر بعض الأفخاذ المتفرعة منها، بعضه تصريحاً وبعضه ضمناً بذكر بعض أعيانه، ثم ذكر من أعيان البطن العام أحد عشر رجلا من غير مراعاة لترتيب أو استيعاب هذه الأفخاذ.

وكان من فضلاء الصحابة ولذا وصفه بالمهتدي، وهو ذو الهداية أي الرشاد. وقوله
أوس بن خولى (بالنصب): مفعول به لا عدد مقدم عليه (وخولى هو بفتح الخاء
المعجمة وسكون الواو). ورفاعة: عطف على أوس بن خولى. واعدد (بضم الدال
الأولى): أمر من عدَّ بمعنى حسب وأحصى.

يقول: أما عوف بن الخزرج فمنه عبد الله بن أبيّ، وابنه عبد الله (بن عبد الله)
وأوس بن خولى ورفاعة بن عمرو الحبليون.

هذا وقد تفرعت من عوف الأكبر بن الخزرج بطون ذكر الناظم منها ثلاثة:

الأول: بنو الحبلى، ويقال لهم أيضا بنو سالم الحبلى، وهو سالم بن غنم بن
عوف بن الخزرج، ولقب بالحبلى لعظم بطنه؛ ويقال لولده بنو الحبلى ولهم شرف
في الأنصار⁽¹⁾.

والثاني: القواقلة وهم بنو غنم بن عوف الأصغر بن عمرو بن عوف الأكبر.

والثالث: بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف.

أما بنو الحبلى فتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو عبيد وبنو جشم وبنو عدي، ثم
ذكر من أعيان بطن بني الحبلى خمسة نفر هم عبد الله بن أبيّ وابنه - سميّه - عبد الله
بن عبد الله بن أبيّ، وأوس بن خولى بن عبد الله؛ وهؤلاء الثلاثة من بني عبيد،
ورفاعة بن عمرو بن زيد وأيمن بن عبيد؛ وهذان من بني جشم.

عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين

أما عبد الله بن أبيّ فهو أبو الحباب عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن
عبيد بن مالك بن سالم (الملقب الحبلى) بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي

(1) وكانت دارهم بين داري بني النجار وبني ساعدة.

الجلوي، اشتهر بابن أبي ابن سلول، وسلول امرأة من خزاعة جدته لأبيه (أم أبي بن مالك⁽¹⁾ بن الحارث) ونسب إليها؛ وكان ابن أبي هذا من أشرف الخزرج وساداتهم في آخر جاهليتهم. وكانت الخزرج قد أجمعت على أن تسند أمرها إليه قبل قدوم النبي ﷺ وأن تتوجه بتاج الملك عليهم⁽²⁾، فلما جاءه النبي صلى الله عليه وسلم أخذته العزة⁽³⁾ وصار يعتبر أن رسول الله ﷺ سلبه ملكه، وافقتن وحسد رسول الله ﷺ، ثم أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيية⁽⁴⁾ وأضمر النفاق حسدا وبغيا فاتضع شرفه، وكان ابن خالة أبي عامر الفاسق.

ولما هتياً رسول الله ﷺ لغزوة أحد انخزل عنه ابن أبي بثلاثمائة رجل كانت معه وعاد بهم إلى المدينة، وفعل مثل ذلك حين هتياً صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك. وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها. وله في ذلك أخبار سخيفة وحكايات دنيئة؛ فهو صاحب المقالة التي نزل فيها قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُثُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾، وكان على

(1) كما في سيرة ابن هشام وغيرها، وفي القاموس المحيط: "سلول أم عبد الله بن أبي المنافق".

(2) تتوجه: تلبسه التاج، وهو شبه عصاية تزين بالجوهر تضعها الملوك على رؤوسها، وورد أنهم كانوا قد نظموا له الخرز ليتوجه به وذلك أن الأنصار يمن، وقد كان أهل اليمن من آل قحطان يتوجون ملوكهم، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(3) العزة: الحمية، ومنه قول الشاعر:

أخذته عزة من جهله فتولى مفضبا فعل الضجر

وهذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا يعتز في نفسه فتوقعه تلك العزة في الإثم حين تأخذه وتلزمه إياه.

(4) التقيية: الخشية والخوف، والمراد بها هنا: إخفاء الحق ومصانعة الناس تحرزا من التلف.

(5) المنافقون: 8.

رأس العصابة الذين جاءوا بالإفك⁽¹⁾ في عائشة رضي الله عنها، فبذلك أصبح رأس المنافقين بالمدينة. ومات مرجع النبي ﷺ من تبوك سنة تسع للهجرة؛ ولما مات جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه لعله يخفف عنه وأن يصلي عليه ويستغفر له فأعطاه النبي ﷺ قميصه وقال: «إذا فرغتم فأذنوني»⁽²⁾، فلما أراد أن يصلي عليه أخذ عمر بثوب رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا: كذا وكذا. ١٩٠ فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال: «أخر عني يا عمر»⁽³⁾، فلما أكثر عليه قال: «أنا بين خيرتين: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾⁽⁴⁾ فاخترت ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»⁽⁵⁾، فصلى عليه ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾⁽⁶⁾ — الآية — فترك الصلاة عليهم. وقيل إنه لما تقدم ليصلي عليه نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ — الآية — فانصرف ولم يصل عليه؛ قال عمر فعجبت من جرائقي على رسول الله ﷺ.

(1) فهو الذي ابتداء به وهو الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه حتى دخل في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به — ومكث على ذلك نحوًا من شهر حتى نزل القرآن براءة عائشة رضي الله عنها.

(2) نحوه في البخاري.

(3) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي.

(4) التوبة: 80.

(5) ذكره ابن هشام في سيرته، وأخرج البخاري بعضه.

(6) التوبة: الآية: 84.

وروي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي قال: يا رسول الله ألبسه قميصك الذي يلي جسدك، ففعل؛ وقيل إنه إنما أعطى قميصه لابن أبي ليكافئه في يد كانت للمنافق عليه؛ وذلك أن العباس بن عبد المطلب لما أسر يوم بدر وأُتِيَ بالأسرى وقد سلبوا ثيابهم نظر النبي ﷺ إلى العباس وهو كذلك فأشفق عليه، فطلب له قميصا فما وجد له قميص يقادره إلا قميص عبد الله بن أبي لتقاربهما في طول القامة فأعطاه ابن أبي له، فكساه النبي ﷺ إياه، فكأنه صلى الله عليه وسلم كره أن يلقاه في الآخرة وله عليه يد يكافئه بها فأراد بإعطاء القميص أن يرفع اليد عنه في الدنيا، وقيل إنما أعطاه القميص إكراما لابنه وإسعافا له في طلبه وتطيبا لقلبه، والأول أصح [كما في القرطبي]، وقيل إن ابن أبي نفسه هو الذي طلب من رسول الله ﷺ قميصه، ففعل فقيل له في ذلك فقال: إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئا وإنني لأرجو أن يسلم بفعلي هذا رجال من قومه؛ فأسلم وتاب لذلك رجال من قومه من الخزرج لما رأوه يستشفني عند وفاته بثوب رسول الله ﷺ. والله أعلم.

وأما نجله فهو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، كان اسمه في الجاهلية الحباب وبه كني أبوه، فسماه النبي ﷺ عبد الله؛ وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان سيد قومه في الإسلام كما كان أبوه سيدهم في الجاهلية. شهد رضي الله عنه بدرا وجميع المشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه، وكان رضي الله عنه يغمه حال أبيه وتثقل عليه صحبة المنافقين. ولما قال أبوه مقالته السابقة جاء عبد الله هذا إلى النبي ﷺ وقال له: والله يا رسول الله لأنت العزيز وهو الذليل وإن أذنت لي في قتله قتلته ولقد علمت الخزرج أنه ما كان فيهم أحد أبر بوالده مني وإنني أخشى أن تأمر به رجلا مسلما فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حيا حتى أقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله عليه وسلم: «بل نحسن إليه ونترفق به ما

صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبته»،
 وشهد صلى الله عليه وسلم دفن أبيه ووقف على قبره وعزاه فيه عند القبر.
 واستشهد عبد الله هذا باليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة، وروت عنه عائشة رضي
 الله عنها؛ ومما روت عنه أنه قال: «ندرت⁽¹⁾ ثنيتي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ
 ثنية من ذهب» - [كما في أسد الغابة].

وأما أوس فهو أبو ليلى أوس بن خَوْلَى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن
 مالك بن سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي الحبلوي. شهد رضي
 الله عنه بدرًا وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولما قبض رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأراد أهل بيته غسله وتجهيزه حضرت الأنصار فنادت على الباب:
 الله الله نناشدكم حقنا من رسول الله ﷺ، فإننا أخواله فليحضره بعضنا، فقبل لهم
 اجتمعوا على رجل منكم؛ فاختاروا أوساً هذا، وكان رضي الله عنه من الكملة⁽²⁾
 قويا، فدخل وحضر غسل النبي ﷺ ودفنه مع الذين تولوا تجهيزه صلى الله عليه
 وسلم من أهل البيت، ولم يشهده غيره من الأنصار. وتوفي أوس بن خولى هذا
 بالمدينة في خلافة عثمان قبل حصاره.

وأما رفاعه فهو أبو الوليد رفاعه بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن
 جشم بن مالك بن سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي الحبلوي ثم
 الجشمي. شهد رضي الله عنه بيعة العقبة وشهد بدرًا وأحداً واستشهد به.

(1) ندرت: أي سقطت وكان ذلك يوم أحد، وقيل أصيب أنفه فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتخذ
 أنفاً من ذهب، والأول هو المشهور.

(2) الكملة في الجاهلية: الربيع بن زياد العبسي وإخوته، وفي الإسلام من الأنصار: أوس بن خولى
 وأسيد بن حضير وسويد بن الصامت.

ومن بني جشم بن مالك بن سالم الحبلي أيضا أيمن بن عبيد ومالك بن عبد الله بن جشم الآتي ذكرهما.

وأما بنو عدي بن سالم الحبلي فمنهم زيد بن وديعه بن عمرو بن قيس بن جزء بن عدي بن مالك بن سالم الحبلي، حضر العقبة وشهد بدرًا وأحدا.

ومن حلفاء بني سالم الحبلي: عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال الغطفاني الحبلي، حضر العقبتين وشهد بدرًا وكان من أول من أسلم من الأنصار، وأتى النبي ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر، فكان مهاجريا أنصاريا. والله أعلم.

ثم أخذ في الكلام على البطنين الآخرين، وهما القواقلة وبنو سالم بن عوف، فقال رحمه الله:

عَوْفُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الْأَكْبَرِ	مِنْهُ الْقَوَاقِلَةُ حَيُّ الْأَشْهَرِ
أَوْسُ بْنُ صَامِتِ أَخِي عُبَادَةَ	وَحَيُّ سَالِمٍ لِذِي الْقِلَادَةِ
وَمَالِكُ بْنُ الدُّخْشَمِ الَّذِي أُسْرًا	سَهَيْلَهُمْ وَلِلنَّبِيِّ سَعْرًا
نَارًا بِمَسْجِدِ الضَّرَّارِ مِنْهُمْ	وَشَيْدَ الرَّأْهِبِ مَسْجِدُهُمْ
مِنْهُمْ بَنُو الْعَجْلَانِ رَهْطُ نَضْلَةَ	أَيْمَنَ مَالِكِ أَبِي خَيْثَمَةَ
هَذَا أَنْتَهَى عَوْفٌ

قوله عوف بن عمرو: مبتدأ. وابن عوف (بالجر): صفة لعمرو. والأكبر: صفة لعوف الأخير، وصفه بها لأنه جد البطن وللأحتراز به من سبطه عوف بن عمرو. والقواقلة (بقافين وبوزن سواسية): مبتدأ خبره المحرور قبله، والجملة خبر عن عوف - أول البيت. والضمير في منه عائد على عوف بن عمرو وهو رابط

الجملة الخبرية بالمبتدأ. وحي الأشهر (بالرفع): بدل أو عطف بيان على القواقلة. والأشهر: أي ذو الشهرة المعروف بين الناس. وأوس بن صامت (بالجر): بدل من الأشهر. وأخي عبادة: صفة لأوس. وحي سالم: مبتدأ خبره قوله لذي القلادة، أي ينسب لها؛ والقلادة (بكسر القاف) ما يجعل في العنق من الحلي جمعها قلائد، واستعارها هنا لمجموع أفخاذ بني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج. وقوله مالك بن الدخشم: مبتدأ، والدخشم (بوزن قفد) بن مرضخة (بوزن مصدغة). واللذ (بسكون الذال المعجمة): لغة في الذي، صفة لمالك. وسهيلهم: (بالنصب): مفعول به لأسر، والمراد به سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي؛ كان من سادات قريش وأعيانهم وقد أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، والضمير المضاف إليه عائذ على بني عوف بن عمرو بن عوف، وأضافه إليهم لأنه أسير عندهم. وسعر النار (بالتضعيف): أوقدها. ومسجد الضرار: هو المسجد المذكور في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾⁽¹⁾ - الآية.

قوله منهم: خبر عن قوله ومالك بن الدخشم، والضمير فيه عائذ على القواقلة. وقوله وشيد (بالبناء للمفعول): أي بني. والمراد بالراهب أبو عامر الفاسق والد حنظلة الغسيل. وقوله مسجدهم: نائب فاعل شيد، والضمير المضاف إليه عائذ على القواقلة أيضا. وقوله بنو العجلان: مبتدأ خبره الجرور قبله، والضمير في منهم عائذ على حي سالم. ورهط (بالرفع): بدل من بنو العجلان، وهو مضاف لنضلة (بفتح النون وسكون المعجمة). وأيمن (بالجر بالفتحة): عطف على نضلة بحذف

(1) التوبة: 107.

العاطف. ومالك (بالجر) وأبي خيشمة معطوفان على نضلة أيضا بحذف العاطف.

أشار الناظم رحمه الله إلى بعض فروع وأعيان بطن بني عوف بن عمرو بن عوف هذا؛ وقد تفرع هذا البطن إلى عدة أفخاذ ذكر الناظم منها ثلاثة: القواقلة وبنو سالم وبنو العجلان، ثم ذكر من أعيان البطن العام سبعة نفر هم: أوس وعبادة ابنا الصامت ومالك بن الدخشم القوقليون، ونضلة بن مالك وأبو خيشمة بن قيس العجلانيان، وأيمن بن عبيد ومالك بن عبد الله بن جشم الحبليان.

أما القواقلة فهم بنو قوقل بن عوف، واختلف في قوقل فقيل هو لقب عنز بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة؛ فيكون غنم وسالم أخويه، وقيل قوقل لقب غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج؛ ولقبوا بالقواقلة لأنهم كانوا إذا استجار بهم أحد دفعوا له سهما وقالوا له: قوقل به حيث شئت ييثرب (والقواقلة: ضرب من المشي)؛ وقيل كانوا يقولون له: قوقل في هذا الجبل، أي ارتق فقد أمنت؛ وقيل قوقل لقب ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج؛ وإنما قيل له ذلك لأنه كان له عز وشرف وكانوا يقولون للحائف إذا جاء: قوقل حيث شئت فأنت آمن، فقيل لبني غنم وبني سالم ابني عوف لذلك "القواقلة". وأما حي سالم فهم بنو سالم⁽¹⁾ بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة، وبنو سالم هذا هم: غنم ومالك ولوذان وزيد وحذيم. وكانت دار بني سالم بين قباء والمدينة بالوادي الذي يعرف بوادي رانوءاء؛ وقد صلى رسول الله ﷺ الجمعة عندهم حين رحل عن قباء إلى دار بني النجار وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ. وأما بنو العجلان فهم بطن من بني عوف بن عمرو بن عوف، من ولد

(1) سالم بن عوف هذا غير سالم الحبلى بن غنم بن عوف، فهما ابنا عم، وكلهما جد بطن من بطون بني عوف بن الخزرج.

العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج (من بني عمومة القواقلة).

أوس بن الصامت أول من ظاهر في الإسلام

أما أوس فهو ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي، وقيل إن جده غنما هو ابن سالم بن عوف بن الخزرج. شهد رضي الله عنه بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ وبقي إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل توفي بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين — أو خمس وثمانين — سنة، وهو الذي ظاهر من امرأته فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكفر بخمسة عشر صاعا من شعير على ستين مسكينا. وقد قيل إنه كان أول من ظاهر في الإسلام؛ فقد كانت تحته خولة بنت ثعلبة الخزرجية فوقع بينهما شيء فظاهر منها وخرج إلى نادي قومه (وكان الظهار والإيلاء من الطلاق في الجاهلية) ثم ندم على ما قال فأتت خولة إلى رسول الله ﷺ — وعائشة تغسل رأسه — فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي ونفقت بطني وتفرقت أهلي ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ لها: «ما أراك إلا حرمت عليه»، فشكت له ذلك فقال: «ما أراك إلا حرمت عليه»⁽¹⁾، فقالت: إلى الله أشكو فاقتي ووحدي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وصبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا..

فما زالت تراجع رسول الله ﷺ ويراجعها وتشتكي إلى الله حتى نزل قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

(1) مختصر ابن كثير في التفسير، وعون المعبود شرح سنن أبي داود.

يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ - الآيات - فدعا رسول الله ﷺ أوس بن الصامت وتلاها عليه وأمره أن يعتق، فقال أوس ما لي بذلك يدان (2)، قال: «فصم شهرين متتابعين» قال: أما إني إذا أخطأني أن أكل في يوم ثلاث مرات يكل بصري، قال: «فأطعم ستين مسكينا» (3)، قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، فدفع له رسول الله ﷺ خمسة عشر صاعا. قالت عائشة: تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء إني كنت أسمع كلام خولة ويخفى عليّ بعضه وهي تحاور رسول الله ﷺ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. قيل كان ذلك في السنة السادسة.

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر يوما - وهو خليفة - بخولة هذه وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت له: يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب؛ وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة.. أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سماوات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمرا!

وأما عبارة أخو أوس فهو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس - وقد مر نسبه قريبا عند ذكر أخيه - وقد حضر عبادة رضي الله عنه العقبة وكان من النقباء الاثني عشر، وقد مر بعض التعريف به في الستة الذين لقيهم رسول الله ﷺ بالعقبة

(1) المجادلة: الآية: 1.

(2) أي ما لي به قوة ولا قدرة، يقال: "ما لي بهذا الأمر يدان ولا يدين لك بهذا" أي لا قوة ولا طاقة.

(3) أخرجه أبو داود، وكل البصر: لم يحقق المنظور فهو كليل.

فآمنوا به. ومن ولد عبادة هذا النعمان بن داوود بن محمد بن عبادة بن الصامت، محدث روى عنه أبو نعيم. ومنهم أيضا عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت محدث أيضا. وكان من ولد عبادة بن الصامت هذا قوم يسكنون بباب العطارين بقرطبة يعرفون ببني هارون.

وأما ابن الدخشم فهو مالك بن الدخشم⁽¹⁾ بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم - أو عنز - بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي، كان رضي الله عنه ممن شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وأسّر سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري خطيب قريش، أسره يوم بدر، وفي ذلك يقول:

أسرت سهيلا فلا أتبني أسيرا به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى سهيلا فتاها إذا تصطمم الخ.

وقد ظهر من حسن إسلام مالك بن الدخشم هذا ما يمنع ما كان يتهم به من النفاق، وسب يوما بين يدي النبي ﷺ فقال: «لا تسبوا أصحابي»، وهو الذي حرق مسجد الضرار.

خير مسجد الضرار

وحاصل ما أشار إليه الناظم من خير ذلك المسجد أنه لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى النبي ﷺ أن يأتيهم، وأتاهم فصلى فيه حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف بن غنم - وكانوا من منافقي الأنصار - فقالوا: نبني

(1) الدخشم: بضم المهملة والمعجمة بينهما حاء معجمة، ويقال بالنون بدل الميم، ويقال كذلك بالتصغير. [الإصابة].

مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا وليصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا؛ وهم: خدام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف (وهو الذي من داره أخرج مسجد الشقاق) وثعلبة بن حاطب ووديعة بن ثابت — وهذان من بني أمية بن زيد — ومعتب بن قشير⁽¹⁾ وأبو حبيبة بن الأزعر وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبجزج وبجاد ابنا عثمان (وكل هؤلاء من بني ضبيعة بن زيد) وعباد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف (من بني عمرو بن عوف). وكان يصلي بهم في هذا المسجد مجمع بن جارية. فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال رسول الله ﷺ: «إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه»⁽²⁾.

فلما أقبل رسول الله ﷺ راجعا من تبوك ونزل بذي أوان⁽³⁾ أتاه المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار فسألوه إتيان مسجدهم، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فجاءه الخير من السماء ونزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار وما همَّ به أهله في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ

(1) ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هذان هما اللذان عاهدا الله ﷻ لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﷻ، إلى آخر القصة التي تشير لها الآية، ومعتب منهما هو الذي قال يوم أحد: ﷻ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﷻ فزل فيه ما نزل.

(2) رواد ابن هشام في سيرته.

(3) اسم موضع بينه وبين المدينة ساعة.

الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا
إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن
الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن في نفر وقال لهم: «انطلقوا إلى هذا
المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه»⁽²⁾، فخرجوا سراعا حتى أتوا بني سالم بن
عوف فقال لهم مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي، فأخذ سعفا من
النخل وأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد فحرقوه وهدموه
فتفرق عنه أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك الموضوع كناسة تلقى فيه الجيف
والنتن والقمامة⁽³⁾، وكان صلى الله عليه وسلم لا يمر بتلك الطريق التي هو فيها.
وسأل عمر بن الخطاب يوما رجلا من القوم الذين بنوه: ما ذا أعنت في هذا
المسجد؟ فقال: أعنت فيه بسارية، فقال عمر: أبشر بها في عنقك في نار جهنم.

وروي أن بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء سألوا عمر بن الخطاب
في خلافته أن يأذن لمجمع بن جارية فيؤمهم في مسجدهم، فقال: أليس بإمام مسجد
الضرار؟ فقال له مجمع: يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت فيه وإني لا
أعلم ما أضمروا عليه فلو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قارئاً للقرآن
وكانوا شيوخا قد غشوا نفاقهم⁽⁴⁾ وكانوا لا يقرؤون من القرآن شيئا، فصليت ولا
أحببت مما صنعوا شيئا إلا أنهم يتقربون إلى الله، ولا أعلم ما في أنفسهم. فصدقه

(1) التوبة: الآية: 107.

(2) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(3) الكناسة بالضم: موضع إلقاء القمامة التي تجمع من البيوت والطرق. والنتن والنتين: حبيث الرائحة.
والجيف: جمع جيفة وهي جثة الميت إذا أنتنت.

(4) أي أضمره وأظهروا خلافه.

عمر وعذره وأذن له في الصلاة بمسجد قباء.

والمراد بالراهب أبو عامر بن صيفي بن مالك بن النعمان والد حنظلة الغسيل، كان يلقب بالراهب لأنه ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة دخل عليه وقال له: يا محمد ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنفية دين إبراهيم»، قال: فإني عليه، فقال النبي ﷺ: «لست عليه لأنك أدخلت فيه ما ليس منه»، فقال أبو عامر: ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية»، فقال له أبو عامر: أمات الله الكاذب منا وحيدا طريدا غريبا - كأنه يعرض بالنبي ﷺ حيث خرج من مكة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم أمات الله الكاذب منا كذلك»⁽¹⁾، ثم قال أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق. ثم خرج أبو عامر في نفر من أتباعه إلى مكة وأقام بها حتى كان يوم أحد جاء مع قريش في خمسين رجلا من قومه، فنادى: يا للأوس أنا أبو عامر، فقالوا: لا مرحبا ولا أهلا بك يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر، فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولى وبدأت نار الحرب تشتعل - وكان أبو عامر الفاسق هو أول من شبها - ثم رجع مع قريش إلى مكة، فلما كان يوم الفتح لحق بهوازن وقاتل معهم بجنين، فلما انهزموا فر إلى الشام يستنصر قيصر وأرسل إلى المنافقين أن يستعدوا بما استطاعوا من قوة وسلاح وأن يبنوا مسجدا وأنه سيأتيهم من عند قيصر بجند من الروم لإخراج محمد وأصحابه من المدينة؛ فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه. ومات أبو عامر بقتلهم من الشام وحيدا طريدا غريبا،

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته، والواقدي في مغازيه.

لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما نضلة فهو ابن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم⁽¹⁾ بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي السالمي العجلاني، من ولده العباس بن عبادة بن نضلة الذي شهد العقبتين وهاجر من المدينة إلى مكة وأقام بها مع النبي ﷺ ثم هاجر إلى المدينة فصار مهاجريا أنصاريا، وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة.

وأما أيمن فهو ابن عبيد بن عمرو بن هلال بن أبي الجرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم الحبلى الحبلوي، وقيل هو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال بن أبي الجرباء بن قيس بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي السالمي. وأيمن هذا أخو أسامة بن زيد الكلبي لأمه، أمهما أم أيمن مولاة النبي ﷺ، وبه كنية وعرف بالنسبة إليها؛ فليل له أيمن ابن أم أيمن. وكانت أمه أم أيمن قد تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو الأنصاري وكان قد قدم مكة وأقام بها ثم نقل أم أيمن إلى يثرب فولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت إلى مكة فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد، وكان أيمن هذا على مطهرة رسول الله ﷺ ويعاطيه حاجته، وله ابن يقال له الحجاج بن أيمن - [قاله في أسد الغابة].

وقيل إن أيمن ابن أم أيمن هو أيمن بن عبيد الحبشي أخو أسامة لأمه وهو الذي ثبت مع النبي ﷺ يوم حنين واستشهد به وهو الذي عنى العباس بن عبد المطلب يومئذ بقوله:

(1) غنم بن سالم هذا جد بني سالم بن عوف غير غنم بن عوف الذي هو جد القواقلة، لكنهما من بطن واحد هو بنو عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، فالأول عم الثاني.

وثامنا لاقى الحمام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع .. الخ.

وقال في الإصابة: "قد فرق ابن أبي خيثمة بين أيمن الحبشي وأيمن ابن أم أيمن وهو الصواب؛" وقال ابن إسحاق: "أيمن بن عبيد هذا ليس هو أيمن ابن أم أيمن ذلك أيمن بن عبيد كان أبوه من الحبشة ووافق اسمه واسم أبيه اسم هذا الحبلي من الأنصار واسم أبيه".

وظاهر النظم أن أيمن هذا من بني العجلان لذكره وسط نفر بني العجلان وهو حبلي، ولكن الأمر سهل لأن الناظم هنا قد أخذ في سرد بعض أعيان البطن العام: بطن بني عوف بن الخزرج من غير تعرض لترتيب أفخاذهم، بالإضافة إلى ما مر من أن النسبة إلى العم المشهور أمر معهود ومطرّد في اصطلاح أهل السير وقد استعمله الناظم في هذا النظم كثيرا. والله أعلم.

وأما مالك فهو مالك بن عبد الله بن جشم بن مالك بن سالم الحبلي بن غنم بن عوف، شهد بدرًا [ذكره في الاستبصار]، ويحتمل أن يكون مراده بمالك هذا والد نضلة المذكور وهو مالك بن العجلان بن زيد، رئيس الخزرج في حرب بعاث في الجاهلية؛ الشاعر الذي يقول:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي أبوه عامر ماء السماء

وأما أبو هيثمة فاختلف في اسمه فقبيل سعد وقيل عبد الله وقيل مالك، والمشهور أن اسمه سعد بن قيس بن ثعلبة بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي العجلاني، كان رضي الله عنه ممن شهد أحدا.

وكان من خبره ما ذكره ابن إسحاق وغيره: أنه دخل يوما على أهله في يوم حار بعد أن سار رسول الله ﷺ أياما إلى تبوك فوجد امرأتين له في

عريشين⁽¹⁾ في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيات له طعاما، فلما دخل قام على باب العريشين فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال: ما هذا بالنصف: رسول الله ﷺ في الضح⁽²⁾ والريح والحر وأبو خيثة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء مقيم في ماله وأهله! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألق برسول الله ﷺ.. فهيتا لي زادا، ففعلتا. ثم قدم ناضحه⁽³⁾ فارتحلته ثم خرج في أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك.

وكان عمير بن وهب الجمحي قد أدرك أبا خيثة في الطريق فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثة لعمير: إن لي ذنبا فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل؛ حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثة»⁽⁴⁾، فقالوا: هو والله أبو خيثة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثة»⁽⁵⁾، فأخبره أبو خيثة بخبره فدعا له بخير. وقال أبو خيثة في ذلك:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لحمد فلم أكتسب إنما ولم أغش محرما

(1) العريش: بيت شبه الخيمة يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت.

(2) الضح: الشمس أو ضوءها.

(3) الناضح: البعير يستقى عليه ويستعمل للركوب.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن هشام في سيرته.

(5) أخرجه مسلم.

تركت خضيا في العريش وصرمة صفايا كراما بسرهما قد تحمما⁽¹⁾
 وكنت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسي شطره حيث يمما
 وبقي أبو خيشمة هذا إلى أيام يزيد بن معاوية.

تنبيه: من بطون بني عوف بن الخزرج بنو السائب وبنو قطن ابنا عوف بن الخزرج ولم يتعرض لهما الناظم لأن عقبهما بعمان ولم يكن منهم أحد بالمدينة فليسوا من الأنصار.

ولما أنهى الكلام على بني عوف بن الخزرج كما قال: هنا انتهى عوف.. شرع يتكلم على بني عمومتهم بني الحارث بن الخزرج، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو الحارث بن الخزرج*

... ..
 وَأَمَّا الْحَارِثُ فَمِنْهُ مَالِكُ الْأَعْرُ الْغَالِثُ
 قَبِيلُ سَعْدِ بْنِ الرَّيِّعِ أَرْقَمُ خَارِجَةٌ صِهْرُ الْعَتِيقِ مِنْهُمْ

(1) الخضب: المخضوبة أراد امرأة قد خضبت يديها بالحناء. والصرمة (بالكسر): جماعة النخل. وصفايا: أي كثيرة الحمل. والبسر: التمر قبل أن يطيب. وتحمم: أخذ في الإرتطاب فاسود.
 * أبناء الحارث بن الخزرج أربعة ويقال لهم "بلحارث" وهم الخزرج وحشم وزيد مناة وعوف بنو الحارث بن الخزرج، وتفرع من كل واحد منهم بطن وهؤلاء البطون هم: بنو الخزرج بن الحارث، وفيهم العدد والكثرة وتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، وبنو عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث، وبنو عامر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، والثاني بنو حشم بن الحارث بن الخزرج، والثالث: بنو زيد مناة بن الحارث ويقال لبني حشم وبني زيد مناة هذين "التوأمين"، والرابع: بنو عوف بن الحارث بن الخزرج وتفرعوا إلى عدة أفخاذ أيضا، منهم بنو خدرة الأبحر وبنو خدرة ابني عوف بن الحارث؛ وقد تناول الناظم الكلام على بني الحارث بن الخزرج هؤلاء في ثلاثة عشر بيتا وذكر من أفخاذهم ثلاثة: بني مالك الأغر وبني خدرة وبني خدرة، وذكر ثمانية رجال من أعيان بني الحارث هؤلاء.

وَبِخَبِيبٍ بَعْدَ ذِي الْخِلَالِ تَزَوَّجَتْ حَبِيبَةَ الْأَزْوَالِ وَابْنُ رَوَاحَةَ قَرِيعُ فَتَيْتَهُ مَادِحُ أَحْمَدَ مُجِيدُ صِفَتِهِ

قوله الحارث: مبتدأ خبره الجملة بعده. والأعر: الكريم الأفعال والسيد الشريف. والغالث: الشديد القتال، وهما صفتان لمالك. وقوله قبيل سعد: بدل من مالك الأعر باعتبار بنيه. وقوله أرقم (بالرفع): مبتدأ. وخارجة عطف عليه بحذف العاطف. وصهر العتيق: صفة لخارجة. وقوله منهم: خبر عن أرقم والمعطوف عليه. والضمير في منهم عائد على مالك الأعر باعتبار بنيه أيضا.

يقول: ومن بني الحارث بن الخزرج بنو مالك الأعر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وهم رهط سعد بن الربيع وأرقم بن زيد بن قيس وخارجة بن زيد بن أبي زهير (صهر أبي بكر الصديق) الخزرجيين. وقوله وبخبيب (بوزن زير): متعلق بتزوجت. وذو الخلال: لقب أبي بكر الصديق - كما مر. وحببية (بوزن كريمة): هي بنت خارجة بن زيد. والأزوال: جمع زول (بوزن قول): وهو الشجاع الجواد، وأراد بالأزوال هنا أبا بكر وحبيبا بن إساف الخزرجي وجمعهما تعظيما وأضاف إليهما حببية بنت خارجة هذه لزواجهما منهما. وقوله وابن رواحة (بالرفع): عطف على أرقم أيضا. والقريع: السيد. والفئة: الجماعة. ومجيد (بضم الميم): المتن. والضمير في صفته لأحمد رضي الله عنه وقريع ومادح ومجيد كلها صفات لابن رواحة.

شرع الناظم هنا في ذكر بعض بطون بني الحارث بن الخزرج وبعض مشاهيرهم. وبطون بني الحارث أربعة: بنو الخزرج بن الحارث بن الخزرج وبنو جشم وبنو زيد مناة ابني الحارث بن الخزرج وبنو عوف بن الحارث بن

الخزرج⁽¹⁾. أما بنو الخزرج بن الحارث فقد تفرعوا إلى عدة أفخاذ منها بنو مالك الأغر وبنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة، واقتصر الناظم على بني مالك الأغر وذكر منهم سبعة نفر.

أما سعد بن الربيع فهو الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجي الحارثي نقيب بني الحارث بن الخزرج، وقد مر التعريف به في جملة النقباء.

وأما أرقم فهو أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، والد الصحابي الجليل زيد بن أرقم ذي الأذن الواعية الذي غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة وأول مشاهدته الخندق وقيل غزوة المريسيع واستصغره صلى الله عليه وسلم يوم أحد. وهو الذي نقل للنبي ﷺ في غزوة المريسيع هذه مقالة ابن أبي سلول؛ فكذبه ابن أبي ومن معه من المنافقين فنزل القرآن بتصديقه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

وكان زيد بن أرقم هذا يتيما في حجر عبد الله بن رواحة وخرج معه إلى مؤتة وفيه يقول ابن رواحة مخاطبا له:

يا زيد زيد اليعملات الذبل⁽³⁾ تطاول الليل عليك فانزل

..الخ.

(1) كانت مساكن بني الحارث هؤلاء بالسنع على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم كان يسكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(2) المنافقون: الآية: 8.

(3) اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة المطبوعة على العمل. والذبل: جمع ذابله وهي الضامرة المهزولة.

وقيل يعني بها زيد بن حارثة أمير الجيش. وشهد زيد بن أرقم هذا صفين مع علي وكان من خاصة أصحابه ومات بالكوفة سنة ست وستين وقيل ثمان وستين.

وأما خارجة فهو ابن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الأنصاري الخزرجي، حضر العقبة الثانية وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق - حين أخى بين المهاجرين والأنصار - وكان من كبار الصحابة وشهد بدرًا وأحدا واستشهد به ودفن هو وسعد بن الربيع في قبر واحد. وبنته حبيبة بنت خارجة كانت تحت أبي بكر الصديق وتوفي عنها وهي حامل ولما حضرته الوفاة أوصى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على عياله وقال لها: إنما هم أخواك وأختك، فقالت: إنما هذه أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى، وفي رواية: ألقى في خلدي أنها أنثى؛ فولدت بعد وفاته جارية فسمتها عائشة أم كلثوم. وإلى علاقة خارجة بأبي بكر هذه أشار الناظم بقوله: **صهر العتيق؛** ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه عن حبيبة بنت خارجة هذه خلف عليها بعده حبيب بن إساف الخزرجي الآتي ذكره - إن شاء الله - وذلك قوله: **وبخبيب.. إلخ.**

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم كلثوم بنت أبي بكر هذه إلى عائشة فقالت له: أين المذهب بها عنك؟. فلما خرج من عندها قالت أم كلثوم لعائشة: أتزوجيني عمر وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه؟ والله لئن فعلت لأخرجن إلى رسول الله ﷺ ولأصيحن به: إنما أريد فتى من قريش يصب على الدنيا صبا، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته الخبر، فقال: أنا أكفيك. فقال: يا أمير المؤمنين لو جمعت إليك امرأة؟ فقال: عسى أن يكون ذلك في أيامك هذه، فقال: ومن يا أمير المؤمنين؟ فقال: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال: مالك ولجارية تنعى إليك أباه بكرة وعشيا؟! قال عمر: أعائشة أمرتك بذلك؟ قال: نعم. فتركها عمر فتزوجها طلحة بن عبيد الله، قال علي: لقد تزوجها أفتى أصحاب محمد ﷺ

وولدت لطلحة زكرياء وعائشة.

وأما ابن رواحة فهو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي شاعر النبي ﷺ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها إلا الفتح وما بعده لأنه استشهد بمؤتة، وكان أحد أمراء جيشها المشهورين وأحد النقباء المذكورين، وقد مر التعريف به فيهم؛ ومما قال في مدح رسول الله ﷺ ووصفه أبياته السابقة:

إني تفرست فيك الخير أجمعه والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبت موسى ونصراً كالذي نصروا

وقوله:

نفسى الفداء لمن أخلاقه شهدت بأنه خير مخلوق من البشر
عمت فضائله كل الأنام كما عم البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره يغني عن الخير

وجدُّ عبد الله بن رواحة هذا عمرو بن مالك تحاكت عليه الأوس والخزرج في حرب سمير المتقدم ذكرها.

ثم ذكر بقية نفر بني مالك الأغر الذين تقدمت الإشارة إليهم فقال رحمه الله:

وَوَاتِبُ بْنُ قَيْسٍ الْخَطِيبُ إِخْبَارُهُ فِي لَعْدِهِ عَجِيبُ
بِدِرْعِهِ أَنْ سُرِقَتْ وَأَمْضَى إِيْصَاءُهُ فِيهَا الْعَتِيقُ أَيْضَا
بِمَهْرِهَا خَالِعَ بِنْتَ ابْنِ أَبِي جَمِيلَةَ بِأَمْرِ أَشْرَفِ لُؤَيِّ
بِرِجْلِهِ أَقْصَدَ مَنْ أَمَاتَهُ وَهَكَذَا فَلْتَكُنِ الْإِمَاتَةُ!
جَرَتْ بِصِفَيْنِ لِمَنْ تَوَسَّدَهُ أَيْضَا وَمَاتَ فَوْقَهُ لِيُجْهَدَهُ

قوله وثابت بن قيس (بالرفع): عطف على أرقم في البيت السابق. والخطيب: حسن الخطبة الفصيح، جمعه خطباء. وإخباره (بكسر الهمزة): مبتدأ. واللحد: الشق الذي يكون في جانب القبر. وعجيب: خير عن المبتدأ قبله، والعجيب ما يتعجب منه. وقوله بدرعه: متعلق بإخباره. وجملة أن سرقت: بدل من قوله بدرعه، وأن: (بفتح الهمزة). وسرقت: بالبناء للمفعول. والعتيق: فاعل أمضى، وهو لقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والضمائر في كل من إخباره ولحدّه ودرعه وإيصاءه عائدة على ثابت بن قيس. يعني أن ثابت بن قيس هذا كان له شأن عجيب وهو إخباره بعد موته بسرقة درعه وإيصاءه بقضاء دينه وعتق عبده.

وقوله بمهرها: متعلق بخالع. وجميلة (بالنصب): بدل من بنت ابن أبي. وقوله بأمر أشرف لؤي: متعلق بخالع أيضا، والمراد بأشرف لؤي رسول الله ﷺ لأنه هو أشرف ولد لؤي بن غالب فأحرى غيرهم. وقوله برجله: متعلق بأقصد. ومن: مفعول به لأقصد. وأقصده: طعنه فلم يخطئه، والمراد هنا ضربه برجله فقتله. وأماته (بفتح الهمزة): قتله. وقوله وهكذا فلتكن الإمامته: معناه التعجب والتفخيم لشأن هذه الموتة. قوله جرت: أي وقعت. وصفين (بوزن عشرين): موضع قرب الرقة⁽¹⁾ بشاطئ الفرات كانت به الملحمة العظمى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما غرة صفر سنة سبع وثلاثين⁽²⁾. وقوله لمن توسده: متعلق بجرت. وتوسده: جعله

(1) من سوربة الآن.

(2) وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة ألف أو يزيدون، ومعاوية في مائة ألف وثلاثين ألفا، وكان كل من الفريقين أحد عشر صفا وقد تواقفوا على تلك الصفة أول يوم من صفر (يوم الأربعاء) وظلوا يتقاتلون من الصباح إلى الليل ثم رجعوا من الغد وفعلوا مثل ذلك، وأقاموا على ذلك مائة يوم وعشرة أيام وكان كل من الطرفين يتعاور الإمارة على جيشه كل يوم يؤمر عليه غير الذي كان عليه بالأمس، وقتل من الفريقين سبعون ألفا: خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام،

تحت رأسه وذراعه. وقوله: ليجهده: أي ليحمّله فوق ما يطيق ليموت.
يقول ومن بني مالك الأغر ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ الذي أخبر
بعد موته بسرقة درعه وخالغ زوجته وقتل قاتله.. إلى آخر ما أشار إليه مما يتضح
من خلال ترجمته.

ثابت بن قيس خطيب النبي ﷺ

وثابت هذا هو أبو محمد ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير بن مالك بن
امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، أمه امرأة من طيء. كان من
سادات الأنصار وكان خطيبهم، خطب لهم مقدم النبي ﷺ المدينة ومما قال في
خطبته: .. تمنعك مما تمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم:
«الجنة»⁽¹⁾ قالوا: رضينا، ثم كان بعد ذلك خطيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى عرف بخطيب رسول الله كما عرف حسان بن ثابت بشاعر رسول الله ﷺ.
ومن خطب ثابت بن قيس - هذا - خطبته المشهورة التي رد بها على وفد تميم
الذي قدم المدينة بعد فتح مكة وقالوا: يا محمد جئناك لنفأخرك فأذن لخطيبنا
وشاعرنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»، فقام عطار بن
حاجب التميمي فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا
ملوكا ووهب لنا أموالا عظيما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره
عددا وأشدّه عدة، فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤوس الناس؟ وأولي فضلهم فمن

----->>

وحمة وعشرون ألفا من أهل العراق، وقتل كثير من الأعيان وغيرهم من الفريقين، وقيل إن الذين
قتلوا في ذلك الموطن من الفريقين لا يعلم عددهم إلا الله، فإننا لله وإنا إليه راجعون ورضي الله
عن الجميع وأرضاهم.

(1) رواه ابن السكن كما في الإصابة.

فاخترنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا الكلام ولكن نستحي من الإكثار لما أعطانا وأقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا؛ ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: «قم فأجب الرجل في خطبته»⁽¹⁾، فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه واتممه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمته أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعلا ثم كان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله ﷺ نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

فقام شاعرهم الزبيرقان بن بدر التميمي فقال:

نحن الكرام فلاحي يعادلنا منا الملوك وفينا يقسم الربع⁽²⁾
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع .. الخ.

فلما فرغ الزبيرقان من قوله قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان»⁽³⁾ فأجب الرجل فيما قال»، فقال حسان:

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه وابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية.

(2) كان من عادة الجاهلية إذا غنموا أن يعطوا الرئيس ربع الغنيمة ويسمى المربع والرربع أيضا وهذا كناية عن أنهم الرؤساء والسادة.

(3) أخرجه مسلم ورواه ابن هشام في سيرته.

إن الذوائب من فھر وإخوتھم قد بینوا سنة للناس تتبع
یرضی ھا كل من كانت سریرته تقوی الإله وبالامر الذي شرعوا

إلخ.. (وقد تقدمت في ترجمته).

فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل لمؤتئ⁽¹⁾ له: لخطيئه أخطب من خطيئنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا وما انتصفنا ولا قاربنا⁽²⁾، ثم أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ وأحسن جوائزهم.

وكان ثابت بن قيس هذا جهير الصوت⁽³⁾، فقد روي أنه لما نزلت آية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾ دخل بيته وأغلق عليه بابه فلما فقدته النبي ﷺ أرسل إليه وسأله عن خبره فقال: إني رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال صلى الله عليه وسلم: «لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير»⁽⁵⁾، ولما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾⁽⁶⁾ — الآية — أغلق عليه بابه أيضا وطفق يكي، ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه فقال: يا رسول الله إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي، فقال صلى الله عليه وسلم:

(1) لمؤتئ له (بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد التاء): يريد أنه موفق.

(2) أي ما بلغنا لهم النصف ولا قاربنا ذلك.

(3) جهير الصوت: أي مرتفعه، يقال: "كلام جهير" أي عال كالجهوري، يقال: "صوت جهوري" أي عال ويوصف به أيضا صاحب الصوت فيقال "رجل جهوري" أي عالي الصوت.

(4) الحجرات: الآية: 2.

(5) أخرجه البخاري ومسلم والحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير والبيهقي.

(6) النساء: الآية: 36.

«لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة».

هذا وقد شهد ثابت بن قيس رضي الله عنه أحدا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان له فيها بلاء حسن وذكر جميل. روي أنه لما انكشف المسلمون يومئذ قال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ بس ما عودتم أقرانكم وبس ما عودتم أنفسكم اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء؛ ثم تحنط وحفر حفرة ثبت فيها، ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه. وكانت عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما بلال بن حمامة رضي الله عنه نائم في تلك الليلة إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: إني أوصيك بوصية فأياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مر بي فلان - رجل من المسلمين - فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفاً على الدرع برمة⁽¹⁾ وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث إلى درعي وليأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ فقل له إن علي من الدين كذا وكذا وفلان وفلان من رقيقي حران. فاستيقظ بلال فأتى خالدا فأخبره، فبعث إلى الدرع فوجدت على ما وصف وأتوه بها واعترف الرجل بذلك. فلما قدم بلال المدينة أخبر أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته؛ ولا تعلم وصية أجزت بعد الموت غير وصية ثابت بن قيس هذا⁽²⁾. وكانت تحت ثابت بن قيس هذا جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول

(1) استن الفرس: عدا المرحة ونشاطه شوطاً أو شوطين ولا راكب عليه، والطول (بكسر الطاء وفتح الواو): الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه. والبرمة: القدر. وكفاً: غطى.

(2) وفي الاستيعاب أنه أوصاه في النوم أن تؤخذ درعه من ذلك الرجل وتباع ويفرق ثمنها في المساكين فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته.

الخرزجية الحبلوية⁽¹⁾ فأتت النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله لا أنا ولا ثابت بن قيس، فقال صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك؟» فقالت: ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكنني أكره الكفر بعد الإسلام وإني لا أطيقه بغضاً⁽²⁾، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أصدقك؟» قالت: حديقة، قال: «أو تردين عليه حديقته؟»⁽³⁾ قالت: نعم وإن شاء زدته؛ فأمر رسول الله ﷺ ثابتاً أن يأخذ الحديقة منها وفرق بينهما؛ فكان ذلك أول خلع في الإسلام⁽⁴⁾. وجميلة هذه هي التي كانت تحت حنظلة الغسيل فقتل عنها يوم أحد وولدت له عبد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثابت بن قيس هذا وولدت له محمداً ثم اختلعت منه - وقتل ولداها عبد الله بن حنظلة ومحمد بن ثابت يوم الحرة - ثم تزوجها مالك بن الدخشم، ثم تزوجها بعده خبيب بن إساف الخزرجي.

وقيل إن امرأة ثابت المختلعة منه حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة الخزرجية النجارية فخلف عليها بعده أبي بن كعب النجاري، والقول الأول هو المشهور وهو رواية البخاري وبعض أصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس، وهو الذي ذكره البصريون، والقول الثاني هو الذي أخرجه مالك في الموطأ ورواه أيضاً بعض أصحاب السنن وغيرهم وهو قول المدنيين؛ وجمع بعضهم بين

(1) وقيل هي جميلة بنت أبي ابن سلول أخت عبد الله بن أبي.

(2) وكان ثابت قصير القامة.

(3) أخرجه البخاري وابن ماجه والنسائي، والحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل أحاط به حاجز جمعها: حدائق.

(4) وقد روي أن أول خلع وقع على الإطلاق هو خلع بنت عامر بن الظرب، فقد زوجها أبوها عامر بن الظرب من ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب، فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا ذلك إلى أبيها فقال: لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتك منك بما أعطيتها، فقال العلماء إن هذا كان أول خلع في العرب. [الزرقاني على الموطأ].

الروايتين بالحمل على التعدد لتعدد المرأتين وشهرة الخبرين وصحة الطريقتين.

وشهد ثابت بن قيس - هذا - اليمامة وأبلى فيها بلاء حسنا - كما مر - وقطعت
رجله يومئذ فزحف إلى الذي قطعها ولم يزل يضربه بها حتى قتله ، وإلى ذلك أشار
الناظم بقوله: **برجله أقصد من أماته.**

ولما ذكر رحمه الله هذه القصة لثابت بن قيس استطرده قصة تشبهها جرت
لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري في يوم من أيام صفين؛ وقد تقدم
للناظم أن أشار إليها أيضا في الكلام على عتبة بن أبي وقاص بقوله: وفي صفين
برجله ذب عن المكين. وذكر الشيخ حمادٍ منها شيئا هناك؛ وحاصلها أن هاشمًا بن
عتبة⁽¹⁾ بن أبي وقاص كان من الأبطال المشهورين والشجعان المذكورين، شهد
اليرموك والقادسية وجولاء وغيرها.. وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وأبلى في الجميع بلاء حسنا، وفقت عينه يوم اليرموك وقطعت رجله
يوم صفين فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمي شوله معقولا!
وقاتل برجله ورمى بها رجلا فصرعه، ولما وقع على الأرض وهو يجود بنفسه رفع
رأسه فإذا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب مطروحا إلى قربه جريحا - وكان من جيش
معاوية بن أبي سفيان - فحبا حتى دنا منه فعلاه والتزمه ولم يزل به حتى قتله ثم

(1) هو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ويلقب بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب كما يرقل الفحل في
قيده، ويوم قتل كان علي بن أبي طالب يسير وراءه ويقول له: "يا أعور لا تكن جباننا تقدم"
والمرقال يقول:

قد أكثر القوم وما أقلأ أعور يبغي أهله محملا
قد عالج الحياة حتى ملا لا بد أن يُفَل أو يُفَلا
أشلهم بذي الكعوب شلا

مات فوقه⁽¹⁾. وقطعت أيضا بصفين قدم قيس بن مكشوح وقتل الذي قطعها؛ فقد ذكر الطبري في تاريخه أن قيس بن مكشوح هذا حمل يوما راية بجيلة بصفين وزحف بهم حتى انتهى بهم إلى جماعة عظيمة من أصحاب معاوية رضي الله عنه، فاقتتلوا قتالا شديدا فشد رومي لمعاوية على قيس فضرب قدمه فضرب قيس الرومي حتى قتله؛ فأشرعوا الأسنة إلى قيس حتى قتلوه.

ومن قطعت رجله أيضا وقتل قاتله حكيم⁽²⁾ بن جبلة بن حصين بن أسود بن كعب، لكن كان ذلك قبل يوم الحمل؛ فقد بعثه عثمان بن حنيف - أمير البصرة من طرف علي بن أبي طالب - في سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل فلقي الزبير وطلحة بالزابوقة⁽³⁾ فقاتلهم قتالا شديدا حتى قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله، ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول:

يا نفس لن تراعي رعاك خـ راع
إن قطعت كراعي إن معي ذراعي .. الخ.

حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟ قال: وسادتي، ثم قتله سحيم الحدائي.

وقد فعل معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر لما قطعت يده من العاتق قريبا من هذا. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

-
- (1) راجع شرح الشيخ حماد للأنسب، ومروج الذهب للمسعودي، والاستيعاب لابن عبد البر.
(2) حكيم بن جبلة هذا هو الذي بعثه عثمان بن عفان إلى السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وشل (أي قليل)، ولصها بطل وسهلها جبل، إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلوا ضاعوا؛ فلم يوجه عثمان رضي الله عنه إليها أحدا حتى قتل.
(3) الزابوقة: موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار.

وَابْنُ بَشِيرٍ أَوَّلُ الْأَنْصَارِ وَوَلَدَ بَعْدَ مَقْدَمِ الْمُخْتَارِ
بِرَأْسِهِ مِنْ حِمَصٍ أُوتِيَ الْوَزْغُ كَذَاكَ خَلَادٌ مِنَ الْحَيِّ بَزْغٌ

قوله وابن بشير (بالرفع): عطف أيضا على قوله أرقم في البيت السابق، والمراد بابن بشير هنا النعمان بن بشير. وأول الأنصار: خبر مبتدأ محذوف أي هو أول الأنصار ولد.. إلخ، والجملة صفة لابن بشير. ومقدم (بفتح الميم والبدال المهملة مخففة): أي قدوم المختار ﷺ المدينة مهاجرا. وقوله برأسه: متعلق بأوت، والضمير عائد على ابن بشير. وحمص (بكسر الحاء): كورة بالشام أهلها يمانيون. والوزغ: نائب فاعل أوتي، والمراد به مروان بن الحكم. وخلاد (بوزن كتان): مبتدأ والمجرور بعده متعلق ببزغ، والجملة خبر عن خلاد. وبزغ (بالباء الموحدة والزاي والغين المعجمة): أي طلع وظهر. والمراد بالحي بنو مالك الأغر، فال فيه عهدية. يعني أن من بني الحارث بن الخزرج ثم من بني مالك الأغر منهم النعمان بن بشير وخلاد بن سويد رضي الله عنهما.

ترجمة النعمان بن بشير

أما ابن بشير فهو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الخلاس - بوزن غراب - بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجي الحارثي، ولد رضي الله عنه على رأس أربعة عشر شهرا من مقدم النبي ﷺ المدينة مهاجرا وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة. وأول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد قدومه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبير بن العوام ولد بعد النعمان بستة أشهر، وكان المسلمون قد تحدثوا فيما بينهم بأن اليهود قد سحرتهم؛ وقيل إن اليهود أنفسهم قالوا إنا سحرناهم فلا يولد لهم مولود فكذبهم الله ففرح المسلمون بولادتهما. وأم النعمان بن بشير عمرة بنت رواحة (أخت عبد

الله بن رواحة)، روي أنه لما ولد أتت به رسول الله ﷺ فحنكه بتمرّة فجعل يتلمظ فيها فقال صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى حب الأنصار التمر»⁽¹⁾ وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، روي عنه أنه قال: أهدي إلى رسول الله ﷺ عنب من الطائف فدفع لي منه عنقودا وقال: «أبلغه أملك» قال فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليال قال لي: «ما فعل العنقود هل بلغته؟» قلت: لا، قال: فأخذ بأذني وقال لي: «يا غُدرُ»⁽²⁾.

وكان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة، وكان خطيبا كريما جوادا، روي أن أعشى همدان تعرض ليزيد بن معاوية فحرمه، فمر بالنعمان بن بشير - هذا - وهو يومئذ على حمص فقال له النعمان: ما أقدمك؟ قال: جئت لتصلي وتحمض قرابتي وتقضي ديني، فقال النعمان: ما عندي ما أعطيك ولكن معي عشرون ألفا من أهل اليمن إن شئت سألتهم لك فقال: قد شئت، فصعد النعمان المنبر فاجتمع إليه أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر أعشى همدان وقال: إن ابن عمكم أعشى همدان قد أصابته حاجة ونزلت به جائحة وقد عمد إليكم فما ترون؟ قالوا: ديناراً ديناراً⁽³⁾، قال: لا ولكن بين اثنين دينار فقالوا: قد رضينا فقال: إن شئتم عجلتها له من بيت المال من عطائكم وقاصصكم إذا خرجت عطاياكم، قالوا: نعم، فأعطاه النعمان عشرة آلاف دينار، فقبضها الأعشى وأنشأ يقول:

فلم أر للحاجات عند التماسها كنُعمان نُعمانِ النُدى ابنِ بشيرِ

-
- (1) أخرجه مسلم، ورواه في الجامع الصغير. ويتلمظ: أي يحرك لسانه على شفتيه.
(2) قاله في الاستيعاب، والعنب: ثمر الكرم. والعنقود من العنب: ما تعقد وتراكم من ثمره في أصل واحد. والغدر: الكثير الغدر، يقال في سب الرجل وشتمه يا غدر أي يا غادر.
(3) أصابته حاجة أي فاقة وفقر، والجائحة: المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كلا. وقوله: ديناراً ديناراً أي نرى أن يعطيه كل واحد منا ديناراً.

إذا قال أوفى بالمقال ولم يكن كمدل إلى الأقوام حبل غرور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثوى بفلى لم ينقلب بنقىر
متى أكفر النعمان لم أك شاكرا ولا خير في من لم يكن بشكور

وكان النعمان شاعرا وكان من المعروفين بالشعر سلفا وخلفا؛ أبوه وجدته شاعران، وعمه وأخوه شاعران، وأولاده شعراء. ومن شعر النعمان قوله:

وإني لأعطي المال من ليس سائلا وأدرك للمولى المعاند بالظلم
وإني متى ما يلقي صارمًا له فما بيننا عند الشدائد من صرم
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى ولكنما المولى شريكك في العدم
إذا مت⁽¹⁾ ذو قربي إليك برحمه وغشك واستغنى فليس بذى رحم
ولكن ذا القرى الذي يستخفه أذاك ومن يرمي العدو الذي ترمي

ومن شعره أيضا:

أهيج دمعك رسم الطلل عفا غير مطرد كاخلل⁽²⁾
نعم فاستهل لعرفانه يسح ويهمي كفيض السبل⁽³⁾
ديار الألووف وأتراها وأنت من الحب كالمختبل⁽⁴⁾

(1) مت (بفتح الميم والتاء مشددة): أي توسل قال:

يمت بقرى الزيين كليهما إليك وقرى خالد وسعيد

(2) الرسم: الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت. والطلل: ما بقي شاخصا من آثارها، قال الشاعر:

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الحياة من جلله

وعفا: درس. والمطرد: المتتابع. والخلل (بالتحريك): الشيء المضطرب غير المنتظم أي خلا إلا آثارا وبقايا قليلة غير منتظمة.

(3) يسح: يصب ماءه بكثرة وتتابع. ويهمي: يسيل. وفيض: كثرة وغزارة. والسبل (بالتحريك): المطر الهاطل.

(4) المختبل: الفاسد العقل الذاهب الفؤاد.

ليالي تسي قلبوب الرجال
من الناهضات بأعجازهن
كان الرضاب و صوب السحا
من الليل خالط أنيابها
ومن شعر أبيه بشير بن سعد قوله:

لعمره بالبطحاء بيت معرف
لعمري لحي بين دار مزاحم
وحي حلال لا يكمش سيرهم
أحق بها من فتية وركائب
تقول وتذري الدمع عن حر وجهها
أباح لها بطريق فارس غائطا
فقربتھا للرحل وهي كأنها
وأوردتها ماء وما شربت به
فباتت سراها ليلة ثم عرست

ومن شعر جده سعد بن ثعلبة:

يا أخت آل فراس إنني رجل
إن كنت سائلة والحق معتبة
شم الأنوف لهم عز ومكرمة
من معشر لهم في العز بنيان
فالأزد نسبتنا والماء غسان
كانت لنا من جبال الطور أركان

- (1) تحيت: تصغير تحت. والحدور: جمع حدر وهو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت، ويقال أيضا لكل ما يوارى من بيت ونحوه. والغزل (بالتحريك): الشغف بمحادثة النساء والتودد لهن وذكر محاسنهن.
- (2) الرضاب (بالضم): الريق أو الريق المرشوف. وذوب العسل: الخالص منه.
- (3) الكرى: النعاس والنوم. واختلاف: تغير. والسلل: الريق.
- (4) البطريق: القائد من قواد الروم جمعه: بطارق وبطارقة، والبطريك (بالكاف): رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية جمعه: بطاريك وبطارقة.

وقيل الأبيات لحسان كما مر.

ومن شعر عمه الحصين بن سعد:

إذا لم أزر إلا لأكل أكلة
فما أكلة إن نلتها بغنيمة
فلا رفعت كفي إلي طعامي
ولا جوعاً إن جعتها بغرام
ومن شعر أخيه إبراهيم بن بشير:

أشافتك أظعان الحمول البواكر
نعم فاستدرت عبرة العين لوعة
كنخل الجوابي الشامخات المواقر
وما أنت عن ذكرى سليمي بصابر
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة
من الدهر إلا وقفة بالمشاعر⁽¹⁾
ألا رب ليل قد سریت سواده
إلى رجح الأكفال غر الخاجر
ليالي يدعوني الصبا فأجييه
أجر إزاري عاصيا أمر زاجري

وأولاد النعمان بن بشير محمد وأبان وشيب وبشير وإبراهيم وزيد وعبد الله -
وكان شاعرا - ومن بناته حميدة شاعرة ذات لسان سليط، وكانت تهجو أزواجها
وكانت تحت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
بن مخزوم المخزومي فقالت فيه:

كهول دمشق وشانها
صنانهم كصنان التيو
أحسب إلينا من الجاليه
س أعيا على المسك والغاليه⁽²⁾

فأجابها بقوله:

(1) المشاعر: مشاعر الحج أي مناسكه والأعمال التي تتممها، والمراد بها هنا الأماكن التي تودى بها تلك المناسك.
(2) الصنان (بضم المهملة): التنن والريح الكريهة. والتبوس: جمع تيس وهو الذكر من المعز والظباء والوعول. والغالية: أخلاط من الطيب.

ساكنات العقيق أشهى إلى نَفْسٍ — سَيِّ من ساكنات دور دمشق
يتضوعن إن تطيين بالمســــــــــــــــك نسيما كأنه ريح مرق!⁽¹⁾

فطلقها فتزوجها روح بن زنباع الجذامي فقالت فيه:

بكى الخبز من روح وأنكر جلده وضج ضجيجا من جذام المطارف⁽²⁾
وقال العباءُ نحن كنا لباسهم وأكسيةً كرديةً وقطائف⁽³⁾

فطلقها وقال لها: سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيء في حجرِك، وتزوجت
بعده الفيض بن عقيل الثقفي فقالت فيه:

سميت فيضا وما شيء تفيض به إلا بسلكك⁽⁴⁾ بين الباب والدار
فتلك دعوة روح الخبز أعرفها سقى ثراه حيُّ الأوظف الساري⁽⁵⁾

ومن بنات النعمان بن بشير هند بنت النعمان، يحكى أن الحجاج بن يوسف تزوجها
على الرغم منها، فنظرت يوما في المرأة فأعجبتها نفسها وتأسفت على ما بها فقالت:

وما هند إلا مهرة عريــــــــــــــــة سليلة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت مُهراً فله درُها وإن ولدت بغلاً فجاء به الفحلُ

فاتفق أن الحجاج كان يستمع إليها، فرجع قبل أن يريها نفسه وأرسل إليها صرة

(1) يتضوعن: تنتشر رائحتهن. والمرق بالتحريك: الجلد المنتن.

(2) الخبز: الحرير أو نوع منه. وضج: صاح ورفع صوته. وجذام: قبيلة روح. والمطارف: جمع مطرف (بكسر الميم) وضمها وهي أبواب أو أردية من خبز مربعة لها أعلام، والتعبير ببكى وأنكر وضج: كلها على الاستعارة.

(3) العباء: كساء مشقوق واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب جمعه: أعبية. والأكسية: جمع كساء وهو اللباس. والقطائف: جمع قطيفة كساء له أهداب أو دثار أو فراش ذو أهداب كأهداب الطنائف.

(4) سلح سلحا: راث والسلاح (بالضم): كل ما يخرج من البطن من الفضلات.

(5) الثرى: التراب الندي اللين. والحيي: السحاب الكثيف الداني من الأرض. والأوظف: السحاب المنهمر. والساري: الذي يأتي ليلا.

فيها عشرة آلاف درهم متعة وطلقها، فقال لها الرسول: يقول لك الحجاج كنت فبنت، فقالت: كُنَّا فما حمِدنا وبنَّا فما ندمنا! والفلوس لك ببشارتك؛ فذُكر ذلك لعبد الملك بن مروان فأرسل إليها يحطِّبها فردت إليه: أما بعد فإن الكلب ولغ في الإناء، فرد عليها قائلاً: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعة»⁽¹⁾ فأجابت واشترطت أن يكون الحجاج جماهاً⁽²⁾ إلى دمشق، فكتب إليه عبد الملك فامتثل، فلما وصلوا وخرج عبد الملك مستقبلاً لها، رمت ديناراً من يدها وقالت: يا جمال.. سقط منا درهم، فقال: ما رأيت إلا ديناراً، فقالت: هاته.. فالحمد لله سقط منا درهم فأبدلنا الله منه ديناراً!.

هذا وكان النعمان بن بشير مع معاوية بن أبي سفيان وشهد معه صفين وولاه اليمن ثم أمره على الكوفة سبعة أشهر ثم ولاه حمص، ثم كان أميراً عليها من طرف يزيد بن معاوية، ثم لمعاوية بن يزيد؛ فلما مات معاوية بن يزيد مال إلى ابن الزبير، فتمالاً مع الضحاك بن قيس فخطب بحمص ودعا الناس إلى بيعة عبد الله بن الزبير فخالفه أهل حمص فما لبث أن بلغته وقعة مرج راهط⁽³⁾ وهزيمة الزبيرية وقتل الضحاك فخرج من حمص هارباً فسار ليلة متحيراً لا يدري أين يأخذ، فاتبعه خالد بن عدي الكلابي فيمن خف معه من أهل حمص فأدركوه بقرية من قرأها يقال لها

(1) حديث أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

(2) الجمال: صاحب الجمال أو قائدها، جمعه: جمالة.

(3) مرج راهط: موضع في الغوطة من دمشق في شرقها بعد مرج عذراء، وفيه كانت الوقعة الحاسمة بين أنصار ابن الزبير والأمويين فقتل فيها الضحاك وفرَّ زفر بن الحارث الكلابي أحد زعماء الزبيريين وقال قصيدته المشهورة التي منها:

لعمري لقد أبقت وقعة راهط لسروان صدعا بيننا متنايا

[خزانة الأدب للبغدادي: 3 / 153].

"بيران" فقتلوه واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى مروان بن الحكم وكان ذلك سنة خمس وستين. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: برأسه من حمص أوتي الوزغ.

وكان والده بشير بن سعد من كبار الصحابة وفضلائهم شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار يوم السقيفة واستشهد رضي الله عنه في جيش خالد بن الوليد بعين التمر⁽¹⁾ في خلافة أبي بكر. وللنعمان بن بشير هذا عقب بالأندلس يعرفون ببني عبد السلام.

وأما خالد فهو ابن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا، روي أنه ألقط عليه نبتة القرظية (زوجة الحكم القرظي) رحي من أطم من آطام قريظة فشدخته⁽²⁾ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن له أجر شهيدين»⁽³⁾ فأمر النبي ﷺ بقتلها مع من قتل من بني قريظة؛ ولم يقتل غيرها من النساء.

ومن بني مالك الأغر - أيضا - عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر بن ثعلبة وهو الشاعر المعروف بابن الإطنابة، وهي أمه. حكى أن معاوية رضي الله عنه قال لابنه يزيد: تعلم الشعر فلقد هممت بالفرار بصفين فتذكرت قول ابن الإطنابة:

أبت لي هممتي وأبى إباتي وأخذي الحمد بالثمن الربيع
وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح⁽⁴⁾

(1) عين التمر: بلدة قرية من الأنبار وكربلاء غربي الكوفة كانت بها وقعة لخالد بن الوليد على مهram بن بهرام وعقة بن أبي عقة عام 12 هـ - [نهاية الأرب]،

(2) آطام قريظة: حصونها واحدا أطم. وشدخته: كسرت رأسه. والرحى: الطاحون.

(3) ذكره في الإصابة.

(4) الهامة: الرأس. والمشيح: الغيور الحازم والخذر في أموره.

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي⁽¹⁾
لأدفع عن مائسر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

ومن بطون بني الخزرج بن الحارث بن الخزرج بنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة الذين تقدمت الإشارة إليهم. فمن بني عدي بن كعب أبو الدرداء عويمر بن يزيد بن قيس بن عبسة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، اختلف في شهوده أحدا، وشهد ما بعده. وكان حليما عاقلا وفقهيا عالما عاملا، روي عن أبي ذر قال: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أعلم من أبي الدرداء⁽²⁾، وقال معاذ بن جبل: التمسوا العلم عند أبي الدرداء فإنه من الذين أوتوا العلم، وكان ابن عمر يقول: حدثونا عن العاملين العاملين: معاذ وأبي الدرداء، قيل ولاه عمر القضاء بدمشق، وتوفي في خلافة عثمان، في نيف وثلاثين؛ وقبره بدمشق في مقبرة الشهداء يزار. [قاله في الاستبصار].

ومنهم أيضا محمود بن الربيع بن سراقبة بن عمرو بن زيد بن عبدة بن عامر بن عدي بن كعب، معدود في أهل المدينة توفي سنة تسع وتسعين؛ عقل عن النبي ﷺ بحجة مجَّها في بئرهم وحفظ ذلك عنه وهو ابن أربع أو خمس سنين⁽³⁾.
ومنهم أيضا عتبة بن عمرو بن جروة بن عدي بن عامر بن عدي بن كعب، شهد أحدا ومات عن غير عقب.

(1) جشأت نفسه (كمنع): جاشت من حزن أو فزع وثار للقيء. ومكانك بالنصب بتقدير الزمي.
(2) أقلت: أي حملت. والغبراء: الأرض لغبرة لونها. والخضراء: السماء لونها الأخضر، يقال: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء مثل فلان" أي ما أظلت السماء ولا حملت الأرض مثله.
(3) روي عنه أنه قال: ما أنسى بحجة مجَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بئر في دارنا في وجهي وأنا ابن خمس سنين. وفي رواية: بحجة مجَّها في وجهي من دلو معلق في بئرنا - أو من دلو من بئرنا - [الاستيعاب والإصابة].

هذا وقد كان بنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة بن كعب هؤلاء جميعا مع غسان بالشام إلا رجلين من بني عدي بن كعب كانا بالمدينة وهما: أبو الدرداء وابنه بلال بن أبي الدرداء رضي الله عنهما.

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى بطنين من بطون بني الحارث وهما بنو جشم وبنو عوف ابني الحارث بن الخزرج ، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَلَبَنِي الْحَارِثِ أَيْضًا يُنْسَبُ خَيْبُ الْمُوشِحِ الْمُهَذَّبُ
 نَجْلُ إِسَافٍ وَبَنُو خُدْرَةَ وَخُدْرَةَ الْأَبْجَرِ أَهْلُ الشَّارَةِ
 هُنَا انْتَهَى الْحَارِثُ

قوله خبيب (بوزن زبير): نائب فاعل ينسب. والموشح (بالحاء المهملة كمعظم): الذي ألبس الوشاح، والوشاح (بضم الواو وبكسرهما): شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها؛ والمراد به هنا أثر السيف الذي كان يخيب من ضربة أصيب بها يوم بدر فبقي به أثرها بعد. والمهذب (بوزن معظم أيضا): المطهر الأخلاق النقي من العيوب. والموشح والمهذب صفتان لخبيب. ونجل إساف (بكسر الهمزة وتبدل ياء): صفة له أيضا. قوله وبنو خدرة (بضم الخاء المعجمة بوزن ثمامة): عطف على خبيب. وخدرة (كعمرة): عطف على خدرة. والأبجر (بالجر): بدل من خدرة. وأهل الشارة (بالرفع): صفة لبنو خدرة وخدرة. والشارة: الحسن والجمال والزينة في الهيئة واللباس، وإنما وصفهم بذلك لشرفهم وكثرة من فيهم من أعيان الصحابة.

يعني أن من بني الحارث بن الخزرج أيضا بني جشم بن الحارث الذين منهم خبيب بن إساف، وبني عوف بن الحارث الذين منهم بنو خدرة الأبجر وبنو خدرة ابني عوف بن الحارث بن الخزرج.

أما بنو جشم فهم بنو جشم بن الحارث بن الخزرج، وذكر من أعيانهم حبيبا بن إساف (قاتل أمية بن خلف يوم بدر) وهو حبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، شهد بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان قد تأخر إسلامه حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر فلحق به في الطريق وأسلم وشهد معه بدرا، روي أنه ضربه أمية بن خلف الجمحي يومئذ على عاتقه فمال شقه ثم ضرب هو أمية حتى مات، وجاء حبيب إلى رسول الله ﷺ فتفل له على عاتقه فبرئ. فاتفق أن تزوج بعد ذلك بنت أمية بن خلف هذا فكانت إذا رأت أثر الضربة به قالت مازحة: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح، فيقول لها: لا عدمت رجلا عجل أباك على النار. وتزوج حبيب هذا أيضا بحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بعد أن توفي عنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه - كما مر - ومات حبيب بن إساف هذا في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنهم.

ومن بني جشم أيضا أخواه: خالد وكليب ابنا إساف بن عتبة، شهد خالد منهما أحدا وما بعدها واستشهد بالقادسية، وقيل بالجسر، وشهد كليب أحدا. ومنهم أبو زغبة عامر بن كعب بن عامر بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث الشاعر، شهد أحدا.

ومن بطون بني الحارث أيضا بنو زيد مناة بن الحارث بن الخزرج إخوة بني جشم المذكورين ويقال لهما "التوأمان"؛ منهم عبد الله بن زيد بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناة بن الحارث الخزرجي الحارثي صاحب الأذان الذي أريه في المنام. شهد رضي الله عنه العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وكان بيده راية بني الحارث يوم الفتح وتوفي سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة، وصلى عليه عثمان. وأخوه حريث بن زيد شهد بدرا وأحدا. ومنهم أيضا سهل بن رافع بن بشير بن عمرو بن الحارث بن كعب بن

زيد مناة بن الحارث، زوج الفارعة⁽¹⁾ بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري، قتل عنها في طلب أعبد له أبقوا منه فقتلوه.

أما البطن الرابع من بني الحارث بن الخزرج فهو بنو عوف بن الحارث؛ ومنهم بنو خدرة الأبيجر وبنو خدارة ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج، وذكرهم الناظم ولم يذكر أحدا من أعيانهم.

أما بنو خدارة فمنهم أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدارة بن عوف البدري شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها، وقيل لم يشهد بدرا وإنما نزله وسكن به فعرف بالبدري لذلك. وهو الذي قال له رسول الله ﷺ وهو يضرب غلامه: «اعف أبا مسعود»⁽²⁾. وناه علي بن أبي طالب على الكوفة حين سار إلى صفين وكان يستخلفه على ضعفة الناس فيصلي بهم العيد في المجلس. ومنهم أيضا تميم بن يُعار بن قيس بن عدي بن أمية بن خدارة، شهد بدرا وأحدا.

وأما بنو خدرة الأبيجر فمنهم أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر (وهو خدرة) بن عوف بن الحارث، أمه أنيسة بنت أبي خارجة النجارية (أخو قتادة بن النعمان الظفري لأمه). كان رضي الله عنه من الحفاظ الكثيرين من الحديث حتى عُدّ سابعاً للسته المشهورين - الذين تقدم ذكرهم في ترجمة ابن عباس - وحفظ عن رسول الله ﷺ علما جما وكان من نجباء الأنصار وفقهاء الصحابة ومن أهل بيعة الرضوان، وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة أولها الخندق؛ واختلف في تاريخ وفاته فقيل توفي سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث وستين، وقيل غير ذلك واستشهد أبوه مالك بن سنان يوم أحد رضي الله عنهما. وأخته

(1) ويقال لها أيضا الفريعة (بصيغة التصغير).

(2) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وأحمد.

الفارعة - أو الفريرة - بنت مالك بن سنان شهدت بيعة الرضوان وروت عن النبي ﷺ في سكنى المتوفى عنها زوجها فأخذ به العلماء⁽¹⁾.

ومن بني خدره أيضا سعد بن سويد بن عبيد بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خدره، شهد بدرا وأحدا واستشهد به. ومنهم أيضا عتبة بن الربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خدره، استشهد بأحد أيضا. ومنهم كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد، أم سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي.

ولما أنهى الكلام على بني الحارث كما قال: هنا انتهى الحارث.. شرع في الكلام على أخيه كعب بن الخزرج واقتصر من بطونه على بني ساعدة بن كعب؛ فقال رحمه الله:

(1) المتوفى عنها زوجها تبقى في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تحمل. [النسائي].

بنوكعب بن الخزرج*

... ..
 .. أَمَّا كَعْبُ فَمِنْهُ عَالِي الكَعْبِ نَعَمَ الكَعْبُ
 سَاعِدَةُ بِنُ كَعْبِ بْنِ الخَزْرَجِ أَهْلُ السَّقِيْفَةِ قَبِيلُ الأَبْلَجِ
 قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ السَّرِيِّ ذِي الطَّوْلِ وَالطُّوْلِ وَطَيْبِ العُنْصُرِ
 يَخْصُ سَعْدُ كُلَّ يَوْمٍ أَحْمَدًا بِجَفْنَةٍ تُرَدِّهَا وَجَوْدًا

قوله كعب مبتدأ. وعالي الكعب: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والجملة خبر كعب. والعالي: المرتفع. والكعب: الشرف والمجد، يقال "أعلى الله كعبهم" أي رفع شأنهم، ورجل عالي الكعب موصوف بالشرف والظفر. وقوله نعم الكعب: نعم: فعل غير متصرف لإنشاء المدح، والكعب: فاعله؛ والجملة للمبالغة في المدح. وقوله ساعدة بن كعب (بالرفع): بدل من عالي الكعب، والمراد بساعدة هنا بنوه⁽¹⁾ ولذا وصفهم بأهل وقبيل وهما جمعٌ معنى. والسقيفة (كسفيئة): دار لبني ساعدة في المدينة بمنزلة دار الندوة لقريش في مكة وتعرف بسقيفة بني ساعدة، وهي التي اجتمعت فيها الأنصار بعد وفاة رسول الله ﷺ ليبايعوا سعد بن عبادة. والأبلج (بالباء الموحدة): الأبيض الحسن الواسع الوجه. وقوله قيس بن سعد (بالجر): بدل

* من أهم بطون بني كعب بن الخزرج هذا بطن بني ساعدة بن كعب وقد تفرعت منه عدة أفخاذ منها: بنو طريف وبنو عمرو وبنو ثعلبة بني الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، واقتصر الناظم على هذا البطن دون غيره وتناول الكلام عليه في نحو سبعة أبيات وأشار إلى أفخازه الثلاثة المذكورة بذكر بعض أفرادها وذكر من أعيانهم أربعة رجال.
 (1) ساعدة اسم من أسماء الأسد. [قاله البدر العيني].

من الأبلج. والسري: السيد الشريف السخي. والطول (بفتح الطاء المهملة):
الفضل والغنى واليسر. وقوله وال طول (بضم الطاء): ضد القصر. وقوله وطيب
العنصر: أي كرمه وجودته، والعنصر (كقنفذ): الأصل؛ وكلها بالجر صفات لقيس
بن سعد.

يقول ومن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب أهل السقيفة، بطن قيس بن
سعد بن عبادة المعروف بكرم الأصل وبالجد والجمال.

قيس بن سعد بن عبادة وذكر بعض جوده

هذا وقد اقتصر الناظم هنا على أهم بطون بني كعب بن الخزرج وهو بطن بني
ساعدة بن كعب، وقد تفرع بطن بني ساعدة هذا إلى عدة أفخاذ منهم: بنو طريف
وبنو عمرو وبنو ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة؛ فمن بني طريف سعد بن عبادة وابنه
قيس المذكوران. أما قيس فهو أبو الفضل قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة
بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج
الخزرجي الساعدي، أمه فكيهة بنت عبيد بن دليم. كان من سادات قومه ومن بيت
سيادتهم بل كان شريفهم غير مدافع وكذلك كان أبوه سعد وجده عبادة، بل وجد
أبيه دليم. يقال إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتالون في بيت واحد
إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم؛ ولا كان مثل ذلك في سائر العرب أيضا إلا
هؤلاء وآل صفوان بن أمية.

فكان لدليم أطم⁽¹⁾ ينادي عليه مناديه يوما كل عام: من أراد الشحم واللحم

(1) الأطم: الحصن وهو اسم مأخوذ من انتظم إذا ارتفع وعلا، وأطم المدينة سطوح بها، ولأطام المدينة
أسماء منها: الزوراء أطم بني الجلاح ومعرض أطم بني ساعدة وفيه يقول الشاعر:
ونحن دفعنا عن بضاعة كلها ونحن بيننا معرضا فهو مشرف

فليات دار دليم، فمات دليم فنادى منادى عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادى سعد بمثل ذلك، فلما مات سعد نادى منادى قيس بمثل ذلك. وكان دليم يهدي إلى مائة كل عام عشر بدنان، ثم كان عبادة يفعل ذلك، ثم كان سعد يهديها كذلك إلى أن أسلم، ثم أهداها قيس إلى الكعبة.

وأما آل صفوان بن أمية فقد كانوا خمسة مطعمين متابعين وهم: عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشيون الجمحيون. أطعم خلف ثم أمية ثم صفوان ثم عبد الله⁽¹⁾ ثم عمرو، فقليل لم يجتمع لقوم أن يكون منهم مطعمون خمسة إلا لعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، وتوفي صفوان في خلافة معاوية، فقال معاوية: من يطعم بمكة؟ فقالوا: عبد الله بن صفوان، فقال: بخ بخ تلك نار لا تطفأ.

هذا وقد شهد قيس بن سعد بن عبادة جميع المشاهد مع النبي ﷺ وكان منه مكان صاحب الشرطة من الأمير، وكان من الدهاة وأهل الرأي والمكيدة في الحرب

----->>

فأصبح معمورا طويلا فذاله وتخرب آطام بها وتقصف

وبضاعة: أرض بني ساعدة وإليها تنسب بئر بضاعة. ومن آطام المدينة راتج والأبيض وعاصم والرعل وكان لحضير بن سمالك، ومنها: فارغ وهو لبني حديلة والأحيش وكان بقباء والحميم والنواحان وهما لبني أنيف.. وغيرها.

(1) قتل عبد الله بن صفوان هذا بمكة مع عبد الله بن الزبير، ومات صفوان بن أمية بمكة أيضا سنة اثنتين وأربعين - أول خلافة معاوية - وقيل توفي مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتل أمية بن خلف يوم بدر كافرا، وكان صفوان بن أمية أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان يقال له: "سداد البطحاء" أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الأمان يوم الفتح وسار معه إلى حنين واستعار منه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحا وشهد حنينا كافرا، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين عطايا كثيرة، فقال صفوان: والله ما طابت بهذا إلا نفس نبي؛ فأسلم وحسن إسلامه، وكان أحد المطعمين بمكة.

مع النجدة والبسالة، وأعطاه النبي ﷺ الراية يوم الفتح حين نزعها من أبيه سعد لشكوى قريش منه يومئذ. وخدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وكان من جلة الصحابة وفضلاتهم، واشتهر بالكرم والسخاء حتى ضرب المثل بجوده، وله في الكرم حكايات مشهورة منها أنه كان مرة في سرية⁽¹⁾ فجاع أهلها فاشترى لهم جزرا ونحرها لهم، فلما قدموا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت»⁽²⁾، وجاءه يوما عمر وأبو عبيدة وقالاه: عزمنا عليك أن لا تنحر، فلم يلتفت إلى ذلك ونحر لهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنه من بيت جود»⁽³⁾ وجاءته يوما امرأة تشكو إليه الفاقة فقالت: إن جردان⁽⁴⁾ بيتي مشيت على

(1) هي سرية الخبث، والخبث ورق الشجر. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب وقيس بن سعد بن عبادة يطلبون عيرا لقريش في أرض جهينة في رجب سنة ثمان بعد نقض قريش للعهد وقبل الفتح وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر، فلما أشرف على النقاد جعل الرجل منهم يأكل ثمرة ثمرة، ولما نفذ أكلوا الخبث (أي ورق الشجر) حتى تقرحت أشداقهم، فابتاع قيس بن سعد بن عبادة خمس جزر فنحرها لهم. ثم رفع لهم على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم فأتوه فإذا دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأكلوا منها وأقاموا عليها نحو نصف شهر حتى صحت أجسامهم وسموا، روي أنهم اغترفوا قلال الدهن من وقب عينها وأخذوا ضلعا من أضلاعها وأقاموها وأخذوا أعظم بعير معهم وأطول رجل منهم فركب وجاز من تحتها لم ينحن وأقعدوا ثلاثة عشر رجلا في وقب عينها، ثم تزودوا من لحمها حتى قدموا المدينة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم منه شيء فتطعمونا؟» فأرسلوا إليه منه فأكله، ورجعوا من هذه السرية ولم يلقوا كيدا.

(2) قاله في الاستيعاب.

(3) رواه في الاستيعاب وذكره الواقدي في مغازيه ومختصر تاريخ دمشق.

(4) الفاقة: الحاجة والفقر. الجرذان (بكسر فسكون): جمع جرد (بضم ففتح): نوع من الفأر يقال: تفرقت جرذان بيته "أي قل الطعام عنده وافتقر.

العصبيّ، فقال: لأدعهن تثب وثوب الأسد، فملاً بيتهما طعاماً وودكاً. وشكت له أخرى قلة الجرذان فقال: ما أحسن هذه الكناية املؤوا بيتهما خبزاً ولحماً وتمراً وسمناً. واستقرضه رجل ثلاثين ألف درهم فأقرضه إياها، فلما ردها الرجل إليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود في شيء أعطيناه. وكانت له صحيفة⁽¹⁾ يدار بها حيث دار وينادي مناديه هلموا إلى اللحم والثريد. ويحكى أن أباه سعد بن عبادة لما أراد الخروج من المدينة قسم ماله بين أولاده، وتوفي عن حمل لم يعلم به، فلما ولد كلف عمر وبعض الصحابة قيساً في نقض ما صنع أبوه من القسمة، فقال قيس: نصيبي للمولود ولا أغير ما صنع أبي ولا أنقضه!. ومما يحكى من جوده أنه كانت له ديون كثيرة على الناس فلما مرض استبطاً عواده فقيل له إنهم يستحيون من أجل دينك فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأقبل عليه الناس حتى تهدمت درجة كانوا يصعدون عليها إليه. وكان رضي الله عنه صخماً جميلاً إلا أنه لم يكن في وجهه ولا لحيته شعرة، وقد روي أن الأنصار كانت تقول: ودنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا، (وكذلك كان ابن الزبير وشريح القاضي).

وكان قيس طويلاً مديد القامة يضرب به المثل في الطول. وقد قيل أدرك الإسلام عشرة رجال كلهم عشرة أشبار: قيس بن سعد هذا، وعبادة بن الصامت وجرير بن عبد الله البجلي وسعد بن معاذ وعدي بن حاتم وعمرو بن معدي كرب والأشعث بن قيس ولييد بن ربيعة وأبو زيد الطائي وعامر بن الطفيل. وإلى طول قيس وكرمه وجوده أشار الناظم بقوله: **ذي الطول والطول وطيب العنصر.**

وكان قيس بن سعد هذا غاية في العبادة والزهد وكان مع علي بن أبي طالب —

(1) الصحيفة (بتقديم الحاء المهملة على الفاء): إناء من آنية الطعام جمعه صحاف. [المعجم الوسيط].

هو وقومه - شهد معه الجمل وصفين والنهروان، وروي أنه قال: لولا الإسلام لمكرت مكرراً لا تطيقه العرب، وهو القائل:

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي، وجبريل لنا مددٌ
ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرها أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يفتح البلد

وولاه عليٌّ على مصر فضايق به معاوية ذرعا وأعجزته فيه الحيلة فكأيد فيه عليا ففطن بمكيدته فلم ينخدع به، فاحتال على أصحاب علي من أهل الكوفة فلم يزالوا بعلي حتى عزله وولى مكانه محمد بن أبي بكر ففسدت عليه مصر فارتحل قيس إلى علي ولم يفارقه حتى قتل، فكان بعده مع الحسن حتى أجمع على التخلي عن الخلافة لمعاوية؛ عند ذلك أخذ قيس لقومه الأمان من معاوية على حكمهم، والتزم له معاوية الوفاء بما اشترط عليه، وعاد قيس إلى المدينة واشتغل بالعبادة حتى توفي سنة ستين وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما.

قوله: يخص سعد: هو سعد بن عبادة، والد قيس المذكور. والجفنة: القصعة الكبيرة، جمعها جفنان وجفنات. وثودها: جعل فيها الشريد. وجوذاً: أي أتقن صنعتها وجعلها جيدة.

أما سعد هذا فهو أبو قيس سعد بن عبادة بن دليم نقيب بني ساعدة وسيد الخزرج الجواد المشهور، وقد مر بعض التعريف به في النقباء؛ ومن جوده أنه كانت له جفنة عظيمة يبعث بها كل يوم إلى رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة وكانت قصعة كبيرة مملوءة ثريدا ولحما - كما في أسد الغابة - وكانت تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه، قال في الخميس: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جفنة من ثريد في كل يوم تدور معه أينما دار من نسائه. ولعل الناظم رحمه الله عقد نص كلامه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة قال: «اذكروا لها

حفنة سعد بن عبادة»، وخطب امرأة فقال لها: «لك كذا وكذا وحفنة سعد بن عبادة تدور معي إليك كلما درت». [قاله في كشف الغمة].

وكان سعد بن عبادة يقول: اللهم هب لي حمدا وهب لي مجدا فإنه لا مجد إلا بالفعال ولا فعال إلا بالمال اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه. وأم سعد بن عبادة هذا عمرة بنت مسعود، من المبايعات، توفيت في السنة الخامسة من الهجرة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في غزوة دومة الجندل؛ فلما قدم صلى على قبرها فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن أُمِّي افتلنت - يعني أنها ماتت فجأة - وأظنها لو تكلمت لتصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»، قال: أي الصدقة أفضل؟ قال: «الماء». فحضر سعد بئرا وقال هذه لأُمِّي. ومناقب سعد وابنه قيس وشمائلهما الكريمة لا تحصى.

ثم أخذ في ذكر بعض أعيان الفخذين الآخرين: بني عمرو وبني ثعلبة ابني الخزرج بن ساعدة، فقال رحمه الله:

سَهْلُ بْنُ سَعْدِ الْمُبِيرِ امْتَهَنَهُ بِالْوَسْمِ بِالنَّارِ وَعَنْهُ نَهْنَهَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ وَكَذَلِكَ فَعَلَا بِأَنْسٍ وَجَابِرٍ خَيْرِ الْمَلَا
أَبُو دُجَانَةَ الشُّجَاعُ الْمُنْتَخَبُ مِنْ قَيْلَةٍ أَحَدُ فُرْسَانَ الْعَرَبِ

قوله سهل بن سعد: مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني ساعدة بن كعب أيضا سهل بن سعد. والمراد بالمبير الحجاج بن يوسف الثقفي. وامتته: احتقره وابتدله، والضمير البارز عائد على سهل والمستتر عائذ على المبير. والوسم: أثر الكي بالنار. ونههه: كفه ونهاه، وفاعله عبد الملك، وهو عبد الملك بن مروان. وفعلا: ألفه للإطلاق وفاعله ضمير مستتر عائد على المبير. وخير الملا: صفة لجابر. والملا: الجماعة.

يعني أن من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة منهم: سهل بن سعد بن مالك الذي امتهنه الحجاج بن يوسف بالوسم بالنار في عنقه كما فعل بأنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، وجابر بن عبد الله (الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم)!.
أما سهل فهو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي. كان رضي الله عنه من مشاهير الصحابة، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة؛ يقال كان اسمه حزنا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا، وكان آخر من بقي من الصحابة بالمدينة وكان يقول: لو مت لم تسمعوا أحدا يقول: قال رسول الله ﷺ، واختلف في سنة وفاته فقيل ثمان وثمانين - وقيل إحدى وتسعين - وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل ابن مائة سنة. روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي أرسل إليه سنة أربع وسبعين فقال له: ما منعك من نصرة أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت، قال: كذبت، ثم أمر به فحتم في عنقه بالنار، وختم أيضا في عنق أنس بن مالك وختم في يد جابر بن عبد الله؛ يريد بذلك إذلالهم وأن يجتنبهم الناس فلا يسمعوا منهم. فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن يتجنبهم وهدده. وكان سعد بن مالك - والد سهل هذا - قد تجهز للخروج إلى بدر فمات فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره - [كما في الاستبصار والحلة السرياء].

ومن بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة أيضا أبو أسيد الساعدي وهو مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الخزرجي الساعدي، كان آخر من مات من البدريين، توفي بالمدينة سنة ستين - وقيل اثنتين وستين وقيل ثلاث وستين - وهو ابن خمس وتسعين - وقيل ثمان وتسعين - سنة، وكف بصره في آخر عمره وروي عن سهل بن سعد قال: قال لي أبو أسيد

الساعدي بعد ما كف بصره: يا ابن أخي لو كنت الآن بيدر وأطلق لي بصري لأريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة بلا شك ولا تمار، وشهد أبو أسيد هذا المشاهد كلها مع النبي ﷺ. وأما أنس بن مالك وجابر بن عبد الله فقد مر التعريف بهما.

التعريف بأبي دجانة

قوله: أبو دجانة (كثامة): مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني ساعدة بن كعب أيضا أبو دجانة الشجاع أي البطل، والمنتخب من قبيلة: أي المختار منهم، وقبيلة: اسم الأنصار في الجاهلية — كما مر.

يقول ومن بني ساعدة ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة منهم: أبو دجانة، أحد فضلاء الأنصار وأبطال العرب؛ واسم أبي دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي، اشتهر بكنيته؛ كان من كبار الأنصار وشجعانهم وفرسان العرب المشهورين له مقامات محمودة في مغازي رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وسائر المشاهد مع النبي ﷺ وكانت عليه يوم بدر عصابة حمراء كان معروفًا بها يعلم بها نفسه يوم الزحف، وكان إذا أخرجها تقول الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت؛ قيل كان مكتوبًا في أحد طرفيها ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾⁽¹⁾ وفي طرفها الآخر "الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار"، وكان في إحدى صفحتي سيفه:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

(1) الصف: الآية: 13.

روي أن أمية بن خلف الجمحي لما استأسر لعبد الرحمن بن عوف وأحس بالأمن جعل يسأله عن بعض أبطال المسلمين ثم قال له: من عالج⁽¹⁾ منكم معلم بعصاة حمراء في رأسه؟ قال: ذاك رجل من أنصار الله يقال له سماك بن خرشة، فقال أمية: بذاك يا عبد الرحمن صرنا لكم اليوم جَزْرًا⁽²⁾. وشهد أبو دجانة أحدا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت وترس بنفسه دونه صلى الله عليه وسلم فكان يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه وكان رسول الله ﷺ قد أخذ يومئذ سيفاً وقال: «من يأخذ هذا السيف»، فتبادروا كلهم يقول: أنا أنا، فقال: «من يأخذه بحقه»⁽³⁾ فأحجم الناس، فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: «أن تضرب به في وجوه العدو حتى ينحني»، فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فدفعه له. وروي عن الزبير - وكان ممن منعه النبي ﷺ ذلك السيف - قال: وجدت في نفسي وقلت أنا ابن عمته صفية ومن قريش وسألته إياه فمنعني وأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنظرن ما يصنع؛ فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي⁽⁴⁾ ونحن بالسفوح لدى النخيل

(1) العالج (بكسر فسكون): كل جاف شديد من الرجال، وبكسر اللام: الشديد من الرجال الكثير الصرع لأقرانه.

(2) جزرا: جمع جزور للناقة المجزورة أي المنحورة، وتجزروهم واحتزروهم في القتال: تركوهم جزراً للسياق، أي قتلوهم في الفلاة.

(3) أخرجه مسلم وأحمد وابن سعد في طبقاته.

(4) خليلي: يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة يقول: حدثني خليلي، وأنكر هذا بعضهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليل»، ولكن لأخوة الإسلام وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي حدثني خليلي لأنهم يريدون به معنى الحبيب وإنما فيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لأحد من أصحابه ولا خص بها أحداً دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له - [الروض الأنف].

أن لا أقوم الدهر في الكيول⁽¹⁾ أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحدا إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف⁽²⁾ عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته⁽³⁾ فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله، قال الزبير: فقلت الله ورسوله أعلم، ولم يزل أبو دجانة يفلق به هام المشركين حتى انحنى وتكسر في يده رضي الله عنه.

ثم خرج في جيش خالد بن الوليد لقتال مسيلمة ورمى بنفسه في الحديقة يومئذ فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل يومئذ، وروي أنه شارك عبد الله بن زيد ووحشيا في قتل مسيلمة الكذاب - كما مر - وقيل إن أبا دجانة عاش إلى أن شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أيضا المعنق ليموت وهو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب الخزرجي الساعدي، شهد العقبة وبدرا وأحدا. وكان يكتب العربية في الجاهلية، بعثه النبي ﷺ أميرا على بعث بئر معونة إلى أهل نجد فقتلهم عامر بن الطفيل - كما مر. ومنهم أيضا مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة، أمه مندوس بنت عمرو (أخت المعنق المذكور)، قتل أبوه مخلد يوم بعاث ومات النبي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة وقيل ابن عشرة؛ وكان من الأبطال شهد فتح مصر وأبلى فيه بلاء حسنا وسكنها ثم تحول إلى المدينة ثم

(1) الكيول (بوزن عيوق): مؤخر الصفوف.

(2) ذفف: أسرع قتله بعد أن أصيب إصابة اثبته..

(3) الدرقة محرقة: الترس وهي صفحة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

ولاه معاوية مصر وافريقية سنة خمسين، وهو أول من جمع له مصر والمغرب ولم يزل على ذلك حتى توفي معاوية؛ وكانت ولايته عليها بضع عشرة سنة، ومات بالاسكندرية في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

فَاخَرَتِ الْخَزْرَجُ أَوْسًا بِنْفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ حَفِظُوا كُلَّ السُّورِ
 زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ثُمَّ أَبِي وَأَبُو زَيْدِ الْبَطْلِ
 وَالْأَوْسُ خَزْرَجًا بِذِي الشَّهَادَةِ كَانَتْ شَهَادَتَيْنِ فِي الْإِفَادَةِ
 وَبِحَمِيِّ الدَّبْرِ وَالْقَتِيلِ هَزَلَهُ⁽¹⁾ الْعَرْشُ وَبِالْغَسِيلِ
 خَزِيمَةَ وَعَاصِمٍ وَسَعْدٍ حَنْظَلَةَ رَابِعُهُمْ فِي الْعَدِّ
 أُصِيبَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ أُحُدٍ، بَيْرِ مَعُونَةَ، الْيَمَامَةَ أَعْدُدُ،
 جِسْرَ أَبِي عَيْدٍ الشَّهِيدِ سَبْعِينَ سَبْعِينَ بِلَا مَزِيدِ

فاخره مفاخرة: غالبه في الفخر، والتفاخر: التباهي والتمدح بالخصال والمناقب والمكارم سواء كانت في المفتخر أو في أهله. والنفر: الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة. والسور: أي سور القرآن العظيم. وقوله والأوس (بالرفع): فاعل فعل محذوف أي وفاخرت الأوس خزرجا. وقوله بذى الشهادة.. إلخ: أي بصاحب الشهادة التي كانت تعدل شهادة رجلين. وقوله في الإفادة: أي المحزأ، والمراد أنها تعدلها. وحمي الدبر: أي الذي حماه، والدبر: ذكور النحل.

(1) في نسخة: هشل له العرش.

ذكر بعض تنافس الأوس والخزرج في الخير

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى ما في الاستيعاب في ترجمة حنظلة الغسيل وفي أسد الغابة في ترجمة أبي زيد، بسندهما إلى أنس بن مالك قال: افتخرت الأوس والخزرج فقالت الخزرج: منا أربعة حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يقرأه غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب (قال أبو عمر: أي لم يقرأه كله أحد منكم يا معشر الأوس لكنه قد قرأه جماعة من غير الأنصار منهم ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم..). فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الراهب، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمه بن ثابت، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن: سعد بن معاذ.

أما زيد فهو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان الخزرجي النجاري. وأما معاذ فهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الجشمي. وأما أبي فهو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الخزرجي النجاري. وأما ذو الشهادة فهو أبو عمارة خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأوسي الخطمي. وأما حمي الدبر فهو أبو سليمان عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي الضبيعي. وأما الذي اهتز له العرش فهو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأشهلي⁽¹⁾. وأما الغسيل فهو

(1) واهتزاز العرش لموت سعد يتمثل أن يكون حقيقياً، والله على كل شيء قدير، ولا يتكر هذا من جهة العقل لأن العرش جسم والأجسام تقبل الحركة والسكون ويكون اهتزازة فرحاً بقدم سعد وجعل الله في العرش تمييزاً كما قال تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾. ويتمثل أن يكون المراد بالاهتزاز الاستبشار والسرور بقدمه، ومنه قول العرب: "فلان يهتر للمكارم" لا

غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الفاسق بن صيفي بن النعمان الأوسي الضبعي.
وقد مر التعريف بهؤلاء النفر السبعة.

وأما أبو زيد فاختلف في اسمه، فقيل قيس وقيل أوس وقيل ثابت وقيل غير ذلك؛ والراجح أن اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، غلبت عليه كنيته، شهد بدرًا واستشهد يوم جسر أبي عبيد. وقد قيل لأنس بن مالك: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي، وقد قيل إن أبا زيد الذي فاخرت به الخزرج الأوس هو سعد بن زيد بن النعمان بن قيس ويعرف بسعد القاري.

وقد كان بين هذين الحيين - الأوس والخزرج - التنافس في الجاهلية ثم انتقل في الإسلام إلى التنافس على القرب من رسول الله ﷺ وفي الجهاد في سبيل الله والمآثر الكريمة والحضال الحميدة، فكانا يتسابقان في ذلك لا تصنع الخزرج شيئًا فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الأوس والله لا يذهبون بهذه فضلًا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. وإذا فعلت الأوس شيئًا قالت الخزرج مثل ذلك؛ فمن ذلك تنافسهم في قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق المتقدم ذكره.

قوله أصيبت الأنصار يوم أحد.. إلخ: عقد بهذين البيتين نص ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك الأنصاري النجاري قال: أصيب منا معشر

----->>

يريدون اضطراب جسمه وحركته وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها. وقيل هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقولون: "أظلمت لموت فلان الأرض وقامت له القيامة". [البدر العيني].

الأنصار سبعون بأحد وسبعون يوم بئر معونة وسبعون يوم اليمامة وسبعون يوم جسر أبي عبيد، ونحوه في الخميس أيضا. وقد قيل في عدد من استشهد منهم يوم أحد أكثر من سبعين كما قيل أيضا ان أهل بئر معونة كانوا أربعين، والصحيح الأول كما في الروض الأنف.

وأحد جبل شمال المدينة قريب منها سمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك وفي الحديث: «أحد جبل يحبنا ونحبه»⁽¹⁾ واستشهد فيه من أصحاب رسول الله ﷺ نحو مائة - على خلاف في بعضهم - وكانت وقعة أحد في السنة الثالثة من الهجرة.

وبئر معونة: موضع بين مكة وعسفان⁽²⁾، استأصل فيه عدو الله عامر بن الطفيل سرية المنذر بن عمرو الخزرجي الساعدي التي بعثها رسول الله ﷺ إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام ويفقهونهم في الدين، وكان عددهم أربعين رجلا؛ وقيل سبعين، وكانوا من الأنصار إلا عمرو بن أمية الضمري. وكانت هذه الوقعة في السنة الرابعة من الهجرة.

(1) أخرجه البخاري، وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم وهو اسم حسن لإشعاره من حيث المعنى بالأحدية التي هي من صفات الله تعالى وحركات حروفه بالرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه فتعلق الحب من النبي صلى الله عليه وسلم به اسما ومسمى، وقد جاء في الحديث من طريق أبي عبيس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة وغير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار» [كما في المسند]، فخص أحدا من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة إذا «بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا»، وفي أحد قبر هارون أخي موسى عليهما السلام كان قد مر هو وأخوه موسى بأحد حاجين أو معتمرين فقبض هارون ثم فواره موسى عليه السلام. [الروض الأنف].

(2) عسفان (بوزن عثمان): موضع على مرحلتين من مكة لمن قصد المدينة. قال ابن الأثير: هي قرية جامعة بين مكة والمدينة، وقيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة [تاج العروس]، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في إحدى آبارها.

ومعركة اليمامة كانت لخالد بن الوليد على بني حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب وكانت سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق؛ وقد مر الكلام عليها عند قول الناظم: منهم نسيبة لها العتيق أذن في الجهاد.. إلخ.

وأما جسر أبي عبيد فالمراد به يوم "قس الناطف" وهو للفرس على العرب؛ وقس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي كان قد نزل به بهمَن جاذويه قائد الفرس يومئذ، ويسمى أيضا بيوم المروحة وهو موضع بشاطئ الفرات الغربي نزل به أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي قائد المسلمين يومئذ وعسكر به وجعل الفرات بينه وبين العدو؛ فبعث إليه قائد الفرس: إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعبر إليكم، فقال أبو عبيد: لا يكونون أجراً على الموت منا بل نعبر إليهم، وأمر جنوده فعبروا من المروحة إلى قس الناطف حيث كان الفرس. وكان جند المسلمين دون عشرة آلاف ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس وراء الجسر فلم يكن لهم فيه مرجع من فرة إلى كرة ولم يمهلهم بهمَن حتى تم عبورهم فأمر جنوده فحملوا عليهم وفي مقدمتهم الفيلة عليها الجلاجل⁽¹⁾ ونظرت خيول المسلمين إلى هذه الفيلة وسمعت رنين جلاجلها فأنكرت ما رأت وما سمعت وفرت فلم يثبت منها إلا القليل على كره ورشق الفرس المسلمين بالنبل فقتلوا منهم خلقا كثيرا، قيل ألف وثمانمائة وقيل أربعة آلاف بين قتل وغريق، من بينهم قائد المسلمين أبو عبيد، وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله: أبي عبيد الشهيد..

وتتابع على اللواء بعده سبعة من ثقيف كلهم يأخذه ويقاتل حتى يموت ثم أخذه المثني وقد هرب الناس وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم

(1) الجلاجل: أجراس صغيرة مجوفة من حديد أو نحاس إذا تحركت يسمع لها صوت شديد فيه رنين.

إلى الفرات فغرق من لم يصير ووقف المثني واللواء بيده ينادي: أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على مهل ولا تدهشوا فإننا لن نزائل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تفرقوا أنفسكم فعبروا الجسر، فسمي ذلك اليوم بيوم الجسر ويوم جسر أبي عبيد؛ وكان ذلك سنة ثلاث عشرة للهجرة.

والجسر (بفتح الجيم وكسرهما): ما يعبر عليه النهر، جمعه جسور وأجسر. وأبو عبيد هو ابن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عبدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي والد المختار بن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

ولما أنهى الكلام على الأزدي أخذ يتكلم على حمير^(*) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

* انتشرت من عقب حمير هذا بطون وأفخاذ كثيرة، ذكر الناظم منها عشرة وذكر من أعيانهم أربعة وعشرين رجلا وامرأتين من بينهم: إمام الأئمة مالك بن أنس، وثلاثة عشر صحابيا مع الإشارة إلى الملوك التابعة الحميريين.

الكلام على حمير

وَأَنْسَبَ لِحَمِيرِ بَنِي الْجُمْهُورِ شَعْبَ إِمَامِ طَيْبَةَ الْمَشْهُورِ
وَكَعْبَ الْأَحْبَارِ بِمَوْتِ عُمَرَ أَخْبَرَ وَهُوَ تَابِعِيٌّ وَدَرَى
مَا مِنْهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ نَاهِلَهُ لَا سِيَّمَا أَقْرَانَهُ الْعَبَادِلَهُ

قوله بني الجمهور (بضم الجيم): مفعول به لانسب، وبنو الجمهور: بطن من حمير، واسم الجمهور زيد؛ ويقال زيد الجمهور، بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أبي بن الهيمس بن حمير بن سبأ.

وقوله شعب (بالنصب): بدل من بني الجمهور، والشعب: القبيلة ويطلق على الجيل من الناس، ويقال للطبقة العليا من طبقات أنساب العرب؛ وطبقاتهم هي: الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل. وسميت الطبقة الأولى شعبا لتشعب القبائل منها، والمراد بالشعب هنا القبيلة العظيمة وإنما أطلق عليها الشعب لكثرة البطون المتفرعة عنها. وإمام طيبة هو الإمام مالك بن أنس. وطيبة: من أسماء المدينة المنورة دار هجرة النبي ﷺ. والمشهور: صفة لإمام طيبة. وقوله وكعب (بالجر): عطف على إمام طيبة وهو مضاف إلى الأحبار (جمع حبر - بكسر الحاء المهملة وفتحها - وهو العالم) ويقال أيضا: كعب الحبر (بالإفراد)، وفي القاموس: كعب الحبر ولا يقال كعب الأحبار؛ قال مُحَشِّيه: إنما لا يقال كعب الأحبار إن نَوْنٌ وأما إذا أضيف فلا امتناع فيه. ولقب كعب الحبر لسعة علمه، والحبر (بالكسر أيضا): النقس، قيل سمي به لكثرة كتابته به، ولعله لقب بكعب الأحبار أيضا لأنه كان من سادات العلماء فأضيف

إليهم بقصد أنه سيدهم، ويلمح لذلك أن الكعب يقال في اللغة للشرف والمجد؛ وقد روي أن كعب الأحبار - لما أسلم - دعا من بناحيته من الأحبار إلى الإسلام وأخرج لهم سفراً كان أبوه قد تركه عنده وأمره أن لا يفتحه حتى يسمع بني يخرج يشرب. وقوله ودرى: أي علم. وما: موصول بمعنى الذي، أي علم علماً نهلت منه أصحاب النبي ﷺ. والنهل: الشرب الأول، والمراد أنهم رووا عنه؛ وكانت روايتهم

عنه من باب رواية الأكابر عن الأصاغر. والعبادة هم المشار إليهم بقول القائل:
 أبناء عباس وعمرو وعمر كذا زبير العبادل العـرر⁽¹⁾

يقول ومن حمير بن سبأ بنو الجمهور قبيلة الإمام مالك بن أنس وكعب الأحبار. وقد مر الكلام على حمير وذريته وبعض بطونهم وبلادهم.

الإمام مالك بن أنس

أما مالك فهو إمام دار هجرة النبي ﷺ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (نافع) بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن ذو أصبح (واسمه الحارث) بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري ثم الأصبحي نسباً التيمي بالحلف، فقد كان سلفه حلفاء بني تميم بن مرة بن كعب؛ أمه العالية بنت شريك بن عبد الرحمن الأزدي، وكان جده مالك من كبار التابعين؛ روى عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان

(1) في التبصرة والتذكرة على الفية العراقي: قيل لأحمد بن حنبل: من العبادة؟ فقال: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو، وقيل له: فأين ابن مسعود؟ قال: لا ليس من العبادة. قال البيهقي: وهذا لأنه تقدم موته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيء قيل هذا قول العبادة، وكون هؤلاء الأربعة هم العبادة هو المشهور بين أهل الحديث وغيرهم. [انتهى منها].

بن ثابت، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان ليلاً ودفنوه في البقيع. وكان جد أبيه أبو عامر من كبار الصحابة، شهد المغازي كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا، وقيل مخضرم من كبار التابعين. ولد مالك سنة تسعين وقيل سبع وتسعين وقيل غير ذلك؛ وكان مولده بالمدينة ونشأ بها وأقبل على طلب العلم وواظب عليه⁽¹⁾، ولزم ابن هرمز سبع سنين أو أكثر لم يخلطه بغيره، وروي أنه كان إذا خرج إليه يحمل في كفه تمرًا ويناوله صبيانه ويقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا له: مشغول، وذلك ليصرف عنه الناس حتى يتفرغ له؛ وقيل كان يأتيه بكرة فما يخرج عنه حتى الليل.

وكان مالك غاية في جودة الحفظ؛ روي عنه أنه قال: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته، وكان يأتي ابن شهاب وابن المسيب وعروة والقاسم وأبا أسامة وحميداً وسالماً وغيرهم.. فيدور عليهم ويسمع من كل واحد منهم الأربعين والخمسين إلى المائة حديثاً ثم ينصرف وقد حفظها كلها من غير أن يخلط حديثاً منها بحديث، وقد قيل إنه أخذ عن تسعمائة شيخ ممن ارتضاهم لدينه، ثلاثمائة منهم من التابعين والبقية من تابعي التابعين. وكان ثقة مأموناً ثبتاً ورعاً صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك، وكان عالماً حجة من أعلام الإسلام وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية، وقد روي عن ابن عيينة وعبد الرزاق وغيرهم من العلماء في حديث أبي هريرة: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم

(1) وروي أنه كان مع أخ له أسن منه فألقى عليهما أبوهما مسألة فأصاب فيها أخوه وأخطأ هو فقال له أبوه: أهلك الحمام عن طلب العلم، فانقطع للعلم، وروي أن أمه ألبسته ثياباً وقالت له: اخرج إلى ربيعة الرأي فتعلم من أدبه قبل علمه.

من عالم المدينة»⁽¹⁾ أنه مالك بن أنس.

صنف رضي الله عنه الموطأ، وقد قال فيه الشافعي: ما بعد كتاب الله كتاب هو أكثر صواباً من موطأ مالك، وقال: إذا وجدت لمالك حديثاً فشدَّ يدك به فإنه حجة، وقال: إذا ذكر العلماء فمالك النجم؛ وكان رحمه الله يعظم الحديث الشريف غاية التعظيم فكان إذا أتى الناس إلى بابه يبعث إليهم: أتريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل أذن لهم وأفتاهم، وإن قالوا: الحديث لم يأذن لهم حتى يغتسل ويتطيب ويلبس من جميل الثياب، وتوضع له المنصة فيخرج عليهم في خشوع، قال ابن المبارك: كنت عند الإمام مالك - وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة ولونه يتغير ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدبا معه. وكان موصوفاً بالديانة والاتباع والعقل والفضل وكمال الإدراك والفهم والاتقان والحفظ والتثبت، وكان اعتماده رضي الله عنه على الكتاب والسنة، وعمل أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ، وكان يتحرى في الفتوى غاية التحري. وكان - رحمه الله - أكرم الناس وأعظمهم مروءة وأحسنهم سمتاً، كثير الصمت قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه قليل الضحك متحفظاً في قوله.

ولم يزل رضي الله عنه بالمدينة حتى توفي في صفر - وقيل في شهر ربيع الأول - سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة ودفن بالبقيع مع نافع القارئ. ومناقبه رحمه الله لا تحصى. وله من الولد يحيى ومحمد وحماد وأم البنين وقد رووا عنه وكذلك حفيده أحمد بن محمد بن مالك.

(1) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد.

كعب الأحبار

وأما كعب الأحبار فهو أبو إسحاق كعب الأحبار بن ماتع⁽¹⁾ بن هلسوع بن ذي هجران بن ميثم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري الميثمي من آل ذي رعين؛ كان مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام. وكان في الجاهلية من كبار علماء اليهود، وكان يسكن اليمن؛ وقد روي عنه أنه قال: لما قدم علي بن أبي طالب اليمن لقيته فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ فجعل يخبرني عنها وجعلت أتبسم فقال لي: ممّ تبسم؟ قال: قلت: مما يوافق ما عندنا في صفته وقلت: ما يُحل وما يُحرّم؟ فأخبرني فقلت: هو عندنا كما وصفت. وصدّقتُ برسول الله ﷺ وآمنتُ به ودعوتُ مَنْ قَبِلْنَا مِنَ الْأَحْبَارِ وَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِمْ سَفْرًا قلت: هذا كان أبي يختمه علي ويقول: لا تفتحه حتى تسمع بني يجرج يثرب. قال كعب: فأقمت على إسلامي باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ وتوفي أبو بكر فقدمت في خلافة عمر.. وليت أني كنت تقدمت في الهجرة. فكان رضي الله عنه تابعيًا؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وهو تابعي. وقيل إنه لم يسلم إلا في خلافة عمر، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد النبي ﷺ وأبي بكر؟ قال: إن أبي كتب لي كتابًا من التوراة ودفعه إلي وقال لي: اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي ميثاقًا وقال لي بحق الوالد علي ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأسًا قالت لي نفسي لعل أباك غيب عنك علما وكنتمه عنك، ففضضته فوجدت فيه صفة النبي ﷺ وأتمته فحئت الآن مسلمًا.

ثم أخذ كعب الأحبار رضي الله عنه من الكتاب والسنة عن الصحابة وتبحر

(1) ماتع بناء مثناة فوق بوزن ضارب.

في العلم حتى اشتهر بكعب الأخبار، وكان رحمه الله قد أوتي علما كثيرا نهل منه كثير من الصحابة والتابعين ولا سيما معاصروه، وروى عنه الجهم الغفير؛ فممن روى عنه من الصحابة أبو هريرة ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وغيرهم.. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: ودرى ما منه أصحاب النبي.. إلخ.

وممن روى عنه من التابعين ابن المسيب وكثيرون. وقد أجمع على علمه وتوثيقه؛ فقد قال ابن أبي الدرداء: إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا، وقال معاوية: ألا إن ابن أبي الدرداء أحد الحكماء ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء، إن كان عنده لِعِلْمٌ كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين.

وكان كعب - أولا - قصاصا فبلغه حديث: «لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور»⁽¹⁾ - الحديث - فأمسك عن القص حتى أمره به معاوية؛ ولعل ذلك حين كان معاوية أميرا على الشام، لأن كعبا مات قبل خلافة معاوية. وسكن كعب الأخبار الشام ومات بجمص سنة اثنتين وثلاثين - وقيل أربع وثلاثين - للهجرة، وقد بلغ مائة وأربع سنين.

وماصل ما أشار إليه الناظم من إخبار كعب بموت عمر ما رواه المسور بن مخزومة وغيره، قال: خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة - وكان نصرانيا - فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد جعل علي خراجا كثيرا، قال عمر: وكم خراجك؟ قال: درهمان كل يوم، قال: وأي شيء تعمل؟ قال: نجار حداد

(1) أخرجه أحمد.

نقاش⁽¹⁾ قال عمر: فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال، ثم قال: قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أصنع رحي تطحن بالريح لفعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحي، قال: لئن سلمت لأعمَلَنَّ لك رحي تتحدث بها أهل المشرق والمغرب؛ ثم انصرف إلى منزله. فلما كان الغد دخل كعب الأحبار على عمر فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث ليال، قال: وما يدريك؟! قال: أجدته في كتاب التوراة، قال عمر: الله إنك لتجد عمر في التوراة، قال: اللهم لا ولكن أجد حليتك وصفتك⁽²⁾ وإنك قد دنا أجلك — وعمر إذ ذاك لا يجد وجعا — فقال عمر: رضينا بقضاء الله وقدره. فلما كان الغد جاء كعب ثانية فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاء ثالثة فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها.

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة فكان يوكل بالصفوف فإذا استوت كبر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ويده خنجر له رأسان — قد ستره بكمه — فضرب به عمر ست ضربات إحداهن تحت ستره وهي التي قتلته رضي الله عنه. فلما أصيب عمر تذكر قول كعب فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾⁽³⁾ ثم أذن عمر للناس المهاجرين والأنصار فجعلوا يدخلون عليه يسلمون؛ وكان فيمن دخل عليه كعب الأحبار، فنظر إليه عمر وأنشأ يقول:

(1) النجار: من يحترف نجر الخشب وصنعه. والنقاش: صانع النقش وهو الصور والأثر وتزيين الشيء بالألوان التي تنقش عليه. والحداد: معالج الحديد يحميه ويطره لتشكيله بحسب الشكل المطلوب.

(2) حلية الإنسان (بالكسر): خلقته وصورته. وصفة الشيء: نعته بما فيه والأمانة التي يعرف بها الموصوف.

(3) الأحزاب: 38.

وواعدني كعب ثلاثا أعدها ولا شك أن القول ما قاله كعبُ
وما بي حذار الموت - إني لميت - ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ومما روي عن كعب الأخبار من الإخبار بالأمر المغيبة: قتل الحجاج بن يوسف
الثقفي لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه؛ فقد روي أن ابن الزبير لما أتى برأس
المختار بن أبي عبيد الثقفي قال: ما وقع في سلطاني شيء إلا أخبرني به كعب إلا
أنه ذكر لي أنه يقتلني رجل من ثقيف وهذه رأسه بين يدي. وما درى ابن الزبير أن
الحجاج بن يوسف الثقفي خبيء له. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

حَوْشَبُ ذُو الْكَلَاعِ صَاحِبُ الْحَلِيمِ وَأَبْنُ الْمَفْرَغِ طَلِيقُهُ الْمَلِيمُ

حوشب (بوزن كوكب وبالحاء المهملة): مبتدأ خبره محذوف، أي ومن بني
الجمهور أيضا حوشب. وقوله ذو الكلاع (بوزن غراب وسحاب): عطف على
حوشب بحذف العاطف. والكلاع (من التكلع): وهو التحالف والتجمع، وبه سمي
ذو الكلاع الأكبر وذو الكلاع الأصغر لتكلع حمير على أيديهما أي تجمعهما؛
وحوشب وذو الكلاع كلاهما من أذواء اليمن. وصاحب (بالرفع): صفة لذو
الكلاع. والحليم: لقب أطلقه الناظم على معاوية، واستعمله في هذا النظم في عدة
مواضع منه؛ ولقب به لحلمه ولدعاء رسول الله ﷺ له بالحلم - كما مر - ووصف
ذا الكلاع بصحبة معاوية لأنه كان قائما بأمره بصفين، وقتل معه بها. وفي بعض
النسخ صاحبها (بالثنية) فتكون صفة لحوشب وذو الكلاع معا، وذلك لأن حوشبا
هو الآخر كان قد صحب معاوية وقتل معه بصفين. وقوله وابن المفرغ (بالرفع):
عطف على حوشب أيضا، والمفرغ (بوزن محدث بصيغة اسم الفاعل): لقب لوالد
ربيعة الحميري، لقب به لأنه راهن على شرب عُس أو سقاء من لبن فشربه كله
حتى فرَّغَه فلقب مفرغا؛ واسم ابن المفرغ يزيد بن ربيعة. وطليقه: فعيل بمعنى

مفعول (كجريح وقتيل. بمعنى مجروح ومقتول) وهي صفة لابن المفرغ، والضمير المضاف إليه عائد على الحلیم الذي هو معاوية، لأنه هو الذي أطلقه من سجن عباد بن زياد ابن أبيه - كما يأتي - والمليم اسم فاعل من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه أو يستحق به الملامة.

يقول ومن بني الجمهور أيضا حوشب بن طخية وذو الكلاع بن ناكور ويزيد بن ربيعة بن المفرغ الحميريون.

أما حوسب فهو ذو ظليم (بوزن رعين) حوشب بن طخية - أو طخمة (بالميم) بن عمرو بن شرحبيل بن عبيد بن عمرو بن حوشب بن الأطلوم بن ألهان بن شداد بن زرعة بن قيس بن صنعاء بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور الحميري الالهاني أحد أذواء حمير. أسلم على عهد النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، وشهد رضي الله عنه اليرموك ثم نزل الشام وشهد صفين مع معاوية واستشهد بها؛ قتله سليمان بن سرد الخزاعي، وروي أنه نادى عليا يوم صفين وقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب فإننا ننشدك الله في دمائنا ودمك ونخلي بينك وبين عراقك وتخلي بيننا وبين شامنا ونحقت دماء المسلمين، فقال علي رضي الله عنه: هيهات يا ابن أم ظليم والله لو علمت أن المداينة تسعني في دين الله لفعلت ولكان أهون علي في المؤنة ولكن الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت إذا كان يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله.

ومن ولد حوشب هذا قاضي قرطبة يحيى بن معمر بن عمران الداخل بن منير بن حوشب، ومن عقبه بإشبيلية عبد الله بن محمد بن زكرياء بن القاضي يحيى بن معمر.

وأما ذو الكلاع فهو أبو شرحبيل ذو الكلاع الأصغر (سُميفع) بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر بن يزيد بن النعمان بن أحاطة بن سعد بن

عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري، أحد أذواء اليمن. كان رئيسا مطاعا في قومه متبوعا فيهم، وروي أنه كان قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية فأطيع، فبعث إليه رسول الله ﷺ جريرا بن عبد الله البجلي يدعوه إلى الإسلام فأسلم وأسلمت امرأته بنت أبرهة بن الصباح، ثم كتب إليه رسول الله ﷺ مع جرير بن عبد الله البجلي في التعاون على الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأسدي، ثم هاجر بقومه إلى المدينة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم ير النبي ﷺ بعد إسلامه، فبعثه أبو بكر إلى أهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد فرحل ذو الكلاع بمن أطاعه من حمير.

وروي أنه قدم المدينة ومعه أربعة آلاف عبد فسأله عمر في بيعهم فأصبح وقد اعتقهم، فسأله عمر عن ذلك فقال: أنا أذنبت ذنبا عظيما فعسى أن يكون ذلك كفارة وذلك أنني تواريت مرة ثم أشرفت فسجد لي مائة ألف إنسان، فقال عمر: التوبة بإخلاص والإنابة بإقلاع يرجى بهما مع رافة الله عز وجل الغفران. ثم انتقل هو وقومه إلى الشام وسكنوا بجمص، ثم كان مع معاوية في حرب صفين وكان هو القائم بأمره فيها، وكان باليمنة على أهل حمص بصفين. وقتل قبل انقضاء الحرب ففرح معاوية بموته لأنه بلغه أنه ثبت عنده أن عليا رضي الله عنه بريء من دم عثمان وأن معاوية لبس عليهم ذلك فأراد التشتيت على معاوية فعاجلته المنية بصفين سنة سبع وثلاثين؛ وقيل إنه لما بلغه أن النبي ﷺ قد قال لعمار بن ياسر: «تقتله الفئة الباغية»⁽¹⁾ قال لمعاوية وعمرو: ما هذا؟ وكيف نقاتل عليا وعمارا؟ فقالا له: إنه يعود إلينا ويقتل معنا؛ فلما قتل ذو الكلاع وقتل عمار قال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس إلى علي. وحكي أن بعضهم رأى في المنام عمارا بن

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

ياسر وذا الكلاع في ثياب بيض في أفنية الجنة، فقال: ألم يقتل بعضكم بعضاً؟ قالوا: بلى ولكن وجدنا الله عز وجل واسع المغفرة.

ابن المفرغ وذكر هجوه آل زياد

وأما ابن المفرغ فهو أبو عثمان يزيد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث، ينتهي نسبه إلى زيد بن يحصب الحميري. وقد قيل انه حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأمويين وقيل انه كان عبدا للضحاك بن عوف الهلالي، وأنعم عليه. وكان شاعرا من شعراء الدولة الأموية؛ ومن محاسن شعره قوله من قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الأموي، وكان مروان قد أحسن إليه:

وأقمتُ سوقَ النشاء ولم تكن سوقَ النشاء تقام في الأسواق
فكأنما جعل الإله إليكم قبض النفوس وقسمة الأرزاق

وكان يزيد بن مفرغ هذا قد صحب عبادا بن زياد ابن أبيه ثم ساء ما بينهما؛ فبينما يزيد يوما مع عباد دخلت الريح في لحية عباد - وكانت عظيمة - فنفشتها فضحك ابن مفرغ والتفت إلى رجل من خم كان إلى جانبه وقال:

ألا ليت اللحمي كانت حشيشا فترعاها خيولُ المسلمينا⁽¹⁾

فسعى بها اللحمي إلى عباد فأضمرها له عباد - وكان قد بلغه أنه يسبه وينال من عرضه ويذكر أباه وأخاه عبيد الله بمثل ذلك - ثم أجرى عباد الخيل يوما فجاء

(1) ومما قيل في لحية عباد:

ولحیة يحملها مائق مثل الشرعین إذا أشرعا
لو غاص في الیم بها مرة صاد بها حيتانه أجمعا

والمائق: الأحمق (جمعه موقى) يقال هو أحمق مائق، أي شديد الحماسة. والشرعین: تننية شرع: شبه الملاة الواسعة يشرع وينصب على السفينة فتهب فيه الريح فتمضي بالسفينة. وأشرع: أي رفع جدا.

سابقا فقال ابن مفرغ:

سبق عباد وصلت لحيته وكان خـرازا تجود قريبته⁽¹⁾

فلما بلغ عبادا قوله ذلك دعا به - والمجلس حافل - فقال له: أنشدني هجو أبيك الذي هجى به فقال: أيها الأمير ما كلف أحد قط مثل ما كلفتني به، فأمر عباد غلاما عجميا أن يضرب رأس ابن مفرغ بالسوط إن لم ينشد، فأنشد أبياتا هجى بها أبوه أولها:

قبح الإله ولا يقبـح غيره وجه الحمار ربعة بن مفرغ

وجعل عباد يتضحك، فخرج ابن مفرغ وهو يقول: "والله لا يذهب شيخي باطلا"⁽²⁾، فطلب عباد عليه العلل ودس إلى قوم⁽³⁾ كان لهم عليه ديون أن يقتضوا ما لهم عليه ففعلوا؛ فحبسه وضربه واضطره إلى بيع جارية له وغلام كان عنده شديد الكلف به وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثائه وقسم أثمان ذلك بين غرمائه. فجعل ابن مفرغ يهجو آل زياد ولا يزيد ما يفعل به إلا شرا وصار إذا سأله الناس عن حبسه يقول: أنا رجل أدبه أميره ليقيم من أوده⁽⁴⁾. فبلغ ذلك عبادا فرق له وأطلقه فهرب إلى البصرة ثم الشام وجعل يتنقل في البلاد ويهجو بني زياد ويتأسف لما فاتته من صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، وكان قد صحبه قبل عباد فأثر عليه عبادا؛ فقال:

(1) صلت: تفرقت وانتشرت. والخراز: الذي يتعاطى الخرز وهو ثقب الجلد بالمخرز وحياطته.

(2) هو من شعر امرئ القيس بن حجر الكندي، قاله حين بلغه أن بني أسد قتل أباه؛ والمعنى والله لا يهدر دم أبي.

(3) العلل: الشؤون المختلفة والأحداث التي تشغل صاحبها عن وجهه. ودس: من الدسيسة وهي ما اكمن من المكروه والعداوة.

(4) أدبه: عاقبه على إساءة. والأود: الاعوجاج، يقال: قوم أوده إذا أزال اعوجاجه وعدله.

إن تركي ندى سعيد بن عثمان
 واتباعي أخوا الضراعة⁽²⁾ واللؤ
 قلت والليل مطبق بعراه
 ليتني مت قبل ترك سعيد

وقال أيضا من قصيدة:

لهفي على الأمر الذي
 تركي سعيدا ذا الندى
 ليثا إذا شهد الوغى
 فتحت سمرقند له
 وتبع عبد بني علا
 جاءت به حبشية
 من نسوة سود الوجوه
 كانت عواقبه ندامه
 والبيت ترفعه الدعامة
 ترك الهوى ومضى أمامه
 وبني بعرضتها خيامه
 ج⁽³⁾ تلك أشراف القيامة
 سكاء تحسبها نعامه⁽⁴⁾
 ترى عليهم الدمامه

إلى أن يقول:

فاهول يركبه الفتى
 والعبد يقرع بالعصا
 حذر المخازي والسامة
 والحر تكفيه الملامه

وملاً ابن مفرغ البلاد بهجو آل زياد ونفيهم عن أبي سفيان بن حرب، وخاصة
 عبادا وعبيد الله ابني زياد، وتغنى به أهل البصرة وكتبه على الحيطان، ومما قال فيهم:
 أعباد ما للؤم عنك محول وما لك أم في قريش ولا أب

(1) الندى: الجود والفضل. وناصرى: معيني على رد العدو ودفع الضر. والعديد: القرن والنظير.
 (2) الضراعة: الضعف والخضوع والتذلل والاستكانة.
 (3) بنو علاج: بطن من ثقب منهم الحارث بن كلدة. وعلاج: جد الحارث، فهو بن كلدة بن عمرو
 بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى الثقفي.
 (4) سكاء: صغيرة الأذن أو التي لا أذن لها، والعرب تقول: كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد.
 والشرقاء: التي لها أذن طويلة.

وقال لعبيد الله مالك والسد بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسبُ
وقال في عبيد الله:

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر هل نلت مكرمة إلا بتأخير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير⁽¹⁾

وقال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان؟
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان⁽²⁾
وأشهد أنها حملت زيادا وصخر من سمية غير دان

وقيل الأبيات لعبد الرحمن بن الحكم الأموي - كما مر - ومما قيل فيهم:

زياد لست أدري من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

ثم إن بني زياد ما زالوا بابن مفرغ حتى ظفروا به فأودعوه السجن، وكان معاوية قد أذن لهم في جميع ما يفعلون به من تنكيل وتعذيب وحذرهم من قتله، فبالغوا في فعل كل سوء ومكروه به وألزموه محو ما كتب من هجوم على الحيطان بأظفاره حتى تقرحت واشتد ألمها ففسدت أنامله وأطالوا سجنه وعبثوا به وعذبوه، فلما طال عليه ذلك استأجر رسولا إلى دمشق وقال له: إذا كان يوم الجمعة قف

(1) روي أن عبيد الله بن زياد قال: ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ: "فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر.. إلخ البيتين.

(2) فأشهد أن رحمك.. إلخ: أخذه من قول أبي الوليد، أو حسان بن ثابت الأنصاري:

لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب من رال النعام

والإل (بكسر الهمزة وتشديد اللام) هو الرحم، والسقب: ولد الناقة، والرأل (بفتح الراء بعدها همزة) هو ولد النعام - [ابن خلكان].

على درج جامع دمشق وأنشد بأعلى صوتك هذه الأبيات:

أبلغ لديك بني قحطان قاطبة عضت بأير أبيها سادة اليمين
أضحى دعويُّ زياد فقحُ قرقرة⁽¹⁾ - يا للعجائب - يلهو بابن ذي يزن
والحميري طريح فوق مزبلة هذا لعمر كـم غبن من الغبن
قوموا فقولوا: أمير المؤمنين لنا حـق عليك ومَن ليس كالمن
فاكفف دعوي زياد عن أكارمنا ما ذا تريد على الاحقاد والإحن؟

ففعل الرسول ما أمره به فغضب اليمانيون واجتمعت منهم جماعة فدخلوا على معاوية فكلموه في أمره فلم يشفعهم فقاموا عنه فعرف الشر في وجوههم، فردهم واسترضاهم وأرسل إلى ابن مفرغ رجلا من بني راسب يسمى حمحاما فأخرجه من السجن وقرب إليه بغلة من بغال البريد، فلما استوى عليها قال:

عَدَس⁽²⁾ ما لعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحملين طليق
قضى لك حمحام قضاءك فالحقي بأهلك لا سدت عليك طريق
لعمرى لقد نجاك من هوة الردى إمام وحبيل للأنام وثيق

ولعل الناظم أشار بقوله طليقه... إلخ، إلى قول ابن المفرغ هذا: أمنت وهذا تحملين طليق. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

(1) الدعوي: الذي يدعي غير أبيه أو غير قومه. والفقح: أردأ الكمأة. والقرقرة: الأرض المنخفضة اللينة يقال للدليل: "هو أذل من فقح بقرقرة" لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.
(2) عدس (يفتح العين والبدال وسكون السين): اسم صوت يُزجرُ به البغل، أو هو اسم للبغل [المنجد].

القول في ملوك اليمن وألقابهم

وَأَنْسَبُ لِحَمِيرِ التَّبَاعِ الْمُلُوكِ

قوله التابع (بالنصب): مفعول به لانسب، وأصله التبابعة فرخمه ضرورة من غير نداء، ومثل ذلك جائز ومستعمل⁽¹⁾. والملوك: صفة للتابع. والتبابعة: ملوك اليمن الحميريون، وهو جمع تبع (كسُكَّر): لقب أطلق على كل من ملك اليمن والشحر وحضرموت، فكان أهل اليمن يلقبون ملوكهم بالتبابعة كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة؛ وقد قيل لقب تبع تبعا لأنه يتبع صاحبه الذي قبله، ولقب أولهم تبعا لأنه اتبع قرن الشمس، وسافر في الشرق بجنوده؛ ومعنى تبع - في لغة اليمن - الملك المتبوع.

والتبابعة من ولد صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور، منهم تبع (وهو أسعد) بن تبع (وهو أبو كرب) بن تبع (وهو زيد) بن تبع (وهو عمرو ذو الإذعار) بن تبع (وهو ابرهة ذو المنار)، ومنهم تبع (وهو حسان ذو معاهر)، ومنهم تبع (وهو ذو نواس) الذي تهود وهود أهل اليمن وقتل نصارى نجران وتسمى بيوسف، ومنهم تبع (وهو شمر يرعش بن ناشر النعم)، وتبع (وهو افريقش بن قيس بن صيفي) الذي ساق البربر إلى افريقية من أرض كنعان وبه سميت افريقية.. وغير هؤلاء من التبابعة كثيرون.

(1) مثل قول الشاعر: ألا أضحت جبالكم رماما وأضحت منك شاسعة أماما

(أي امامة)، وقوله: إن ابن حارث إن اشتق لرؤيته أو أمتدحه فإن الناس قد علموا

(أي ابن حارثة)، وقول امرئ القيس الكندي (يعني طريفا بن مالك):

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

(أي ابن مالك).

وقد كانت لحمير باليمن دولة عظيمة مكثت قرونا عديدة، وتعاقبت عليها ملوك كثيرة من ضمنها التابعة والأذواء والأقيال، وإن كانت قد تخللتها ملوك من غيرهم في قليل من الزمن. ورغم أنه من الصعب تحرير التاريخ الصحيح لهذه الدولة ومراحلها فقد قيل إنها مكثت ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة وإنها كانت قبل الميلاد بأكثر من مائة سنة.

أما الملوك فهم أصحاب الأمر والسلطة على الأمة والقطر. وأما التابعة فهم ملوك اليمن خاصة؛ وقيل لا يسمى بها إلا من ملك حمير وحضرموت، وأما الأذواء فهم ملوك اليمن الذين تبدأ ألقابهم بلفظة "ذو" مثل ذو المنار، وذو الأذعار، وذو معاهر، وذو رعين الأكبر، وذو رعين الأصغر، وذو شناتر، وذو القرنين، وذو غيمان، وذو أصبح، وذو سحر، وذو يزن، وذو ترخم، وذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وذو ظليم حوشب (وهذان الأخيران أدركا الإسلام وأسلما كما مر قريبا). وبعض الأذواء ملوك وبعضهم أقيال؛ والأقيال جمع قيل⁽¹⁾ والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم، وقيل هم نواب الملوك الذين يخلفونهم في مجالسهم ويستشيرهم الملك فيما نزل به، ولهم دور كبير في تعيين الملك وعزله، ولكل واحد منهم أتباع كثيرون؛ وقد قيل إنه سمي قبلا لأنه يقول ما شاء فينفذ. ومن أشهر الأقيال "الثامنة" وهم ثمانية رجال من حمير كانوا ملوكا على قومهم تحت أيدي ملوك حمير وكان أمرهم نافذا سواء في تملك ملك أو عزله وهم: يزن وسحر وثعلبان الأكبر ومرة ذو عنكلان ومقارن بن مالك وذو حزفر بن أسلم وعلقمة ذو جدن وذو صرواح.

(1) القيل: بفتح فسكون (مخفف) وقيل بفتح القاف وتشديد الباء، مثل سيد وميت وهين ولين، وأصله فيعمل من القول فأصله قبول ثم قلبت الواو بياء وادغمت الباء في الباء ثم خفف بإحدى الباءين.

فمن ملوك حمير الملك الأول: قحطان بن عابر اليمني، والد بطون حمير وكهلان وهو الجد الأعلى لقحطان كلها - كما مر - يقال إنه أول من لبس التاج من ملوك اليمن وجزيرة العرب. كان من سكان حضرموت فانتقل إلى أرض صنعاء فابتنى فيها وتبعه الناس في ذلك فعمرت في أيامه، وتفرقت سلالته في المشرق والمغرب.

ومنهم يعرب بن قحطان، ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه قحطان وحارب العمالقة أصحاب الحجاز فغلبهم، وحارب أمراء العراق وبابل فظفر بغنائم كثيرة، وعاد إلى اليمن فصفا له ملكه. وكان من شجعان العرب وخطبائها وحكمائها؛ يقال إنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات أمم أخرى، ويقال إنه هو أول من قال الشعر، ومات بصنعاء، وقد مر بعض خبره وخبر أبيه قحطان.

ومنهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قيل اسمه عبد شمس وقيل عامر، ملك صنعاء وما جاورها وكان من كبار ملوك اليمن موصوفا بالشجاعة وعلو الهمة وقد طمح إلى إخضاع القبائل النائية فحاربها وأولع بالعمران فابتنى مدينة سبأ وسد مأرب، ويقال إنه هو أول من خطب في الجاهلية ولم تكن الخطبة - على ما من الناس - معروفة قبله، ويقال إنه هو أول من فتح البلاد وأخذ الإتاوات، وأعقب نسلا كثيرا تفرعت منه شعوب وبتون كثيرة منها حمير وكهلان.. وقد مر بعض الكلام عليه.

ومنهم حمير بن سبأ بن يشجب، وهو الذي يقول في أبيه سبأ:

عجبت ليومك ما ذا فعل وسلطان عـزك كيف انتقل
فأسلمت ملكك لي طائعا وسلمت للأمر لما نزل

وكان حمير قد ولي ملك اليمن بعد أبيه سبأ وكانت عاصمة ملكه صنعاء، وهو أول

ملوك حمير وإليه نسبة الحميريين ملوك اليمن وتباعته وأذوائه وأقباله، وإليه نسبة الخط الحميري وهو أول من تتوج بالذهب من ملوك اليمن. وكان شجاعاً مظفراً وغزاً وافتتح حتى بلغ في بعض غزواته الصين، وهو الذي أخرج قبائل ثمود من اليمن إلى الحجاز؛ ولقب حمير لكثرة لبسه الثياب الحمر. ولما حان موته قال لبنيه: إني لأجد ثقل الثرى وغم الضريح فاجعلوا لي نفقا في هذا الجبل (جبل عيفر) وأجلسوني فيه، ففعلوا به ذلك وجعلوا معه في تلك المغارة أذراعه، أنفة من أن يلبسها بعده غيره!.

ومنهم وائل بن حمير، صار إليه الملك بعد أبيه بصنعاء ونزل قصر غمدان ونقش فيه شعرا بالخط الحميري وكانت أيامه قلقة، فقد نافسه أخوه مالك بن حمير (أبو قضاة) فكانت بينهما حروب، وتغلب على أطراف بلاده في اليمن عدة ملوك. ومن ملوك حمير - أيضا - النعمان بن يعفر المعروف بالمعافر، لقب به لقوله:

إذا أنت عافرت الأمور بهمة بلغت مقام الأكرمين المقاتل⁽¹⁾
فإما حمام الموت تلقاه عاجلا وإما تراث الأرض عن ملك وائل

[من أبيات]

وعمر النعمان هذا دهرا طويلا، ولما حضرته الوفاة قال لقومه: لا تدفنوني مضطجعا فيضطجع ملككم، ففتحوا له اسطوانة وأدرجوه فيها قائما.

ومنهم شداد بن عاد الحميري اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير، وقحطان فولوه الملك في صنعاء، فكان حازما مغوارا، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينية، وعاد إلى الشام فزحف إلى المغرب يبني المدن ويتخذ المصانع، ثم رجع إلى اليمن

(1) عافر الشيء: عالجه ليصل منه إلى ما يريد. والمقاتل: جمع مقول: للقليل (بلغه أهل اليمن).

وبنى بمأرب قصرا بجانب السد لم يكن في الدنيا مثله، ودفن في مغارة جبل ومعه جميع أمواله.

ومنهم السمع بن المعافر الذي اضطرب في عهده ملك حمير حتى صار ملكهم طوائف ولم يزل كذلك حتى كان عهد تبع الأكبر الحارث الرائش، ويقال بل ملك في هذه الفترة شداد بن عاد السكسكي؛ من بني السكسك بن وائل بن حمير الحميري الذي اجتمع له الملك وغزا البلاد إلى أن بلغ أقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع وترك الآثار العظيمة، وكان قد أعطي قوة وبسطة في الجسم، يلوي الحديد بيده ويصيح بالأسد فيختر ميتا. وزعم أهل السير أنه بنى مدينة سماها: إرم ذات العماد ضاهى بها الجنة، وبنها بلبن الذهب والفضة وأجرى إليها الأنهار، إلى غير ذلك.. وقد أعطي فسحة في العمر وتمكنا في الأرض أكثر ممن تقدمه من ملوك قومه، فحصلت له الشهرة بذلك فنسب الناس إليه كل غريب.

ومنهم الحارث الرائش بن ذي سُدَد - وقيل ابن قيس - بن صيفي بن سبأ الأصغر وإنما قيل له الرائش لأنه راش الناس بما أوسعهم من الغنائم والعطاء وهو أول التبابعة.

ومنهم الصعب بن الحارث الرائش (وهو ذو القرنين) السيار المذكور في القرآن وهو أبو الملوك التبابعة والأذواء والأقيال؛ وهو الذي يشير إليه الأعشى بقوله:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا بالحنو في جدث اشم مقيما

ومنهم أبرهة تبع بن الرائش وهو ذو المنار، لقب به لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع⁽¹⁾. ومنهم ذو رعين (بوزن زبير) واسمه

(1) القاموس المحيط.

يريم بن زيد الجمهور الحميري وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير، ورعين
حصن له أو جبل فيه حصن أضيف إليه، وهو الذي يعنيه معدي كرب بقوله:

أتوعدني كأنك ذو رعين بأنعم عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم وملك ثابت في الناس راس
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبوت قاس
أزال الدهر ملكهم فأضحى ينقل من أناس في أناس

ومنهم ذو أصبح الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن
عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري، ومن ولده الإمام مالك بن أنس إمام دار
الهدنة. ومنهم ايبن بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير، وإليه تنسب
عدن أيبن. ومنهم افريقش بن ابرهة، وقيل ابن قيس بن صيفي أخو الرائش، يقال
إنه هو الذي ساق البربر من أرض كنعان إلى افريقية بعد ما أوقع بهم يوشع بن
نون، صاحب موسى عليهما السلام، وإن افريقش هذا لما سمع كلامهم ورطانتهم
قال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر لذلك، وبافريقش هذا سميت افريقية.

الملكة بلقيس والقول في أمها الجنية

ومنهم عمرو بن ابرهة وهو ذو الاذعار، لقب بذلك لأنه سبي قوما وحشة
الاشكال: وجوههم في صدورهم، فذعر الناس منهم؛ وقيل غير ذلك. ويقال إن ذا
الاذعار هذا هو الذي قتل شرحبيل بن عمرو (من ولد يعفر بن السكسك الذي
ملكته حمير زمنه) وقتل أيضا ابنه الهدهاد بن شرحبيل. والهدهاد هذا هو والد بلقيس
بنت الهدهاد بن شرحبيل صاحبة سليمان بن داود عليهما السلام؛ وكانت قد
ملكته بعد أبيها الهدهاد بعهد منه، فصالحت ذا الإذعار على أن يتزوج بها ثم قتلته
غيلة واحتوت على ملكه، ثم غلب عليها سليمان فضم ملك اليمن إلى ملكه إلى أن
توفي. وقيل إن بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن الريان من ذرية يعرب بن قحطان؛

وكان أبوها شرحبيل عظيم الشأن ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول للملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي وأبى أن يتزوج فيهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن. واختلف في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم وتزوج فيهم؛ قيل كان كثير الصيد فرما اصطاد الجن وهم على صورة الضباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكر له ذلك واتخذة صديقا فخطب ابنته فزوجه إياها؛ وقيل إنه خرج متصيذا يوما فرأى حيتين تقتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وصب ماء على البيضاء حتى أفاقت وتركها، فلما رجع إلى داره وجلس وحده إذا معه شاب جميل فخاف منه فقال له: لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحببتي والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تتمرّد علينا وقتل عدة منا؛ وعرض عليه المال فقال: لا حاجة لي فيه ولكن إن كانت لك بنت فزوجنيها، فزوجه ابنته فولدت له بلقيس.

وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا⁽¹⁾، وفي رواية أنه خرج إلى القنص يوما فرأى شابا جميلا واقفا في طريقه فقال للملك: هل تعرفني؟ قال: لا، قال: أنا الحية البيضاء الذي أنجيتني وأريد أن أكافئك بما فعلت، فعرض عليه أن يعلمه الطب فأبى فقال: أدلك على الدفاتن والكنوز؟ فلم يقبل، فقال: إن أبيت هذين فلي بنت جميلة لم يكن في بني آدم مثلها في الجمال فإن شئت أزوجهكها، لكن بشرط أن لا تسألها عما تفعل هي، فإنك إن سألتها عما فعلت ثلاث مرات غابت

(1) ذكره القرطبي في تفسيره (182/13)، وابن كثير (148/3)، وأورده ابن عساکر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (282/5)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (169/19) كما في البداية والنهاية لابن كثير؛ وقد أورده ابن كثير فيها وقال: هذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

عنك ولم ترها بعد ذلك! فقبل الملك فتزوجها ورجع بها إلى منزله فحملت منه بنت؛ ولما ولدتها ظهرت نار فقدفتها فيها فقال لها: لم فعلت؟ فقالت: أما شرطت أن لا تسألني عما أفعل، فهذه واحدة من الثلاث فاحفظها. ثم ولدت ابنا فجاء كلب فوضعتة في فيه فذهب به، فصاح الملك وقال: لم فعلت؟ فقالت: هاتان اثنتان. ثم دعاه يوما ملك كانت بينه وبينه عداوة يريد منه الصلح فسم له طعاما؛ فلما قدم عليه هو والجنينة ومن معهم علمت أن الطعام مسموم فلما قدم إليهم جعلت فيه روئا، فقال لها: لم فعلت هذا؟ فقالت: هذه ثالثة؛ ثم قالت له: أما النار والكلب اللذان رأيتهما فهما ظئران سلمت لهما الولدين لئلا يكون لي تعب في تربيتهما وأما الطعام فقد كان مسموما، ثم دعت بالبنت فأحضرت فدفعتها إليه؛ وكان الابن قد مات عند ظفئه ثم غابت الجنينة. فسمى الملك بنته بلقيس. وكانت ذات جمال فائق ورأي وتدبير واستخلفها على ملكه بعد موته؛ فجلست مكان أبيها على سرير الملك فأطاعها الملوك؛ فكانت تجلس من كل أسبوع يوما للحكومة وتحتجب عن الناس ترخي ستورا رقيقة دون الناس بحيث تراهم ولا يرونها، والناس وقوف في حضرتها مطرقين رؤوسهم من هيبتها، فإذا كانت لأحدهم حاجة عندها يسجد لها أولا ثم يعرض حاجته في حضرتها فتحكم فيها. وكانت تحرسها ألوف الحرس، وكانت هي وقومها بحوسيين يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله؛ وكان لها عرش عظيم.

ولم تزل بلقيس ملكة سبأ حتى اطلع عليها هدهد سليمان بن داوود - عليهما السلام - فكان من أمرها ما كان مما ورد في القرآن العظيم وقصه؛ وأسلمت بلقيس فتزوجها سليمان وأقرها على ملكها وردّها إليه، وأمر الجن فبنوا له بأرض اليمن

ثلاثة حصون لم ير مثلها ارتفاعا وحسنا وهي غمدان وسلحين وبينون⁽¹⁾.
ثم كان سليمان يزورها مرة كل شهر ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من
الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وقد قيل إنها ولدت له. ولما مات سليمان
عليه السلام انقضى ملكه وملك بلقيس ورفعت الجن أيديها وتفرقت. ثم
اجتمعت حمير بعدُ على مالك بن عمرو ذي الازعار، وقيل من ولد يعفر ويقال
له مالك ناشر النعم لإنعامه على الناس.

ومنهم شمر يرعش بن ناشر النعم وقيل هو شمر بن افريقش⁽²⁾. ومنهم زيد
بن شمر وهو تبع الأقرن (لقب بذلك لشامة في قرنه). ومنهم أسعد الكامل،
قيل هو تبع الآخر وإنه هو المراد بقوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾⁽³⁾
لأنه آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره، وهو القائل:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم⁽⁴⁾ .. إلخ
وهو أشهر التبابعة وقد مر بعض خبره. ومنهم حسان بن أبي كرب، وهو الذي
انتقم من جديس لطسم باليمامة حتى أفناهم وقتل زرقاء اليمامة وقتله أخوه عمرو
فملكته حمير مكانه فابتلي بالسهر ولم ينتفع بملكه حتى مات — كما مر.

(1) ولم تزل هذه الحصون قائمة حتى هدمها أرباط الحبشي، وفي ذلك يقول ذو جدن الحميري:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا لا تهلكي أسفا في اثر من ماتا

أبعد بينون لا عين ولا أئسر وبعد سلحين بيني الناس أبياتا

(2) يقال انه توجه نحو العراق ثم إلى الصين فدخل مدينة الصغد ووراء النهر ثم هدمها فقالت
العجم: "شمر كند" أي شمر خربها، ثم أعيدت فبقي ذلك الاسم عليها ثم عربتها العرب
فقالوا: "سمرقند".

(3) الدخان: 37.

(4) روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان مؤمناً»، وروي: «لا تسبوا
أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة».

ومرج أمر حمير وتفرقت طوائف وتداولتها ملوك ثوار من غير بيوت الملك إلى أن اجتمع أمرهم على ذي نواس زرعة بن تبان الحميري، الذي قتل أهل نجران على النصرانية - كما مر - وقد قيل انه هو صاحب الأخدود المذكور في القرآن؛ وكان متديناً باليهودية. واستصرخ أحد أهل اليمن عليه قيصر فكتب له إلى النجاشي فبعث معه جيشاً من الحبشة فاستولوا على اليمن وهلك ذو نواس غريقاً، واستقر ملك الحبشة لليمن زمنا وغزا فيه ابرهة الحبشي الكعبة بالفيل على عهد عبد المطلب. ولما طال البلاء على أهل اليمن من ملك الحبشة خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى أنوشروان (ملك الفرس) فبعث معه جيشاً من أهل فارس فقتلوا الحبشة وأجلوهم في كل وجه وولي سيف بن ذي يزن على اليمن حتى اغتاله جماعة من أبناء الحبشة كان قد اتخذهم خدماً - كما مر - وبموته انقرضت دولة حمير والتبابعة وبقيت اليمن في أيدي الفرس حتى صبحهم الإسلام. وإلى الله عاقبة الأمور، والعاقبة للمتقين.

وفي أنساب التبابعة اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير وزيادة ونقصان.. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم الا طرف يسير لاضطراب رواتهم وبعد العهد، كما نص عليه ابن حزم في جمهرته. والله تعالى أعلم.

نسب قضاة*

... ..
 وَأَنْسَبُ قُضَاعَةَ يَتِيمَةَ السُّلُوكِ
 عَمْرُو وَعِمْرَانُ وَأَسْلَمُ بَنُو إِحْفَافِهِ وَهَكَذَا تَفَنَّنُوا
 عَمْرُو أَبُو حَيْدَانَ مَعَ بَلِيِّ بِهْرَاءَ مَوْلَى بَرْمَكِ الْعَلِيِّ
 حَيْدَانَ مَهْرَةَ ابْنِهِ الْمَهَارَى إِلَيْهِ تُنْسَبُ وَلَا تُجَارَى

قضاة (بالنصب): مفعول به لانسب. ويتيمة: صفة له. واليتيمة: الدرّة التي لا نظير لها، وتطلق على كل شيء يعز نظيره. والسلوك: جمع سلك (بالكسر): وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه، وسلك النسب: عموده. يعني أن قبيلة قضاة في غيرها من القبائل الحميرية كالدرّة اليتيمة في العقد.

وقوله عمرو: مبتدأ؛ وعمران وأسلم (بضم اللام): معطوفان عليه. وقوله بنو إحفافه: خبر عن عمرو، والضمير المضاف إليه عائد على قضاة. وإحفاف (بكسر الهمزة): يقال بإثبات الياء في آخره وبحذفها، كما يقال العاص والعاصي. وتفننوا أي تفرعوا.

يقول: وانسب إلى حمير بن سبأ أيضا قضاة وبطونه المتفرعة من عمرو وعمران وأسلم بنو إحفاف بن قضاة؛ وجميع من تفرع من قضاة بواسطة ابنه إحفاف. وقوله عمرو: مبتدأ، وأبو حيدان (بالحاء المهملة بوزن سكران): خبره. وبلي: بوزن غني. وبهراء (بوزن حمراء): عطف على بلي بحذف العاطف. ومولى: صفة

* تفرعت من قضاة بن مالك هذا بطون عديدة وأفخاذ كثيرة، ذكر الناظم منها تسعة ما بين بطن وفخذ وذكر من أعيانهم اثنين وعشرين رجلا وامرأتين.

لبهراء. وبرمك: كجعفر. والعلبي: الرفيع صفة لبرمك. وقوله حيدان: مبتدأ خبره الجملة بعده. ومهرة: بوزن حمزة. والمهاري (بفتح الميم والراء): جمع مهريّة (بفتح فسكون) وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان وتجمع أيضا بمهار (بوزن جَوَارٍ). والضمير في إليه: عائد على مهرة، يقال إن هذا النوع من الإبل كان لا يعدل به شيء في سرعة جريه ولذا قال الناظم: ولا تجارى. وكلُّ من تنسب وتجارى مبني للمفعول.

يقول: أما عمرو بن الحاف فله من الولد حيدان وبلي وبهراء بنو عمرو، وأما حيدان فابنه مهرة بن حيدان وهو الذي تنسب إليه الإبل المهريّة. هذا وقد درج الناظم هنا على المشهور والأرجح في نسب قضاة وهو أنه حميري، وإن كان قد سبقت الإشارة إلى أنه من القبائل المتذبذبة بين القحطانية والعدنانية.

والماصل أنه اختلف في نسبه فقيل هو قضاة بن مالك بن حمير؛ وقيل قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وعليهما فهو من القحطانية ثم من حمير منها. وقد روى عقبة بن عامر الجهني قال قلت: يا رسول الله ممن نحن؟ قال: «من قضاة بن مالك بن حمير». وفي ذلك يقول الشاعر القضاعي عمرو بن مرة الجهني الصحابي يفتخر بذلك:

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر وكن قضاة ولا تنزّر
نحن بنو الشيخ الهمام الأزهر⁽¹⁾ قضاة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر

وقيل قضاة هو ابن معد بن عدنان؛ وعليه يكون من العدنانية، ويحتج لهذا القول

(1) في رواية: الهجان الأزهر. والهجان: الرجل الحسيب. والهمام: الذي إذا اهتم بشيء فعله. والأزهر: المشرق الوجه.

بقول زهير المزني:

قضاعية أو أختها مضرية يحرق في حافاتهما الحطب الجزل
فجعل قضاة ومضر أخوين، وقول الكميث يعاتبهم في انتسابهم إلى اليمن:
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل: المسي لأنه يحمل من بلد إلى بلد.

ومما عوتبت به قضاة في انتسابها إلى اليمن قول أعشى بني تغلب:

أزيتم عجوزكم وكانت قديما لا يشم لها خمار
عجوز لو دنا منها يمان للاقى مثل ما لاقى يسار
يريد يسار الكواعب⁽¹⁾ الذي هم بهن فخصينه.

وجمع بعضهم بين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن أم قضاة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير فنسب إلى زوج أمه⁽²⁾. واسم قضاة عمرو ولقب قضاة لانقضاعه من قومه أي بعده عنهم، أو بالقضاة وهو الفهد. ولم يُعقب له من الولد غير إلحاف بن قضاة. وإلحاف من الولد ثلاثة: عمرو وعمران وأسلم، أمهم بنت

(1) يسار الكواعب: كان عبدا لامرأة من غُدانة (وهم بطن من تميم) يقال لها: منشم، فراودها عن نفسها فقالت له: أمهل حتى أشمك طيب الحرائر، فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا، فقتل المثل: "لاقي الذي لاقى يسار الكواعب"، ومنشم هذه - أيضا - هي صاحبة المثل: "بينهم عطر منشم" وهو كناية عن شدة الحرب، وأصله أن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم في طيب أعدته لهم منشم هذه تأكيدا للحلف. وقيل منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر والطيب فيشترى منها للموتى فتشاءموا بها لذلك. [الروض الأنف].

(2) قيل إن اسم تلك الجرهمية قضاة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها، وقيل بل كان اسمه عمرا فلما تقض عن قومه (أي بعد) سمي قضاة.

غافق بن الشاهد بن عك. ومنهم تشعبت بطون قضاة، وإلى ذلك أشار الناطم بقوله عمرو وعمران.. إلخ.

والمشهور منهم ثمان قبائل هي: بنو حيدان وبنو بلي وبنو بهراء؛ وهؤلاء من ولد عمرو بن إلخاف بن قضاة (وإلى ذلك أشار بقوله عمرو أبو حيدان.. إلخ) وبنو نهد بن زيد وبنو عذرة بن سعد وبنو جهينة بن زيد، وهؤلاء من ولد أسلم بن إلخاف (وإلى ذلك أشار بقوله الآتي: من أسلم نهد الشتيت.. إلخ) وبنو كلب بن وبرة وبنو جرم بن زبان، وهما من ولد عمران بن إلخاف (وإلى ذلك أشار بقوله الآتي أيضا: أخوهما عمران كالطيس.. إلخ).

أما حيدان بن عمرو بن إلخاف فممنه بنو مَهرة بن حيدان، وإليهم تنسب الإبل المهرية⁽¹⁾ وهي أكرم الإبل. ومنه أيضا بنو العيدي بن مَهرة وإليهم تنسب الإبل العيدية⁽²⁾، ومنهم زهير بن قرضم بن العجيل العيدي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن حيدان - أيضا - بنو تزويد بن حيدان وإليهم تنسب الثياب التزويدية⁽³⁾؛ وبلاد بني مَهرة بن حيدان في ناحية الشحر من اليمن ببلاد العنبر على ساحل البحر.

(1) ومنه قول ذي الرمة غيلان بن عقبه العدوي:

زار الخيال لمي هاجعا لعبت به التنايف والمهرية النجب

وأما المهر (بضم الميم وسكون الهاء) فهو ولد الفرس، أو أول ما ينتج من الخيل والحمر الأهلية وجمعه: أمهار ومهار ومهارة (بكسر الميم فيهما) ومؤنثه مهرة (بضم فسكون) جمعها: مهر (بضم) ففتح) ومهرات (بضم الميم وفتح أو سكون الهاء).

(2) ومنه قول الشاعر: يا من يعز علينا أن نفارقهـم

وجدانا كل شيء بعدكم عدم

إن قمس قد قطعت فيح الفلا بكم

عنا وعنكم بنا العيدية الرسم

(3) كما قال علقمة بن عبدة التميمي:

فكلها بالتزويديات معكوم

رد الإماء جمال الخي فاحتملوا

كأنه من دم الأجواف مدموم

عقلا ورقما تظل الطير تتبعه

وأما بهراء بن عمرو بن إلخاف فله من الولد اهود وقاسط ومبشر وعدي،
(بطون كلهم)، أمهم بنت مُر بن أد (أخت تميم بن مر). ومن بطون بهراء بنو هنب
بن القين بن اهود بن بهراء وبنو قاس وبنو شبيب ابني دريم بن القين بن اهود بن
بهراء، وهم الذين يعينهم الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة التميمي بقوله:

وجالد من غسان أهل حفاظها وهنب وقاس جالدت وشيب

ومن بني هنب بن القين معلى بن صفار، عقد له هشام بن عبد الملك على
ارمينية وأذربيجان، ويقال انه هو أول من وسم الخيل. وكانت منازل بني بهراء
شمالي منازل بلي من الينبع إلى عقبة أيلة ثم جاوز بحر القلزم منهم خلق كثير
وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة
وحاربوهم.

ومر بهراء أيضا جماعة كثيرة من أعيان الصحابة وغيرهم من أعيان الإسلام،
منهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراي الصحابي الجليل،
ويعرف بالمقداد بن الأسود لأنه كان حليفا للأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن
خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد تبناه فنسب إليه حتى نزل قوله
تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾⁽¹⁾ فقبل له المقداد بن عمرو؛ أسلم قديما وهاجر
إلى المدينة وكان فارس المسلمين يوم بدر وهو القائل ذلك اليوم: "يا
رسول الله إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿فَأَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَكَتِلًا إِنَّا هَلُنَا قَاعِدُونَ﴾⁽²⁾ ولكننا نقاتل من بين يديك
ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك"، وشهد رضي الله

(1) الأحزاب: 5.

(2) المائدة: 24.

عنه المشاهد كلها وشهد فتح مصر وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار، ومات بالجرف⁽¹⁾ سنة ثلاث وثلاثين وحمل إلى المدينة وصلى عليه عثمان ودُفن في البقيع ولم يعقب.

وقد قدم وفد من بهراء من اليمن على النبي ﷺ بالمدينة وأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد هذا، فخرج عليهم ورحب بهم وقدم لهم جفنة من الحيس (وهو التمر والسمن والأقط) فأكلوا منه حتى نهلوا، فكان المقداد يردده عليهم مدة إقامتهم معه وما يغيض؛ فجعلوا يقولون له: إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين وقد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام، فأخبرهم أن هذا من بركة رسول الله ﷺ لأنه كان قد أكل من هذه المائدة؛ فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله ﷺ وازدادوا يقينا، وذلك الذي أراد صلى الله عليه وسلم؛ فأتوه وأسلموا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم وأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهلهم باليمن.

نسب البرامكة وذكر بعض مدحهم

ومن بهراء أيضا بالحلف خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكي (كما أشار إليه الناظم ووصف برمكا بالعلي لشهرة بنيه البرامكة بالجود وعلو القدر والمنزلة). وكان برمك هذا من مجوس مدينة بلخ؛ وكان يقوم بشؤون متعبد المجوس بها وكان عظيم المقدار، ثم ساد ابنه خالد بن برمك فاستوزره أبو العباس عبد الله السفاح العباسي ولم يزل وزيراً له حتى مات فاستوزره بعده أخوه أبو جعفر المنصور إلى أن مات سنة ثلاث وستين ومائة، وكان غاية في الجود والسخاء وحسن

(1) الجرف (بضم فسكون): موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لأهل المدينة وبه بئر حشم، قيل سمي الجرف لأن تبعاً مر به فقال: هذا جرف الأرض.

الرأي والسياسة، وقد بلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد بعده؛ وله من الولد يحيى، واشتهر بجودة الرأي ووفور العقل وكان يقول: "إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفنى وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى"، ويقول: "ذكر النعمة من المنعم تكدير ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير". وكان ليحيى بن خالد هذا من الولد جعفر والفضل⁽¹⁾ ومحمد وموسى؛ اشتهر جعفر منهم بالكتابة وفصاحة اللسان. والفضل بالجود والنبيل. ومحمد بالشرف وبعد الهمة. وموسى بالشجاعة والرئاسة.

وقد اشتهرت البرامكة بالجود والكرم والسخاء حتى ضرب بهم المثل في ذلك، وملئت الصحائف بمدحهم والثناء عليهم. وكان المامون يقول: لم يكن كيحيى وبنيه أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل:

أولاد يحيى أربع كأربع الطبايع
فهم إذا اختبرتهم طبائع الصنائع

وفي يحيى بن خالد يقول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت: شراء؟ قال: لا، بل وراثة توارثني عن والد بعد والد

وفي جعفر يقول:

ولما رأيت السيف جدل⁽²⁾ جعفرا ونادى مناد للخليفة: يا يحيى
بكيث على الدنيا وزاد تلهفي⁽³⁾ عليها وقلت: الآن لا تنفع الدنيا

(1) وكان الفضل ترب الرشيد وأخاه من الرضاعة، أرضعتها الخيزران أم الرشيد وزبيدة بنت بويه أم الفضل، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة بمدح الفضل:

كفى لك فضلاً أن أفضل حرة غذتك بندي - والخليفة - واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً في المشاهد

(2) جدله: صرعه على الجدالة وهي الأرض.

(3) تلهفي: حزني وحسرتي.

وفي الفضل يقول الشاعر:

ما لقينا من جود فضل بن يحيى
علم المحميين أن ينظموا الأشعار
ترك الناس كلهم شعراء
عار منا والباخلين السخاء!

وقال آخر:

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد
وقام به المعروف شرقا ومغربا
ولو قيل للمعروف: ناد أخا العلى
فلو أن أما مسها جوع طفلها
وقام به التقوى وقام به الفضل
ولم يك للمعروف بعد ولا قبل
لنادى بأعلى الصوت: يا فضل يا فضل
وغذته باسم الفضل لا غُذِيَ الطفل

ومما مدحوا به قول الشاعر:

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت
فما خلقت إلا لجود أكفهم
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
وأرجلهم إلا لأعواد منبر

وفي محمد بن يحيى يقول الشاعر:

سألت الندى والجود مالي أراكما
وما بال ركن الحمد أمسى مهديما؟
تبدلتما ذلاً بعز مؤيدي؟
فقلالا: أصبنا باین يحيى محمد
وقد كنتما عبديه في كل مشهد؟
فقلالا: أقمنا كي نعزي لفقده
مسافة يوم ثم نلوه في غدا!

ووقعة الرشيد بالبرامكة مشهورة⁽¹⁾. ولبعض الشعراء في رثائهم:

(1) وإذا أراد الله هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسبابا. وقد اختلف في سبب حادثة البرامكة وتغير الرشيد عليهم واستتصاليهم. وما روي في ذلك أنهم كانوا يقصرون في شأن الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن كيسان مولى عثمان بن عفان ويحقرونه، وقد كان يروم التشبه بهم ومعارضتهم إلا أنه لم يكن له من القدر ما يدرك به اللحاق بهم؛ فكانت في نفسه منهم إحن وشحناء. فلم يزل يسعى بهم إلى الرشيد حتى أوغر صدره عليهم فكتبوا على يده وتولى بعدهم وزارة الرشيد؛ وفي ذلك يقول أبو نواس أو غيره:

على المعروف والدنيا جميعا لدولة آل بَرَمَكِ السلام
 فلم أر قبل قتلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام
 أما والله لولا خوف واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنام
 لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام!

وقال:

ألا إن سيفاً برمكيا مهندا أصيب بسيف هاشمي مهند
 فقل للعطايا بعد فضل تعطلي وقل للرزايا كل يوم تجلدي

ومن قضاة أيضا ثم من بني القين منهم ماوية بنت كعب بن القين بن جسر
 القضاعية أم كعب بن لؤي القرشي وإخوته.

ثم قال رحمه الله:

وَكَثُرَتْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ بَنُو بِلِيٍّ وَبَنُو الْعَجْلَانِ
 خَيْرُ بِلِيٍّ حَالَفُوا الْأَنْصَارَا وَنَصَرُوا بِطَيْبَةِ الْمُخْتَارَا
 مِنْهُمْ عُوَيْمِرٌ وَزَوْجُهُ الَّتِي لَاعَنَهَا بِأَمْرِ هَادِي الْمَلَّةِ
 وَمِنْهُمْ الَّذِي بِهِ قَذَفَهَا وَهُوَ شَرِيكُ ابْنِ سَحْمَا إِيْفَهَا

ما رعى الدهر آل بَرَمَكِ لما أن رمى ملكهم بأمر فظيع
 إن دهرا لم يرع عهدا ليحيى غير راع ذمام آل الربيع

وصدق الشاعر فلم يرع الدهر ذمام آل الربيع. فلم يزل الفضل بن الربيع وزيرا للرشيد حتى مات
 وصرف الخلافة لابنه محمد الأمين فصحبه الفضل ولم يعرج على المأمون ولم يلتفت إليه، حتى
 قيل انه زين للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهد ويجعلها لابنه موسى بن الأمين. ولما قتل
 المأمون الأمين وانتهت إليه الخلافة اختفى الفضل بن الربيع ولم يكن له في دولة المأمون حظ ولم
 يُرَع له عهد.

وَعَاصِمُ الَّذِي النَّبِيُّ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى عَوَالِي طَيْبَةَ فَشَرَّفَهُ

بيعة الرضوان: هي المذكورة في القرآن الكريم بقوله جل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽¹⁾، واختلف في عدد أهلها ف قيل ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثمانمائة⁽²⁾. وقد بايع فيها من بني بلي مائة وسبعون رجلا.

وقوله بنو بلي: فاعل كثرت. وقوله بنو العجلان: مبتدأ خبره: خير بلي.. إلخ. وطيبة: من أسماء المدينة. والضمير في منهم: عائد على بنو العجلان. وقوله بأمر هادي الملة: أي بأمر رسول الله ﷺ. وقوله منهم: أي بنو العجلان أيضا. وقذفها: أي رماها بالفاحشة. وشريك هو بوزن أمير. وقوله: ابن سحماء: بفتح السين وسكون الحاء المهملتين بعدها ميم ممدود، وقصره هنا ضرورة⁽³⁾. وإلفها (بالنصب): مفعول به لأعني مقدره، أي صاحبها الذي رماها به زوجها. وقوله عاصم (بالرفع): عطف على عويمر. وعوالي طيبة: جمع عالية⁽⁴⁾ وهي ما كان من قرى المدينة وعمائرهما إلى جهة نجد — من المدينة — وأدناها السنح (بوزن عنق وقفل) قرية على ميل من المسجد النبوي الشريف، وأقصاها من ثلاثة أميال إلى أربعة أو

(1) سورة الفتح: 18 وكانت الشجرة التي بايعوا تحتها سمرة.

(2) بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على أن لا يفروا فكانوا خير أهل الأرض.

(3) سحماء (بسين ثم حاء مهملتين بعدها ميم ممدودا) كما في القاموس المحيط وفتح الباري على صحيح البخاري، ومثلها في الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وغيرها.. وفي الخميس وعمدة القارئ للعبيني هو (بسين ثم ميم ثم حاء ممدودا).

(4) مواضع أو قرى بظاهر المدينة من جهة المشرق من ميلين إلى ثمانية أميال، وقيل أدناها من أربعة أميال، وكل ما كان في جهة نجد يسمى العالية وما كان في جهة هامة يسمى السافلة؛ ومن عوالي المدينة قباء، وأخذ من نزول النبي صلى الله عليه وسلم في علو المدينة التفاؤل له ولدينه بالعلو.

سنة أو ثمانية فتنتهي.

يقول ومن بطون بني بلي بن عمرو بنو العجلان بن حارثة، حلفاء الأنصار الذين؛ منهم عويمر بن الحارث وزوجه خولة بنت قيس وشريك بن سحماء وعاصم بن عدي العجلانيون.

أما بنو بلي فهم بطن من قضاة؛ وهم بنو بلي بن عمرو بن إلحاف، وفيهم جماعة من مشاهير الصحابة. وقد بايعت منهم تحت الشجرة مائة وسبعون - كما مر. وأما بنو العجلان فهم بطن من بلي جدهم العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جُعَلٍ بن عمرو بن جشم بن وَدَم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن إلحاف بن قضاة، حالف جدهم العجلان بن حارثة بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريين في الجاهلية وسكن معهم المدينة؛ فدخل بنوه في الأنصار وأقاموا معهم فكانوا في عدادهم، واستقبلوا معهم رسول الله ﷺ قدومه من مكة مهاجرا وآووه وعزروه ونصروه فكانوا بذلك أفضل بطون بني بلي كما قال الناظم: **وبنو العجلان خير بلي.. إلخ.**

وأما عويمر فهو ابن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجعد بن العجلان بن حارثة البلوي الأنصاري العجلاني، ويعرف بعويمر بن أبيض، وأبيض لقب لأحد آبائه. وأما زوجه فهي خولة بنت عاصم بن عدي بن الجعد بن العجلان العجلانية، وقيل بنت أخي عاصم.

وأما شريك فهو ابن عبدة بن مغيث بن الجعد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة البلوي العجلاني، أمه سحماء؛ قيل حبشية وقيل يمانية وقيل أمة سوداء، وقد اشتهر بالنسبة إليها فعرف بشريك ابن سحماء، وكان أخا البراء بن مالك لأمه، وكان أبوه عبدة بن مغيث قد أسلم وصحب وشهد بدرًا وأحدًا.

وشهد شريك أحدا مع أبيه عبدة هذا، ويروى أنه بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد باليمامة أن يسير إلى العراق، وأنه كان أحد الأمراء بالشام في خلافة أبي بكر الصديق وبعثه عمر رسولا إلى عمرو بن العاص حين أذن له أن يتوجه إلى فتح مصر.

وأما عاصم فهو أبو عمرو عاصم بن عدي بن الجعد بن العجلان بن حارثة البلوي العجلاني، كان سيد بني العجلان وكان قد خرج مع النبي ﷺ إلى بدر فرده من الروحاء ليخلفه على أهل قباء والعالية⁽¹⁾ من المدينة لشيء بلغه عنهم، وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحدا وما بعدها. وتوفي سنة خمس وأربعين وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة، وقيل عشرين سنة؛ فلما حضرته الوفاة بكى عليه أهله فقال: لا تبكوا علي إنما فنيت فناء، وكان قد تصدق بمائة وسق⁽²⁾ من تمر حين حث النبي ﷺ على الصدقة فلمزه المنافقون، قالوا: ما أراد بهذا إلا الرياء، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾⁽³⁾. وابنه أبو البداح حبة بن عاصم بن عدي قيل أسلم يوم الفتح، وقيل لا صحبة له وإنما الصحبة لأبيه، كان شاعرا ومات بمكة، وكانت تحته سبيعة الأسلمية فوضعت بعد موته بليال فقال لها أبو السنابل بن بعكك — وكان قد خطبها — إن أجلك أربعة أشهر وعشر، فأنت

(1) قباء والعالية: مملتان في نواحي المدينة ما زالتا معروفتين بهذين الاسمين وجمع العالية: العوالي، وهي في جنوب شرقي المدينة.

(2) الوسق: ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم. والصاع: أربعة أمداد؛ والمد ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين.

(3) التوبة: 79.

النبي ﷺ وأخبرته بذلك فقال لها: «قد حللت فانكحي من شئت»⁽¹⁾.

أول لعان في الإسلام

وحاصل قصة لعان عويمر لزوجته - التي أشار إليها الناظم - أنه لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك في السنة التاسعة جاء عويمر بن الحارث هذا إلى عاصم بن عدي فقال له: يا عاصم أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنته فتقتلونه أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك؛ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ. فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال: يا عاصم ما ذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها؛ فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها. فأقبل عويمر حتى جاء إلى رسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنته فتقتلونه أم كيف يفعل؟ ثم قال: رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة بنت قيس، فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بها». وحيء بشريك⁽²⁾ فقال رسول الله ﷺ لعويمر: «أتق الله في زوجك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان»⁽³⁾، فقال: يا رسول الله أقسم بالله إنني رأيت شريكا على بطنها وإنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها جبلية من غيري؛ فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «أتقي الله ولا تخبريني إلا بما صنعت»، فقالت: يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه

(1) أخرجه البخاري وأحمد.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه البخاري.

رآني وشريكا نطيل السهر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشريك: «ما تقول»⁽¹⁾؟ فقال مثل ما قالت المرأة، فأنزل الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ — الآيات⁽²⁾ — فقام رسول الله ﷺ حين نودي: الصلاة جامعة، فصلى العصر وأمرهما فتلاعنا في المسجد، ففرق صلى الله عليه وسلم بينهما. فلما فرغا من تلاعهما قال عويمر: كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكتها؛ فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ، فكانت سنة المتلاعنين. ثم أتت بولد⁽³⁾ فكان ينسب إلى أمه وعاش ذلك المولود ستين ثم مات، وعاشت أمه بعده يسيرا.

وإنما خص عويمر عاصما بالسؤال لأنه كان كبير قومه وصهره على ابنته أو ابنة أخيه، ثم كان لعانها أول لعان وقع في الإسلام. وقيل إن الذي رمى شريكا ابن سحماء بزوجه هو هلال بن أمية بن سعد بن أمية الأنصاري الواقفي وإن شريكا كان يأوي إلى منزله - كما مر - والمشهور أنه عويمر. والله أعلم.

تفجيه: اللعان هو أن يقسم الزوج أربع مرات على صدقه في قذف زوجته بالزنى أو نفي حملها عنه والخامسة باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبا، ثم تقسم الزوجة أربع مرات على كذبه والخامسة باستحقاقها غضب الله إن كان صادقا ،

(1) سبق تخرجه.

(2) سورة النور: 6 - 9.

(3) وفي البخاري والترمذي وأبي داود أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». وقوله: «لولا ما مضى من كتاب الله» أي قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ..﴾ — الآية — وقوله: «لكان لي ولها شأن» هو إقامة الحد عليها لمشاهدة ولدها الرجل الذي رميت به. والله أعلم.

وبهذا يبرأ الزوج من حد القذف وتبرأ الزوجة من حد الزنى، وهو مشتق من اللعن وهو الطرد والإبعاد لبعدهما من الرحمة أو لبعدهما من الآخر ولا يجتمعان أبداً؛ وقيل سمي به للعن الرجل نفسه في الخامسة من أيمان اللعان فيكون من تسمية الكل باسم البعض، واختير لفظ اللعن في التسمية دون الغضب لأنه قول الرجل وهو الذي بدئ به في الآية، وبه يبدأ أيضاً وله أن يرجع عنه فيسقط عن المرأة من غير عكس، وخص الرجل باللعن لأنه إذا كان كاذباً لم يصل ذنبه إلى أكثر من القذف بخلاف المرأة فقد خصت بالغضب لعظم الذنب بالنسبة إليها لما فيه من تلويث الفراش والتعرض للاحاق من ليس من الزوج به فتنتشر المحرمة وتثبت الولاية والميراث لمن لا يستحقهما، وقد أجمعوا على مشروعية اللعان لحفظ الأنساب ودفع المعرة عن الأزواج وعلى أنه لا يجوز مع عدم التحقق، واختلف في وجوبه على الزوج، لكن لو تحقق أن الولد ليس منه قوي الوجوب. والله أعلم.

ومن بني العجلان - أيضاً - معن بن عدي بن الجند بن العجلان البلوي العجلاني أخو عاصم بن عدي، حضر العقبة وشهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد وحضر بيعة السقيفة، ولما بكى الناس على رسول الله ﷺ وقالوا وددنا أن لو متنا قبله فإننا نخشى أن نفتن بعده، قال معن بن عدي: لكني والله لا أحب أن أموت قبله لأصدقته ميتاً كما صدقته حياً. واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة بعد أن أبلى فيه بلاءً حسناً.

هذا وقد قدم وفد بلي على رسول الله ﷺ سنة تسع، فنزلوا على رويغ بن ثابت البلوي فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فقال له: هؤلاء قومي، فقال: «مرحباً

بك وبقومك»⁽¹⁾ فأسلموا فقال صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار»، فرجعوا مع رويغ إلى منزله، فأتاه رسول الله ﷺ في منزله بتمر وقال له: «استعن بهذا»⁽²⁾، فكانوا يأكلون منه؛ فأقاموا ثلاثاً ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم وانصرفوا إلى بلادهم، وكان رئيسهم أبو الضُّبَيْب البلوي؛ فقال: يا رسول الله إن لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك من أجر؟ قال: «نعم وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة»⁽³⁾، قال: يا رسول الله ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيخرجك»⁽⁴⁾، ثم قال: يا رسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب»⁽⁵⁾ قال: فالبعير؟ قال: «ما لك وله دعه حتى يجده صاحبه»⁽⁶⁾.
والله أعلم.

وَأَبْنُ نِيَّارٍ هَانِيٌّ وَهُوَ أَبُو بُرْدَةَ الْفَارِسُ فِيهِمْ يُحْسَبُ
وَتَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ الَّذِي دَفَعَ لِخَالِدٍ رَايَةَ مُؤْتَةٍ وَكَعَّ
بِقَتْلِهِ طَلِيحَةَ افْتَخَرَا إِذِ ادَّعَى نُبُوَّةً وَكَفَرَا

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته.

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن سعد في طبقاته وفيه: «الضيافة ثلاثة أيام وجازته يوم وليلة ولا

يحل للرجل أن يقيم عنده حتى يؤتمه».

(5) أخرجه البخاري ومسلم.

(6) ابن سعد في طبقاته.

قوله وابن نيار (بوزن كتاب): مبتدأ. وهانئ (بالهمزة والرفع): بدل من ابن نيار، والفارس: صفته. وفيهم: متعلق بيحسب وهو مبني للمفعول أي يعد، والجملة خبر المبتدأ. والضمير في فيهم عائد على بنو بلي المتقدم ذكرهم. وثابت (بالرفع): عطف على ابن نيار. وأقوم (بقاف ثم راء مهمله بعدها ميم: بوزن أحمد. والمراد بخالد: خالد بن الوليد. وكع: تأخر. وبقتله: متعلق بافتخر. والضمير في بقتله عائد على ثابت. وفاعل كل من افتخر وادعى وكفر ضمير مستتر عائد على طليحة؛ والألف في افتخر وكفر للاطلاق.

يقول ومن بني بلي بن عمرو بن إلخاف أبو بردة هانئ بن نيار وثابت بن أقرم بن ثعلبة البلويان.

أما ابن نيار فهو أبو بردة هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن بلي بن عمرو بن إلخاف البلوي الأنصاري بالحلف، اشتهر بكنيته وكان حال البراء بن عازب. شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وبدرا وأحدا وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني حارثة يوم الفتح وهو حليفهم، وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه كلها وتوفي سنة خمس وأربعين - وقيل اثنتين أو إحدى وأربعين - وليس له عقب؛ روى عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن جابر وغيرهم؛ وهو الذي سأل النبي ﷺ يوم العيد فقال: يا رسول الله إني ذبحت قبل الصلاة وعندني عناق جذعة هي خير من شاتي لحم، فقال: «تجزئك ولا تجزئ عن أحد بعدك»⁽¹⁾. وأشار الناظم بقوله: وهو أبو

(1) أخرجه مسلم وأحمد في مسنده. والعناق: الأنتى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة. والجذعة: حديثة السن. [لسان العرب].

بردة الفارس إلى أنه كانت عنده فرس يوم أحد، وعند رسول الله ﷺ فرس أخرى؛ ولم يكن في المسلمين يومئذ غيرهما من الخيل. وقد أشار إلى ذلك في نظمه للمغازي بقوله:

وقيل فيهم فرس تحت أبي بردة الندب وأخرى للنبي

وأما ثابت فهو ابن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن ودم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن زهل بن بلي البلوي العجلاني الأنصاري بالحلف. شهد رضي الله عنه بدرًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان في جيش الأمراء الذي بعثه صلى الله عليه وسلم إلى مؤتة، ولما قتل عبد الله بن رواحة - وكان آخر الأمراء الذين عينهم عليه رسول الله ﷺ - أخذ ثابت الراية ودفعها لخالد بن الوليد وقال له: أنت أعلم مني بالقتال؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **الذي دفع لخالد راية مؤتة وكع**. واستشهد ثابت في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - في قتال أهل الردة، وكان الذي قتله طليحة بن خويلد⁽¹⁾.

طليحة بن خويلد وذكر رده وإسلامه

وحاصل ما أشار إليه الناظم من ارتداد طليحة هذا وادعائه النبوة وافتخاره بقتل ثابت بن أقرم، أن طليحة بن خويلد كان قد قدم مرة مع وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فأسلموا، ثم ارتد وادعى النبوة واجتمع عليه قومه فأرسل رسول الله ﷺ

(1) طليحة هذا هو ابن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعه الأسدي الفقعسي، كان من الفرسان المشهورين وأحد الأبطال المذكورين وكان ممن يوزن في القتال بألف فارس لشدة وبأسه، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بالقادسية إنني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد.

الله عليه وسلم ضيراً بن الأزور إلى قتاله ، فتوفي رسول الله ﷺ فظهر أمر طليحة وقويت شوكته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتد عيينة بن حصن الفزاري مع قومه ومنعوا الزكاة واتبعوا طليحة هذا ولحقوا به؛ وكان طليحة يزعم أن الملك يأتيه بالوحي.

ولما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعث أول جيش لقتال أهل الردة بقيادة خالد بن الوليد، فسار إلى اليمامة وبعث أمامه عيوناً يختبرون له كل من مروا به، فلما بلغوا بزاحة⁽¹⁾ لقيهم جيش طليحة الأسدي وقد ضربت لطليحة قبة من آدم وأصحابه حوله معسكرون، فضرب خالد عسكره على ميل من عسكر طليحة وعبأوا جيوشهم فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا واشتد القتال حتى استحر وقع السيف في المرتدين وصبروا لهم، وكان فيمن أسر المسلمون من المشركين رجل يقال له حبال بن أبي حبال⁽²⁾ بن خويلد (ابن أخي طليحة) فأرادوا أن يعيشوا به إلى أبي بكر فقال لهم: اضربوا عنقي ولا تروني محمديكم هذا، فضربوا عنقه. وقتل من المسلمين كثير وكان فيمن قتل منهم ثابت بن أقرم البلوي هذا وعكاشة بن محصن الغنمي؛ قتلها طليحة، فقال في ذلك:

عشية غادرت ابن أقرم ثاوبيا وعكاشة الغنمي عند مجال
أقمت لهم صدر الحمالة إنها معودة قيل الكماة نزال⁽³⁾

(1) عيوناً: جمع عين، وهو طليعة الجيش. وبزاحة: ماء بأرض نجد فيه وقعة المسلمين مع طليحة الأسدي سنة: 11هـ (أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه).

(2) اسم أبي حبال مسلمة بن خويلد.

(3) الحمالة: اسم فرس. والكماة: جمع كمي وهو الشجاع الجريء المقدم. ونزال (كقطام): اسم فعل بمعنى انزل للواحد والجمع والمؤنث - [القاموس].

فيوما تراها في الجلال مصونة ويوما تراها غير ذات جلال⁽¹⁾
فإن تك أذواد أصبن ونسوة فلن تذهبوا فرغا⁽²⁾ بقتل حبال

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: بقتله طليحة افتخرا ..

ولما استحر القتل في المشركين وصبروا ورأى طليحة ذلك تزل بكساء له خلف جيشه ينتظر - بزعمه - أن ينزل عليه وحي فلما طال ذلك على أصحابه وهدتهم الحرب جعل عيينة بن حصن يقاتل ويذمر الناس؛ وجاء إلى طليحة وهو ملتئم بكسائه فقال: لا أبا لك هل أتاك جبريل بعد؟! فقال طليحة: لا والله ما جاء بعد، فقال عيينة: تبا لك سائر اليوم! ثم رجع وجعل يحض أصحابه وقد ضجوا من وضع السيف حتى طال ذلك عليه؛ ثم رجع إلى طليحة وهو مستلق في كسائه فجبذه جبذة جلس منها وقال له: قبح الله هذه من نبوة ما قيل لك بعد شيء؟! فقال طليحة قد قيل لي: "إن لك رحي كرحاه وأمر لن تنساه!" فقال عيينة: قد علم الله أن سيكون لك أمر لن تنساه، ونادى قومه فزاره وقال: هذا والله كذاب ما بورك له ولا لنا فيما يطالب. فانصرف وانصرفت فزاره وانهمز المرتدون، وأقبل المسلمون يأسرون؛ فلما رأى طليحة ذلك قال لهم: أما الدين فلا دين وأما أنتم فقاتلوا عن أحساب قومكم. وقيل ركب فرسه وخرج منهزما وأسلمه الشيطان، وقال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل ولينج بأهله؛ ثم هرب حتى قدم الشام وأقام عند بني جفنة الغسانيين إلى أن عاد القبائل إلى الإسلام، ثم أسلم إسلاماً صحيحاً وحسن إسلامه رضي الله عنه وقدم مع الحجاج المدينة فلم يعرض له أبو بكر، ثم قدم زمن عمر بن الخطاب، فقال له عمر: كيف أحبك وأنت قاتل الرجلين

(1) الجلال (بكسر الجيم) جمع جَلَّ (بفتحها): وهو ما تغطي به الدابة لتصان.

(2) فرغا (بكسر الفاء وتفتح): أي هدرا، يقال: "ذهب دمه فرغا": هدرا.

الصالحين؟ — يعني ثابتا وعكاشة — فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما وإن الناس قد يتصالحون على الشنآن، ثم كانت له بعد مواقف عظيمة وآثار جميلة في الفتوح وقاتل الفرس، وشهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسنا وقاد إليها أسدا؛ واستشهد بها منهم ألف — كما مر — وشهد نهاوند واستشهد بها سنة إحدى وعشرين.

وصه بطون بني بلي بن عمرو بن إلخاف أيضا بنو أنيف بن جشم بن تميم بن عوذ مناة وهم من حلفاء الأنصار أيضا، منهم عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة بن بيجان البلوي الأنيفي وهو في عداد بني جحججى من الأنصار (شهد بدرًا) وابن عمه عبد الله بن أسلم بن زيد بن بيجان ممن بايع تحت الشجرة، ومنهم سهل بن رافع بن خديج بن مالك بن غنم بن سري بن سلمة بن أنيف الذي تصدق بالصاع فتكلم فيه المنافقون فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، وابن عمه طلحة بن البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غنم بن سري، كانت له صحبة محمودة ونية في الإسلام صادقة وكان من حلفاء بني عمرو بن عوف، مات وهو غلام.

ومن بلي أيضا كعب بن عجرة بن عدي البلوي، شهد بيعة الرضوان ومات بالمدينة سنة ثلاث وخمسين عن خمس وسبعين سنة (وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك). ومنهم الجحدر وأخوه عبد الله ابنا زياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة البلويان البدريان. ومنهم النعمان بن عمرو بن عبيد بن وائلة بن حارثة

(1) التوبة: الآية: 79.

البلوي العقي البدري.

ثم أشار الناظم إلى القبائل الثلاث المتفرعة من أسلم بن إلخاف، فقال رحمه الله:

مِنْ أَسْلَمٍ نَهْدُ الشَّتَيْتِ عُدْرَةٌ جُهَيْنَةٌ فَعُدْرَةٌ ذُو النُّصْرَةِ
نُصْرَةَ خَيْرٍ فَأَدَّتْ مَغْرَمًا وَنَصْرِهِمْ مُجْمَعًا فَاثْتَقَمًا
وَبِرِّزَا حِهِمْ عِدَاةُ خَزَعَا وَهَدْبَةٌ بَعْدَ التَّوَى تَشَجَعَا
مِنْهُمْ وَعُرْوَةُ الْعَمِيدُ بْنُ حِزَامٍ ذَاقَ وَذَاقَتْ مِنْهُ عَفْرَاءُ الْحِمَامِ

نهد (بفتح النون وسكون الهاء): مبتدأ خبره المحرور قبله. وأسلم: بضم اللام [كما في الحلة السراء وغيرها]. والشتيت: صفة نهد، وهو المتفرق في البلاد. وعدرة (بوزن غرفة) وجهينة (بصيغة التصغير) معطوفان على نهد بحذف العاطف. يقول ومن أسلم بن إلخاف بن قضاة نهد وجهينة ابنا زيد بن ليث بن سود بن أسلم وابن أخيها عدرة بن سعد بن زيد بن ليث.

قوله فعُدرة: مبتدأ، وذو النُصرة: خبره؛ والنصرة (كغرفة): النصر وحسن المعونة على دفع ضر أو رد عدو. وقوله نصرة خير (بالجر): بدل من النصره قبله. وخير (بوزن جعفر): مدينة كبيرة واقعة بالشمال الشرقي من المدينة على طريق قوافل الشام كانت بها سبعة حصون مشهورة عند العرب وبها مزارع كثيرة وقد سميت باسم رجل من العماليق هو أول من نزل بها اسمه خير بن قانية، ثم سكنها اليهود حتى فتحها رسول الله ﷺ سنة سبع للهجرة. وقوله فأدت: أي أعطت وسلمت، وفاعله ضمير مستتر عائد على خير، والمراد أهلها. والمغرم (بفتح الميم والراء): ما يلزم أداءه من المال أو ما يعطى من المال على كره، جمعه مغارم. ونصرهم (بالجر): عطف على نصرة خير، والضمير فيه عائد على عدرة. ومجمعا

(كمحدث): مفعول به لنصرهم، وهو لقب لقصي بن كلاب، لقب به لأنه جمع قبائل قريش على مكة - كما قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

والانتقام: المكافأة بالعقوبة. وقوله وبرزاحهم (بوزن كتاب): متعلق بخزاع، والضمير المضاف إليه عائد على عذرة. وعداه: جمع عدو، مفعول به لخزاع أيضا؛ وخزاع الشيء (بالتضعيف): قطعه، وفاعله ضمير مستتر عائد على مجمعا.

يقول ومن بني أسلم بن إلخاف بن قضاة بنو نهد وبنو جهينة وبنو عذرة أهل النصرة، وإنما وصفهم بذلك لنصرهم ليهود خيبر من سائر قبائل العرب ونصرهم لقصي بن كلاب حين استعان بهم وبأخيه لأمه رزاح بن ربيعة العذري على محاربة أعدائه من خزاعة حتى انتصر عليهم وانتقم منهم بالقتل ونحاهم عن الحكم بمكة. أما نهد فهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلخاف بن قضاة، ولم يذكر الناظم منه أحدا ووصفه بالشتيت لأن بنيه تفرقوا في البلاد؛ فمنهم نهد اليمن ونهد الشام ونهد بني تغلب ونهد كلب وغيرهم.. ومن أبناء نهد بن زيد: مالك وصباح وحزيمة وزيد ومعاوية وكعب وأبو سودة، وهؤلاء نهد اليمن يسكنون بقرب نجران وكلهم بطون وقد كتب لهم النبي ﷺ كتابا. ومنهم حنظلة حكيم العرب والطول ومرة؛ وهؤلاء هم نهد الشام. ومنهم أبان بن نهد؛ ودخلوا في بني تغلب. ومنهم عامر بن نهد، ودخلوا في بني عليم من كلب. ومنهم عمرو بن نهد، ودخلوا في بني عدي بن جناب من كلب أيضا. وشبابه وعابرة، ودخلوا في تنوخ.

والشرف في بني نهد في رفاعة وزوي ابني مالك بن نهد بن زيد منهم. ومن نهد بن زيد: الشاعر دويد بن نهد كان أحد المعمرين قيل عاش أربعمئة سنة، وقيل أربعمئة وخمسين، وكانت له في العرب آثار ووقائع وغارات؛ قيل أدرك الإسلام وهو لا يعقل وارتجز عند موته فقال:

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ومغنم يوم الوغى حميته ومعصم موشم لويته⁽¹⁾

ومن بني نهد أيضا عبد الله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي كان أحد المتيمين من الشعراء، خرج في الجاهلية هائما على وجهه لا يدري أين يذهب فقتله العشق؛ ومنهم أيضا جفينة النهدي كتب إليه رسول الله ﷺ كتابا فرقع به دلوه، فقالت له بنته: عمدت إلى كتاب سيد العرب فرفعت به دلوك! فهرب ثم جاء بعد مسلما. ومنهم المحدث أبو عثمان عبد الرحمن بن مُل بن عمرو بن عدي النهدي. ومنهم قسورة بن معلل بن الحجاج النهدي ولي سجستان أيام بني أمية. وقد بعث رسول الله ﷺ عدة كتب إلى عدة أحياء من بني نهد هؤلاء.

وأما عذرة فهو ابن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلخاف بن قضاة، ويعرف سعد أبو عذرة هذا بسعد هذيم وسعد بن هذيم؛ وهذيم (بالتصغير) عبد حبشي حضن سعدا فنسب إليه وعرف به، وأم عذرة عاتكة بنت

(1) المغنم: ما يؤخذ من الحارين في الحرب قهرا وعنوة. والوغى: الحرب لما فيها من الجلبة والصوت. وحميته: أي منعته. والمعصم: موضع السوار من الساعد ويطلق على اليد. والوشم: غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر. ومن المعمرين من العرب سوى دويد هذا - ممن زاد على المائتين والثلاثمائة - زهير بن جناب الكلبي الآتي ذكره وعبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري وذو الأصبغ العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان - وكان قد أسود رأسه بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد انحناؤه - وفيه يقول سلمة بن الخرشب:

فنصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولا ثم قوم فأنصاتا

وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه ولكنسه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب - [الروض الأنف]. والهنيدة: مائة.

مر بن أد بن طابخة (أخت تميم بن مر). وبنو عذرة هؤلاء مشهورون بشدة العشق، وإليهم ينسب العشق والتيمم فيقال "الهوى العذري". ومما يحكى أنه قيل لأعرابي منهم: ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة؟ قال: لركة في القلوب وعفة في الأبدان، وقيل لآخر منهم: ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة إنما ذلك ضعف فيكم يا بني عذرة؟ فقال: أما والله لو رأيتم النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج وفوقها الحواجب الزجاج⁽¹⁾ لاتخذتموها اللات والعزى!. وكان العشق والجمال معروفين في بني عذرة.

وقد تفرعت من عذرة وإخوته بني سعد هذيم بطون كثيرة؛ فمن بني عذرة بنو عامر وبنو كبير وبنو رفاعة وبنو حُن بن ربيعة وغيرهم.. فمن بني كبير بن عذرة رزاح بن ربيعة بن حرام (أخو قصي لأمه). ومن بني حُن بن ربيعة عروة بن حزام وابنة عمه عفراء بنت مهاصر، ومنهم جميل بن عبد الله بن مَعْمَرِ وابنة عمه بثينة بنت يزيد بن الحليس، وقيل بنت حبار بن ثعلبة؛ قيل كانت لأبيها صحبة، وزوجها نبيه بن الأسود بن الحليس العذري. وكان جميل قد عشقها وهو غلام فلما كبر خطبها فرد عنها⁽²⁾، فقال فيها الشعر وكان يأتيها وتأتيه وكان غزلاً، وهو أحد

(1) النواظر: جمع ناظرة: للعين. والدعج (بضم فسكون): جمع دعجاء وهي شديدة السواد والبياض مع سعتها. والمباسم: جمع مبسم (بفتح الميم وكسر السين) وهو الثغر. والفلج (بضم فسكون): جمع أفلج وهو المنفرج الأسنان المتباعدها حلقة. والحواجب: جمع حاجب وهو العظم الذي فوق العين بلحمه وشعره لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس. والزج (بضم الزاي وتشديد الجيم): جمع أزج وهو الذي دق في طول وتقويس.

(2) قيل كان أول ما علق جميلُ بثينةً أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردتها واديا يقال له "بغيض" فاضطجع وأرسل إبله مصعدة، وأهل بثينة بذنب الوادي؛ فأقبلت بثينة - وهي إذ ذاك جويرية صغيرة - ومعها جارة لها وارتدت الماء فمرتا على فصالٍ لجميلٍ بُرُوكٍ فنفرتهن بثينة فسبها جميل فافتزت عليه فملح

عشاق العرب؛ وكان ذا عفة على عشقه وتغزله، وكان في عهد الأمويين.

ومن بطون بني سعد: هذيم الذين دخلوا في إخوتهم بني عذرة فصاروا منهم بالأخوة والحلف: بنو الحارث وبنو سلامان وبنو معاوية وبنو وائل؛ فمن بني الحارث هدبة بن الخشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة الذي قتله هدبة، ومنهم المسور بن زيادة الذي قتل هدبة بأبيه، ومنهم النخار بن أوس كان أنسب العرب. وقد وصف الناظم بني عذرة هؤلاء بالنصرة ثم بين ذلك بنصرهم ليهود خيبر ونصرهم لقصي بن كلاب القرشي؛ أما نصرهم ليهود خيبر فإشار به إلى أن يهود وادي القرى - وهو واد بين المدينة وخيبر كانت به قرية من قرى اليهود - كانوا قد أنزلوا به معهم بني عذرة بن سعد على أن يمنعهم من العرب ومن قبائل بلي، وعلى اليهود بذلك لهم طعمة أو خراج كل عام، واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام. وإلى ذلك أشار بقوله: نصره خيبر فأدت مغرما.

نصر بني عذرة لقصي على خزاعة

وأما نصرهم لقصي فأشار به إلى نصرهم له في حربه مع خزاعة على ولاية البيت الحرام. وحاصلها أن خزاعة لم تنزل بعد جرهم أهل مكة وسدنة البيت يفتحونه متى شاءوا ولمن شاءوا حتى كان زمن قصي بن كلاب ولوا عليه أبا غبشان الخزاعي فكان رئيسا عليهم ويلى سدانة الكعبة، فاجتمع يوما مع قصي في

----->>>

إليه سبابها ثم قال:

وأول ما قاد المسودة بيننا بوادي بغض يا بئس ميبابُ
وقلنا لها قولاً فجاءت بمنله لكلّ كلام يا بئس جواب

ثم قال حين زوجها أهلها من نبيه بن الأسود:

لقد أنكحوا جهلاً نبيها ظعينة لطيفة طي الكشح ذات شوى خذل

شرب بالطائف فشرّب أبو غبشان حتى سكر فاشترى منه قصي مفاتيح البيت بزق
خمر وأشهد على ذلك، فلما أفاق أبو غبشان ندم؛ فضربت العرب به المثل في
خسارة الصفقة فقالوا: "أخسر صفقة من أبي غبشان".

ولبعض الشعراء في ذلك:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر وبيست صفقة البادي

باعت سدانتها بالزرر وانصرفت عن الحطيم⁽¹⁾ وظل البيت والنادي

ثم أرادت خزاعة انتزاع المفاتيح من قصي؛ فجمع بني عمومته من قريش وكنانة
وقال: يا بني إسماعيل هذه مفاتيح بنية أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم، واستنصر
بني عذرة - وخاصة منهم أخاه لأمه رزاحا بن ربيعة بن حرام - فنصروه فتقاتلت
قريش وخزاعة، فانتصر قصي على خزاعة وقتل منهم عددا كثيرا ثم تداعوا إلى
الصلح فتحاكموا إلى حاكم كنانة يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن
بكر الليثي، ففضى لقصي بالمفاتيح وتولية الكعبة وأمر مكة والدية في قتلى قريش
وكنانة وقضاعة وأهدر دماء خزاعة، فسمي لذلك بـ"الشدّاخ"⁽²⁾. وإلى هذا أشار
بقوله: ونصرهم مجمعا فانتقما.. إلخ.

وفي صفقة قصي وأبي غبشان يقول الشاعر:

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر⁽³⁾ خزاعه

(1) سدانتها: خدمتها للكعبة. والزرر: القليل. والحطيم: جدار حجر الكعبة، وقيل ما بين الركن وزمزم
والمقام، أو بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود
إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء؛ وكانت الجاهلية تتحالف هناك.

(2) أصل الشدخ: الكسر يريد أنه شدخ دماءهم أي أهدرها وأبطلها ولم يجعل فيها دية.

(3) يعني ببني فهر قريشا.

فلا تلحوا قصيا في شـراه ولوموا شيخكم أن كان باعه

وأم قصي بن كلاب فاطمة بنت سعد الخثعمية، تزوجها ربيعة بن حرام العذري بعد موت كلاب عنها أو طلاقه لها فولدت له رزاحا ، فكان أخوا قصي لأمه؛ وقد سار بها ربيعة بن حرام إلى أهله، فمن ثم سمي ابنها قصيا لأنها أقصته عن عشيرته - أي أبعدته عنها - وترى قصي في حجر ربيعة حتى شب وهو لا يعلم أنه من قريش ولا يرى إلا أنه من بني عذرة، فكانوا أصدقاءه ونصروه في حربه مع خزاعة هذه. ورزاح هذا هو ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عذرة العذري، وهو الذي أحلى بني نهد وبني جرم من بلاد قضاة وأخرج بني عمه رفاعة بن عذرة من جملة بلاد بني عذرة. والشرف في بني عذرة في بيت ضنة بن عبد كبير، وقد قدم وفد عذرة على النبي ﷺ سنة تسع فقال: «ممن القوم»؟⁽¹⁾ فقال متكلمهم: من لا تنكر.. نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه الذين عضدوه وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة ولنا قرابات وأرحام، فقال صلى الله عليه وسلم: «مرحبا بكم وأهلا»⁽²⁾. فأسلموا ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية فأقاموا أياما ثم انصرفوا وقد أجزوا.

قوله : وهدبة (بدال مهملة فموحدة بوزن غرفة): مبتدأ. والتوى (بمثنأة): الهلاك. وتشجع: تكلف الشجاعة وهي الجرأة والإقدام وشدة القلب عند البأس. وقوله منهم: خبر عن هدبة، والضمير فيه عائد على عذرة. وعروة (بالرفع): عطف

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته.

على هدبة. والعميد وابن حزام: صفتان لعروة؛ والعميد (بوزن أمير): الشديد الحزن الذي هده العشق؛ وحزام: بالحاء المهملة والزاي (بوزن كتاب)، وقيل هو حزام بالذال المعجمة مكان الزاي. والضمير في منه: عائد على عروة. وعفراء: فاعل ذاقت. والحمام (بكسر الحاء المهملة): الموت، وتنازعه بالمفعولية كل من ذاق وذاقت، وفاعل ذاق ضمير مستتر عائد على عروة.

يعني أن من بني عذرة ثم من بني الحارث بن سعد هذيم منهم: هدبة بن الخشرم الذي أظهر الشجاعة بعد القتل، ومن بني عذرة أيضا ثم من بني حن بن ربيعة منهم: عروة بن حزام بن مالك وابنة عمه عفراء اللذان قتلها العشق.

أما هدبة فهو ابن الخشرم بن كرز بن أبي حية بن سلمة الكاهن بن أسحم بن عامر بن ثعلبة الكاهن بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم العذري الحارثي، وقد مر أن بني الحارث إخوة عذرة ودخلوا فيهم، فهم - مع كونهم إخوتهم - حلفاؤهم؛ فلذلك عدّه الناظم في بني عذرة ونسبه إليهم (وتقدم أن ذلك سائغ ومستعمل بكثرة). وكان هدبة شاعرا وله إخوة شعراء وأمه شاعرة⁽¹⁾.

قصة هدبة بن الخشرم وقتله بدم زيادة بن زيد

وحاصل قصته التي أشار إليها الناظم أنه أقبل مرة من الشام في ركب من قومه حجاج وفيهم ابن عمه زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرّة بن حنش بن عمرو

(1) أما إخوته فهم حوْط وسيحان والواسع، وأما أهمهم فهي حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأذنين، وقد روي أنه مرت كاهنة بأم هدبة هذه وهو وإخوته نيام بين يديها فقالت: يا هذه إن الذي معي - تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مواخاته - يخبرني عن نبيك هؤلاء بأمر، قالت وما هو؟ قالت: أما هدبة وحوط فيقتلان صبورا وأما سيحان وواسع فيموتان كمدًا، فكان كذلك. [كتاب الأغاني].

بن ثعلبة الكاهن، وكانا يتعاقبان سوق الإبل؛ وكانت مع هدبة أخت له اسمها فاطمة، فنزل زيادة مرة فجعل يرتجز ويقول:

عوجي علينا واربعي يا فاطما	ما بين أن يبرى البعير قائما ⁽¹⁾
أما ترين الدمع مني ساجما	حذار دار منك لن ثلاثما ⁽²⁾
فعرججت مطرداً غراهما	فعماً يئذ القطف الرواسما ⁽³⁾
كأن في المثناة منه عاتما	إنك والله لأن تباغما ⁽⁴⁾
خوداً كأن البوص والمآكما	منها نقاً مخالط صرائما ⁽⁵⁾
خير من استقبالك السماثما	ومن منادٍ يتغىي معاكما ⁽⁶⁾

فلما سمعه هدبة يتغزل بأخته غضب ونزل عن بعيره وجعل يرتجز ويتغزل بأخت زيادة؛ وكانت تدعى أم قاسم أو أم حازم فقال:

لقد أراني والغلام الحازما	نرجي المطي ضمرا سواهما
متى تقول القلص الرواسما	يحملن أم قاسم وقاسما ⁽⁷⁾

(1) أي ما بين مناخ البعير وقيامه.

(2) سحج الدمع سحوما: سال قليلا أو كثيرا وانصب فهو ساجم. وقوله حذار دار.. الخ: يريد حذار أن تنزلي دارا بعيدة غير ملائمة، ويعني بعدم ملائمة الدار أن تصد عنه.

(3) المطرد: المتتابع السير والعراهم: الشديد من الإبل. والفعم: الضخم. والقطف: جمع قطوف: بطيئة السير. والرواسم: الإبل التي تسير سير الرسيم وهو سير فوق العنق.

(4) المثناة: الزمام. والعائم: السابح. وتباغم: تكلم.

(5) البوص: العجز. والمآكم: رؤوس الافخاذ. والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: جمع صريمة وهي القطعة من معظم الرمل كالصريم.

(6) خير (بالرفع): خير المصدر المؤول (أن تباغم) في البيت السابق. والسماثم: جمع سموم: الحر الشديد. والمآكم (بضم الميم وكسر الكاف): المعين على شد العكم وهو العذل ما دام فيه المتاع؛ يقول: إن مناجاتك للحسناء الثقيلة الردين خير من الشد والترحال في الهواجر ومن مناد يستعينك على شد رحاله.

(7) تقول: بمعنى تظن، وفي رواية: متى تظن القلص.. الخ، والقلص: جمع قلووص الفتية من الإبل، وجملة: يحملن أم قاسم.. مفعول "تقول" الثاني.

إذا هبطن مستحيرا قائما ورفع الحادي لها الهماهما⁽¹⁾
 أما ترين⁽²⁾ الحزن مني دائما حذار دار منك لن تلامتا
 والله لا يشفي الفؤاد الهائما تمسأحك اللبات والمآكما⁽³⁾
 ولا اللمام دون أن تُلازما ولا اللثام قبل أن تفاقما⁽⁴⁾ .. إلخ.

فلما سمعه زيادة غضب وشمته، فشمته هدبة زيادة.. وتسأباً طويلاً؛ فصاح بهما القوم: إنا لقوم حجاج، اركبا لا حملكما الله! وخافوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما عن الآخر على ما في نفسه؛ وهدبة أشدهما حقاً لأنه رأى أن زيادة قد ضامه حين تغزل بأخته وهي تسمع قوله، وكانت أخت زيادة غائبة. فمضيا ولم يتحاورا حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتهما ثم كانا بعد ذلك يتهاديان الأشعار؛ ولم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة حتى أصابها فقتله وهرب؛ وكان والي المدينة إذ ذاك سعيد بن العاص من طرف معاوية، فرفع إليه خبر هدبة؛ فأرسل إلى عمه وأهله فحبسهم بالمدينة. فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى أمكن

(1) هبطن: نزلن وانحدرن من موضع إلى آخر والضمير فيه للقلص. والمستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي. والقائم: الأسود الخفي البعيد النواحي. والحادي: الذي يسوق الإبل ويحثها على السير ويتغنى لها. والهمام: جمع همهمة وهي الصوت تنوم به المرأة طفلها، واستعاره هنا لخداء الإبل..

(2) في رواية: "الا ترين.."، والخطاب فيهما لأم قاسم.

(3) اللبات: جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر، مأخوذ من لب الشيء أي خالصه وخياره. والمآكم: جمع مأكمة وهي الكفل.

(4) اللمام: الزيارة. وتلازم: من الملازمة وهي المعانقة. واللثام: اللشم وهو القبلية. والفقام: المباضعة؛ يريد أنه لا يشفي صدره أن يسمح باللبات والمآكم أو أن تلم به دون أن تلازمه وليس يشفيه التقييل دون الواقعة.. إلخ، ويريد بذلك إغاظه خصمه..

من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى جاء عبد الرحمن (أخو زيادة) من عند معاوية بكتاب إلى سعيد أن يقيده منه إذا قامت عليه البينة، فكره سعيد الحكم بينهما فأرسلهما إلى معاوية، فلما مثلا بين يديه قال معاوية: يا هذبة قل، فأنشأ هذبة ارتجالاً:

ألا يا لقومي للنوائب والدهر وللأرض كم من صالح قد تأكمت
وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري عليه⁽¹⁾ فوارته بلماعة قفر
فلا تتقي ذا هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقير

إلى أن قال:

رُمينا فرامينا فصادف رمينا منايا رجال في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فإن تك في أموالنا لم نضق بها ذراعاً وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك يا هذبة قد أقررت بقتل صاحبهم⁽²⁾؛ ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم: المسور، وهو غلام لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه. فأمر برد هذبة إلى المدينة وحبسه حتى يبلغ المسور؛ ولما بلغ ذهب به عبد الرحمن إلى والي المدينة وهو سعيد بن العاص - وقيل مروان بن الحكم - فعرضت على آل زيادة الدية وكان ممن عرضها عليهم الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فأبوا إلا القود فسأل سعيد بن العاص أخوا زيادة أن يقبل منه الدية وقال: أعطيك ما لم يعط أحد من العرب مائة ناقة حمراء ليس فيها ذات داء، فقال: والله لو نقبت لي قبلك هذه ثم ملأتها ذهباً ما رضيت بها. ولم يزل سعيد يسأله حتى عرض عليه

(1) أي صارت أكمة فوقه.

(2) الاقرار يتضمنه قوله: رُمينا فرامينا.. الخ البيت.

ست ديات فابى، فدفعه إليهم فلما أخرج هدبة من السجن للقتل التفت فرأى أبويه
وهما يتوقعان الشكل بأسوأ حال، فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليوم صبرا منكما إن حزننا إن بدا بادئ شر
لا أراني اليوم إلا ميتا إن بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فإني صابر كل حي لقضاء وقدر

ثم التفت فرأى امرأته - وكانت من أجمل النساء - فقال:

أقلي عليّ اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا⁽¹⁾
ضروبا بلحيه على عظم زوره إذا القوم هشوا للمعالي تقنعا
وخلي بذي أكرومة وحمية وصبرا إذا ما الدهر عض فأسرعا

فقالت لهم: أمهلوه قليلا فمالت إلى جزار وأخذت شفرته فجدعت بها أنفها
فجاءت تدمي فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ فطابت نفسه؛ فضرب بها
المثل في الوفاء⁽²⁾. فسلم لآل زيادة ليقتلوه وهو مقيد بالحديد فقال:

(1) وفي بعض الروايات:

سأوصيك إن فارقتني أم مالك وبعض الوصايا في اماكن تنفعا
فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
ولا قرزلاً وسط الرجال جنادفاً إذا ما مشى أو قال قولاً تبلتعا
ضروبا بلحيه.. الخ.

والقرزُلُ (بالضم): اللثيم. والجنادفُ (كعلابط): الجافي الجسيم من الناس والغليظ القصير.
(2) وفي كتاب "الأغاني" أن رجلاً من عذرة قال: بينما أنا يوماً أسير في بعض مياه بلادنا إذا بامرأة
تمشي أمامي لها خلق عجيب من عجز وهيئة وتمام جسم وكمال قامة وإذا صبيان قد اكتفاهما
يمشيان قد ترعرعا، فتقدمتها والتفت إليها فإذا هي أفتح منظر مجدوعة الأنف مقطوعة الشفتين،
فسألت عنها فقيل لي هذه امرأة هدبة تزوجت بعده رجلاً فأولدها هذين الصبيين [انتهى].

<<=

فإن تقتلونني في الحديد فإنني قنلت أحاكم مطلقا لم يقيد

فقالوا: والله لا نقتلك إلا مطلقا من وثاقتك، فأطلق؛ فدفعت عبد الرحمن السيف إلى ابن أخيه المسور بن زيادة وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك. فلما قام إليه استأذنه في أن يصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وقال لمن حضره: لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما؛ ثم قال لهم: بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثا، وفي رواية أنه قال لهم: علامة عدم جزعي من الموت أن أركض برجلي اليسرى ثلاثا بعد قتلي. فضربه المسور ضربتين قتله فيهما ففعل هدبة برجله ما قال. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله بعد التوى تشجعا. ومن شعر هدبة بن الحشرم وهو في السجن:

فلما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والأطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبج به ذكرتك إن الأمر يعرض للأمر

ومن شعره فيه أيضا:

طربت وأنت أحيانا طروب وكيف وقد تَعَلَّكَ المشيب؟
يُجِدُّ النَّأْيُ ذَكَرَكَ فِي فَوَادِي إِذَا ذَهَلَتْ عَلَى النَّأْيِ الْقُلُوبُ
يُورِقُنِي اكِتَابُ أَبِي نَعِيمٍ⁽¹⁾ فَقَلْبِي مِنْ كَأَبْتِهِ كَنِيْبُ
فقلت له هـذاك الله مهلا وخير القول ذو اللب المصيب⁽²⁾

ولقد صدق الشعراء حين قالوا:

وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدها فليس لمخضوب البنان يمين!
إن امرءاً غرّه منكنّ واحداً بعدي وبعذك في الدنيا مغرور
إن من غرّه النساء بشيء بعد هندي لجاهل مغرور
كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحبّ حبها خيتعور

(1) هو ابن عم له قيل كان مسجوناً معه وقيل بل زاره في السجن فأحزنه.

(2) أي قول ذي اللب.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه
 فيأمن خائف ويُفكُّ عان
 ألا ليت الرياح مسخرات
 فتخبرنا الشمال إذا أتتنا
 فإننا قد حللنا دار بلوى
 فإن يك صدر هذا اليوم ولى
 وقد علمت سليمى أن عودي
 وأن خليقتي كرم وأنى
 أعين على مكارمها وأغشى
 وقد أبقى الحوادث منك ركنا
 على أن المنيعة قد توافي
 وأنى في العظامم ذو غناء
 وأنى لا يخاف الغدر جاري
 وكم من صاحب قد بان عني
 فلم أبد الذي تحنو ضلوعي
 مخافة أن يـراني مستكينا
 ويشمت كاشح ويظن أنى
 فبعذك سدت الأعداء طرقا
 وأنكرت الزمان وكل أهلي
 وكنت تقطع الأبصار دوني

يكسون وراءه فرج قريب
 ويأتي أهله الرُّجُلُ الغريب
 بما نهوى تباكر أو تؤوب
 وتخبر أهلنا عنا الجُبوب
 فتخطئنا المنايا أو تصيب
 فإن غدا لناظره قريب
 على الحدثنان ذو أيد صليب
 إذا أبدت نواجذها الحروب
 مكارمها إذا كسع الهيوب
 صليبا ما تؤيسه الخطوب
 لوقت، والنواب قد تنوب
 وأدعى للفعال⁽¹⁾ فأستجيب
 ولا يخشى غوائلي القريب
 رميت بفقده وهو الحبيب
 عليه وإنني لأنا الكئيب
 عدو أو يساء بي القريب
 جزوع عند نائبة تنوب
 إلى وراي دهرٌ يـريب
 وهرتني لغيتك الكليب⁽²⁾
 وإن وغرت من الغيظ القلوب

(1) الفعال (بافتتح): الكرم والمجد.

(2) الكليب: جمع كلب، كعبد وعبيد؛ قال علقمة بن عبدة:

تعفق بالأرطى لها وأرادها رجال فبذت نبلهم وکلب

عروة بن حزام وموته بعشق عفراء

وأما عروة فهو ابن حزام بن مالك الشاعر العذري أحد عشاق العرب المشهورين بذلك؛ كان إسلامياً تابعياً في زمن معاوية بن أبي سفيان، وابنة عمه عفراء بنت مهاصر بن مالك العذرية وقد نشأ عروة في بيت أبيها مهاصر بن مالك، لأنه كان عمه وتربى في حجره حتى بلغ فعلقها علاقة الصبي، فكان عروة يسأل عمه أن يزوجه منها ويعدده بذلك، حتى خرجت غير لأهله تريد الشام فخرج عروة فيها. فوفد على مهاصر بن مالك - والد عفراء - ابن عم له من البلقاء يريد الحج فخطبها عنده فزوجه إياها فخرج بها إلى أهله. فأقبل عروة في غيره حتى كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جمل أحمر فقال لأصحابه: والله لكأنها شمائل عفراء، فقالوا: ويحك ما ترك ذكر عفراء لشيء! فلما دنا القوم منه وتبين الأمر ييس قائماً لا يتحرك ولا يجد كلاماً ولا يرجع جواباً، حتى بعد القوم فأنشأ يقول:

وإني لتعروني لذكراك روعة	ها بين جلدي والعظام ديب
فما هو إلا أن أراها فجاءة	فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأي الذي كنت أرتمي	وأنسى الذي أحببت حين تغيب
ويضمّر قلبي عذرها ويعينها	عليه فما لي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها	قريباً وهل ما لا ينال قريب؟
حلفت برب الراكعين لربهم	خشوعاً وفوق الراكعين رقيب
لئن كان برد الماء حران صادياً	إليّ حبيبا إنها لحييب
فقلت لعراف اليمامة داوني	فإنك إن أبرأتني لطيب
فما بي من حمى ولا مس جنة	ولكن عمي الحميري كذوب
عشيّة لا عفراء دان مزارها	فترجى ولا عفراء منك قريب
فلست برائي الشمس إلا ذكرتها	ولا البدر إلا قلت سوف تؤوب

ثم انصرف عروة إلى أهله وأخذ البكاء والهيام حتى نحل ولم يبق منه شيء فقال قوم هو مسحور وقال آخرون به جنة؛ وإن باليمامة طبيبا له تابع من الجن وهو أطب الناس فلو أتيتموه لعل أن يشفيه الله على يديه، فساروا إليه من أرض بني عذرة فجعل يسقيه ويرقيه وهو يزداد سقما وجعل عروة يقول:

جعلت لعراف اليمامة حلة وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يتدران
فما تركا من رقية يعلمانها ولا شربة إلا بها سقياني
وقالا: شفاك الله، والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

وقد تعددت الحكايات في صفة موته؛ فعن النعمان بن بشير قال: مررت يوما ببيت منحاز عن حي من عذرة فإذا فيه عجوز بإزائها رجل مستلق، فلما رأني ترم وقال: جعلت لعراف اليمامة حلة.. إلخ ثم شهق فمات؛ قال فسألت العجوز فقالت: هذا عروة بن حزام صاحب عفرأ؛ لم يتكلم منذ سنة وقد سمعته اليوم يقول:

من كان يا صاح أمسى باكيا أبدا إني أراني بهذا اليوم مقبوضا

من قصيدة طويلة. قال فجهزناه؛ ثم مر بعد ذلك ركب على منزل عفرأ فقال أحدهم:

ألا أيها القصر المغفل أهله بحق نعينا عروة بن حزام

فسمعتة عفرأ فقالت:

ألا أيها الركب المجدون ويحكم بحق نعيتم عروة بن حزام؟

فقال أحدهم:

نعم قد تركناه بأرض بعيدة مقيما بها في سبب وإكام

فقال:

فإن كان حقا ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقي الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام
 ولا وضعت أنثى شريفا كمثلها ولا فرحت من بعده بسلام
 ألا لا بلغتم حيث وجهتم له ونفصتم لذات كل طعام

ثم سألتهم: أين دفنتموه؟ فأخبروها؛ فسارت إلى قبره فلما قربت منه قالت: إني أريد قضاء حاجة، فأنزلوها فانسلت إلى قبره فبكت عليه فما راعهم إلا صوتها، فلما سمعوها بادروا إليها فإذا هي ممدودة على القبر قد خرجت روحها.

وفي رواية أخرى أنه لما قدم مع العير وهو في غاية الحزن والبكاء جعلت أمه وأخواته يعالجنه، فقال لمن يوما: ليس دائي ولا دوائي إلا شخص مقيم بالبلقاء هو عفراء فلو نظرت إليها للذهب وجعي، فذهبوا به حتى نزلوا بالبلقاء مستخفين فكان لا يزال يلتم بعفراء ينظر إليها، وكانت عند رجل كريم سيد كثير المال؛ فبينما عروة على حاله إذ مات، ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها: قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغك وإنه بلغني أنه قد مات بأرض غربة فإن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوة من قومي فيندبته ويكيين عليه، فأذن لها فخرجت إليه فلم تنزل تبكيه حتى ماتت ودفنت بجانبه. وإلى هذا أشار بقوله: ذاق وذاقته منه عفراء الحمام.

ولما أنهى الكلام على بني بلي شرع في ذكر بني جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم، فقال رحمه الله:

وَمِنْ جُهَيْنَةَ الَّذِي أَلْقَى السَّلْمَ إِلَى أُسَامَةَ وَإِيَّاهُ أَتَهُمْ
 وَرَهْطُهُ بَنُو الضَّرَامِ الْحَرْقَةَ شَهَابُ جَمْرَةَ لَطَاهُ حَرْقَهُ
 عَوْسَجَةٌ لَهُ عَلَى أَلْفِ عَقْدٍ خَيْرُ نَبِيٍِّّ مِنْ جُهَيْنَةَ يُعَدُّ
 وَمَعْبُدٌ وَسُرْقُ الَّذِي أَمَرَ بَيْعِهِ فِي دَيْنِهِ خَيْرٌ مُضَرٌّ
 عُمَيْرُ النَّاهِضُ مِنْ كَفْنِهِ وَقُصْلُ الْمَدْفُونِ فِي مَدْفِنِهِ

هنا انتهى عمرو وأسلم أخوه

قوله الذي ألقى السلم: مبتدأ خبره المجرور قبله، والمراد به مرداس بن نهيك الجهني؛ ومعنى ألقى السلم أي استسلم وانقاد. وأسامة هو الحب بن الحب أسامة بن زيد بن حارثة. وإياه: مفعول به مقدم لاتهم وهو عائد على الذي ألقى السلم الذي هو مرداس، وفاعل اتهم ضمير مستتر عائد على أسامة. ورهطه: مبتدأ، والضمير فيه عائد - أيضا - على مرداس الذي ألقى السلم، وبنو الضرام (ككتاب): خبره. والحرقة (بضم الحاء المهملة): بدل من بنو الضرام؛ وهو في الأصل بوزن غرفة وحرك هنا مخافة السناد⁽¹⁾. وشهاب جمرة: مبتدأ خبره جملة لظاه حرقه. واللظى: لهب النار الخالص لا دخان فيه، ولظى من أسماء جهنم [أعاذنا الله منها].

يعني أن مرداس بن نهيك وشهاب بن جمرة من جهينة ثم من بني الضرام بن مالك منهم.

أما جهينة فهم قبيلة عظيمة كانوا من أكثر عرب الصعيد في الديار المصرية وهم أصحاب المثل المشهور "وعند جهينة الخير اليقين" وهو مثل يضرب في معرفة حقيقة الأمر⁽²⁾؛ وأصله أن الحصين الغطفاني خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الأخنس بن كعب، وكان كل منهما فتاكا غادرا فوجدا رجلا من بني لخم عنده طعام وشراب فدعاهما فنزلا وأكلا وشربا معه ثم ذهب الأخنس لبعض شأنه ورجع فإذا اللخمي يتشحط في دمه فقال للحصين: ويحك كيف فتكت بالرجل بعد

(1) السناد (بكسر السين المهملة): هو في القافية اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحركات وحروف المد وهو من عيوب الشعر.

(2) يقال: "فلان جهينة الأخبار" أي يعرف يقينها.

أن تحرمننا بطعامه وشرابه؟ فأجابه: اقعده.. فقد خرجنا لمثل هذا!. ثم شربا وتحديثا؛ وكان الحصين يشاغله ليفتك به، ففطن الجهني لمراده. وبعد ساعة قال له الحصين: يا أبا جهينة هل أنت زاجر للطير؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العقاب؟ فأجابه: وأين تراها؟ قال: هي هذه، ورفع رأسه إلى السماء فوضع الجهني بادرة سيفه في نحره وقال: أنا الزاجر والناحر! واحتوى على أسلابه وأسلاب اللخمي وانصرف؛ فمر بقوم من قيس وإذا امرأة تنشد الحصين فقال لها من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين الغطفاني، فمضى وهو يقول:

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين

وقال الأصمعي هو جفينة (بالفاء) وهو رجل كان يعلم خير قتيل كان قومه يبحثون عنه وابنة له تنشده، وفيه قال الشاعر:

تسائل عن أبيها كل ركب وعند جفينة الخبر اليقين

وأما بنو الضرام فهم بطن من جهنية، وهم بنو ضرام بن مالك بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن الحرقة - واسم الحرقة هذا الخميس - بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة بن زيد، وسمي بنوه بالحرقة لأنهم حرقوا بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بالنبل أي قتلوهم.

وذكر الناظم من بني جهينة ستة رجال مع الإشارة إلى السابع وهم: مرداس وعوسجة ومعبد وسرق وعمير وقصل وشهاب بن حمرة الجهنيون. أما مرداس فهو ابن نهيك الأسلمي الجهني بالأصل الضمري بالحلف - وقيل الغطفاني ثم الفزاري من بني مرة من أهل فدك - والأول أرجح وعليه درج الناظم.

مرداس بن نهيك وقتل أسامة بن زيد له

وحاصل قصة إلقائه السلم لأسامة التي أشار إليها الناظم أنه صلى الله عليه وسلم بعث سرية كان أسامة أميراً عليها سنة ثمان؛ قال أسامة: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة - وفي رواية إلى الحرقات - من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم - يعني مرداس بن نهيك - فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه وطعنته برمي حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»⁽¹⁾ قلت: كان متعوذاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أصادق هو أم كاذب؟"⁽²⁾، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله فقال: «كيف بلا إله إلا الله؟» قال أسامة: فما زال يكررها ويعيدها حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، ثم قال: «والله لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله». وروي أنه استغفر له وقال: «أعتق رقبة»، وقيل إن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها أسامة بن زيد بن حارثة إلى ناس من ضمرة فيهم مرداس بن نهيك فاقتتلوا قتالاً شديداً فأوجع مرداس في المسلمين ثم انهزم هو وقومه ومنح الله المسلمين أكتافهم فلحق به أسامة ورجل من الأنصار، فلما شهرا عليه السلاح⁽³⁾ قال: لا إله إلا الله فصرف عنه الأنصاري ونظمه أسامة بالرمح فقتله فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟»⁽⁴⁾ فقال أسامة: يا رسول الله إنما قالها خوفاً - وفي رواية إنما

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

(2) أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

(3) شهر السيف بتشديد الهاء: سله من غمده ورفعته.

(4) أخرجه مسلم وأحمد.

كان متعوذا — فقال رسول الله ﷺ: «هلا شققت عن قلبه»؟ ثم قال له: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءك يوم القيامة»؟ فنزل قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽¹⁾، وعاتبه رسول الله ﷺ على ذلك فقال أسامة: يا رسول الله استغفر لي، فجعل لا يزيد على ذلك، ولكنه عذره فعند ذلك حلف أسامة أن لا يقاتل بعد رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا؛ ومن ثم تخلف عن القتال الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقال: إني عاهدت الله أن لا أسل سيفاً على من قال لا إله إلا الله بعد مرداس، فقد عاتبني رسول الله ﷺ حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم؛ أي ليأمن من إثم تلك الفعلة لأن الإسلام يجب ما قبله. وقد روي أن سعد بن أبي وقاص تخلف أيضاً عن تلك الحروب وقال: لا أقاتل مسلماً حتى يقاتله أسامة.

وفي رواية أن مرداساً هذا كان يرعى غنماً له فهجمت عليه تلك السرية فقال لهم: السلام عليكم.. أنا مومن، فظن أسامة أنه إنما ألقى السلام متعوذا فقتله، وقد أشار الناظم بقوله: الذي ألقى السلم إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾، ويقول: وإياه اقم إلى قول أسامة: إنما قالها خوفاً. وقد مر أن الآية نزلت في قتل محم بن جثامة الليثي لعامر بن الأضبط عند قول الناظم: وعامر بن الأضبط الذي السلم.. إلخ.

(1) النساء: الآية: 94.

تنبيه: ذكر القرطبي في تفسيره أن المسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله فإن قال لا إله إلا الله لم يجز قتله، لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله؛ فإن قتله بعد ذلك قتل به وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا أنه قالها متعوذا وخوفا من السلاح وأن العاصم قولها مطمئنا؛ فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها ولذلك قال لأسامة: «أفلا شققت عن قلبه»، وفي الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»⁽¹⁾.

التناول والتشاؤم بالأسماء

ومن جهينة أيضا ثم من بني الضرام بن الحرقة منهم: شهاب بن جمرة الجهني؛ روي أنه قدم يوما على عمر بن الخطاب فسأله عن اسمه فقال: شهاب، فقال: ابن من؟ قال: ابن جمرة، فقال من أي قبيلة؟ قال: بنو الضرام من الحرقة، فقال: أين منزلكم؟ قال: ذات لظى من حرة النار، فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، وفي رواية: ما أظن أهلك إلا قد احترقوا، فرجع إلى أهله فوجدهم قد احترقوا. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله شهاب جمرة لظاه حرقه.

وقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن والأسماء الحسنة وكان يغير بعض أسماء أصحابه وقبائلهم، وأما كنهم إلى أحسن منها؛ فقد مر صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه في طريقهما للهجرة على إبل بالجحفة فقالوا: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لرجل من أسلم، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال:

(1) أخرجه مسلم.

«سلمنا إن شاء الله»⁽¹⁾ فقال لراعيها: «ما اسمك»؟ قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر وقال: «سعدت إن شاء الله»، ولما قدموا قباء نزلوا على كلثوم بن الهدم فنأدى غلاما له يقال له نجيح فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال: «أنجحت يا أبا بكر»، وقال صلى الله عليه وسلم يوما في لقحة عنده: «من يجلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: مرة فقال: «اجلس»، ثم قال: «من يجلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: حمرة، قال: «اجلس»، ثم قال: «من يجلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: يعيش، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحلب»⁽²⁾. وسأل بعض أصحابه عن اسمه فقال: شهاب بن خرفة، فقال: «أنت مسلم بن عبد الله». وكان يقال لمطيع بن الأسود العاصي فسماه رسول الله ﷺ مطيعا. وكان يقال لأم عاصم أخت عمر عاصية فسمها النبي صلى الله عليه وسلم جميلة، وكان يقال لهشام بن عامر النجاري شهاب فسماه هشاما. وجاء عبد الله بن قرط فأسلم فقال له: «ما اسمك»؟ قال: شيطان، قال: «أنت عبد الله بن قرط». وقدم عليه وفد من كندة فقال لهم: «من أنتم»؟ فقالوا: نحن بنو الشيطان، فقال: «بل أنتم بنو عبد الله». وقدم عليه وفد من جهينة فقال: «من أنتم»؟ قالوا: بنو غيان - وكان بلدهم يسمى غواء - فقال: «أنتم بنو رشدان» وسمى بلدهم رشادا. ومر يوما ببئر فسأل عنها فقالوا: اسمها بيسان وهو مالخ، فقال:

(1) أورده الذهبي في سيرته، وفيه: "بُردُ أمرنا وصلح.. إلخ.

(2) أخرجه في الموطأ، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام عند ذلك فقال: يا رسول الله لا أدري أقول أم أسكت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل» فقال له: قد كنت نهيتنا عن التطير، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن» أو كما قال عليه الصلاة والسلام. [الروض الأنف].

«نعمان وهو طيب» فكانت كذلك. ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بدر بجبلين حول الصفراء فسأل عنهما ف قيل: اسم أحدهما مسلح واسم الآخر مخري وعن أهلهما ف قيل: بنو النار وبنو حراق⁽¹⁾، فكرههما وعدل عن المرور بينهما..

وحكي أن بعض العرب مر على قوم فقال لأحدهم: ما اسمك؟ فقال: منيع، وسأل آخر فقال: شديد، وسأل آخر فقال: وثيق وسأل آخر فقال: ثابت فقال لهم: ما أظن الأفعال وضعت إلا من أسمائكم!. وسأل بعضهم رجلا فقال: ما اسمك؟ فقال: بجر فقال: ما كنيته؟ قال: أبو الندى فقال: ابن من؟ قال: ابن فياض، فقال: لا ينبغي لأحد أن يلقاك إلا في فلك!. ومثل هذا لا ينحصر.

قوله: عوسجة (بوزن صومعة): مبتدأ. ومن جهينة: متعلق بـيعد - المبني للمفعول - والجملة خبر عوسجة. وجملة له على ألف عقد: صفة لعوسجة.

يعني أن عوسجة بن حرملة معدود في بني جهينة ومنسوب إليهم وهو عوسجة بن حرملة بن سيرة بن خديج بن مالك بن عمرو بن ذهل بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة الجهني - وقيل حليف لجهينة - وأصله من حمير من غير جهينة، وقد عقد له رسول الله ﷺ لواء على ألف من جهينة يوم الفتح وأقطعه ذا أمر من أرض نجد.

وقوله ومعبد (بوزن مدخل)، وسُرُق (بوزن سُكَّر): معطوفان على عوسجة، وجملة قوله الذي أمر ببيعه.. إلخ: صفة لسرق، وفي أسد الغابة: أصحاب الحديث

(1) بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار؛ وروي في سبب تسمية هذين الجبلين أن عبدا لبني غفار كان يرعى بهما غنماً لسيده فرجع ذات يوم عن المرعى فقال له سيده لم رجعت؟ فقال: إن هذا الجبل مسلح للغنم وهذا الآخر مخري لها فسميا بذلك، وليست كراهيته صلى الله عليه وسلم المرور بهما من باب الطيرة المنهي عنها ولكن من باب كراهية الاسم القبيح.

يقولون سرَّق بتشديد الراء والصواب تخفيفها بوزن غدر وفُسق.

أما معبد فهو أبو زرعة معبد بن خالد الجهني، أسلم قديما وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح وكان من أشد جهينة لزوما للبادية، توفي سنة اثنتين وسبعين وهو ابن بضع وثمانين سنة.

وأما سرق فهو ابن أسد الجهني وقيل دؤلي وقيل أنصاري، كان اسمه الحباب فلقبه النبي ﷺ بسرق لأنه ابتاع يوما من أعرابي من أهل البادية راكبتين كان قد قدم بهما المدينة وأخذهما منه وجاء به إلى دار لها بابان فأجلسه على أحدهما ودخل لياتيه بالثمن فخرج من الباب الآخر وتغيب عنه فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فأمر صلى الله عليه وسلم بالتماسه، فلما أتوا به إلى رسول الله ﷺ قال له: «أنت سرق ما حملك على ما صنعت؟» قال: قضيت بثمانتهما حاجتي، قال: «فاقضه» فقال: ليس عندي شيء، فقال للأعرابي: «اذهب به فبعه حتى تستوفي حقلك منه»، فجعل الناس يسومونه ليفتدوه منه فقال الأعرابي: والله ما منكم من أحد أحوج إلى الله مني اذهب فقد أعتقتك. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: وسرق الذي أمر .. إلخ؛ وقد قيل يوما لسرق: لا ينبغي لك أن تتسمى بهذا الاسم وأنت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: هو اسم سماني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أحب أن أدعى بغيره. وشهد سرق رضي الله عنه فتح مصر وسكن بها حتى مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قوله عمير (بوزن زبير): عطف على عوسجة أيضا بحذف العاطف. والناهض: القائم. والكفن (بالتحريك): ما يُلبسه الميت، جمعه أكفان. وقصل (كزفر): عطف على عمير. والمدفون: المستور، وهو صفة لقصل؛ والمدفن (كمجلس): موضع الدفن. والضمير في كفنه ومدفنه عائد على عمير.

يعني أن من بني جهينة عمير بن جندب والقصل (وهو ابن عم عمير). وأشار

الناظم بهذا البيت إلى ما ورد في القاموس و الحلة السبراء وغيرهما، من أن عميراً بن جندب هذا مات قبيل الإسلام فجهزوه بجهازه، فبينما هم يحفرون قبره إذا به كشف القناع عن رأسه وقال: أين القصل؟ قالوا: سبحان الله مر أنفا فما حاجتك إليه؟! قال: أتيت فقيل لي: لأُمَّكَ الْهَبْلُ، ألا ترى إلى حفرتك تُنْشَلُ، وقد كادت أمك تُنْكَلُ، رأيت إن حولناك إلى مُحَوَّلٍ ثم غُيِبَ في حفرتك القُصَلُ الذي مشى فاحزَّالٌ ثم ملأناها من الجندل أتعبد ربك وتُصَلِّ وتتركُ سبيلَ من أشرك وأضَلَّ؟.. فقلت: نعم، قال: فأفاق عمير وعاش حتى نكح ووُلد له أولاد؛ ولبت القصل ثلاثا ثم مات ودُفن في قبر عمير!.

ومما هو في معنى هذا من الغرائب ما ذكره في سموط الذهب في شرح عمود النسب قال أبو بكر الخطيب: بلغني أن المعروف بـ"حامل كفته" توفي وغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما جاء الليل جاءه نباش فنبش قبره فلما حل أكفانه ليأخذها استوى قائما فهرب النباش فقام وحل أكفانه وجاء إلى منزله وأهله بكفته فطرق الباب فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقالوا: لا يحمل لك أن تزيد على ما بنا، فقال: يا قوم افتحوا فأنا والله فلان فعرفوا صوته ففتحو فعاد حزنها فرحا وسمي حامل كفته!. وروي أيضا أن سعيدا بن الحسين الكوفي لما أدلي في قبره اضطرب فحلت عنه الأكفان ورجع إلى منزله وولد بعد ذلك ابنه مالكا⁽¹⁾.

(1) ومن هذا النوع من الغرائب أيضا قصة ربيعة بن خراش (أخي ربيعي بن خراش)، قال ربيعي: مات أخي فسجنياه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوب عن وجهه ثم قال: السلام عليكم، قلت: سبحان الله أبعد الموت؟! قال: إني لقيت ربي فتلقتني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق: اسرعوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أقسم أن لا يرح حتى آتبه وأدركه وأن الأمر أهون ما تذهبون إليه فلا تغتروا، ثم والله كأنما كانت نفسه حصة فألقيت في طست.

ومن بني جهينة أيضا عقبة بن عامر الجهني الصحابي المشهور المتقدم ذكره.

ومنهم أيضا عدي بن أبي الزغباء واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني الصحابي، حليف بني مالك بن النجار؛ شهد بدرًا وما بعدها مع رسول الله ﷺ وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع بسيسة بن عمرو يتجسسان خبير غير أبي سفيان بن حرب يوم بدر فسارا حتى أتيا قريبا من ساحل البحر. وتوفي عدي هذا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ومنهم أيضا عقربة بن بشير الجهني، استشهد يوم أحد فمر رسول الله ﷺ بابنه بشر وهو يبكي فقال له: «أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أباك». ومنهم رافع بن مكيث بن عمرو الجهني، شهد بيعة الرضوان وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات من أسلم من قومه، من حديثه: «حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم»⁽¹⁾. ومنهم زيد بن خالد الجهني الصحابي، شهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح؛ روى عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وأبي طلحة وعائشة رضي الله عنهم، وروى عنه جماعة كثيرة.

----->>>

ومن غريب الحكايات في هذا المجال، الحكاية التالية المتصلة السند عن العدول، فقد حدثني غير ما مرة محمد (بالذال المعجمة) بن محمد مختار - وهو ثقة مأمون - أنه سمع من العلامة محمد النابغة بن الشيخ محمد بن حبيب الرحمن التندغي ما لا يحصى كثرة قال: حدثني رجل من قبيلة مدلس يقال له محمد محمود بن أكرام أنه ذهب إلى الحج؛ فبينما هو ذات يوم في قوم يدفنون جنازة في مقبرة تسمى بالمعلاة والجنازة موضوعة بينهم والقوم يحفرون لها إذ استوت تلك الجنازة جالسة فقالت: بعثت لأخبركم أن أنفع ما عندنا حبة الصالحين وموالاتهم، ثم رجعت لخالها فدفنوها وذهبوا هـ. ومحمد محمود بن أكرام هذا عالم جليل وقاض كبير إمام مسجد العلامة الكبير باب بن الشيخ سيدي ومعلم بنيه، وكان قد حج ومكث في حجته تلك سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) أخرجه أحمد وفيه: "...والر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء".

ومنهم أيضا عبد الله بن أنيس الجهني الصحابي كان أحد كاسري أصنام بني سلمة الأنصاريين وكان حليفا لهم وشهد العقبة وما بعدها وكان ممن صلى إلى القبلتين ودخل مصر وخرج إلى إفريقية ؛ روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه أولاده وغيرهم.. قيل وهو الذي رحل إليه جابر بن عبد الله مسيرة شهر ليروي عنه حديث القصاص المتقدم. ومنهم أيضا سويد بن صخر الجهني، شهد الحديبية وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح. ومنهم أيضا أسيف جهينة المشهور، كان يشتري الرواحل فيغالي بها ثم يسرع السير فيسبق الحاج فأفلس، فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب فأخذه وقال: أيها الناس إن الأسيف أسيف جهينة رضي من دين الله وأمانته بأن يقال سابق الحاج فأذآن معرضا واليوم قد رين به⁽¹⁾ فمن كان له عليه دين فليغد عليّ بالغداة فلنقسم ماله بينهم بالخصص.

ومن جهينة أيضا عبد العزيز بن بدر بن زيد بن معاوية بن خيشان بن أسعد بن وداعة بن مبدول بن عثم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني الربعي، وفد على النبي ﷺ فقال: «ما اسمك»؟ قال: عبد العزى، فسماه عبد العزيز.

ولما أنهى الكلام على عمرو وأسلم ابني إلخاف بن قضاة، كما قال هنا انتهى عمرو وأسلم أخوه، شرع يتكلم على أخيهم عمران بن إلخاف، فقال رحمه الله:

... ..

 وَمِنْهُ وَبَرَّةُ أَبِو السَّبَّاعِ الْمَالِئِينَ أَوْجُهُ الْبِقَاعِ
 مِنْ كَلْبِهِ زَيْدُ الَّذِي قَضَى وَطَرَ مِنْ زَيْنَبٍ

(1) أذآن: أي اجتهد في حمل الدين. ومعرضا: أي عن قضاة. ورين به: يقال رين بالرجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به - [مختار الصحاح].

قوله أخوهما: مبتدأ والضمير المضاف إليه عائذ على عمرو وأسلم ابني إلهاف المتقدم ذكرهما. وعمران (بالرفع): بدل من أخوهما. وقوله بنوه: مبتدأ خبره الجار والجرور قبله، والضمير فيه عائذ على عمران؛ والجملة خبر عن أخوهما. والطييس: العدد الكثير أو دقاق التراب أو خلق كثير النسل كالنمل والذباب، قال الشاعر:

عددت قومي كعديد الطيس ... إلخ

وقوله وبرة (بالموحدة وبوزن حمزة): مبتدأ خبره الجار والجرور قبله. والضمير في منه عائذ على عمران أيضا. وأبو السباع: صفة لوبرة، وعرف أولاده بالسباع لموافقة أسمائهم أسماء السباع (وبهم سمي وادي السباع) كما مر عند قوله: ومر وائل بن قاسط على وادي السباع.. إلخ. والمالئين: صفة للسباع. وأوجه (بالنصب): مفعول به للمالئين. والبقاع: جمع بقعة، أي المالئين وجه الأرض لكثرتهم. وقوله زيد: مبتدأ خبره الجار والجرور قبله. والضمير في من كلبه: عائذ على وبرة. والمراد بزويد: زيد بن حارثة الكلبي. وجملة الذي قضى.. إلخ: صفة لزويد. والوטר: الحاجة والبقية، يقال قضى منه وطره أي نال منه بغيته، جمعه أوطار؛ ووقف عليه بوفق ربعة. والمراد بزوينب: أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية⁽¹⁾.

يعني أن عمران بن إلهاف تفرعت من أبنائه بطوناً لا تحصى كثرة ملأت السهل والجبل وأن من ولده وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران والد كلب بن وبرة الذي منه الصحابي الجليل مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الكلبي.

هذا وقد عبر الناظم عن كثرة ولد عمران بن إلهاف بتشبيهم بالطييس وجميع ذرية عمران من ولده حلوان؛ وحلوان هذا أمه ضرية بنت ربعة بن نزار بن معد،

(1) أسد خزيمة.

وإليها ينسب "حمى ضرية" المذكور في الأشعار⁽¹⁾. وأولاد حلوان هم ثعلبة وسليح (واسمه عمرو) وزبان وتزيد، وكلهم أبو بطن ذي بطون كثيرة؛ أما تزيدٌ فقيل إن بنيه هم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ودخلوا في تنوخ، وأما زبان فقيل بفتح الزاي المعجمة وتشديد الباء الموحدة، وقيل بالراء المهملة، وهو علاف وإليه تنسب الرجال العلافية⁽²⁾، ومن بطونه بنو جرم؛ منهم بنو شمج بن قدامة بن جرم (بطن) وبنو راسب (بطن) أيضاً؛ ومن جرم هودة بن عمرو بن رياح بن عوف الجرمي له صحبة. ومنهم أسماء بن رثاب بن معاوية بن مالك الجرمي، له صحبة أيضاً؛ وهو الذي خصم بني عقيل إلى النبي ﷺ في العقيق، وهو القاتل في ذلك:

وإني أخو جرم كما قد علمتم إذا جمعت عند النبي المجمع
فإن أتتم لم تقنعوا بقضائه فإني بما قال النبي لقانـع

(1) يعني أن ضرية بنت ربيعة هذه هي التي سمي باسمها موضع "ضرية" الذي يضاف إليه "حمى ضرية" وهو ببلاد نجد، قال نصيب الشاعر:

ألا يا عقاب الوكر وكر ضرية سقيت الغوادي من عقاب ومن وكر
أبيي لنا لا زال ريشك ناعما ولا زلت من رب الحوادث في ستر
أبيي لنا قد طال ما قد تركتنا بعمياء لا ندري أنصبح أم نسري؟

وقال أحد شعراء طيء:

وما زال من قتلي رزاح بعالج دم ناقع أو جامدٌ غير ماصح
دعا الطير حتى أقبلت من ضرية دواعي دم مهراقة غير باـرح

وكانت بضرية هذا منازل بني أكل المرار الكنديين وإليه ينسب "حمى ضرية" الذي كان مرعىً لإبل الملوك. وفي حديث عثمان: كان الحمى حمى ضرية على عهده ستة أميال. وضرية أيضاً اسم قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة وهي إلى مكة أقرب. [لسان العرب وتاج العروس].

(2) ومنه قول النابغة الذبياني:

شعب العلافيات بين فروجهم واخصنات عواذب الأطهار

ومنهم عمرو بن عبد الجن بن عائذ بن سالم الجرمي الذي كان مع عمرو بن عدي وقصير (صاحب المثل) بالحيرة - كما مر.

وأما سليح فممنه بطن يعرفون بالضحاعمة كان لهم ملك وذكر بالشام قبل غسان ومنه بنو العبيد وهم من أشراف العرب. وأما ثعلبة بن حلوان فممنه وبرة بن ثعلبة بن حلوان ومن أولاده كلب وأسد وتمر والبرك وفهد وضيع ودب وذئب وسيد وثعلب وسرحان، أمهم أسماء بنت دريم؛ تفرعت منهم قبائل ضخمة وتفرعت عن تلك القبائل بطون كثيرة. وإلى هذا أشار بقوله: المالمين أوجه البقاع. ومن ولد حلوان خندف بنت حلوان بن عمران بن إلف بن قضاعة القضاعية أم مدركة وإخوته بني إلياس بن مضر.

ومن قضاعة - أيضا - مارية بنت كعب القضاعية أم كعب بن لؤي القرشي. ومنهم أم خزيمه بن مدركة أيضا. أما بنو تغلب بن ثعلبة بن حلوان فدخلوا في كلب، وأما بنو البرك فدخلوا في جهينة، وأما تمر فهم بطون كثيرة دخل بعضهم في بني تغلب وبعضهم في بني سليح وبعضهم في كلب وبعضهم في خزاعة وبعضهم في جشم بن بكر بن هوازن وبعضهم بقي مستقلا.

وأما بنو أسد فمنهم بنو فهم بن تميم الله بن أسد وهم من تنوخ - كما مر - ومنهم بنو قشم (وهم حلفاء لبني تغلب) ومنهم بنو شيع الله الذين منهم بنو القين بن جسر بن شيع الله؛ وبنو القين هؤلاء كانوا يناهضون بني كلب بن وبرة، وكانت لهم كثرة بأطراف الشام وبالأندلس ثم ضعفوا بعد. ومن بني القين أبو الطحماء حنظلة بن الشرقي القيني الشاعر، كان فارسًا صعلوكا محضرما أدرك الجاهلية والإسلام؛ يقال إنه كان تربا للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ونديمه، ومن شعره:

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه

أضاءت له أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ومنه:

ألا عللاني قبل نوح النوائح وقيل ارتقاء النفس فوق الجوانح
وقبل غد يا هف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي تفيض دموعهم وغودرت في لحد علي صفائح
يقولون هل أصلحتم لأخيكم؟ وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح

وكان من المعمرين، يقال إنه عاش مائتي سنة، وهو القائل:

حتني حادثات الدهر حتى كأنني خاتل يدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رأني - ولست مقيدا - أني بقيد

وأما بنو كلب بن وبرة ففرغوا إلى بطون ضخمة، وكان لهم ملك يتداولونه مع السكون (من كندة) وكان لهم ملك دومة الجندل، وجاء الإسلام والمليك بها عليهم أكيدر بن عبد الملك؛ وكتب إليه النبي ﷺ - كما يأتي - ومن بطونهم بنو ثور بن كلب وفيهم بنو ربيعة وبنو عرينة وبنو صحب وبنو كنانة وبنو عدي وبنو زهير وبنو عليم، وكلهم بطون كبيرة.

ومن كلب أيضا بنو عبدة بن هبل (بطن) قيل منهم امرؤ القيس بن حذام الذي يقال إنه هو أول من بكى الديار، وهو شاعر قديم دثر شعره. ومنهم بنو الحصن بن ضمضم بن عدي بن جناب؛ منهم نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ومن بني ربيعة بن ثور بن كلب النسابة المشهور ابن الكلبي وهو من بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة. ومن كلب أيضا مجدل بن أنيف بن دلجة الكلبي، جد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لأمه. ومنهم محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير المشهور. ومن بطون كلب - أيضا - بنو عامر بن عوف، بطن عظيم كانوا في الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام؛ ومن بني عامر هؤلاء زيد بن حارثة ودحية بن خليفة الكلبيان.

ترجمة زيد بن حارثة

أما زيد فهو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن إلف بن قضاعة القاضي الكلبى الصحابى الجليل مولى رسول الله ﷺ وحببه، أمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من بني معن بن طيئ الطائية. روي أنها أتت به قومها تزورهم فأغارت خيول من تهامة لبني القين بن جسر على بني معن بالشام - وكان ذلك في الجاهلية - فاختطفوا زيदा وهو غلام يفعة⁽¹⁾ فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام⁽²⁾ لعتمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وهو ابن ثمان سنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشرين سنة.

ولما فقدته أبوه حارثة بن شراحيل حزن عليه حزنا شديدا وبكى عليه وطلبه في الشام وأطرافه فلم يجده، فقال:

بكيته على زيد ولم أدر ما فعل	أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإنني لسائل	أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر أوبة	فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجبل ⁽³⁾
تذكرني الشمس عند طلوعها	وتعرض ذكره إذا قارب الطفل ⁽⁴⁾
وإن هبت الأرواح هيحن ذكره	فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

(1) يفعة: أي شاب يقال: غلام يفعة وفتاة يفعة أيضا.

(2) وقيل اشتراه من سوق حباشة وهو سوق بناحية مكة كان مجمعا للعرب يتسوقون به في كل سنة.

(3) بجبل: اسم فعل بمعنى حسب.

(4) الطفل (بالتحريك): دنو الشمس للغروب.

سأعمل نص العيس⁽¹⁾ في الأرض جاهدا
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي مني تي
وكل امرئ فان وإن غره الأمل
سأوصي به قيسا وعمرا كليهما
وأوصي يزيدا ثم أوصي به جبل⁽²⁾

ثم اتفق أن حج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، فقال: أبلغوا أهلي
هذه الأبيات:

أحسن إلى أهلي وإن كنت نائيا
فإني قعيد البيت عند المشاعر⁽³⁾
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر
فإني - بحمد الله - في خير أسرة
كرام معد كابرا بعد كابر

فانطلقوا وأعلموا أباه ووصفوا له موضعه وعند من هو؛ فلما أخبروه قال: ابني
ورب الكعبة. فخرج أبوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه حتى قدما مكة -
وكان ذلك قبل البعثة - فسألا عن رسول الله ﷺ فقيل لهما هو في المسجد فدخلا
عليه، فقالا له: يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه
تفكون العاني⁽⁴⁾ وتطعمون الجائع؛ جئناك في ولد لنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا
في فدائه فإننا سنرفع لك، فقال: «من هو»؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال: «فهلا غير
ذلك» قالوا: وما هو؟ قال: «أدعوه وأخبره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن
اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء»، قالوا: قد زدتنا على
النصف وأحسنست؛ فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: «هل تعرف هؤلاء»؟ قال: نعم

(1) النص: استخراج أقصى ما لدى الناقة من السير. والعيس: الإبل.

(2) يعني بقيس وعمرو: أخويه. وبيزيد: أخا لزيد من أمه. وبجبل: جبلة بن حارثة أكبر ولده.

(3) القعيد: المجالس. والمشاعر: جمع مشعر (موضع مناسك الحج).

(4) العاني: الأسير. وفك الأسير: حرره وأطلقه، وفي الحديث: «عودوا المرضى فكوا العاني» وفيه:

«اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان» أي: أسرى أو كالأسرى.

هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! قال: نعم لقد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخذ بيد زيد وخرج به إلى الحجر فقال وهو في نادي قريش وغيرها: «اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه»⁽¹⁾، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا راجعين، وأصبح يدعى زيد بن محمد، ولم يزل كذلك حتى جاء الله بالإسلام ونزل قوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾⁽²⁾ عند ذلك قال: أنا زيد بن حارثة، وصار ينسب إلى أبيه. وتأنيسا له وعوضا من الفخر بأبوة محمد ﷺ ورد اسمه في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾⁽³⁾ فصار اسمه قرآنا خالدا لا يبدا يتلوه أهل الدنيا إذا قرأوا على مر العصور ويتلوه أهل الجنة كذلك أبدا لا يزال على ألسنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا — على الخصوص — عند رب العالمين فهو في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، تذكره في التلاوة السفارة الكرام البررة، وهي منقبة عظيمة لا يشاركه فيها أحد من المؤمنين إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ولما بعث رسول الله ﷺ بادر زيد إلى تصديقه فكان أول من أسلم، وقيل أسلمت قبله خديجة بنت خويلد ثم أسلم هو بعدها. وقد زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مولاته وحاضنته أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن حصن الحبشية التي

(1) أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة، وابن سعد في طبقاته، والبيهقي.

(2) الأحزاب: 5.

(3) الأحزاب: 37.

ورثها من أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فولدت له أسامة. ثم زوجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية من بني أسد بن خزيمه وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فمكثت عنده حيناً ثم جاء زيد إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه خلقها معه، فقال: إن زينب تؤذي بلسانها وتعظم علي بالشرف وتعصي أمري وإني أريد أن أطلقها فأذن لي يا رسول الله في طلاقها، فقال رسول الله ﷺ لزيد: «أمسك عليك زوجك واتق الله فيما تقول عنها»⁽¹⁾. وكان أمره صلى الله عليه وسلم له بذلك على جهة الأدب والوصية لا على سبيل الإيجاب لأن الله تعالى كان قد أوحى إليه أن زيدا سيطلقها، وأنها ستكون زوجة له، ومع ذلك لم يرد أن يأمره بالطلاق أو يأذن له فيه لأنه كان يخشى إرجاف المنافقين بأنه هوى عن تزويج نساء الأبناء، فتزوج زوج ابنه وأخفى ذلك في نفسه ولكن زيدا استمر على ما عزم عليه من طلاقها لما قضى منها الوطر ولم يبق له فيها أرب، فطلقها؛ فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد.

(2) الأحزاب: 37. قوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي بالإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: أي بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي تأمره بذلك مع علمك بأنه سيطلقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ مما أوحى إليك من أن زيدا سيطلقها وأنها ستكون من أزواجك ﴿وتخشى الناس﴾ في شيء قد أباحه الله لك من تزويج زينب بعد طلاق زيد لها استحياء من أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، وإنما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك خشية أن يفتتن الناس ﴿والله أحق أن تخشاه﴾: أي أحق بالخشية.

ولما انقضت عدة زينب قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: «ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب علي»، قال زيد: فذهبت إليها ووليتها ظهري توقيرا للنبي ﷺ وخطبتها عليه ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر⁽¹⁾ ربي، فقامت إلى مسجدها؛ ونزل القرآن بأن الله تعالى زوج رسوله ﷺ منها، فحاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ولا تجديد عقد ولا تقرير مهر. وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع المسلمين؛ ولهذا كانت زينب بنت جحش تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن أبأؤكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات، وكانت تقول لرسول الله ﷺ: إني لأدُلُّ عليك بثلاث ما من نساءك امرأة تدل بمن: إن جدي وجدك واحد وإن الله أنكحك إياي من السماء وإن السفير في ذلك جبريل. وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها سنة خمس للهجرة وقيل سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من أزواجه؛ ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ بادر المنافقون فقالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فنزل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿⁽²⁾﴾، فأذهب الله تعالى بها ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم من ذلك. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أنزل الله على رسوله آية أشد عليه من هذه الآية، ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتماها⁽³⁾.

(1) أمره في أمره ووامره واستامره: شاوره.

(2) الأحزاب: 40.

(3) تعني قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ..﴾ إلى آخر الآية المتقدمة.

ولما طلق زيد بن حارثة زينب بنت جحش زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (أمها أروى بنت كرز وأم أروى هذه البيضاء بنت عبد المطلب عمته صلى الله عليه وسلم) فولدت له زيد بن زيد ورقية، ومات زيد هذا صغيراً؛ وأما رقية فروي أن رسول الله ﷺ أتاهم حين أصيب زيد بن حارثة فلما رآته بكت فبكى صلى الله عليه وسلم لها.

ثم طلق زيد أم كلثوم هذه وتزوج درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب، ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام (أخت الزبير بن العوام).

وكان زيد بن حارثة قد شهد بدرًا وما بعدها واستشهد بمؤتة من أرض الشام وهو أمير على جيشها، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

وأخو زيد بن حارثة هذا جبلة بن حارثة بن شراحيل الكلبي، قدم على النبي ﷺ مع أبيه حارثة - وهو إذ ذاك بمكة - فأقام حارثة عند ابنه زيد ورجع جبلة ثم عاد إلى النبي ﷺ فأسلم. وروي عن جبلة، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أرسل معي أخي، فقال: «ها هو ذا بين يديك إن ذهب فلست أمنعه»⁽¹⁾، فقال زيد: لا أختار عليك يا رسول الله أحداً، قال جبلة: فوجدت قول أخي خيراً من قولي. وكان جبلة أسن من زيد، روي أنه سئل فقيل له: من أكبر أنت أم زيد؟ فقال: زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله (يريد أنه أفضل منه بسبقه للإسلام). وابن عمهم زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات الكلبي كان من المعمرين وهو الذي يقول:

(1) أخرجه الترمذي والحاكم في مسنده، وضعفه الذهبي.

ودحية (بكسر الدال وقد تفتح⁽¹⁾ وبالرفع): عطف على زيد الذي قضى وطرا - المتقدم. وقوله أبهى البشر: أي أحسنهم وأجملهم. والضمير في أرسله: عائد على دحية. والمصطفى فاعل أرسله. وهرقل (بوزن قِمَطْر): اسم ملك الروم؛ وهم جيل من ولد روم بن عيصو بن إسحاق عليه السلام وهم أهل كتاب، ويلقب ملكهم بقيصر⁽²⁾. وقيل هرقل لقب لمن ملك نصارى الشام، وقيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، وخاقان لمن ملك الترك، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وتبع لمن ملك اليمن، وفرعون لمن ملك القبط. قوله وكاد يؤمن.. إلخ: اسم كاد وفاعل يؤمن ونائب أسعف كلها ضمائر مستتره عائدة على هرقل. والضمير في به عائد على المصطفى. وأسعفه: أعانه وساعده. يقول: ومن كلب بن وبرة أيضا دحية بن خليفة الذي أرسله النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فقاربه وهم به لولا أنه خاف قومه على نفسه وملكه فلم يُسلم.

ودهية هذا هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج (وهو زيد مناة) بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي، كان من كبار الصحابة شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وقيل أول مشاهده الخندق. وكان رضي الله عنه من أجمل الناس صورة حتى ضرب به المثل في الجمال، وكان النبي ﷺ يشبهه بجبريل لجماله، وقد نزل جبريل في صورته عدة مرات؛ فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة فقامت تغسل له رأسه

(1) دحية: معناه بلغة اليمن: الرئيس.

(2) قيصر معناه بلسان الروم: البقر الذي بقر بطن أمه عنه وكان أول من تسمى به بقيصرا، فلما ملك وعرف به تسمى به كل من ملك بعده. قاله المسعودي - [الروض الأنف].

قالت: فلما غسلتُ شقه سمعت صوت رجل يسلم علينا من خارج البيت فقام صلى الله عليه وسلم مستعجلاً وخرج من البيت فتبعته إلى الباب فرأيت دحية الكلبي على بغلة بيضاء على وجهه الغبار، فلما عاد رسول الله ﷺ قال: «هذا جبريل أمرني بالمسير إلى بني قريظة»؛ فأمر منادياً ينادي: "يا خيل الله اركبي" (1) ومن كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة" (2). ولما بلغ رسول الله ﷺ هو ومن معه بني النجار في الطريق وجدوهم قد تسلحوا وصفوا على الطريق فقال: «من أمركم بلبس السلاح»؟ فقالوا: دحية الكلبي، قال: «ذاك جبريل عليه السلام ذهب ليزلزل حصونهم»، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «هل مر بكم أحد»؟ قالوا: مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء، فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم» (3) وقد قيل في دحية هذا: أجمل الناس من كان جبريل ينزل في صورته. وكان دحية إذا قدم المدينة من الشام لم تبق معصر (4) إلا خرجت تنظر إليه. وإلى هذا أشار بقوله: ودحية أبهى البشر. وشهد دحية اليرموك وكان يومئذ على كردوس ثم نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية.

قوله **وغلب الفرس فاعل غلب ضمير مستتر عائد على هرقل، والفرس** مفعوله؛ وهم جيل من ولد أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهم مجوس

(1) هو على حذف مضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبوا؛ وهو من أحسن المجازات وألطفها. [عون المعبود شرح سنن أبي داود].

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه أحمد في مسنده بلفظ "من مر بكم"، ورواه ابن هشام وابن كثير في سيرتهما، والبيهقي.

(4) المعصر: المراهقة للحيض، قال الرازي:

جارية بسقوان دارها قد أعصرت أو قد دنا إعصارها .. إلخ

لا كتاب لهم ومن ملك منهم يلقب بكسرى كما مر آنفا.

قوله وكان الغالب: أي قبل غلبة هرقل لهم. والضمير في منهم عائد على الفرس. وممزق الكتاب هو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، والمراد بالكتاب كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه إليه يدعوه فيه إلى الإسلام فمزقه. وقوله الكاتب: صفة لممزق الكتاب الذي هو أبرويز بن هرمز. والقيل (بالفتح): مَنْ دون الملك - كما مرَّ - وبإذان (كساباط): بدل من القيل. والغبي: القليل الفطنة الجاهل (جمعه أغبياء). والابن: مبتدأ، وشيروه (بوزن سيبويه): خبره. وقوله وهو: ضمير عائد على الغبي، أي والابن المسلط اسمه شيروه والأب الغبي المسلط عليه اسمه أبرويز (بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء وكسر الواو الممدودة وسكون الزاي) ومعناه المظفر. وسبط (بالرفع): صفة لأبرويز. وأنوشروان (بفتح الهمزة وضم النون ممدودة وفتح الشين وسكون الراء وفتح الواو ممدودا بعده نون): هو ملك الفرس العادل، وأبرويز سبطه لأنه ابن هرمز بن أنوشروان. وعدها (بالجر): صفة لأنوشروان، والضمير فيه عائد على الفرس. والعزيز: صفة لأنوشروان أيضا. يعني أن الروم بقيادة هرقل هذا غلبت فارس بقيادة كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وأن الغلبة قبل ذلك كانت للفرس على الروم.

غلبة الروم للفرس وكتاب النبي ﷺ إلى هرقل مع دحية

وحاصل ما أشار إليه الناظم من إرسال دحية إلى هرقل وغلبة الروم لفارس.. أن الفرس كانت لهم الغلبة على الروم دائما لأنهم أكثر عددا وأشد قوة وبأسا وأعظم خديعة ومكرا؛ وكانت الحرب تقع بينهم مرة مرة، فالتقوا مرة واقتتلوا قتالا شديدا - وكان ذلك بعد البعثة وقبل الهجرة - فغلبت الفرس الروم وظهرت عليها وكان ذلك من آخر حروب كسرى أبرويز فغلب على القسطنطينية وبنى فيها بيت النار، فسر المشركون وكفار مكة بذلك لأنهم وإياهم كانوا أهل أوثانٍ وكفر بالبعث،

وساء ذلك الظفر المسلمين لأن الروم كانوا أهل كتاب وتصديق بالبعث وأقرب مودة للذين آمنوا؛ فبشر الله المؤمنين بأن الروم ستنتصر على فارس وتظهر وتكون الدولة لهم في الحرب، ونزل قوله تعالى: ﴿الْمَغْلَبَتِ الرُّومِ ﴿١﴾ فِيحِ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾⁽¹⁾. ثم أعادت الروم والفارس الكرة مرة أخرى - وكان ذلك بعد الهجرة - فاقتتلوا قتالا شديدا فانتصرت الروم بقيادة هرقل على الفرس بقيادة أبرويز وغلبوهم حتى ربطوا خيلهم بالمدائن وبنوا رومية⁽²⁾، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين يوم بدر، وقيل يوم الحديبية ففرحوا به وكان فيه دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وتصديق لما أخبر به من علم الغيب، ولذلك آمن به عند ذلك خلق كثير، ولما فيه من غلبة العدد القليل لعدوه الكثير وقطع أطماع قريش في أن يجدوا ملكا يستأصل لهم المسلمين ويريحهم من رسول الله ﷺ. وروي أن هرقل كان قد نذر لئن أظهر الله الروم على فارس ليمشين حافيا من قسطنطينية إلى إيلياء ليصلي في بيت المقدس شكرا لله تعالى، فلما انتصر عليهم وأراد الوفاء بنذره فرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين ومشى عليها حتى بلغ إيلياء ووفى بنذره. وعند ذلك أرسل رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي - في هدنة الحديبية - إلى هرقل بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام مكتوب عليه: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم»، فلقبه دحية بجمص وسلمه الكتاب، فلما رآه أخ لقيصر استشاط غضبا⁽³⁾ وقال لقيصر: أنتظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك

(1) الروم: 1-4. والأرض هنا الشام. وأدناها: أقربها وهو أذربايجان وقيل: بصرى وفلسطين.

(2) رومية (بتخفيف الياء المثناة التحتية): مدينة بنيت بالمدائن وسميت باسم ملك.

(3) استشاط غضبا: أي اشتد غضبه والتهب غيظه.

وسماك صاحب الروم ولم يذكر ملكك؟ وهم بتمزيق الكتاب؛ فقال قيصر: ما علمت أحق منك! أتريد أن تحرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟! فلعمري إن كان رسول الله — كما قال — فهو أحق بالتقدم مني وإن كان سماي صاحب الروم لقد صدق. ثم فتح الكتاب فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾»⁽¹⁾، ودعاه فيه إلى الله ورغبه فيما عند الله في الآخرة من الأجر وحذره بطش الله به وزهده في ملكه.

أسئلة هرقل لأبي سفيان

ولما قرأ هرقل الكتاب قال لشرطته: قلبوا الشام ظهرا لبطن حتى تأتوني برجل أو رجال من قوم هذا الرجل — يعني النبي ﷺ.

وكان أبو سفيان بن حرب حينئذ بالشام بمدينة غزة في رجال من قريش قدموا تجارًا في هدنة الحديبية، فأوتي بهم إلى مجلسه (وهو إذ ذاك بيت المقدس) وحوله

(1) آل عمران 64، والحديث أخرجه البخاري ومسلم وأحمد. ودعاية الإسلام (بكسر الدال): الكلمة الداعية إليه ويفسرها قوله: «أسلم تسلم». وإيتاء الأجر مرتين: لإيمانه بنبيه ثم بالنبي صلى الله عليه وسلم. والأريسيون (جمع أريسي) وهو الأكار أي الفلاح، والمراد هنا الخدم والخول؛ وإنما كان عليه إثمهم لصده لهم عن الدين ولدخولهم تحت طاعته، فلو دعاهم لأجابوه. وقوله ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾: أي لا يختلف فيها التوراة والقرآن والإنجيل، ويفسرها قوله تعالى ﴿ ألا نعبد إلا الله... ﴾.

عظماء الروم، فدعا بترجمانه فسألهم عن أقربهم نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فأشاروا له إلى أبي سفيان فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره، وأمرهم أن يخبروه إن هو كذب عليه فيما يسأله عنه. قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا⁽¹⁾ لكذبت عنه، قال: ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آباءه من ملك⁽²⁾؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد منهم أحد سَخَطَةً لدينه⁽³⁾ بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها - قال أبو سفيان: ولم تُمكنني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة - قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: كيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال⁽⁴⁾ ينال منا وننال منه، قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدقة والصدق

(1) أي لولا أنني أخاف أن رفقتي ينقلون عني الكذب إلى قومي ويتحدثون به في بلادي لكذبت عليه لبغضي إياه ومحبي نقصه.

(2) يروى: مَنْ مَلَكٌ، وَمِنْ مَلِكٍ.

(3) أي كراهية له وعدم رضاه عنه.

(4) السَّجَلُ: النصيب من الشيء جمعه: سجال، ومنه: "الحرب بينهم سجال" نصرتها بينهم متداولة، سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء، وأصله أن المستقين بالسجل (وهي الدلو المملأى) يكون لكل واحد منهم سجل.

والعفاف والصلة والطهارة⁽¹⁾..

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا؛ فقلت لو قال أحد هذا القول قبله لقلت رجل يأتي سي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آباءه من ملك فذكرت أن لا؛ قلت فلو كان من آباءه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تنهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا؛ فقد علمت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون؛ وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا؛ وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا؛ وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك يم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين؛ وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه⁽²⁾ ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي أتاه به دحية فقراه.

قال أبو سفيان: فلما قال هرقل ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده

(1) في رواية مسلم: "الزكاة" بدل الصدقة. والعفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. والصلة: صلة الأرحام، وكل ما أمر الله به أن يوصل وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة.
(2) تجشمت الأمر: تكلفه على مشقة.

الصَّخْب وارتفعت أصوات الذين حوله وكثر لغظهم⁽¹⁾ فلا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا من عنده فقلت لأصحابي - حين خرجنا - لقد عظم أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر! فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وروي أن هرقل قال للروم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش⁽²⁾ وهموا به؛ فلما رأى ذلك أيس من إيمانهم وقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم في دينكم وقد رأيت، فرضوا عنه وسجدوا له. وروي أنه لما قرأ الكتاب بجمله وقبله ووضع على عينيه ورأسه وخلا بدحية وقال: والله إني لأعلم أنه نبي مرسل وهو الذي كنا ننتظره وقرأنا نعتة في الكتب السماوية وإني أخاف الروم أن يقصدوا هلاكي وإلا تابعته. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: وكاد يؤمن به لو أسعفا.

ولما أخبر دحية رسول الله ﷺ بذلك قال: «ثبت الله ملكه»،⁽³⁾ فملك إحدى وثلاثين سنة، وفي عهده توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وانهيار حكم الفرس

ثم أرسل رسول الله ﷺ كتابا آخر مع عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ملك الفرس، منصرفه من الحديدية يدعوه فيه إلى الإسلام وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم

(1) الصخب: ارتفاع الأصوات واختلاطها. واللغظ: الصوت والجلبة والأصوات المختلطة المبهمة لا تفهم.

(2) أي جالوا جولة يطلبون الفرار والمهرب.

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وفي دلائل النبوة، والبغوي في شرح السنة - [كما في سير أعلام النبلاء].

فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل فإنني أنا رسول الله عز وجل إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم؛ فإن أبيت فعليك إثم الجحوس»⁽¹⁾. فلما قرأ أبو ريز الكتاب استشاط غضبا وقال: أكون عبدا لعبدي؟ أو ليس بعبيدي؟! ومزق الكتاب وقال لعبد الله: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلت لقتلتك، فانصرف عبد الله عنه إلى رسول الله ﷺ. وكتب كسرى أبو ريز إلى باذان وزيره باليمن: إنه بلغني أن رجلا من العرب يزعم أنه نبي فابعث إليه أن يرجع وإلا فأتني برأسه. فلما قرأ باذان الكتاب بعث به إلى رسول الله ﷺ مع رجلين من الفرس عظيمي الجسم قوين قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما حتى وارت شفاههما، يهيل منظرهما! فلما رآهما رسول الله ﷺ كره النظر إليهما وقال: «ويلكما من أمركما بهذا؟» فقالا: ربنا - يقصدان كسرى - فقال رسول الله ﷺ: «لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي»، وفي رواية: «أما نحن فنعفي اللحى ونحفي الشوارب»⁽²⁾. وحبسهما رسول الله ﷺ عنده يومين ثم سيرهما بكتاب إلى باذان فيه: «أما بعد فإن كسرى قتله ابنه في الليلة الفلانية من شهر كذا»، فلما قرأ باذان الكتاب قال: إن كان نبيا فسيكون ما قال، فلم يلبث أن أتاه رسول شيرويه بقتل أبيه أبو ريز وأنه إنما قتله لاصلاح أمر الفرس لأنه أفسد أمرهم وفعل بهم وفيهم، وكتسب إليه إذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى قد كتب لك فيه فلا تهجه⁽³⁾ حتى يأتيك

(1) رواه ابن إسحاق - [كما في عمدة القارئ للبدر العيني].

(2) رواه ابن كثير في سيرته.

(3) هاجه: أناره وحركه.

أمري فيه. ثم أرخ باذان لليلة التي قتل فيها كسرى فإذا هي كما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ فقال: إن هذا الرجل لرسول الله حقا، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس⁽²⁾ (من كان منهم باليمن)؛ فبعث باذان إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وإسلام من كان معه.

وفي قصة قتل شيرويه لأبيه أبرويز هذه يقول خالد بن حق:

وكسرى إذ تقسمه بنووه بأسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم أنى⁽³⁾ ولكل حامله تمام

ثم مكث شيرويه بعد ذلك ستة أشهر ومات، ثم تسافل أمر الفرس بعدُ ثم كان القضاء عليهم على يد سعد بن أبي وقاص أيام القادسية في خلافة عمر بن الخطاب⁽⁴⁾، وقد قال الزبير بن عبد الله الكلابي⁽⁵⁾: رأيت غلبة فارس للروم ثم رأيت

(1) كانت ليلة الثلاثاء لعشر مضي من جمادى الأولى سنة تسع للهجرة.

(2) الأبناء: هم أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة، فأقاموا به وسكنوا فيه.

(3) أي ادرك وبلغ.

(4) كان لأبرويز ولد اسمه سابور بن أبرويز ملك بعده أيضا نحو من شهرين، وسابور من أسماء ملوك الفرس، قيل هو الذي تنسب إليه الثياب السابرية، قال امرؤ القيس الكندي:

تجافى عن المأثور بيني وبينها وتدني علي السابري المضلعا

وبعد ولدي أبرويز هذين ملكت أختهما "بوران" فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فملك سنة وهلكت وتشتت أمرهم كل التشتت ثم اجتمعوا على يزدجرد بن شهريار بن أبرويز آخر ملوك الفرس؛ وكان المسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم، ثم كانت حروب القادسية معهم على يد سعد - في عهد عمر رضي الله عنهما - فسلب يزدجرد هذا ملكه وهدم سلطانه في خلافة عمر، ثم قتل في أول خلافة عثمان رضي الله عنه. [الروض الأنف].

(5) من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

غلبة الروم لفارس ثم رأيت غلبة المسلمين لفارس كل ذلك في خمس عشرة سنة، وكان الزبير هذا قد أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

وأنوشروان المذكور هو ابن قباد بن فيروز وهو أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وكان معظما عندهم محببا إلى رعيته، فتح الأمصار العظيمة في الشرق وبنى المباني المشهورة التي منها الإيوان الذي يضاف إليه - وكان من عجائب الدنيا⁽¹⁾ - ولم يكن في الفرس ملك أعدل منه ولا أعز، ومن عزه أنه لما بنى إيوانه أهدت إليه ملوك الأرض هبة له وأطاعته، وهو الذي ولد رسول الله ﷺ في عهده؛ روي أن رسول الله ﷺ قال: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني أنوشروان، (وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: عدلها العزيز). وكان مولده صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه؛ وقد ولد أبوه عبد الله بن عبد المطلب - أيضا - لأربع وعشرين سنة مضت من ملكه؛ فبين رسول الله ﷺ وأبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة.

وكان إيوان كسرى هذا قد تداعى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم حتى سقطت منه أربع عشرة شرفة - كما تقدم. ثم تولى بعده ابنه هرمز بن أنوشروان فكانت ولايته إحدى عشرة سنة، ثم تولى بعده ابنه كسرى أبرويز بن هرمز، فبلغ في الملك والتجبر والتنعم وكثرة المال والأزواج والخدم مبلغا لم يبلغه غيره من الملوك ومكث ثمانا وعشرين - وقيل ثمانا وثلاثين - سنة، ثم وقع في ملكه تزلزل وفتنة حتى خرج عليه ابنه شيرويه وقتله وحل محله في الملك، ومكث ستة أشهر - كما مر -

(1) ومن أحسن آثار الملوك، وكان بالمدائن من بغداد على مرحلة، بناه كسرى أنوشروان في نيف وعشرين سنة وضربت العرب به المثل للبيان الرفيع العجيب الصنعة المتناهي الحصانة والوثاقة.

فلم تطل مدته بعد أبيه كما هي عادة من عدا على أبيه، لا يبلغه ذلك سؤلا ولا يمتعه بدينه إلا قليلا.

وأما باذان فهو ابن ساسان بن بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الفارسي، من الأبناء وهم أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة فأقاموا باليمن. وكان باذان بصنعاء فأسلم وأمن برسول الله ﷺ - كما مر - وأمره على اليمن وهو أول أمير عليه في الإسلام وأول من أسلم من ملوك العجم واستمر على اليمن لرسول الله ﷺ حتى توفي في السنة العاشرة، ففرق رسول الله ﷺ عمل اليمن بين شهر بن باذان وعامر بن شهر الهمداني وأبي موسى الأشعري وخالد بن العاص ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم، وجعل زيادا بن لييد الأنصاري البياضي على حضرموت وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون، (والسكاسك حي باليمن جدهم الفيل بن سكسك بن الأشرس، والسكون - بفتح السين - حي باليمن أيضا).

تنبيه: أعرق الأكاسرة في الملك شيرويه بن أبرويز بن أردشير بن بابك، فهو ملك ابن ملك ابن ملك، وأعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، فهم ستة تتابعوا في الخلافة، وأعرق الناس في الملك والخلافة معا - باعتبار الأصول والحواشي، من الذكور والإناث - يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أما من جهة الخلافة فهو خليفة وأبوه خليفة وجدته خليفة وجد أبيه خليفة وعمومته خلفاء، وأما من جهة الملك فأمه شاهرت بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار، وأمها: من بنات شيرويه بن أبرويز، وأم شيرويه مريم بنت قيصر، وأم فيروز بنت خاقان ملك الترك. ويزيد بن الوليد هذا هو الذي يقول:

أنا ابنُ كسرى وأبي مروان وقيصراً جدي وجدِّي خاقان

قوله : كذا امرؤ القيس: أي ومن بني كلب بن وبرة أيضا امرؤ القيس بن عدي. والضمير في صاهره وأمره: عائد على امرئ القيس. وحيدرة: فاعل صاهره، وهو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وابناه: يعني بهما السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما. وأمره: أي صيره أميرا. وإسلامه (بالرفع): فاعل أمره. والضمير في به عائد على إسلامه. وفاعل كل من أسلم وصاهر وساد: ضمير مستتر عائد على امرئ القيس أيضا. والوافدة: الجماعة التي وفدت مع امرئ القيس على عمر بن الخطاب، فكان لوفادته وإسلامه أعظم الفوائد عليه الدنيوية والأخروية بالإسلام وسيادته وإمرته على قومه ومصاهرة علي بن أبي طالب وسبطي رسول الله ﷺ له على بناته.

وامرؤ القيس هذا هو امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي ثم العليمي، قدم على عمر في خلافته في نفر من قومه؛ فلما كان بين يديه حياه بتحية الخلافة فقال له عمر: من أنت؟ قال: امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية، قال عمر: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام، فعرضه عمر عليه فقبله وأسلم ثم دعا له برمح وعقد له على من أسلم من قضاة بالشام فأدبر - وهو شيخ - واللواء يهتز على رأسه، فقال عوف بن خارجة - راوي القصة وكان حاضرا -: ما رأيت رجلا لم يصل صلاة أمر على جماعة من المسلمين قبله، فنهض علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين رضي الله عنهم حتى أدركوه فقال له علي: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وهذان ابنائي من بنته وقد رغبتا في صهرك فأنكحنا، قال: قد أنكحتك يا علي الحياة، وأنكحتك يا حسن سلمى، وأنكحتك يا حسين الرباب. (وإلى هذا أشار الناظم بقوله إسلامه أعظم به

من فائدة.. إلخ). ثم ولدت الحياة بنت امرئ القيس لعللي جارية كانت تخرج معه إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها من أحوالك؟ فتقول: "وه وه!" تعني بني كلب⁽¹⁾، وولدت الرباب للحسين سكينه بنت الحسين؛ وفيهما يقول الحسين رضي الله عنه:

لعمرك إني لأحب دارا تحل بها سكينه والرباب

ويقول أيضا:

كان الليل موصول بليل إذا زارت سكينه والرباب⁽²⁾ .. إلخ.

والرباب بنت امرئ القيس هذه هي التي ترثي زوجها الحسين بقولها:

إن الذي كان نورا يستضاء به بكر بلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحه عني وجئت خسران الموازين

إلى أن تقول:

والله لا أبتغي صهرا بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

ثم رجع الناظم إلى الكلام على زيد بن حارثة وأهل بيته، فقال رحمه الله

وعفا عنه:

أَسَامَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَبْنُ لَهُ صَحَابَةٌ دَهَامِثُهُ
وَأَلْحَبُ زَيْدٌ أَكْتَرَى مِنْ رَجُلٍ رَاحِلَةٌ وَنَزَلًا بِمَنْزِلِ
لَيْسَ بِهِ غَيْرُ عِظَامٍ قَتَلَا رِجَالَهَا الرَّجُلُ ذَا وَحَمَلًا
عَلَيْهِ فَاسْتَغَاثَ زَيْدٌ بِالرَّحِيمِ وَعَنْهُ فَرَجٌ بِإِهْلَاكِ الرَّحِيمِ

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير.

(2) أي زارت قومها بني عليم الكلبيين هؤلاء.

وَطَالَ مَا أَمَّرَهُ النَّبِيُّ عَلَى الْجِيُوشِ فَشَقَى الْأَبِيُّ

أسامة: مبتدأ، وابن له (بالرفع): عطف عليه. والضمير في له: عائد على أسامة. وصحابة: خبر عن قوله أسامة. ودهامثة: صفة لأسامة والمذكورين بعده؛ وهو جمع دهمث ودهموث (بوزن عصفور): للكريم. يعني أن بيت آل حارثة توارث فيه أربعة مرتبون صحبة النبي ﷺ وهم: محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة الكلبيون، ولا تعرف هذه المنقبة إلا لآل حارثة هؤلاء، وآل أبي قحافة وهم: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيميون، وآل الطفيل وهم: عبد الله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسيون؛ وروي أن مثلهم في ذلك آل السائب (جد الشافعي) وهم: شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد المطلبليون (أربعة صحابة) رضي الله عنهم.

أما محمد بن أسامة فقد ولد على عهد رسول الله ﷺ وبه كني أبوه. وأما أسامة فهو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن حصن الحبشية مولاة النبي ﷺ وحاضنته وأمه بعد أمه؛ ورثها من أبيه عبد الله، وقيل من أمه آمنة.

وكان أسامة قد ولد بعد البعثة بثلاث سنين - وقيل بخمس سنين - وتوفي رسول الله ﷺ عنه وهو ابن عشرين سنة وقيل ابن تسع عشرة، وكان عمر يحله ويكرمه وفضله في العطاء على ابنه عبد الله؛ ففرض لأسامة خمسة آلاف وفرض لابن عمر ألفين، فقال: فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد، فقال عمر: إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك وأباه أحب إليه من أبيك. واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان ولم يبايع عليا ولا شهد معه شيئا من حروبه، وقد قال له: لو

أدخلت يدك في فم تين⁽¹⁾ لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله ﷺ حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله. يشير أسامة بذلك إلى قصة قتله لمرداس بن نهيك الجهني وقد تقدمت عند قول الناظم: ومن جهينة الذي ألقى السلم.. إلخ.

وسكن أسامة رضي الله عنه دمشق ثم سكن وادي القرى ثم عاد إلى المدينة ولم يزل بها إلى أن توفي سنة أربع وخمسين في أواخر خلافة معاوية. وقد روي عن وكيع قال: سلم من الفتنة أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ: أسامة بن زيد وسعد بن مالك وابن عمر ومحمد بن مسلمة، ومن التابعين أربعة أيضا: الربيع بن خيثم ومسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي. ومناقب أسامة لا تحصى.

وأما زيد بن حارثة فقد تقدمت ترجمته. وأما حارثة بن شراحيل فتقدم نسبه في ترجمة ابنه زيد، وقد روي أنه دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم وصحب. وفي أسد الغابة: روى أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة أن النبي ﷺ دعا أباه حارثة إلى الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وفيه أيضا: أنه قدم هو وابنه جبلة بن حارثة على النبي ﷺ وهو إذ ذاك بمكة فأقام حارثة عند ابنه زيد ورجع جبلة - كما مر - في ترجمة زيد.

قوله: والحب (بكسر الحاء المهملة): الحبيب، وزيد (بالرفع): بدل منه، ولقب زيد بن حارثة هذا بالحب - كما لقب به ابنه أسامة - لمحبة رسول الله ﷺ لهما، فيقال: "الحب ابن الحب أسامة بن زيد" وفي زيد قال رسول الله صلى الله عليه

(1) التين (بالكسر): الحية العظيمة.

وسلم: "أنت مولاي ومني وأحب الناس إلي"⁽¹⁾، وروي عن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة على رسول الله ﷺ وهو في بيته فأتاه ففرع عليه الباب فقام إليه حتى اعتنقه وقبله، ولما توفي زيد بكى عليه صلى الله عليه وسلم حتى انتحب⁽²⁾، فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه»⁽³⁾، وفي أسامة قال: «أسامة أحب الناس إلي» ما حاشى فاطمة ولا غيرها⁽⁴⁾، وقد وصفهما الناظم بذلك معا حيث قال: **والحب زيد.. إلخ، وقال: أسامة الحب ابنه.. إلخ - كما سيأتي قريبا.**

وجملة قوله **اكترى من رجل.. إلخ**: خبر عن الحب. **والراحلة** (من الإبل): ما كان منها صالحا لأن يرحل عليه وقوي على الاحمال والأسفار، يطلق على الذكر والأنثى وتاؤه للمبالغة؛ والمراد بالراحلة هنا: البغل. **وألف قتلا وحملا للإطلاق.** **وحمل عليه**: كر وعطف ليقنتله. **وامستغاث بالرحيم**: ناداه مستعينا به. **والرحيم** (بالحاء المهملة): من أسمائه تعالى، ومعناه ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة. **وفرج** (بالتضعيف): أي كشف وأذهب. **والرحيم** (بالجيم): فعيل بمعنى مفعول: المطرود المبعد من الرحمة.

أشار الناظم بهذه الأبيات إلى ما ذكره السهيلي في الروض الأنف: روى الليث بن سعد قال: بلغني أن زيدا بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه صاحب البغل أن ينزله حيث شاء فمال به إلى خربة فقال له: انزل فنزل فإذا في

(1) أخرجه البخاري وأحمد بلفظ: «أنت مولاي أنت مني وأنا منك».

(2) انتحب الباكى: أعلن بالبكاء.

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته، وابن عساكر في تاريخه.

(4) أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير والجامع الصغير.

الخربة قتلى كثيرة، فتبين أن صاحب البغل لص اعتاد هذا النوع من الأعمال، فلما أراد أن يقتل زيدا قال له: علام تريد قتلي؟ فإن كان لما عندي فهو لك واخل سبيلي قال: لا سبيل إلى نجاتك، فقال زيد: دعني أصل ركعتين، فقال: صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا؛ قال زيد: فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، قال فسمع صوتا يقول: لا تقتله؛ فهاب ذلك وخرج يطلب صاحب الصوت فلم يجد شيئا فرجع إليّ، فناديت: يا أرحم الراحمين؛ حتى فعلت ذلك ثلاث مرات قال: فإذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا، ثم قال لي: لما دعوت المرة الأولى: يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت الثانية كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت الثالثة أتيتك.

وقد وقع مثل هذه القصة لأبي معلق الأنصاري؛ فعن أنس بن مالك أن رجلا كان يكنى أبا معلق الأنصاري خرج في سفر من أسفاره ومعه مال كثير يضرب به في الآفاق، وكان تاجرا ناسكا ورعا فلقى لصا مقنعا في السلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ فشأنك بالمال قال: أما المال فلي ولا أريد إلا قتلك، قال: أما إذا أبيت فذرني أصل أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك. فصلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعلا لما يريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني يا مغيث اغثني (دعا بها ثلاث مرات)، فإذا بفارس قد أقبل وبيده حربة فطعن اللص فقتله. [قاله في أسد الغابة]. وفي الاستبصار أنه قال له: من أنت؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقة ثم دعوت الثانية فسمعت

لأهل السماء ضجة ثم دعوت الثالثة فقبل لي: دعاء مكروب فسألت الله أن يولياني قتله.

قوله: وطالما أمره النبي: أي صيره أميرا وأسند إليه قيادة الجيوش فقام بما أسند إليه حسبما يرضي رسول الله ﷺ. والأبي: الذي يأبى الضيم (وهو الظلم والذل والهوان).

مكاتبه زيد بن حارثة وذكر بعض سراياه

أشار رحمه الله بهذا البيت إلى ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليها ولو بقي لاستخلفه. وعن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم: «وأيم الله إن كان خليقا بالإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي»⁽¹⁾. وقد استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى غزوة المريسيع، وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يبعثه في شؤونه ويؤمره على السرايا التي يبعثها إلى المشركين؛ ففي السنة الأولى من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم إلى مكة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين، فقدمما عليه بابنتيه: فاطمة وأم كلثوم وبزوجه سودة وعمولاته أم أيمن (زوج زيد) صحبة ابنها

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد. وأيم الله: اسم وضع للقسم وهمزته همزة وصل والتقدير: أيم الله قسمي وهو بفتح الهمزة وكسرها، وفيه لغات منها: أيمن الله (بفتحتين)، وأيمن (بفتحة فكسرة)، وإيمن (بكسرة ففتحة) وإيمن (بكسرة فضمة)، وأم الله (بتثنية الميم)، ومُنُّ الله (بتثنية الميم والنون)، وم الله (بتثنية الميم)، وهيم الله.. وغيرها. والخليق بالشيء: الجدير به كأنما خلق له وطبع عليه.

أسامة بن زيد وجاء معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر (أم رومان وابنتيه⁽¹⁾): عائشة أم المؤمنين وأسماء، زوج الزبير بن العوام) ووجدوا طلحة بن عبيد الله على حال خروج فخرج معهم حتى قدموا المدينة، فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان، ووجدوا رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتا حوله فأنزل فيها أهله.

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية القردة وهي أول سرية أمره عليها، وكانت على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، والقردة (بوزن شجرة): ماء بنجد. وسبب هذه السرية أن قريشا بعد وقعة بدر خافوا سلوك طريقهم التي كانوا يسلكونها إلى الشام قبل - وهي طريق الحجاز - فعدلوا عنها وسلكوا طريق العراق فخرجت منهم غير فيها أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية في نفر من قريش - وكان معظم تجارتهم الفضة - فسار زيد وجيشه حتى أدركوهم بالقردة فهرب رؤساء القوم وأسروا بعض رجالها وساقوا العير والأموال إلى المدينة، فبلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا، وفيها قال رسول الله ﷺ: «خير أمراء السرايا زيد بن حارثة أعدلهم بالرعية وأقسمهم بالسوية»⁽²⁾. وفي عدولهم عن طريقهم المعهودة إلى الشام وسلوكهم طريق العراق يقول حسان بن ثابت:

(1) آل أبي بكر: عبد الله وأسماء أمهما: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وعبد الرحمن وعائشة أمهما أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، ومحمد أمه أسماء بنت عميس الخنعمية، وأم كلثوم أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصارية (من بني الحارث بن الخزرج).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک، ورواه في الجامع الصغير.

دَعُوا فَلجَات الشام قد حال دونها جِلاَد كَأفواه المخاض الأوارك⁽¹⁾
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من رملٍ عاجل فقولاً لها ليس الطريق هنالك⁽²⁾

وفي ربيع الأخير من سنة ست بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة - أيضا - على سرية إلى بني سليم بالجموم من أرض بني سليم، فأصابوا نعما وشاء وأسرى.

وفي جمادى الأولى من سنة ست بعثه على سرية إلى العيص (موضع على أربعة أميال من المدينة) فأخذوا عيرا لقريش قد أقبلت من الشام، وفيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسروا أناساً منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ بهم الفجر: "إني قد أجزت أبا العاص"، فقال صلى الله عليه وسلم: «أجزنا من أجزت»⁽³⁾؛ فرد عليه ما أخذ منه. وفي جمادى هذه أيضا بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى الطرق (وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة) إلى بني ثعلبة فأصابوا نعما وشاء وهربت الأعراب، وصبح زيد بن حارثة النعم بالمدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيذا، وغاب أربع ليال. وفي نفس الشهر المذكور أيضا بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى ناس من جذام بأرض حسمى (وهو واد وراء ذات القرى)

(1) الفلجات: الأودية، وتقال أيضا للأنهار الصغار، جمع فلج: وهي العين الجارية، يقال: ماء فلج وعين فلج، وسمي فلجا لأنه قد خد في الأرض وفرق بين جانبيه؛ مأخوذ من فلج الأسنان أو من الفلج وهو القسم. والجلاد: المجالدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي أكلت الأراك فدميت أفواهها - [الروض الأنف وغيره].

(2) الغور (بالفتح): المنخفض من الأرض. وعالج اسم مكان فيه رمل كثير. وفي رواية: إذا هبطت حوران من رمل عاجل.. الخ.

(3) رواه ابن هشام وابن سعد والحاكم بلفظ: "يجير على المسلمين أذناهم".

فغنموا ألف بعير وخمسمائة ألف من الشاء، وسبوا من النساء والصبيان.

وفي رجب هذه السنة بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى وادي القرى فقتل من المسلمين قتلى، وحمل زيد من المعركة جريحاً. وفي رمضان من نفس السنة بعثه على سرية إلى ناس من فزارة بناحية وادي القرى فصبحهم زيد وأصحابه وظفروا بهم وقتلوا أم قرفة الفزارية وكانت فيهم ملكة ورئيسة (وفي المثل "أمنع وأعز من أم قرفة" لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها!)؛ فلما قدم زيد من هذه السرية وقرع باب النبي ﷺ قام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفروا به. ثم بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى مدين (وهو موضع بالشام) لتقاء غزوة، فأصابوا سبايا من أهل مينا (وهي سواحل). ثم بعثه صلى الله عليه وسلم - أخيراً - على رأس جيش مؤتة إلى الشام، فاستشهد رضي الله عنه بها. وإلى ما ذكرناه آنفاً أشار الناظم بقوله: وطالما أمره النبي... إلخ.

ثم قال رحمه الله:

أَسَامَةُ الْحَبِّ ابْنُهُ مَصَّ النَّبِيِّ مِنْهُ دَمًا وَهُوَ الشَّبِيهُ بِالْأَبِ
عَلَى اسْوَدَادٍ وَابْيَاضٍ وَالِدٍ وَهُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى الْأَمَاجِدِ
عَلَى وِلَاءٍ وَحَدَاثَةٍ فَمَا رَضِيَ إِلَّا الْقَانِتُ التَّقَدُّمًا

قوله أسامة: مبتدأ. والحب (بكسر الحاء المهملة): بدل منه أو عطف بيان عليه. وابنه (بالرفع): صفة لأسامة، والضمير فيه عائد على الحب (فهو ضمير استخدام: فذكر لفظ الحب الذي هو لقب مشترك بين أسامة وزيد، وقصد بالحب المذكور لقب أسامة ثم أعاد عليه ضميراً يقصد به الحب الآخر الذي هو

لقب زيد⁽¹⁾. وجملة مص النبي.. إلخ: خير أسامة. والنبي: فاعل مص. ومنه: متعلق بمص، والضمير فيه عائد على أسامة. ودما: مفعول به لمص.

ترجمة أسامة بن زيد وذكر بعض مناقبه

يعني أن أسامة هو الحب بن الحب الذي مص النبي صلى الله عليه وسلم منه دما. وقد أشار الناظم بهذا إلى ما في أسد الغابة عن عائشة رضي الله عنها قالت: عثر أسامة بأسكفة الباب (أي عتبه) فشج في وجهه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أميطي عنه» (أي أزيلني ما على وجهه)، قالت: فكأنني تقدرته؛ فجعل رسول الله ﷺ يمص عنه الدم ثم يمجه⁽²⁾، وقال: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقَه»⁽³⁾.

قوله وهو الشبيه.. إلخ: وهو: ضمير عائد على أسامة. وقوله بالأب: أي بأبيه زيد بن حارثة. وقوله على اسوداد (بالتنوين): أي اسوداد أسامة. وايضاض (بغير تنوين للإضافة إلى والد): أي ابيضاض والده زيد. يعني أن أسامة كان شبيها بأبيه زيد بن حارثة رغم سواد أسامة وبيض زيد، وكان زيد بن حارثة أبيض اللون

(1) الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مرادا به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير مراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران مراد بكل واحد منهما؛ فمثال الأول قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضايا

فالسما يراد به المطر وهو المراد أولا، والنبات وهو المراد بضميره. ومنه أيضا قول الآخر:

وللغزاة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

ومثال الثاني:

فسقى الغضى وساكنيه وإن هم شُبوهُ بين جوانحي وضلوعي

فالضمير من ساكنيه راجع إلى الغضى باعتبار المكان، ومن شُبوهُ باعتبار الشجر.

(2) وفي رواية: «أميطي عنه الأذى» والمراد بالأذى الدم. وتقدرته: أي كرهته. ويمجه: أي يرميه من الفم.

(3) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وأنفقَه: من نفق (بالتشديد): إذا روج.

صافي البياض، وكان أسامة أسود الجلد نزع في اللون إلى أمه بركة وهي أم أيمن.
أشار الناظم بهذا إلى قصة مجزز المدلجي⁽¹⁾ معهما؛ فقد روي أن مجززا بن الأعور
بن جعدة الصحابي الكناني المدلجي (من بني مدلج المعروفين في العرب بعلم القيافة)
مر يوما يزيد بن حارثة وابنه أسامة ولم ير منهما إلا أقدامهما فقال: لمن هذه الأقدام
التي بعضها من بعض؟ قالت عائشة: فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك دخل علي
مسرورا تبرق أسارير وجهه⁽²⁾ فقال: «ألم تري أن مجززا المدلجي نظر آفا إلى زيد
بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن بعض هذه الأقدام من بعض»، وفي رواية: «مر
على زيد وأسامة وقد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما»⁽³⁾، وإنما سرُّ رسول الله ﷺ
بذلك لما فيه من تكذيب المنافقين الأفاكين.

قوله وهو المقدم .. إلخ: الضمير عائد على أسامة الحب. والأماجد: جمع أمجد
(اسم تفضيل): أي الفائق في المجد، وهو العز والرفعة. قوله على ولاء: أي مع كونه
من الموالي. وحادثة: أي صغر سنه.

يعني أن رسول الله ﷺ كان يؤمر أسامة بن زيد على بعض الجيوش التي يكون
فيها أجلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار، مع أنه مولى ورغم حادثة سنه؛ وذلك
لفضله وأهليته للإمارة. وقد أمره رسول الله ﷺ على آخر جيش يجهزه قبيل مرضه
الذي توفي منه وهو إذ ذاك ابن ثمانٍ عَشْرَةَ سنة - وقيل تسع عشرة، وقيل عشرين
سنة - فمرض رسول الله ﷺ قبل أن يتوجه الجيش، فتشبث وتأخر عن الخروج حتى
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه
كان أول ما فعل تنفيذ ذلك الجيش، رغم ما لقي من دواعي التشبث.

(1) لقب مجززا لأنه كان كلما أسر أسيرا جز ناصيته.

(2) تبرق: تضيء. والأسارير: الخطوط التي تجتمع في الجبهة وتتكسر.

(3) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

إمضاء جيش أسامة

وحاصل قصة جيش أسامة ذلك؛ أنه لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أُبْنَى⁽¹⁾ (وهو موضع بناحية البلقاء) على رأس جيش يبلغ عدده ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار - وقيل في عدده غير ذلك - فلما كان من الغد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وقال له: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك فأغز صباحاً على أهل ابني وحرقت عليهم فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك»⁽²⁾. فلما كان يوم الأربعاء بدأ مرض رسول الله ﷺ فحم وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثم قال: «اغز باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله»، فخرج وعسكر بالجرف على فرسخ من المدينة⁽³⁾، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وقتادة بن النعمان، فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين والأنصار؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وخرج على الناس وقد عصب على رأسه بعصابة فصعد المنبر وحمد

(1) ابني (بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون بوزن فعلى): قرية عند مؤتة من أرض الكرك" في أطراف الشام في الناحية التي قتل فيها أبوه زيد بن حارثة.

(2) رواه ابن هشام والواقدي وابن سعد [كما في ابن حجر]، وأخرج أحمد بعضه. واللبث: المكث والإقامة. والأدلاء: جمع دليل وهو المرشد. والعيون: جمع عين وهو طليعة الجيش والجناسوس. والطلائع: جمع طليعة وهي مقدمة الجيش ومن يبعث قدامه ليطلع طلع العدو.

(3) الجرف (بضم فسكون) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، قيل سمي الجرف لأن تبعها مر به فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى العرض وفيه بئر حشم وكانت فيه أموال لأهل المدينة.

الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ولئن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم»⁽¹⁾ ثم نزل ودخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول وجاء المسلمون الذين يريدون الخروج مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ ويرجعون إلى العسكر بالجرف، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فدخل عليه أسامة يودعه والني صلى الله عليه وسلم قد أصمت لا يتكلم فطأطأ رأسه فقبله ورسول الله ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة قال: فعرفت أنه يدعو لي، ورجع أسامة إلى عسكره فأمر الناس بالرحيل؛ فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول الله ﷺ يموت فأقبل؛ وأقبل معه عمر وأبو عبيدة حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في السياق، فتوفي رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس⁽²⁾ يوم الاثنين، فدخل المدينة المسلمون الذين عسكروا بالجرف؛ وكان لواء أسامة مع بريدة بن الحبيب الأسلمي فدخل به حتى غرزه عند باب النبي ﷺ.

فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه كان أول ما بدأ به تنفيذ جيش أسامة، فأمر باللواء إلى أسامة ليمضي لوجهه الذي كان قد أمره به النبي ﷺ. فلما جاء خير ارتداد بعض العرب ومنع بعضهم الزكاة طلب بعض الصحابة من أبي بكر رد جيش أسامة وقالوا له: احبس جيش أسامة فيكون عمارة وأمانا بالمدينة وارفق

(1) أخرجه مسلم وأحمد وأخرج البخاري بعضه.

(2) السياق: النزع، يقال: هو في السياق أي الاحتضار. وزاغت الشمس: أي مالت إلى الغروب.

بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فإن هذا الأمر شديد غوره ومهلكة⁽¹⁾ من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد وقد أصفقت العرب على الارتداد⁽²⁾ فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك قد قدّم رجلا وآخر أخرى. فامتنع أبو بكر وأصر على تنفيذ الجيش، فجادلوه؛ وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وقال له عمر: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، وقال: إنما شحت العرب على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئاً فلو تركت للناس صدقة هذه السنة، فقال له أبو بكر: أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟! قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي؟. فامتنع أبو بكر وقال: والله لا أرد جيشاً بعثه رسول الله ﷺ ولا أحل عقدة عقدها، ثم راودوه في تأمير أحد مكان أسامة فأبى وامتنع. وروي أنهم قالوا له: إنا نخاف على نساء المدينة وذرياتها، فقال: والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ، ثم كلموه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفا لهم حتى يتمكن له الأمر، فقد كان رسول الله ﷺ يتألفهم، فقال: والله لأن أحر من السماء إلى الأرض فتخطفني الطير أحب إلي من أن أمالككم على هذا الرأي، وقال: والله لئن أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدي حتى تنفرد سالفتي⁽³⁾ ولو منعوني عقالا لجالدتهم. ثم

(1) الغور من كل شيء: قعره، يقال: "فلان بعيد الغور" أي متعمق النظر، وعرفت غور المسألة: أي حقيقتها، ويقال أيضا: "سير غوره" تبين حقيقته وسره. والمهلكة: موضع الهلاك جمعه: مهالك.
(2) أصفقت: أي أطبقت عليه واجتمعت.

(3) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه وكُنَى بانفرادها عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. وقيل أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي. وفي حديث الحديبية: «لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي».

أمر مناديا ينادي في الناس: لا يتخلف عن أسامة أحد ممن كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ ، وقال: إني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشيا، فلم يتخلف عنه أحد، ومشى أبو بكر إلى بيت أسامة فكلمه أن يأذن لعمر في التخلف، ففعل. وخرج أسامة هلال ربيع الثاني سنة إحدى عشرة في جيشه وفيهم ألف فارس، وخرج أبو بكر يشيعة فركبوا من الجرف وسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ماشيا وأسامة راكبا، لأنه أقسم عليه أن لا ينزل؛ فجعل يودعه ويوصيه بامثال ما أوصاه عليه النبي ﷺ.

فسار أسامة وجيشه مسرعين إلى أهل أبنى فصادف منهم غرة فقتل منهم من أشرف له وحرق منازلهم ونخلهم وسبى من قدر عليه، ثم رجع إلى المدينة ولم يصب أحد من المسلمين، فخرج أبو بكر في أهل المدينة يتلقونه سرورا بمقدمهم، وكانت مدة غيبته في ذلك السفر أربعين يوماً.

قوله: فما رضي.. إلخ: القانت: المطيع لربه المتواضع له وهو فاعل رضي والتقيرير: فما رضي القانت إلا التقدم، فالقانت: صفة لأسامة قامت مقام الموصوف، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمرة؛ والمعنى أن أسامة بن زيد لجدارته بالإمارة لتأثير النبي ﷺ له على ذلك الجيش الذي فيه أجلاء المهاجرين والأنصار وشهادته صلى الله عليه وسلم له بكونه خليقا للإمارة وابن خليف لها وإمضاء أبي بكر لتأثيره وامتناعه لأجلاء الصحابة من تأمير غيره ممن هو أسن منه، كل ذلك أبقى لأسامة إلا أن يتقدم على غيره ويختص بالإمارة دون غيره، رغم حداثة سنه وكونه مولى وطعن البعض فيه بذلك. فقله فما رضي.. إلخ: مفرع على قوله: وهو المقدم على الأماجد. والله أعلم.

ولما أنهى الكلام على قضاة أخذ يتكلم على بني مذحج بن أدد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب مذحج*

مِنْ مَذْحِجٍ عَنَسُ قَبِيلُ الْأَسْوَدِ الْمُدَّعِي نُبُوَّةَ الْمُلْحَدِ
 قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ الْهُمَامِ شَبِيهُ خَالِدٍ أَذَاقَهُ الْحِمَامَ
 شَارَكَ فِيهِ الدَّيْلَمِيُّ الْخَدِمَا فَيُرُوذَ لَا شَلَّتْ يَدَا كِلَيْهِمَا

عنس (بفتح العين المهملة وسكون النون): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله.
 وقبيل (كأمير): صفة عنس. والأسود: هو عبهلة بن كعب. والمدعي والملحد:
 صفتان للأسود؛ والملحد: الكافر والطاعن في آيات الله. وقيس (بالرفع): مبتدأ،
 وابن مكشوح: صفة له، واختلف في اسم المكشوح فقيل هبيرة وقيل عبد
 يغوث، ولقب بالمكشوح لأثر ضربة في كشحه وقيل كي فيه. والمرادي والهمام
 وشبيه خالد: كلها صفات لقيس أيضا، والمرادي: نسبة إلى بني مراد بن مذحج بن
 أدد، واسم مراد يجابر، ولقب مرادا لتمرده فهو أول من مرد من اليمن. والهمام:
 السيد الشجاع السخي. وشبيه خالد: أي من أضرابه في الشجاعة، والمراد بخالد
 خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله ﷺ. وجملة أذاقه الحمام: خبر عن قيس
 بن مكشوح. والضمير البارز في أذاقه: للأسود. والحمام (بكسر الحاء المهملة):
 الموت. وفاعل شارك: ضمير مستتر عائد على قيس. والضمير في فيه عائد على

* تقدم أن مذحجا لقب مالك بن أدد أخي طيء، وقد عرف بنوه بعده بلقبه وقد تفرعت منه بطون
 عديدة وأفخاذ كثيرة منها: بنو مالك وبنو يام ابني عنس، وبنو مراد وبنو قرن وسعد العشيرة،
 الذين منهم بنو زيد وبنو جعفي. ومن مذحج أيضا: بنو النخع الذين منهم بنو سعد وغيرهم،
 وقد ذكر الناظم هؤلاء جميعا إما تصريحاً وإما ضمناً بذكر بعض أعيانهم، وذكر من أعيانهم
 عشرة رجال.

الأسود أيضا. والديلمى (بوزن صيرفي): مفعول به لشارك، وهي نسبة إلى الديلم (جيل من العجم كانوا في الأصل من الأكراد من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل من ولد سام). والخدم (بوزن كتف وبالحاء والذال المعجمتين): صفة للديلمى، والخدم من الرجال السمع عند العطاء والطيب النفس، والخدم أيضا السيف القاطع. وفيروز (بالنصب): بدل من الديلمى. وشلت (بالبناء للمفعول): تقبضت، ويذا: نائب فاعله. والضمير في كليهما عائذ على قيس وفيروز معا، وهي جملة دعائية أتى بها الناظم إعجابا واستحسانا منه لهذه الفعلة الجليلة والخصلة النبيلة وهي قتل هذا الملحد المتنبئ الذي كان رسول الله ﷺ قد أمر بقتله وحث عليه.

يقول: ومن مذحج بنو عنس، بطن الأسود العنسي الذي قتله فيروز الديلمى وقيس بن مكشوح المرادي. أما مذحج فهو لقب مالك بن أدد أخي طيئ، وقد مر بعض التعريف به وسبب تسميته مذحجا وذكر بعض البطون المتفرعة منه. وأما عنس فهو لقب لزيد بن مالك بن أدد وهو أبو بطن من مذحج تفرعت منه أفخاذ كثيرة، منها: بنو مالك بن عنس الذين منهم الأسود العنسي المتنبئ؛ وهم أول فرقة ارتدت في حياة رسول الله ﷺ، ومنها بنو يام بن عنس بن مذحج الذين منهم آل ياسر.

ومن بطون مذحج أيضا بنو مراد بن مذحج وقد تفرعوا - أيضا - إلى عدة أفخاذ منها: بنو زاهر الذين منهم قيس بن مكشوح المرادي، ومنها بنو قرن الذين منهم أويس القرني وغيرهم - كما تقدم.

أما الأسود العنسي فهو عبهلة بن كعب بن غوث بن صعيب بن مالك بن عنس العنسي، كان من رؤساء بني مذحج ثم بني عنس بن مذحج. وذكر القلقشندي في نهاية الأرب أنه من بني صعيب بن عجل (وهم بطن من بكر بن وائل) وهم بنو صعيب بن عجل بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل وأن صعيبا هذا وقع

بالشام فتبناه سعد بن عنس فبنوه فيهم.

وكان الأسود العنسي هذا كاهنا مشعبدا⁽¹⁾ يري الناس الأعاجيب ويسبي منطقته قلب من سمعه، ثم ادعى النبوة باليمن في عهد النبي ﷺ فاتبعه قومه ومن انضم إليهم وكان يزعم أن ملكين يكلمانه اسم أحدهما شهيق والآخر شريق، وقيل كان له شيطانان يخبرانه بالأمر الحادثة بين الناس، فلما مات باذان الفارسي عامل رسول الله ﷺ بصنعاء اليمن أخبراه بموته فسار إليها واستولى عليها وظهر فيها ثم كان أمره بعد ذلك يطير استطاراة الحريق، وكان يلقب "ذو الخمار" (بالحاء المعجمة) لأنه كان يغطي وجهه بخمار، أو لأنه زعم أن اسم شيطانه الذي يأتيه ذو خمار؛ وقيل بل لقبه "ذو الخمار" (بالحاء المهملة) لقب به لأنه اسم شيطانه، فكان يقول: يا تيسي ذو حمار، وقيل لأنه كان له حمار يقول له: قف فيقف وابرک فيبرک، وكلما أمره بشيء فعله ويدعي أن ذلك معجزة له. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: المدعي نبوة الملحد.

وأما قيس فهو أبو شداد قيس بن مكشوح - واسم مكشوح هبيرة - بن عبد يغوث بن الغرل (بصيغة التصغير) بن بداء بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد بن مذحج المذحجي المرادي، وقيل اسم المكشوح عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمد بن الغوث بن أثمار البحلي ثم الأحمسي نسبة، المرادي بالخلف؛ وكان عداده في مراد. وقد أسلم قيس بن مكشوح في عهد النبي ﷺ ولم تكن له صحبة، وقيل كانت له صحبة باللقاء والرؤية، وكانت له نجدة وبسالة فكان فارس مذحج غير مدافع وكان من الشجعان

(1) الكاهن: من يدعي معرفة الأسرار أو أحوال الغيب ويخبر بالأمر المغيبة. والمشعبذ: الماهر في الاحتيال والذي يري الشيء على غير حقيقته معتمدا على خداع الحواس.

البارزين والأبطال المشهورين وذوي الغناء في الفتوحات زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، فكانت له آثار عظيمة في قتال الفرس وخاصة يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله: شبيه خالد إلى ما ذكره صاحب الروض الأنف حيث قال في التعريف بقيس هذا: "وله في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد.. إلخ. وشهد قيس هذا - رحمه الله - نهاوند مع النعمان بن مقرن وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكان شاعراً، وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب؛ وكان يناقضه في الجاهلية⁽¹⁾ وكانا في الإسلام متباغضين ومتباعدين. ومن شعر قيس يخاطب عمرا هذا، [من أبيات]:

فلو لاقيتني لاقيت قرنا	وودعت الحباب بالسلام
لعلك موعدي ببني زبيد	وما قامعت من تلك اللثام
ومثلك قد قرنت له يديه	إلى اللحين يمشي في الخطام.. إلخ.

ولعمرو بن معدي كرب في قيس هذا:

تمنى أن يلاقيني قيس	وددت وأينما مني ودادي
فمن ذا عاذري من ذي سفاه	يرود بنفسه شر المراد ⁽²⁾
أريد حياته ويُريد قتلي!!	عذيرك من خليلك من مُراد

[من أبيات]

(1) ناقضه في قوله مناقضة: تكلم بما يخالف معناه، وناقض الشاعر الشاعر: قال أحدهما قصيدة فنقضها صاحبه عليه ردا على ما فيها معارضا له. والجاهلية: ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة، وزمان الفترة بين رسولين.

(2) راد روادنا وريادا: دار وذهب وجاء في طلب الشيء. والمراد (بفتح الميم) والمستراد: المجال أي مكان الرجل الذي يجول فيه.

وقتل قيس بن مكشوح بصفين مع علي رضي الله عنه وبيده راية بجيلة يومئذ. وكان من خبره في صفين أن بجيلة قالت له: يا أبا شداد خذ رايتنا اليوم، فقال: غيري خير لكم، قالوا: ما نريد غيرك، قال: فوالله لئن أعطيتمونها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب (يعني به رجلا كان قائما على رأس معاوية بترس مذهب يستره به من الشمس) فقالوا له: اصنع ما شئت؛ فأخذ الراية ثم زحف فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس - وكان في خيل عظيمة - فاقتلوا قتالا شديدا، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ فشد قيس بسيفه نحو صاحب الترس فعارضه دونه رومي لمعاوية فضرب قدم قيس فقطعها فضربه قيس فقتله فأشرعت الرماح إلى قيس حتى قتل.

وأما فيروز فهو أبو عبد الله - أو أبو عبد الرحمن - فيروز الديلمي - أو ابن الديلمي - يمني كناني من أبناء الأساورة من فارس الذين كان كسرى قد بعثهم إلى قتال الحبشة، وقيل هو ابن أخت النجاشي ويقال له: فيروز الحميري لنزوله بحمير ومخالفته إياهم. وقد على النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة فأسلم وصحب، وقال له: يا رسول الله إنا من قد علمت وجئنا من بين ظهري من قد علمت فمن ولينا؟ قال: «الله ورسوله» قال: حسينا⁽¹⁾، ثم عاد فيروز إلى اليمن. وكان من الشجعان ولذا وصفه الناظم بالحذم تشبيها له بالسيف القاطع، وكان على رأس قتلة الأسود العنسي. ووفد على عمر في خلافته، ثم سكن مصر ومات ببيت المقدس في خلافة عثمان، وقيل مات باليمن في عهد معاوية سنة ثلاث وخمسين.

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (4/232)، والدارمي.

الأسود العنسي الكذاب وخبر قتله

وحاصل ما أشار إليه الناظم من قتل فيروز وقيس بن مكشوح للأسود العنسي؛ أنه لما قدم رسول الله ﷺ من حجة الوداع جاء الخبر بظهور الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وكانا يستغويان أهل بلادهما⁽¹⁾ قبل، إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا في زمان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم قد لحقه مرض بعيد عودته من الحج ثم عوفي، ثم عاد فمرض مرض الموت؛ ثم طارت الأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم قد اشتكى، فوثب الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة وتبعهما قومهما ومن انضم إليهم وكثرت أتباعهما واستفحل أمرهما، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ في مرضه. ثم خرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه من الصداع، وقال: «إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن» قيل: وما أولتهما يا رسول الله؟ قال: «فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن يخرجان من بعدي»⁽²⁾، ثم كتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين أن يحشوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى حرب الأسود وأن يحاولوا قتله إما مصادمة وإما غيلة⁽³⁾.

(1) استغواه بالأمانى الكاذبة: طلب غيه وأضله.

(2) أخرجه البخاري.

(3) صادمه مصادمة: ضربه، وتصادم الفارسان: ضرب أحدهما الآخر بنفسه وتراحما، والمصادمة: المدافعة. والغيلة (بالكسر): الاغتيال، يقال: "قتله غيلة" أي على غفلة منه.

وكان الأسود العنسي حين غلب على صنعاء تزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي وكانت من عظماء فارس وقسرها على ذلك⁽¹⁾ فأبغضته أشد البغض؛ وكانت بنت عم فيروز الديلمي، فتحرك في قتل العنسي نفرٌ منهم: فيروز الديلمي وقيس بن المكشوح ودادويه فدخلوا على المرزبانة وقالوا لها: إن الأسود قتل أباك وزوجك فما عندك؟ قالت: هو أبغض الناس إلي، فوعدتهم موعداً أتوا عنده؛ وقد سقته الخمر حتى سكر فسقط نائماً كال ميت، فقالت لهم: هو مجرد والحرس يحيطون بقصره إلا هذا البيت فانقبوا عليه. فنقبوا عليه البيت⁽²⁾ فدخل فيروز الديلمي ونفر معه فوجدوه على فراش عظيم من ريش قد غاب فيه، فأشفق فيروز أن يتعادى عليه السيف إن ضربه فوضع ركبته على صدر الكذاب وقتل عنقه حتى تحول وجهه من قبل ظهره فخار كأشد حوار الثور⁽³⁾، فابتدر الحرس إلى الباب فقالوا: ما هذا الصوت؟ قالت المرأة: ذلك النبي يوحى إليه فأليكم عنه! ثم احتز قيس بن المكشوح رأسه ورمى به إلى الناس ففض الله الذين اتبعوه وألقى عليهم الخزي والذلة، وكانت مدته من أول خروجه إلى أن قتل أربعة أشهر، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر فسبق خبر السماء؛ روي عن ابن عمر قال: أتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها الأسود، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الناس، فقال: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «فيروز الديلمي»⁽⁴⁾.

(1) قسرها: قهرها وأكرهها على ذلك الأمر.

(2) نقب البيت: حرقه، والنقب: الحرق في الجدار.

(3) خار الثور حوارا: صاح.

(4) قاله في الاستيعاب.

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد، فأتى خير مقتل العنسي المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر الصديق.

ومن مراد - أيضا - صفوان بن عسال من بني الربض بن زاهر بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد المرادي، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة؛ وسكن الكوفة. روي عنه أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ في المسجد على بُردٍ له أحمر فقلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، قال: «مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها».

ثم قال رحمه الله:

وَمِنْهُمْ ابْنُ يَاسِرٍ ابْنُ أُمِّهِ
 . وَهِيَ سُمِّيَتْ . الْخَبِيثُ عَمْرُو
 تَهِينُ آلِ يَاسِرٍ وَالْمُصْطَفَى
 بِأَنَّ مَوْعِدَهُمُ الْجَنَانَ
 وَفِي أَبِي الْيَقْظَانَ عَمَّا نَزَلَ
 مَنْ غَالَهُ بَغِيًّا عَلَيْهِ وَقَفَا
 أَنْ لَيْسَ بَاغِيًّا وَكَانَ حَرَّةً
 لِابْنِ الْمَغِيرَةِ وَأَهْلِكَ الْأُمِّهِ
 أَوْلَ وَهَلْتِ وَكَانَتْ فَهْرُ
 يَعِدُهُمْ إِذَا عَلَيْهِمْ وَقَفَا
 إِنْ يَصْبِرُوا فَيَعَذَّبَ الْهُوَانَ
 ﴿إِلَّا مَنْ أَكَرَهُ﴾ وَإِذْ عَنْهُ انْخَزَلَ
 حَيْدَرَةٌ وَسَرَّهُ أَنْ عَرَفَا
 أَبُو حُذَيْفَةَ وَطَهَ صَدْرَهُ

قوله ابن ياسر: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في منهم عائد على مذحج ، والمراد بابن ياسر عمار بن ياسر. وقوله ابن أمة (بالرفع): صفة لابن ياسر. وابن المغيرة: هو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي. وضمير وهي عائد على الأمة. وسمية (بالتصغير): هي بنت خياط مولاة

لأبي حذيفة بن المغيرة المذكور. والخبيث (بالرفع): فاعل أهلك، وهو الردي الكثير الخبث، وعمرو: بدل منه، والمراد به عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام. وأول وهلة: أي أول مرة. والمراد بفهر: قريش ثم بنو المغيرة بن مخزوم منهم. قوله تهين (بضم التاء): أي تستخف بهم وتعذبهم. وآل ياسر هم ياسر نفسه وابناه عمار وعبد الله وأمهما سمية فكانوا جميعا من أول من أسلم وعذبوا في سبيل الله. والضمائر البارزة في يعدهم وعليهم وموعدهم ويصبروا كلها عائدة على آل ياسر. وقوله يغذب: أي يجلو. والهوان: الذل. وقوله وفي أبي اليقظان: متعلق بنزل. وعمار (بالجر بوزن كنان): بدل من أبي اليقظان. والضمير في عنه: عائدة على عمار. والمخزل: انفرد عنه وانفصل. وغاله: أهلكه وقتله على غرة. وبغيا: أي ظلما. وعليه: متعلق بوقفها، وألفه للاطلاق. وحيدرة: لقب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والضمير في سره عائدة على حيدرة. واسم ليس ضمير مستتر عائدة على حيدرة أيضا، وباغيا خبرها. والضمير في حرره وفي صدره عائدة على عمار؛ وصدره (بالتضعيف): قدمه، والصدارة التقدم.

آل ياسر أول شهداء الإسلام

يعني أن من مذبح أيضا ثم من عنس منهم: آل ياسر وهم ياسر بن عامر وابناه عمار وعبد الله وأمهما سمية بنت خياط العنسيون بالأصل المخزوميون بالحلف. وسيوضح ما أشار إليه الناظم هنا من خلال التعريف بآل ياسر المذبحين.

أما ياسر فهو أبو عمار ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مذحج (مالك) بن أدد بن زيد المذحجي العنسي نسبا المخزومي بالحلف، كان قد قدم من اليمن إلى مكة فأقام بها وحالف بني مخزوم وتزوج بأمة لهم ولم يزل مقيما بمكة حتى بُعث رسول الله ﷺ فكان من أول من أسلم؛ وقد أسلم ورسول الله صلى

الله عليه وسلم إذ ذاك في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ولم يزل يعذب في الله حتى استشهد رضي الله عنه فكان أول شهيد.

وكان سبب وصول آل ياسر اليمنيين إلى مكة ومحالفتهم لبني مخزوم أن خرج ياسر بن عامر هذا وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة، التي هي ملتقى العرب جميعا للبحث عن أخ لهم مفقود خرج من قبيلته في اليمن ثم انقطعت عنهم أخباره وكانوا يأملون أنهم سيجدون في مكة، فبحثوا عنه كثيرا وتقلوا بين أحياء مكة وأسواقها وبواديها، فلما يتسوا منه وهاجمهم الحنين إلى بلدهم الخصب رجع إليه الحارث ومالك، أما ياسر فاستهوت حياة مكة فعزم على الاستقرار بها فودع أخويه مصرا على الحياة في مكة في حوار بيت الله الحرام؛ ولما رأى أنه لم تكن له بمكة قبيلة تدافع عنه وتؤويه لجأ إلى سراة بني مخزوم فحالف أبا حذيفة مهشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي ليدفع عنه ظلم بطون قريش الأخرى وغيرها، ثم زوج أبو حذيفة حليفه ياسراً من أمة له اسمها سمية بنت خياط فولدت له عمارا على الرق فأعتقه أبو حذيفة. (وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وكان حرره أبو حذيفة..)، ثم ولدت له أيضا عبد الله. فسارت بهم الحياة في كنف بني مخزوم حتى طعن ياسر في السن واكتملت رجولية عمار، ولم يزل آل ياسر مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله تعالى بالإسلام فأسلموا جميعا فكانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومات ياسر وهو يعذب في الله ليفتنوه عن دينه فكان أول شهيد رضي الله عنه كما مر.

وأما سمية فكانت من السابقات إلى الإسلام والمبايعات الخيرات الفاضلات ولقيت أشد الأذى والتعذيب من آل المغيرة، فصبرت على ذلك ولم تنزل كذلك حتى مر بها أبو جهل ذات يوم وبنو المغيرة يحاولون صدها عن الإسلام ويعذبونها وهي صابرة على ما أصابها ممتنعة من الرجوع عن الإسلام، فجعل أبو جهل

يشتمها ويسبها ويفحش عليها؛ فلما رأى أنها لا ترجع طعنها بجربرة بيده في قُبَلها فقتلها، وقيل طعنها في فخذاها فسرى الرمح إلى فرجها فسقطت شهيدة؛ فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ذلك قبل الهجرة. ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: «قتل الله قاتل أمك»⁽¹⁾.

عمار بن ياسر وبعض مناقبه

وأما عمار فهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر المذحجي ثم العنسي - وقد مر ذكر نسبه في ذكر نسب أبيه ياسر أنفا - ولد رضي الله عنه بمكة وكان ترب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي عنه أنه قال: لم يكن أحد أقرب إليه سنا مني. ولما اكتملت رجولية عمار فكر فيما يدعو إليه رسول الله ﷺ وفيما ينذر به قومه فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو إذ ذاك في دار الأرقم بن أبي الأرقم وجعل يلتفت يمنة ويسرة وهو يشعر بما لقريش من رقباء حول هذه الدار ينقلون إليهم كلما يدور فيها ويرى أن ليس له من قوم ولا منعة تمنعه من قريش، فسار حتى دخل الدار فسمع من رسول الله ﷺ وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الإسلام فأسلم ومكث معه يومه حتى أمسى فخرج مستخفيا. فعرض الإسلام على أبويه فأسلما، فعلمت بنو مخزوم بذلك فلم ينكر عمار ولا أهله بل أعلنوا ذلك في قوة لم ير بنو مخزوم فيها إلا عنادا وتحديا فأقبلوا على آل ياسر يذيقونهم أشد العذاب ليردوهم عن دينهم؛ فكانوا يخرجون بهم إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء مكة ويضجعونهم في بطحائها حيث ترسل الشمس شواظا من

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

لهب، فيمر بهم رسول الله ﷺ وهم يُعذبون ويأسر يئن في قيوده، فيناديهم: «صبراً آل ياسر صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»⁽¹⁾. ويقول: «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت، اللهم لا تعذب أحداً من آل ياسر بالنار»⁽²⁾ فعندما يسمعون ذلك تهدأ نفوسهم وتسكن، فلم يزالوا على تلك الحال حتى قضى ياسر وسمية فكانا أول شهيدين — كما مر — ورمي عبد الله فسقط، وبقي عمار يقاسي العذاب وتعرض لأقساه؛ وقد كانوا مرة يغطونه في الماء، حتى بلغ به الجهد مبلغه⁽³⁾ ولم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آهتهم بخير؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال: «ما وراءك»؟ قال: شر يا رسول الله! والله ما تركوني حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير، فقال رسول الله ﷺ: «كيف تجد قلبك»؟ فقال: مطمئن بالإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «فإن عادوا فعد»⁽⁴⁾؛ فنزل فيه قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾⁽⁵⁾.

ثم هاجر عمار رضي الله عنه الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وبقي بها إلى أن هاجر رسول الله ﷺ فانضم له ولازمه ولم يفارقه قط، فكان من السابقين إلى الإسلام ومن هاجر المهجرتين وصلى إلى القبلتين، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وما بعدها من المشاهد وأبلى فيها بلاءً حسناً وعرف له النبي ﷺ قدره وأحبه؛ وكثيراً ما قال لأصحابه: «إني لست أدري ما

(1) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد والحاكم في معرفة الصحابة.

(2) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد والحاكم في معرفة الصحابة.

(3) غطه في الماء: غمسه وغوصه فيه. والجهد: المشقة.

(4) أخرجه الحاكم في التفسير وابن سعد في الطبقات الكبرى: 249 / 3، وأبو نعيم.

(5) النحل الآية: 106.

قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي - يشير إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - واهتدوا بهدي عمار وعهد ابن أم عبد»⁽¹⁾. ولعل الناظم أشار إلى ذلك وإلى ما يأتي من فضله بقوله: طه صدره..؛ فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ يوماً فعرّف صوته فقال: «مرحبا بالطيب المطيب ائذنوا له»⁽²⁾، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا قلت إلا عمار بن ياسر فياني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ملئ عمار إيماناً إلى أخص قديمه»، وفي رواية: «إن عماراً بن ياسر حشي ما بين أخص قديمه إلى شحمة أذنيه إيماناً»⁽³⁾، وروي أن حذيفة حين احتضر ذكر الفتنة فقبل له: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت، أو قال: فإنه يدور مع الحق حيث دار.

ومن حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «اشتأقت الجنة إلى علي وعمار وسلمان وبلال»⁽⁴⁾، وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له فشكاني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: «من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الترمذي وأحمد والطبراني في الأوسط، والمراد بابن أم عبد: عبد الله بن مسعود، وقد قال عمر بن الخطاب في عمار وابن مسعود هذين: إنهما من النجباء، وأرسل إلى أهل الكوفة أن يطيعوهما ويقتدوا بهما.

(2) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده.

(3) أخرج ابن ماجه والنسائي نحوه.

(4) أخرجه الترمذي وابن عساكر وابن عبد البر في الاستيعاب.

(5) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والحاكم.

قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ، وأرسل عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: أما بعد فإنني بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فأطيعوهما واقتدوا بهما.. إلخ.

هذا وكانت لعمار آثار عظيمة وذكر حسن في حروب أهل الردة والفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فكان في مقدمة جيوش المؤمنين التي بعثها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق لقتال أهل الردة باليمامة وأبلى فيها بلاء حسنا وجعل ينادي بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر هلموا إلي.. وكانت أذنه قد قطعت وهي تذبذب⁽¹⁾ وهو يقاتل أشد القتال حتى انتصر المسلمون. وشهد القادسية وغيرها وكان من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وشهد رضي الله عنه مع علي بن أبي طالب صفين، قال أبو عبد الرحمن السلمي: شهدنا مع علي (بن أبي طالب) رضي الله عنه صفين فرأيت عمارا بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمارا يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم الجنة تحت الأبارقة⁽²⁾ ويقول: والله لو هزمونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر⁽³⁾ لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ويقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

(1) أي تتحرك وتضطرب.

(2) أي تحت السيوف.

(3) السعفات: جمع سفة بالتحريك: وهي أغصان النخل وإنما خص هجر للمبالغة في المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل.

قال أبو عبد الرحمن: فلم أر أصحاب محمد قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، ثم استسقى عمار فأتي بإناء فيه لبن فشرب وقال: الحمد لله اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه فقد عهد إلي رسول الله ﷺ أن أآخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن، فحمل رضي الله عنه عليهم وقاتل حتى قتل؛ حمل عليه أبو الغادية الفزاري - وقيل الجهني - وابن جزء السكسكي فطعنه أبو الغادية واحتز ابن جزء رأسه، فقتل شهيدا كما قتل أبواه ياسر وسمية شهيدين من قبل.

ولما مر به علي بن أبي طالب مقتولا سره ذلك لأنه تأكد من أنه على الحق هو وقومه وأن عدوهم على الباطل لحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وإذ عنه المنزل من غاله.. إلخ، ولما علم عمرو بن العاص بموته دخل على معاوية فرعا فقال: قتل عمار، فقال له معاوية: فما ذا كان؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عمارا الفئة الباغية»، فقال معاوية: دحضت في بولك⁽²⁾ أنحن قتلناه.. إنما قتله من أخرجه. ثم دفنه علي في ثيابه ولم يغسله، وله ثلاث وتسعون سنة (وكانت وقعة صفين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين) رضي الله عن الجميع.

ومن ذرية عمار أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر كان من العلماء بالنسب. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

مِنْ مَذْحِجٍ مَنْ فِي الرَّعِيلِ يَرْكَبُ مِنْ نَسْلِهِ وَالْعَيْنَ فِيهِمْ يَرْهَبُ

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

(2) أي زلقت فيه.

يَقُولُ مِنْ عَشِيرَتِي حِفْظًا لَهُمْ لَسَائِلٍ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَهُمْ
سَعْدُ الْعَشِيرَةِ أُسُودُ الْيَمَنِ وَقَرْنُ أَهْلِ أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ
أَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا مَعَ عَلِيٍّ فِي مِائَةِ كَمَلَهَا لَهُ الْوَلِيُّ
عَلَى الْمَمَاتِ بَايَعَتْ وَأَمْرًا نَبِيْنًا عُمَرَ أَنْ يَسْتَغْفِرَا
لَهُ إِذَا وَجَدَهُ وَأَخْبَرَهُ بَوَضَّحٍ فِيهِ وَفِيهِ أَبْصَرَهُ
وَبِرُّهُ لِأُمَّهُ مَنَعَهُ مِنْ صُحْبَةٍ إِذْ لَا تَزَالُ مَعَهُ

قوله من في الرعيل: من فيه موصول اسمي مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمراد به سعد بن مذحج. وفي الرعيل: متعلق بتركب، والجملة صلة الموصول. والرعيل (كأمير): القطعة المتقدمة من الخيل والرجال، والمراد بها هنا الجيش. ومن نسله: بيان للرعيل، والضمير فيه عائد على الموصول الذي هو من الواقعة على سعد. والنسل: الولد والذرية⁽¹⁾. والعين (بالنصب): مفعول به ليرهب مقدم عليه. ويرهب: أي يخاف. والضماير في فيهم وهم ومنهم وهم كلها عائدة على نسله في قوله من نسله باعتبار معناه؛ وفاعل يرهب ويقول ضمير مستتر فيهما عائد على الموصول المتقدم. والعشيرة: القبيلة، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأذنون. وحفظا لهم: مفعول لأجله. وقوله لسائل إلخ: متعلق بيقول. وسعد العشيرة (بالرفع): خبر عن قوله وهم. وأسود اليمن (بالرفع): صفة لسعد العشيرة باعتبار أفرادهم، ووصفهم بالأسود لشجاعتهم وأضافهم لليمن لأنهم من أهله.

(1) جمعه أنسال، ونسل الرجل كثر ولده، ولقد أحسن من قال:

يقولون نسل المرء أبقى لذكوره وليس له ذكر إذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمة فمن سره نسل فإنا به نسلو

يقول: ومن مذحج أيضا سعد بن مذحج الذي يعرف بسعد العشيرة وهو أبو الحكم سعد بن مذحج بن أدد بن زيد المذحجي، كان له شرف وعز وشجاعة وذكر طائر وكثرة في القبائل اليمنية ولقب سعد العشيرة لأنه بلغ ولدُه وولدُ ولده مائة رجل وقيل ثلاثمائة يركبون معه، فكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي، وقاية لهم من العين. ومن أولاده الحكم (بطن) وبه يكنى والصعب (بطن) وغمرة (بطن) لأمهات شتى، وجعفي (بطن) وعائد الله (بطن) وأوس الله (وهذان باليمن) وزيد الله (بطن) وأنس الله والحري، ودخلوا في أخيهم جعفي؛ أمهم كلهم أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمية. وتشعبت هذه البطون إلى بطون أخرى كثيرة؛ فمن بني الحكم بن سعد العشيرة: بنو جشم وبنو سلهم وبنو بندقة وبنو أسلم؛ منهم الجراح بن عبد الله بن جعاعة المذحجي الحكمي ولي خراسان وكان أبو نواس الشاعر حليفا له، وقيل كان من بني الحكم بالنسب. ومنهم أيضا عبد الله بن سعد بن جابر المذحجي الحكمي كانت تحته آمنة بنت عفان (أخت عثمان بن عفان) فولدت له محمدا بن عبد الله.

ومن بني الصعب بن سعد العشيرة بنو زيد وبنو أود ابني الصعب؛ أما بنو زيد فسيأتي الكلام عليهم قريبا - إن شاء الله - وأما بنو أود بن الصعب فمنهم الفقيه المحدث الكوفي عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن، وعمه داوود بن يزيد محدث أيضا. ومنهم عبد الله بن النعمان بن يزيد لم يكن بالكوفة مذحجي له بواب غيره، ومنهم الشاعر الأفوه صلاة بن عمرو بن عوف المذحجي الذي يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهاهم سادوا

ومن أود أيضا القاضي عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد المذحجي صاحب أبي حنيفة، وقتل جده عافية بن شداد مع علي يوم صفين.

ومن بني غمرة بن سعد العشيرة الحداء - بوزن عنب - وسليم (بطنان)؛ أما سليم فدخلوا في مراد، وأما الحداء فهم - وبنو عمهم بنو بندقة بن الحكم - أصحاب المثل:

"الحداءُ وراءكُ بُندُقةٌ"؛ وأصله أن بني الحداءِ بن ثمرة كانوا ينزلون بالكوفة، وكان بنو بندقية بن الحكم ينزلون باليمن فأغار مرة بنو الحداءِ على بني بندقية فنالوا منهم ثم كر بنو بندقية على الحداءِ فأوقعوا بهم وأهلكوهم فضرب بهم المثل المذكور ومعناه يا حداءُ وراءك بندقية فاحذري أن تصطادك كما تصطاد الحداءة (التي هي الطائر المعروف) بالبندقية التي يرمى بها الرامي فيصطاد بها.

ومن عائذ الله بن سعد العشيرة مالك بن مشوف بن أسد بن عبد مناة بن عائذ الله كانت له رئاسة وقد وكَّد النبي ﷺ من قِبَل النساء [كما في الجمهرة]. ومنهم عبيد بن هجان المذحجي، له صحبة؛ وهو الذي رد سعيد بن العاص من طريق الكوفة ومنعه دخولها.

ومن أوس الله بن سعد العشيرة بنو أسلم وكانوا باليمن. ومن زيد الله بنو عامر وهم مستقلون، وأشرس وعوف والدثل، ودخلوا في تغلب. ومن أنس الله بن سعد العشيرة بطون كان لهم عدد بالريِّ. ومن الحر بن سعد العشيرة العدل بن الحر، كان على شرطة تبع فضرب به المثل؛ فيقال للهالك: "وضع على يدي عدل".

قوله: وقرن (بالتحريك والرفع): عطف على قوله مَنْ في الرعيْل يركب؛ وقرن: اسم بطن من بطون مذحج هم بنو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد بن مذحج المذحجيون. وقوله أهل (بالرفع): صفة لقرن. وأويس (كزبير) هو ابن عامر، والقرني: صفة له نسبة إلى بني قرن هؤلاء. وأبلى الرجل في الحرب بلاء حسنا: أظهر فيها بأسه حتى بلاء الناس فامتحنوه. وقوله مع علي: أي في وقعة صفين. وقوله في مائة: أي مائة رجل بايعته على الموت. والضمير في كملها عائذ على المائة؛ والضمير في له عائذ على علي. والولي: فاعل كملها، والولي هو المؤمن المتقي والمراد به أويس، وفيه وضع الظاهر موضع الضمير. وقوله أن يستغفرا: فاعله ضمير مستتر عائذ على أويس. والضمير في له عائذ على عمر.

وقوله وجده: فاعله ضمير مستتر عائد على عُمر، والضمير البارز عائد على أويس؛ أي أمر رسول الله ﷺ عمر أن يطلب من أويس القرني إذا وجده أن يدعو له بالمغفرة. وقوله وأخبره: فاعله ضمير مستتر عائد على نينا، والضمير البارز عائد على عمر. والوضح: البرص. والضمير في فيه - المكررة - عائد على أويس. وقوله أبصره: فاعله ضمير مستتر عائد على عمر أيضا؛ وضمير المفعول عائد على الوضح، أي وأخبر النبي ﷺ عمر بأن في أويس القرني برصا، فرآه عمر فيه. والضمائر في قوله: وبره ولأمه ومنعه كلها لأويس. وقوله من صحبة: أي من صحبة رسول الله ﷺ، أي شغله رضي الله عنه المقام مع أمه والاشتغال بشؤونها عن الذهاب إلى رسول الله ﷺ والاجتماع به حتى يكون من الصحابة. وقوله إذ أي لأنها لا تزال - أي أمه - معه.

يعني أن من قبائل مذحج ثم من بني مراد بني قرن بطن أويس القرني؛ وسيتضح ما أشار إليه الناظم في هذه الآيات من خلال التعريف بأويس القرني.

أويس القرني

وأويس هذا هو التابعي الزاهد الصالح المشهور أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد بن مذحج المذحجي المرادي القرني. أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره، وقد منعه من القدوم عليه بره بأمه وكان معدودا في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، قيل انه كان أفضل التابعين، وكان ثقة؛ روى عن عمر وعلي. وكان من خيار المسلمين وقد أخبر به رسول الله ﷺ؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفر لك

ففاعل»⁽¹⁾، وفي رواية: «ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم»⁽²⁾. فكان عمر رضي الله عنه إذا أتاه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ فقال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضع الدرهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي إليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن...» - الحديث - فطلب منه عمر أن يستغفر له فاستغفر له، ثم قال له: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال عمر: أفلا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غرباء الناس أحب إلي⁽³⁾.

وروي أنه لما كان العام القابل حج رجل من أشرفهم فوافى عمر رضي الله عنه فسأله عن أويس فقال: تركته رث البيت⁽⁴⁾ قليل المتاع، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص...» - الحديث - فلما عاد الرجل إلى الكوفة دخل على أويس - وكان يسخر به⁽⁵⁾ - فقال له أويس: ما هذه عادتك؟ فقال: سمعت عمر يقول كذا وكذا فاستغفر الله لي فقال له أويس: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي

(1) أخرجه مسلم والحاكم وابن سعد. والأمداد: الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش المسلمين في الغزو واحدهم مدد.

(2) أخرجه مسلم وأحمد بلفظ قريب منه.

(3) رواه مسلم في صحيحه. وغبراء الناس: أي ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه بهم.

(4) رث البيت: هو بمعنى قليل المتاع، والرثاة والبذاة بمعنى واحد وهو حقارة المتاع وضيق العيش.

(5) يسخر به: أي يحتقره ويستهزئ به.

ولا تذكر قول عمر لأحد، فاستغفر له. وفي رواية: أنه قال له: أنت أحدث عهدا بسفر صالح ثم قال له: أَلْقَيْتَ عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه⁽¹⁾. وروي عن الاصبغ بن نباتة قال: شهدت عليا يوم صفين يقول: من يبايعني على الموت؟ فبايعته تسعة وتسعون رجلا فقال: أين التمام فجاءه رجل عليه أطمار صوف مخلوق الرأس فبايعه على القتل فقبل هذا أويس القرني، فما زال يجارب حتى قتل رحمه الله. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: أبلى بلاء حسنا مع علي.. إلخ.

ثم قال رحمه الله:

مِنْ سَعْدِ النَّخَعِيِّ الْأَشْتَرِ الْأَبِيِّ بَنُو زُبَيْدٍ رَهْطُ مَعْدِي كَرِبٍ
وَالْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ وَهُوَ أَبُو نُوَاسِ الْمُنَيْبِ بَعْدُ يُحْسَبُ
مِنْ مَذْحِجٍ

قوله النخعي: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمراد بسعد هذا سعد بن مالك بن النخع، والنخعي: نسبة إلى النخع واسمه جسر بن عمرو بن غلة بن جلد بن مذحج ولقب بالنخع لأنه انتخع عن قومه أي بعد منهم. والأشتر: بدل من النخعي واسمه مالك بن الحارث، ولقب بالأشتر لأنه ضربه رجل يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا إلى عينه فشتت؛ والشت: انقلاب الجفن من أعلى وأسفل أو شقه أو استرخاء أسفله. والأبي: صفة للأشتر أي الشجاع.

يقول: ومن قبائل مذحج بنو النخع الذين منهم بنو سعد، رهط الأشتر النخعي الفارس المذكور والشجاع المشهور، وبنو النخع حي من مذحج غلب عليهم اسم

(1) رواه مسلم في صحيحه.

أبيهم فقيل لهم النخع. وللنخع من الولد مالك وعوف (بطنان)؛ فمن مالك منهما: سعد بن مالك بن النخع؛ له من الولد جذيمة ووهيل وحارثة وقيس وصهبان وعامر وكلهم بطون.

فمن بني جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع الأشتر النخعي، وهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج المذحجي النخعي، كان من ثقات التابعين وكان رئيس قومه، وشهد اليرموك وأبلى فيه بلاء حسنا وأصيب فيه عينه، وكان عمر إذا رآه صرف عنه وجهه وقال: كفى الله أمة محمد شره، وكان من أعيان أصحاب علي رضي الله عنه وشهد معه الجمل وصفين وأبدي فيهما شجاعة مفرطة، ويقال إنه كان لعلي في حروبه مثل ما كان علي لرسول الله ﷺ في غزواته، وكان شاعرا؛ ومن شعره:

بقيت وفري وانخرفت عن العدا	ولقيت أضيافي بوجه عبوس ⁽¹⁾
إن لم أشن على ابن هند غارة ⁽²⁾	لم تخل يوما من ذهاب نفوس
خيلا كأمثال السعالي شربا	تعدو بيض في الكريهة شوس ⁽³⁾
هي الحديد عليهم فكأنه	لمعان برق أو شعاع شوس

ولاه علي بن أبي طالب على مصر بعد أن عزل عنها قيس بن سعد بن عبادة، فلما

(1) بقيت الشيء بالتضعيف: تركته يبقى بعدي. والوفر من المال أو المتاع: الكثير الواسع. وانخرفت عن الشيء: مال عنه وعدل. والعبوس: الكثير العبوس المقطب الكالح.

(2) ابن هند: معاوية رضي الله عنه. والغارة: الخيل المسرعة المغيرة، يقال: شن الغارة عليهم: أي فرق الخيل وصبها عليهم من كل جهة.

(3) السعالي: جمع سعللي وهي الغول أو أتناه. والشرب: جمع شازب وهو الضامر. والكريهة: الشدة في الحرب. والشوس: جمع أشوس وهو الشديد الجريء في القتال والذي ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا.

وصل إلى القلزوم شرب شربة غسل فمات منها - قيل انها كانت مسمومة - فلما بلغ ذلك عليا قال: "للديدن وللغم"⁽¹⁾، ولما بلغت وفاته معاوية قال: إن الله جنودا منها العسل، وقيل إن قاتلها عمرو بن العاص وإن الذي احتال إلى سمه معاوية وقيل عبد لعثمان بن عفان. ومن بني وهيل بن سعد القاضي حفص بن غياث بن طلق النخعي وابنه عمرو بن حفص أيضا، ثقتان ومحدثان. ومنهم أيضا سنان بن عمرو النخعي قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، [والعياذ بالله تعالى].

ومن بني هارثة بن سعد أرتاة بن كعب بن شرحبيل النخعي، وفد هو وأخوه قيس بن كعب على النبي ﷺ وكانا من أجمل أهل زمانهما وأنطقهم، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلما وأعجب بما رأى منهما فقال: «هل خلفتما من ورائكما مثلكما؟» قالا: يا رسول الله قد خلفنا من قومنا سبعين ما يشركوننا في الأمر إذا كان. فدعا لهما بخير وكتب لأرتاة كتابا وعقد له لواء شهد به القادسية فقتل، فأخذ اللواء أخوه زيد بن كعب فقتل، ثم أخذه أخوهما قيس بن كعب، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك في النخع». ومن بني قيس بن سعد بنو عداء بن قيس، أحوال الأشعث بن قيس الكندي؛ وإياهم يعني بقوله:

أبي ذو التاج قيسٌ فاعلمنه وأخوالي الملوك بنو عداء

ومن بني قيس هؤلاء زرارة بن عمرو النخعي، قدم من اليمن على النبي ﷺ للنصف من الحرم سنة إحدى عشرة في وفد النخع، وكان آخر من قدم من الوفود على

(1) هذا مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان أي أسقطه الله عليهما، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بسكران في شهر رمضان فتعثر بذيله فقال عمر: "للديدن وللغم" أولدأنا صيام وأنت مفطر ثم أمر به فحد. [مجمع الأمثال للميداني].

رسول الله ﷺ وهم مائتا رجل - وكانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن - فقال زرارة: يا رسول الله رأيت في طريقي رؤيا هالتي؛ رأيت أتانا خلفتها في أهلي ولدت جديا أسفع أحوى⁽¹⁾ ورأيت نارا خرجت من الأرض حالت بيني وبين ابن لي اسمه عمرو وهي تقول: لظى لظى تطير.. ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان ورأيت عجوزا شمطاء⁽²⁾ خرجت من الأرض!. فقال رسول الله ﷺ: «هل خلفت امرأة مسرة حملا؟» قال: نعم، قال: «قد ولدت غلاما وهو ابنك»، قال: فما باله أسفع أحوى؟ قال: ادن مني فدنا منه فقال: «أبك برص تكتمه؟» قال: نعم والذي بعثك بالحق ما علمه أحد من الخلق قبلك، قال: «فهو ذاك وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي»، قال: وما الفتنة؟ قال: «يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس⁽³⁾ - وخالف بين أصابعه - حتى يصير دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء يحسب المسيء أنه محسن فإن مت أدركت ابنك وإن أنت بقيت أدركتك»⁽⁴⁾ قال: فادع الله أن لا تدركني، فدعا له؛ فمات زرارة

(1) هالتي: أي أفرعتني. والأتان: الحمارة جمعها أتن (بضمتين وبضمة فسكون). والجدي: الذكر من أولاد المعز. والأسفع: الأسود اللون المشرب بالحمرة. والأحوى: الذي لونه الحوة (وهي حمرة تضرب إلى السواد مثل صدأ الحديد).

(2) قرطان: تثنية قرط وهو ما يعلق في شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة ونحوها، جمعه: أقراط. ودملجان: تثنية دملج (بضم فسكون) وهو سوار يحيط بالعضد جمعه: دمالج ودماليج. ومسكتان: تثنية مسكة وهي قطعة من المسك - ضرب من الطيب - يتخذ من ضرب من الغزلان جمعه: مسك (بكسر ففتح). والعجوز: الكبيرة المسنة. والشمطاء: المختلط سواد شعرها بيباض الشيب.

(3) اشتجر الشيء: تداخل بعضه في بعض يقال: "اشتجرت الأصابع والرماح": اشتبك بعضها مع بعض. وأطباق الرأس: عظامه سميت بذلك لتطابقها واشتباكها فهي متطابقة مشتبكة كما تشتبك الأصابع، أراد التحام الحرب والاختلاط في الفتنة.

(4) ذكره ابن سعد في طبقاته [كما في زاد المعاد] ورواه ابن شاهين [كما في الإصابة].

هذا في خلافة عثمان (وأدركت الحرب ابنه عمراً فكان أول خلق الله خلَّع عثمان وبايع علياً). وأما النعمان وما عليه فذلك ملك العرب يصير إلى أفضل بهجة وزينة والعجوز الشمطاء: بقية الدنيا.

قوله: بنو زبيد (كزبير): مبتدأ خبره من مذحج - الآتي - ورهط: بدل منه. ومعدى كرب هو والد الفارس المشهور والبطل المذكور عمرو بن معدى كرب. وقوله والحسن (بالرفع): عطف على بنو زبيد، وابن هانئ (بالرفع): صفة له. وجملة وهو أبو نواس: صفة للحسن أيضاً، ونواس هو بوزن غراب. والنيب: التائب، صفة لأبي نواس. وبعد: ظرف مبني على الضم لقطعه عن الإضافة. ويحسب: أي يعد من مذحج أيضاً.

يقول: ومن مذحج ثم من بني سعد العشيرة منهم بنو زبيد بن ربيعة وأبو نواس الحسن بن هانئ المذحجيون. أما بنو زبيد فهم بطن من سعد العشيرة، وهم بنو منبه وهو زيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن شيبه (وهو زيد الأكبر) بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج المذحجيون؛ منهم معدى كرب والد أبي ثور عمرو بن معدى كرب بن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن زيد الأصغر بن ربيعة الزبيدي، فارس اليمن المشهور صاحب الغارات المذكورة في الجاهلية⁽¹⁾، وقد

(1) روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً من أجود العرب؟ ف قيل له: حاتم، قال: فمن فارسها: ف قيل له: عمرو بن معدى كرب، قال: فمن شاعرها؟ قيل امرؤ القيس، قال: فأى سيوفها أمضى؟ قيل: صمصامة عمرو بن معدى كرب؛ قيل كان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم، وصنع أيضاً من تلك الحديدة ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان قبلُ لنبيه بن الحجاج فسلم منه يوم بدر فصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إنهما كانا من أسياف أهدتهما بلقيس لسليمان عليه السلام. وكان صمصامة عمرو أشهر سيوف العرب وبه يضرب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخير والمضاء والتصميم. وكان عمرو بن معدى

على النبي ﷺ سنة تسع في وفد بني زيد فأسلم وأسلموا ورجع إلى قومه وأقام فيهم مسلما، ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد، ثم أسلم وشهد اليرموك وذهبت فيه إحدى عينيه وشهد القادسية وفتوح الشام وفتوح العراق وأبلى فيها بلاء حسنا. وأخبار شجاعته في الجاهلية والإسلام كثيرة؛ واستشهد - رحمه الله - بنهاوند بعد أن أظهر فيها شجاعة مفرطة وبعد أن انتصر المسلمون، وكانت وفاته بقرية روذة⁽¹⁾ سنة إحدى وعشرين؛ وفي ذلك يقول دعبيل الخزاعي:

لقد غادر الركبان حين تحملوا بروذة شخصا لا جانا ولا عمرا⁽²⁾
 فقل لزبيد بل لمذحج كلها رزتم أبا ثور قريع الوغى عمرا⁽³⁾
 فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يعقبكم أجرا
 ومن معدي كرب أيضا ريمانة بنت معدي كرب أم دريد وعبد الله ابني الصمة
 وكان الصمة قد سباهها، وفي ذلك يقول أخوها عمرو المذكور:

----->>

كرب حسن الاستعمال له كثير الغناء به، وفيه يقول:
 سناني أزرق لا عيب فيه ومصمامي يصمم في العظام
 ثم أعطاه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص مكافأة له على يد صنعها له وقال:
 فقلت لباغي الخير إن تأت خالدا تسر وترجع ناعم البال حامدا
 وقال في الصمصامة:

خليل لم أخنه ولم يخني إذا ما صاب أوساط العظام
 جوت به كريما من قريش فسُر به وصين عن اللثام
 وودعت الصفي صفي نفسي على الصمصام أضعاف السلام
 ثم تداولته الملوك بعد بالشراء.

- (1) روذة (بضم فسكون وبذال معجمة): محلة بالري.
- (2) الغمر (بضم الغين المعجمة وفتحها وسكون الميم): الذي لم يجرب الأمور.
- (3) الرزء: المصيبة العظيمة. والقريع: المقارع أي المضارب. والوغى: الحرب. وعمرا: بدل من أبا ثور.

أمن ربحانة الداعي السميع يورقني وأصحابي هجوع
أشاب الرأس أيام طـوـال وهم ما تضمنه الضلوع
وسوق كتيبة دلفت لأخرى كأن نهارها رأس صليع⁽¹⁾
إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ومن بني زبيد أيضا عمرو بن الحجاج بن عبد الله بن عبد العزى الزبيدي كان من أشرف الكوفة، وكان له مقام محمود في تثبيت بني زبيد عن الردة وشهد قتل الحسين. ومنهم محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي نسبة السهمي بالحلف، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وولاه النبي ﷺ يومئذ على الأحماس والغنائم وشهد المريسيع، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من الفضل بن العباس فولدت له أم كلثوم بنت الفضل؛ تزوجها أبو موسى الأشعري.

أبو نواس وبعض ما قيل عن شعره

أما أبو نواس فهو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المذحجي من بني سعد العشيرة أيضا، وقيل كان فارسي الأصل مذحجيا بالحلف، حالف الجراح بن الحصين الجعفي ولقب بأبي نواس لنواستين له تنوسان⁽²⁾ على عاتقه، وكان جميل الصورة فكه المحضر كثير الدعابة⁽³⁾، وكان شاعرا مشهورا من الطبقة الأولى من الشعراء المولدين، قيل انه كان أقدر الناس على الشعر وأطبعهم فيه. وقد دون شعره

(1) الكتيبة: الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد من السرايا، جمعها: كتائب؛ سميت بذلك لاجتماعها. ودلف (كضرب): مشى رويدا كالمقيد لتقارب خطوه. والصليع: الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه أو وسطه.

(2) النواسة (بضم النون): الذؤابة. وتنوس: أي تتحرك وتتذبذب متدلية.

(3) الفكه: الطيب النفس المزاح الضحوك المضحك. والدعابة: اللعب والممازحة بما يستملح.

وكان متينا في اللغة والأدب حاضر البديهة⁽¹⁾ متعصبا لليمانية على المضرية، وللفرس على العرب.

وقد أطبق أكثر الشعراء وعلماء الشعر ونقدته على أنه كان أشعر المحدثين بعد بشار، وأكثرهم تفننا وأرصنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى⁽²⁾؛ وبرز في كل فن من فنون الشعر وامتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات وأراجيزه الطرديات (أي في مطاردة الصيد). وقد أخذ عليه في شعره حتى كفره بعضهم وفسقه آخرون؛ وكان شعره لقاح الفساد والقذوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر والخروج بذلك من مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وزاد على ذلك انفراده بالإبداع في وصف الخمر؛ فكان نموذجاً سيئاً لمن تأخر عنه، وقد رمي بشربها. ومن شعره في ذلك:

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال:

طاب شرب الراح مصطبحا لا تدع من كفك القدحا
إنما عمر الفتي فرح فاغتنم من عمرك الفرحا

وقد أكثر من وصف الخمر وله في الصلاة والصوم هجاء. ومن شعره في

(1) يقال فلان حاضر البديهة: أي سريع الخاطر، وأجاب على البديهة: أي من غير تفكير، وذو بديهة: أي يفهم ما طرح له من أول وهلة. والبديهة: معرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال للفكر ولا علم بسببها، ويقال أيضاً: فلان حاضر الجواب: أي سريع الإتيان به.

(2) التفنن: المهارة. وأرصنهم: أكملهم وأحكمهم قولاً، وكلام رصين ورأي رصين أي ثابت ومستحکم. وأبدع الشيء: اخترعه وصنعه على غير مثال سابق فهو بديع. والخيال: إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء. ودقة اللفظ: ضبطه وإحكامه.

التشبيب والمدح:

تقول غداة البين إحدى نساتهم
وقد خضبتُها عبرة فلدمعها
وقالت إلى العباس قلت فمن إذا
فهل يكفلن إلا براحتة الندى
لي الكبد الحرا فسر ولك الصبر
على خدها خد وفي نحرها نحر
وما لي إلى العباس معدى ولا قصر
وهل يزهُون إلا بأوصافه الشكر؟

وله في الافتخار:

ومستعبد إخوانه بشرائه
إذا ضمني يوما وإياه محفل
أخالفه في شكله وأجره
لقد زادني تيهها على الناس أني
فوالله لا يبدي لساني حاجة
فلا يطمعن في ذاك مني سوقة
فلو لم أرث فخرا لكانت صيانتني
ليست له كبرا أبر على الكبر
رأى جانبي وعرا يزيد على الوعر
على المنطق المنزور والنظر الشزر
أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر
إلى أحد حتى أغيب في القبر
ولا ملك الدنيا المحجب في القصر
فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر

ومن أبياته السائرة:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ومنها:

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد

ثم إنه مع هذا كله كان محبا للصحابة والخلفاء، وقد رُئي في النوم في حالة
حسنة فسئل عن ذلك فقال: نلت هذا بأبيات مدحت بها الخلفاء الأربعة بنية
خالصة وهي مكتوبة على حائط بيبي، فلما نظروا حائطه وجدوا مكتوبا عليه:

إني رضيت عليا قدوة حسنا
وقد رضيت أبا حفص وسيرته
إن كنت تعلم أنني ما أحبهم
كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
إلا بحبك فاعتقني من النار

ورئي أيضا في النوم بعد موته فقال: غفر لي ربي بأبيات في طي الفراش، فلما أصبح الرائي وجدها فيه كما قال وهي:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنني مسلم

ولعل الناظم يشير إلى هذا بقوله: المنيب بعد⁽¹⁾. ومن جيد شعره في وصف النرجس⁽²⁾ قوله:

تأمل في رياض الأرض⁽³⁾ وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين جاربات على أطرافها الذهب السبيك⁽⁴⁾
على قضب الزبرجد⁽⁵⁾ شاهدات بأن الله ليس له شريك

ومات أبو نواس ببغداد سنة مائة وتسع وتسعين. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

-
- (1) وقد أحسن الناظم رحمه الله في ذكره حيث أتى باسمه وكنيته ونسبه ونسبته إلى قبيلته ولوح لما كان عليه من المعاصي أول أمره وما صار إليه من التوبة في آخر عمره.
 - (2) النرجس (بكسر النون والجيم): نبت من الرياحين ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها، وزهره مستدير أبيض أو أصفر تشبه به الأعين واحدته نرجسة.
 - (3) الرياض: جمع روضة وهي أرض مخضرة بأنواع النبات والبستان الحسن.
 - (4) اللجين (بالتصغير): الفضة ولا مكبر له. والسبيك: المذاب من الذهب أو الفضة والمخلص من الخيث المفرغ في قالب. والسبيكة: القطعة من الذهب أو الفضة مصبوبة على صورة معلومة كالقضببان ونحوها، وكل قطعة مستطيلة من معدن، جمعها: سبائك.
 - (5) القضب: القطع. والزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصي.

... .. وَهَكَذَا الْبُخَارِيُّ مِنْ جُعْفَهَا السَّمَاذِعِ الْخِيَارِ
 كَذَا ابْنُ غَفَلَةَ سُؤِيدُ الْأَبْرُ مُرْدِي الْغُضْنَفْرِ وَكَاسِرُ حَجَرِ
 بُضْرِيَّةٍ وَفَضُّ مَخْتُومًا عَلَيَّ قَافٍ وَكَافٍ مِّنْ سِنِيهِ قَدْ خَلَا

قوله البخاري (بياء النسب الخفيفة): مبتدأ خبره هكذا قبله، وهي نسبة إلى مدينة مشهورة تعرف ببخارى⁽¹⁾ (بوزن سكارى). وقوله من جعفها (بضم الجيم): خير ثان، والضمير فيه عائد على مذحج. والسماذع: جمع سميذع: للسيد الكريم الشريف. والخييار (بكسر الخاء المعجمة): جمع خير وهو المختار، وهما صفتان لجعفي بن سعد العشيرة، وجمع الوصف باعتبار أفراد القبيلة. وقوله ابن غفلة (بالغين المعجمة وبوزن حمزة): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وسويد (بالتصغير): بدل من ابن. والأبر ومردى وكاسر (كلها بالرفع) صفات لابن غفلة. والأبر: المطيع والمتقي. ومردى: أي مهلك وهو مضاف لمفعوله. والغضنفر (كجحنفل⁽²⁾): الأسد. وفاعل مردى: ضمير مستتر عائد على سويد. وقوله بضرية متعلق بكاسر. وفض مختوما: أي أزال ختمه، والمراد بالمختوم: الذي لم يصب قبله. وقوله على قاف وكاف.. إلخ: أي بعد أن مضت من عمره مائة وعشرون سنة (فالقاف في حساب الجمل عبارة عن مائة والكاف عن عشرين)⁽³⁾. وقوله من سنه (بكسر السين): جمع سنة، وحذفت نونه للإضافة. والضمير في سنه عائد على سويد. وخلا: أي مضى. يعني أن سويد بن غفلة هذا تزوج بكرا بعد أن مضت من عمره

(1) تقع في الجنوب الغربي مما كان يعرف بالاتحاد السوفياتي.

(2) الجَحْنُفَلُ: الغليظ الشفة.

(3) كثيرا ما يستعمل الناظم في نظمه هذا وفي سائر أنظامه العدد بأرقام الحروف وهو مصطلح سائد في قطرنا الشنقيطي وفي سائر أقطار المغرب كلها.

مائة وعشرون سنة. يقول: ومن مذحج ثم من بني جعفي منهم: الشجاع المشهور
سويد بن غفلة والحجة الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفيان.

أما بنو جعفي (بوزن كُرسی⁽¹⁾) فهم بطن من مذحج وهم بنو جعفي بن سعد
العشيرة بن مذحج، والنسبة إليهم: جعفي (بلفظ جدهم من غير زيادة ولا نقص)،
وقد تفرعت من جعفي قبائل عديدة يقول فيها لبيد:

قبائل جعفي بن سعد كأنما سقى جمعهم ماء الزعاق منيم⁽²⁾

ترجمة الإمام البخاري

وأما البخاري فهو إمام الحديث في زمانه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن
إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه⁽³⁾ الفارسي الأصل الجعفي بالحلف والولاء⁽⁴⁾. ولد
البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع
وتسعين ومائة ببخارى، ومات عنه أبوه إسماعيل وهو صغير فنشأ بها يتيماً في حجر
أمه، وقد ترك له أبوه مالا كثيراً لم يكن فيه درهم حراماً ولا من شبهة - كما قال
إسماعيل عند وفاته - فحفظ البخاري القرآن وألم بالعريضة وهو صغير وحبب إليه
سماع الحديث فكان أول سماعه من علماء بخارى، وقد أهتم حفظ الحديث وهو في

(1) كما في القاموس المحيط وغيره.

(2) منيم (بضم الميم): أي مهلك كأنه جعل الموت نوماً.

(3) بردزبه: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وكسر الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الباء الموحدة
بعدها هاء، ومعناه بالفارسية الزَّرَّاع.

(4) كان جده بردزبه فارسياً على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة بن بردزبه على يد اليمان الجعفي
فنسب إليه نسبة ولاء فقيل له: الجعفي لذلك وأتى بخارى وكان إسماعيل بن إبراهيم (والد
البخاري) من أهل العلم والورع، سمع من مالك وحماد بن زيد.

الكتاب وعمره إذ ذاك عشر سنين - أو أقل - فلما كان ابن ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام أصحاب الرأي ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد إلى الحج - وكان أحمد أسن منه - فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم ورجع أخوه إلى بخارى ومات بها.

ولم يناهز البخاري البلوغ حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث وكان أهل الرغبة في الحديث يتعادون خلفه ويجلسون في بعض الطرق ويكتبون عنه وهو بعد شاب لم يطر شاربه⁽¹⁾، فلما بلغ ثمان عشرة صنف كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ، ثم تحول في طلب العلم ودخل كثيرا من البلدان كخراسان والشام والعراق ومصر ودخل الجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام ودخل الكوفة وبغداد ما لا يحصى كثرة مع المحدثين؛ وأخذ عنه كثير من علماء هذه البلدان وأئمتها وكان يحفظ كل ما سمع من المشايخ أثناء تنقله ومقامه عن ظهر قلب؛ وكانت مشايخه لا تحصى كثرة وكان جلهم يحدث عن أتباع التابعين وبعضهم عن التابعين وفيهم المتأخر عن ذلك، وتفقه على مذهب الشافعي ثم صار له مذهب خاص. ولما نضج علمه واجتمع له يقينه شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها بعد أن عرف عللها ووجوهها معرفة لم تتم لأحد قبله، فصنف كتاب الجامع المسند الصحيح الذي يعرف بصحيح البخاري؛ فكان أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، فصنفه في ست عشرة سنة. وروي عنه أنه قال: ما أدخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته. وقد اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى

(1) لم يطر: أي لم يبيت، قال الشاعر:

منا الذي هو ما إن طر شاربه والعانسون ومنا المرء والشيب

أصح من صحيح البخاري ومسلم، والجمهور على ترجيح البخاري على مسلم لأنه أكثر فوائد منه، وقال النسائي: ما في هذه الكتب أجود منه. ومما يرجح به أنه لا بد عنده من ثبوت اللقاء، وأما مسلم فاكتفى بإمكانه ورجح البعض صحيح مسلم؛ ول بعضهم:

تخالف قوم في البخاري ومسلم لدي وقالوا أي دين تقدم
فقلت لهم فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم

وكان من أسباب جمعه له ما روي عنه قال: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا للصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال: فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح، وروي عنه أيضا قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح.

وروي عن محمد بن أبي حاتم البخاري قال: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي ﷺ فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع. وكان رحمه الله غاية في الورع لم يغتب أحدا منذ علم أن الغيبة حرام، وكان جوادا كثير الإحسان على الطلبة كثير العبادة والتلاوة، ومن شعره قوله:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعمى أن يكون موتك بفته
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبـت نفسه الصحيحة فلتته

ومنه:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

وقد شهد للبخاري كثير من أجراء عصره، ومن بعدهم، بالعلم والفقہ والدراية بالحديث؛ فقد قال فيه يعقوب بن إبراهيم ونعيم بن حماد الخزازي: محمد بن إسماعيل

البخاري فقيه هذه الأمة، وقال فيه محمد بن بشار: هو أفقه خلق الله في زماننا، وقال فيه أيضا - وكان البخاري إذ ذاك قادما على البصرة -: قدم اليوم سيد الفقهاء، وقال فيه إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفة بالحديث وفقهه. وقال فيه رجاء بن رجاء الحافظ: هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض. وقال فيه الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل كأنه لم يخلق إلا للحديث. وقال أحمد بن إسحاق: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل. وقال يحيى بن جعفر البيكندي: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم. وكتب إليه أهل بغداد كتابا فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وبقي البخاري طول حياته يتردد بين الأمصار حتى اشتاق إلى بلاده فرجع إليها فابتلي فيها بفتنة الجير على القول بخلق القرآن فأثار عليه والي بخارى العامة حتى أخرجوه منها، فخرج إلى خرتنك⁽¹⁾ (قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها) وكان له بها أقرباء فنزل عندهم وأقام أياما فمرض فأوصاهم أن يكفونوه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ثم دعا بدعوات ثم اضطجع فقبض ففعلوا، فلما وضعوه في قبره فاحت من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما فجعل الناس يختلفون إلى القبر يأخذون من ترابه حتى جعل عليه خشب مشبك. وكانت وفاته ليلة السبت - ليلة عيد الفطر - سنة ست وخمسين ومائتين (256) هـ عن اثنتين

(1) خرتنك: مدينة سوفياتية في وسط آسيا.

وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً. وقد أحسن الكمال بن أبي شريف في تاريخه له بقوله: "ولد في صدق ومات في نور" تغمده الله برحمته، ومناقبه رحمه الله لا تحصى، ومما مدح به قول بعض الشعراء:

علا عن المدح حتى ما يزان به	كأنما المدح من مقداره يضع
له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى	هادي السيادة طود ليس ينصدع
الجامع المانع الدين القويم وسند	نة الشريعة أن تغتالها البدع
قاصي المراتب داني الفضل تحسبه	كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
ذلت رقاب جماهير الأنام له	فكلهم وهو عالي سنهم خضعوا
لا تسمعن حديث الحاسدين له	فإن ذلك موضوع ومنقطع .. الخ.

وأما ابن غفلة فهو أبو بهثة سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر بن وادع بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة الجعفي، ولد عام الفيل فكان لدة لرسول الله ﷺ، أدرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريكاً لعمر في الجاهلية وكان زاهداً متواضعاً؛ وقد أدى الصدقة إلى مصدق النبي ﷺ، ثم قدم المدينة يوم دفن النبي صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك ثم شهد القادسية فصاح الناس: الأسد الأسود.. فخرج هو إليه فضربه على رأسه بالسيف فمر في فقار ظهره حتى خرج من عكوة ذنبه⁽¹⁾ وأصاب حجراً ففلقه. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **مردى الغضنفر وكاسر حجر بضربة..**

(1) الفقار: جمع فقارة (بفتح الفاء فيهما) وهي الخرزة من خرزات الظهر أي واحدة من عظام السلسلة العظمية الظهرية الممتدة من الرأس إلى العنق وعدتها في الإنسان ثلاث وثلاثون فقارة، سبع في العنق واثنتا عشرة في الظهر بين الأضلاع وخمس في البطن وخمس في العجز وأربع في العنق، وهو أصل الذنب في أسفل العمود الفقاري من الإنسان، كالفقرة (بالتحريك) وجمعها: فقرات. والعكوة (بسكون الكاف وفتح ضم العين المهملة): أصل الذنب.

ثم شهد رضي الله عنه صفين مع علي كرم الله وجهه. وتزوج سويد هذا جارية بكرا وهو ابن مائة وست عشرة - أو عشرين - سنة فافتضها؛ قال حنش بن الحارث: كان سويد بن غفلة يمر بنا وله امرأة في النخع فكان يختلف إليها وقد أتت عليه سبع وعشرون ومائة سنة. وإلى ذلك أشار بقوله: **وفض محتوما.. إلخ.** وسكن سويد بن غفلة الكوفة حتى مات بها في زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين وهو ابن مائة وخمس وعشرين، وقيل سبع وعشرين ومائة سنة.

ومن جعفي أيضا سلمة بن يزيد بن مشجعة الجعفي الصحابي ويعرف بسلمة بن مليكة، وهي أمه. ومنهم أيضا أخوه لأمه قيس بن سلمة بن شراحيل بن الشيطان بن الحارث بن الأصهب الجعفي، وقد على النبي ﷺ، وكان جده شراحيل بن الشيطان كثير الغارات قتله بنو جعدة بن كعب من بني عامر بن صعصعة، وابنه إياس عقد له عمر على مذبح وهمدان.

ولقيس بن سلمة هذا يرثي أخاه سلمة بن مليكة:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها	لك الويل ما هذا التجلد والصبر
ألم تعلمي أن لست ما عشت لاقيا	أخي إذ أتى من دون أوصاله القبر
وكنت أرى كالموت من بين ليلة	فكيف بين كان ميعاده الحشر
وهونٌ وجدي أنني سوف أغتدي	على إثره يوما وإن نفس العمر
فتى كان يعطي السيف في الروع حقه	إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر
فتى كان يدينه الغنى من صديقه	إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وكان لسلمة: كريب وقيس، وكان كريب شريفا في قومه ولأخيه قيس صحبة. ومن بني جعفي أيضا الجراح بن الحصين بن الحارث الجعفي، استعمله ابن الزبير على وادي القرى ثم قال له: "أكلت تمرى وعصيت أمري". ومنهم أبو سيرة يزيد

بن مالك بن عبد الله بن الذؤيب الجعفي وفد على النبي ﷺ هو وابناه سيرة وعبد الرحمن، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي جعفي باليمن وكان اسمه وادي جردان. وولّى الحجاج ابنه عبد الرحمن بن أبي سيرة على أصبهان. وابنه خيشمة بن عبد الرحمن بن أبي سيرة الفقيه.

ومن بني جعفي أيضا خولي وهلال وعبد الله بنو أبي خولي بن عمرو بن زهير الجعفيون، شهدوا بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما أنهى الكلام على مذبح أخذ يتكلم على إختهم طيبي، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو طيئ بن أدد*

وَوَلَدَتْ مَذْحِجُ زَوْجُ أَدَدٍ طَيًّا وَمَالِكًا أَبَا ذَا الْعَدَدِ
وَطَيِّئٌ مِنْ غَوَّثِهِ نَبْهَانُ ثُعْلُ جَيَّانُ كَذَا بَوْلَانُ

قوله مذحج: فاعل ولدت. وزوج - بدون تاء (وهو الأفضح) -: صفة مذحج.
وأدد (كصرد) هو ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وطيا: مفعول
به لولدت. وطى (بتشديد الباء وبدون همزة): لغة في طيئ، ومنه قول الشاعر:

وحاتم طي إن طوى الموت جسمه فنشر اسمه في الجود صار مخلدا

وقول الآخر:

وحولك طيِّ وأنعامها ...

قوله ومالك: عطف على طيا. وقوله أبا: صفة لمالك، وهو مضاف لذا
العدد. وأل في العدد عهدية، أي العدد الذي مر الكلام عليه؛ وهو بنو عنس وسعد
العشيرة وقرن والنخع وزبيد وجعفي وغيرهم..

يعني أن مالك وطيا ابني أدد بن زيد بن يشجب أمهما مذحج بنت ذي
منشجان بن حمير واسمها مدلة، وقد مر غير بعيد القول بأن مذحجا لقب امرأة
لقبت باسم أكمة ولدت عندها فنسبت إليها ذرية ابنها طيئ ومالك، كما مر أيضا
القول بأنه لقب لمالك بن أدد، أخي طيئ؛ لقب به لأنه ولد بالأكمة المذكورة فأطلق
اسمه على ذريته.

* تناول الناظم الكلام على طيئ في نحو ستة عشر بيتا وذكر من بطونهم خمسة وذكر من أعيانهم
نحو خمسة عشر رجلا وامرأة.

وقد أشار الناظم رحمه الله بهذا البيت إلى ما ذكره صاحب الحلة السيراء وغيره؛ قال في الحلة: ومذحج في الأصل أم مالك وطيبى ابني أدد واسمها دلة بنت ذي منشجان بن حمير. وفي نهاية الأرب للقلقشندي قال: وكان لأدد من الولد مرة ونبت - وهو الأشقر - وطيبى ومالك، فأما مرة ونبت فأمهما مُدلة بنت ذي منشجان بن حمير، وأما طيبى ومالك فأمهما مذحج، واسمها دلة بنت ذي منشجان. ومقتضى ما ذكره أن مذحجا يطلق على طيبى ومالك وذريتهما، والتحقيق - كما فرع عليه النسابون - أن مذحجا لا يطلق على طيبى، وإنما يطلق على ذرية أخيه مالك، سواء على القول بأن مذحجا لقب لأمهما دلة بنت ذي منشجان أو بأنه لقب لمالك بن أدد بن زيد بن يشجب؛ فقد خصته غلبة الاستعمال بمالك دون طيبى. أما مالك بن أدد فقد مر الكلام على ذريته كما أشار إليه الناظم هنا، وأما طيبى فأخذ يتكلم عليهم حيث قال: وطيبى من غوثه.. إلخ، فقوله طيبى (بوزن طيب): مبتدأ. ونبهان (كسكران): مبتدأ أيضا خبره الجار والمجرور قبله، والجملة خبر طيبى. والضمير في غوثه عائد على طيبى. يعني أن من الغوث بن طيبى: نبهان.. إلخ. وقوله ثعل⁽¹⁾ (كصرد)، وجيان (كشداد): معطوفان على نبهان بحذف العاطف، وقوله كذا بولان: عطف عليه أيضا؛ وبولان (بوزن سكران) واسمه غصين بن عمرو.

يقول: ومن بطون الغوث بن طيبى بنو نبهان وبنو ثعل وبنو جيان وبنو بولان الطائيون. فأما نبهان وثعل وبولان فبنو عمرو بن الغوث بن طيبى، وأما جيان فهو

(1) الثعل في الأصل: يقال لخلف صغير زائد في أخلاف الناقة وفي ضرع الشاة وسمي به ثعل بن عمرو بن الغوث هذا وهو جد بطن من طيبى.

ابن جرم بن عمرو بن الغوث بن طيىء. أما طيىء فهو جُلُهْمَة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ولقب طيئا لأنه أول من طوى بئرا ويقال أول من طوى المناهل⁽¹⁾ ولطيىء من الولد فُطرة والغوث والحارث، أمهم عدية بنت الأمري من بني مهرة بن حيدان. وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منه على اثر خروج الأزد منه ونزلوا سُميرا وقَبِل⁽²⁾ في جوار بني أسد ثم غلبوهم على أجا وسلمى - وهما جبلان في بلادهم⁽³⁾ - فعرفا بعد ذلك بجبلي طيىء واستمروا بهما حتى جاء الإسلام فافترقوا في أول الفتوحات الإسلامية.

وكانت طيىء من أعظم بطون كهلان وقد تفرعت منها بطون كثيرة ومتشعبة وقد ذكر الناظم بعضها مقتصرا عليه ولذا أتى بمن التبعية. ومن بطون طيىء بنو فطرة وبنو الغوث ابني طيىء وتفرعت من بطن فُطرة بطون أخرى منهم: بنو خارجة بن سعد بن فطرة ويقال لهم بنو جديلة (نسبوا إلى أمهم)، منهم الثعالب الآتي ذكرهم، ومنهم أيضا بنو أحمد بن الحارث بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان، كانوا بالموصل وجدهم أحمد هذا هو أول من سمي أحمد في الجاهلية. ومنهم أيضا طريف بن مالك بن عميرة بن تيم بن عوف بن مالك الطائي، نزل عليه امرؤ القيس الكندي؛ وفيه يقول:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مال ليلة الجوع والخصر⁽⁴⁾

(1) قال شاعرهم:

فإن الماء ماء أبي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويث

(2) سمير (كزبير): جبل في ديار طيىء. وقيل (بالموحدة محركا): اسم جبل قرب دومة الجندل.

(3) عرف أجا: بأجا بن عبد الحى كان قد صلب في ذلك الجبل، وعرف سلمى بسلمى بنت حام كانت قد صلبت عليه.

(4) تعشو: تنظر. وابن مال: أصله ابن مالك فرحمه في غير النداء ضرورة. والخصر: البرد الشديد.

إذا البازل الكوماء راحت عشية تلاوذ من صوت الميسين بالشجر⁽¹⁾

وأما الغوث بن طييء فقد تفرعت منه بطون كثيرة منهم بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طييء. ومن بني نبهان بنو سعد وبنو نائل ابني نبهان، وذكرهما امرؤ القيس الكندي في قوله:

بنو ثعل جيرانها وحامها وتمنع من رماة سعد ونائل

فمن بني نائل بن نبهان زيد الخيل بن مهلهل، ومن بني سعد بن نبهان قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان وعبد الحميد بن ربعي بن خالد بن معدان، ومن الغوث بن طييء أيضا بنو جيان بن جرم، واسمه ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طييء؛ وإليهم ينسب الإمام أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي الجياني النحوي صاحب التصانيف المشهورة كالتهذيب والكافية الشافية والخلاصة؛ ولد بالاندلس ونشأ بها ثم سافر إلى الشام فنزل بدمشق ومات بها. وقيل جرم لقب ثعلبة بن عمرو بن الغوث وجرم اسم أمه التي حضنته فعرف بها، وبنو جرم هم شمعان وقمران وجيان، وقيل جرم لقب جيان بن عمرو، وبلاد جرم غزة والداروم مما يلي الساحل إلى الحبل وبلد الخليل عليه السلام. ومن بطن جرم سنان بن الفحل الطائي من بني كهف الظلم؛ وكانوا قد اختصموا هم وبنو هرم بن العشاء من بني فزارة في ماء وهم متجاورون مختلفون، فقال في ذلك سنان:

وقالوا قد جننت فقلت كلا وربّي ما جننت وما انتشيت

(1) البازل: الناقة المسنة التي بلغت التاسعة وهو وصف يستوي فيه الذكر والمؤنث. والكوماء: العظيمة السنام لسمنها. وتلاوذ: تلوذ بالشجر وتروغ والميسون: الذين يدعونها للحلب، يقال: أبست لنانة إذا قلت لها: "بس بس" لتدر. وبالشجر: أي بحظائره، ويروى: بالسحر لأن من النوق نوقا لا تحلب إلا إذا طلعت الشمس عليها ودفنت.

ولكني ظلمت فكدت أبكي من الظلم المين أو بكييت
 فإن الماء ماء أبي وجدي وبيري ذو حفرت وذو طويت⁽¹⁾
 وقبلك رب خصم قد تمالوا علي فما هلمت ولا دعوت⁽²⁾
 ولكنني نصبت لهم جيني وألة فارس حتى قريست⁽³⁾

ومن جرم أيضا عامر بن جوين الطائي الجرمي شاعر جاهلي كان سيدا شريفا فارسا، ولكنه كان خليعا تبرأ منه قومه لجرائره وفتكه⁽⁴⁾ ثم أسره بشر بن حارثة وهبيرة بن صخر الكلبي في نفر من قومهم وهو شيخ قد عاش مائتي سنة فجعلوا يتدافعونه لكبره، فقال: لا يكن لعامر بن جوين الهوان، فقالوا له: إنك لهو؟ فذبحوه ومضوا؛ فأقبل ابنه الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلًا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر - وكانوا قتلوا عامرا وقد هبت الصبا - فجعل كلما هبت الصبا ذبح واحدا منهم حتى أتى عليهم. ومن ولد الأسود هذا قبضة بن الأسود بن عامر بن جوين، له صحبة؛ وقد على رسول الله ﷺ هو وزيد الخيل وزر بن سُدوس النبهاني ومالك بن حَسْرِيّ المعني وقيس بن كسفة وقيس بن حليف الطريفان وعدة من طيئ فأناخوا ركابهم بباب المسجد.

ومن الغوث أيضا بنو بولان بن عمرو بن الغوث، منهم الثلاثة الذين يقال إنهم هم الذين وضعوا الخط العربي. ومن بطون الغوث أيضا بنو ثعل بن عمرو بن

(1) ذو فيهما بمعنى التي.

(2) تمالأ القوم على كذا: اجتمعوا وتعاونوا عليه. وهلع: جزع جزعا شديدا.

(3) الألة: الحربة العريضة النصل أو اللامعة أو كل أداة للحرب.

(4) الخليع: الذي تبرأ منه أهله فلا يطأكون بجنايته. والجرائر: جمع جريرة وهي الجناية والذنب، وفي المثل: "في الجريرة تشترك العشيرة" يضرب في الحث على المواساة والتعاون. وفتك فتكا: كان جريفا شجاعا يركب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس.

الغوث بن طيبٍ وفيهم البيت والعدد، وهم المعروفون بالإجادة في الرمي؛ منهم عمرو بن المسيَّب بن كعب بن طريف الطائي الثعلبي، وإياه يعني امرؤ القيس بقوله:

رب رام من بني ثعل متلج كفيه في قـتـره⁽¹⁾
عارض زوراء من نشم غير باناة على وتـره⁽²⁾
قد أتته الوحش واردة فتتحى النزع في يسـره⁽³⁾

إلى أن يقول:

فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من نفره⁽⁴⁾

وقد عاش عمرو هذا مائة وخمسين سنة وأدرك النبي ﷺ ووفد عليه وأسلم. وقد تفرعت من بني ثعل بن عمرو هؤلاء بطون عديدة منهم بنو بُحترُ وبنو معن ابني عتود بن عُنين بن سلامان بن ثعل، وهما بطنان ضخمان.

فمن بني بحتر الشاعر المجيد أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي الشهير بالبحثري، من مشاهير شعراء الإسلام ويقال لشعره سلاسل الذهب؛ له ديوان شعر وكتاب الحماسة (على غرار حماسة أبي تمام)، توفي سنة أربع وثمانين ومائتين.

(1) متلج: أي مدخل وهو من أتلج أصله أولوج. والقتـر: جمع قتره وهي حفرة يستدفئ فيها الصائد ويكمن فيها عن الوحش لئلا يفتن له فينفر منه.

(2) العارض: الذي يرمي عن القوس بالعرض كما يفعل العرب. والزوراء: التي فيها اعوجاج. والنشم: شجر تتخذ منه القسي. وغير باناة: أي غير منحن على الوتر عند الرمي. ورجل باناة: هو الذي يحيي صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض وذلك عيب.

(3) تنحى: تحرف أي تمدد. والبسر: الرمي قبالة الوجه.

(4) يقال أنمى رميته: إذا رماها فجرت بالسهم وغابت عنه، وأصاها إذا أصابها فماتت مكانها، وفي الحديث: «كل ما أصميت ودع ما أنميت». وقوله: ماله لا عد من نفره: دعاء له يوهم الدعاء عليه.

ومن بني معن بن عتود مجير الجراد مدلج بن سويد بن مرثد بن خييري، وابن عمه الطرماح الأكبر بن عدي بن عبد الله، كان خارجيا؛ ومن ولده أبان بن الصمصامة بن الطرماح، كان راوية للأشعار واللغة سكن بالقيروان وإفريقية.

ومنهم أيضا عدي بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود الطائي المعني الشاعر، جاهلي أدرك الإسلام وأسلم؛ ومن شعره في إسلامه:

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي
وودعت القداح وقد أراني بها سدكا⁽¹⁾ وإن كانت حراما

ومن بني ثعل أيضا بنو أخزم والنجد ابني أبي أخزم بن ربيعة بن جروم بن ثعل (بطنان ضخمان) منهم بنو عدي بن أخزم رهط حاتم الطائي الجواد المشهور، ومنهم بنو مر وبنو الحر ابني أخزم بن أبي أخزم.

ومن بني ثعل بنو سنيس بن معاوية بن ثعل، منهم دليل خالد بن الوليد إلى الشام رافع بن عميرة الطائي السنبسي، ومنهم معن بن قيس بن عائذ بن قيس الطائي السنبسي، خاصم عدي بن حاتم يوم صفين في الراية، وابن عمه زيد بن حصن بن وبرة بن جرير السنبسي كان رأس الخوارج يوم النهروان. ومنهم أيضا السليل بن زيد بن مالك بن المعلى الذي غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن ولم يغرق منهم يومئذ غيره.

ومن بني الغوث بن طيء أيضا بنو هني بن عمرو بن الغوث منهم إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن حية بن سعدة بن الحارث بن الحويرث الطائي،

(1) سدكا (بفتح فكسر): أي مولعا بها.

ولاه كسرى أبرويز على الحيرة بعد آل المنذر؛ وكان أحد رجالات العرب وكان رئيسا عليهم في وقعة ذي قار. ومنهم أبو زيد حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعد بن الغوث بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن هني الطائي، الشاعر المشهور؛ كان من المعمرين، قيل عاش مائة وخمسين سنة ومات على نصرانيته [والعياذ بالله] وقد أدرك الإسلام ولم يُسلم، قيل كان من وزراء ملوك العجم، وإن عمر بن الخطاب استعمله على صدقات قومه؛ ولم يستعمل نصرانيا غيره، وكان عثمان يقربه ويدني مجلسه وأدرك زمن معاوية، وكان مقيما في الجاهلية في أخواله بني تغلب بالجزيرة، وفي الإسلام كان منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط في ولاية الجزيرة وولاية الكوفة، قيل لم يزل به الوليد إلى أن أسلم ومات الوليد قبله فمر أبو زيد بقبره فوقف وقال:

يا هاجري إذ جنت زائره ما كان من عادتك الهجر
يا صاحب القبر السلام على من حال دون لقاءه القبر

قيل إنه لما مات دفن بجانب الوليد فمر بهما أشجع السلمي فقال:

مررت على عظام أبي زيد وقد لاحت ببلقعة صلود⁽¹⁾
وكان له الوليد نديم صدق فنادم قبره قبر الوليد

ومن طيبي أيضاً ثم من بني الغوث الشاعر الأديب البليغ أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى، له كتاب الحماسة الذي دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مختار أشعار القبائل

(1) البلقع والبلقعة: الأرض القفر والمكان الخالي من كل شيء جمعه: بلاقع، ويقال: "دار بلقع" أي مقفرة، وفي الحديث: «اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع». والصلود: وصف للمبالغة أي الصلبة التي لا تنبت شيئا.

وهو دون الحماسة وله ديوان شعر. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقد قيل في صحة انتسابه إلى طيء. ومن ولد عمرو بن الغوث أيضا غيث وبُديين وحسن وحسين، وهم الأحلاف دخلوا في بني أخيهم هني بن عمرو. ومن ولده أيضا علي وأنعم وظبيان وتَدول ورُضي بنو عمرو دخلوا في بولان بن عمرو بن الغوث. ومن ولده أيضا مر وعدي وخالد بنو عمرو، أمهم كلهم المسك بنت ذي رعين.

ومن بني طيء نفسه الحارث بن طيء دخل في مهرة بن حيدان وكانوا أخواله - كما مر. ومن طيء أيضا قسامة بن رواحة بن حُل - شاعر جاهلي - وهو القائل:

ليس نصيب القوم من أخويهم	طراد الخواشي واستراق النواضح
وما زال من قتلى رزاح بعالج	دم ناقع أو جاسد غير ماصح ⁽¹⁾
دعا الطير حتى أقبلت من ضرية	دواعي دم مُهراقه غير بارح ⁽²⁾
عسى طيء من طيء بعد هذه	ستطفى نارا في الحشى والجوانح

ومنهم أيضا حسان بن حنظلة بن أبي رهم بن حسان بن حية بن شعبة الطائي

القائل:

تلك ابنة العدوي قالت باطلا	أزرى بقومك قلة الأموال
إنا لعمر أيبك يحمد ضيفنا	ويسود مقرنا على الإقلال
غضبت علي أن اتصلت بطيء	وأنا امرؤ من طيء الأجيال
وأنا امرؤ من آل حية منصبي	وبنو جوين - فاسألي - أخوالي
وإذا دعوت بني جديلة جاءني	مرد على جرد المتسون طوال
أحلامنا ترن الجبال رزانة	ويزيد جاهلنا على الجهال

(1) جسد الدم: ييس وبه لصق فهو جاسد وجسيد. ومصح الشيء: زال أو كاد، والشيء في الأرض: ذهب فيها ورسخ.

(2) المهراق: السائل والجاري. وبرح مكانه: زال عنه وغادره فهو بارح.

ومنهم أيضا واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك الطائي وهو القائل وكان مريضا فحموه الماء واللين:

يقولون لا تشرب نسيئا فإنه وإن كنت حرأنا عليك وخيم
لئن لبني المعزى بماء موسىل بغانبي داءً إنني لسقيم⁽¹⁾

ومنهم أيضا حابس بن سعد بن المنذر بن ربيعة الطائي، له صحبة شهد صفين مع معاوية وقتل بها. ويحكى أن عمر بن الخطاب أراد أن يوليه قضاء حمص، فأخبره أنه رأى الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم والقمر أقبل من المغرب ومعه كذلك فاقتتل الفريقان؛ فقال له عمر: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، قال: كنت مع الآية المحوطة، لا وليت لي عملا أبدا!.

ثم شرع يتكلم على بني ثعل⁽²⁾ بن عمرو بن الغوث؛ وبدأ بهم لأن فيهم البيت والعدد، فقال رحمه الله:

مِنْ نَعْلٍ حَاتِمٍ سَبِطٌ أَخْزَمٌ يُحَفُّ بِالْمَلِكِ فِي جَهَنَّمَ
مِنْ جُودِهِ أَنْ ضَرِيحَهُ نَحْرٌ لَضِيْفِهِ نَاضِحَهُ ثُمَّ أَمْرٌ
عَدِيًّا ابْنَهُ بِإِعْطَاءِ جَمَلٍ وَنَاقَةٍ لَهُ فَبَرًّا وَأَمْتَلٌ

حاتم مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وسبط (بالرفع): صفته وهو مضاف لأخزم. وأخزم: بالخاء والزاي المعجمتين. وجملة يحف.. إلخ: صفة لحاتم أيضا. ونائب فاعل يحف ضمير مستتر عائد على حاتم. والمملك (بفتح اللام): واحد

(1) النسيء: اللبن المخلوط بالماء. والحران: الشديد العطش. والوخيم: الثقيل. وموسيل (بالسين المهملة): تصغير مأسل اسم ماء لطيع. وبغانبي: أكسبني.

(2) ذكر من أعيان بني ثعل أربعة رجال وامرأة.

الملائكة. والضمائر البارزة في من جوده وضريحه ولضيفه وابنه كلها عائدة على حاتم. والضريح: القبر أو الشق في وسطه جمعه ضرائح. والناضح: الراحلة والبعير يستقى عليه (جمعه نواضح)، والضمير المضاف إليه والضمير في له كل منهما عائد على ضيفه. وفاعل أمر: ضمير مستتر عائد على حاتم. وقوله فبر: أي أطاع؛ وقوله وامثل: عطف تفسير عليه، وفاعلها: ضمير مستتر عائد على عدي.

يقول: ومن بني ثعل بن عمرو بن الغوث المتقدم ذكرهم الجواد المشهور حاتم طيئ.

حاتم طيئ ونماذج من جوده

وهو أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم⁽¹⁾ بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي، أمه غنية بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم الطائية، قيل إنها كانت لا تبقى شيئاً سخاء وجوداً.

وكان حاتم هذا أحد أجواد العرب وفرسانهم وشعرائهم، وقد ضاع معظم شعره وبقي منه ديوان، وكان مظفراً مجدوداً⁽²⁾؛ فكان إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب

(1) أبو أخزم هذا اسمه هزومة وهو صاحب المثل: "ششنة أعرفها من أخزم"، وأصله أنه كان له ابن يقال له: أخزم - وكان عاقاً - فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم بن ربيعة فأدموه فقال:

إن بني ضرّجوني بالدم من يلق آساد الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم ششنة أعرفها من أخزم

يعني أنهم أشبهوا أباهم في العقوق. والدرء: الميل والعوج. والششنة: العادة والطبيعة.

(2) المظفر (بوزن معظم): الذي لا يحاول أمراً إلا ظفر به. والمجدود: العظيم الخط.

وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله لا يقتل واحداً أمه. وكان أشهر جواد في العرب معروفاً بذلك عند الخاصة والعامة حتى ضرب به المثل في الجود ف قيل "أكرم من حاتم"؛ فكان له في الكرم والسخاء خلق غريب وسجية باينت سجايا غيره من الأجواد، فكان لا يشقُّ له غبار في ذلك⁽¹⁾؛ وكان حينما نزل عرف منزله. يروى أنه لما شب وترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكل معه أكل وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه ذلك منه قال له: الحق بالإبل ووهب له غلاماً وجارية وفرساً وفلواها⁽²⁾، فلما أتى الإبل طفق يبيغي الناس ويتعرض لهم في الطريق، فبينما هو كذلك إذ نزل به ركب فقالوا له: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني القرى وقد ترون الإبل! (قيل كان ذلك الركب عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم الأسديين والنابعة الذبياني وهم يقصدون النعمان بن المنذر)، فنحر لهم ثلاثاً من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن وكانت تكفيننا بكرة إذا كنت لا بد متكلفاً شيئاً، فقال حاتم: قد عرفت ولكني رأيت وجوهاً مختلفة وألواناً متفرقة فظننت أن البلدان مختلفة فاردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فامتدحوه بأشعار وذكروا فضله، فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم علي الفضل، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تتقدموا إليها فتقتسموها! ففعلوا ومضوا على سفرهم؛ فسمع والد حاتم بما فعل ابنه فأتاه وقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت طوقتك بها مجد⁽³⁾

(1) السجية: الطبيعة والخلق جمعها: سجات وسجايا، ويقال: "طلب فلاناً فما شق غباره" و"جاراه فما خط غباره": أي لم يدركه.

(2) الفلو (بكسر فسكون وكعدوً وسُمُو): المهر الفطيم أو الذي بلغ سنة.

(3) طوقه: ألبسه الطوق وهو حلي للعنق يحيط به. والمجد: العز والرفعة.

الدهر طوق الحمامة، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر اثني به علينا عوضاً من إبلك، فقال له: أبايلي فعلت هذا؟ قال: نعم، قال: والله لا أساكنك بعد أبداً، فخرج أبوه بأهله وبقي حاتم وجاريتته وغلّامه وفرسه وفلّوها، فما لبث أن قدم عليه ركب من أسد وقيس يريدون النعمان وقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيراً وأرسلوا معنا رسالة، فقال: ما هي؟ فأنشده الأسديون شعراً لعبيد ولبشر يمدحانه به وأنشده القيسيون شعراً للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحي أن نسألك شيئاً إلا أن لنا صاحباً قد رجل⁽¹⁾ فقال: خذوا فرسي هذه واحملوه عليها، فأخذوها، وأخذت الجارية فلّوها فربطته بثوبها فأفلت منها فتبعته الجارية فقال لهم: خذوا ما تبعكم فهو لكم، فذهبوا بالجميع. وكان حاتم من أهل نجد فرحل إلى الشام وتزوج ماوية بنت حجر الغسانية.

ومما يروى من جوده أنه كان إذا اشتد الجوع وبرد الشتاء يأمر غلاماً له أن يوقد النار في يفاع الأرض لينظر إليها من ضلّ الطريق⁽²⁾ بالليل فيقصدها، فيصيب من قراه، وفي ذلك يقول مخاطباً غلامه:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا واقد ربح صر⁽³⁾
 عل يــــرى نارك من يمر إن جلبت ضيفاً فأنت حر

ومن شعره في الجود والعفاف:

فأقسمت لا أمشي إلى سرّ جرتي مدى الدهر ما دام الحمام يفرّد
 ولا أشترّي مالا بغير علمته ألا كل مال خالط الغدر أنكد

(1) رَجَلٌ رَجَلًا: سار على رجله لا راكباً.

(2) ضلّ الطريق، أو عنه: لم يهتد إليه.

(3) ليل قر (بالفتح): أي بارد. وريح صير (بالكسر): شديدة البرد أو شديدة الصوت.

إذا كان بعض المال ربا لأهله
فإني بحمد الله مالي مُعَبَّد
يُفَكُّ به العاني ويُوكل طيبا
ويعطى إذا من البخيل المصدرد⁽¹⁾
إذا ما البخيل الحُب أخذ ناره
أقول لمن يصلي بناري أوقدوا

وله أيضا:

أماوي إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوي ما يعني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت⁽²⁾ يوما وضاق بها الصدر
أماوي إن يصبح صداي بقفرة
من الأرض لا مال لدي ولا ذخر⁽³⁾
إذا أنا أدلاني الذين أحبهم
بملحودة زلج جوانبها غبر⁽⁴⁾
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم
يقولون قد أدمى أناملنا الحفر!
تري أن ما أنفقت لم يك ضرني
وأن يدي مما بخلت به صفر⁽⁵⁾
وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر

وله أيضا:

وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا مفيدا ملوما
لحي الله صعلوكا يساور هممه
ويعضي على الأحداث والهول مقدا

(1) المصدر: الذي سقي دون الري أي إطفاء الغليل.

(2) فاعل حشرجت: ضمير مستتر عائذ على النفس محذوفة لدلالة الفتى عليها فهي جزء منه، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردد النفس.

(3) الصدى: جسد الإنسان بعد موته، يقال: "هم اليوم أعداء وهم غدا أصدقاء" أي موتى. والقفرة: الأرض لا ماء فيها ولا كلاً ولا ناس. والذخر (بضم فسكون): اسم لما يجبا لوقت الحاجة، ويقال: ذخر لنفسه حديثا حسناً: أي أبقاه لها.

(4) ملحودة: أي ذات لحد وهو الشق يكون في جانب القبر. وزلج المكان (كفرح) فهو زلج (بسكون اللام وكسرهما وزليج): أي زلق واملاس، والغبر (جمع أغبر وغيراء) التي لونها الغيرة.

(5) صفر (بكسر فسكون): أي خالية.

إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت تيمم كبراهن ثمت صمما
وله أيضا:

أعادل إن المال غير مخلد وإن الغنى عار يـة فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آباتي فما كف جودهم ملام ومن أيديهم خلقت يدي
وله في وصف طارق:

عرا آيسا شبه الجنون وما به جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فأثقت ناري ثم أبرزت ضوءها وأخرجت كلي وهو في البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد إليه أساتله
وقمت إلى بزل هجان أعدها لوجبة حق نازل أنا فاعله

وأشعاره في هذا المعنى كثيرة، وقد مدحه كثير من الشعراء ولهجوا بذكره
وأصبح اسمه مقرونا بذكر الجود والكرم، ومما قيل فيه:

وحاتم طي إن طوى الموت جسمه فنشر اسمه في الجود عاش مخلدا
ولأبي تمام الطائي يفتخر بكرم طيئ ويذكر جماعة من مشاهير أجوادهم:

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم وسُمي فيهم وهو كهل ويافع
سما بي أوس في السماح وحاتم وزيد القنا والاثرمان ونافع
وكان إياس ما إياس وعارف وحرثة أوفى الورى والأصامع
نجوم طواليع جبال فوارغ غيوت هواميع سُول دوافع
مضوا وكان المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

ويحكى أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ سأل زوجة حاتم بعد ما أسلمت
فقال لها: حدثيني ببعض غرائب حاتم في الكرم؛ فقالت: أصابت طيئا بجماعة أفنت

الخف والظلف⁽¹⁾، وقد أفنى حاتم ماله في تلك الجماعة بذلا وعقرا وبيعا في الزرع والتمر ليطعم الجائع والطارق، حتى أنه لم يبق في ملكه غير فرسه، وبتنا طاووين وسفانة وعدي صبيان وقد أجهدهما الجوع، فجعل يعلل عديا لينام وجعلت أعلل سفانة. فلما ناما أقبل علي يحدثني ليشغلني بذلك عن ألم الجوع لعلي أنام، فنومت نفسي شفقة عليه، فقال لي: أئمت؟ فلم أجبه فظن أنني قد نمت فجلس؛ فبينما هو كذلك إذا بسواد قد أقبل فقال: من هذا؟ فقالت: جارتك فلانة وقد تركت صبياني يتضورون⁽²⁾ جوعا، فقال لها: والله لأشبعنهم وإياك فارجمي إلى بنيك وائتيني بهم! فرفعت رأسي وقلت له: وم تشبعهم؟ وما نومنا صبياننا إلا بالتعليل فأخذ سيفه فعقر فرسه ثم ذبحه وأجج نارا ثم أمر المرأة أن تأكل وتشبع صبيانها، وأيقظ سفانة وعديا وناولني المدية فقال: كلي وأطعمي صبيانك وعبيدك ثم نهض فقال: والله إنه للؤم أن نشبع وأهل الحي جياع، فذهب إلى الحي يوقظ أهل كل بيت فيقول لهم هلموا إلى النار فإن آل حاتم قد نحروا، فاجتمع أهل الحي على النار حتى لم يتركوا من ذلك الفرس إلا عظامه وحوافره وحاتم متقنع بردائه فوالله ما طعم منه مضغة وقد كان أحوجتنا إليه وأشدنا جوعا؛ قالت امرأته نوار: فعذلته على ذلك فأنشأ يقول:

مهلا نوار أقلبي اللوم والعدلا ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
 ولا تقولي لشيء كنت مهلكه مهلا وإن كنت معطي العنس والجملا
 يرى البخييل سبيل المال واحدة إن الجـواد يرى في ماله سبلا

(1) الجماعة: عام الجذب ويقال: "عام جماعة أو مَجْوَعَة" أي فيه جوع. والخف (بالضم): للبعير والنعام كالحافر لذوات الحافر. والظلف (بالكسر): الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبي ونحوها، يقال: "فلان له الخف والظلف": أي الأنعام؛ والمراد: أن تلك الجماعة أهلكت جميع الأنعام.

(2) تضور: تلوى من شدة الجوع.

وتوفي حاتم في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ سنة وفاة عبد المطلب، أي قبل الهجرة بست وأربعين سنة ودفن فوق عَوَارِض (وهو جبل في بلاد طيء)⁽¹⁾.

وقول الناظم: يُحَفُّ بِالْمَلِكِ فِي جَهَنَّمَ.. لم أقف بعد على ما يشير إليه؛ وقد سمعت من بعض المشايخ في تقرير هذا البيت أن حاتماً يَحْفُهُ الْمَلِكُ بأجنحته في النار ليخفف عنه حرها بسبب سخائه وكرمه. ويشهد لذلك ما ورد في فتح الودود شرح المقصور والمدود قال: "يروى أن الله يجعل له في النار بيتاً من برد فلا يجد ألم النار لجوده وكرمه ولا يدخل الجنة لأن الله حرّمها على المشركين". وفي زهر الأفتان أن النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: «إن الله قد رفع عن أبيك العذاب الأليم بسبب سخائه»⁽²⁾.

وقد روي عن عدي بن حاتم قال: قلت للنبي ﷺ إن أبي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك أجر؟ قال: «إن أباك رام أمراً فأدر كه»⁽³⁾، يعني الذكر.

ثم استطرده الناظم في مجال ذكر جود حاتم قصة مشهورة، ذكرها كثيرون منهم ابن قتيبة في الشعر والشعراء⁽⁴⁾ وابن كثير في تاريخه⁽⁵⁾ والمسعودي⁽⁶⁾ وغيرهم..

(1) عوارض (بالضم): جبل فيه قبر حاتم ببلاد طيء [القاموس المحيط]، ويقع الآن في السعودية.

(2) وفي الحديث: «السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة..» الحديث، وفيه أيضاً: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار» - رواه الترمذي والدارقطني والبيهقي في الشعب، والطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، والخطيب في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس.

(3) أخرجه الأمام أحمد في مسنده وابن كثير في السيرة النبوية.

(4) ص: 106.

(5) ج: 2 ص: 212.

(6) ج: 2 ص: 141.

وحاصلها أن رجلا يقال له: أبو الخيري مر في نفر من قومه من بني عبد القيس بقبر حاتم وحوله أنصاب متقابلة من حجارة كأنها نسوة نوائح، فنزلوا حوله فجاءه أبو الخيري حتى وقف عند القبر وجعل يركضه برجله ويقول: يا أبا عدي أقر أضيافك! فقال له أصحابه: ويلك أتكلم رمة بالية؟! فقال: إن طيما تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قرأه، ثم عاد إلى قومه فناموا، فلما كان آخر الليل وثب أبو الخيري فزعا وجعل يصيح: واراقلتاه.. فاستيقظ أصحابه فقالوا له: ويلك مالك؟ فقال: قام حاتم والله بالسيف من قبره - وأنا أنظر إليه - حتى عقر ناقتي! قالوا: كذبت، قال: بلى والله، فطلبوا راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث⁽¹⁾ فنحروها وقالوا له: قد والله قراك حاتم. فظلوا يأكلون من لحمها ثم أردفوا صاحبهم وانطلقوا، فبينما هم كذلك إذا هم براكب فنظروا فإذا هو عدي بن حاتم راكبا يقودُ جملا فقال لهم: أيكم أبو الخيري؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إياه وأنه قراك أنت وأصحابك براحتك وقد قال لي في ذلك أبياتا ردها على حتى حفظتها وهي:

أبا خيري لأنت امرؤ	ظلوم العشرة شتامها
فما ذا أردت إلى رمة	بداوية صخب هامها ⁽²⁾
تبغني أذاها وإعسارها	وحولك طي وأنعامها
وإنا لنطعم أضيافنا	من الكوم والسيف يعتامها ⁽³⁾

(1) أي متناقلة لا تقوم.

(2) الرمة: العظام البالية. ورم الميت: تقطع وبلي. وأرض دوية (كفنية) ودأوية: خالية غير موافقة للإقامة فيها؛ قال ذو الرمة: ودوية جرداء جداء جتمت بها هبوات الصيف من كل جانب وقال الشماخ بن ضرار: ودأوية قفر تمشى نعاجها كمشي النصارى في خفاف اليرنج (3) الكوم (جمع كوماء): للناقة الضحمة السنام. ويعتامها: يختارها ويصطفها.

ثم قال: وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه، فأخذه وركبه وذهبوا. وفي رواية أنه أعطاه ناقة وجملا وقال له: هذه الناقة قضاء ناقتك وهذا الجمل يتفضل عليك به، فامتطى أبو خيبري الناقة وتحفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بآتم قرى. وأشار الناظم إلى ذلك بقوله: ثم أمر عديا ابنه بإعطاء جمل وناقة. إلخ.

وفي ذلك يقول سالم بن داراة الغطفاني يمدح عدي بن حاتم ويخاطبه:

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الأمثال في الجود ميتا وكان له إذ كان حيا مصاحبا
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقرر قبر قبله الدهر راكبا

وروي أن عدي بن حاتم كان يحدث أصحابه بهذه القصة بعد إسلامه [كما في شرح مقامات الحريري للشريشي]⁽¹⁾ - والله أعلم.

ثم قال الناظم رحمه الله وعفا عنه:

فَرَّ إِلَى الشَّامِ عَدِيٌّ مِنْ عَلِيٍّ إِذْ هَدَّ فَلَسَهُمْ عَلِيُّ العَلِيِّ
وَجَاءَ بِالسَّبِيِّ وَبِنْتِ حَاتِمِ وَالْمَالِ وَالثَّلَاثَةِ الصَّوَارِمِ
الْمِخْذَمِ الرَّسُوبِ وَالْيَمَانِ سِيُوفِ أَشْرَفِ بَنِي عَدْنَانَ
وَأَنْبَتِ سَفَانَةُ أَخَاهَا إِذْ قَدِمَتْ عَلَيْهِ فَاسْتَفْتَاهَا
وَأَرَشَدَتْهُ لِلْهُدَى وَرَغَبَهُ فِيهِ النَّبِيُّ بِزَوَالِ الْمَسْغَبَةِ
وَرَعَدِ العَيْشِ بِكُلِّ الأَرْضِينَ وَالْأَمْنِ فِي كُلِّ البِلَادِ بَعْدَ حِينِ

قوله من علي: المراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهدد: أي هدم

(1) راجع الجزء الثاني، الصفحة: 245.

وكسر فلسهم أي صنمهم، والضمير عائد على طيئ المتقدم ذكرهم. والفلس (بكسر الفاء): صنم لطيئ كانت تعبده وكان بنجد قريبا من فيد سدنته بنو بولان، وفيه يقول الشاعر:

فأقسم بالعتائر حيث فلس ومن نسك الأقيصرم العباد .. إلخ.

وعلي فاعل هدد، وفيه الإظهار في محل الإضمار. والعلي: الرفيع القدر، صفة لعلي. والسي: ما يسبى ويؤسر من العدو، والغالب تخصيص السبي بالنساء والأسر بالرجال. قوله: وبنت حاتم والمال والثلاثة (كلها بالجر): معطوفات على السبي وهو من عطف الخاص على العام المشعر بتفضيل الخاص، أي جاء بسبايا طيئ وفيها سفانة بنت حاتم. والصوارم: بدل من الثلاثة، وهي السيوف القواطع. والمخزم (كمنبر وبالحاء والذال المعجمتين): السيف القاطع - أيضا. والرسوب (كصبور وبراء وسين مهملتين): السيف الذي يغيب في الضريبة. واليمان: كسحاب. وهذه الثلاثة: بدل من قوله الثلاثة الصوارم. وسيوف (بالجر): عطف بيان على قوله: الثلاثة. والمخزم والرسوب واليمان: أسماء لسيوف خاصة وجدت مع ثلاثة أذراع في خزانة صنم طيئ الذي يعرف بالفلس، ثم صارت بعد لرسول الله ﷺ (1). قوله

(1) اصطفاها له علي بن أبي طالب من صفى المغنم، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة أو عشرة: مأثور (وهو أول سيف ملكه) يقال إنه هو الذي دخل به المدينة في الهجرة، والعضب (أهداه له سعد بن عباد مع ذات الفضول)، وذو الفقار (غنمه يوم بدر) وكان للعاص بن منبه السهمي وكان لا يفارقه في أي حرب وهو الذي رأى فيه الرؤيا ليلة أحد (رأى في ذبابه ثلثة) فأولها بأن أحدا من أهله يقتل، فاستشهد عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه، ثم صار هذا السيف بعده لعلي بن أبي طالب، وكانت له ثلاثة أسياف أصابها من سلاح بني قينقاع، والقلعي وهو الذي أصابه من قلع (موضع بالبادية)، والبتار والحتف والقضيب - [الخميس باختصار] وذات الفضول سميت بذلك لطولها، كما سمي ذو الفقار بذلك لأنه كانت فيه حفر صفار حسان.

وأُنبت: أي عنفت ولامت. وسفانة (بفتح السين المهملة وتشديد الفاء) هي بنت حاتم، وقد أسلمت بعدُ وحسن إسلامها وكني بها حاتم كما كني بأخيها عدي أيضا. وأخاها: مفعول به لأنبت، وهو عدي. وقوله إذ قدمت عليه: أي من رجوعها من سبي طيب. واستفتاها: أي سألها عن النبي ﷺ وعن الرأي فيما يفعل معه - وكانت سفانة امرأة جزلة حازمة⁽¹⁾ - فأرشدته للهدى: أي للإسلام. والضمير في رغبه: عائد على عدي، وفي قوله فيه: عائد إلى الهدى. والنسي: فاعل رغبه. والمسغبة: الجاعة. ورغد العيش: اتساعه ولينه. وقوله بعد حين: أي بعد مدة.

عدي بن حاتم وبعض خبره

يعني أن من بني ثعل بن عمرو بن الغوث أيضا عدي بن حاتم الطائي الذي فر بأهله من جيش رسول الله ﷺ وتوجه إلى الشام. وعدي هذا هو أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، تقدم نسبه في ترجمة أبيه، كان من الأجواد العقلاء وكان رئيس طيب في الجاهلية والإسلام، شريفا فيهم وكان خطيبا حاضر الجواب. أسلم سنة تسع وقيل عشر فكان صحابيا جليلا فاضلا كريما، روي أنه قال: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وما دخل علي وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها وقال: ما دخلت على النبي ﷺ إلا وسع لي أو تحرك لي؛ ودخلت عليه يوما في بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلي جنبه.

ولما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب ومنعت الزكاة كان عدي بن حاتم إذ ذاك في قومه وكان قد أخذ صدقاتهم حتى اجتمعت عنده إبل عظيمة من الصدقة

(1) الجزلة: أصيلة الرأي جيدته. والحازمة: الضابطة لأمرها المحكمة له.

فاجتمعت إليه طيئ وقالوا له: إن هذا الرجل قد مات وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس، فقال عدي: ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين؟ قالوا: بلى ولكن قد حدث ما ترى وقد ترى ما صنع الناس، قال: والذي نفس عدي بيده لا أحبس بها أبدا ولو كنت جعلتها لرجل من المدالج لوفيت له بها فإن أبيتم لأقاتلنكم على ما في يدي وما في أيديكم، فيكون أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدي بن حاتم أو يسلمها، فلا تطمعوا أن يسب حاتما في قبره ابنه عدي من بعده؛ فلا يدعونكم غدر غادر إلى أن تغدروا فإن للشيطان قادة عند موت كل نبي يستخف بها أهل الجهل حتى يحملهم على فلائص الفتنة وإنما هي عجاجة لا ثبات لها ولا ثبات فيها، إن لرسول الله ﷺ خليفة يلي هذا الأمر وإن لدين الله أقواما سينهضون ويقومون به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاموا بعهدده ولئن فعلتم لينازعنكم على أموالكم ونسائكم بعد قتل عدي وغدركم، فأى قوم أنتم عند ذلك؟ فلما رأوا منه الجد كفوا عنه وسلموا له.

وروي أنهم قالوا له: أمسك ما في يديك فإنك إن فعلت تسد الخليفين - يعنون طيئا وأسدا - فقال: ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبي بكر، فخرج بها هو وابنه يحنانها إلى المدينة، فلما كان ببطن قناة لقيته خيل لأبي بكر، ثم سار حتى قدم بها على أبي بكر في المدينة ودفعها إليه وكانت ثلاثمائة بعير. فكانت أول صدقة قدمت على خليفة رسول الله ﷺ؛ فلم يزل بعد ذلك لعدي بن حاتم شرف وفضل على غيره.

ولما بعث أبو بكر رضي الله عنه أول جيش لقتال أهل الردة بقيادة خالد بن الوليد انضم إليه عدي بن حاتم في ألف رجل من طيئ وكانت جديلة - وهي بطن من طيئ - معرضة عن الإسلام وقد همت أن ترتد، فجاءها مكيث بن زيد الخيل

الطائي فقال: أتريدون أن تكونوا سبة على قومكم؟ لم يرجع رجل واحد من طيء وهذا أبو طريف عدي بن حاتم معه ألف رجل من طيء. ولم يزل بهم حتى ثبتهم، فلما نزل خالد بن الوليد بزاحة قال لعدي: يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة فنقاتلها؟ فقال عدي: يا أبا سليمان لا تفعل أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل بيدين قال عدي: فإن جديلة إحدى يدي فكف خالد عنهم؛ فجاءهم عدي فدعاهم إلى الإسلام والجهاد فأجابوه لذلك فحمد الله وسار بهم إلى خالد ففرح بهم خالد ورحب بهم، واعتذروا له من اعتزالهم وقالوا له: نحن لك حيث أحببت، فلم يرتد من طيء رجل واحد.

وقدم عدي بن حاتم يوماً على عمر بن الخطاب مع وفد من قومه، فجعل عمر يفرض للرجل ويعرض عن عدي فقال له عدي: ما أظنك تعرفني؟ فقال عمر: وكيف لا أعرفك وأول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيء؟ بلى والله أعرفك ويعرفك من في السماء؛ آمنت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا وأقبلت إذا أدبروا ووفيت إذ غدروا. فقال عدي: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.. لا أبالي إذاً. وقد أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك إلى ما قام به عدي من منع قومه ومن معهم من الردة وقدمه على أبي بكر بإبل الصدقة، وفي ذلك يقول الحارث بن مالك الطائي:

وفينا وفاء لم ير الناس مثله وسرلنا مجداً عدي بن حاتم

وقد قال ابن الأثير عن عدي بن حاتم: انه خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم. وشهد عدي فتح العراق ثم كان مع علي بن أبي طالب في جميع مشاهدته وفقت عينه يوم الجمل وكان بنو عمه: ملحان وحلبس ولام - بنو غطيف بن حارثة بن سعد بن الحشرج - مع معاوية في صفين، وهم إخوة عدي بن حاتم لأمه.

وروي أن عديا بن حاتم دخل يوما على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطَّرَفَاتُ⁽¹⁾؟ - يعني أولاده - فقال: قتلوا مع علي، قال: ما أنصفك علي قتل أولادك وأبقى أولاده، فقال عدي: ما أنصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده، فقال معاوية: أما إنه بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشرف اليمن، فقال عدي: إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلی عواتقنا، ولئن أذنت إيلنا من الغدر فترا لندنين إليك من الشر شيرا⁽²⁾، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم⁽³⁾ لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف، فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكثبوها، وأقبل على عدي محادثا له كأنه لم يكلمه بشيء!.

ومات عدي بالكوفة سنة سبع وستين - وقيل ثمان وستين - عن مائة وعشرين سنة، وقتل ابنه طريف بن عدي مع الخوارج. وانقطع عقب عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وماصل ما أشار إليه الناظم بهذه الأبيات أن عديا ابن حاتم قال لراع له: أعِدَّ لي جمالا سمانا ذللا⁽⁴⁾ فاحبسها قريبا مني فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني، ففعل؛ ثم أتاه غدوة وقال: يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنع الآن فياني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد (وكان

(1) الطرقات (محركة): هم طريف وطرفة ومُطَرَّف بنو عدي بن حاتم قتلوا بصفين.

(2) الفتر (بكسر فسكون): ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحها، والشير (بالكسر): ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ممتدين.

(3) الحز: القطع. والحلقوم: الحلق. والحيزوم: وسط الصدر. وحشرجته: تردد النفس فيه.

(4) ذللا (جمع ذلول): وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض.

رسول الله ﷺ قد بعث علياً بن أبي طالب إلى الفليس - وهو صنم طيئ - يهدمه
وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً وكان ذلك
في ربيع الآخر من سنة تسع). فلما أعلم الراعي عدياً بخيل المسلمين احتمل بأهله
وولده وعجل عن اخته سفانة بنت حاتم وتوجه إلى الشام، فأغارت خيل علي بن
أبي طالب على طيئ فكسر صنمهم "فلساً" وحرقه وسبى نساءهم وأموالهم؛
وكانت في السبي سفانة بنت حاتم. فجاء بسباياهم إلى رسول الله ﷺ في المدينة
فجعلت في حظيرة عند باب المسجد تجعل بها السبايا، فمر بها رسول الله ﷺ، قال
علي: فقامت جارية عيطاء لعساء⁽¹⁾ فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبنها من
رسول الله ﷺ؛ فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت: يا محمد إن رأيت أن
تخلي ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يفك العاني
ويشيع الجائع ويكسو العاري ولم يردّ طالب حاجة قط.. أنا ابنة حاتم الطائي، فقال
صلى الله عليه وسلم: «يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا
عليه، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق»⁽²⁾ وفي رواية أنها قالت له: يا
رسول الله هللك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ من الله عليك، فقال لها: «من
وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفار من الله ورسوله»⁽³⁾. وروي أنه صلى
الله عليه وسلم قال لها: «قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم
أذني»⁽⁴⁾، ثم قدم ركب من بلي فأذنته فحملها صلى الله عليه وسلم وكساها

(1) العيطاء: طويلة العنق. واللعاء: التي في شفتها لعس أي سواد مستحسن.

(2) رواه ابن كثير في السيرة النبوية: 4 / 132.

(3) أخرجه أحمد وذكره ابن هشام في سيرته.

(4) رواه ابن إسحاق في المغازي والطبري وأبو نعيم [كما في الإصابة] وأخرج أحمد بعضه.

وأعطها نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت على أخيها عدي بالشام فلامته وقالت له: احتملت بأهلك وولدت وتركت بقية والدك، فقال لها: يا أختي لا تقولي إلا خيرا فوالله ما لي عذر، ثم سأها وقال: ما ترين في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى أن تلحق به سرعيا فإن يكن نبيا فللسابق إليه فضل وإن يكن ملكا فلن تذلل في عز اليمن وأنت أنت، فقال: والله إن هذا للرأي؛ فخرج إلى المدينة حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عدي أسلم تسلم»، فقال عدي: إن لي ديناً، فقال له صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلم بدينك منك»، فقال عدي: أنت أعلم بديني مني؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم أأست ترأس قومك؟» فقال عدي: بلى، قال: «أأست تأكل المربع؟» قال: بلى، قال: «أأست ركوسيا؟» قال: بلى، قال: «فإن ذلك لا يحل لك في دينك»⁽¹⁾، ثم قال له: «لعلك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة أهله، أما والله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن ترى المرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت لا تخاف أحدا إلا الله»، ثم قال له: «هل أتيت الحيرة؟» فقال عدي: لم آتها وقد أنبت عنها، قال: «فإن طالت بك الحياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة بغير جوارٍ⁽²⁾ حتى تطوف بالبيت»، قال عدي: فقلت في

(1) أخرجه أحمد في مسنده، والمربع: ربع الغنيمة (وكان رئيس القوم المطاع فيهم يأخذه دون أصحابه في الجاهلية). والركوسية: دين بين دين النصارى والصابئين.

(2) الظعينة المرأة ما دامت في الهودج أو عموما، يقال: هولاء ظعائنه: أي نساؤه، والحوار (بالكسر): الأمان والعهد واعطاء الرجل ذمة فيكون بها جاره فيجيره، يقال: هو في حوار أي في عهدي وأمان، وفي رواية: «يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة تؤم البيت لا حوار معها لا تخاف إلا الله» أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

نفسى: أين دُعَار طيبي⁽¹⁾ الذين سدوا البلاد؟ ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ولتفتحن علينا كنوز كسرى ابن هرمز»، قال عدي: كسرى ابن هرمز؟! فقال صلى الله عليه وسلم: «نعم كسرى ابن هرمز، وليفيضن المال حتى يُهم⁽²⁾ الرجل من يقبل صدقته»⁽³⁾. قال عدي فرأيت اثنتين: الطعينة ترتحل بغير جوار حتى تطوف بالبيت وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى بن هرمز وأحلف بالله لتجئن الثالثة⁽⁴⁾.

وقال معاوية يوماً لجلسائه: وددت أن عندنا من يحدثنا عما مضى من الزمن هل يشبه ما نحن فيه اليوم؟ فقيل له إن بحضرموت رجلاً قد أتت عليه ثلاثمائة سنة، فأرسل إليه معاوية فأتي به، فلما أدخل عليه أجله ثم قال له: ما اسمك؟ قال: أمدُّ بنُ أبد، فقال له: كم أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاثمائة سنة، فقال له معاوية: كذبت! ثم أقبل على جلسائه فحدثهم ساعة ثم أقبل عليه فقال: حدثنا أيها الشيخ فقال له: ما تصنع بحديث الكذاب؟ فقال: إني والله ما كذبتك وأنا أعرفك بالكذب ولكني أردت أن أختبر عقلك فأراك عاقلاً؛ حدثنا عما مضى من الزمن هل يشبه ما نحن فيه؟ فقال: نعم كأنه ما ترى: ليل يجيء من ههنا ويذهب من ههنا، قال: أخبرني عن أعجب ما رأيت، قال: رأيت الطعينة تخرج من الشام حتى تأتي مكة لا تحتاج إلى طعام ولا شراب تأكل من الثمار وتشرب من العيون ثم هي الآن

(1) دعار (بضم الدال وتشديد العين): جمع داعر وهو الخبيث المفسد، ودَعَرَ الرجل دَعَاراً: فجر والدعارة (بفتح الدال وكسرها): الخبث والفسق والفساد.

(2) يُهم الرجل: أي يحزنه.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(4) نحوه في ابن هشام.

كما ترى، قال: وما آية ذلك؟ قال: دول الله في البقاع كما ترى. وروي - أيضاً - عن عدي بن حاتم قال: لما بُعث رسول الله ﷺ كرهته كراهية شديدة فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم فكرهت مكاني أشد من كراهته فقلت لو أتيتته فإن كان كاذبا لم يخف علي وإن كان صادقاً اتبعته؛ فأقبلت حتى قدمت المدينة فاستشرفني الناس فقالوا: هذا عدي بن حاتم، قال: فأتيت النبي ﷺ في المسجد - وجئت بغير أمان ولا كتاب وقد كان قال قبل ذلك: «إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي» - فقام فأخذ بيدي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضاها لهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى إلى داره فألقت إليه الوليدة وسادة فجلس عليها فجلست بين يديه فقال: «هل تعلم من إله سوى الله؟» قلت: لا، ثم قال: «هل تعلم شيئا أكبر من الله؟» قلت: لا قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون» - وكان عدي نصرانيا - ثم قال: «أسلم تسلم»⁽¹⁾، فأسلم عدي وحسن إسلامه رضي الله عنه.

ومن طيب هلب بن عدي بن قنافة الطائي، أخو عدي بن حاتم لأمه ويجتمع معه في عدي بن أخزم؛ واختلف في اسمه فقيل يزيد وقيل سلامة (وإنما قيل له الهلب لأنه كان أقرع فمسح النبي ﷺ رأسه فنبت له شعر كثير فسمي الهلب). والله أعلم. ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مُكَلَّمُ الذَّنْبِ دَلِيلُ خَالِدٍ لِلشَّامِ رَافِعٌ مِنَ الْأَمَاجِدِ
وَمِنْهُمْ الْمُجْبِرُ لِلْجَرَادِ إِذْ حِيَهُ كَرَجِلِهِ الْغَوَادِي

(1) أخرجه الترمذي وأحمد وأخرج البخاري بعضاً منه.

قوله **مكلم** (بوزن معظم): مبتدأ، والمراد به رافع بن عميرة (بوزن سفينة) الطائي⁽¹⁾، ودليل خالد (بالرفع): صفته، والمراد بخالد: خالد بن الوليد المخزومي سيف الله وسيف رسوله، ودليله: مرشده وهاديه إلى طريق الشام. ورافع: بدل من **مكلم الذئب**. وقوله من **الأماجد**: خير **مكلم الذئب**، وهو جمع أجد وهو الفائق في الجدة أي العز والرفعة، وأل: فيه عهدية للإشارة إلى بني ثعلب المذكورين.

رافع بن عميرة ودوره في غزوة اليرموك

يعني أن من بني ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيئ ثم من بني سننيس منهم: رافع بن عميرة دليل خالد إلى الشام وهو الذي كلمه الذئب. ورافع هذا هو أبو الحسن رافع بن عميرة بن جابر بن حارثة بن عمرو (وهو حِذْرَجَان) بن مخصف بن حرمز بن لبيد بن سننيس بن معاوية بن جرول بن ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي السننيسي، ويقال فيه رافع بن عمرو ورافع بن أبي رافع.

كان رافع هذا لصاً في الجاهلية يعمد إلى بيض النعام فيجعل فيه الماء فيخبؤه في الفاوز، روي عنه أنه قال وهو يحدث عن نفسه: كنت امرأً نصرانياً وكنت أدلّ الناس وأهداهم، بهذا الرمل أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ثم أغير على إبل الناس فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه حتى أمر بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فاستخرجه فأشرب منه - [قاله في الروض الأنف]. وزعمت طيئ أنه كان في ضأن له يرعاها فجاء ذئبٌ وكلمه ودعاه إلى رسول الله ﷺ وإلى اللحاق به، وأنشدوا له في ذلك:

(1) وقد يلتبس على البعض برافع بن خديج الأنصاري الأوسي الحارثي الصحابي المشهور الذي كان عريف قومه بالمدينة، شهد أحداً والخندق وتوفي سنة أربع وسبعين بالمدينة متأثراً من جراحة.

رغيت الضأن أحيها بكلي من الضبع⁽¹⁾ الخفي وكل ذيب
فلما أن سمعت الذئب نادى يبشرني بأحمد من قريب
سعت إليه قد شممت ثوبي على الساقين قاصدة الركب
فألفت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب
فبشرني بدين الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضيء حولي أمامي إن سعت ومن جنوبي الخ.

فلحق رافع برسول الله ﷺ فأسلم وصحب. وروي أنه سار في جيش غزوة ذات السلاسل⁽²⁾ بقيادة عمرو بن العاص؛ وكان في ذلك الجيش جلة الصحابة مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، قال رافع: قلت لأختارن لنفسي رفيقاً

(1) في نسخة: "من اللصت الخفي"، واللصت (بفتح اللام): اللص في لغة طيبي وجمعه: لصوت قال الشاعر:

فأفسد بطن مكة بعد أنس قراضية كأنهم اللصوت

وقبله:

ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيت

وصبر في مواطن كل حرب إذا خفت من الفزع البيوت

فأفسد... الخ.

(2) ذات السلاسل: اسم مكان أو ماء وراء وادي القرى على عشرة أيام من المدينة تجمع به جمع من قضاة، وقيل من لحم وجذام للإغارة على أطراف المدينة فعلم بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليهم سرية أمر عليها عمرو بن العاص وكانت في جمادي الأخيرة سنة ثمان - عقب إسلامه بنحو أربعة أشهر - وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، فساروا الليل وكنوا النهار حتى قربوا من العدو فبلغهم كثرتهم فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدونه فبعث إليهم أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فكان عمرو بن العاص على الجميع يصلي بهم، وساروا حتى وصلوا إلى العدو وحملوا عليهم فهربوا وتفرقوا في البلاد. وقيل سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط فيها بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا.

صالحاً، قال: فوفق لي أبو بكر فكان ينمي علي فراشه ويلبسي كساءً له من أكسية فدك⁽¹⁾، قال: فقلت له علمني شيئاً ينفعني فقال: اعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة وتصدق - إن كان لك مال - وهاجر دار الكفر ولا تتأمر على رجلين من المسلمين أبداً⁽²⁾. وكان رافع بن عميرة هذا هادياً خريتا⁽³⁾ وهو دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على طريق السماوة؛ فسلك به البر وقطع ما بين الكوفة ودمشق في خمس ليال، لمعرفته بالمفاوز؛ وكان ذلك في غزوة اليرموك (وهي للمسلمين على الروم).

وحاصل ما أشار إليه الناظم من ذلك؛ أنه لما كانت سنة ثلاث عشرة قال أبو بكر رضي الله عنه لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه - وهو إذ ذاك بالخير - كتاباً يأمره فيه بالسير إلى جموع المسلمين باليرموك والاتحاق

(1) فدك: اسم موضع تنسب إليه الثياب الفدكية.

(2) روي أنه أمره أيضاً بالغسل من الجنابة وبالصوم والحج، فقال له رافع: يا أبا بكر أما أنا والله أرجو أن لا أشرك بالله أبداً، وأما الصلاة والزكاة والصوم فلن أتركها أبداً إن شاء الله، وأما الحج فسأحج إن شاء الله إن استطعت إليه سبيلاً، وأما الجنابة فسأغتسل منها، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها فلم تنهاني عنها؟ فقال له أبو بكر: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفي ذمته، فإياك أن تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرته فإن أحدكم يخفر في جاره فيظلم ناتماً عضله غضباً لجاره إن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشد غضباً لجاره. قال رافع: فقارفته على ذلك، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بعده قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر ألم تنهني عن الإمارة. قال: بلى وأنا الآن أنهاك عنها، فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أحد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة - [الروض الأنف].

(3) الخريت: الماهر بالطريق الذي يهتدي بمثل خرت الإبرة، ويقال له: الخوتع أيضاً، قال الراجز:

كأنما الأعلام فيها سير يضل فيها الخوتع المشهر

بهم وينصحه فيه؛ فامثل خالد أمره وأخذ يطعن بجيشه في البرية حتى انتهى إلى قراقر وأراد السير منها مُفَوِّزاً إلى سوى⁽¹⁾، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟ فكلهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش وإنما يأخذه الراكب الفذ فإياك أن تغرر بالمسلمين.

فالتمس خالد دليلاً فدل على رافع بن عميرة الطائي هذا، فقال له خالد: انطلق بالناس، فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيال والأثقال والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغرراً إنها لخمس ليال لا يصاب فيها ماء مع مضلتها، فقال له خالد: ويحك إنه والله لا بد من ذلك، ثم وقف في المسلمين وقال: لا يختلفن هديكم ولا يضعفن يقينكم واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية والأجر على قدر الحسبة وأن المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه مع معونة الله له. فتحمس أصحابه وقالوا: أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك، ثم قال لرافع: إنه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك، فقال رافع: استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصر أذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله، ثم قال لخالد: التمس لي عشرين جزوراً عظاماً سمناً فأتاه خالد بهن فعمد إليها فظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردتها الماء عللاً بعد نهل⁽²⁾، فشربت حتى إذا تملأت عمد إليها فقطع مشافرها (لئلا تجتز)، وقال لخالد: سر؛ فسار خالد مغذاً بالخيول

(1) اليرموك: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن. وقراقر: اسم ماء لكلب. والمفوز: من يسلك المفاوز وهي الفلاة لا ماء بها. وسوى (بضم السين): اسم ماء لبهراء على بعد خمس ليال من قراقر.

(2) النهل: الشربة الأولى. والعلل: الشربة الثانية.

والأثقال، فكلما نزل منزلاً شق بطن عدد من الإبل فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء، ففعلوا ذلك أربعة أيام.

ولما خشى خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع: ويحك يا رافع ما عندك؟ قال: أدركت الري إن شاء الله وشجعهم، ثم قال: أيها الناس انظروا علمين كأنهما ثديان، فلما أتوهما وقف عليهما وقال: اضربوا يمناً ويسرة لعوسجة⁽¹⁾ كقعدة الرجل، قالوا: ما نراها، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون هلكتم والله إذن وهلكتُ لا أبا لكم، انظروا. فطلبوا فوجدوا جذمها⁽²⁾ فقالوا: جذم ولا نرى شجرة، فقال: احتفروا حيث شئتم، فحفروا فنبع الماء؛ فلما رأى ذلك المسلمون كبروا، فقال رافع: أيها الأمير والله ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة وما وردته إلا مرة واحدة وأنا غلام مع أبي⁽³⁾، فقال أحد شعراء المسلمين:

لله در رافع أنى اهتدى فوز من قراقر إلى سُوى
خمساً⁽⁴⁾ إذا ما سارها الجيش بكى ما سارها من قبله إنس يرى
لكن بأسباب متينات الهدى نكيها الله ثنيات الوردى⁽⁵⁾

وسار خالد حتى انتهى إلى سُوى - وأهله بهراء - فأغار عليهم قبيل الصبح فدهمهم وسبى منهم ثم سار في طريقه إلى المسلمين ليواجه الروم حتى قدم اليرموك

(1) العوسجة: شجرة كثيرة الشوك.

(2) الجذم (بكسر الجيم): الأصل.

(3) في رواية: وأنا غلام مع أبي على رأسي ذؤابة.

(4) في نسخة: أرضاً.

(5) روي أن خالد بن الوليد حين أراد الخروج من الشام قال له محرز بن حريش - وكان يتجر بالحيرة ويسافر إلى الشام - اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه حتى تصبح فلنك لا تحور، فحرب ذلك فوجده كذلك.

فانضم إلى جيوش المسلمين واتحدوا، والتقى الطرفان في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، فنشب القتال بينهم وتضاربوا من لادن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب فانهمزمت الروم وذهبت بهم خيلهم تشتد في الصحراء وتفرقوا في كل مذهب لا يلوون على شيء، وحمل خالد والمسلمون على الرجالين (غير الراكبين) ففضوهم فكأنما هدم بهم حائط، وقتل الله صناديدهم وفرسانهم، وقتل أخو هرقل وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فجعلها بينه وبينهم؛ وفي نفس اليوم جاء إلى خالد والمسلمين نعي أبي بكر الصديق ومبايعة عمر الفاروق رضي الله عنهما.

وتوفي رافع بن عميرة سنة ثلاث وعشرين قبل قتل عمر بن الخطاب.

فائدة: ذكر في الخميس وفي الحلة السراء؛ أن الذئب كلم ثلاثة من الصحابة هم رافع بن عميرة الطائي هذا وسلمة بن عمرو بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلميان. وفي أسد الغابة: روى أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوس أنه قال: كنت في غنم لي فشد الذئب على شاة منها فصحت عليه فأقعى على ذنبه⁽¹⁾ وخاطبني وقال: من لها يوم تشتغل عنها؟ أنتزع مني رزقا رزقيه الله؟ قال: فصفت بيدي وقلت ما رأيت أعجب من هذا! فقال: تعجب ورسول الله ﷺ في هذه النخلات - وأوماً بيده إلى المدينة - يحدث الناس بأنباء ما سبق وأنباء ما يكون وهو يدعو إلى الله وإلى عبادته. فأتى أهبان إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمره وأسلم وصار يعرف بـ"مكلم الذئب".

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء ذئب إلى غنم فأخذ منها شاة فطلبها الراعي حتى انتزعها منه، فصعد الذئب على تل فاقعى واستنفر وقال:

(1) صاح عليه: زجره ونهره بصوت شديد. وأقعى: جلس على استه وبسط ذراعيه مفترشا رجله وناصباً يديه.

عمدت إلى رزق رزقيهِ اللهُ انتزعتهُ مِنِّي، فقال الرجل: يا اللهُ إن رأيتُ كاليوم! ذئبٌ يتكلم؟! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن عندكم - وكان الراعي يهوديا - فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره خبره وصدقهُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم. وروي عن أبي أسيد ربيعة بن مالك الأنصاري الساعدي قال: خرج رسول اللهُ ﷺ ذات يوم إلى بقيع الغرقد⁽¹⁾ فإذا الذئب مفترش ذراعيه، فقال رسول اللهُ ﷺ: «هذا أويس يستطعم» قالوا: رأيك يا رسول اللهُ، قال: «من كل سائمة عشرة» قالوا: كثير يا رسول اللهُ، وفي رواية: أنه صلى اللهُ عليه وسلم قال: «هذا أويس يسألكم من أموالكم»، فقالوا له: لا تطيب له أنفسنا بشيء، فقال له رسول اللهُ ﷺ وأشار بيده أن خالسهم، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء إشارة لطيفة حيث يقول:

نحن الذئاب حيانا المصطفى رخصا أنا لنا ما اختلسنا والذي ضاعا

قوله: المجير للجراد: مبتدأ خبره المجرور قبله، والضمير في منهم عائد على بني ثعل، والمراد بمجير الجراد: مدلج بن سويد الطائي. وقوله إذ: تعليلية. والضمير في حيه عائد على مجير الجراد، وفي رجله عائد على الجراد؛ ورجل الجراد (بكسر الراء المهملة): القطعة العظيمة منه، والغواضي: جمع غاد وغادية: صفة للجراد أي المبكر.

يعني أن من بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيسئ ثم من بني معن بن عتود منهم؛ مدلج بن سويد الطائي مجير الجراد، وشبه عشيرة مدلج بالجراد المنتشر في الكثرة وهو تشبيه شائع، ومنه قول الشاعر:

(1) هو مقبرة أهل المدينة.

إذ هن أفساط كرجل الدبا أو كقطا كاظمة ناهل⁽¹⁾

وأراد به أنه قادر على حماية جاره لكثرة قومه. ومجير الجراد هذا هو مدلج بن سويد بن مرثد بن جبير بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عبيد بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي. ولقب مجير الجراد لأن جرادا بات بفنائه مرة فرأى قوما من طيئ بأوعيتهم يريدون أن يأخذوا منه، فركب فرسه وتسليح وقال: والله لا يتعرض أحد لهذا الجراد الذي بجواري إلا قتلته، فحرسه حتى طلعت الشمس عليه وطار (الجراد) فقال: شأنكم به الآن وقد تحول عن جواري! فضرب به المثل فقول: "أحمى من مجير الجراد".

ومن بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ - أيضا - ثم من بني جرول منهم: الطرماح الشاعر المشهور، واسمه الحكم بن حكيم ولقب الطرماح لطوله، وهو أحد فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم؛ كان صديقا للكُميت وقد أنشده يوما:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترختي عنان القصائد

فقال الكُميت: إي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة.

ومن شعر الطرماح:

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وإني شقي بالنام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشمائل
إذا ما رأني قطع الطرف بينه وبينه فعل العارف المتجاهل

(1) هن ضمير عائذ على الخيل المفهومة من مقام الحرب. وأفساط (جمع قسط): أي فرق وقطع. والرجل (بكسر الراء): القطعة من الجراد المجتمعة. والدبا (بفتح الدال مشددة وبالباء الموحدة مقصوراً): صغار الجراد.

ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل⁽¹⁾
أكل امرئ ألفى أباه مقصرا معاد لأهل المكرمات الأوائل
إذا ذكرت مسعاة والده اضطني⁽²⁾ ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل⁽³⁾

ولما أنهى الكلام على بني ثعل بن عمرو بن الغوث، شرع يتكلم على إخوتهم
بني نبهان بن الغوث⁽⁴⁾، فقال رحمه الله:

وَمِنْ بَنِي نَبْهَانَ زَيْدُ الْخَيْلِ بَنُو حَمِيدٍ جُودُهُمْ كَالسَّيْلِ

قوله زيد الخيل: مبتدأ خبره المجرور قبله. وبنو حميد: (بصيغة التصغير) عطف
على زيد الخيل بحذف العاطف. وجملة جودهم كالسيل: صفة لبني حميد، أي
سحاورهم كالسيل الجاري كثرة.

زيد الخيل بن مهلهل

يقول: ومن بني نبهان بن الغوث بن طيء: زيد الخيل بن مهلهل الطائي
النبهاني. وبنو حميد بن قحطفة بن شبيب المشهورون بالجود والكرم والشجاعة. أما
زيد الخيل فهو أبو مكنف زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضاء بن

(1) كفة الصائد (بكسر الكاف): حبالته. والحابل: الصائد لنصبه الحبال للصيد. ويقال:
"اختلط الحابل بالنابل" والحابل: الذي ينصب الحبال. والنابل: الرامي عن قوسه بالنبل.
وهو مثل يضرب في ارتباك الأمر، ويقال: "نار حابلهم على نابلهم" أي أوقدوا الشر بينهم؛
وهو مثل (يضرب) في الشدة تصيب الناس، ويقال أيضا: "دار حابله على نابله" أي أوله
على آخره و"حول حابله على نابله" أي جعل أعلاه أسفله.

(2) المسعاة: المكرمة في أنواع المجد والكرم (جمعها مساع). واضطني: استحيا وفجر وأخفى في
نفسه ما يستحي أن يديه.

(3) القنا: جمع قناة وهي الرمح. والقنابل: جمع قنبلة وهي القطعة من الخيل.

(4) ذكر من أعيان بني نبهان نحو أربعة رجال.

المختلس بن ثوب بن كنانة بن غوث بن نائل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي النبهاني، أمه قوشة بنت الأثرم الكلبية. ولقب زيد الخيل لكثرة خيله، أو لكثرة طرده بها. كان من أبطال الجاهلية، وكان طويلا جسيما يركب الفرس فتخط رجلاه في الأرض (يعد من مقبلي الظعن)، وكان خطيبا مفوها وشاعرا مجيدا موصوفا بالكرم بعيد الصيت.

ومما ترويه كتب الأدب من خصاله في الجاهلية، ما حكاه الشيباني عن شيخ من بني عامر قال: أصابتنا سنة مجدبة، هلك فيها الزرع والضرع، فخرج رجل منا بعياله إلى الحيرة وتركهم فيها؛ وقال لهم: انتظروني حتى أعود إليكم، ثم أقسم أن لا يرجع إليهم إلا إذا كسب لهم مالا أو يموت؛ ثم تزود زادا ومشى يومه كله حتى إذا أقبل الليل وجد أمامه خباء، وبالقرب من الخباء مهر مقيد، فقال هذا أول الغنيمة، فقصد المهر وجعل يحل قيده فما إن هم بركو به حتى سمع صوتا يناديه: "حل عنه واغنم نفسك" فتركه ومضى. ثم مشى سبعة أيام حتى بلغ مكانا فيه مراح إبل، وبجانبه خباء عظيم، فيه قبة من آدم؛ فقال في نفسه لا بد لهذا المراح من إبل ولهذا الخباء من أهل.. ثم نظر إلى الخباء فوجد شيخا فانيا في وسطه، فجلس خلفه وهو لا يشعر به، وكانت الشمس تدنو من المغيب؛ فلما غابت أقبل فارس عظيم قد امتطى صهوة جواد عال يسير عن يمينه وشماله عبدان ومعه نحو مائة من الإبل أمامها فحل كبير، فبرك الفحل وبركت النوق حوله. فأمر الفارس أحد عبديه أن يجلب ناقة ويسقي الشيخ، فحلب منها حتى ملأ الإناء ووضع بين يدي الشيخ وتنحى، فجرع الشيخ منه جرعة أو جرعتين وتركه. قال الرجل فديبت نحوه متخفيا وأخذت الإناء، وشربت كل ما فيه؛ فرجع العبد وأخذ الإناء، وقال: يا مولاي لقد شربه كله، ففرح الفارس وقال: احلب له أخرى وضعها بين يديه، ففعل العبد ما أمر به؛ فجرع منه الشيخ جرعة واحدة، وتركه. قال الرجل: فأخذته وشربت

نصفه، وكرهت أن آتي عليه كله خوفاً من إثارة الشك في نفس الفارس. ثم أمر الفارس عبده الثاني بأن يذبح شاة، ثم قام إليها الفارس وشوى للشيخ منها وأطعمه بيده حتى إذا شبع جعل يأكل هو وعبده. قال الرجل: ثم ناموا نوماً عميقاً له غطيط، فتوجهت إلى الفحل فحللت عقاله فركبته، فاندفع وتبعته الإبل؛ فمشيت ليلتي.

فلما أسفر النهار نظرت في كل جهة فلم أر أحداً يتبعني، فاندفعت في السير حتى ارتفع النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه نسر أو طائر كبير، فما زال يدنو مني حتى تبينته فإذا هو فارس على فرس ثم ما زال يقبل علي حتى عرفت أنه صاحبي جاء ينشد إبله. عند ذلك عقلت الفحل وأخرجت سهما من كنانتي ووضعته في قوسي وجعلت الإبل خلفي، فوقف الفارس بعيداً وقال لي: احلل عقال الفحل؛ فقلت: كلا، لقد تركت ورائي نسوة جائعات بالحيرة وأقسمت أن لا أرجع إليهن إلا ومعني مال أو أموت؛ قال: إنك ميت! احلل عقال الفحل لا أبا لك. فقلت: لن أحله. فقال: ويحك إنك لمغرور. ثم قال: دل زمام الفحل - وكانت فيه ثلاث عقد - وقال لي: في أي عقدة منها تريد أن أضع لك السهم؟ قال: فأشرت إلى الوسطى فرمى السهم فأدخله فيها حتى لكأنا وضعه بيده ثم أصاب الثانية، والثالثة. قال: فعند ذلك أعدت سهمي إلى الكنانة: ووقفت مستسلماً، فدنا مني وأخذ سيفي وقوسي وقال اركب خلفي، فركبت خلفه. فقال: كيف تظن أنني فاعل بك؟ فقلت: أسوأ الظن. قال ولم؟ قلت: لما فعلته بك وما أنزلت بك من عناء وقد أظفرك الله بي. فقال: أو تظن أنني أفعل بك سوءاً، وقد شاركت مهلهلاً (يعني أباه) في هذه الليلة شرابه وطعامه ونادمته فيها!. قال فلما سمعت اسم مهلهل قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم. فقلت: كن خير آسر فقال: لا بأس عليك. ومضى بي إلى موضعه وقال: والله لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها

إليك. ولكنها لأخت من أخواتي فأقم عندنا أياما فإني على وشك غارة قد أغنم منها. قال: فلم يمكث إلا ثلاثة أيام حتى أغار على بني نضير، فغنم قريبا من مائة ناقة فأعطاني إياها كلها وبعث معي رجلا يحمونني حتى وصلت الحيرة.

هذا وقد أدرك زيد الخيل الإسلام، ووفد على النبي ﷺ سنة تسع في وفد طيئ فأسلم، وسر به النبي ﷺ، وسماه زيد الخير، وقال له: «يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيتك دون ما وصف لي غيرك»⁽¹⁾ وأقطعه أرضا بنجد. فمكث في المدينة سبعة أيام، وأصابته حمى شديدة فخرج عائداً إلى نجد، فنزل على ماء يقال له: "فردة" بنجد فمات هنالك في العام نفسه (أي سنة تسع). وروى الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل راكب حتى أناخ فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع انصبت راحلتي، وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري أسألك عن خصلتين فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: زيد الخيل. قال: «بل أنت زيد الخير فسل»، قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت؟» فقال: أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملت به أثبت بثوابه وإن فاتني منه شيء حزنت عليه. فقال له النبي ﷺ: «هذه علامة الله فيمن يريد؛ وعلامته فيمن لا يريد ولو أرادك بالأخرى لهيأك لها ثم لا يبالي الله في أي واد هلكت»⁽¹⁾.

ومن ولد زيد الخيل: مكنف - وبه يكنى - وحرث؛ وقد أسلما وصحبا وشهدا قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد. ومنهم عروة بن زيد الخير شهد مع أبيه بعض

(1) ذكره ابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية، وابن سعد في طبقاته، والبيهقي في دلائل النبوة.

(1) رواه ابن عدي، وابن شاهين - كما في الإصابة.

حروبه في الجاهلية، وله صحبة وشهد القادسية، وعاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين.

وأما بنو حميد فمن أشهرهم أبو نصر ومحمد وقحطفة، بنو حميد بن قحطفة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن الصامت بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائيون النبهانيون، عرفوا بالكرم والجد والشجاعة، ومدحوا بذلك؛ ومن مدحهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي؛ ورثاهم بقصائد مشهورة منها قوله:

ذكرت أبا نصر بفقد محمد	وقحطفة ذكرى طويل اللابل ⁽¹⁾
وكان الأسي قد آل فيه إلى الحشى	فلما استخفاه جرى في المفاصل
كماء الغدير امتد بعد وقوفه	بما هاج من فيض التلاع القوابل ⁽²⁾
ثووا في الثرى من بعد أن سربلوا العلى	ومن بعد ان سموا نجوم المخافل
مصارع لم تورث شنارا وإنها	ليرتع فيها شامت عند جاهل ⁽³⁾
لعمرك ما كانوا ثلاثة إخوة	ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

وله أيضا:

محمد بن حميدٍ أخلقت رمه	أريق ماء المعالي إذ أريق دمه
تنهت لبني نبهان يوم ثوى	يد الزمان فعائت فيهم وفمه
رأيته بنجاد السيف محتبيا	كالبدر حين جلت عن وجهه ظلمه

(1) اللابل: الاختلاط. ووساوس الصدر.

(2) التلاع: مسابيل الماء من الجبال والنجاف.

(3) الشنار: العار. والشامت: الفرح ببلية من يشمت به.

علمت بعد انتباهي أنها نعمه
يجري وقد خدد الخدين منسجمه
فقال لي: لم يميت من لم يميت كرمه
في روضة قد علا حافاتهما زهر
فقلت والدمع من حزن ومن فرح
ألم تمت يا شقيق الجود مذ زمن؟

وقال:

اليوم أدرج زيد الخيل في كفن
بني حميد لوأا الدهر مترع⁽²⁾
إن ينتحل حدثان الموت أنفسكم
فالماء ليس عجيبا أن أعذبه
رزء على طيئ ألقى كلاكله
لم يتكلوا ليث حرب مثل قحطفة
إن لا تكن صدرت عن منظر حسن
وانحل معقود دمع الأعين الهتن⁽¹⁾
لصد من ذكركم عن جانب خشن
ويسلم الناس بين الحوض والعطن⁽³⁾
يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن⁽⁴⁾
لا بل على أدد لا بل على اليمن..
من قبل قحطفة في سالف الزمن
منه فقد صدرت عن مسمع حسن .. الخ

وله أيضا:

أي نـوم عليكم ليس يمتنع
بني حميد بنفسي أعظم لكم
ما غاب عنكم من الإقدام أكرمه
وأي نـوم عليكم ليس يمتنع
مهجورة ودماء منكم دفع⁽⁵⁾
في الروع إذ غابت الأنصار والشيع

إلى أن يقول:

-
- (1) أدرج: أدخل ولف. والهتن: الكثير الانصباب.
(2) مترع: (بضم الميم وتشديد التاء) ممتليء.
(3) ينتحل: يدعي لنفسه. والعطن: مبرك الإبل حول الحوض.
(4) الآجن: (من الماء) المتغير الطعم واللون. والأسن: المتغير الريح.
(5) دفع: (بضم ففتح) جمع دفعة (بضم فسكون)، وهي الدفقة من المطر ونحوه وما انصب من سقاء أو إناء مرة.

يود أعداؤهم لو أنهم قتلوا
عهدي بهم تستير الأرض إن نزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
وأنهم صنعوا بعض الذي صنعوا
بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأن أيامهم من حسنها جمع⁽¹⁾

[من قصيدة]

وله في أبي نصر:

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا
للحدابي نصر تحية مزنة
فلم أر يوماً كان أشبه ساعة
مصيف أفاض الحزن فيه جداولاً
ووالله لا تقضي العيون الذي له
فتى كان شرباً للعفاة ومرتعياً⁽²⁾
ففي كلما ارتاد الشجاع من الردى
وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا
إذا هي حيت ممراً عاد ممرعاً⁽³⁾
بيوم من اليوم الذي فيه ودعا
من الدمع حتى خلته صار مربع⁽⁴⁾
عليها ولو صارت مع الدمع أدمعا
فأصبح للهنديّة البيض مرتعاً⁽⁵⁾
مفراً غداة المأزق ارتاد مصرعاً⁽⁶⁾

إلى أن يقول:

فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة
فقطعتها ثم انثنى فتقطعا

وله فيه - أيضاً - من قصيدة:

- (1) الغطارفة: (جمع غطريف) وهو السيد الشريف.
- (2) الممرع: (بتقديم العين على الراء) الأرض التي لا نبات فيها. والممرع: (بتقديم الراء) المخصب منها.
- (3) المصيف: موضع الإقامة في الصيف. والجداول: (جمع جدول) وهو النهر الصغير. والمربع: الموضع الذي ينبت ما ترتفع فيه الإبل، أو محل الإقامة في الربيع.
- (4) المرتعى: موضع الرعي. ويراد به هنا الرعي خاصة. والهنديّة: السيوف المنسوبة إلى الهند، ويقال سيف هندي وهندواني ومهند. ورمح مهند أيضاً. والبيض: القاطعة. والمترع: موضع الرتع للأكل والشرب، وهذا من الاستعارة.
- (5) ارتاد: طلب. والردي: الهلاك. والمقر: المهرب. والمأزق: المضيق.

أنسى أبا نصر نسيت إذن يدي
هيهات لا يأتي الزمان بمثله
ما أنت بالمقتول صبراً إنما
للسيف بعدك حرقة وعمويل
إن طال يومك في الوغى فلقد ترى
فستذكر الخيل انصلاتك في الوغى

إلى أن يقول:

أضحت عراض محمد ومحمد
أبني حميد ليس أول ما عفا
ما زال ذاك الصبر وهو عليكم
مستبسلون كأنما مهجاتهم
ألفوا المنايا فالقتيل لديهم
إن كان ريب الدهر أتكليكم

وله في محمد:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
توفيت الآمال بعد محمد

فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر⁽⁷⁾
وأصبح في شغل عن السفر السُّفر

(1) ينيل: أي يبلغ المقصود.

(2) الانصلات: الجد في السير. والوغى: الحرب والصوت والجلبة.

(3) العراض: ساحات الدار الواسعة.

(4) الغيل: موضع الأسد والأجمة.

(5) المستبسل: أي الذي يطرح نفسه في الحرب إما يقتل أو يُقتل. والمهجة: الدم، أو دم القلب خاصة.

(6) ريب الدهر: تقلبه وصرفه. والثكل: فقدان الحبيب أو الولد.

(7) يجل: يعظم. والخطب (بالفتح) الأمر: صغر أو عظم، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه.

وفدح: يثقل ويصعب.

وما كان إلا مال من قل ماله
وما كان يدري مجتدي جود كفه
ألا في سبيل الله من عطلت له
فتى كلما فاضت عيون قبيلة
فتى دهره شطران فيما ينوبه
وذخراً لمن أمسى وليس له ذخري
إذا ما استهلكت أنه خلق العسر⁽¹⁾
فجاج سبيل الله وانتغر الثغر⁽²⁾
دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر
ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

إلى أن يقول:

غدا غدوة والحمد نسج ردائه
تردى ثياب الموت حمرا فما دجا
كان بني نبهان يوم وفاته
يعزون عن ثاو تعزى به العلى
أمن بعد طي الحادثات محمدا
إذا شجرات العرف جذت أصولها
لئن أبغض الدهر الخثون لفقده
لئن غدرت في الروع أيامه به
لئن ألبست فيه المصيبة طيئ
سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصة
وكيف احتمالي للغيوث صنيعه
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى
فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
لها الليل إلا وهي من سندس خضر
نجوم سماء حرّ من بينها البدر
ويكي عليه لباس والحدود والشعر
يكون لأثواب الندى أبدا نشر
ففي أي فرع يوجد الورق النضر
لعهدي به ممن يجب له الدهر
فما زالت الأيام شيمتها الغدر⁽³⁾
فما عريت منها تميم ولا بكر
وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
ياسقائها قبرا وفي لحده بحر
غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبر
ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

.. الخ

(1) مجتدي: طالب الجدوى (أي العطية).

(2) الفجاج: (جمع فج) وهو الطريق الواسع. والثغر: موضع المخافة من فروج البلد والمكان الذي

يخاف منه هجوم العدو.

(3) الشيمة: العادة والطبيعة.

ومن بني نبهان - أيضاً - بنو سدوس (بضم السين) منهم جعفر بن عطية
السُدوسي الذي يقول فيه الشاعر:

مدحت نسيبي جعفرًا إن جعفرًا تحلب كفاه الندى وأنامله .. الخ

ثم أخذ الناظم يتكلم على إحوة بني نبهان وهم بنو بولان⁽¹⁾ بن الغوث، فقال
رحمه الله:

بَوْلَانُ جَدُّ وَأَضِيعِي خَطَّ الْعَرَبِ أَسْلَمُ عَامِرٌ مَرَامِرُ النُّخْبِ

قوله بولان: مبتدأ، وجد: (بفتح الجيم وبالرفع) خبره، وهو مضاف لواضعي
(بصيغة الجمع)؛ وأصله واضعين وحذفت نونه للإضافة إلى مفعوله الذي هو خط.
وواضعي: جمع واضع، يعني به أول من وضع الكتابة العربية. ثم بين الواضعين
للخط بقوله أسلم.. الخ. فأسلم (بفتح اللام وبالرفع): خبر مبتدأ محذوف. وعامر
ومرامر: معطوفان عليه بحذف العاطف، أي وهم أسلم وعامر ومرامر. والنخب
(كصرد): جمع نخبة (بضم ففتح): المختارون من الناس.

أول من وضع الخط العربي

يقول: أما بولان بن عمرو بن الغوث، أخو ثعلب ونبهان - المتقدم ذكرهما -
فمنه الثلاثة الذين وضعوا الخط العربي، وهم: أسلم بن سِدْرَةَ وعامر بن جُدْرَةَ
ومرامر بن مُرَّة بن ذُرْوَةَ الطائيون البولانيون. يقال إن هؤلاء النفر هم أول من
وضع الخط العربي؛ فمرامر وضع الصور وأسلم فصل ووصل وعامر أعجم وأشكل.
وفي نهاية الأرب: بنو بولان - واسمه عصين بن عمرو بن الغوث بن طيء: منهم

(1) ذكر من أعيان بني بولان ثلاثة رجال

الثلاثة الذين يقال إنهم هم الذين وضعوا الخط العربي؛ ومثله في الجمهرة. وحكي أنه كان لمرامر بن مرة ثمانية أبناء سمي كل واحد منهم بكلمة من كلمات (أبي جاد) وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش⁽¹⁾. وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت أئوابي ولست بكاتب

وفي المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، والأنساب للسمعاني - وغيرهما :- أن أول من كتب بخطنا هذا (وهو الخط الذي يسميه أهل الأنبار بالجزم) مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جذرة الطائيون البولانيون. فتعلمه منهم أهل الأنبار؛ ثم تعلمه من أهل الأنبار بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، ثم أتى بشر أهل الطائف فتعلمه منه غيلان بن سلمة الثقفي،

(1) أبجد: بوزن (أحمر)، وقيل محرقة ساكنة الآخر وقيل أبو جاد (بصيغة الكنية). وقرشت: محرقة ساكنة الآخر. وكلمن: محرقة، وقيل بالضم. ويقال بسكون الميم مع التحريك. وأبجد هذه: هي أول الكلمات الثمانية التي جمعت فيها حروف الهجاء في اللغة العربية، وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش. وهي بهذا الترتيب عند المغاربة. وتعرف بالحروف الأبجدية، سميت باسم أول لفظة فيها وهي "أبجد"، وتستعمل في حساب الجمل على الوضع التالي: كل حرف منها يقابله الرقم الذي يدل عليه):

أ: 1، ب: 2، ج: 3، د: 4، هـ: 5، و: 6، ز: 7، ح: 8، ط: 9، ي: 10، ك: 20، ل: 30، م: 40، ن: 50، ص: 60، ع: 70، ف: 80، ض: 90، ق: 100، ر: 200، س: 300، ت: 400، ث: 500، خ: 600، ذ: 700، ظ: 800، غ: 900، ش: 1000. والمشاركة يخالفون في ترتيب الكلمات التي بعد "كلمن" فيجعلونها صعفض، قرشت، ضظغ، فيختلفون مع المغاربة في ستة أحرف، فالسين عندهم تدل على ستين(60)، والصاد: تسعين (90)، والشين: ثلاثمائة (300)، والضاد: ثمانمائة (800)، والظاء: تسعمائة (900) والغين: ألف (1000). وقد مر مدلول هذه الأحرف عند المغاربة، ويسمون حروف: ثخذ، وضطغ، بالروادف.

ثم أتى بادية مضر فتعلمه منه عمرو بن زرارة الذي سمي الكاتب بعدد، ثم خرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس فتعلمه منه جماعة من أهل مكة؛ منهم حرب بن أمية وقيس بن عبد مناف بن زهرة — الذي سمي الكاتب بعدد — أيضاً. وقد قال رجل من أهل دومة الجندل يمين على قريش بذلك:

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكم	فقد كان ميمون النقيبة أزهر ⁽¹⁾
أناكم بخط الجزم حتى حفظتم	من المال ما قد كان شتى مبعثرا ⁽²⁾
وأتقنتم ما كان بالمال مهملًا	وطامنتم ما كان منه منفرا ⁽³⁾
فأجريتكم الأقلام عوداً وبدأةً	وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحمي حمير	وما زبرت في الصحف أقيال حميرا ⁽⁴⁾

وفي اللة السراء: أن الخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن. وإلى هذا أشار الناظم فقال ..جد واضعي خط العرب.. الخ

والذي يظهر لمن تتبع كتب الأدب أن خط العرب أقدم من ذلك. وقد اختلف في أول من تكلم بالعربية، وفي أول من كتب بها. فقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾⁽⁵⁾ أنه آدم عليه السلام. علمه الله تعالى اللغات كلها. وفي التيسر: لما خرج الناس من السفينة نزلوا أطراف بابل وأقاموا بها حتى

-
- (1) ميمون النقيبة: أي محمود المخترع. والنقيبة: المشورة ونفاذ الرأي. والأزهر: المشرق الوجه النير الصافي اللون.
 - (2) الخط: (بافتح) الكتابة. جمعه خطوط. والجزم: (من الأقلام): المستوي الخط الذي لا حرف له. وشتى: جمع شتيت وهو المتفرق. والمبعثر: المتبدد.
 - (3) طامنتم: سكنتم. ويقال: طامنتم فتطامن. أي سكنتم فسكن.
 - (4) المسند: خط كانت تستعمله حمير. وزبرت: أي كتبت.
 - (5) الرحمن: 3، 4.

كثروا، ففرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً. ففهم الله العربية منهم عملياً، وطسما ابني لاوذ بن سام، وعادا وعبيل ابني عوص بن إرم بن سام، وثمود وجديسا ابني جاثر بن إرم بن سام. وجاء - أيضاً - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾⁽¹⁾ أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك سلم عليه بالعربية فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ فقال: هذا لسان عمي إسماعيل. ثم دعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ فقال: هذا لسان آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأن يوسف كان عليماً بالألسن.

أما أول من كتب بها فقد قال في الزهر: أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي. وقيل أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام، وأول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام، ووضعه على لفظه ومنطقه؛ وقيل أول من كتب بالعربية هود عليه السلام. وفي الخميس قال هشام: أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ، علّمه مناماً. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالا: أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدد، واستعربوا؛ وأسماءهم: أيجد وهوز، وحطي وكلمن وسعفص وقرشت؛ فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم. وفي الزهر: كانوا ملوكاً فسمي الهجاء بأسمائهم. وفي القاموس المحيط: وأبجذ إلى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، هلكوا يوم الظلة؛ فقالت ابنة كلمن:

(1) سورة يوسف الآية 54.

كَلَمْنُ هَدْمَ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسَطَ الْحَلَّةِ
 سِيدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الـ حَتَفُ نَاراً وَسَطَ ظُلِّهِ
 جُعِلَتْ نَاراً عَلَيْهِم دَارُهُم كَالْمُضْمَجِلَّةِ

ثم وجدوا بعدهم ثخذ وضطخ. فسموها الروادف. وفي الزهر - أيضاً - قال المسعودي في تاريخه: قد كانت عدة أمم تفرقوا في ممالك متصلة، منهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشيات، وهم بنو الأفحص بن جندل بن يصعب بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فكان أيجاد: ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هوز وحطي ملكين بأرض الطائف وما اتصل بها من أرض نجد، وكلمن وسعفص وقرشيات ملوكا بمدين، وقيل ببلاد مضر. وكان كلمن على أرض مدين - وهو ممن أصابه عذاب يوم الظلة مع قوم شعيب - فرثته بنته فقالت: كلمن هدم ركني.. [الخ الأبيات].

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة سبقت بها عمرا وحي بني عمرو
 ملوك بني حطي وسعفص في الندى وهوز أرباب الثنية والحجر
 هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
 وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا قصورا وفازوا بالمكارم والفخر

وقد اختلف في كون هذه الألفاظ أعجميات أو عربيات؛ فقيل أعجميات، إذ عليها يقع تعليم الخط بالسرياني؛ وقيل عربيات لأنهن مفهومات المعاني في كلام العرب؛ وقيل بعضها عربي وبعضها أعجمي. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي أعرابيا فقال له: هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم. قال: فاقراً أم القرآن. فقال: والله ما أحسن البنات فكيف الأم؟! فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب، فمكث فيه؛ ثم هرب وأنشأ يقول:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات

كتاب الله في رق صحيح وآيات القرآن مفصلات
فخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سعصفا وقريشات
وما أنا والكتابة والتهجي وما حظ البنين من البنات

وسئل ابن عباس، فقيل له من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد ﷺ، تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق، مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. فقيل له: ممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، فقيل له: ممن أخذه ابن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار. فقيل له: ممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل الحيرة، فقيل له: ممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طاريء طراً عليهم من اليمن من كندة؛ فقيل له: ممن أخذه ذلك الطاريء؟ قال: من الخفلاجان بن الوهم (كاتب الوحي لهود) عليه السلام — [قاله في المزهر].

فضل الكتابة وأهميتها

هذا وقد كان للكتابة فضل عظيم وخطر جسيم، وأعظم شاهد على فضلها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه، فقال جل من قائل ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٣﴾ ﴾⁽¹⁾ مع أن هذه الآية والتي قبلها هما مفتاح الوحي وأول القرآن نزولاً. وقد وصف الله سبحانه وتعالى الحفظة الكرام من ملائكته حيث قال ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٤﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٥﴾ ﴾⁽²⁾ وأقسم جل جلاله بالقلم الذي هو آلة الكتابة، وما يسطر به؛ تنبيهاً لخلقها على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. فقال سبحانه ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٦﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ

(1) العلق: 3 - 5.

(2) الانفطار: 10-11.

رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١﴾. وعن ابن عباس وأبي هريرة وعبادة بن الصامت: أن أول ما خلق الله تعالى القلم، وأمره أن يكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. والقلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولاها لم يقم دين ولم يصلح عيش. وبهذه النعمة علم الله تعالى عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا الكتب المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ دلالة على كمال كرمه سبحانه وتبنيه على هذه النعمة العظيمة. وقد قال العلماء: الأقلام ثلاثة: القلم الأول الذي خلقه الله بيده وأمره أن يكتب، والقلم الثاني: أقلام الملائكة، جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال، والقلم الثالث: أقلام الناس، جعلها الله بأيديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى آرائهم؛ والكتابة من البيان، والبيان مما اختص به الإنسان. وفي الكتابة فضائل لا تحصى، وقد ندب الشارع إلى مقصدها وحث على مطلبها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «قيدوا العلم بالكتابة»^(٢).

وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها؛ فقد قال سعيد بن العاص الأموي — وكان أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان — من لم يكتب فيمينه يسرى. وقال معن بن زائدة الشيباني: إذا لم تكتب اليد فهي رجل. وبالغ مكحول — وهو أحد فقهاء التابعين — حيث قال: لا دية ليد لا تكتب!. وقد قيل الكتابة قطب الأدب وملاك الحكمة ولسان ناطق بالفصل وميزان يدل على راحة

(1) القلم: 1 - 2.

(2) رواه الطبراني وأبو نعيم، وهو عند العسكري من كلام ابن عباس..

العقل⁽¹⁾. وقيل الكتابة نور العلم، ومصفاة العقول، وميدان الفضل والعدل⁽²⁾. وكفى بالكتابة شرفاً — بالإضافة إلى ما مر — أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه. وقد قيل: الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك. وقيل: الكتاب ملوك وسائر الناس سوقة⁽³⁾.

وبالجمله ففضل الكتابة أكثر من أن يحصى وأجل من أن يستقصى. وإنما حرمت الكتابة على النبي ﷺ رداً على الملحدین حيث نسبوه إلى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾⁽⁴⁾. وأكد ذلك بقوله: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ﴾⁽¹⁾.

فالأمية في رسول الله ﷺ: فضيلة وفي غيره نقيصة؛ لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام، واستنباط المعاني، فيتوسل الكفار بها إلى أن يقولوا: اقتدر بها على ما جاء به. فكان عدم علمه بها من أقوى

(1) القطب: المركز، وأصله حديدة في الطبقة الأسفل من الرحي يدور عليها الطبقة الأعلى. ويقال: "هو قطب ذلك الأمر" أي مداره و"قطب رحي الحرب" أي مدارها. والأدب يطلق على العلوم والمعارف عموماً. أو على المستظرف منها فقط. وملاك الأمر: قوامه الذي يملك به. والحكمة: العلم والفقه. ورجاحة العقل: اكتماله. والفصل: (من القول) ما كان حقا قاطعاً. وفصل الخطاب: ما كان الحكم فيه قاطعاً لا راد له.

(2) المصفاة: ما يصفى به، جمعه: مصاف. والميدان: فسحة متسعة معدة لسباق الخيل ولعبها.

(3) السوقة: الرعية (للوحد والجمع والمذكر والمؤنث) لأن الملك يسرقهم، ويصرفهم إلى ما شاء من أمره.

(4) الفرقان: 5.

(1) العنكبوت: 48.

الحجج على تكذيب معانديه، وحسم أسباب الشك فيه. وقد حكى أن المأمون قال لأبي العلاء المنقري: بلغني أنك أُمي وأنت لا تقيم الشعر وأنتك تلحن في كلامك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله ﷺ أمياً وكان لا ينشد الشعر، فقال له المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل! يا جاهل ذلك في النبي فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقيصة.

ولم يزل الشعراء يلهجون بمدح القلم، وشرف الكتاب؛ فمن ذلك قول أبي الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال آخر:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت - والموت لا شيء يغالبه - ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ برت أن السيوف لها مذ أرهفت خدم⁽¹⁾

ومنه في مدح الكاتب:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نورا أو تنظم جوهرا

وقال آخر:

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطقته وينظم الدر بالأقلام في الكتب

وقال آخر:

(1) برت القلم: أي تحته. وأرهفت السيف: رقت حده.

ان هزّ أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمي هزّ عامله⁽¹⁾
وإن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له⁽²⁾

وقال:

وكاتب يرقم في طرسه روضا به ترتع الحاظه⁽³⁾
فالدّر ما تنظّم أقلامه والسحر ما تنثر ألفاظه

وقد قال الكلبي: كتابة الأمم نوعان: أحدهما يتدئ باليمين وهي العربية والعبرانية؛ والثاني من اليسار وهو اليونانية والرومية، وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة، وكتابة الصين نقوش تصور. وقد حكى أن أحد ملوك الروم قال: ما حسدت العرب على شيء كحسدي لهم على أشكال خطوطهم⁽⁴⁾.

ومن بولان بن عمرو بن الغوث أيضا: عاصية البولانية القائلة:

أعاصي جودي بالدموع السواكب وبكي لك الويلات قتلي محارب
فلو أن قومي قتلتهم عمارة من السروات والرؤوس الذوائب
صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ولكنما أثارنا في محارب
قبيل لنام إن ظهرنا عليهم وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب

ولما أنهى الكلام على بني نبهان وبني بولان ابني الغوث بن طييء، أخذ يتكلم

(1) الكمي: الشجاع. وهز: أي حرك. وعامل الرمح: صدره (وهو ما يلي سنامه).

(2) أقر: (الأولى) وضع وأثبت. والرق: (بالفتح) الصحيفة البيضاء. وأقر: (الثانية) اعترف. والرق: (بالكسر) العبودية.

(3) الطرس: (بالكسر) الصحيفة، والكتاب الذي محي ثم كتب. والروض (جمع روضة) وهي الأرض ذات الخضرة. والبستان الحسن. والألحاظ: (جمع لحظ) وهو النظر إلى الشيء بمؤخر العين.

(4) وفي القرن العشرين الميلادي قال مفكر ألماني: إن اللغة العربية أعظم ما توصل إليه العقل البشري، وإن الخط العربي ينفرد عن سائر الخطوط بجماله في ذاته وقابليته للزخرفة، شهدت لها ضرأتها بعفافة والحق ما شهدت به الأعداء

على بني عمهم: بني جديلة⁽¹⁾ بن سعد بن فطرة بن طييء، فقال رحمه الله وعفا عنه:

جَدِيلَةٌ مِنْ طَيِّئِ السَّامِيِّ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ ابْنِ لَامٍ
مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ الثَّعَالِبُ الْأُلِيُّ هُمْ كَالرَّبَائِعِ الْكِرَامِ النَّبِلَاءِ

جديلة (كسفنية) مبتدأ خبره المجرور بعده. والسامي: الرفيع، صفة لطيء. وأوس: مبتدأ، وقوله منهم: خبره؛ والضمير عائد على جديلة. والثعالب: مبتدأ خبره المجرور قبله؛ والجملة معطوفة على الجملة قبلها. وقوله الثعالب أصله الثعالبة بالتاء، وهو جمع ثعلبة؛ وهم ثلاثة بطون من جديلة كل واحد منهم عم الثاني. والألي: بمعنى الذين. وضمير هم عائد على الثعالب. والرباع هنا: جمع ربيعة، وهم ثلاثة اسم كل واحد منهم ربيعة؛ الأول منهم عم الثاني والثاني عم الثالث، وهم من بني تميم، وشبه بهم الثعالب من حيث ترادف الأسماء والقراة العمومية. والكرام: (جمع كريم) للسخي المعطاء. والنبلاء: جمع نبيل (ككريم وكرماء) وهو ذو النبل (كقفل): أي الذكاء والنجابة والفضل؛ وهما صفتان للرباع.

يقول: ومن قبائل طييء، ثم من بني فطرة منهم: بنو جديلة الذين منهم أوس ابن حارثة بن لام، الجواد المشهور، ومنهم - أيضا - الثعالب الطائيون. أما بنو جديلة فهم بنو خارجة بن سعد بن فطرة بن طييء، نسبوا إلى أمهم جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حمير، وعرفوا بها، وتفرعوا إلى بطون عديدة، منها بنو ثعلبة بن رومان وبنو ثعلبة بن ذهل وبنو ثعلبة بن جدعاء، وهؤلاء هم الثعالب المذكورون هنا. ومن بطون جديلة - أيضاً - بنو جدعاء بن ذهل الذين منهم أوس بن حارثة الطائي.

(1) ذكر من أعيان جديلة أربعة رجال. وبنو جديلة هم بنو خارجة بن سعد.

أوس بن حارثة وقصته مع بشر الأسدي

وأما أوس فهو الجواد المشهور أوس بن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيبئ الطائي، أمه سعدى - وعرف بالنسبة إليها - وهو المراد في قول جرير في عمر بن عبد العزيز:

فما كعب ابن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا

وكان أوس هذا - بالإضافة إلى جوده وكرمه - سيذا من سادات عصره. يحكي انه وفد هو وحاتم على عمرو بن هند فدعا أوساً وقال له: أخيراً أنت أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن؛ لو ملكني حاتم أنا وولدي ولُحِمَتِي لوهبنا في غداة واحدة، ثم دعا حاتماً فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن؛ إنما ذكرت بأوس.. ولأصغر ولده أفضل مني، فقال عمرو: والله ما أدري أيكما أفضل وما منكما إلا سيد كريم.

ومما يؤثر من شرف همة أوس ما روي أن النعمان بن المنذر وفدت عليه أشراف العرب فجلس إليهم وعليه حلة مذهبة مطوقة بالدر لم ير أحسن منها ثم أذن لهم فدخلوا عليه فلما أخذوا مجالسهم جعلوا يتعجبون من حسن الحلة وأوس مطرق غير آخذ في ذلك، فقال له النعمان: ما أرى فيمن دخل علي إلا من يستحسن هذه الحلة - على نقصان قدرها عندي - غيرك يا أوس؟ قال: أسعد الله الملك إنما تستحسن هذه إذا كانت في يد تاجر، فأما إذا لبسها الملك وتهلل فيها وجهه المشرق فالأبصار مقصورة عليه دونها. فاستحسن النعمان عقله وجوابه، فلما كان وقت انصرافهم قال لهم النعمان: احضروا غدا كلكم، فإني ملبس هذه الحلة سيد العرب؛ فانصرفوا وكلهم طامع مهموم. وتأخر أوس عن الحضور، فلما أصحابه على تأخره فقال: سبحان الله.. إن كنت المراد فسيرسل إلى - وذلك أرفع لشأني - وإن كان المراد

غيري لم تلحقني غضاضة في أخذ غيري لها وأنا غائب. فلما دخلوا على النعمان نظر فلم ير أوساً فيهم، فاستدعى بعض بطانته وانفذه ليعرف خبره مع أصحابه، فجاءه بما وقع له مع أصحابه؛ فقال له: امض إليه وقل له: إن الملك استبطأك، فجاء في الثوب الذي كان عليه بالأمس - وقد كانت وجوه العرب سرت بغيبته خشية أن تدفع إليه الحلة - فلما حضر رفع النعمان مجلسه وقربه ومد يده إليه، وقال: أراك لم تغير لباسك في هذا اليوم، فخذ هذه الحلة وتحمل بها بين من تحمل من وجوه أصحابك؛ فلبسها وجلس في أقرب مكان من النعمان، فحسده من حضر وقالوا: ليس يخفضه إلا الهجاء. ثم كلموا الحطيئة في ذلك وقالوا له: نساھمك في أموالنا، فقال: كيف أهجو رجلاً حسيباً لا ينكر بيته، كريماً لا يغب عطاؤه، فاضلاً لا يوضعن على رأيه، شجاعاً لا يصطلي بناره..؟! ومع هذا فلا أرى في بيتي شيئاً إلا من أفضاله، ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفك صاحبة من آل لام بظھر الغيب تأتي؟!

فسمع بذلك بشر بن أبي حازم الأسدي (أحد بني أسد خزيمية) فأتاهم، وقال لهم: أنا أهجوكم لكم. فبذلوا له ثلاثمائة ناقة؛ فهجاه وأفحش في هجائه وذكر أمه ثم أخذ الإبل. فعلم بذلك أوس فأغار على الإبل واكتسحها، وفرّ بشر؛ ثم لجأ إلى قومه بني أسد - وكانوا حلفاء طيء - وأبوا أن يسلموه لأوس، ورأوا في تسليمه إليه سبة وعارا. فجمع أوس جديلة؛ فالتقوا بظھر الدهناء واقتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت بنو أسد وهرب بشر؛ فجعل يتتبع أحياء العرب يستجير بهم، وكلما مر بجي يقول له: نجيرك إلا من أوس!. وفي ذلك يقول شاعر طيء رويشد بن كثير:

يا أيها الراكب المزجي مطيته	سائل بني أسد ما هذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعدر والتمسوا	قولا ييرنكم إنني أنا المسوت
ان تذبوا ثم تأتيني بقيتكم	فما علي بذنب عندكم فوت

وأراد بالصوت جلبتهم وصياحهم تهكماً، أو ما يبلغه عنهم من الكلام. وفي ذلك يقول - أيضاً - أنيف بن زيان الطائي النبھاني:

جمعنا لكم من حي عوف ومالك	كتائب يردي المقرفين نكاها
هم عجز بالرمـل فالخزن فاللوى	وقد جاوزت حيي جديس رعاهـا
وتحت نحور الخيل حـرشف رجـلة	تتاح لغـرات القلوب نباها ⁽¹⁾
أبي لهم أن يعرفوا الضيم أنهم	بنو ناتيـقٍ كانت كثيراً عياها ⁽²⁾
فلما أتينا السـفح من بطن حائل	بجيث تـلاقي طـلحها وسياها
دعوا لنزار وانتمينا لطيئ	كأسد الشـرى إقدامها ونزاها
فلما التقينا بين السيف بيننا	لسائلة عنا خفي سـواها
ولما تدانوا بالرمـاح تضلعت	صدور القنا منهم وعلت نهاها
ولما عصينا بالسيف تقطعت	وسائل كانت قبل سلما حباها
فولوا وأطراف الرماح عليهم	قوادر مربوعاتها وطـواها

ولم يزل أوس يطلب بشرا حتى ظفر به ثم قال له: ما تقول إني فاعل بك؟ فقال بشر:

فإني لأرجو منك يا أوس نعمة	وإني لأخـرى منك يا أوس راهب
وإني لأمـحو بالذي أنا صادق	به كل ما قد قلت إذ أنا كاذب
فهل نافعـي في اليوم عندك أني	سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي	بني أسد أقصاهم والأقارب
تداركني أوس ابن سعدى بنعمة	وقد أمكنته من يدي العواقب

(1) الحـرشف: الجراد المنتشر الشديد الأكل. تشبه به العرب كثرة الجيش. والرجلة: الرجالة الذين يمشون على أرجلهم أمام الفوارس. وهذا من قلب الإضافة، أي رجلة حـرشف. وتتاح: تقدر. وغرات: جمع غرة (وهي من القلب حبته).
(2) الناتيـق: الولود، ومنه: «أتق أرحاما».

فأمر أوس بحل كتافه وحمله على فرس جواد ورد عليه ما أخذ منه وزاده من ماله، فرفع بشر يديه وقال: اللهم أنت الشاهد على أن لا أعود إلى شعر إلا أن يكون مدحا لأوس بن حارثة، وفي رواية أنه قال: والله لا مدحت غيرك حتى أموت، وفيه يقول:

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقضي حاجتي فيمن قضاهما
فما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

وفي رواية أن أوسا لما أتى به دخل على أمه فقال: قد أتينا ببشر الذي هجانا، قالت: أوتطيعني فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه، ففعل.

ولأوس بن حارثة هذا ابن اسمه جرير بن أوس له صحبة، ولابن ابنه عروة بن مضر بن أوس صحبة أيضاً.

وقد سار المثل بجود طيء لكون حاتم بن عبد الله وأوس بن حارثة بن لام منهم. وقد قال أبو تمام:

لكل من بني حواء عذر ولا عذر لطائي لئيم
أحق الناس بالكرم امرؤ لم يزل يأوي إلى أصل كريم

وأما الثعالب فهم: ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء وابن أخيه ثعلبة بن ذهل بن رومان وابن أخيه هذا ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان، فالأول عم الثاني، والثاني عم الثالث؛ وكل هؤلاء أبو بطن، وهم الثعالب في طيء نظراء الربائع في بني تميم؛ وهم: ربيعة الأكبر (وهو ربيعة الجوع) ابن مالك بن سعد بن زيد مناة وربيعة الأوسط (وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن سعد) وربيعة الأصغر (وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن سعد)، ويقال لهم آل حنظلة الأكرمون وهم أكرم قبيلة في تميم. فالثعالب المذكورون في طيء مثل

الربائع هؤلاء في تميم من حيث ترادف الأسماء والقراة العمومية، ولذا قال: الثعالب الألى هم كالربائع.

وقيل الثعالب أربعة: الثلاثة المذكورون والرابع ثعلبة بن ذهل بن جدعاء بن ذهل بن رومان، قال في السبائك: ويقال لهم - ما عدا ثعلبة بن ذهل بن جدعاء - الثعالب. وعلى هؤلاء الثلاثة اقتصر صاحب الحلة السيرا وغيره، وعليه درج الناظم. ومن بني ثعلبة بن رومان الأسد الربيض - واسمه عمرو - بن عميرة بن ثعلبة بن غياث قاتل عنزة بن شداد العبسي.

ومن بني جدعاء بن ذهل بن رومان باعث بن حويص بن زيد بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء الذي أغار على إبل امرئ القيس الكندي في قوم من بني جديلة فذهبوا بها، فقال امرؤ القيس في ذلك وهو يخاطب خالدا بن سدوس بن اصمع النهاني - وكان قد نزل عليه مستجيراً به - قال:

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل⁽¹⁾
كأن دثارا حلقت بلبونيه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل⁽²⁾
تلعب باعث بذمة خالد وأودى عصام في الخطوب الأوائل⁽³⁾ .. الخ

ومن بني جدعاء - أيضاً - الكروّس الطائي الذي جاء بنعي أهل الحرّة إلى الكوفة فقال فيه ابن الزبير الأسدي (أسد خزيمة):

-
- (1) النهب: الغنيمه. والحجرات: النواحي، أي دع عنك ذكر إبل أغير عليها وصيح في نواحيها؛ ولكن هات حديثا عجا وهو حديث الرواحل التي ذهبت ولم ترجع بها.
(2) دثار: هو دثار بن قعس بن طريف الأسدي. كان راعي إبل امرئ القيس. وحلقت: علت في الجور. واللبون: الإبل ذوات اللبن. وتنوفى: جبل عال في بلاد طيء. والقواعل: أجبل من سلمى في بلاد طيء.
(3) بذمة خالد: أي بجاره. وأودى: هلك. وعصام: اسم رجل (وفي رواية "دثار"). والخطوب الأوائل: أي الأمور العظام القديمة.

لعمرى لقد جاء الكروؤس كاظما على خير للمسلمين فظيع

[.. الأبيات].

ومنهم - أيضاً - جبلة بن رافع الذي يقول فيه الحطيئة:

لعمرى لقد أنعمت نعمة ماجد علي قديماً يا جليل بن رافع

ومن بني ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان تيم بن ثعلبة، يقال لبنيه: "مصاييح

الظلام" لحسنهم وشهرة فضلهم ولكشفهم الأمور المهمة، وعليهم نزل امرؤ القيس

بن حجر الكندي، ثم نزل على المعلى بن تيم بن ثعلبة وفي ذلك يقول:

كاني إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شام⁽¹⁾

فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا الملك الشامي⁽²⁾

إلى أن يقول:

أقرّ حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام⁽³⁾

ولما فرغ من الكلام على مذحج وطئى ابني أدد بن زيد. أخذ يتكلم على بني

كندة فقال رحمه الله:

(1) البواذخ: الشوامخ. يريد به القمم الشاخنة. وشام: (بالفتح) جبل لباهلة.

(2) الشامي: أي الشامي. أي لا يقدر على المعلى ملك العراق ولا ملك الشام لأنه في عز ومنعة من قومه.

(3) أقر: أبرد وهذأ. والحشا: ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش. يعني أنه أمن واطمأنت نفسه حين نزل على بني تيم، أهل الحسب الكريم والرأي السديد بعد ما كان خائفاً من المنذر الذي يطلبه.

بعض بطون ومشاهير كندة*

مِنْ كِنْدَةٍ أَكَلَتْهُ الْمُرَارِ رَهْطُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَكُلُّ ضَارٍ
وَالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الشَّهْمِ الْعَرِيقِ حَلِيلِ أُمِّ فَرْوَةَ أُخْتِ الْعَتِيقِ

أكلة المرار: مبتدأ خبره الجار والمحرور قبله، وأكلة (بالتحريك) جمع أكل. والمرار (كغراب): شجر مر من أفضل العشب وأضخمه؛ إذا أكلت منه الإبل تقلصت مشافرها فبدت أسنانها لشدة مرارته، ولقب به جد امرئ القيس لأنه كان قد أكل هو وأصحابه من ذلك الشجر في بعض غزواتهم، وقيل لكشر كان به، وقيل لأن امرأته⁽¹⁾ كانت تكرهه فرأته يوما فقالت كأنه جمل أكل من المرار فغلب عليه ذلك اللقب.

واختلف في أكل المرار فقبل هو حجر الأكبر بن عمرو بن معاوية، وقيل هو الحارث بن عمرو بن حجر الكندي. وقوله رهط (بالرفع): صفة لأكلة المرار الذين هم بنو حجر أكل المرار. وامرؤ القيس: هو الشاعر المشهور ابن حجر الأصغر أحد الشعراء الستة الجاهليين. وقوله وكل ضار (بالجر): عطف على امرئ القيس؛ والضاري من السباع: المولع بأكل اللحم والمتطعم بالدم، والمراد به هنا الشجاع الباسل. وقوله والاشعث (بالجر): عطف على امرئ القيس أيضا. والشهم: الذكي

* تناول الناظم الكلام على كندة في نحو ثلاثة عشر بيتا وذكر من بطونهم بني أكل المرار وبني معاوية الأكرمين وبني السكون، ومن أفخاذهم بني الشيطان وبني الرائش وبني تجيب وبني الصمادح وبعض هؤلاء ذكره تصریحا وبعضهم تلويحا وذكر من أعيانهم خمسة عشر رجلا فيهم أربعة صحابة وأربعة ملوك.

(1) قيل هي أم أناس بنت عوف بن محلم الشيبانية. ابن هشام.

الفؤاد والسيد النافذ الحكم. والعريق والمعرق: الذي له عرق أي أصل في الشرف والكرم، وحليل: أي زوج - وكلها بالجر - صفات للأشعث. وفروة: بفتح الفاء. وأخت (بالجر): صفة لأم فروة. والعتيق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. يقول ومن كندة بنو حجر أكل المرار بطن الشاعر المشهور امرئ القيس بن حجر والأشعث بن قيس بن معدي كرب الكنديين.

أما كندة فهو أبو الحلي العظيم القحطاني ثم الكهلاني، واسم كندة ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولقب ثور هذا بكندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته ولحق بأحواله، وقد مر بعض الكلام على كندة.

ومن ولد كندة هذا معاوية بن كندة، أمه رملة بنت أسد بن ربيعة بن نزار - كما تقدم - ومن معاوية بن كندة هذا بنو أكل المرار بن عمرو بن معاوية. وكان أكل المرار هذا سيد كندة في عصره، وكان في عهد تبابعة اليمس في الجاهلية وولاه أخوه لأمه حسان بن أسعد الحميري على قبائل معد بن عدنان في الحجاز فدانت له واستمر فيهم إلى أن مات وهو أول من يذكره المؤرخون من ملوك كندة وكان يقال للملوكهم آل أكل المرار ولقب بنوه بأكلة المرار، ولبعض الأعراب:

توسمته لما رأيت مهابة	عليه فقلت المرء من آل هاشم
وإلا فمن آل المرار فإنهم	ملوك كرام من ملوك أعظم
فقمتم إلى عنز ببيعة أعنز	لأذبحها فعلى امرئ غير نادم
فموضني عنها غنائي ولم تكن	تساوي عندي غير خمس دراهم!

وأراد بآل المرار آل أكل المرار.

ومن أكلة المرار بنو الجون بن أكل المرار منهم حسان بن عمرو بن الجون كان على تميم يوم جبلة وكان ابن عمه معاوية بن شراحيل بن أخضر بن الجون مع بني

عامر يوم جبلة أيضاً. ومنهم النعمان بن أبي الجون واسمه الأسود بن شراحيل بن حجر بن معاوية الكندي، وقد على رسول الله ﷺ مسلماً وقال له: أزوجك أجمل أيم في العرب - يريد أخته أسماء بنت أبي الجون الكندية - فزوجه منها وبعث معه إليها أبا أسيد الساعدي فأتاه بها، وهي المستعيذة منه صلى الله عليه وسلم فطلقها. وسبب ذلك أنها كانت من أجمل النساء، فلما رءاها نساؤه صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبهن عليه فقلن لها إنه يجب إذا دنا منك أن تقولي أعوذ بالله منك، وفي رواية: إذا أردت أن تحظي عنده تعوذني بالله منه؛ فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك فصرف رسول الله ﷺ وجهه عنها وقال لها: قد عدت بمعاذ، وفي رواية: قد أعاذك الله مني⁽¹⁾؛ وطلقها ثم سرحها إلى أهلها فكانت تسمى نفسها الشقية؛ قيل تزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي، فأراد عمر أن يجدها فقالت: لم يدخل بي رسول الله ﷺ وأقامت له البيعة على ذلك. ثم خلف عليها قيس بن مكشوح المرادي [كما في الخميس].

وكان لكندة ملك بالحجاز واليمن وأول من ملك منهم أكل المرار وانتزع من اللخمين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل، وآخر ملوكهم امرؤ القيس بن حجر الشاعر. وكانت لهم ملوك منهم على مخالفيهم؛ منهم أولاد الحارث بن أكل المرار ملكتهم قبائل عدنان ثم رفضوهم؛ منهم حجر بن الحارث الملك (والد امرئ القيس الشاعر) كان ملكاً على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمية، وإخوته شرحبيل بن الحارث ملك على بني تميم والرباب، وسلمة بن الحارث ملك على بكر وتغلب ابني وائل، ومعدى كرب ملك على قيس عيلان، وقيس بن الحارث كان سياراً فأبي قوم

(1) أخرجه البخاري وابن ماجه والنسائي وأحمد والحاكم.

نزل بهم فهو ملكهم، وحسان بن الجون بن حجر آكل المرار كان على تميم يوم
جبله كما كان ابن عمه معاوية بن شراحيل على بني عامر يومئذ كما مر.

ترجمة امرئ القيس بن حجر

وأما امرؤ القيس فهو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر بن الحارث (الملك) بن
عمرو (المقصور) ابن حجر الأكبر (آكل المرار) بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن
معاوية بن ثور بن مرتع (عمرو) بن معاوية بن ثور الأكبر وهو كندة بن عفير،
الكندي. واسم امرئ القيس هذا جُنْدَحٌ ولقب بامرئ القيس لجماله وذلك لأن
الناس قيسوا عليه في زمانه فكان أحسنهم، ويقال له الملك الضليل وأمه فاطمة بنت
ربيعة بن الحارث أخت كليب ومهلل ابني ربيعة التغلبيين، وكليب هو الذي تقول
فيه العرب "أعز من كليب وائل" وبعثته هاجت حرب بكر وتغلب.

اشتغل امرؤ القيس بالشعر والتشبيب بالنساء وشرب الخمر، وكان يُعدُّ من
عشاق العرب والزناة وكان شديد الغيرة مثنائاً لم يكن له ولد؛ وكان إذا ولدت له
بنت وأدها. وشبب بنساء منهن فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، وأم
الحويرث الكلبية وابنة عمه عنيزة (صاحبة دارة جلجل) وطلبهن كثيراً فلم يصل إلى
ما يريد منهن حتى كان يوم الغدير بدارة جلجل فكان ما كان، فقال قصيدته
المشهورة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

إلى أن يقول:

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صباية على النحر حتى بل دمعي محملي

ويقول في يوم دارة جلجل:

ويوم عقرت للعذارى مطيبي
 فظل العذارى يرقمين بلحمها
 ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
 تقول وقد مال الغبيط بنا معا
 فقلت لها سيري وارخي زمامه
 فيا عجباً من رحلها المتحمل
 وشحم كهذاب الدّمقس المقتل
 فقالت لك الوليات إنك مرجلي
 عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
 ولا تبعدينا من جنائك المعلل

ويقول في فاطمة العامرية:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل
 وإن تك قد ساءت مني خليقة
 أغرك مني أن حبك قاتلي
 وما ذرفت عينك إلا لتقدحي
 وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجلي
 فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
 وأنك مهما تأمري القلب يفعل
 بسهميك في أعشار قلب مقتل

ويقول لها أيضاً:

لا وأبيك ابنة العامري
 تميم بن مر وأشياعها
 إذا ركبوا الخيل واستلأموا
 سي لا يدعي القوم أنني أفر
 وكنودة حولي جميعاً صبر
 تحرقت الأرض واليوم قر

وكان أبوه حجر قد نهاه عن الشعر فلم يطعه فطرده. وكان حجر بن الحارث هذا ملكاً على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمة - كما مر أنفاً - وكان يأخذ على بني أسد شيئاً معلوماً فامتنعوا منه، فسار إليهم وأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي؛ فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص فقام بين يدي الملك وأنشده أبياتا منها:

يا عين ما فابكسي بني أسد هم أهل الندامة
 أهل القباب الحمر والنـ نعم المؤبسل والمدامة⁽¹⁾

(1) القباب جمع قبة وهي خيمة صغيرة أعلاها مستدير والحمر جمع أحمر وحمرء وهو ما لونه الحمرة والنعم المال السائم وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل ويطلق أيضاً على البقر والغنم سمي بذلك لما فيه من الخير والنعمة. وأبلى الإبل استغنت بالنبات الرطب عن الماء، والمدامة الخمر.

مهلا أبيت اللعن مهلا إن فيما قلت عامه⁽²⁾

إلى أن يقول:

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامه

فرحمهم حجر وأطلقهم وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي وسجع لهم على قتل حجر وحرصهم عليه فركب بنو أسد كل صعب وذلول.. فما أشرق الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائما فذبحوه؛ وكان الذي قتله علباء بن الحارث الأسدي وشدوا على هجائن حجر واستاقوها.

فجاء نعي حجر إلى ابنه امرئ القيس وهو بدمون فقال:

تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانون

وإنا لأهلنا محبون

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا.. اليوم خمر وغدا أمر! ثم قال:

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم على لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره ببني أسد، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقت لبرق بليل أهل يضىء سنه بأعلى الجبل

بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جليل⁽¹⁾

(2) مهلا: مصدر نائب مناب فعله يستوي فيه المذكر والمؤنث مفردا ومثنىً وجمعا ومعناه الرفق والتؤدة، وأبيت اللعن تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن أيها الملك.

(1) الجليل: الحقيق والجليل أيضا (ضد).

وقال:

تالله لا يذهب شيخني باطلا حتى أبيض مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا خير معد حسبا ونائلا

فأتى ذا جدن الحميري فاستمده، فأمده؛ وبلغ الخير بني أسد فانتقلوا عن منازلهم
فنزّلوا على قوم من بني كنانة بن خزيمّة، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرئ القيس
إليهم؛ فطرقهم في جند عظيم فأغار على الكنانيين وهو يظن أنهم بنو أسد فقتل
منهم، ثم تبين أنهم ليسوا إياهم فقال:

الا يا هـف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركه صفر الوطاب

ثم اتبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلا ذريعا فقال في ذلك:

قولاً لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل
نطعنهم سلكى ومخلوجة لفتك لا مين على نابل⁽¹⁾
حتى تركناهم لدى معرك أرجلهم كالحشب الشائل

(1) في رواية: كرك لا مين على نابل، وفي رواية أخرى: ردك لا مين.. الخ قال في الروض الأنف:
"ستل روبة عن معنى هذا البيت فقال حدثني أبي عن أبيه قال حدثني عمي - وكانت في بني دارم -
قالت سألت امرأة القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك كرك لا مين
على نابل؟ فقال مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لواما وظهارا فما رأيت شيئا أسرع منه ولا
أحسن فشبته به". ثم قال صاحب الروض: "وريش السهم المحمود فيه اللوام وهو أن تكون
الريشة بطنها إلى ظهر الأخرى واللغاب بعكس ذلك أن يكون ظهر واحدة إلى ظهر الأخرى وهو
الظهار أيضاً".

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

ثم إن المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم وأسر اثني عشر فتى من ملوكهم فأمر بهم فقتلوا، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضباب الإيادي (سيد إياد) فأجاره، ثم تحول إلى جبلي طيئ فنزل على قوم؛ منهم عامر بن جوين الطائي، ثم خرج امرؤ القيس من عنده ولم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجلبي طيئ. ثم سميت به نفسه إلى ملك الروم فأتى السموأل بن عاديّا اليهودي (ملك تيماء) فاستودعه مائة درع وسلاحا كثيرا، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة - وكان من خدم أبيه - فبكى ابن قميئة، وقال له غررت بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكا أو نموت فتعذرا

وبلغ الحارث بن أبي شمر الغساني ما خلف امرؤ القيس عند السموأل فبعث إليه رجلا من أهل بيته اسمه الحارث بن مالك وأمره أن يأخذ منه سلاح امرئ القيس وودائعها، فلما انتهى إلى حصن السموأل أغلقه دونه؛ وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه الحارث وقال للسموأل: إن أنت دفعت إلي السلاح وإلا قتلته؛ فأبى أن يدفع إليه ذلك وقال له: اقتل أسيرك فياني لا أدفع لك شيئا! فقتله؛ فضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء، كما ضربت المثل بعرقوب في الخلف⁽¹⁾.

(1) ولقد أحسن بعض الأدباء الموريتانيين حيث يقول:

فإن خنتني أي ليل ما خنت عهدكم ولو كنت عرقوباً لكنت السموألا

ثم صار امرؤ القيس إلى ملك الروم فأكرمه ونادمه واستمده فوعده ذلك، وفي ذلك يقول:

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريداً⁽¹⁾
إذا ما ازدحمتنا على سكة سبقت الفرانق سبقاً بعيداً⁽²⁾

ثم بعث معه جيشاً فيهم أبناء ملوك الروم، فلما فصل قيل لقيصر: إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب وهم أهل غدر فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوه غزاك (وقيل وشى إليه الطماح بن قيس الأسدي بامرئ القيس)، فبعث قيصر إليه حلة منسوجة بالذهب مسمومة مع الطماح هذا وكتب إليه: إني قد بعثت إليك بجُلَّتِي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليعرف فضل منزلتك عندي فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة واكتب لي في كل منزل بخبرك. فأدركه الرسول دون أنقرة⁽³⁾ بيوم ودفع له الحلة فاشتد سروره بها ولبسها في يوم صائف، فتناثر لحمه وتفطر جسده فكان يحمله جابر بن حني التغلبي، فقال في ذلك:

فلو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفسا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل مناياتنا تحولن أبؤسا
لقد طمح الطماح من بُعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا .. الخ

وقال:

فإما تـرـيـني في رحالة جابر على حرج كالقر تخفق أكفاني
فيا رب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني .. الخ

(1) البريد في الأصل الدابة التي تحمل الرسائل.

(2) السكة (بالكسر): الطريق المستوي ومنها سكة الحديد. والفرانق (كعلابط) الأسد وحيوان يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به ويقال أيضاً للذي يدل صاحب البريد على الطريق.

(3) أنقرة مدينة ببلاد الروم وهي عاصمة تركيا منذ 1923م تقع في وسط الأناضول.

فلما وصل إلى أنقرة اشتد مرضه فأقام بها، وحكي أنه رأى بها قبراً فسأل عنه فقيل: لأمرأة من بنات ملوك الروم؛ فقال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب⁽¹⁾
أجارتنا إنا غريان هـهنا وكل غريب للغريب نسيب

فمات ودفن بأنقرة⁽²⁾. ولما بلغ السموأل موت امرئ القيس دفع ما خلف عنده من سلاح وغيره إلى عصبته.

وأما الأشعث فهو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي، قيل لقب الأشعث لأنه كان دائماً أشعث الرأس. وكان من كبار أمراء العرب ورؤساء كندة وسادات قومه وكان أحد الأجواد، أسره بنو مرة بن الحارث بن كعب في الجاهلية فافتدى منهم

(1) عسيب اسم جبل هناك، وحكي أن قوماً من أهل اليمن أقبلوا يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدر على ماء إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعض القوم:

ولما رأته أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دام
تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طام

فقال الراكب من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس فقال والله ما كذب هذا ضارج عندكم، وأشار إليه؛ فمشوا على الركب فإذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا وحملوا وسلموا بعد أن أشرفوا على الهلاك. وقوله ولما رأته فاعله ضمير عائذ على ناقته. وضارج: مكان في الطريق من اليمن إلى المدينة. والعرمض الطحلب الذي يعلو الماء. وطام: عال.

(2) روي أنه لما حضرته الوفاة قال:

وطعنة مسحفره وجفنة مثنججره قد غودرت بأنقره

فكان ذلك آخر ما تكلم به - والله أعلم.

بثلاثة عيالٍ بعيرٍ وروي أنه غدر بهم في الجاهلية فأسروه ففدى نفسه بمائتي قلوص أعطاهم مائة منها وجاء الإسلام على الأخرى فهدم ما كان في الجاهلية؛ ثم وفد على النبي ﷺ سنة عشر في ستين راكبا من كندة هو رئيسهم فأسلموا فقال الأشعث للنبي ﷺ: أنت منا فنحن وأنتم بنو آكل المرار (وذلك لأن أم كلاب بن مرة كندية) فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن بني النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا نتفتي من أبنائنا»⁽¹⁾، ثم رجع الوفد إلى أهلهم، وهم إذ ذاك محضرموت من اليمن.

ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد الأشعث، فبعث أبو بكر الجنود إلى اليمن فأخذوا الأشعث أسيرا وأتوا به إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأسلم وقال لأبي بكر: استبقني لحروبك وزوجني بأختك، فمنَّ عليه أبو بكر وأطلقه وزوجه أم فروة بنت أبي قحافة؛ ففرح الأشعث وقام واخترط سيفه ودخل سوق الإبل وجعل لا يمر بجمل ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث! فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن خليفة رسول الله ﷺ زوجني أخته وهذه وليمتي ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة أضعاف هذه، ثم قال: يا أهل المدينة انحروا وكلوا ويا أصحاب الإبل تعالوا فخذوا أثمانها! ثم وزن للناس أثمان إبلهم، فلم تر وليمة مثلها.

(1) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه. قوله لا نقفو أمنا أي لا تتبعها في نسبها لأن نسب الرجل إلى

أبيه لا إلى أمه. ولقد أحسن بشامة بن حزن - أو جزء النهشلي - حين قال:

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال أحمد في مسنده فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد، وفي رواية أن الأشعث لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن وأنتم بنو آكل المرار تبسم وقال له «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث»، وذلك لأنهما كانا تاجرين وكانا إذا بُعدا ودخلا في بعض العرب فسئلا من هما قالوا نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك؛ وذلك لأن كندة كانوا ملوكا.

ثم شهد الأشعث اليرموك وذهبت فيه عينه، ثم سار إلى العراق فشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند ثم استعمله عثمان على أذربيجان ثم سكن الكوفة وابتني بها داراً وشهد صفين مع علي وجعله على ميمنته؛ وكان ممن ألزم علياً بالتحكيم، وتوفي بعد علي بقليل سنة أربعين وصلى عليه الحسن بن علي؛ وكان الحسن قد تزوج بنته جعدة بنت الأشعث، وقد قيل إنها هي التي سقت الحسن السم فمات منه رضي الله عنه، كما مر في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وقد ولد للأشعث من أم فروة هذه ابنه محمد؛ ومن عقبه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث القائم على عبد الملك والحجاج. وأخو الأشعث هذا سيف بن قيس، كان في الوفد الذي قدم مع علي رسول الله ﷺ وجعله النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن قومه ولم يزل كذلك إلى أن مات. وابن عمه عفيف الكندي روى عنه ابنه إياس بن عفيف أنه قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأ تاجراً فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت قام يصلي ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه قال عفيف الكندي فقلت للعباس من هذا يا عباس؟ قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال فقلت من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال قلت: من هذا الفتى؟ قال هذا علي بن أبي طالب ابن عمه؛ قال فقلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر قال فكان عفيف يقول — بعد أن أسلم وحسن إسلامه —: لو كان الله رزقني الإسلام يوماً فأكون

ثالثاً مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽¹⁾.

فائدة: روي أنه لم يعيش لأبي قحافة ولد ذكر إلا أبو بكر ولا تعرف له بنت إلا أم فروة هذه، وكانت قبل الأشعث بن قيس هذا تحت تميم الداري، وقيل كانت لأبي قحافة بنت أخرى تسمى قريية، تزوجها قيس بن سعد بن عبادة؛ وروي أن أبا قحافة لما أشرف رسول الله ﷺ على مكة يوم الفتح قال لإحدى ابنتيه هاتين: أي بنية اظهري بي علي أبي قبيس - وكان قد كف بصره - قالت فأشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين؟ قالت أرى سوادا مجتمعاً قال: تلك الخيل، قالت وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً. قال أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قال قد والله إذاً دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَحَجْرُ الْأَدْبَرِ نَهَتْ مُعَاوِيَةَ عَائِشَةُ عَنْهُ فَعَقَّ النَّاهِيَةَ
مُقَطَّعُ النَّجْدِ وَالْأَوَاهُ قَاتِلُ عَمِّهِ وَقَالَ: اللَّهُ
رَبِّي وَأَنْتَ الْعَمُّ، وَالشَّيْطَانُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ كَأَسْمِهِمْ خُسْرَانُ

حجر (بضم فسكون): مبتدأ خبره قوله منهم الآتي، وهو مضاف للأدبر (بوزن الأحمر) أي حجر بن الأدبر. والأدبر: لقب جده معاوية بن جلبة، لقب به لأنه ضرب بسيف على أليته وهو مدبر فسمي الأدبر لذلك؛ وإنما أضافه الناظم إليه

(1) أخرجه أحمد في مسنده.

لشهرته بالانتساب إليه فيقال حجر بن الأديب وهو حجر بن عدي بن معاوية الأديب بن جبلة - وقيل الأديب لقب أبيه عدي بن معاوية - ويعرف أيضا بحجر الخير. وقوله عائشة: فاعل نهت، والمراد بها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ومعاوية: مفعول به لنهت. والضمير في عنه عائذ على حجر. وقوله فعق: أي خالف، وفاعله ضمير عائذ على معاوية؛ والمراد بالناهية عائشة، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، وفي تعبيره بـ عق استعارة بليغة لكونها أم المؤمنين. وقوله مقطع النجد (بوزن محدث): عطف على حجر بحذف العاطف. والنجد (بضم نين): جمع نجد (ككتاب) وهي حمائل السيف، لأنها تعلق العاتق، يقال هو طويل النجاد كناية عن طول القامة؛ والمراد بمقطع النجد معاوية بن الحارث بن عمرو الكندي، لقب بذلك لأنه كان لا يركب معه أحد يتقلد سيفاً إلا قطع نجاهه. والأواه (بالرفع): عطف على حجر الأديب أيضاً، والأواه: الكثير التأوه وهو الشكوى والتوجع، والمراد به امرؤ القيس بن عابس. وقاتل عمه (بالرفع): صفة للأواه الذي هو امرؤ القيس. وفاعل قال ضمير مستتر عائذ على الأواه. وجملة الله ربي وأنت العم: محكي قال. والشيطان: عطف على حجر الأديب أيضاً. وقوله منهم خير عن حجر الأديب السابق، والمعطوفات عليه، والضمير فيه عائذ على كندة المتقدم ذكرهم. والشيطان أبو بطن من كندة يعرفون ببني الشيطان وهم المراد هنا، ولذا قال: وفيهم كاسمهم بصيغة الجمع فيهما. وخسران: مبتدأ خبره فيهم التي قبله، والخسران: الضلال والنقصان. ولعل الناظم أراد بقوله وفيهم كاسمهم خسران الاقتباس من قول الشاعر⁽¹⁾:... والسفاهة كاسمها..

(1) هو النابغة الذبياني يقول:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها يهدي إلي غرائب الأشعار .. الخ.

يقول ومن كندة أيضا حجر بن الأديب ومعاوية بن الحارث، الملقب بمقطع النجد والصحابي الصالح امرؤ القيس بن عابس وبنو الشيطان الكنديون.

حجر بن عدي وسبب قتله

أما حجر الأديب فهو أبو عبد الرحمن حجر بن عدي بن معاوية الأديب بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي، وفد هو وأخوه هانئ ابنا عدي على النبي ﷺ وكان من فضلاء الصحابة، بحاب الدعوة وشهد القادسية ثم كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالجمل ومن أمرائه به؛ وشهد معه صفين وكان بها على ميمنة كندة، ويوم النهروان وكان به على الميسرة.

ولما ولّى معاوية زيادا على العراق وما وراءه وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر خلعه حجر ولم يخلع معاوية، وتابعه جماعة من أصحاب علي رضي الله عنه؛ فكتب فيه زياد إلى معاوية وكثر عليه وعظم أمره وخطره وأنه كان من أكبر أتباع علي رضي الله عنه ويتأثر به كثيرون. فلما وصل كتابه إلى معاوية كتب إليه أن سرّح به إلي؛ فقبض عليه زياد وبعث به إلى معاوية مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلا، في الحديد.

فلما دخل حجر على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: أو أمير المؤمنين أنا؟ قال: نعم. فأمر بقتله؛ فلما قدم للقتل قال لمن حضر: لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما فإنني مُلاق معاوية على الجادة⁽¹⁾ وإني مخاصم إلا أنني على بيعتي لا أقيها ولا أستقبلها، وصلى ركعتين خفيفتين وقال: لولا أن تظنوا بي

(1) الجادة (بتشديد الدال المهملة): وسط الطريق أو الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق.

غير الذي بي لأطلتها والله لن كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ما هما بنافعتي، فقتله معاوية صبيرا هو وخمسة من أصحابه واستحيا ستة⁽¹⁾. وكان سبب تعجل معاوية بقتله أنه يرى أنه يقطع بذلك دابر فتنة يوشك أن تنفجر ويستغلها الأعداء والحاقدون وأن الأولى وأدها في مهدها⁽²⁾.

فلما سمعت عائشة بما صنع زياد بحجر وأصحابه بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية وكتبت إليه: "الله الله في حجر وأصحابه"، فوجده قد قتلهم فقال له: أين عزب عنك حلم أبي سفيان في حجر وأصحابه، ألا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون؟ فقال له معاوية: حين غاب عني مثلك من قومي، قال: والله لا تعدلك العرب بعدها حلما أبدا ولا رأيا، قتلت قوما بعث إليك بهم أسرى من المسلمين، قال: فما أصنع؟ كتب إليّ فيهم زياد يشدد أمرهم ويذكر أنهم سيفتقون عليّ فتقا لا يُرفع⁽³⁾.

ثم حج معاوية بعد فحاء إلى المدينة زائرا فاستأذن علي عائشة رضي الله عنها فأذنت له فلما قعد قالت له: يا معاوية أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟ فقال: بيت الأمان دخلت، قالت: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: إنما قتلهم من شهد عليهم؛ وجرى بينهما في ذلك كلام طويل فقال لها: دعيني وحجرا حتى نلتقي عند ربنا. وروي أن ابن عمر كان يتخبر عن حجر

(1) المقتول صبيرا: من ضربت عنقه أو حبس على القتل حتى يُقتل. واستحياه: أي تركه حيا فلم يقتله.

(2) الواد: دفن الوليدة في التراب وهي حية، ويستعار للقضاء على الأمر قبل أن يشتد. والمهد: الموضع يهيا ويوطأ للصبي.

(3) فتق الشيء فتقا: شقه، وفتق بين القوم: شق عصاهم فرجعت الحرب بينهم. ورقع الثوب: ألحم خرقه وأصلحه بالرقاع، ومنه: "رقع دنياه بأخرته" أي أصلحها.

حين انطلق به إلى معاوية فجاءه نعيه وهو في السوق فأطلق حبوته وقام وقد غلبه النحيب، وكان الربيع بن زياد الحارثي عاملاً لمعاوية على خراسان فلما بلغه قتل حجر قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك، فلم يبرح من مجلسه حتى مات. وكان محمد بن سيرين إذا سئل عن الركعتين عند القتل قال: صلاهما خيب وحجر وهما فاضلان.

وكان قتل حجر بالشام بقرية تسمى عذراء⁽¹⁾ سنة إحدى وخمسين، وقيل ثلاث وخمسين. وابناه عبد الله وعبد الرحمن قتلها المصعب بن الزبير، وكانوا يتشيعون. وابن عمه حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة بن حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي كان يعرف بحجر الشر، فرقاً بينه وبين حجر الخير (وهو حجر الأديب المذكور)، وقيل لقب به لأنه كان شريفاً (قبل إسلامه)، وقد وفد على النبي ﷺ فأسلم وصحب؛ وكان شريفاً في قومه. وكان من أمراء علي بالجمل وحضر معه صفين، وكان أحد شهود الحكمين⁽²⁾ ثم اتصل بمعاوية واستعمله على أرمينية.

ومنهم عبيد الله بن العباس بن يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر، ولي فارس لخالد القسري والكوفة ليوسف بن عمر والشرطة لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقنسرين للسفاح وأرمينية للمنصور، وبها مات.

(1) عذراء: قرية بدمشق وهي التي ذكرها حسان بن ثابت في قوله:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء .. الخ.

(وذاث الأصابع والجواء: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني. وبنو الحسحاس: حي من بني أسد. والروامس: الرياح. والسماء: المطر).

(2) في التحكيم بين علي ومعاوية.

تنبيه: قوله **ففق الناهية** ظاهره أن كتاب عائشة وصل معاوية قبل قتله حجرا وأصحابه فلم يأتمر به بل خالفها وقتلهم. وقد ذكر صاحب الحلة السيرة ما يمتثل ذلك، فيكون الناظم درج عليه؛ إن لم يكن وقف على ما ينص على ذلك صريحا في غير ما وقفت عليه من المراجع، والمشهور أن معاوية لم يصله كتاب عائشة إلا بعد قتلهم كما في طبقات ابن سعد وغيرها.. والله أعلم.

وأما **مقطع النجد** فهو أبو بطن من كندة يقال لهم بنو مقطع النجد، واسم مقطع النجد معاوية بن الحارث بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي، ولقب مقطع النجد لأنه كان لا يركب معه أحد يتقلد سيفا إلا قطع نجاهه - كما مر.

وأما **الأواه** فهو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن السَّمط بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الأكبر (وهو كندة) الكندي الشاعر، له صحبة وشهد فتح النجف باليمن وكان رضي الله عنه قد حضر الكنديين حين ارتدوا وثبت على الإسلام وكان شديدا على من ارتد، ولما خرجوا ليقتلوا وثب على عمه ليقبله؛ فلما رأى السيف قال له: ويحك يا امرأ القيس أتقتل عمك؟ فقال: أنت عمي والله عز وجل ربي، وقتله.

وامرؤ القيس بن عابس هذا هو الذي خاصم إلى رسول الله ﷺ ربيعة بن عبدان الحضرمي في أرض فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا أتى على أرض لي كانت لأبي في الجاهلية⁽¹⁾، فقال امرؤ القيس: هي أرضي وفي يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟» قال: لا، قال: «فلك

(1) وكانت تلك الأرض باليمن - رواه أبو داوود في سننه.

يمينه»، فقال الحضرمي: يا رسول الله إنه لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء، فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس لك منه إلا ذلك»، قال: إن حلف ذهب بأرضي، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»، فقال امرؤ القيس: ما لمن تركها وهو يعلم أنها حق؟ قال: «الجنة»، قال: فأشهدك أنني تركتها⁽¹⁾.

وأما الشيطان فهو أبو بطن من بطون كندة ثم من بني معاوية وهم بنو الشيطان بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع الكنديون، لقب جدهم بالشيطان لجماله⁽²⁾ وكانوا يعرفون ببني الشيطان حتى قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقال لهم: «من أنتم؟» فقالوا: نحن بنو الشيطان، فقال: «بل أنتم بنو عبد الله». ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة، حليف بني عبد شمس ويعرفه المحدثون بالسائب بن أخت نمر، ومنهم المقداد بن الأسود الكندي القائل:

(1) حديث: «ألك بينة.. ومن حلف على يمين.. إلخ»: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.
(2) راجع أسد الغابة ج: 1 ص: 410، وكانت العرب تسمى الرجل الجميل بالشيطان؛ ففي كتاب البرصان والعميان للجاحظ؛ أن البرشاء أم قيس بن ثعلبة لقبت "بالبرشاء" مخافة العين عليها، كما يسمون الرجل الجميل: الشيطان والغراب النافذ البصر: الأعور، والأرض السباريت (الأرض الفقير لا نبات فيها): المفازة، والنهيش: السليم والفرس العتيق إذا كان أنثى: شوهاء.. إلخ. ومن أشرف العرب المذكورين وفرسانهم المشهورين شيطان بن عوف بن مزيد، لم يوجد فارس مثله يوم مبايض وأبلى فيه بلاء حسنا؛ ومبايض - بضم الميم وقيل بفتحها - موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريف بن تميم (فارس تميم)، وكان شيطان بن عوف يومئذ على فرس كثير الأوضاح وكان هو أبرص، فلما رجعت بنو تميم من تلك الوقعة لامهم وقال: خرجتم بثلاثة رؤساء إلى حي حريد (أي مَنَاح) ثم جئتم منهزمين وقد قتل منكم رئيسان، قالوا: والله ما لقينا إلا شياطين برصا على خيل بلق.

أطعنا رسول الله إذ كان صادقا فيا عجبا ما بال دين أبي بكر
أورثها بكرا إذا قام بعده فتلك وأيم الله قاصمة الظهر!

ولعل هذا من الخسران الذي أشار الناظم إلى وجوده في بعضهم. والله أعلم.

ومن بني معاوية أيضا شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي له صحبة، وقد ولي حمص. ومنهم أيضا بنو الأرقم بن النعمان بن عمرو كانوا عثمانيين، رحلوا عن الكوفة إلى معاوية وقالوا: لا نقيم ببلد يسب فيه عثمان فأنزلهم معاوية الرؤءاء.

ومن بني كندة أيضا بنو معاوية الأكرمين، منهم بنو شجرة ويقال لهم الشجرات وإليهم ينسب مسجد الشجرات بالكوفة، منهم سعيد بن الأسود الذي بايع معاوية على شرط كتاب الله وسنة نبيه، فقال له معاوية: لا شرط لك، فقال سعيد: وأنت لا بيعة لك!. ومنهم أيضا عبد الله بن الحارث بن مسعود بن خالد بن أصرم الذي تنسب إليه الحارثية من الروافض وكان غاليا كافرا أوجب على أصحابه سبع عشرة صلاة كل يوم وليلة في كل صلاة خمس عشرة ركعة ثم تاب باختياره، ولما تاب تبرأ منه أصحابه وبقوا على كفرهم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ كِنْدَةَ شَرِيحٌ وَالْمُقَنَّعُ أَكَيْدِرُ الْمَلِكُ وَالسَّمِيذَعُ
بِشْرُ أَخُوهُ صَاحِبُ الصَّهْبَاءِ أُخْتِ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْعَلَاءِ

شريح (بالحاء المهملة وبوزن زبير): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والمقنع (كمعظم): عطف عليه. وأكيدر (بالتصغير): عطف على شريح أيضا. والملك: صفة لأكيدر، ووصفه بذلك لأنه كان ملكا على دومة

الجنديل⁽¹⁾. والسميدع: عطف على أكيدر وهو السيد الكريم. وبشر (بشر الموحدة وبالرفع): بدل من السميدع. وأخوه: صفة لبشر، والضمير المضاف إليه عائذ على أكيدر. وصاحب: صفة لبشر أيضا: أي زوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس. وأخت (بالجر): صفة للصهباء، والمراد بأبي سفيان: صهر بن حرب. وذو العلاء (بالفتح والمد): صفة لأبي سفيان، والعلاء: الرفعة. يقول: ومن كندة شريح بن الحارث والمقنع بن ظفر وأكيدر وبشر ابنا عبد الملك الكنديون.

شريح بن الحارث وبراعته في القضاء

أما شريح فهو القاضي أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائث بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عمرو بن معاوية الكندي، وقيل إنه إنما كان كنديا بالحلف وإن أصله من أبناء الفرس الذين كانوا باليمن، وقد أدرك الجاهلية وكان من أوائل من أسلموا باليمن على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم إلى اليمن ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، وكان من كبار التابعين وكان ذا معرفة واسعة وفتنة حادة وذكاء فذ وخلق رفيع وتجربة طويلة، وقد ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء وهو ابن أربعين سنة، ولم يزل قاضيا إلى زمن عبد الملك بن مروان، كلما بويع خليفة أقره وقد مكث فيه ستين سنة وقيل خمسا وسبعين وقيل انه ولي قضاء الكوفة ثلاثا وخمسين سنة والبصرة سبع سنين، وروي عنه أنه قال: وليت القضاء لعمر وعثمان وعلي فمن بعدهم إلى أن استعفيت من الحجاج، وكان له يوم استعفى مائة وعشرون

(1) دومة الجندل بضم الدال: مدينة عرفت بدومي بن إسماعيل فيما ذكروا (تقع حاليا ضمن منطقة الجوف السعودية).

سنة، وقيل مائة وسبع سنين؛ وعاش بعد ذلك. وقد تعلم القضاء من معاذ بن جبل حين كان قاضيا باليمن؛ وروي أن عليا قال له: أنت أفضى العرب. وكان له في تاريخ القضاء الإسلامي مواقف بديعة وأحكام رائعة، وقد أذعنت لأحكامه عامة المسلمين وخاصتهم وامتلاأت بطون الكتب بطرائف أخباره النادرة وأقواله السائرة. فمن أحكامه الغريبة حكمه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان سببا في توليته للقضاء؛ فقد روي أن عمر بن الخطاب ابتاع مرة فرسا من أعرابي ونقده ثمنه وركب عليه ومضى به فما سار عليه طويلا حتى ظهر به عطب، فرجع إلى الأعرابي وقال له: خذ فرسك فإنه معطوب، فقال الأعرابي: لا آخذه يا أمير المؤمنين وقد بعته منك سليما صحيحا، فقال له عمر: اجعل بيني وبينك حكما، فقال الأعرابي: يحكم بيننا شريح بن الحارث الكندي، فقال عمر: رضيت به؛ فاحتكما إليه. فلما سمع شريح مقالة الأعرابي التفت إلى عمر وقال له: هل أخذت الفرس سليما يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم، فقال شريح: احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أو رد كما أخذت، فنظر عمر إلى شريح معجبا وقال: هل القضاء إلا هكذا: قول فصل⁽¹⁾ وحكم عدل، سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها. ومنها حكمه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد روي أن عليا بن أبي طالب افتقد درعا له عزيزة عليه ثم ما لبث أن وجدها في يد ذمي يبيعها في سوق الكوفة فعرفها فقال: هذه درعي سقطت عليّ في ليلة كذا، فقال الذمي: بل هي درعي وفي يدي يا أمير المؤمنين، فقال علي: إنما هي درعي لم أبعها من أحد ولم أهبها لأحد حتى تصير إليك، فقال الذمي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فقال علي: أنصفت فهلهم إليه. فدخلا على شريح في مجلس القضاء، فقال

(1) قول فصل: أي حق لا باطل فيه.

شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: لقد وجدت درعي هذه مع هذا الرجل وقد سقطت مني ليلة كذا في مكان كذا، وهي لم تصل إليه لا ببيع ولا هبة، فقال شريح للذمي: وما تقول أنت أيها الرجل؟ فقال: الدرع درعي وهي في يدي ولا أنهم أمير المؤمنين بالكذب، فالتفت شريح إلى علي وقال: لا ريب عندي في أنك صادق فيما تقوله وأن الدرع درعك ولكن لا بد لك من شاهدين يشهدان على صحة ما ادعيت، فقال علي: نعم هذا مولاي قنبر وولدي الحسن يشهدان لي، فقال شريح: إن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين، فقال علي: يا سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؟⁽¹⁾ فقال شريح: بلى يا أمير المؤمنين، غير أنني لا أجزى شهادة الولد لوالده، فالتفت علي على الذمي وقال له: خذها فليس عندي شاهد غيرهما، فقال الذمي: ولكنني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين، ثم قال: يا لله! أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه وقاضيه يقضي لي عليه! أشهد أن الدين الذي يأمر بهذا لَحَقَّ وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؛ ثم قال: اعلم أيها القاضي أن الدرع درع أمير المؤمنين وأني اتبعت الجيش وهو منطلق إلى صفين فسقطت الدرع عن جملة الأورق⁽²⁾ فأخذتها، فقال علي: أما إنك إذ أسلمت فإنني وهبتها لك ووهبت لك معها هذا الفرس. فلم يمض إلا قليل حتى رىء هذا الرجل يقاتل الخوارج تحت راية علي في يوم النهروان وهو يمعن القتال حتى استشهد.

ومن روائع شريح أيضا؛ أن ابنا له قال له يوما: يا أبت إن بيبي وبين قوم خصومة فانظر فيها فإن كان الحق لي

(1) رواه الطبراني في الكبير كما في سير أعلام النبلاء.

(2) الأورق: الذي لونه لون الرماد.

قاضيتهم⁽¹⁾ وإن كان لهم صالحتهم، ثم قص عليه قصته فقال له: انطلق فقاضهم. فانطلق إليهم ودعاهم فاستجابوا له، ولما مثلوا بين يدي شريح قضى لهم على ابنه. فلما رجع شريح إلى بيته دخل عليه ولده فقال له: فضحتني والله لو لم أستشرك من قبل لما لمتك، فقال شريح: يا بني والله لأنت أحب إلى من ملء الأرض من أمثالهم ولكن الله أعز علي منك؛ لقد خشيت أن أخبرك بأن الحق لهم فتصالحهم صلحا يفوت عليهم بعض حقهم فقلت لك ما قلت. وكفل ولد له رجلا فقبل شريح كفالته فهرب الرجل من يد القضاء فسجن شريح ولده بالرجل الفار فكان شريح نفسه ينقل له الطعام في السجن.

وكان شريح يقول للشهود قبل أن يدلوا بشهادتهم بين يديه: اسمعوا مني هداكم الله إنما يقضي على هذا الرجل أنتم وإني لأتقي النار بكم وأنتم باتقائها أولى، وإن في وسعكم الآن أن تدعوا الشهادة وتمضوا، فإذا أصروا على الشهادة التفت إلى الذي يشهدون له وقال له: اعلم يا هذا أنني أقضي لك بشهادتهم وأن قضائي لا يحل لك شيئا حرمه الله عليك. وكان يردد في مجالس قضاؤه قوله: غدا سيعلم الظالم من الخاسر إن الظالم ينتظر العقاب وإن المظلوم ينتظر النصفة.. إلى غير ذلك من أحكامه وأخباره العجيبة..

وكان شريح أيضا شاعرا فائقا ويقال انه كان كوسجا (أي لا شعر في وجهه) وقد عمر مائة وعشرين سنة. وابن أخيه أبو المنازل عثمان بن عبيد الله بن الحارث ولي قضاء خراسان.

وأما **المقنع** فهو محمد بن ظفر بن عمير، وقيل اسمه ثور بن عميرة الكندي، لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجها فكان إذا حسر اللثام عن وجهه أصابته

(1) أي رفعت أمرهم إلى القضاء.

عين فتقنع دهره خوفا من ذلك؛ فكان لا يمشي إلا مقنعا وكان شاعرا من شعراء الإسلام في عهد بني أمية إلا أنه كان مقلا، وكان له شرف ومروءة ومحل في عشيرته وكان متخرقا في عطاياه سمح اليدين بماله لا يرد سائلا عن شيء سأله إياه. روي أن عبد الملك بن مروان — وكان يلقب رشح الحجر لبخله — قال ذات يوم أي الشعراء أفضل؟ فقال كثير بن هراسة (يعرض ببخل عبد الملك): أفضلهم المقنع الكندي الذي يقول:

إني أحرض أهل البخل كلهم	لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
ما قل مالي إلا زادني كـرما	حتى يكون برزق الله تعويضي
والمال ينفع من لولا دراهمه	أمسى يقلب فينا طرف محفوض
لن تخرج البيض عفوا من أكفهم	إلا على وجع منهم وتمريض
كانها من جلود الباخلين بما	عند النوائب تحذى بالمقاريض ⁽¹⁾

فعرف عبد الملك ما أراد وقال: الله أصدق من المقنع وقد قال — جل من قائل —
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽²⁾.
ومن شعر المقنع أيضا:

يعاتبني في الدين قومي وإنما	ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ما قد أدخلوا وضيعوا	ثغورَ حقوق ما أطافوا لها سدا
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها	مكحلة لحما مدفقة ثردا ⁽³⁾

(1) تحذى: أي تقطع، والمقاريض: جمع مقراض وهو المقص الذي يقرض به الثوب أو غيره؛ وهما مقراضان

(2) الفرقان الآية: 67.

(3) المكحلة بالشيء: المحفوفة به، يقال: "جفنة مكحلة بالسديف" أي عليها قطع الشحم. والمدفقة: الممتلئة الجوانب حتى تفيض. وثرْد ثردا: أعد الثريد، والخبز: فته ثم بله بالمرق، والثريد والثريدة: طعام من خبز تفته وتبله بالمرق.

ومن فرس نهد عتيق جعلته
 وإن الذي بيني وبين بني أبي
 فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم⁽¹⁾
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
 وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم
 لهم جل مالي إن تتابع لي غنى
 وإني لعبد الضيف ما دام نازلا
 ومن شعره أيضا:

نزل المشيبُ فأين تذهب بعده
 كأنَّ الشبابُ خفيفةً أيامه
 ليس العطاء من الفضول سماحة⁽⁵⁾
 وقد ارعويت وحن منك رحيل
 والشيب محمله علي ثقيل
 حتى تجود وما لديك قليل

وأما أكيدر فهو ابن عبد الملك بن عبد الجن بن أعيان بن الحارث بن معاوية بن حلاوة بن أيامة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة الكندي السكوني، ملك دومة الجندل. وكان أولا يسكن هو وإخوته بدومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب، فخرج معهم يوما للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل فأعاد هو وإخوته بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها

-
- (1) وفر عرض فلان (بالتخفيف والتشديد): صانه ووقاه ولم يشتمه.
 (2) النحس (يفتح فسكون): نقيض السعد، يقال: "أمر نحس" أي مظلم و"يوم نحس" لم يصادف فيه خير، ويقال: "سعد يومك" أي يمن.
 (3) الحقد: الغضب الثابت في القلب، وحقد عليه حقا أمسك عداوته في قلبه يتربص فرصة الإيقاع به.
 (4) الرفد (بكسر فسكون): المعونة والعطية.
 (5) الفضول: فضلات المال الزائدة عن الحاجة. والسماحة: الجود والكرم.

بدومة الجندل فرقاََ بينها وبين دومة الحيرة، ثم سكنوها أخيرا. ودومة الجندل طرف من الشام قرب جبل طيئ بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس - أو ست - عشرة ليلة، عليها حصن حصين يقال له مازن وهو حصن أكيدر؛ وكان أكيدر بن عبد الملك هذا ملكا عليها ولم يزل كذلك إلى أن مات بها في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان النبي ﷺ قد كتب إليه كتابا يدعو فيه إلى الإسلام فلم يسلم ثم بعث إليه سرية بقيادة خالد بن الوليد وكان ذلك في عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك في السنة التاسعة وبعثه من أثناء الطريق؛ فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وهو وسط بلاد كلب وأنا في أناس يسير؟ فقال ﷺ: «إنك ستجده يصيد البقر - وفي رواية: الوحش - فتأخذه»⁽¹⁾.

فسار خالد إلى أكيدر حتى بلغ قريبا من حصنه بمنظر العين نزل؛ فبينما أكيدر مع زوجته الرباب الكندية في ليلة صائفة على سطح دارهم إذ أتتهم بقر الوحش من كل جانب تنطح حصنهم بقرونها وتحتك عليه - وكانت تلك الليلة مقمرة - فأشرف أكيدر على ذلك البقر وقال: ما رأيت أكثر منها الليلة وقد كنت أكنم لها اليومين والثلاثة ولا أجدها، فنشط أكيدر لصيدها وأراد أن يخرج لذلك فثبطه بعض أهله فلم يكثر بذلك، ودعا أخاه حسان في نفر من قومه وقال له: لا صبر عن هذا وأمر بخيلهم فأسرجت وركبوها - وكان على أكيدر قباء من الديباج المخوص بالذهب - فلم يزالوا يطاردونها حتى دفعتهم في جيش خالد بن الوليد ليلا فأخذهم خالد وقتل حسانا وأسر أكيدرا واستلب قباؤه وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، فلما رآه الصحابة جعلوا يلمسونه ويتعجبون من لينه وحسنه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لناذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسن

(1) رواه ابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية - كما في زاد المعاد.

من هذا»⁽¹⁾. ثم قدم خالد بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الإسلام وضرب الجزية عليه فاختار الجزية فضربها عليه؛ وعاد إلى حصنه، وقيل إنه أجاره على أن يفتح له دومة الجندل ففعل، وصاحه على ألف بعير وثمانمائة درع وأربعمائة رمح، كما في الحلة السبراء وغيرها. ولما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه نقض أكيدر العهد ومنع ما قبَّله فسار إليه خالد بن الوليد فحاصر دومة الجندل وقتل أكيدر على نصرانته [والعياذ بالله تعالى].

وإلى هذه الوحش وقصتها أشار بُجير بن بُجرَةَ الطائي - وكان في جيش خالد إلى أكيدر - بقوله:

تبارك سائق البقرات إنسي رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد

وقد أنشد هذه الأبيات بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال: «لا يفضض الله فاك»، فأنت عليه تسعون سنة وما تحركت له سن ولا ضرس.

وأما بشر فهو ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي السكوني أخو أكيدر الذي مر نسبه قريبا، كان وزيرا لأخيه أكيدر بن عبد الملك، وكان قد تعلم الخط بالحيرة ثم أتى الطائف فتعلمه منه نفر، ثم أتى مكة فتعلمته منه جماعة منهم، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية (أخت أبي سفيان بن حرب) فولدت له جارية هي جدة عمرو بن هبيرة لأبيه، كما في الحلة السبراء وغيرها.. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **صاحب الصهباء.. إلخ**، ووصفه بالسميدع لما اتصف به من صفات الكمال في الجاهلية كالسيادة والملك والكتابة وغيرها.

وأكيدر وبشر هذان من بني السكون ثم من بني شكامة منهم. وبنو السكون

(1) أخرجه البخاري في المناقب ومسلم والإمام أحمد.

(بفتح السين المهملة) بطن من كندة، وهم بنو السكون بن أشرس بن كندة منهم بنو شكامة بن شبيب بن السكون، أمهم: غاضرة بنت مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمعة، ودخل لذلك بعضهم في بني أسد. ومن بني السكون أيضا عدي بن يزيد بن حمار السكوني: شاعر جاهلي كان نازلا في بني شيبان وهو القائل يوم ذي قار⁽¹⁾:

إني حمدت بني شيبان إذ حمدت نيران قوم وفيهم شيت النار⁽²⁾
 ومن تكرمهم في المحل أنهمم لا يعلم الجار فيهم أنه الجار
 حتى يكون عزيزا من نفوسهم أو أن يبين جميعا وهو مختار
 كأنه صدع في رأس شاهقة من دونه لعتاق الطير أو كار⁽³⁾

ومنهم أيضا مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث الكندي السكوني الصحابي، روي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموت فيصلبي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا وجبت له الجنة»⁽⁴⁾، وكان مالك إذا استقبل الجنابة جزأهم ثلاثة صفوف [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم]. وأمره معاوية على بعض غزو الروم وولي حمص ومات في زمن مروان بن الحكم. ومنهم أيضا مالك بن يسار الكندي السكوني، صحب وروى عن النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها»⁽⁵⁾.

(1) يوم ذي قار لبني شيبان وإخوتهم على كسرى أبرويز، وهو أول يوم للعرب على العجم.

(2) شبت النار: أي اتقدت. وشبها: أوقدها.

(3) الصدع (محرقة): القوي من الأوعال الفتي الشاب. والشاهق: المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها. وعتاق الطير: أفراخها حين يسقط ريشها الأول وينبت لها ريش قوي. والأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر.

(4) أخرجه أبو داود والتزمذي وابن ماجه.

(5) رواه في الجامع الصغير.

ومن بني السكون أيضا بنو عدي وبنو سعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة، أمهما تجيب بنت دهم بن ثوبان بن سليم بن رهء المذحجية نسبوا إليها وعرفوا بها فقبل لهم بنو تجيب، وقيل تجيب اسم جدهم. وقد قدم وفد من تجيب هؤلاء على النبي ﷺ وكانوا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وأكرم منزلهم وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياما وارتحلوا وأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود وأمرهم النبي ﷺ أن يردوا ما جاءوا به ليقسموه على فقرائهم، فقالوا: ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل ما وفد به هذا الحي من تجيب، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الهدى بيد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان». وقد توطن بعض تجيب هؤلاء مصر في زمن الفتوحات. وقد ذكر الناظم بعض أفرادهم، فقال رحمه الله:

كِنَانَةٌ بِنُ بَشْرِ التُّجَيْبِيِّ	قَاتِلُ عُمَانَ وَمِنْ تَجِيبِ
أَيْضًا مُعَاوِيَةَ الَّذِي قَتَلَ	مُحَمَّدًا نَجَلَ أَبِي بَكْرٍ وَمَلَّ
أَمَّا التُّجَوِيُّ مُبِيدُ حَيْدَرَةَ	فَمِنْ مُرَادِ مَذْحِجِ الشَّرَرَةَ
وَأَيْنَ هُمْ مِّنَ التُّجَيْبِيِّ الحُطَمِ	زُهَاءَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اصْطَلَمَ
مَعَ النَّبِيِّ وَلَا أُشْرَسَ انْتَسَبَ	وَهُوَ ابْنُ أَرْطَاةَ لَقِيَطُ الْمُنتَخَبِ
وَمِنْ تَجِيبَ أَيْضًا الصَّمَادِحُ	مُلُوكُ أُندُلُسِ الجَحَاجِحُ

كنانة: مبتدأ حذف خبره لدلالة السياق عليه، أي ومن كندة أيضا كنانة بن بشر. والتجيب (بضم التاء وكسر الجيم وفي آخره ياء النسب المخففة): صفة لكنانة نسبة إلى تجيب، وهم بطن من كندة - كما مر قريبا. وقوله قاتل عثمان (بالرفع): صفة لكنانة أيضا، والمراد به عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي

الله عنهم. وقوله معاوية: مبتدأ خبره من تجيب قبله. وجملة الذي قتل.. إلخ: صفة لمعاوية. قوله ومَلَّ: فعل ماضٍ مضعف وفاعله ضمير مستترٌ عائدٌ على معاوية، ومفعوله ضمير مقدر عائد على محمدًا؛ والجملة عطف على جملة قتل، أي قتله. ومله: أي أحرقه بالمِلمة (بفتح الميم) وهي الرماد الحار.

يقول: ومن كندة ثم من بني تجيب منهم: كنانة بن بشر قاتل عثمان بن عفان، ومنهم معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبي بكر الصديق. أما كنانة فهو ابن بشر بن عتاب بن عوف بن حارثة بن قتيبة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن تجيب - وتجب أمه - وهو سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور وهو كندة، فسعد بن أشرس هذا وأخوه عدي بن أشرس أمهما تجيب - كما مرَّ - وبها يعرف أولادهما، فكلُّ تَجِيبِي سَكُونِي وكلُّ سَكُونِي كَنْدِي؛ فكنانة كندي سكوني تَجِيبِي. شهد فتح مصر وكان من القوم الذين اقتحموا على عثمان في داره هو ورومان بن سرحان المرادي فقتلوه - كما مرَّ⁽¹⁾ - وكنانة هذا هو الذي يعني الوليد بن عقبة بالتجيبِي في قوله:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبِي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

وتقدم أن قاتل البيتَيْن نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان وتعني بالثلاثة: رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما. وقتل كنانة بن بشر هذا بفلسطين سنة ست وثلاثين.

وأما معاوية فهو أبو نعيم معاوية بن حديج (كزبير وبالحاء المهملة) بن جفنة بن

(1) عند قول الناظم: عثمان لو لم يطلبوا بدمه .. إلخ.

قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن تقيب الكندي التجيبي، كانت له صحبة وشهد فتح مصر ثم كان الوafd على عمر بفتح الاسكندرية وغزا إفريقية ثلاث مرات، وقيل غزا الحبشة فأصيبت عينه وكان محله بمصر عظيما وتوفي قبل ابن عمر بيسير.

وماصل قصة قتله لمحمد بن أبي بكر؛ أن محمدا هذا وياه علي بن أبي طالب مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين، ولم يزل عليها حتى بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى مصر وفيهم معاوية بن حديج؛ فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهمز محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت فطلبوه وبخشوا عنه حتى وجده قوم معاوية بن حديج فدخلوا عليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض حتى أتوا به معاوية بن حديج، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر، فقال له معاوية: أتركك وقد قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلا وأنت صاحبه؟ لا والله، وأمر به معاوية أن يجر في الطريق ثم أمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار، ففعلوا؛ فمات رضي الله عنه ودفن في الموضع الذي قتل فيه وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين.

ولما قتل وصل خبره إلى أهل المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ودخل به داره فأرسلت عائشة أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن قتل محمد فاعتذر لها بأن الأمر لمعاوية بن حديج وأنه كان يكره قتله لمحمد؛ ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخب ثديها دما. ووجد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجدا عظيما وقال: كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا ولبيني أحبا (وذلك لأن عليا كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق رضي الله عنه ورباه). وقد قيل إن سبب إحراقه دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله أحرقه الله بالنار؟ فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا، فقالت: بنار الدنيا.

قوله : أما التجوبي.. إلخ: أما (بفتح الهمزة): حرف تفصيل كما مر. والتجوبي: مبتدأ وهو (بفتح التاء وضم الجيم ممدودة وكسر الموحدة): نسبة إلى تجوب وهم من مراد بن مذحج، وقيل نسبة إلى رجل من كندة يقال له تجوب؛ كان قد أصاب دما في قومه فهرب ثم لجأ إلى مراد فقال: جئت إليكم أجوب البلاد فلقب تجوب (بفتح التاء وضم الجيم ممدودة) فحالفهم وصار بنوه في عدادهم؛ فعلى الأول يكون ابن ملجم مرادي بالأصل وعلى الثاني فهو كندي الأصل مرادي بالحلف. وقوله مبيد (بضم الميم): أي مهلك، وهو صفة للتجوبي الذي هو عبد الرحمن بن ملجم. وحيدرة: لقب علي كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين. وقوله فمن مراد مذحج: خير عن التجوبي وقرن بالفاء لأنه جواب أما (لقيامها مقام أداة الشرط وفعله - كما مر). والشررة (بالتحريك): صفة لمراد أي أصحاب الشر وهو السوء والفساد.

ابن ملجم وما كان من جريمته

يقول أما عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب فهو من تجوب بن مراد بن مذحج، ووصفهم بالشررة لشقاوة صاحبهم ابن ملجم [وصدق القائل: "شر العشيرة من عابها"]؛ ولقد كانت فعلته هذه من أقبح العيب وأعظم الشر، فقد روي عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي أتدري من أشقى الأولين؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «عافر الناقة»، قال: «أتدري من أشقى الآخرين؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «قاتلك - وفي رواية -: الذي يضربك على هذه - وأشار إلى يافوخه - فيبل منها هذه -

وأخذ بلحيته»⁽¹⁾.

وماصل قصة قتل ابن ملجم المرادي لعلي رضي الله عنه؛ أن ثلاثة نفر من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميميان، اجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص؛ وقالوا: لنريح العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال ابن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. وتواثقوا أن لا ينكص أحد منهم عن صاحبه الذي سمى حتى يقتله أو يموت دونه واتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان (سنة أربعين)، ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه؛ فخرج البرك حتى قدم دمشق وضرب معاوية فجرحه في أليته وسلم منها؛ فلما أخذ قال: الأمان والبشارة؛ فقد قتل علي هذه الليلة، فاستبقاه معاوية حتى أتى الخبر بقتل علي فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه فرحل إلى البصرة وأقام بها ثم قتله زياد بن أبيه بعد. وسار عمرو بن بكر إلى مصر، وكان يومئذ بعمر بن العاص وجع؛ فبعث مكانه خارجه⁽²⁾ بن حذافة العدوي ليصلي بالناس، فقتله عمرو بن بكر بحسبه عمرو بن العاص؛ فسمع الناس يقولون: قتل خارجه فقال: "أردت

(1) أخرجه أحمد في المناقب وابن الضحاك [كما في الخميس]، وروي أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ومن معه وهم في غزوة العشرة: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه - حتى يبيل منها هذه - وأخذ بلحيته». واسم أحيمر ثمود قدار بن سالف وهو من تسعة رهط المذكورين في سورة النمل - [الروض الأنف].

(2) هو خارجه بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، كان أحد فرسان قريش وكان ممن يعدل بألف فارس وشهد فتح مصر ولم يزل بها حتى قتله الخارجي عمرو يظنه عمرو بن العاص، وقبره معروف بمصر عند أهلها. وتقدم ذكره في شرح الشيخ حماد عند قول الناظم: خارجه القاتل من أصمائه "أردت عمرا وارااد الله"

عمراً وأراد الله خارجه!".

وقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، وكان قد اشترى سيفاً وسمه واتصل بقوم من أصحابه وكاتمهم ما يريد. وكان علي يخرج إلى المسجد منفرداً دون حارس، فخرج ابن ملجم حتى جلس قبالة السدة التي يخرج منها عليٌّ إلى المسجد وكمن له فخرج المؤذن فقال: الصلاة فقام علي يمشي والحسن يمشي خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة - وكذلك كان يصنع كل يوم ليوظ الناس - فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب قرنه إلى جبهته ووصل دماغه فقال علي: فزت ورب الكعبة، ثم قال: لا يفوتنكم الرجل، فشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم بسيفه ففرجوا له فتلقاته المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع منه السيف - وكان المغيرة أيداً قويا - ثم أخذوه وأدخلوه على علي فقال: احبسوه وأطببوا طعامه وألبسوا فراشه، فإن أعش فأنا ولي دمي عفواً أو قصاصاً؛ وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين. ثم أوصى الحسن والحسين وصية طويلة في آخرها: يا بني عبد المطلب لا تحوضوا دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلوا بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به.. فلما فرغ من وصيته قال: أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا بلا إله إلا الله حتى قبضه الله. وكانت ضربة ابن ملجم له فجر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فمكث يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان سنة أربعين. فلما مات قام الحسين ومحمد بن الحنفية فقطعا عبد الرحمن بن ملجم إرباً إرباً وحرقاها؛ وكان الحسن قد نهاهم عن ذلك. وقد مر بعض التعريف بعلي وكيفية تجهيزه وموضع دفنه في أول هذه التكملة المباركة إن شاء الله.

وإذا كانت الأعمال تضاعف بحسب الزمان والمكان فقد أخذت فعلة ابن ملجم

القيحة هذه قسطها من ذلك، فقد تعاقد مع قومه الشررة في أشرف مكان؛ وهو مكة المكرمة، وكان تنفيذ هذه الخطة الدنيئة في أشرف زمان؛ وهو يوم الجمعة من رمضان الموافق يوم نصر بدر.. في سفك دماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [والعياذ بالله].

قوله : وأين هم: أي ما أبعدهم؛ يقال أين فلان من فلان! إذا كان على عكسه وكان أبعد منه في الفضل. والضمير في أين هم عائد على كنانة بن بشر ومعاوية بن حديج وعبد الرحمن بن ملجم، أي ما أشد تباعد هؤلاء الثلاثة في العمل والسعي، مع لقيط بن أرتاة التجيبي. والحطم (كصرد): الراعي الغشوم بالماشية يحطم بعضها ببعض. وزهاء (بضم الزاي) : أي قدر، وهو منصوب باصطلم مقدم عليه. واصطلم الشيء: استأصله. وقوله ولأشرس (بوزن أحمد): متعلق بانتسب. وفاعل كل من اصطلم وانتسب: ضمير مستتر عائد على التجيبي. ولقيط (كأمير): بدل من ابن أرتاة. والمنتخب (بصيغة اسم المفعول): أي المختار، صفة للقيط. وجملة هو ابن أرتاة.. إلخ: مفسرة للتجيبي الحطم.

يعني أن من تجيب لقيط بن أرتاة الذي قتل تسعة وتسعين مشركا مع رسول الله ﷺ، ولذا وصفه الناظم بالحطم على سبيل الاستعارة؛ وهو لقيط بن أرتاة، من ولد أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة الكندي السكوني ثم التجيبي، كان قد بعث به معاذ بن جبل وافدا إلى النبي ﷺ. روي عنه أنه قال: قتلت تسعة وتسعين من المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أتيت النبي ﷺ ورجلاي معوجتان لا تمسان الأرض فدعا لي النبي صلى الله عليه وسلم فمشيت على الأرض.

قوله الصمادح (بفتح الصاد المهملة)⁽¹⁾: مبتدأ خبره المجرور قبله، وملوك: صفة
وهو مضاف لأندلس (وهو بضم الهمزة والذال وفتحهما واللام مضموم على كل)،
وهو اقليم عظيم بالمغرب⁽²⁾ سمي بالأندلس بن يافث بن نوح عليه السلام لأنه نزله.
والججاجح: صفة للصمادح أيضا وهو جمع ججاجح للسيد الأديب، وهو وصف
خاص بالرجال ولا فعل له.

يقول ومن تجيب أيضا بنو الصمادح ملوك الأندلس بالمرية أيام ملوك الطوائف،
والمملوك الصمادحيون ينتمون إلى صمادح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن
عميرة وهو جدهم الداخلى إلى الأندلس، وفي عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع
بني هاشم التجيبين أصحاب سرقسطة، فهم مثلهم ينتمون إلى تجيب.

ملوك الصمادح بالأندلس

وملوك الصمادح هم بنو معن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الرحمن بن صمادح، وبصمادح هذا عرف بيتهم، وأول من ملك منهم معن بن
صمادح التجيبى هذا سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وبقيت بأيديهم إلى أن غلبهم
عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة أربع وثمانين وأربعمائة؛ وتعاقب عليها منهم
ثلاثة: معن والمعتصم بالله ومعز الدولة الصمادحيون. وقد كان من خبرهم أن
والدهم أبا يحيى محمداً بن أحمد بن عبد الرحمن الصمادحي كان حاكم مدينة

(1) في ابن خلكان: صمادح (بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الألف دال مكسورة ثم حاء
مهملة): هو الشديد.

(2) يضاف للمغرب لقربه منه ولأنه كان تابعا له - كليا أو جزئيا - في فترات من تاريخه
الإسلامي الحافل، أما موقعه فهو في الجزء الغربي الجنوبي من قارة أوروبا يفصله عن قارة
إفريقيا مصب البحر الأبيض المتوسط في المحيط الأطلسي، ومعظمه الآن تحتله دولة إسبانيا.

وَشَقَّة⁽¹⁾ وأعمالها منذ أواخر أيام هشام بن الحكم المؤيد بالله الأموي؛ ولما تولى سليمان الظافر الخلافة سنة ثلاث وأربعمائة أقره على ولايته، فلما انتهت أيام سليمان واغتصب بنو حمود الخلافة في قرطبة سنة سبع وأربعمائة، واضطربت الأمور فر أبو يحيى بأهله وولده إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فأكرمه وتوثقت علاقتهما بالمصاهرة حيث تزوج ولداه معن وصمادح بأختي عبد العزيز ثم أراد أبو يحيى اللحاق بالمشرق فمات في البحر غرقا وبقي ابنه معن في كنف صهره عبد العزيز فولاه وزارته. فلما قتل زهير العامري صاحب المرية⁽²⁾ واستولى عبد العزيز على المرية استخلف عليها صهره ووزيره معن بن أبي يحيى هذا ورجع إلى بلنسية، فما كاد عبد العزيز يغادر المرية حتى أخذ معن الصمادحي يوطد الأمر للاستيلاء عليها حتى جاهر بخلع الطاعة ودعا لنفسه، فاستولى عليها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان من مؤيديه ومعضديه باديس صاحب غرناطة وزعيم

(1) وشقة (بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء): بلدة بالأندلس - [ابن خلكان].

(2) كان زهير العامري هذا قد لعب دورا بارزا في حوادث الفتنة بقرطبة وكان شهما داهية بعيد النظر، فتولى حكم المرية واقتفى أثر سلفه وأحكم النظام وبنى جامع المرية وكان يكرم الفقهاء ويشاورهم في الأمر وامتدت مملكة المرية في عهده حتى شاطبة شرقا وجيان وبياسة شمالا وحتى أعمال طليطلة، ولم يزل عليها حتى نشبت حرب ضروس بينه وبين باديس في ظاهر مرية في شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة فانهت بهزيمة زهير العامري وقته وتمزيق جيشه، فكانت هذه النكبة ضربة أليمة لمملكة المرية فاستولى باديس على الجزء الشمالي الغربي من أراضي المرية، فلما رأى أهل المرية ذلك أسندوا رئاستهم إلى شيخ الجماعة أبي بكر الرمحي وكتبوا إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية يستدعونه لحكم مدينتهم، فقدم عليهم فبايعوه فلم يكذبهم حتى جاءته الأنباء بأن أحد خصومه ومنافسيه وهو مجاهد بن عبد الله العامري صاحب دانية تحرك لغزو أراضيه فرجع إلى بلاده وترك عليهم واليا من قبله هو وزيره معن بن صمادح التحيبي ليرعى له شؤون المرية.

البربر، ونشأت بينهما علائق مودة وصداقة.

واستمر معن الصمادحي في حكم المرية وأعمالها زهاء عشرة أعوام وتوفي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة بعد أن وطد رئاسته ومهد الملك لعقبه؛ فخلفه ولده أبو يحيى محمد بن معن الصمادحي بعهد منه فتلقب بالمعتصم بالله فحكم المرية. وكان أديبا شاعرا رحب الفناء جزل العطاء حللما عن الدماء طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال وأعملت إلى حضرته الرحال ولزمته جماعة من فحول شعراء وقته، فكان بلاطه منتدى لطائفة من أكابر الشعراء ومدحوه بأمداح كثيرة، منها قول أبي القاسم خلف بن فرج من قصيدة طويلة:

لعلك بالوادي المقدس شاطئ	فكالعنبر الهندي ما أنا واطئ
وإني من ريبك واجد ريجهم	فروح الهوى بين الجوانخ ناشئ
ولي في السرى من نارهم ومنازمهم	هداة حداة والنجوم طوافئ
لذلك ما حنت ركابي ومحمت	عرايبي وأوحى سيرها المتبايئ
فهل حاجها ما حاجني ولعلها	إلى الوجد من نيران قلبي لواجئ .. إلخ.

ومن الشعراء الذين مدحوه أبو القاسم بن أسعد بن بليطة، فقد مدحه بقصيدة

طويلة منها:

كان أبا يحيى بن معن أجادها	فعلمها من كفه الوكف والبسطا
تألف من در وشـزر بحاره	فجاءت به العليا على جيدها سمطا
إذا سار سار المجد تحكت لوائه	فليس يحط المجد إلا إذا حطا
رفيع عماد النار في الليل للسرى	فما يخبط العشواء طارقه خبطا
أقول لركب يعموا مسقط الندى	وقد جاوز الركبان من دونك السقطا
أبي المجد تبغسي لابن معن مناقضا	ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا .. إلخ.

وبنى المعتصم هذا قصرًا يشرف على البحر يسمى بالصمادحية، ثم وقعت بينه وبين ابن شبيب صاحب لورقة وباديس وحفيده عبد الله بن بلقين بن باديس

حروب شديدة، ثم تطورت الحوادث وأدت الفتن والحروب بين ملوك الطوائف إلى عاقبتها المحتومة واستأسد عليهم ملك قشتالة وأخذ يضرب بعضهم ببعض حتى ظفر بالاستيلاء على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

فاتجه ملوك الطوائف وفي مقدمتهم المعتمد بن عباد إلى الانتصار بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي - كما مر - فعبر يوسف الأندلس لقتال الروم فسانده ملوك الطوائف، وخصوصا المعتمد بن عباد اللخمي والمعتصم بن معن الصمادحي وأعجب بهما يوسف، حتى كان يقول عنهما لأصحابه إنهما رجلا الجزيرة.

واستمر المعتصم بعد ذلك في الحكم بضعة أعوام وتوفي في ربيع سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعد أن حكم إحدى وأربعين سنة، فتولى حكم المرية بعده ابنه معز الدولة بن المعتصم الصمادحي، فلما مكث فيها بضعة أشهر عبر يوسف بن تاشفين البحر للمرة الثالثة لا لينجد أمراء الأندلس في هذه المرة ولكن ليقضي عليهم وعلى دولهم المتفككة، فبدأ بغرناطة واستولى عليها ثم بعث جيوشه إلى اشبيلية لتقضي على دولة بني عباد فاستولوا عليها وأسروا أميرها المعتمد، فعند ذلك بادع معز الدولة الصمادحي باتخاذ أهبة الفرار فركب البحر بأهله وأمواله في ثلاث سفن أعدها لذلك وأحرق السفن الباقية خشية المطاردة فغادر المرية قبل أن يستولي عليها المرابطون وسار حتى نزل على آل حماد أمراء القلعة بشرقي العدو على مقربة من بجاية فأكرموا وفادته وعاش معهم حتى توفي، فكان آخر ملوك الصمادح⁽¹⁾. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما أنهى الكلام على نسب العرب ذكر لمحة موجزة عن نسب السودان وسبب اسوداد جلودهم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) ملخصا من كتاب دول الطوائف.

نسب السودان والقول في سبب لونهم

أَمَّا السَّوَادِيُّنَ فَمِنْ كُوشِ بْنِ حَامٍ سَوَّدَهُمْ أَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ
نُوحٌ عَلَى الْفُلِّكَ وَحَذَرَ الرَّجَالَ مِنَ النِّسَاءِ فَأَبَى حَامٌ وَصَالَ

أما بفتح الهمزة حرف تفصيل - كما مر. والسوادين: مبتدأ وهو جمع سودان وهم جيل من الناس سود البشرة. وقوله فمن كوش بن حام: خير عن السوادين. وكوش (بضم الكاف ممدودا بعدها شين معجمة): من أولاد حام (بالحاء المهملة) من أبناء نوح عليه السلام. وسودهم: أي صيرهم سود البشرة، والضمير فيه عائذ على السوادين. وفاعل سودهم جملة أن طاف بالبيت إلخ. وطاف به: دار حوله. ونوح فاعل طاف. والفلك (كقفل): السفينة، يذكر ويؤنث للواحد والجمع؛ والمراد به هنا سفينة نوح. وفاعل حذر: ضمير مستتر عائذ على نوح. وحام: فاعل أباي أي امتنع. وصال: أي وثب وخالف أمر نوح.

يقول: أما السوادين فكلهم من ذرية كوش بن حام بن نوح عليه السلام وإن سبب اسوداد جلودهم دعوة نوح على ابنه حام حين نهاه فخالفه.

وقد عقد الناظم بهذين البيتين نص كلام صاحب الروض الأنف، قال: روي أن نوحا قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت: إنكم في حرم الله وحول بيته فأحرموا الله ولا يمسه أحد (منكم) امرأة؛ وجعل بينهم وبين النساء حاجزا، فتعدى حام؛ فدعا عليه نوح أن يسود الله لون بنيه فاسود كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة⁽¹⁾. وفي الشريشي: حام وسام ويافث أولاد نوح وفيهم ذريته الباقية، وهم

(1) راجع الروض الأنف: ج: 1/ ص: 128.

لأم واحدة، وأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح أن يغير الله نطقته فجاءت بالسودان. ومثله في البداية والنهاية لابن كثير. وفي الخميس عن ابن عباس: كان في سفينة نوح ثمانون رجلا وحمل نوح معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء، وأمر نوح أن لا يعلو ذكر على أنثى ما داموا في السفينة، فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا عليه نوح فغير الله نطقته فجاءت منه السودان.

وفي القرطبي وغيره ما حاصله أنه كان من خير فلك نوح عليه السلام وطوافه بالبيت الحرام عليه واسوداد ذرية ابنه حام: أن الله سبحانه وتعالى أرسل نبيه نوحا إلى أهل الأرض وكانت داره دمشق، وقد كثرت فيها المعاصي والجبايرة وعتوا عتوا كبيرا فكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية وكان صبورا حلما ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي هو من قومه وكان كلما آذوه يقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون؛ ولم يزل على ذلك حتى يئس من إيمانهم وأوحى إليه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّءَ أَمْنٌ﴾⁽¹⁾ وأمره الله أن يصنع الفلك؛ فعند ذلك طفق يصنعه وصار قومه يسخرون منه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا يعمل سفينة في البر فكيف تجري؟! فيقول لهم: سوف تعلمون. ولما أتمها وفار التنور⁽²⁾ جعل فيها من كل زوجين اثنين وحمل فيها من آمن به وكانوا ثمانين إنسانا بين الرجال والنساء وفيهم أبناؤه الثلاثة: سام وحام ويافث وأمهم — وكانت مؤمنة — وثلاث كنان⁽³⁾ له؛ وبقي رابع بنيه واسمه كنعان، وقيل يام وبقيت أمه — واسمها واغلة — وكانا كافرين فكانا من المغرقين. ثم قال: وقد روي أن ركوب نوح ومن

(1) سورة هود: 36.

(2) التنور: هو الكانون الذي يخبز فيه، وقيل وجه الأرض وقيل غير ذلك..

(3) الكنان: جمع كنة، والكنة (بالفتح): امرأة الابن أو الأخ.

معه في السفينة كان لعشر خلون من رجب فجرت بهم على سطح الماء في موج كالجبال، وطبق الماء جميع وجه الأرض وارتفع على رؤوس الجبال وحفظ الله السفينة من الغرق ثم وجَّهها إلى مكة فطاف نوح ومن معه بالبيت سبعا؛ وكان قد حذر الرجال من النساء فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح الله أن يغير نطفة حام فجاء بالسودان ودعا عليه أن لا يعدُّو شعر أولاده آذانهم وأنهم حيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث.

ثم مضت السفينة إلى اليمن ثم رجعت إلى الجودي، وهو جبل بقرب الموصل فاستوت عليه وكان ذلك لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء، فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكرا لله تعالى. وروي أن أعواد هذه السفينة بقيت على الجودي عبرة وآية حتى أدرك بعض أوائل هذه الأمة منها بقايا، ويقال أكرم الله ثلاثة أجيال بثلاثة نفر: الجودي بنوح وطور سيناء بموسى وحراء بمحمد ﷺ. هذا وقد هلك كل من لم يكن في السفينة من الناس والدواب والوحوش والسباع والطيور فلم يبق منهم ديار⁽¹⁾. ولما خرج نوح ومن معه من السفينة بنوا قرية بناحية الموصل أصبحت بعد تعرف بقرية الثمانين.

وقد نقل بعض أهل الأخبار في سبب اسوداد ذرية حام أن نوحا عليه السلام لما هبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك فلم يغير عليه يافث فلما رأى سام ذلك زجره وغطى عورة نوح، فلما استيقظ نوح أخبر فقال لابنه: حام غير الله ماء صلبك فلا تلد إلا السودان، وقال ليافث كثر الله ذريتك، وقال لسام جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك ودعا له بالبركة؛ فكان القيم بعد أبيه في

(1) ديار: أي أحد.

الأرض، ونزل وسطها فنزل الحرم إلى اليمن إلى الشام؛ وكان من ولده الأنبياء كلهم عربهم وعجميهم، ومن ولده العرب جميعا. وفي الخميس عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: خلق الله آدم يوم الجمعة من كل تربة من البلاد⁽¹⁾ رأسه من بيت المقدس وصدره من العراق ومقعده من بابل ويده اليمنى من البيت العتيق ويده اليسرى من فارس ورجلاه وقدماه من أرض الهند وأرض ياجوج وماجوج، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم.

أولاد نوح آباء الأمم

وأولاد نوح عليه السلام ثلاثة وهم سام⁽²⁾ وحام⁽³⁾ ويافث⁽⁴⁾ ومنهم تفرعت بنو آدم فلم يحد عنهم أحد منهم.

أما سام فمنه العرب⁽⁵⁾ والروم والفرس، وأما حام فمنه السودان والبربر والقبط، وأما يافث فمنه الصقالبة ويأجوج ومأجوج والترك. وإلى هذا أشار بعضهم بقوله:

عَرَفَ سامَ ثمَّ حامَ سبِقاً ويافثَ صيِّتَ فكنَ محققاً

فرمز لولد سام بـ"عرف" ولولد حام بـ"سبق" ولولد يافث بـ"صيت"، فكل حرف من الأحرف الثلاثة يشير إلى أول حرف من أسماء الشعوب المتفرعة عنه. وفي البداية

(1) روى الطبري في تاريخه صدر هذا الحديث.

(2) وأولاد سام ثلاثة: إرم ولاوذ وارفخشند، فمن إرم: عاد وحمود - قيل وعبيل وجديس - ومن لاوذ:

طسم وجديس وعمليق وأميم وعبيل - قيل وجرهم واليونان - ومن ارفخشند: قحطان.

(3) ومن أولاد حام: كوش وكنعان، فمن كوش: الحبشة والسند والهند، ومن كنعان: الكنعانيون والزنج والنوبة.

(4) ومن أولاد يافث أندلس ومنه اليونان.

(5) في الحديث: «سام أبو العرب وحام أبو الحبش» - أخرجه الإمام أحمد في المسند.

والنهاية لابن كثير عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم - والخير فيهم - وولد ليافث ياجوج وماجوج والترك والسقالبة - ولا خير فيهم - وولد لحام القبط والبربر والسودان»⁽¹⁾.

هذا وقد خرج عن هذه الإشارات بنو إسرائيل واليونان؛ أما بنو إسرائيل فبالإجماع أنهم من ولد سام، لأنهم من ولد يعقوب عليه السلام؛ وأما اليونان فقليل منهم بنو اندلس بن يافث بن نوح، وقيل من بني لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. وتفرعت من سام بن نوح أيضا أمم كثيرة مثل الجرماقة؛ وهم أهل الموصل في الزمن القديم، والسريان والفرس، قيل والديلم. ومنه أيضا الكرد؛ وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملوك مصر بعد الفاطميين، والنبط⁽²⁾، وهم أهل بابل من العراق في القديم وإيهم تنسب الفلاحة النبطية. وتفرعت من يافث بن نوح أيضا شعوب كثيرة مثل التتار والصغد والروس والخزر (وهم التركمان) والديلم والصين والفرنج والقوط (وهم أهل الأندلس) في القديم واللمان، قيل والفرس واليونان؛ وهم الأمة التي كانت منها الحكماء شرقي الخليج القسطنطيني؛ وهم ثلاثة أصناف: اللطينيون والإغريقيون واللكيم، قيل ومنه أيضا الروم والاشبان؛ وقيل بل هما من ولد عيصو بن إسحاق.

وتفرعت من حام بن نوح أمم مثل القبط - كما مر - وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم، قيل والقوط؛ وتفرعت من ابنه كنعان بن حام شعوب كثيرة مثل الكنعانيين؛ وهم الذين كان منهم جبابرة الشام، ومنه النوبة والزنج والزُّغاوة.

(1) ذكره القرطبي.

(2) النبط: قوم من العجم كانوا يسكنون سواد العراق.

وتفرعت كذلك شعوب كثيرة من كوش بن حام مثل السند والهند والحبشة⁽¹⁾ وزويلة وهم أهل برقة في القديم، ومنهم الطائفة المنسوب إليهم باب زويلة بالقاهرة. أما الأرمن (وهم أهل أرمينية) فمن ولد ناحور بن تارح وهو آزر والد إبراهيم عليه السلام. وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب للقلقشندي أن العجم: ما عدا العرب، وأن المشهور من أمهم ست وعشرون أمة، وأن جميع أحياء السودان من ولد حام بن نوح. والله تعالى أعلم.

ذكر بعض الصحابة والصالحين من العجم

هذا وينحدر من جُل هذه الشعوب المذكورة والطبقات المختلفة كثير من الصحابة الفضلاء والتابعين الأجلاء من الرجال والنساء وخاصة من الحبشة والنوبة والقبط والفرس وغير ذلك..

فمن ذلك على سبيل المثال؛ كان من السودان ثم من الحبشة منهم: مؤذن رسول الله ﷺ بلال بن رباح الحبشي وقيل نوبي، أمه حمامة - وربما نسب إليها - ولد بمكة ونشأ بها وكان عبداً لأمية بن خلف الجمحي وكان من السابقين إلى الإسلام وكان صادق الإسلام طاهر القلب وعذب في الله فصير، وكان أمية يعذبه وكان أبو جهل ييطحه على وجهه في الشمس ويضع عليه الرحي حتى تصهره الشمس⁽²⁾ ويقول له: اكفر برب محمد، فيقول: أحد أحد.. ولم يزل كذلك حتى اشتراه أبو بكر فأعتقه لله عز وجل، فكان بعد مؤذنا لرسول الله ﷺ في الحضر والسفر وهو أول من أذن في الإسلام، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا والمشاهد كلها وكان خازنًا له؛ ولما توفي رسول الله ﷺ خرج إلى الشام

(1) سميت الحبشة بمجدها حبش بن كوش بن حام بن نوح. الروض الأنف.

(2) صهر الشيء بالنار ونحوها صهرا: أذابه وصهره الحر حمي عليه واشتد.

بجاهدا ومرابطا في سبيل الله، ولم يزل به إلى أن توفي سنة عشرين بدمشق ودفن بباب الصغير - وقيل بحلب - ودفن على باب الأربعين وهو ابن بضع وستين سنة ولم يعقب، رَوَى عنه جم غفير من الصحابة والتابعين، له أخ اسمه خالد وأخت اسمها غفيرة ابنا رباح⁽¹⁾.

ومن الحبشة أيضا شقران واسمه صالح بن عدي الحبشي وقيل فارسي وغلب عليه لقبه شقران وهو مولى لرسول الله ﷺ أهده له عبد الرحمن بن عوف، وقيل اشتراه منه فأعتقه وكان من الذين غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهزوه وفرش لرسول الله ﷺ في قبره قطيفة حمراء نجرانية، ومات رضي الله عنه في خلافة عثمان.

ومنهم أيضا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسة الحبشي من مولدي السراة شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. ومن الحبشة أيضا أم أيمن بركة بنت عبيد الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته وقد مر التعريف بها.

ومنهم أيضا النحاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة بن الأبحر الحبشي وهو الذي هاجر إليه المسلمون من مكة الهجرة الأولى فأكرمهم وأحسن إليهم وحماهم من عدوهم، وأرسل إليه النبي ﷺ عمرو بن أمية بن خويلد الضمري بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم على يد نقيب المهاجرين بالحبشة جعفر بن أبي طالب سنة ست، ولما جاءه كتاب رسول الله ﷺ تلقاه بالبشر والترحيب وعظمه فنزل عن سريره وجلس على الأرض وقرأه ووضع على عينيه وقال: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظر أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب

(1) غفيرة: بصيغة التصغير. ورباح: بفتح الراء والباء الموحدة - [الاستيعاب والأصابة].

الجمال وأن العيان ليس بأشفي من الخبر عنه ثم دعا بئح من عاج⁽¹⁾ وجعل فيه الكتاب وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم. ثم أرسل إليه النبي ﷺ أن يرسل إليه أصحابه الذين هاجروا إليه فجهزهم وأرسلهم في سفينتين ثم بعث إليه بعدهم ابنه في ستين نفرا من الحبشة في سفينة فغرقت، وتوفي النجاشي في رجب سنة تسع - وقيل ثمان - للهجرة فنعاه رسول الله ﷺ لأصحابه يوم موته، وصلى عليه هو والصحابة بالمدينة.

ومن الحبشة أيضا ذو مخمر الحبشي، ابن أخي النجاشي - وقيل ابن أخته - بعثه النجاشي إلى النبي ﷺ ليخدمه نيابة عنه فكان من خدمه صلى الله عليه وسلم، ثم نزل الشام. ومنهم أيضا أنجشة الحبشي مولى رسول الله ﷺ، كان أحد الحدائين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حسن الصوت بالحداء ينشد فيه القريض والرجز، وكانت الإبل إذا سمعت الحداء طربت وأسرعت؛ وكان يحدو له صلى الله عليه وسلم بالنساء، فرآه يوما في حجة الوداع يحدو بهن قد أسرعت بهن الإبل فقال له: "رُوَيْدُكَ يَا أَنْجَشَةُ رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ"⁽²⁾، يعني النساء.

(1) راكب الحمار: عيسى عليه السلام، وراكب الجمل: محمد صلى الله عليه وسلم. والعيان: المشاهدة، والحق (بضم الحاء المهملة): وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما. والعاج: ناب الفيل أو عظمه.

(2) أخرجه البخاري ومسلم، ورويدك بمعنى أمهل أو أرفق. والقوارير: جمع قارورة وهي الزجاج، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها؛ وكنى بها عن النساء لرقتهن وضعفهن عن الحركة. والنساء تشبه بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية؛ فشبهن النساء - اللاتي كن على الإبل التي تساق - بالقوارير وأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحدو الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وهذا من الاستعارة البديعة. وقيل أمره بالكف لأنه كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء حداءه وخاف عليهن الفتنة من سماع النشيد الذي يحدو به، لأن حسن الصوت يحرك من النفوس، وشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها، وفي المثل: "الغنا رقية الزنى".

ومن الحبشة أيضا أبو محمد عطاء بن أبي رباح الحبشي المشهور بالعلم والصلاح وأحد الفقهاء والأئمة، نزل مكة وحالف قريشا فكان من مواليهم، قيل إنه حج أكثر من سبعين حجة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة هجرية وقيل أربع عشرة ومائة.

ومن السودان أيضا ثم من النوب منهم: موالى رسول الله ﷺ؛ منهم يسار النوبي، وكان راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يحسن الصلاة فأعتقه؛ وهو الذي قتله العرنيون ومثلوا به فاقتص منهم النبي ﷺ. ومنهم أيضا رباح النوبي مولى رسول الله ﷺ قيل اشتراه من وفد عبد القيس فأعتقه، وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ثم صيره في لقاحه بعد يسار المذكور حين قتل. ومنهم أيضا زيد بن بولي النوبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصابه في غزوة بني ثعلبة فأعتقه. ومنهم أيضا كركرة النوبي مولى رسول الله ﷺ أهده له هودة اليماني فأعتقه. ومن النوب أيضا فضة النوبية جارية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن السودان أيضا عامر ابن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وفهيرة التي ينسب إليها أمه، كان عبدا أسود اللون مملوكا للطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخريرة، أخي عائشة لأُمِّها⁽¹⁾. وكان عامرُ ابن فهيرة من السابقين إلى الإسلام؛ أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان حسن الإسلام، وعُذِّب في الله ثم اشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان يرعى لآل

(1) كان عبد الله بن الحارث بن سخريرة الأزدي قد قدم مكة في الجاهلية بزوجه أم رومان بنت عامر بن عويمر فحالف أبا بكر قبل الإسلام، ثم توفي عن أم رومان وقد ولدت له ابنه الطفيل هذا، ثم خلف عليها أبو بكر بعده فولدت له عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين؛ فهما أخوا الطفيل بن عبد الله لأمه - [الاستيعاب والإصابة].

أبي بكر منحة من غنم كانت عندهم. ولما خرج رسول الله ﷺ هو وأبو بكر إلى غار ثور كان يرعاها في ثور ويريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل؛ فعل ذلك في الليالي الثلاث التي أقامها في الغار، فلما خرجا من الغار سار به أبو بكر معهما إلى المدينة ليخدمهما في الطريق فأردفه خلفه. وشهد بدرا وأحدًا واستشهد ببئر معونة رضي الله عنه قتله جبار بن سلمى وقيل قتله عامر بن الطفيل.

ومن القبط سرية رسول الله ﷺ مارية بنت شمعون القبطية⁽¹⁾، أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية، وأهدى له معها أختها سيرين التي وهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ابن خالة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وأهدى معهما خصيا اسمه مابور، كان شيخا كبيرا، قيل كان ابن عمهما (قبطيا أيضا). وتوفيت مارية سنة ست عشرة في خلافة عمر؛ فكان عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها ودفنت بالبقيع.

ومن القبط أيضا هاجر القبطية أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانت

(1) أمها رومية اختارها ملك مصر المقوقس ولم يوجد بمصر أحسن منها، وكانت بيضاء جعدة، وكان المقوقس قد أرسلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع حاطب بن أبي بلتعة فأسلمت على يده قبل وصولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ثمان للهجرة، فأنزلها صلى الله عليه وسلم على أم سليم بنت ملحان ووطئها بالملك ثم حولها إلى مال له بالعالية، فكانت فيه في الصيف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك. وكانت حسنة الدين وكان صلى الله عليه وسلم يعجب بها، وولدت له ابنه إبراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية؛ فسر به صلى الله عليه وسلم واشتدت غيره نساءه منها حين ولدت له، وتنافس في نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد (زوج البراء بن أوس) التجارية فكانت ترضعه.

هاجر هذه بنت ملك من ملوك القبط. بمصر فسباها منه ملك الأردن واسمه صادق - أو صيدوق - ثم وهبها لسارة بنت هاران بن ناحور (زوج إبراهيم عليه السلام - وبنت عمه أو بنت أخيه) حين أخذها من إبراهيم عجباً منه بجمالها فصرع مكانه، فأرسلها وأخدمها هاجر هذه؛ فأهدتها سارة لزوجها إبراهيم - عليه السلام - فتسرى بها فولدت له إسماعيل أبا العرب - كما مر.

وكانت هاجر من قرية كانت أمام الفرما⁽¹⁾ من مصر. أما مارية - سرية صلي الله عليه وسلم - فهي من أهل "حفن"⁽²⁾ من كورة "أنصنا"⁽³⁾. وقد روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا افتتحت مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»⁽⁴⁾، وعن عمر مولى غفيرة بنت رباح أخت بلال أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُ اللهُ في أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإن لهم نسبا وصهراً»، قال عمر مولى غفيرة: نسبهم أن أم إسماعيل عليه السلام منهم، وصهرهم أن رسول الله ﷺ تسرى فيهم.

(1) الفرما: مدينة سميت باسم بانيتها وهو الفرما بن قليس، أخو الاسكندر بن قليس اليوناني باني مدينة الاسكندرية بمصر، وقد روي أن الاسكندر بن قليس لما بناها قال: ابني مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس فقال: الفرما: ابني مدينة فقيرة إلى الناس غنية عن الله؛ فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعاً فذهب رسمها وعفا أثرها، وبقيت مدينة الاسكندر إلى الآن. وذكر الطبري أن عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما فسأل عنها فحدث بهذا الحديث. وأما مصر فسميت بمصر بن النبط من ولد كوش بن كنعان - [الروض الأنف].

(2) حفن: قرية بالصعيد معروفة وهي التي كلم الحسن بن علي معاوية أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ورعاية لحرمة الصهر - [الروض الأنف].

(3) أنصنا (بفتح الهمزة وكسر الصاد المهملة والنون مقصور): قرية بالصعيد (مصر) يقال إنها كانت مدينة السحرة - [الروض الأنف ومعجم البلدان].

(4) أخرجه مسلم وأحمد.

وروي أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لأهلها: إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيرا فإن لهم نسبا وصهرا، فقالوا له: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي لأنه نسب بعيد وصدق كانت أمكم امرأة الملك من ملوكنا فحاربنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوا فمن هناك صارت إلى أبيكم إبراهيم أو كما قالوا. [قاله في الروض الأنف].

ومن القبط أيضا أبو رافع القبطي - واسمه أسلم - من موالي رسول الله ﷺ أهداه له العباس، وهو الذي بشر النبي ﷺ بإسلام العباس فأعتقه، وتوفي قبل عثمان بيسير، وقيل مات في خلافة علي رضي الله عنه.

ومن الفرس الصحابي الجليل سلمان الفارسي، ومنهم العبد الصالح فيروز الديلمي (قاتل العنسي) - وقد مر التعريف بهما. ومنهم أبو كبشة وهو سليم الفارسي مولى رسول الله ﷺ، قيل كان من مولدي أرض دوس. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير، ومن الفرس أيضا مَرَكَبُودُ الفارسي من أبناء الفرس بصنعاء أسلم في حياة النبي ﷺ. ومن الفرس أيضا فَنج بن دحرج الفارسي، اختلف في صحبته؛ روي عنه أنه قال: كنت أعمل في الدينباذ⁽¹⁾ وأعالج فيه فقدم يعلی بن أمية أميرًا على أهل اليمن وجاء معه رجال من أصحاب النبي ﷺ فجاءني رجل ممن جاء معه وفي كفه جوز فقال لي: يا فارسي هلم، فدنوت منه فقال: أتضمن لي غرس هذا الجوز على هذا الماء؟ فقال له فَنج: ما ينفعني ذلك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نصب شجرة فصبر عليها - وفي رواية: فصبر على حفظها والقيام بها - حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب منها صدقة - وفي رواية: كان

(1) بفتح أوله - ويكسر - وبعد الياء نون وباء موحدة وألف ثم ذال معجمة: هي قرى مرو.

له في كل شيء يصاب من ثمرتها صدقة عند الله عز وجل»، فقال فنج: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، قال فنج: فأنا أضمنها، قال فمناها جوز "الدينباذ"⁽¹⁾.

ومن أبناء الفرس - أيضا - سفينة مولى رسول الله ﷺ - وقيل من الروم وقيل من مولدي العرب - وهو من سبي بلخ من خراسان واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل كيسان وقيل طهمان وقيل غير ذلك.. وسماه النبي ﷺ «سفينة»، لأنهم كانوا حملوه كثيرا في السفر؛ فقد روي عنه أنه قال: كنا في سفر وكان كلما أعيأ رجل ألقى علي ثيابه ترسًا أو سيفًا حتى حملت من ذلك شيئًا كثيرًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «احمل فإنما أنت سفينة»⁽²⁾، فلو حملت يومئذ وقر بعيرين أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة.. ما ثقل علي، وكان إذا قيل له: ما اسمك؟ يقول: سماني رسول الله ﷺ سفينة فلا أريد غيره⁽³⁾، وكان رسول الله ﷺ قد اشتراه فأعتقه؛ وقيل إنه مولى لأم سلمة كانت قد أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو لم تشتري علي ما فارقت، فكان يقال له مولى رسول الله ﷺ ومولى أم سلمة [كما في نزهة الأفكار] وغيرها..

ثم قال رحمه الله:

هَنَا انْتَهَى مَهْمُ سَلَكِي النَّسَبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نَيْلِ الْأَرْبِ
ثُمَّ عَلَى خَيْرِ نَبِيِّ أُرْسِلَا وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعُلَا
أَزْكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَا سَجَا لَيْلٌ وَمَا زَانَتْهُ أَنْجُمُ الدُّجَى

(1) رواه أحمد في المسند: 4 / 61 - 5 / 374.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

(3) قاله في نزهة الأفكار على قرة الأبصار.

وَشَمِلَتْ نَازِمَهُ وَالْقَارِي مَغْفِرَةُ الْمُهَيِّمِينَ الْغَفَّارِ

قوله هنا انتهى: أي كمل وتم. ومهم: فاعل انتهى. وسلكي: تثنية سلك (بكسر فسكون) وهو الخيط الذي ينظم فيه الخرز ونحوه (جمعه سلوك وأسلاك)، والمراد بسلكي النسب هنا: عمود نسبه صلى الله عليه وسلم من عبد الله إلى عدنان، وعمود نسب الأنصار إلى قحطان؛ فشبه ما نظم من ذينك العمودين بالسلك الذي ينظم فيه الخرز، لأن العرب للعمودين كالخرز للسلك - وهو من باب الاستعارة الظاهرة - وقد انحصرت أنساب العرب في هذين العمودين؛ وهذان السلطان هما المشار إليهما في بداية النظم بقوله:

علم عمود نسب المختار ثم عمود نسب الأنصار .. الخ.

وقد بدأ الناظم بعدنان لأنه الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ولأن منهم سيد ولد آدم محمداً ﷺ، وركز منهم على قريش الأقرب فالأقرب منه صلى الله عليه وسلم، ثم ثنى بقحطان وركز منهم على الأنصار رضي الله عنهم، لأنهم أولى الناس بذلك لتقديم الله تعالى إياهم في الفضل، ولما أظهر الله عز وجل بأيديهم من الدين فأوجب لهم بذلك حقا على كل مسلم.

قوله والحمد لله: مبتدأ وخبره. والنيل: الإصابة. والأرب: الغاية والحاجة، أي الحمد لله على حصول المطلوب وبلوغ المقصود الذي منه إكمال هذا النظم على الوجه الذي كنت أتمنى وأرجوه من المولى جل وعلا. وقوله أزكى الصلاة والسلام: مبتدأ مؤخر، أي أتمهما وأطيبهما وأكثرهما. وقوله على خير نبي وما عطف عليه: خير مقدم. وأرسل: (بالبناء للمفعول، وألفه للاطلاق). وذوي العلاء: صفة آلّه وصحبه أي أصحاب العلاء (وهو بضم العين): الرفعة والشرف. وقوله ما: مصدرية ظرفية، أي مدة دوام ما ذكر، يعني على التأييد، لأنهم يذكرون هذا في

معنى التأييد لا محض التقييد. وسجا الليل: دام وسكن. وقوله وما زانته: أي حسنته وزخرفته، والضمير ليل. والدجى (بضم الدال المهملة): جمع دجية كظلمة وظلم وزناً ومعنى؛ أو هي الظلمة مع غيم، وأنجمه: كواكبه المضيئة.

وبهذا البيت ينتهي النظم في بعض النسخ، وفي بعضها زيادة البيت التالي: وشملت ناظمه.. إلخ؛ فشملت (كنصر وفرح): أي عمت عليهم وسترتهم. وناظمه: يعني نفسه، وفي نسخة: "جامعه" وهما بمعنى. والقاري: أي قارئه وهو عام فيشمل مقرئه وشارحه وناسخه وكاسبه والساعي في كل شيء تعلق به.. وقوله مغفرة: فاعل شملت، والمغفرة: ستر الذنب في الدنيا وعدم المؤاخذة به في الآخرة. والمهيمن: من أسمائه تعالى ومعناه الشاهد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض أو المؤمن غيره من الخوف. والغفار: من أسمائه أيضاً ومعناه الذي يستر الذنوب على أهلها في الدنيا ولا يؤاخذهم بها في الآخرة. والصحيح أن هذا البيت - الأخير - لابن الناظم، وهو حبيب بن أحمد البدوي رحمه الله.

هذا وقد ختم الناظم كتابه بالحمد لله تعالى على نعمه التي لا تحصى والتي هذا النظم أثر من آثارها شكراً لله تعالى ثم أتى بالصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأعقب ذلك بالدعاء لنفسه ولمن اعتنى بهذا النظم امتثالاً لأمر الله تعالى ورجاءاً للانتفاع بذلك.

تنبيه على معنى الحمد وصيغته

بدأ الناظم هذا النظم بحمد الله والصلاة والسلام على النبي ﷺ اقتداءً بكتاب الله وامتثالاً لأمره جل وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد افتتح الكتاب العزيز بالحمد لله وجاء في الحديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله

فهو أجزم»⁽¹⁾ وقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽²⁾ وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا»⁽³⁾. وأتى الناظم بالحمد بصيغتي الفعلية والاسمية وبدأ بالجملة الفعلية حين قال: حمدا لمن رفع صيت العرب.. فحمدا (بالنصب): معمول لفعل محذوف أي أحمد الله حمدا؛ فهي فعلية، واختارها لدلالاتها على التجدد والحدوث كقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾⁽⁴⁾ فقد دلت على التجدد، وكقول الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عرفهم يتوسم

أي ينظرني المرة بعد المرة. ثم ختم بالجملة الاسمية حيث قال: والحمد لله على نيل الأرب؛ فالحمد: مبتدأ، والله خير؛ وهي جملة اسمية واختارها لدلالاتها على الدوام والاستمرار كقوله تعالى ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾⁽⁵⁾ فقد دلت على الدوام أي كانت وما تزال، وكقول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

أي دائم الانطلاق.

والحمد في اللغة: الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان من

(1) أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد.

(2) الأحزاب: 56.

(3) رواه مسلم وأخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(4) التوبة: 40.

(5) التوبة: 40.

قبيل الكمال أو من قبيل الاحسان وهما سبيان و اردان في حمد الله عز وجل، فهو كامل تفرد بالكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾ وهو محسن على جميع المخلوقات، خلق الإنسان ولم يكن شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ورزقه من حيث لا يحتسب وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وأما الحمد في الاصطلاح فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، سواء كان من ناحية القلب كالاعتقاد أو من ناحية اللسان كالثناء أو من ناحية الفعل كالعبادة. والحمد لله جملة خبرية لفظاً، إنشائية معنى؛ لأن المقصود منها إنشاء الثناء بمضمونها على الله تعالى لاستحقاقه ذلك على الخلق. والحمد لله ثناء أثنى الله تعالى به على نفسه وفي ضمنه أمر لعباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله.

وفي تفسير القرطبي عن ابن عباس أنه قال: "الحمد لله كلمة كل شاكر وأن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله، وقال الله لنوح عليه السلام ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾⁽³⁾، وقال تعالى في قصة داود وسليمان ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(1) الشورى: 11.

(2) المؤمنون: 28.

(3) إبراهيم: 39.

فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، وقال لنبیه ﷺ: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ (٢) ؛ وقال أهل الجنة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣) .. ﴿ وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤)، فهي كلمة كل شاكر.

والألف واللام في الحمد: لاستغراق الجنس من المحامد، واللام في لله: للاستحقاق؛ فهو سبحانه المستحق للحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وتشتمل هذه اللفظة على حاء وهي من الوحدانية وميم وهي من الملك ودال وهي من الديمومة؛ ومخرج الحاء من الحلق والميم من الشفتين والدال من اللسان فمن عرف الله تعالى بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفه، ومن نطق بهذا اللفظ تكون المخارج الثلاثة — الحلق وهو أقصى المخارج واللسان وهو أوسطها والشفتان وهو أدناها — قد شاركت كلها في أداء نصيبها من هذا الثناء المطلوب.

تم أسمى الناظم — أيضا — في الصلاة بصيغتي الحملتين: الاسمية والفعلية في أول النظم ، وبدأه بالاسمية وثنى بالفعلية — عكس ما فعل في الحمد — تفننًا؛ ثم ختم النظم بالاسمية فكانت عبارته الأولى في الصلاة دالة على الدوام والثانية على التجدد والثالثة على الاستمرار. والصلاة هي الرحمة المقرونة بالتعظيم. وقد

(1) النمل: 15.

(2) الإسراء: 111.

(3) فاطر: 34.

(4) يونس: 10.

قال النووي وغيره: الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ومن الآدميين تضرع ودعاء⁽¹⁾.

والسلام: الأمان من الآفات المنافية لغاية الكمال. وأتى بهما امتثالا لأمره تعالى وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم، إذ هو الواسطة بين الله تعالى والخلق، فجميع النعم الواصلة إلينا — وعلى رأسها الهداية للإسلام — على يديه صلى الله عليه وسلم. وآله — صلى الله عليه وسلم —: أقرابه المؤمنون من بني هاشم (عند المالكية) أو وبني المطلب (كما للشافعية وبعض المالكية أيضا). وصحبه: كل من آمن به صلى الله عليه وسلم واجتمع معه أو ان حمل الدعوة ولو مرة.

وعلى لهذا القدر من معنى الحمد والصلاة على النبي ﷺ أقتصر لطول الكلام على معناهما وشهرته، وإنما ذكرت هذا منه لعدم تعرض الشارح له في البداية فجعلته ختاماً لهذا التعليق شكراً لله تعالى على جميع نعمه ورجاء لقبوله منه.

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾⁽²⁾ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾⁽³⁾. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه الجزء الثاني من كتاب **رياض السيرة**

(1) تهذيب الأسماء واللغات: 3 / 179.

(2) الجاثية: 36-37.

(3) الأعراف: 43.

والأدب في إكمال شرح عمود النسب؛ وبتمامه تم الكتاب والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قال مقبده عفا الله عنه: هذا آخر ما أردت جمعه من هذا الشرح المبارك إن شاء الله، وقد عنيت بجمعه وتأليفه وتهذيبه ولم آل جهدا في إتقانه وتلخيصه وتخليصه؛ وكل ما وجد فيه من نقص أو عيب فهو مني، وما وجد فيه من تمام أو فائدة فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى. والله ربي الكريم أسأل أن يجعله عملا صالحا مقبولا ووسيلة للقرب والفوز برضوانه الأكبر وأن يغفر به غدا سيئاتي ويثقل به وزن حسناتي ويجزل به ثوابي ويجعله نورا بين يدي يوم حسابي ومحشرنني ووالدي وجميع أحبائي في زمرة سيد المرسلين ويجعلنا من حزبه المقربين، ويرحم الله عبدا قال آمين.

وكان الفراغ من جمعه مساء يوم الاثنين المبارك آخر يوم من ذي القعدة الحرام سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة الميمونة، موافق سابع نيسان (إبريل) - شهر مولده صلى الله عليه وسلم - عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية.

محمد بن عبد الله

فهرس محتويات الجزء الثاني من
رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب

الصفحة	الموضوع
604.....	الكلام على بني الأوس بن حارثة.....
606.....	خيثمة بن الحارث والد سعد بن خيثمة.....
607.....	آخر من أسلم من الأنصار بنو جشم.....
608.....	خزيمة بن ثابت وشهادته للنبي صلى الله عليه وسلم.....
610.....	عمير بن عدي وقتله لعصماء بنت مروان.....
612.....	بنو مرة بن مالك بن الأوس.....
614.....	صيفي بن الأسلت وابنه عقبة بن أبي قيس.....
617.....	بنو عمرو بن مالك بن الأوس.....
618.....	ذكر بعض ما يقع من الخلط بين زعور بن عبد الأشهل وزعور بن جشم.....
620.....	ترجمة سعد بن معاذ.....
627.....	بنو السكن بن رافع وموتهم دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.....
628.....	وافدات النساء على النبي ﷺ ، وذكر بعض ما للنساء من الأجر.....
631.....	عازب بن الحارث وابنه البراء.....
632.....	قصة الهجرة النبوية كما رواها أبو بكر رضي الله عنه.....
633.....	حويصة ومحبيصة ابنا مسعود.....
633.....	عرابة بن أوس والتنبيه على نسبه.....

- 636..... عبد الله بن سهل بن كعب صاحب القسامة
- 637..... اغتيال اليهود لعبد الله بن سهل كان أول غدرهم بخير
- 638..... محمد بن مسلمة المجدي
- 638..... أصل رُقِيَة آل حزم
- 641..... قتادة بن النعمان ورد النبي صلى الله عليه وسلم لعينه
- 644..... بنو الأبيرق وقصة سرقتهم
- 647..... بنو ظهير وبنو زعور ابني جشم
- 650..... بنو عوف بن مالك
- 651..... عبد الله بن جبير أمير الرماة
- 652..... خوات بن جبير وقصته مع ذات النخيين
- 657..... التعريف ببعض أعلام بني عمرو بن عوف
- 659..... أبو لبابة بن عبد المنذر وقصة التوبة عليه
- 661..... القاضي أبو يوسف فقيه العراق
- 662..... حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة
- 664..... عاصم بن ثابت حمي الدبر
- 664..... بعض أقوال العلماء في غسل الشهيد
- 668..... أحيحة بن الجلاح الجحجي سيد الأوس في الجاهلية
- 669..... الجلاس بن سويد وقصته مع ربييه عمير بن سعد
- 671..... الحارث بن سويد وقلته بالمجذر قصاصا
- 673..... ذكر بعض بطون بني عمرو بن عوف وبعض أعيانهم
- 675..... جبريل ومعناه ولغاته

- 676.....الكلام على بني الخزرج بن حارثة
- 678.....بنو عدي بن النجار
- 680.....ترجمة أنس بن النضر وابن أخيه أنس بن مالك
- 682.....البراء بن مالك وشجاعته واستجابة دعوته
- 687.....سيرين بن عمرو مولى أنس بن مالك
- 688.....ترجمة محمد بن سيرين المعبر للرؤيا
- 691.....حارثة بن النعمان
- 696.....بنو مالك بن النجار
- 697.....طلحة بن البراء حليف بني عمرو بن عوف
- 699.....أبو أيوب الأنصاري وكيفية نزول النبي ﷺ عليه وإقامته بداره
- 700.....ذكر ارتحال النبي ﷺ من قباء إلى المدينة
- 707.....ذكر أول بناء للمسجد النبوي والحجرات
- 710.....وصف حجرات أمهات المؤمنين ومواقعها
- 713.....بعض تاريخ عمارة المسجد النبوي
- 719.....زيد بن ثابت وأمر رسول الله ﷺ له بتعلم السريانية
- 723.....نعيمان بن عمرو وبعض دعابته
- 726.....بنو عمرو بن مالك بن النجار
- 727.....أبي بن كعب القارئ
- 729.....حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم
- 740.....أبو طلحة بن سهل ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد
- 744.....أم سليم بنت ملحان وزواجها بأبي طلحة

- 748..... أم حرام بنت ملحان ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها
- 749..... تنبيه على بعض ما أخذ من الفقه من حديث " ما فعل النغير يا أبا عمير" ...
- 751..... الحارث بن الصمة
- 753..... صهيب بن سنان الرومي وما كان من ملازمته النبي ﷺ
- 756..... بنو مازن بن النجار
- 757..... حبيب بن زيد وخبره مع مسيلمة الكذاب
- 761..... نسيبة بنت كعب وبعض جهادها في سبيل الله
- 762..... إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في الخروج للغزو
- 763..... بعض أفخاذ بني مازن بن النجار وبعض أعيانهم
- 764..... بنو دينار بن النجار وبعض أعيانهم
- 765..... ذكر بيعة الرضوان وسببها
- 766..... معركة اليمامة ومقتل مسيلمة الكذاب
- 771..... بنو جشم بن الخزرج
- 772..... البراء بن معرور وابنه بشر
- 774..... خبر الشاة المسمومة في غزوة خيبر
- 776..... كعب بن مالك شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم
- 779..... أبو قتادة بن ربعي وذكر بعض مناقبه
- 783..... كعب بن الأشرف وقصة قتله على يد رجال من الأوس
- 787..... سلام بن أبي الحقيق اليهودي وخبر قتله على يد رجال من الخزرج
- 792..... الحباب بن المنذر صاحب الرأي
- 793..... جابر بن عبد الله وخبر إحياء ولديه

- 797 عبد الله بن عمرو بن حرام وذكر محاورته مع الله - جل وعلا -
- 798 عقبة بن عامر خادم النبي صلى الله عليه وسلم
- 800 عمرو بن الجموح وحرصه على الشهادة في سبيل الله
- 803 عمير بن الحمام وقصته في غزوة بدر
- 804 الجعد بن قيس وما كان من استئذانه في القعود وتحلفه في غزوة تبوك
- 808 ترجمة معاذ بن جبل
- 814 بنو زريق وبعض أفخاذهم وأعيانهم
- 815 بنو بياضة وبعض أعيانهم
- 816 بنو العجلان بن غضب بن جشم وبعض أعيانهم
- 819 بنو عوف بن الخزرج
- 820 عبد الله بن أبي رأس المنافقين
- 823 عبد الله بن عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة
- 825 القواقلة وسبب تلقيبهم بهذا اللقب
- 828 أوس بن الصامت أول من ظاهر في الإسلام
- 830 خير مسجد الضرار
- 833 أبو عامر بن صيفي لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق
- 835 أبو خيثمة وقصته في غزوة تبوك
- 837 بنو الحارث بن الخزرج
- 843 ثابت بن قيس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
- 848 ذكر بعض من قطعت رجله وقتل قاتله
- 850 ترجمة النعمان بن بشير

- 854.....حميدة بنت النعمان بن بشير ونماذج من حدة لسانها
- 861.....أبو سعيد الخدري
- 863.....بنو كعب بن الخزرج
- 864.....قيس بن سعد بن عبادة ونماذج من جوده
- 868.....سعد بن عبادة سيد الخزرج
- 870.....سهل بن سعد الساعدي
- 871.....التعريف بأبي دجانة وذكر شجاعته
- 875.....ذكر بعض تنافس الأوس والخزرج في الخير
- 876.....ذكر إصابة الأنصار بسبعين رجلا في عدة مواقع تحت راية الجهاد
- 880.....الكلام على حمير
- 881.....الإمام مالك بن أنس
- 884.....كعب الأحبار وإخباره بموت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- 888.....ذو الكلاع بن ناكور الحميري
- 890.....ابن المفرغ وقصة هجوه لآل زياد
- 895.....دولة الحميريين باليمن وألقاب ملوكها
- 900.....الملكة بلقيس والقول في أمها الجنية
- 905.....نسب قضاة وبعض قبائلها
- 910.....نسب البرامكة ونماذج من مدحهم
- 917.....قصة أول لعان في الإسلام
- 918.....تنبيه على صفة اللعان وحكمه
- 922.....طليحة بن خويلد وذكر رده وادعائه النبوة وإسلامه بعد ذلك

- 926..... القبائل المتفرعة من أسلم بن الحاف
- 930..... نصره بني عذرة لقصي على خزاعة بعد صفقة أبي غبشان
- 933..... هذبة بن الخشرم وقتله بدم زيادة بن زيد، وتشجعه بعد الموت!
- 940..... عروة بن حزام وموته بعشق عفراء ابنة عمه
- 943..... قبيلة جهينة وقصة المثل "عند جهينة الخير اليقين"
- 945..... قتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك بعد نطقه الشهادة
- 947..... حب رسول الله ﷺ للفأل الحسن وتغييره لبعض الأسماء
- 951..... عمير بن جندب وحياته بعد موته ودفن ابن عمه في قبره
- 958..... ترجمة زيد بن حارثة
- زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش بعد ما طلقها زيد بن حارثة
- 961..... وذكر خصوصية هذا الزواج
- 967..... غلبة الروم للفرس وفرح المسلمين بذلك
- 967..... كتاب النبي ﷺ إلى هرقل مع دحية الكلبي
- 969..... أسئلة هرقل لأبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم
- 972..... كتاب النبي ﷺ إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة
- 974..... انهيار دولة الفرس وذكر بعض آخر ملوكهم
- 976..... أعرق الأكاسرة في الملك، والخلفاء في الخلافة
- 977..... امرؤ القيس بن عدي ومصاهرة علي والسبطين له
- 979..... تسلسل الصحبة في بيتي زيد بن حارثة وأبي بكر الصديق
- 989..... مكانة زيد بن حارثة وذكر بعض سراياه للنبي ﷺ
- 993..... نسب مذحج

- 998..... الأسود العنسي المتنبئ وقتل فيروز الديلمي له
- 1001..... آل ياسر أول شهداء الإسلام
- 1003..... عمار بن ياسر وبعض مناقبه
- 1009..... سعد العشيرة وذكر كثرة ولده
- 1011..... أويس القرني وصلاحه وبره بأمه
- 1019..... أبو نواس بن هانئ المذحجي وبعض أخباره
- 1024..... ترجمة الإمام أبي عبد الله البخاري
- 1031..... بنو طيء بن أدد وذكر بعض أعيانهم
- 1041..... حاتم الطائي وذكر صور من جوده
- 1051..... عدي بن حاتم وبعض خبره
- 1059..... رافع بن عميرة دليل خالد إلى الشام أيام اليرموك
- 1064..... فائدة بذكر الصحابة الذين كلمهم الذئب
- 1067..... زيد الخيل بن مهلهل وذكر إسلامه
- 1071..... بنو حميد الطائيون وبعض ما قيل فيهم من المدح
- 1076..... الكلام على أول من وضع الخط العربي
- 1081..... فضل الكتابة وأهميتها
- 1083..... الأمية في رسول الله ﷺ فضيلة وفي غيره نقيصة
- 1087..... أوس بن حارثة وقصته مع بشر بن أبي حازم الأسدي
- 1093..... نسب كندة وذكر بعض بطونها ومشاهيرها
- 1096..... ترجمة امرئ القيس بن حجر وبعض أخباره
- 1102..... الأشعث بن قيس وإسلامه وارتداده ورجوعه للإسلام

- 1105.....فائدة بذكر آل أبي قحافة والد أبي بكر الصديق.....
- 1107.....حجر بن عدي وسبب قتل معاوية له
- 1111.....سبب اختيار العرب لبعض الأسماء السيئة.....
- 1113.....شريح بن الحارث وبراعته في القضاء.....
- 1118.....ملك دومة الجندل: أكيدر بن عبد الملك، وأسر خالد له.....
- 1123.....معاوية بن حديج وقصة قتله لمحمد بن أبي بكر الصديق.....
- 1125.....ابن ملحمة وما كان من قتله لعلي رضي الله عنه
- 1129.....الصمادح وملكهم بالمرية من الأندلس.....
- 1133.....نسب السودان والقول في سبب اسوداد جلودهم.....
- 1136.....أولاد نوح آباء الأمم.....
- 1138.....ذكر بعض الصحابة والصالحين من العجم.....
- 1145.....خاتمة النظم.....
- 1147.....معاني الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وما جاء في النظم من ذلك.....
- 1153.....فهرس الموضوعات.....
- 1162.....فهرس الأعلام.....

فهرس بأسماء الأعلام المترجمين والمعرفين في
الجزء الثاني من التكملة

- أكل المرار: 1094
أبو أيوب الأنصاري: 699
أبو الدرداء، عويمر بن يزيد: 858
أبو الطحماء، حنظلة بن الشرقي: 956
أبو القاسم بن أسعد بن بليطة: 1131
أبو القاسم عبد الكريم بن محمد: 636
أبو اليسر، كعب بن عمرو: 778
أبو تمام، حبيب بن أوس: 1038
أبو جبيلة بن عبد الله: 818
أبو خيثمة بن قيس: 835
أبو دجانة، سماك بن أوس: 871
أبو رافع، أسلم القبطي: 1144
أبو زغبة، عامر بن كعب: 860
أبو زغنة بن عبد الله: 818
أبو زيد، قيس بن السكن: 876
أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك: 861
أبو سفيان بن الحارث بن قيس: 667
أبو طلحة بن سهل: 740
أبو عامر بن صيفي، الراهب: 833
أبو عبس بن جبر: 635
أبو عبيد بن مسعود بن عمرو: 879
أبو عبيدة بن محمد بن عمار: 1007
أبو عمير بن أبي طلحة: 749، 745
أبو غبشان الخزاعي: 930
أبو قتادة بن ربعي: 779
أبو قدامة بن سهل: 607
أبو كبشة، سليم الفارسي: 1144
أبو لؤلؤة (غلام المغيرة): 885
أبو لبابة، رفاعة بن عبد المنذر: 659
أبو مسعود، عقبة بن عمرو: 861
أبو معلق الأنصاري: 982
أبو نائلة، سلكان بن سلامة: 787
أبو نواس، الحسن بن هانئ: 1019
أبو يحيى، إسحاق بن عبد الله: 746
أبو يحيى، محمد بن أحمد: 1129
أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: 661
أبي بن كعب: 726
الأحوص، عبد الله بن عاصم: 666
أحيحة بن الجلاح، أبو عمرو: 668
الأخنس بن كعب الجهني: 943
أرطاة بن كعب بن شرحبيل: 1015
أرقم بن زيد بن قيس: 839

- أنس بن النضر بن ضمضم: 680
 أنس بن ظهير بن رافع: 648
 أنس بن فضالة: 645
 أنس بن مالك بن النضر: 681
 أنسة الحبشي: 1139
 أنوشروان بن قباد، كسرى: 975
 أنيس بن قتادة: 659
 أوس بن الصامت: 828
 أوس بن ثابت بن المنذر: 728
 أوس بن حارثة: 1087
 الأوس بن حارثة: 604
 أوس بن خولى، أبو ليلي: 824
 أوس بن عتيك بن عمرو: 649
 أوس بن قيظي: 634، 636
 أويس القرني: 1011
 أيمن بن عبيد الحبشي: 834
 أيمن بن عبيد بن عمرو: 834
 إياس بن ثعلبة، أبو أمامة: 639
 إياس بن قبيصة الطائي: 1037
 ابن الاطنابة، عمرو بن عامر: 857
 ابن المفرغ، يزيد بن ربيعة: 890
 افريقش بن ابرهة: 900
 افريقش، تبع: 895
 امرؤ القيس بن حجر: 1096
 أسامة بن زيد (الجب): 987، 979، 945
 أسعد الكامل: 903
 أسعد بن زرارة: 697
 أسلم بن سدرة: 1076
 أسماء بنت أبي الجون: 1095
 أسماء بنت يزيد بن السكن: 628
 الأسود الربيض، عمرو بن عميرة: 1091
 الأسود بن خزاعي: 789
 الأسود العنسي، عهلة بن كعب: 998، 994
 أسيد بن حضير: 619
 أسيد بن ظهير بن رافع: 648
 أسيرة بن عروة بن سواد: 645
 أسيفع جهينة: 953
 الأشتر النخعي، مالك بن الحارث: 1014
 الأشعث بن قيس: 1102
 أكيدر بن عبد الملك: 1118، 957
 أم أيمن، بركة بنت ثعلبة: 960
 أم حرام بن ملحان: 748
 أم سليم بنت ملحان: 744
 أم فروة بنت أبي قحافة: 1105
 أم كلثوم بنت أبي بكر: 840
 أم كلثوم بنت عقبة: 963
 أمد بن أهد: 1057
 أنجشة الحبشي: 1140

- 900 بلقيس بنت الهدهاد (الملكة):
 847 بنت عامر بن الظرب:
 1070 بنو حميد بن قحطفة:
 909 بهراء بن الحاف:
 973 بوران بنت أبرويز:
 1125 تجوب الكندي:
 1092 تميم بن ثعلبة:
 764 تميم بن عمرو بن قيس:
 649 التيهان، مالك بن عتيك:
 922 ثابت بن أقرم بن ثعلبة:
 630 ثابت بن الصامت:
 843 ثابت بن قيس بن شماس:
 755 ثعلبة بن عمرو بن محسن:
 778 ثعلبة بن عنمة:
 790 جابر بن عبد الله بن رئاب:
 793 جابر بن عبد الله بن عمرو:
 674 جبر بن عتيك بن الحارث:
 963 جبلة بن حارثة:
 804 الجعد بن قيس:
 1029 الجراح بن الحصين بن الحارث:
 616 جرول بن جرول:
 1090 جرير بن أوس:
 1104 جعدة بنت الأشعث:
 1076 جعفر بن عطية السدوسي:
 957 امرؤ القيس بن حذام:
 1110 امرؤ القيس بن عابس:
 977 امرؤ القيس بن عدي:
 1064 اهبان بن أوس:
 976، 973 باذان بن ساسان:
 1130 باديس البربري:
 1091 باعث بن حويص:
 929 بثينة بنت يزيد:
 1120 بجير بن بجرة الطائي:
 1036 البحزري، الوليد بن عبيد:
 1024 البخاري، محمد بن إسماعيل:
 763 البراء بن أوس بن خالد:
 631 البراء بن عازب:
 682 البراء بن مالك بن النضر:
 772 البراء بن معرور:
 1126 البرك بن عبد الله التميمي:
 910 برمك بن جاماس:
 1088 بشر بن أبي حازم:
 644 بشر بن أبيرق:
 774 بشر بن البراء:
 1120 بشر بن عبد الملك:
 645، 644 بشير بن أبيرق:
 838، 834 بشير بن سعد:
 1138 بلال بن رباح الحبشي:

- جعبفر بن يحيى بن خالد: 911
 حبيبة بنت خارجة: 860، 840
 حبيبة بنت سهل بن ثعلبة: 847
 حبان بن منقذ: 757
 حجر بن الحارث: 1097
 حجر بن عدي بن معاوية الأديب: 1107
 حجر بن يزيد بن سلمة: 1109
 حرملة بن المنذر، أبو زيد: 1038
 حريث بن زيد الخليل: 1070
 حسان بن أبي كرب: 903
 حسان بن ثابت: 729
 حسان بن حنظلة بن أبي رهم: 1039
 حسيل بن جابر بن عمرو: 640
 الحصين الغطفاني: 943
 الحصين بن وحوح: 614
 حفص بن غياث: 1015
 حكيم بن جبلة بن حصين: 830
 حميدة بنت النعمان بن بشير: 845
 حمير بن سبأ بن يشجب: 897
 حنظلة بن أبي عامر (الغسيل): 662
 الحوآب بنت كلب: 964
 حويصة بن مسعود: 633
 الحياة بنت امرئ القيس: 978
 حية بنت أبي بكر بن أبي حية: 933
 جعفر بن يحيى بن خالد: 911
 حفيظة النهدي: 928
 الجلاس بن سويد: 669، 657
 جميل بن عبد الله بن معمر: 929
 جميلة بنت عبد الله بن أبي: 846، 663
 حابس بن سعد بن المنذر: 1040
 حاتم بن عبد الله الطائي: 1041
 الحارث الراش بن ذي سدد: 899
 الحارث بن أوس بن معاذ: 787
 الحارث بن الصمة: 751
 الحارث بن النعمان بن أمية: 654
 الحارث بن سويد: 671
 الحارث بن قيس: 814
 حارثة بن النعمان: 691
 حارثة بن سراقعة: 693
 حارثة بن شراحيل: 980، 959
 حاطب بن الحارث بن قيس: 674
 الحاف بن قضاة: 907
 حام بن نوح عليه السلام: 1137
 الحباب بن المنذر بن الجموح: 792
 الحباب بن جزى بن عمرو: 648
 حبال بن أبي حبال: 923
 حبة بن عاصم: 916
 حبيب بن حماشة الخنظمي: 611

- حيدان بن عمرو: 908
 خارجة بن حذافة: 1126
 خارجة بن زيد بن أبي زهير: 840
 خارجة بن زيد: 721
 خالد بن إساف: 860
 خالد بن برمك: 910
 خبيب (البليغ) بن عدي بن مالك: 667
 خبيب بن إساف: 860
 خذام بن خالد: 831
 خزيمية بن ثابت: 608
 خلاد بن سويد بن ثعلبة: 857
 خوات بن جبير: 652
 خولة بنت قيس: 917
 خيثمة بن الحارث: 606
 دحية بن خليفة: 965
 دويد بن نهد: 927
 ذكوان بن عبد القيس: 813
 ذو أصبح، الحارث بن مالك: 900
 ذو القرنين، الصعب بن الحارث: 899
 ذو الكلاع الأصغر بن ناكور: 888
 ذو ظليم، حوشب بن طحية: 888
 ذو مخمر الحبشي: 1140
 ذو نواس: تبع: 895
 ذو نواس، زرة بن تبان: 904
 رافع بن حديج بن رافع: 636
 رافع بن عميرة: 1037، 1059
 رافع بن مالك: 816
 رافع بن مكيث بن عمرو: 952
 الرباب بنت امرئ القيس: 978
 رباح النوبي: 1141
 ربيعة بن خراش: 951
 الربيع بنت النضر: 681، 693
 رزاح بن ربيعة: 932
 رفاعة بن زيد بن عامر: 643
 رفاعة بن عمرو، أبو الوليد: 824
 ريحانة بنت معدي كرب: 1018
 زرارة بن عمرو النخعي: 1015
 زعور بن جشم: 648
 زهير العامري: 1130
 زياد بن السكن: 628
 زياد بن لبيد بن ثعلبة: 815
 زيادة بن زيد بن مالك: 933
 زيد الخليل بن مهلهل: 1067
 زيد بن أرقم: 839
 زيد بن الدثنة: 816
 زيد بن بولي النوبي: 1141
 زيد بن ثابت: 719
 زيد بن حارثة، أبو أسامة: 958، 983

- زيد بن حصن بن وبرة: 1037
 زيد بن خالد الجهني: 952
 زينب بنت جحش: 961
 السائب بن يزيد بن سعيد: 1111
 سابور بن أبرويز: 973
 سام بن نوح عليه السلام: 1136
 سبأ بن يشجب بن يعرب: 897
 سبيعة الأسلمية: 916
 سرين بنت شمعون: 1142
 سعد العشيرة بن مذحج: 1008
 سعد بن الربيع بن عمرو: 839
 سعد بن النعمان بن زيد: 674
 سعد بن حبة: 661
 سعد بن خيثمة: 606
 سعد بن زيد بن مالك: 630
 سعد بن سويد بن عبيد: 862
 سعد بن عباد، أبو قيس: 868
 سعد بن عبيد بن النعمان: 662،
 سعد بن عثمان بن خلدة: 814
 سعد بن معاذ: 620
 سعد هذيم، أبو عذرة: 928
 سعيد بن الأسود: 1112
 سعيد بن الحسين الكوفي: 951
 سعيد بن سليمان بن زيد: 721
 سعيد بن سهيل بن مالك: 764
 سفانة بنت حاتم: 1055
 سفينة، رومان: 1145
 سلافة بنت سعد: 665
 سلام بن أبي الحقيق: 787
 سلمة بن صخر بن سلمان: 818
 سلمة بن يزيد الجعفي: 1019
 سلمى بنت عمرو بن زيد: 668
 سليط بن قيس بن عمرو: 695
 السليل بن زيد بن مالك: 1037
 سليم بن الحارث بن ثعلبة: 764
 السمع بن المعافر: 899
 السمؤال بن عادي: 1100
 سمية بنت خياط، أم عمار: 1001
 سهل بن حنيف بن واهب: 674
 سهل بن رافع بن بشير: 860
 سهل بن رافع بن خديج: 925
 سهل بن رافع: 721
 سهل بن سعد بن مالك: 870
 سهل بن عدي بن زيد: 640
 سويد بن الصامت: 672
 سويد بن صخر الجهني: 953
 سويد بن غفلة: 1028
 سواد بن غزية: 690

- الضحاك بن عبد عمرو: 764
ضرية بنت ريعة: 954
الطرماح، الحكيم بن حكيم: 1066
طريف بن مالك بن عميرة: 1033
طعيمة بن أبيرق: 644 ، 645
طلحة بن البراء بن عمير: 925
طلحة بن البراء: 697
طليحة بن خويلد: 922
الطماح بن قيس الأسدي: 1101
طية، جلهمة بن أدد: 1033
ظهير بن رافع بن عدي: 648
عازب بن الحارث بن عدي: 631
عاصم بن ثابت: 664
عاصم بن عدي، أبو عمرو: 916
عافية بن يزيد (القاضي): 1009
عامر بن ثابت: 666
عامر بن جذرة: 1076
عامر بن جشم، الأسلت: 613
عامر بن جوين الطائي: 1035
عامر بن ساعدة بن علي: 639
عامر بن فهيرة: 1141
عباد بن بشر: 619
عباد بن سهل بن مخزومة: 639
عبادة بن الصامت: 829
سيرين بن عمرو النجاري: 687
سيف بن ذي يزن: 904
سيف بن قيس: 1104
سُرق بن أسد الجهني: 950
شداد بن عاد الحميري: 898
شداد بن عاد السكسكي: 899
شراحيل بن الشيطان: 1029
شرحبيل بن السمط: 1112
شريح بن الحارث (القاضي): 1113
شريك بن السحماء: 918
شريك بن عبدة: 915
شقران، صالح بن عدي: 1139
شهاب بن جمره الجهني: 947
شيرويه بن أبرويز: 976
الشيطان بن الحارث الولادة: 1111
شيطان بن عوف: 1111
صرمة بن قيس بن صرمة: 695
صفوان بن عسال: 1000
صفية (مولاة أبي بكر): 687
صمادح بن عبد الرحمن: 1129
الصهباء بنت حرب: 1120
صهيب (الرومي) بن سنان: 753
صيفي بن الأسلت، أبو قيس: 614
صيفي بن ساعدة: 673

- عبد الرحمن بن ثابت: 738
عبد الرحمن بن حجر: 787
عبد الرحمن بن سهل: 637
عبد الرحمن بن شبل: 673
عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة: 925
عبد الرحمن بن مربع: 635
عبد الرحمن بن ملجم: 1125
عبد العزيز بن بدر: 953
عبد الكريم بن محمد الرافعي: 636
عبد الله بن أبي طلحة: 745
عبد الله بن أبي ابن سلول: 820
عبد الله بن أنيس بن أسعد: 789
عبد الله بن أنيس: 953
عبد الله بن إدريس بن يزيد: 1009
عبد الله بن الحارث بن سخيرة: 1141
عبد الله بن الزبير بن العوام: 850
عبد الله بن العباس بن يزيد: 1109
عبد الله بن النعمان بن يزيد: 1009
عبد الله بن جبير بن النعمان: 651
عبد الله بن حذافة السهمي: 972
عبد الله بن خارجة بن زيد: 721
عبد الله بن رواحة: 841
عبد الله بن زيد بن عاصم: 760
عبد الله بن زيد بن عبد الله: 860
عبد الله بن سهل بن كعب: 636
عبد الله بن صفوان: 865
عبد الله بن عبد الله بن أبي: 823
عبد الله بن عجلان: 928
عبد الله بن عمرو بن حرام: 797
عبد الله بن قيس بن عتيك: 788
عبد الله بن مربع: 635
عبيد بن أوس بن مالك: 644
عبيد بن صخر بن لوزان: 818
عبيد بن معاوية، أبو عياش: 815
عتبة بن الربيع بن رافع: 862
عتبة بن عمرو بن جروة: 858
عتيك بن التيهان بن عتيك: 649
عثمان بن حنيف بن واهب: 674
العجلان بن حارثة: 915
العدل بن الحر: 1010
عدي بن أبي الزغباء: 952
عدي بن حاتم: 1032
عدي بن عمرو بن سويد: 1037
عدي بن يزيد بن حمار: 1120
عذرة بن سعد هذيم: 928
عرابة بن أوس: 634
عروة بن حزام بن مالك: 940
عروة بن زيد الخير: 1070

- عصماء بنت مروان: 610
عطاء بن أبي رباح: 1141
عفراء بنت عبيد بن ثعلبة: 723
عفراء بنت مهاضر: 942
عفيف الكندي: 1104
عقبة بن أبي قيس: 614
عقبة بن عامر بن عيس: 798
عقبة بن عثمان بن خلدة: 814
عقبة بن وهب بن كلدة: 825
عقربة بن بشير الجهني: 952
عمار بن ياسر: 1003
عمر بن معدي كرب، أبو ثور: 1017
عمرو بن ابرهة، ذو الاذعار: 900
عمرو بن الجموح: 800
عمرو بن الحجاج بن عبد الله: 1019
عمرو بن الخزرج: 677
عمرو بن المسيح بن كعب: 1036
عمرو بن النعمان بن خلدة: 816
عمرو بن بكر التميمي: 1126
عمرو بن ثعلبة بن وهب: 695
عمرو بن زرارة بن عمرو: 1017
عمرو بن طلحة بن الحارث: 728
عمرو بن عبد الجن: 956
عمرو بن عبد الله بن صفوان: 865
عمرو بن قميثة: 1100
عمرو بن مالك: 841
عمير بن الحمام بن الجموح: 803
عمير بن جندب: 950
عمير بن سعد: 670
عمير بن عامر بن مالك: 763
عمير بن عدي بن خرشة: 610
عوسجة بن حرملة: 949
عويمر بن الحارث: 915، 917
عوف بن الحارث (ابن عفراء): 722
غزية بن عمرو بن عطية: 763
غفيرة بنت رباح: 1139
الفارعة بنت مالك: 861، 862
فاطمة بنت سعد الخثعمية: 932
الفريعة بنت خالد: 729
فضة النوية: 1141
الفضل بن الربيع: 912
الفضل بن يحيى بن خالد: 911
فنج بن دحرج الفارسي: 1144
فيروز الديلمي: 997
قبيصة بن الأسود: 1035
قتادة بن النعمان: 641، 645
قحطان بن عامر اليميني: 897
قسامة بن رواحة بن حل: 1039

- 1094 كندة، ثور بن عفير:
 1138، 1133 كوش بن حام:
 1128 لقيط بن أرتاة:
 645 مؤنس بن فضالة:
 1142 مابور القبطي:
 1142 مارية بنت شمعون القبطية:
 881 مالك بن أبي عامر:
 881 مالك بن أنس (الإمام):
 605 مالك بن الأوس:
 830 مالك بن الدخشم:
 870 مالك بن ربيعة، أبو أسيد:
 835 مالك بن عبد الله بن جشم:
 1010 مالك بن مشوف بن أسد:
 1121 مالك بن هبيرة بن خالد:
 913 ماوية بنت كعب بن القين:
 750 مبدول، عامر بن مالك:
 644 مبشر بن أبيرق:
 673 المخدر بن زياد بن عمرو:
 831، 667 مجمع بن جارية بن زيد:
 695 محرز بن عامر بن مالك:
 769 محكم بن الطفيل:
 979 محمد بن أسامة بن زيد:
 688 محمد بن سرين:
 638 محمد بن سلمة بن خالد:
 928 قسورة بن معلل:
 931 قصي بن كلاب:
 906 قضاعة بن مالك:
 778 قطبة بن عامر:
 764 قطبة بن عبد عمرو:
 643 قيس بن الخطيم:
 685 قيس بن السكن، أبو زيد:
 864 قيس بن سعد بن عبادة:
 1078 قيس بن عبد مناف:
 1015 قيس بن كعب بن شرحبيل:
 814 قيس بن محصن:
 764 قيس بن مخلد بن ثعلبة:
 995 قيس بن مكشوح:
 862 كبشة بنت رافع:
 1141 كركرة النوبي:
 1091 الكروّس الطائي:
 975، 972 كسرى، أبرويز بن هرمز:
 884 كعب الاحبار بن ماتع:
 783 كعب بن الأشرف:
 764 كعب بن زيد بن قيس:
 925 كعب بن عجرة بن عدي:
 776 كعب بن مالك:
 658 كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس:
 1123 كنانة بن بشر:

- 1132 المعتمد بن عباد:
 909 معلن بن صفار:
 1129 معن بن صمادح:
 919 معن بن عددي بن الجند:
 722 معوذ بن الحارث (ابن عفراء):
 909 المقداد بن عمرو، ابن الأسود:
 1110 مقطع النجد، معاوية بن الحارث:
 1070 مكنف بن زيد الخليل:
 976 المنتصر بن المتوكل:
 729 المنذر بن حرام:
 873 المنذر بن عمرو، المنعق ليموت:
 1100 المنذر بن ماء السماء:
 907 منشم التميمية:
 757 منقذ بن عمرو بن عطية:
 694 مهجع بن صالح:
 1069 مهلهل بن زيد النبهاني:
 857 نباتة القرظية:
 1139 النجاشي، اصحمة بن الأبيجر:
 761 نسيبة بنت كعب:
 928 نصر بن دهمان بن أشجع:
 834 نضلة، أبو مالك بن العجلان:
 816 النعمان بن العجلان:
 850 النعمان بن بشير:
 830 النعمان بن داوود:
 1116 محمد بن ظفر بن عمير:
 669 محمد بن عقبة بن أحيحة:
 1034 محمد بن مالك (النحوي):
 1130 محمد بن معن الصمادحي:
 858 محمود بن الربيع بن سراقه:
 633 محيصة بن مسعود:
 1066 مدلج بن سويد، مجير الجراد:
 1031 مذحج بنت ذي منشحان:
 1076 مرامر بن مرة:
 636 مربع بن قيظي:
 945 مرداس بن نهيك:
 998 المرزبانة (امرأة باذان):
 1144 مركبود الفارسي:
 789 مسعود بن سنان:
 873 مسلمة بن مخلد بن الصامت:
 936 المسور بن زيادة:
 722 معاذ بن الحارث (ابن عفراء):
 808 معاذ بن جبل:
 647 معاذ بن زرارة:
 802 معاذ بن عمرو بن الجموح:
 815 معاذ بن ماعص:
 1123 معاوية بن حديج:
 1094 معاوية بن كندة:
 1132 المعتصم بن معن الصمادحي:

- 855 هند بنت النعمان بن بشير:
 وائل بن حمير: 897
 1040 واقد بن الغطريف بن مالك:
 وحوح بن الأسلت: 613
 1001 ياسر بن عامر، أبو عمار:
 1137 يافث بن نوح عليه السلام:
 يحيى بن خالد بن برمك: 911
 888 يحيى بن معمر بن عمران:
 يزيد بن الوليد: 976
 644 يزيد بن قيس بن الخطيم:
 1030 يزيد بن مالك، أبو سيرة:
 يسار الكواعب: 907
 1141 يسار النوبي:
 897 يعرب بن قحطان:
 931 يعمر بن عوف بن كعب:
 يوسف بن يعقوب: 662
- النعمان بن عبد عمرو: 764
 النعمان بن عمرو بن النعمان: 816
 النعمان بن يعفر، المعافر: 898
 النعمان، الأسود بن شراحيل: 1095
 نعيمان بن عمرو: 723
 نفيع بن المعلى: 818
 نهد بن زيد بن ليث: 927
 1142 هاجر (أم إسماعيل عليه السلام):
 هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: 848
 هانيء بن نيار، أبو بردة: 921
 هدبة بن الحشرم: 933
 هرقل، قيصر صاحب الروم: 968
 هرمز بن أنوشروان: 975
 هلال بن أمية بن عامر: 606
 هلب بن عدي: 1058
 هند بنت أسيد: 628

كامل شرح عمود النسب

والحمد لله رب العالمين

تصريح وزارة الإعلام والثقافة
رقم/أع ش/ ٣٩٢ بتاريخ: ٢٠٠١/٢/٣

الطباعة النهائية
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة - ا ع م